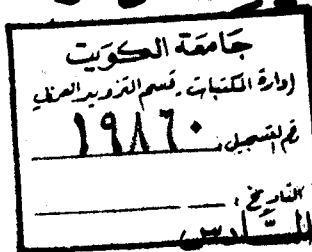


ناتج الأدب العربي



الأدب في المغرب والأندلس

من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة
(أوائل القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن السادس عشر للميلاد)

تأليف

كفرزوق

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد

٧١١
٦٠٠

دار العالم للملايين

تاريخ الأدب العربي

٦

دار العلم للملايين

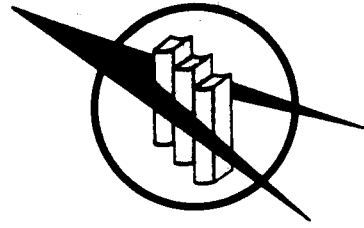
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مكاداليساكن - خلف مكتبة المنلو

ص ١٠٨٥ - تلفون: ٣٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

رقبىا : مىلاىىن - ملكىن : ٢٣١٦٦ مىلاىىن

بىروى - لىنانى



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

حزيران (يونيو) ١٩٨٣

الكلمة الأولى

سيكون الفصل الأول من هذا الجزء السادس طويلاً جداً، ذلك لأنه سيعرضُ صورةَ العصر في الأندلس أيام بني نصرٍ أو بني الأحمر (٦٢٩-٨٩٧ هـ) ثم في المغرب كُلِّه: في أيام بني مرين في فاس (٥٩٢-٩٥٧ هـ) وبني زيان في تلمسان (٦٣٣-٩٦٢ هـ) والدولة الوطاسية في بادية الجزائر (٦٣٣-٩٦١ هـ) والدولة الحفصية في تونس (٦٢٥-٩٨٢ هـ)؛ وتلك حِقبةٌ تمتدُّ أربعةَ قرونٍ كواملٍ.

ولطول هذا العصر سببان رئيسان: طولُ ذلك العصر نفسه من حيث الزمن ثم الحاجةُ إلى شيء من التوسُّع في السَّمي لردِّ التَّهمة عن ذلك العصر بأنَّه عصرُ انحطاطٍ، مع العلم بأنَّ الحياة العمرانية والحياة الثقافية ثم الحياة السياسية نفسها - في المغرب خاصة - كانت كُلُّها مُزدهرة.

إنَّ الضَّعفَ السياسيَّ في الأندلس (في سلطنة غرناطة الضيقة الرُّقعة والخاصة للنُفوذ النَّصراني) قد أدَّى - كما يُنتظرُ في مثل هذه الحال - إلى ضَّعفٍ في الأدب عامة وفي الثقافة أيضاً. غير أنَّ هذه القاعدة العامة قد خرَّقاها في الأندلس، وفي ذلك الحين، نهضةٌ عمرانية من البناء ومن الزُّخرف لم يسبقها نهضةٌ مثلها ولا لحقها نهضةٌ مثلها. إنَّ قصورَ الحمراء في غرناطة معالِم من فنِّ البناء وفنِّ الزُّخرف وعُنوانٌ لحضارة لم ترقَ إليها حضارةٌ أخرى. ولهذه الآثار العربية في الأندلس (إسبانية اليوم) قيمةٌ اقتصاديةٌ تقوم عليها حياةُ الإسبان، أولئك الإسبان الذين كانت صدورُ كُبرائهم قد ضاقت بالإسلام وبالمسلمين، فقاتلوا المسلمين - بقيادة البابوية - ثم أخرجوهم من ديارهم بوخشيَّة لم يعرفها إلاَّ عصرُنا الحاضرُ في فلسطين وفي غير فلسطين أيضاً، بالأمس القريب.

ليس من المعقول، ولا من المألوف، أن نصِفَ بالانحطاطِ الفكريِّ أو الانحطاطِ

الأدبي عصرًا كان فيه القرطبي المفسر (ت ٦٧١ هـ) ثم ابن أبي عسور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) النحويان الكبيران ثم ابن البناء العددي (ت ٧٢١ هـ) والقلاصدي (ت ٨٩١ هـ) الرياضيان ثم تلك الكوكبة من علماء التاريخ والجغرافية والاجتماع الموسعين (وبعضهم يقول: الموسويون): عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٥ هـ) وأبو المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ) وحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) وابن الأبار القضاعي (ت ٦٨٥ هـ) وبنو سعيد الغنسي الذين ملأوا القرن السابع ثم ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٢ هـ) وابن منظور (ت ٧١١ هـ) صاحب قاموس «لسان العرب» ثم ابن خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) وابن أبي حجلة (ت ٧٧٦ هـ) ولسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وابن بطوطة الرحالة (ت ٧٧٩ هـ) ويحيى بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ) وأبو حمو الثاني (ت ٧٩١ هـ) وآل مرزوقي الذين ملأوا القرن الثامن بالفقهاء والأدباء ثم الكوكب الوضاء عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع في العالم كله ثم الوترسي (ت ٩١٤ هـ) صاحب كتاب «المعيار»، وقد جمع فيه آراء طيبة في الإدارة وفي التربية والتعليم.

وإذا نحن نسينا في هذه الصورة الزاهية - من الحكام - بني نصر أو بني الأحمر ملوك غرناطة - مع أنهم تركوا لنا في الحضارة العمرانية أثرًا لا ينسى - فلا يجوز لنا أن ننسى المنصور المريني يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٦ هـ) ويحيى بن عبد الواحد الحفصي (٦٢٥-٦٤٧ هـ) وأبا حمو موسى الثاني (٧٦٠-٧٩١ هـ).

الأمم كلها تمر في أدوار من الرقي ومن الانحطاط مرة بعد مرة. وأرى أن المسلمين لم يمرّوا في ماضيهم في مثل هذا الانحطاط الذي يمرّون به في عصرهم الحاضر، لأنهم يفقدون في عصرهم الحاضر هذا رجال دولة من أمثال الذين عدّناهم في الأسطر السالفة. فعسى أن يبعث الله فينا من يرُدُّ لنا تلك المكانة التي كانت لنا من قبل. إنّه على كلّ شيء قدير.

الأحد في ٢٠ من صفر ١٤٠٣ = ١٩٨٢/١٢/٥.

عمر فروخ

★ صورة العصر في المغرب وفي الأندلس ٢٥-٥١

دولة بني الأحمر - الأسر الحاكمة في المشرق والمغرب ٢٨ -
 الحفصيون في تونس ٢٩ - بنو مرين ٣١ - أبو عنان ٣٢ - بنو
 وطّاس ٣٣ - ليبيا ٣٥ - السودان الغربي (أو المغربي) ٣٦ -
 حوض النكار (النيجر) وحوض السنغال ٣٧ - مالي أو مالي
 ٤٠ - غانة ٤٣ - كانم: برنو ٤٥ - الصوصو (صو)؟ كوكو في
 كياك (كانياغا) ٤٧ - امبراطورية سنهي (صغاي) ٤٨ - ودّاي
 ٥٠.

★ الحياة الثقافية في هذا العصر ٥٢-١٣٤

العلوم الدينية ٥٢ - علوم الحديث ٥٥ - علوم الفقه ٥٩ - أصول
 الدين و علم الكلام ٧١ - التصوّف ٧٤ - التاريخ والجغرافية
 ٨٠ - علوم التعاليم (الرياضية) - العلوم الطبيعية - رثاء البلدان
 أدب المولد - (الثقافة في السودان الغربي).

السنة الهجرية		
٦١٦	أبو البقاء البلنسي	١٣٤
٦٢٠	ابن غياث الشريشي	١٣٥
٦٣٦	أبو عبد الله بن عسكر	١٤٠
٦٣٩	محمد بن أحمد الأستجي	١٤٤
٦٤٠	موسى بن سعيد العنسي	١٤٨
٦٤٢	الأعلم البطليوسي	١٥٣
٦٤٣	طلحة بن حزم الأموي	١٥٤
٦٤٥	عنان بن جابر	١٥٧

١٥٩	ابن سفر المرّي	
١٦١	أبو عليّ الشلويني	٦٤٥
١٦٤	عبد الواحد المراكشي	٦٤٥
١٦٧	أبو بكر بن البناء الإشبيلي	٦٤٦
١٧٠	أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي	٦٤٦
١٧١	يحيى بن عبد الواحد الحفصي	٦٤٧
١٧٤	ابن سهل الإشبيلي	٦٤٩
١٨٣	التيفاشي القفصي	٦٥١
١٨٨	حميد الأنصاري	٦٥٢
١٨٩	أبو الخطّاب السكوني	٦٥٢
١٩٢	أبو الحجّاج البيّاسي	٦٥٣
١٩٤	محمد بن عبد الله المرسّي	٦٥٥
١٩٦	ابن الجنّان الأنصاري	٦٥٥
٢٠٤	أبو الحسن الشاذلي	٦٥٦
٢١٠	ابن الأبار القضاعي	٦٥٨
٢١٧	أبو المطرّف بن عميرة	٦٥٨
٢٢٤	ابن عربيّة (عربية؟)	٦٥٩
٢٢٧	أحمد اللّلياني	٦٥٩
٢٢٩	ابن سيّد الناس	٦٥٩
٢٣٣	ابن عبدون المكناسي	٦٥٩
٢٣٥	ابن سراقّة الشاطبي	٦٦٢
٢٣٧	أبو الحسن بن محمد الجيّاني	٦٦٣
٢٤٠	ابن الفقّار الرعيني	٦٦٦
٢٤٦	أبو الحسن الشّثري	٦٦٨
٢٤٨	ابن عصفور الإشبيلي	٦٦٩
٢٥٢	الدرجيني	٦٧٠

٢٥٣	ابن أبي الحسين	٦٧١
٢٥٥	القرطبي صاحب التفسير	٦٧١
٢٦٠	ابن مالك النحوي	٦٧٢
٢٧١	محمد بن الحسن القلمي	٦٧٣
٢٧٣	ابن الجنان الشاطبي	٦٧٥
٢٧٧	ابن الناظر القرشي	٦٧٩
٢٧٧	سعيد بن حكم القرشي	٦٨٠
٢٨٣	ابن معمر الهواري	٦٨٢
٢٨٤	محمد بن موسى المزالي	٦٨٣
٢٨٦	أبو البقاء صالح بن شريف الرندي	٦٨٤
٢٩١	حازم القرطاجني	٦٨٤
٣١٢	علي بن موسى بن سعيد الغنسي	٦٨٥
٣١٧	إبراهيم بن أبي بكر التلمساني	٦٩٠
٣١٩	ابن السمّاط المهدوي	٦٩٠
٣٢٣	ابن عتيق المرسّي	٦٩٠
٣٢٥	ابن الفخّار البلسني	
٣٢٧	حافي رأسه	٦٩٣
٣٢٩	عبد العزيز الملزوزي	٦٩٧
٣٣١	بدر الدين بن هود	٦٩٩
٣٣٤	ابن فرّح الإشبيلي	٦٩٩
٣٣٥	مالك بن المرحّل	٦٩٩
٣٤٠	يحيى بن علي اليفرني	٧٠٠
٣٤١	ابن عبد النور المالقي	٧٠٢
٣٤٦	ابن عبد الملك المراكشي	٧٠٣
٣٥٣	الغبريني صاحب الدراية	
٣٥٧	أبو العباس العزفي	٧٠٧

٣٥٨	أبو جعفر بن الزبير	٧٠٨
٣٦١	ابن خيس التلمساني	٧٠٨
٣٦٥	ابن الحكيم الرندي	٧٠٨
٣٦٨	أبو عبد الله محمد الغالب بالله	٧١٠
٣٦٩	ابن منظور صاحب لسان العرب	٧١١
٣٧٤	أبو العباس الملياني	٧١٥
٣٧٦	التجاني صاحب الرحلة	٧١٨
٣٨٢	ابن رُشيد السبكي	٧٢١
٣٨٨	ابن البناء العددي	٧٢١
٣٩٣	ابن آجروم	٧٢٣
٣٩٩	ابن الفخار الجذامي	٧٢٣
٤٠١	العبدري صاحب الرحلة	٧٢٥
٤٠٤	ابن عذاري المراكشي	
٤٠٦	ابن أبي زرع	٧٢٦
٤٠٩	ابن الزيت الكلاعي	٧٢٨
٤١١	القيجاطي	٧٣٠
٤١١	ابن هاني السبكي	٧٣٣
٤١٤	ابن القوع التونسي	٧٣٨
٤١٩	ابن عمر الملكيشي	٧٤٠
٤١٠	محمد بن أحمد بن جزي	٧٤١
٤٢٦	أبو حيّان الفرناطي	٧٤٥
٤٣٠	الطويحين الساحلي	٧٤٧
٤٣٦	أبو بكر بن شبرين	٧٤٧
٤٣٨	ابن الجيّاب الفرناطي	٧٤٩
٤٤١	ابن جابر الوادي آشي	٧٤٩
٤٤٥	عبد المهيمن الحضرمي	٧٤٩

٤٤٩	الجزنائي الفاسي الكرياني	٧٤٩
٤٤٢	ابن الصائغ المغربي	٧٤٩
٤٥٥	أبو العلاء بن سماك	٧٥٠
٤٥٧	ابن ليون التجيبي	٧٥٠
٤٦٠	محمد البدري	٧٥٠
٤٦١	ابن المراجع	٧٥٠
٤٦٥	ابن هذيل الغرناطي	٧٥٣
٤٦٨	أبو عبد الله بن جزّي الكلي	٧٥٧
٤٧١	المقري الجدّ	٧٥٩
٤٧٧	أبو القاسم السبكي الغرناطي	٧٦٠
٤٨٠	أبو جعفر بن صفوان	٧٦٣
٤٨٣	ابن الحاجّ النميري الغرناطي	٧٦٨
٤٨٩	ابن خاتمة الأنصاري	
٤٩٦	منديل بن آجروم	٧٧٣
٤٩٨	أبو البركات بن الحاجّ البليقيّ	٧٧٣
٥٠٣	لسان الدين بن الخطيب	٧٧٦
٥١٧	ابن أبي حجلة	٧٧٦
٥٢١	ابن بطّوطة	٧٧٩
٥٢٨	أبو جعفر الغرناطي الرعيني	٧٧٩
٥٣٠	ابن جابر الأندلسيّ	٧٨٠
٥٣٣	محمد بن يوسف الثغري التلمساني	٧٨٠
٥٤٠	يحيى بن خلدون	٧٨٠
٥٤٦	ابن مرزوق الخطيب	٧٨١
٥٥٥	أبو سعيد بن لبّ	٧٨٢
٥٥٨	أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزّي	٧٨٥

٥٦١	محمد الطريف التونسي	٧٨٧
٥٦٣	أبو جعفر بن زرقاله	
٥٦٥	ابن عبّاد الرندي	٧٩٧
٥٦٩	ابن زمرك	٧٩٥
٥٧٦	ابن فرحون	٧٩٩
٥٧٩	أبو زيد المكوّدي	٨٠٧
٥٨٦	ابن خلدون	٨٠٨
٦١٠	ابن قنفذ القسنطيني	٨٠٩
٦١٥	ابن الأحمر صاحب « نثير الجمان »	٨١٠
٦٢١	يوسف بن يوسف بن الأحمر	٨١٩
٦٢٣	ابن جابر الغساني الكناسي	٨٢٧
٦٢٥	أبو بكر بن عاصم	٨٢٩
* ٦٣٤	ابن مرزوق الحفيد	٨٤٢
* ٦٣٣	أبو يحيى بن عقيبة	٨٦٠
٦٤١	أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم	٨٦٠
٦٤٨	ابراهيم التازي	٨٦٦
٦٥٣	ابن عبد المنعم الحميري	
٦٥٧	الجزولي السملالي	٨٧٠
* ٦٦٥	القلصادي	٨٩١
* ٦٦١	القاضي ابن الأزرق	٨٩٦

* إنّ التراجم مرتّبة في هذا الكتاب كلّ على سنوات الوفيات. ولكنّ اتّفق هنا، حيث وضع على رقم الصفحة نجم صغير « (*) »، أن تأخّرت ترجمة مرتّبة واحدة، وكان حقّها أن تتقدّم (أو تقدّمت وكان حقّها أن تتأخّر). وهذا ينطبق على التراجم الست المثبتة على هذه الصفحة وعلى الصفحة التالية.

٦٧١	عبد الكريم الغرناطي	٨٩٨
٦٧٣	زرّوق البرنسي	٨٩٩
٦٨٠	ابن عبد الجليل التنسيّ	٨٩٩
٦٨٥	شهاب الدين (بن) الخلّوف	٨٩٩
٦٨٨	أبو العبّاس الونشريسي	٩١٤
٦٩٥	ابن غاز المكناسيّ	٩١٩
*٧٠٣	ابراهيم الفجيجي	٩١٠
*٦٩٨	محمّد بن العربيّ العقيليّ	٩١٨
٧٠٥	محمود بن عمر أقيت التنبكتيّ	٩٥٥

مقدمة

هذا الجزء يَصِلُ بنا إلى الفتح العثماني في المغرب (أي إلى نحو سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م). غير أن نقرأ من الذين أذركم الفتح العثماني قد بقوا مدة بعد ذلك الفتح، فدخل نفر منهم في نطاق هذا الجزء.

وهذا الجزء السادس الحاضر تنتهي السلسلة التي عملت في وضعها جيلاً كاملاً من الدهر (١٣٧٠ - ١٤٠٣ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨٣ م) (*). وقد كنت جمعت في تلك الأثناء ألوفاً من البطاقات. فربما كان الأديب مُقِلاً أو ربّما كانت معرفتنا بأخباره ضئيلة جداً، فيكون له بطاقة واحدة من هذه البطاقات. وربّما كانت مصادر أخباره ومراجعتها كثيرة، وعددُ مصنّفاته كبيراً، فيكون له عشر بطاقات أو عشرون أو أكثر.

ولم يكن بالإمكان أن يدخل كلُّ اسمٍ على بطاقةٍ (أو على عددٍ من البطاقات) في متن هذا الكتاب. لقد كان لي طريقة في قبول الأديب أو الشاعر أو العالم في سلكٍ تراجم هذا الكتاب. هذه الطريقة تقوم على ثلاثة أسس: (أ) أن يكون للشخص المختار نصوص على مستوى ما من الجودة، و(ب) أن يكون له تاريخٌ وفاةٍ دقيقٌ أو قريبٌ من الدقة، و(ج) أن يكون له أثرٌ ثقافي أو لفنة بارعة.

وقد كان اختيار التراجم مُضنياً. كنتُ أرجعُ إلى كلِّ بطاقةٍ ثم أعودُ إلى المصادر والمراجع التي على تلك البطاقات صفحةً صفحةً. فإذا لم أجد نصّاً صالحاً لأن تبني عليه ترجمة مستقلة، وضعت البطاقة المتعلقة به جانباً. ثم أرجعُ إلى تلك البطاقات التي وضعتُ جانباً فأنظرُ فيها مرّةً ثانية، فقد أجدُها تصلحُ لتكونُ إضافةً إلى صورة العصر الذي أعالجه. فإذا لم تصلحُ لذلك أيضاً أهملتها مرّةً واحدة. ولا شك في أن هذا العمل يقتضي وقتاً طويلاً. ومع هذا كلّهُ، فأنا لا أستطيعُ أن أزعمَ أن كلَّ ترجمة تستحقُّ الدخولَ في هذا الكتاب قد دخلت فيه، كما لا أستطيعُ أن أقولَ أيضاً إنَّ كلَّ

(٣) الجيل ثلث قرن (نحو ثلاثة وثلاثين عاماً).

ترجمة قِيلَتْهَا هي أفضلُ من كلِّ ما أهملته من التراجم. إنَّ للجُهدِ الإنسانيِّ حدوداً من المكان وقُيُوداً من الزمان، ولا يُمكنُ عند النظر في كلِّ ترجمة أنْ أعودَ إلى كلِّ جملةٍ تتعلَّقُ بتلك الترجمة في كلِّ كتابٍ بينَ يَدَيَّ أو في متناول يَدَي من قُرْبٍ أو من بُعْدٍ. وأريدُ أنْ أعودَ مرَّةً أُخرى إلى نَفَرٍ من الذين يُحقِّقون الكُتُبَ.

في هذا الجزء ترجمةٌ صاحبها أبْنُ شَيْب الكرياني. لهذا الشاعر ترجمةٌ في «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب. وقد جاء لهذا الشاعر مقطوعة منها البيت التالي (مصر- شركة طبع الكتب العربية- ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٤٣):

كان اللقاء فكان حظِّي ناظري وسطا الفراق فصار حظِّي مسمي.
وفي عام ١٩٥٥ للميلاد (بعد الطبعة الأولى (بستة وعشرين عاماً أو تزيد) أصدرت دارُ المعارف في مصر طبعةً جديدة من «الإحاطة» على صفحة الغلاف منها: «حقَّقه وقَدَّم له مُحَمَّدُ عبد الله عِنَان». وقد جاء فيها هذا البيت (٢٨٥: ١) على الشكل التالي:
كان (اللقاء) فكان حظِّي ناظري (وسطاً) الفراق فصار حظِّي (مسمع).
ولم ينس محقق طبعة دار المعارف أن يَضَعَ سكوناً على السين وفتحة على الطاء في كلمة «وسط». وكذلك حذف الهمزة من كلمة اللقاء (ويحتلَّ وزن البيت بذلك) ثم حذف أيضاً الياء من القافية «مسمي» (والياء هنا ضمير)، فأصبح حقَّ «مسمع» أن تصبح «مسمعا» (والمعنى يميز ذلك، ولكن القافية لا تجيزه).
فلين التحقيق؟

ورجعة جديدة إلى «نفع الطيب» في موضع واحد من مواضع كثيرة. في قصيدة ابن الأبار المتعلقة بالاستنجاد بسلاطين المغرب لإيقاظ الأندلس هذا البيت (٤):
٤٥٧ هـ) وقد جاء على هذا الشكل:

يا للجزيرة أضحى أهلها جَزْراً للحادثاتِ وأمسى جَدُّها تَصاً.
وقد ضبط المحقق كلمة «تصا» بفتح التاء وكسر السين فصار المعنى أن الجدَّ

(بفتح الجيم: الحظّ، السعد) أصبح تاعساً. وهذا غير مقبول في المنطق، فنحن لا نقول: إنَّ الخير أصبح شراً. بل نقول: إنَّ الحال آنقلت من الخير إلى الشر. وكذلك الأندلسُ (في بيت آبن الأَبَار) قد تبدّلت بِجِدِّها (بمَحْظَها) تَعْساً (بفتح التاء والسين).

إنَّ الذي ضَبَطَ كَلِمَةَ «تَعِسَ» في هذا البيت يجب أن يكون قريباً في مُناقلةِ الحديث من عَوَّامٍ الناس. إنَّ العامَّةَ هُم الذين يقولون: «فَلانٌ حَظُّهُ تَعِسَ» فيُخْطِئُون مرتين: مرَّةً حين يَتَوَهَّمُونَ أنَّ «الحَظَّ» ذاته يُصْبِحُ تَعْساً، وأنَّ الخيرَ نفسَه يُصْبِحُ شراً، وأنَّ الفَنَى يُصْبِحُ قَفْراً. ثمَّ هم يُخْطِئُون مرَّةً ثانية حين يقولون: «تَعِسَ» على وزنٍ فَعِيلٍ، مَكَانَ تَعَسٍ أو تاعَسٍ.

نحن نقرأ في الكتاب المُنَزَّل (٢: ١٠٨، سورة البقرة): «.... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

غير أنَّنا نَسْتَطِيعُ في بابِ البلاغة أن نقول: «أضحى غِناءَ قَفْراً» (لأنَّ فُلاناً أَسَاءَ أَسْتَمَالَ المَالَ فَوَضَعَهُ في غيرِ مَوَاضِعِهِ فَأَضَاعَهُ ولم يَنْتَفِعْ به). وكذلك نَسْتَطِيعُ أن نقول: «أصبحَ خَيْرُهُ شَرًّا» (لأنَّه أَتْبَعَ الخَيْرَ الذي صَنَعَهُ إلى بعضِ الناسِ مَنّاً أو أذى). ونَسْتَطِيعُ أن نقولَ (في بابِ البلاغة) أيضاً: «إنَّ جَدَّه قد أَمْسَى تَعْساً» (لأنَّه أَضَاعَ الفُرْصَةَ السَّاحَةَ للقيام بعمله في الوقت المناسب). وكلُّ هذا ليس من بابِ قولِ آبن الأَبَار في شيء.

وفي «نفح الطيب» أيضاً حاشيةٌ مؤلَّةٌ (٥: ١٩)، فقد ذَكَرَ المُحَقِّقُ أنَّ أبا بكر بن عاصمٍ قد تَوَلَّى القِضَاءَ سَنَةً ٨٨٨ (ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِيَةَ)، مَعَ أنَّ أبا بكرٍ هذا قد تَوَفَّى سَنَةَ تِسْعَةٍ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِيَةَ (راجعَ تقويم ذلك في ترجمة أبي يحيى بن عاصم: ابن أبي بكر بن عاصم) المتوفى سنة ٨٦٠ للهجرة في الأغلب. ولقد تنبَّه خير الدين الزركلي إلى أن هذا التاريخ ٨٨٨ «خطأ مطبعي» (راجع الأعلام الطبعة الرابعة، ٧: ٤٨ في حاشية العمود الأوَّل).

ومرَّةً أخرى إلى «أزهار الرياض». لهذا الكتاب - وهو مطبوعٌ في ثلاثة أجزاء - فهارسُ مُستقلةٌ بِكُلِّ جُزءٍ (وهذا غيرُ مقبولٍ - إلَّا إذا كان المُحَقِّقونَ الكبارُ،

وهم ثلاثة، قد دُفِعَتْ لهم أجورُ التحقيق على أساسِ العملِ منفردينَ، فتناولَ كلُّ واحدٍ منهم جزءاً). ولقدِ آهَمَ المُحَقِّقونَ الثلاثةَ بالفهارسِ، ولكنَّ على دَرَجاتٍ مختلفة: ففي الجزء الأول من الفهارس هذه التي تلي، وعلى الترتيب التالي أيضاً: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات. وفي الجزء الثاني تفصيلٌ أكثرُ للفهارس: فهرس الشعراء (قبلَ فهرس الأعلام) - فهرس الأعلام - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس الأيام (المعارك) - فهرس الأمثال - فهرس القوافي - فهرس الموشحات والأزجال - فهرس أنصافِ الأبيات - فهرس الموضوعات. وأمَّا الجزء الثالث ففيه: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات.

ولا أريدُ الآنَ أنْ أشغلكَ بترتيب الأسماءِ في كلِّ فهرس وفي كلِّ جزء، فإنَّ ذلك يطول. ولقدِ أَحْبَبْتُ أنْ أُشيرَ إلى ذلك هنا لِيُعْلَمَ. مقدارُ ذلك التَّعَبِ الذي يُعَانِيهِ المُؤَلِّفُ الجادُّ في الاستفادة من كثيرٍ من الكتب. إنَّ ذلك المُؤَلِّفَ الذي أعنيه مُضْطَرٌّ إلى أنْ يكونَ مُحَقِّقاً لعددٍ كبيرٍ من الكتب التي يُوضَع على غِلافِها أنَّها بَتَحْقِيقِ فلانٍ أو بَتَحْقِيقِ فلانٍ وفلانٍ أو بَتَحْقِيقِ فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ.

ثم إنِّي لا أدفعُ نفراً من المُؤَلِّفينَ عن حقِّهم بالآهتمام بأقطارِهِمُ المُختلفةِ في التاريخ وفي الأدب. إنَّ هذا المنحى قديمٌ جدًّا، وأكثرُ ما يلجأُ إليه المُؤَلِّفونَ في هذا الباب تفصيلُ أخبارِ أقطارِهِم. غيرَ أنَّي أعتقدُ أنْ هذا العملَ، وإنْ كانتْ له فائدةُ التفصيلِ، فإنَّه لا يَصوِّرُ الحقيقةَ. لقدِ اضْطُرَرْتُ في تأليفي المدرسيِّ - في التاريخ وفي الأدب وفي الجغرافية أيضاً - إلى أنْ أَخَصَّ «لُبْنانَ» بكتبٍ خاصَّةٍ في ذلك. ولكن الذي يُطالَعُ هذه الكتبَ المدرسيَّةَ التي آلَفْتُها أو شاركتُ في تأليفها يرى أنَّني كنتُ دائماً أرسِمُ إطاراً للثقافة العربية في إطارٍ من الثقافة الإنسانية حولَ الموضوع اللبْنانيِّ الذي أعالِجُه بِحَسَبِ المنهج اللبْنانيِّ للتعليم. إنَّ التاريخَ - كما ذكرتُ في كتابي «تجديد التاريخ»، مثلاً - لا يجري في مجارٍ مُنفصلةٍ. ومثلُ ذلك الأدبُ في كلِّ أمةٍ، فإنَّه لا يُمكنُ أنْ يَخْلُصَ من آثارِ الآداب الأخرى، فلا بدَّ في تاريخِ الأدب العربي الحديثِ من

إشارات واضحة إلى الآداب الأجنبية شرقية وغربية. لا الأدب العربي خالص، في تاريخه الحديث، من آثار فرنسية وإنكليزية أو ألمانية أو هندية، أو إفريقية أو أميركية؛ ولا هذه الآداب كلها قد خلّصت، في تاريخها الحديث وفي تاريخها الوسيط أيضاً، من الآثار العربية. ولكن هذا موضوع ليس هنا مكان تفصيله.

قد يستغرب قارئ من القراء إذا رأوا أنني ضمّنت إلى كتاب في تاريخ الأدب تراجم لفقهاء ولعلماء في السياسة والتاريخ والرياضيات. إن أولئك النفر يجب ألا يستغربوا ذلك، ذلك لأن التعبير البارع عن الفكر الفقهّي والفكر الفلسفيّ والفكر السياسيّ والفكر الرياضيّ أوجه من وجوه الأدب. أضف إلى ذلك كله أن الأديب الحقّ هو الذي يُشارك في عدد من فنون المعرفة الإنسانية. ثم يجب أن نحمل قول ابن خلدون (المقدمة، بيروت - دار الكتاب اللبناني - ١٩٦١ م، ص ١١٠٧): «ولهذا كان شيوخنا، رحمهم الله، يعيبون... المتنبيّ والمعرّيّ بعدم النّسج على الأساليب العربية.. فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر. والحال في ذلك هو الذوق»، على محمل التشدد في التعريف - وإلا فمن يستطيع أن ينكر على المعريّ «طبقة السامية في الشعر» حينما يقنص مثل هذا المعنى ثم يجريه في هذا اللفظ السهل والتشبيه البارع فيأتي بهذا الوصف المبتكر للبرق في الليلة الظلماء (الدويان، مصر - مطبعة هندية - ١٣١٩ هـ، ص ٢١):

إذا ما أحتاج أحمّر مُستطيراً حينت اللَّيْلَ زنجياً جريحاً.
إنّ هذا وصفٌ يَفْجِرُ عن مثله المَبْصُرون.

المصادر والمراجع

في كل ترجمة في هذا الكتاب مقطعٌ يَسبقُه الرقم « ٤ ». المقصودُ أن يأتي بعدَ هذا الرقم ما لصاحب الترجمة من الكُتب أو ما كُتب عنه من الكتب أو في الكتب.

كان المفروض أن استخدمَ طبعةً واحدة من « الدياج المذهب » مثلاً. ولكن، برغمِ حَجْمِ مكتبي الخاصة، فإنَّ هنالك كُتباً لا أملكها، فأنا أستعيرها من مكتبة الجامعة الأميركية أو من مكتبة الجامعة العربية (في بيروت). وفي عدد من الأحيان لا يكون كتاب من هذه الكتب معي فأضطرُّ إلى استخدام طبعةٍ أُحصلُ عليها (وفي أحيان كثيرة أُشيرُ إلى ذلك). وربما يكون الكتابُ معي، فتحتاج إليه المكتبةُ العامة فأرُدُّه إليها (نهائياً أو مؤقتاً) فيغيبُ هذا الكتاب من قائمة المراجع (بعدَ الرقم « ٤ ») أحياناً.

ولا أستطيع أن أقولَ إنَّ كلَّ كتابٍ أثبتُهُ قد رأيتهُ بعيني رأسي، وإلا فما الفائدةُ من عملٍ أولئك الذين يَملكون في « تأليف قوائم المطبوعات »؟

ثم إنَّ هذا المقطع الرابع - ذا الرقم « ٤ » - دليلٌ للقارئ إذا هو أحبُّ أن يتوسَّع في آثارِ صاحب الترجمة المميَّنة. وفي كثير من المراجع دليلٌ آخرُ إلى مصادرَ ومراجعَ ليست مذكورة في كتابي. أنا لم أذكرُ المقالات التي كُتبت في أبي العلاء المَعري أو في عبد الرحمن بن خَلدون، ولكنني أثبتُ في ترجمة أبي العلاء « مرجعاً من تأليف يوسف أسعد داغر » فيه مُعظمُ المقالات التي نُشرت في الجلات وكانت تتناول حياة أبي العلاء المَعري أو خصائصه وآثاره، كما ذكرتُ - في ترجمة عبد الرحمن بن خَلدون - كتاباً لعبد الرحمن بدوي فيه مثل ذلك عن عبد الرحمن ابن خَلدون.

فهرس هذا الجزء

لقد كان ترتيبُ هذا الفهرس في هذا الجزء السادس عملاً شاقاً لعدد من الأسباب أولها أنَّ الأسماء في هذا الجزء كثيرة جداً (راجع ص ٧١٢ وما بعدها)؛ ثمَّ إنَّ التداخلَ في أنساب الرجال في هذا الجزء خاصةً كان كثيراً (كما نلاحظ مثلاً في سلاسل النسب لبني الأحمر أو لآل مرزوق)، فحينما يكونُ في نسبِ أيِّ يحيى بن عاصم (ص ٦٤١) خمسةُ أسماؤهم «محمد» في نسقٍ واحدٍ مُتتابعٍ يصبح من الصعب الكلامُ على الأبِ وعلى الأخِ وعلى الابنِ بوضوحٍ (راجع مثلاً ترتيب أسماء «ابن الأحمر» وترتيب أسماء «ابن مرزوق»).

لقد رتبْتُ أسماء بني الأحمر على النسبِ ثمَّ جعلتُ بين أهلةٍ كبارٍ أرقاماً. إنَّ كلَّ رقمٍ يدلُّ على مرتبةٍ صاحبه في توليِّ عرضِ غرناطة. أمَّا بنو مرزوق فاتَّبعتُ في سرد أسماؤهم ترتيباً أقربُ إلى التاريخ.

وكان منشأ الصعوبة، هنا وفي الأجزاء الباقية، حُبُّ الرواة للاختصار: فربَّما أكنفى الراوي للأخبار أو المؤلفُ للكُتب بقوله: وكان ابنُ الأحمر، قال ابنُ مرزوق، وأخذ فلانُ العلمَ على ابنِ مرزوق وما يقربُ من ذلك.

ولقد حاولتُ أن أتغلبَ على هذه الصعوبة في أثناء التأليفِ فكنتُ أحاولُ أن أذكر، معَ كلِّ اسمٍ غامضٍ الدلالةِ أو كثيرِ الورود، من القرائنِ الدالةِ عليه (اسمه، كنيته، لقبه، تاريخ وفاته، صلته بأستاذه أو بتلميذه، إلخ). ولعلَّ القارئَ يعجبُ حينما يراني أثبتُ تاريخَ الوفاةِ لرجلٍ مرتين أو ثلاثاً في الصفحة الواحدة. غيرَ أنني لم أنقلُ كلَّ هذه التفاصيل في الفهرس، ولكنني كنتُ أستشيرُ بها في أثناء ترتيبِ هذا الفهرس.

ومعَ هذا كله فإني لا أُحِيلُ أن يكونَ قد بقيَ في هذا الفهرس شيءٌ من الخطأ أو التداخل أو السهو. من أجل ذلك وضعتُ أحياناً إلى جانبِ عدد من الأسماء وإلى جانبِ عددٍ من أرقام الصفحات علامةً استفهامٍ أو كلمةً «راجع» كي يكونَ القارئُ مُتنبهاً عند محاولة الاستدلالِ برقم الصفحة على الاسم المطلوب.

هذه السلسلة

بهذه الجزء السادس من تاريخ الأدب العربي «تتتهي هذه السلسلة بحسب المنهج الذي كنت قد وضعته لها حينما بدأت جمع المواد لتأليفها، منذ اثنين وثلاثين عاماً. لم أكن في ذلك الحين أفكر في المضي بها الى أبعد من الفتح العثماني. ذلك لأنني كنت أدرك أن التأليف المنظم يحتاج إلى وقت طويل. ولو أنني أحسبت الآن أن أبدأ ملحقاً لتاريخ الأدب العربي في العصر الحديث (على المنهاج الذي سرت عليه في الاجزاء الستة الماضية) لاحتجت إلى ربع قرن جديد. وهذا أمر مستحيل عليّ ووراء المستحيل أيضاً.

في هذه السلسلة منهج متبع لم يختلف في ترجمة من التراجم إلا على منهج آخر، وذلك في التراجم التي ليس فيها «مختارات». وبما أن هذه السلسلة وضعت على «النسق التاريخي»، فقد كان من الصعب أن أقدم إلى ترجمة (عند الطبع خاصة) إلا بعد استيفاء الكلام الضروري في التراجم السابقة. لقد وقع في يدي كتب في تاريخ الأدب (وفي غير تاريخ الادب أيضاً)، ولم يكن فيها منهج: كانت كتباً من عمل الخواطر (مقالات مفردة تسمى استبداداً «تاريخ الأدب»: يأتي فيها المتأخر قبل المتقدم، ويأتي آخر الموضوع قبل أوله، وينسى المؤلف جانباً من البحث بعد أن يكون قد انتقل إلى عدد من البحوث الأخرى فيرجع إلى ما كان فيه، أو من عمل التعليق) يبدأ المؤلف بقطعة من الإنشاء الكلامي البليغ ثم يورد مرة بعد مرة عدداً من الأبيات أو من الأسطر - وأكثر التأليف الذي أقصده هنا بهذه الكلمة يكون في الشعر عادة - ثم إنك لا ترى «الشكل» الكافي (أو الضروري) أحياناً، ولا الشرح المفيد (مقيداً بالتاريخ أو بالمصدر أو بالقاموس على الأقل). لقد كنت أنا أرجع إلى القاموس وإلى القواميس (عند محاولة شرح كلمة كنت أعرفها من قبل) وربما كنت أرجع إلى الكلمة الواحدة التي وردت مرتين في صفحة واحدة إلى القاموس مرتين أو أكثر من

مرتين (ذلك لأنني كنت أريد أن أرى ما يقصده الشاعر أو الكاتب منها لا ما شاع من معناها أو ما كنت أنا قد عرّفته من معناها). وكثيراً ما يُلاحظ القارئ (في جميع أجزاء هذه السلسلة) أنني أقول أحياناً «ليست هذه الكلمة في القاموس» - وأعني بالقاموس هنا «القاموس المحيط» للفيروزابادي - أو ليست هذه الكلمة في القاموس بالمعنى الملموح هنا، أو أنني كنت لا أضع التفسير وراء قاطعة (:)، بل في أهلة كبار (.....)، كل ذلك كي أترك للقارئ أيضاً إمكان النظر في المعاني المقصودة أو المقبولة أو القريبة من الصّحة.

ولهذا الجزء السادس من هذه السلسلة قصة أخرى: بدأت بإعداد هذا الجزء (بعد الانتهاء من تأليفه) للطبع (بعدد من الإصلاحات هنا وهناك) في أوائل عام ١٩٨٢ (اثنين وعشرين) وقدمت نصفه الأول للمطبعة. ثم بدأ الطبع والتصحيح. ولما بدأ الاجتياح الإسرائيلي (وعانت مدينة بيروت ذلك القصف المروع من الأرض والبحر والجو) كان نصف الكتاب في المطبعة والنصف الآخر معي في البيت. أمّا النصف الذي كان في المطبعة فقد سلمت فيه أمري إلى الله (ولم ينفعني في ذلك إلا ذلك). وأمّا النصف الثاني الذي كان معي فقد كنت - بعد اتكالي على الله وتسليم الأمر في كل شيء إليه وخذه من قبل ومن بعد - أحرص عليه أكثر من حرصي على كل شيء آخر: تركت بيني ثلاثة أشهر، فكانت «بقية ذلك الجزء» معي. وكنت إذا نزلت (في أثناء القصف إلى الملجأ - أو ما كان يسمى ملجأ) أخذت هذه البقية معي (لا أريد أن أقول أنا لك سبب ذلك، ولعلك تذكر سبب ذلك).

وغادرت بيروت إلى الجبل فكانت بقية هذا الجزء معي في السيارة إلى جاني (بينما كان هناك أغراض كثيرة في صندوق السيارة). - ولم يحفظني ويحفظ هذه البقية إلا الله.

كنت دائماً أقول في نفسي: لو تلفت هذه البقية من الجزء السادس، فهاذا يكون مصير السلسلة - وهي مبتورة من آخرها؟ - . ولكن الله سَلَّمَ.

وفي ختام هذه الكلمة أحمدُ الله على أن تفضّل عليّ - إلى جانب أفضاله الكثيرة - بإتمام هذه السلسلة على هذا الوجه، وأرجو أن أكون قد أدّيتُ بها رسالةً أحببتُ أن أودّيها: استخراج صورةٍ وافيةٍ للأدب العربيّ، قدر الأماكن، مجموعة في كتابٍ واحد.

«ولا تقولنّ لشيءٍ: إني فاعلٌ ذلك غداً، إلا أن يشاء الله» (*).
والحمد لله أولاً وآخراً وبين ذلك كثيراً.

بيروت، الاربعاء

في الرابع من جمادى الأولى ١٤٠٣،

١٦/٢/١٩٨٣ م.

ع.ف

(*) القرآن الكريم ١٨ (سورة الكهف) ٢٣.

* إنني الآن أحاول أن أضع تَمّةً لهذه السلسلة في جزء واحد، أو أكثر من جزء واحد في الأغلب، بعنوان «معالم الأدب العربي في العصر الحديث»، ولكنّي سأترك الحواشي الكثيرة التعميد تمّ استيفاء المصادر والمراجع (والحواشي الكثيرة التعميد واستيفاء المصادر والمراجع كانا محتاجين إلى الجانب الأوفر من اعداد كلّ ترجمة) فعسى أن يعين الله على ذلك.

صورة العصر في المغرب والأندلس

- في أيام بني الأحمر -

سيكون هذا الفصل التمهيدِيّ طويلاً جداً لطولِ المدة التي يحاول وصفها في تلك البقاع الواسعة المترامية التي يجري فيها تاريخ هذه المدة: من بَرَقَة شَرَقاً إلى شَنْقِيطَ (موريتانيا: بلادِ البِيضَان) على البحر الأخضر أو بحرِ الظُّلُمَات (المحيط الأطلسي) ثم من جبال البرانس (الفاصلة بين فرنسة وإسبانية) في الشَّمال إلى خطِّ الاستواء (من قارّة إفريقيّة) جَنُوباً^(١).

دولة بني الأحمر (أو بني نصر)

في مَطْلَعِ القرنِ السابعِ للهجرة (الثالثَ عَشَرَ للميلاد) كان لا يزال في الأندلس - إلى جانب الحُكْمِ المُوَحِّدِيّ - ظلٌّ من الحُكْمِ المَحَلِّي لبني غانية في الجزائر

(١) كان تحقيق الأسماء (أسماء الأشخاص وأسماء القبائل والبلاد - وخصوصاً فيما يتعلق بالمغرب ثم ببلاد السودان الغربي علي الأخص) صعباً جداً: كنت أودّ أن أصل إلى اللفظ المحليّ مع إثبات اللفظ العربيّ أيضاً. لقد اعتمدت «تاريخ السودان» (السودان الغربي) لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي (أنجي ١٨٩٨ م) وتاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس لمحمود كمت بن الحاج المتوكل كمت التنبكي (باريس ١٩٦٤ م).

ولقد كنت اجتهدت في تحقيق هذه الأسماء بالرجوع إلى عدد من المراجع العربية والأجنبية (كدائرة المعارف الإسلامية) ثم اتفق أن لقيت نفراً من الأصدقاء فصَحَّحوا لي عدداً من الأسماء. ولقد أحبت ألا أذكر أسماءهم كيلا يُنسبَ ما بقي من الأسماء بلا تحقيق إلى تساهلهم. وبعد، فإنني قد اعتمدت في ذلك كله أجتهداي، راجياً، ألا يكون الخطأ في ذلك كثيراً. وسأكون شاكراً لكل من يتفضل فينبهني إلى تصحيح ما بقي من خطأ، في هذا الباب وفي غيره أيضاً.

الشرقية (جزائر البليار: ميورقة ومنورقة ويابسة) ولبنى مردانيس في شرقي الأندلس.

ولما ضَعَفَ الموحِّدون في المَغْرِبِ جعلُوا لَأنْثَمَ في الأندلس يَتَنَازَعُونَ، فَثَارَ عَلَيْهِمُ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ (مِنْ أَعْقَابِ بَنِي هُوْدٍ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ فِي سَرَ قُسْطَةَ) وَدَخَلَ مَدِينَةَ مُرْسِيَّةَ (٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م) ثُمَّ أَمْتَدَّ سُلْطَانُهُ، فِي جَنُوبِ الأندلس، عَلَى شَاطِئَةِ وَقُرْطُبَةَ وَإِشْبِيلِيَّةَ وَجَبَلِ طَارِقٍ ثُمَّ عَلَى مَرَفَأِ سَبْتَةَ فِي المَغْرِبِ.

وَتَصَدَّى لِمُنَافَسَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ عَلَى حُكْمِ بَقَايَا الأندلس رَجُلٌ مِنْ قُرْطُبَةَ أَسَمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ (بِابْنِ الأَحْمَرِ) بَعْدَ أَنْ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِ غَرْنَاطَةَ (٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م). ثُمَّ اشْتَدَّتِ المُنَافَسَةُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسْتَنْجِدُ بِالطَّاعِيَةِ (فَرْدِينَانْدُ الثَّالِثُ مَلِكُ قِشْتَالَةَ) وَيَنْزِلُ لَهُ الحِصُونَ وَالْمُدُنَ الإِسْلَامِيَّةَ حَتَّى يُعِينَهُ عَلَى خِصْمِهِ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ أَرْضُ المُسْلِمِينَ فِي الأندلس تَتَقَلَّصُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَفِيدَ المُنَافِسَانِ شَيْئًا. وَلَجَأَ ابْنُ الأَحْمَرِ مَرَّةً إِلَى فَرْدِينَانْدِ الثَّالِثِ لِيُعِينَهُ عَلَى ثَائِرِ صَغِيرٍ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ الأَحْمَرِ وَفَرْدِينَانْدُ لِحِصَارِ إِشْبِيلِيَّةَ. وَبَعْدَ عَامَيْنِ سَقَطَتْ إِشْبِيلِيَّةُ وَلَكِنْ فِي يَدِ فَرْدِينَانْدِ لَا فِي يَدِ ابْنِ الأَحْمَرِ (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م).

وَجَارَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ إِلَى الأندلس مَرَارًا وَحَارَبَ الإِسْبَانِ وَأَنْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَتْرَكُ الغَنَائِمَ وَالْأَسْلَابَ لِبَنِي الأَحْمَرِ لِيَقْتُولُوا بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ. وَلَكِنَّ بَنِي الأَحْمَرِ كَانُوا قَلِيلِي الوَفَاءِ لِبَنِي مَرْيَنٍ قَصِيرِي النَظَرِ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّالِحِ لَهُمْ، فَكَانُوا مَرَّةً يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الطَّاعِيَةِ عَلَى بَنِي مَرْيَنٍ وَمَرَّةً يُحَرِّضُونَ الدَّوِيَّاتِ البَرْبَرِيَّةَ فِي المَغْرِبِ وَيُسَاعِدُونَهَا عَلَى قِتَالِ بَنِي مَرْيَنٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْتَصَرَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ عَلَى الإِسْبَانِ فِي مُعْظَمِ المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا فِي الأندلس. وَبَلَغَتْ مَهَابَةُ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ المَرْيَنِيِّ فِي قُلُوبِ الإِسْبَانِ إِلَى (أَنْ طَلَّبَ شَانْجَهُ الرَّابِعُ مَلِكُ قِشْتَالَةَ مِنَ المَنْصُورِ عَقْدَ مَعَاهِدَةٍ لِلصُّلْحِ. فَعَقِدَتِ المَعَاهِدَةُ عَلَى مَا أَمْلَأَهُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ. وَبَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ حَضَرَ شَانْجَهُ الرَّابِعُ بِنَفْسِهِ وَقَابَلَ المَنْصُورَ المَرْيَنِيَّ عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْ وَادِي لَكُّهُ (فِي جَنُوبِ الأندلس) وَأَرَادَ أَنْ يَقْدِمَ إِلَى المَنْصُورِ هَدِيَّةً، فَطَلَبَ المَنْصُورُ مِنْهُ «كُتُبَ الإِسْلَامِ الَّتِي

كان الإسبانُ يَسْتَوْلُونَ عليها عندَ آستيلائهم على المُدُنِ الإسلامية. فَبَعَثَ شَانْجُه إلى المنصورَ قَدْرًا عَظِيمًا من تلك الكُتُبِ وَعَدَدًا مُهِمًّا من المصاحف الكريمة. فَنَقَلَ المنصورُ هذه الكُتُبَ والمصاحفَ إلى مدينةِ فاس ووََقَّعَهَا على طَلَبَةِ العلمِ .

وبرُغمِ العداوةِ التي كان بنو الأحمر يُضَمُّرونها ويُظهِرونها لبني مرين، فإنَّ بني مرين لم ينقطعوا عن الجواز إلى الأندلس والدفاع عن المسلمين. وفي سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) جاز أبو الحسن المريني إلى الأندلس، ولكنَّ القشتاليين والبرتغاليين أَجْتَمَعُوا على حرب المسلمين في مَعْرَكَةٍ قُرْبَ مَصَبِّ نهر سالادو على المُحِيطِ الأطلسي وهزموهم. وبعدَ أن أَسْتَوْلَى ألفونسُ الحادي عَشَرَ مَلِكُ قشتالة على عددٍ من المدن الإسلامية مَنَحَ أبا الحجاج يوسفَ المؤيَّدَ بالله مَلِكُ غرناطة هُدْنَةً مَداها عَشْرُ سَنَاتٍ.

كُلُّ هذا وبنو الأحمر في غرناطة يتنازعون فيما بينهم ويُعادون بني مرين ويوالون الإسبان حيناً بعدَ حينٍ. ولم يستطع الإسبانُ أن يَسْتَوْلُوا على ما بَقِيَ في يد المسلمين من الأندلس لأنَّهم هم أيضاً كانوا في هذه الحِقْبَةِ مُخْتَلِفِينَ فيما بينهم، فقد كانت أَسْرَةُ أرغون تُحَارِبُ أَسْرَةَ قشتالة. ولكنَّ في عام ١٤٦٩ م (٨٧٣ - ٨٧٤ هـ) تزَوَّجَ فرديناندُ الخامسُ مَلِكُ أرغونِ إيسابلَ أختَ هنري الرابعِ مَلِكِ قشتالة. وتوفي هنري الرابع (١٤٧٤ م) وخَلَفَ ابْنَةُ قاصرة فَنصِبَتِ إيسابل على العرش فأتحد بذلك عَرَشُ أرغونَ وعَرَشُ قشتالة.

زَالَ الخِلافُ الذي كان بين أَسْرَةِ أرغونَ وأَسْرَةِ قشتالة فسارت إيسابلُ على رأسِ جيشٍ وحاصرتُ غرناطةَ بِنَفْسِهَا - وكان ملوكُ غرناطة لا يزالون متخاصمين يَكِيدُ بعضهم لبعضٍ. وجاءَ شتاءُ قاسٍ، وضيقَ الإسبانُ الحِصارَ على غرناطة - ولم يكن قد بَقِيَ للمسلمين من جميعِ مُلُكِ الأندلسِ سِوَاهَا - فَأَضْطُرَّ أَهْلُهَا إلى الأَسْتِسْلَامِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م) على أن يَنْقَى من أهل غرناطة في غرناطة مَنْ شَاءَ وأن يَخْرُجَ منها مَنْ شَاءَ. وكان في معاهدةِ الأَسْتِسْلَامِ سبعةٌ وَسِتُّونَ شرطاً لم يَفِ الإسبانُ للمسلمين بِشَرَطٍ منها.

*** للمقارنة بالأسر الحاكمة في المشرق القريب

- في بلاد الروم (آسية الصغرى: في أماكن مختلفة منها):
السلالة الترك ٤٦٤ - ٨٨٨ هـ (١٠٧٢ - ١٤٨٣ م).
 - في مصر:
بقايا من الأيوبيين ٥٦٤ - ٦٥٠ هـ (١١٦٨ - ١٢٥٢ م)
المماليك البحرية ٦٤٨ - ٧٩٢ هـ (١٢٥٠ - ١٣٩٠ م)
المماليك البرجية ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ (١٣٨٢ - ١٥١٦ م)
 - في الشام (سورية):
الباطيون (الإسماعيلية - جبال النصيرية: في الغرب)
٥٥٧ - ٦٧١ هـ (١١٦٢ - ١٢٧٢ م)
بقايا من الأيوبيين في مدن مختلفة (في الشمال خاصة)
٥٧٤ - ٩٣٠ هـ (١١٧٨ - ١٥٢٤ م)
 - في اليمن (في أماكن مختلفة من جنوبي شبه جزيرة العرب):
٥٩٣ - ٩٢٣ هـ (١١٩٧ - ١٥١٧ م)
- بنو عثمان (الأتراك العثمانيون)

في بلاد الروم (آسية الصغرى) ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وما بعد.
فتح القسطنطينية ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
الفتح العثماني في المشرق ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)
الحكم العثماني في الجزائر ٩٣١ هـ (١٥٢٤ م).

الصورة السياسيّة في أيام بني نصر (بني الأحمر) في غرناطة:

بنو مرين (من زناتة) في فاس	٥٩٢ - ٩٥٧ هـ (١١٩٦ - ١٥٥٠ م)
بنو هود في مرسية	٦٢٠ - ٦٦٨ هـ (١٢٢٣ - ١٢٧٠ م)
بنو حفص في تونس	٦٢٥ - ٩٨١ هـ (١٢٢٨ - ١٥٧٣ م)
بنو نصر في غرناطة	٦٢٩ - ٨٩٧ هـ (١٢٣١ - ١٤٩٢ م)
بنو زيان بن عبد الواحد بتلمسان	٦٣٣ - ٩٥٧ هـ (١٢٣٥ - ١٥٥٠ م)
بنو مزني في بسكرة (الجزائر)	٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) وما بعد.

الحفصيون في تونس

كان الحفصيون فرعاً من الموحدين، وهم ينتسبون إلى أبي حفص يحيى بن عمر الهنتاتي. وكان أبو حفص هذا من الأنصار الأقوياء الذين ثبّتوا حكم الموحدين في المغرب. ثم إنَّ الناصر الموحدي نصبَ أبا محمد عبد الواحد الحفصي، سنة ٦٠٣ (١٢٠٧ م) نائباً عنه في مدينة تونس. وكانت هذه النيابة وراثية في الحفصيين.

ولما جاء إلى نيابة تونس، سنة (١٢٢٧ م)، ٦٢٦ هـ، أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، كان الموحّدون في مراكش قد ضعُفوا ونشأ إلى جانبهم بنو مرين الذين جعلوا ينافسونهم على حكم المغرب. فانتَهزَ أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الفرصة وأعلنَ

أَسْتَقْلَالَهُ بِالْقُطْرِ التُّونِسِيِّ. وَاسْتَطَاعَ أَبُو زَكْرِيَا أَنْ يَمُدَّ مُلْكَهُ إِلَى الْقُطْرِ الْجَزَائِرِيِّ (حَتَّى مَدِينَتَيْ الْجَزَائِرِ وَتِلْمَسَانَ) وَإِلَى الْقُطْرِ الْمَغْرِبِيِّ (حَتَّى سِجِلْمَاسَةَ وَمِكْنَاسَةَ وَسَبْتَةَ وَطَنْجَةَ). وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو زَكْرِيَا حَاكِمًا عُمَرَانِيًّا بَنَى الْقَصْرَ فِي الْقَصْبَةِ (الْمَدِينَةِ الدَّاخِلِيَّةِ: الْقَلْعَةُ) وَبَنَى سَوْقَ الْعِطَّارِينَ (مَرْكَزَ الْحَيَاةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ فِي مَدِينَةِ تُونِسَ) وَبَنَى الْمَسَاجِدَ فَأَزْدَهَرَ الْقُطْرُ التُّونِسِيُّ فِي أَيَّامِهِ اِقْتِسَادِيًّا وَعُمَرَانِيًّا وَثَقَافِيًّا. وَبَنَى أَبُو زَكْرِيَا هَذَا مَكْتَبَةً ضَمَّتْ، فِيمَا قِيلَ، سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ كِتَابٍ.

وَجَاءَ بَعْدَ أَبِي زَكْرِيَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، وَعُمُرُهُ نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً، فَنَازَعَهُ الْعَرْشَ ابْنُ عَمِّهِ اللَّحْيَانِيُّ ثُمَّ خَلَصَ الْعَرْشُ لِلْمُسْتَنْصِرِ. وَلَكِنْ فِي آخِرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١١٧٠ م) هَاجَمَ مَلِكُ فَرَنْسَا لُوِيْسُ التَّاسِعُ - الْمَلَقَّبُ: الْقُدَيْسَ لُوِيْسَ - شَالِيَّ تُونِسَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ فَطَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْمَلِكَيْنِ سِجَالًا نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ. ثُمَّ فَشَا الطَّاعُونُ فِي تُونِسَ وَآمَدَ إِلَى الْجَيْشِ الْفَرَنْسِيِّ فَهَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ فِيهِمْ الْمَلِكُ لُوِيْسُ نَفْسُهُ. فَأَضْطَرَّتْ فَرَنْسَا إِلَى سَحْبِ جِيُوشِهَا وَعَقْدِ الصَّلْحِ وَدَفْعِ غَرَامَةٍ كَبِيرَةٍ لِتُونِسَ. وَزَادَتِ الْحَضَارَةُ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ هَذَا حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى التَّرَفِّ، فَكَانَ هَذَا التَّرَفُّ إِيْذَانًا بِالسَّقُوطِ فِي التَّقَهُّقْرِ.

غَرِقَتْ تُونِسُ فِي النِّزَاعِ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْفِتَنِ زَمَنًا طَوِيلًا، مِنْ سَنَةِ ٦٧٦ إِلَى سَنَةِ ٧٩٦ (١٢٧٧ - ١٣٩٣ م). ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَرْشِ الْحَفْصِيِّينَ فِي تُونِسَ أَبُو فَارِسٍ عَزَّوَزُ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) بْنُ أَحْمَدَ (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) فَاسْتَرَدَّتْ تُونِسُ هُدُوءَهَا وَمَكَانَتَهَا وَقُوَّتَهَا وَأَزْدَهَا رَاحًا. وَلَكِنَّ الْمَرِينِيِّينَ أَصْحَابَ مَرَاكُشَ نَاجَزُوهُ الْقِتَالَ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ وَيَتَوَغَّلَّ فِي الْمَغْرِبِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ، فَجَنَحَ الْمَرِينِيُّونَ إِلَى الصَّلْحِ. وَكَانَ لِعَزَّوَزٍ هَيْبَةٌ وَسُلْطَةٌ فَعَظُمَتْ مَكَانَتُهُ فِي أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا. وَكَانَ عَزَّوَزُ عُمَرَانِيًّا فَمَكَّنَتْهُ ثَرَوَةُ تُونِسَ يَوْمَئِذٍ مِنْ إِقَامَةِ الْقِلَاعِ وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَالْمَكْتَبَاتِ. غَيْرَ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْحَفْصِيَّةَ كَانَتْ قَدْ هَرِمَتْ، بِالنِّزَاعِ الدَّاخِلِيِّ وَبِالتَّرَفِّ وَبِالزَّمَنِ أَيْضًا وَزَادَ طَمَعُ الْإِسْبَانِ فِيهَا فَهَيَّا اللَّهُ لَهَا مُجَاهِدَيْنِ هُمَا خَيْرُ الدِّينِ وَأَخُوهُ عَزَّوَزُ الْعُمَانِيَّانِ فَدَفَعُوا عَنْهَا خَطَرَ الْقَرَاصِنَةِ الْأُورُوبِيِّينَ^(١).

(١) الْقَرَاصِنَةُ: لَصُوصُ الْبَحْرِ. وَالْقَرَصَنَةُ قَدِيمَةٌ جَدًّا عُرِفَتْ فِي أَيَّامِ الْفِينِيقِيِّينَ (أَوْ الْكَنْعَانِيِّينَ) الَّذِينَ =

ثم زاد هذا الخطر كثيراً فاستنجد أهل الشمال الإفريقي بالدولة العثمانية.

بنو مرين:

إنَّ الحفصيين خَلَفُوا الموحَّدين في تونسَ بالسَّلم، أما المرينيون فقد انتزعوا الحكم من الموحَّدين بالحرب. بدأت دولة بني مرين بالاستيلاء على مدينة فاس ثم على مدينة مراكش في آخر ذي الحِجَّة من سنة ٦٦٧ (١٢٦٩/٨/٣٠ م). ولكن القتال لم يهدأ في المغرب، فإنَّ دولة الموحَّدين لم تنقرض إلا في سنة ٦٧٤ (١٢٧٥ م) ثم إنَّ القتال ظلَّ دائراً بين المرينيين وخصومهم من الطامعين بالملك في أقطار المغرب المختلفة.

يَرْجِعُ الفضلُ في نشأة دولة بني مرين إلى السُّلطان يعقوبَ بن عبد الحقِّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) وكان قديراً حازماً لم تقتصر جهوده على توحيد المغرب، بل امتدَّت جهوده إلى مساعدة أهل الأندلس أيضاً، فقد جاز إلى الأندلس أربع مرَّاتٍ في نحو عشرِ سنواتٍ (٦٧٤ - ٦٨٤ هـ) وأستطاع أن يَهْزِمَ الإسبانَ ويدفعَ عن مُسلمي الأندلس شراً كثيراً. ولم يكن النصراري الإسبان وحدهم أعداءً للسُّلطان المريني، بل كان بنو الأحمر المسلمين يخافون على مُلكِهِم الصغير من المرينيين فكانوا في أكثرِ الأحيان يُثاثون الملكَ النصرانيَّ على السُّلطان المسلم. ولكنَّ الإسبانَ اضطروا بعدَ هزائمِهِم المتوالية إلى طلبِ الصلح فعقد المنصورُ المريني معهم صلحاً وأخذ فيما أخذه في مُقابلِ هذا الصلح أحمالاً من كتب العلم التي كان نصاري الأندلس قد سلبوها من

= كانت لهم سفن تطوف في البحار. وعرفها الإغريق (قدماء اليونان - وقد ورد ذكرها في الأوديسة، وهي ملحمة منسوبة مع أختها الإلياذة إلى هوميروس من أحياء القرن التاسع قبل الميلاد). وقد بقيت هذه « اللصوصية » إلى العصر الحديث.

كان القراصنة جماعة من المغامرين يسطون على السفن وعلى الشواطئ للسلب والنهب. وربما قتلوا، وربما دمروا أيضاً. ومع أن نغراً من هؤلاء كانوا يقومون بمثل هذا العمل بدافع شخصي، فإنَّ عدداً من الدول الأوروبية في العصر الحديث (إنكلترة وفرنسة وهولندة وإسبانية والبرتغال وإيطالية) كان يستخدم هؤلاء في مهاجمة سفن المسلمين وفي الاعتداء على الشواطئ الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط (وخصوصاً في الحوض الغربي منه) وعلى الشواطئ الشرقية من المحيط الأطلسي (سواحل المغرب). وكانت حركة عروج وأخيه خير الدين بربروسا ردّاً على القرصنة الأوروبية للدفاع عن مراكز المسلمين وعن البلاد الإسلامية.

المدن الإسلامية. وكان عهد المنصور المريني عهد قوة وازدهار اقتصادي وثقافي أيضاً.

وتوفي المنصور المريني في الثاني والعشرين من المحرم من سنة ٦٨٥ (١٢٨٦/٣/٢٠ م). فخلفه ابنه يوسف الملقب بالناصر. فعاد الإسبان وبنو الأحمر إلى المقاومة. ولكن الناصر استطاع أن ينتصر على الإسبان، سنة ٦٩١ (١٢٩٢ م) في معركة بحرية انتصاراً باهراً. وكذلك ثار على الناصر نفر من الناقمين في المغرب نفسه وأستعانوا باليهود الساكنين في المغرب، فتغلب الناصر على هؤلاء جميعاً. ولكن الناصر لم ينج من المؤامرات فقد اغتاله أحد خصيائه، سنة ٧٠٦ (١٣٠٦ م).

وامتد بعد الناصر عصر من الضعف طويل. ومع أن السلطان أبا الحسن علي بن عثمان (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) يُعد في السلاطين الأقوياء الحازمين، فإن أيام حكمه الطويلة كانت مملوءة بالقلال الداخلية والخارجية. ولم يعرف المغرب آنذاك عزّة صحيحة وازدهاراً مستقراً إلا في أيام أبي عنان فارس.

أبو عنان

أشهر سلاطين بني مرين المتأخرين أبو عنان فارس بن الحسن (٧٥٢ - ٧٥٩ هـ)، فإنه لما استتب له الأمر استرد تلمسان (٧٥٣ هـ) من يد سلطانها أبي سعيد الزياتي أحد بني عبد الواد^(١) الذين كانوا قد نازعوا بني مرين على جانب من المغرب، ثم قتله. وصمد^(٢) أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن، بعد أبي سعيد الزياتي، لبني مرين ولكن أبا عنان هزمه فتمت سيادة بني مرين على المغرب الأوسط (القطر الجزائري).

وكذلك استولى أبو عنان على جانب من إفريقية (المغرب الأدنى - القطر التونسي). ثم إن عهد أبي عنان في الملك كان عهداً استبحرت فيه الحضارة واتسع

(١) في إحدى زورقي للجزائر لحضور عدد من ملتقيات الفكر الإسلامي سألت عن هذا الاسم «عبد

الواد». وقد قال لي مرة الشيخ سليمان داوود بن يوسف - وهو من أفاضل المؤرخين ومن علماء الأباضية - أن المفروض أن يكون أصل هذا الاسم «عبد الواحد». غير أنه لم يشأ أن يقطع في ذلك.

(٢) صمد: قصد، هاجم (والعامة يستعملون هذا الفعل بمعنى «ثبت»).

العلم وعمّ العمرانُ وأرثقتِ الثقافة، فَقَدْ بنى أبو عنانِ المدارسَ
والزوايا - وأشتهرتِ المدرسة البوعنانية في فاسَ بما كان فيها من آثارِ العمرانِ
والزُخْرُفِ وبما ضَمَّتْ من الطّلابِ ومن مجاميع الكتب. ويكفيه فخراً أن العلامّة عبدَ
الرحمن بنِ خلدونِ آخِترَ أن يَنْزِلَ عنده لَمَّا بارحَ بلدَهُ تونسَ. ثم كتب «مقدّمته»
الشهيرةَ وقَدّمها إليه.

غيرَ أنَّ كلَّ هذا الإحسانِ لم يُنْقِذْ أبا عنانٍ من يدِ الطُغيانِ فقد قتلَه وزيرُهُ
الحسنُ بنُ عُمَرَ الفودوديُّ (٧٥٩ هـ = ١٣٥٨ م).

بنو وطّاس

في ذلك الحينِ لم تكنِ الحدودُ ثابتةً بين القطرِ الجزائريِّ والقطرِ المغربي (المغرب
الأقصى). وكذلك لم يخلُصِ الحكمُ في المغرب لبني مرّين، فقد استبدَّ بنو عبد الواد
(عبد الواحد؟) ^(١) - وهم فرعٌ من بني زِيّان - بالحكم في تِلِمْسَانَ (٦٣٣ - ٧١٨ هـ) ثم
عاد الحكمُ في تلمسان إلى المرينيين مُدَّةً. ثم عاد فرعُ آخرُ من بني زِيّان إلى الحكم، سنّة
٧٦٠ (١٣٥٩ م).

ولمّا انقرضتْ دولة بني مرّين عاد الأمرُ كُلُّهُ إلى فرعٍ من بني مرّين يعرفون ببني
وطّاس. ولم يكن في أيام بني وطّاسِ سوى النزاع الداخلي الذي فَسَحَ المجالَ أمامَ
البرتغاليّين للاستيلاء على مُعْظَمِ شواطئ المغرب. لقد بلغ المغرب في أيام الدولة
الوطّاسية ذَرَكَ النِّزاعِ والفساد. وفي سنّة ٨٩٧ (١٤٩٢ م) سقطتْ غرناطةُ آخرُ بلادِ
المُسلمين في الأندلس، فانتقلَ جماعاتٌ من المسلمين من الأندلس إلى المغرب.

وعاشت الدولة الوطّاسية - معَ كلِّ ما كان فيها من القلاقلِ والفِتَنِ - إلى سنّة
٩٦١ (١٥٥٤ م) لما انبسطَ الحكمُ العُثماني على الجزائر.

القطر الجزائري

كلُّ بلادٍ تَوَلَّفُ دولةً تَتَبِعُ في أسمها وفي إدارتها كُرْسِيَّ (العاصمة) فيها. وبما أن

(١) راجع، فوق، الصفحة السابقة، الحاشية الأولى.

الأقطار المغربية كان فيها كُرْسِيَّان للحكم (عاصمتان) إحداهما مدينة تُونِسَ في المغرب الأدنى (القطر التونسي) والثانية منها مَرَّاكُشُ في المغرب الأقصى، فإنَّ القطرَ الجزائري كان، في الواقع، مقسوماً بين تَيْنِكَ العاصمتين، ولم يكن في القطر الجزائري دولةً عامّة - برُغمَ ما نشأ فيه، بينَ الحين والحين، من الدُولَاتِ الخاصّة - مرّةً تزيدُ حصّةَ تونس منه ومرّةً تزيدُ حصّةَ مَرَّاكُش.

من أجل ذلك كانت أقسامٌ مختلفةٌ من القطر الجزائري تُتَبَّعُ مرّةً حكمَ الحفصيّين في تونس ومرّةً حكمَ المرينيّين في مَرَّاكُش.

ومَعَ أنَّ اعتداء الإفرنج (من الإيطاليّين والفرنسيّين والإنكليز وغيرهم) كان كثيراً على طولِ الشواطئ المغربية، فإن شواطئ القطر الجزائري نالها من ذلك الاعتداء نصيبٌ أكبرُ لوقوع القطر الجزائري في وَسَطِ تلك الشواطئ.

ولقد شارك أبناء القطر الجزائري في هزيمة الحملة الصليبية التي قادها القديسُ لويسُ على قَرطاجَة (شَالِيّ مدينة تونس) مشاركةً فعّالة، سَنَةَ ٦٦٩ (١٢٧٠ م).

وعانت شواطئ القطر الجزائري من القرصنة الأوروبية شراً كثيراً. وكان القراصنة الأوروبيون يُغيرون على الشواطئ ويخطفون الذين يتفق وجودهم هناك. كان القراصنة يَحْمِلُونَ أولئك المخطوفين إلى أقطارِ أوروپَة ويبيعونهم رقيقاً مُسْتَعْبِدِينَ. ولم يكن في القرصنة عنصرٌ اقتصاديٌّ تجاريٌّ فحسبُ، بل كان فيه عنصرٌ دينيٌّ صليبيٌّ أيضاً. ولما طال شرُّ القرصنة على الشواطئ من القطر التونسي خاصة، نشأت هنالك حركةٌ إسلاميةٌ للجهاد تولّاها المجاهدان العثمانيان خير الدين وأخوه عروج. والقرصنة الأوروبية لم تكن مشاريعَ فرديةً شعبيةً، بل كانت حركةً دوليةً جماعيةً ولكن يتولاها في الظاهر أفراد. إن الدُولَ الأوروبية (إيطالية وإسبانية والبرتغال خاصة) كانت بينَ الحين والحين، حينما تستطيع، تحتلُّ عدداً من المدن الساحلية في القطر التونسي أو القطر المغربي أو القطر الجزائري. وفي سَنَةِ ٩١٠ (١٥٠٤ م) احتلَّ الإسبانُ المَرَسَى الكبيرَ في وَهْرَان. ولم يَنَقِ الجهادُ الفرديُّ قادراً على أن يدفعَ الاعتداءَ الدوليَّ، فاستنجدَ أهلُ الجزائرِ بالعثمانيين فجاء العثمانيون

لَنَخْدَتِهِمْ وَبَدَأُوا فِي الْمَغْرِبِ حُكْمًا إداريًا امتدَّ فيما بعدُ إلى تُونِسَ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى.

أما على الصعيد الداخلي فَإِنَّ زَيَّانَ بْنَ أَبِي حَمَّو الثَّانِي تَوَلَّى تِلِمْسَانَ سَنَةَ ٧٩٦ (١٣٩٣ م) وَقَطَعَ دَعْوَةَ الْمَرِينِيِّينَ. مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ جَانِبًا مِنَ الْجَزَائِرِ قَدْ أَصْبَحَ لَهُ شَكْلٌ دَوْلِيٌّ خَاصٌّ. هَذَا الشَّكْلُ الدَّوْلِيُّ الْخَاصُّ الَّذِي نَشَأَ فِي تِلِمْسَانَ، بَعِيدًا عَنِ السَّاحِلِ، اسْتَمَرَّ مَدَّةً إِلَى مَا بَعْدَ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ.

ليبيا

كَانَ تَارِيخُ لِيْبِيَا، فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ، مِنْذَ ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤ م، يَدُورُ حَوْلَ طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ فِي الْأَكْثَرِ. وَلَقَدْ تَوَلَّى طَرَابُلُسَ بَنُو ثَابِتِ بْنِ عَمَّارٍ غَيْرَ مُسْتَقْلِينَ بِهَا لِأَنَّ الْحَفْصِيِّينَ وَالْمَرِينِيِّينَ وَالْإِفْرَنْجَ كَانُوا يَتَنَازَعُونَهَا وَيَتَدَاوَلُونَ الْحُكْمَ عَلَيْهَا. وَلَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِ وُلَايَتِهَا مِنْ بَنِي عَمَّارٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَرْضَوْا بِالدَّوْلَةِ الَّتِي تَسِيْطِرُ عَلَيْهِمْ أَوْ أَنْ يَسْتَظْهَرُوا بِالْعَرَبِ (الْبُدُو) عَلَى مَقَاوِمَةِ الدَّوْلِ مَقَاوِمَةً مَحْدُودَةً.

وَفِي سَنَةِ ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) اسْتَوْلَى تُجَارُ جَنَوَّةُ الْإِيطَالِيَّوْنَ عَلَى طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ فَتَكَاتَفَ عَلَى افْتِدَائِهَا نَفَرٌ مِنَ السُّلَاطِينِ وَالْأَمْرَاءِ وَالنَّاسِ مِنْهُمْ أَبُو عِيْنَانَ الْمَرِينِيُّ الْمَشْهُورُ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَكِّيٍّ صَاحِبُ قَابَسَ (وَقَابَسَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ فِي جَنُوبِ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) وَبَعْضُ أَهْلِ الْحَامَةِ وَالْجَرِيدِ (فِي جَنُوبِ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ أَيْضًا).

وَمَعَ أَنَّ آلَ ثَابِتِ بْنِ عَمَّارٍ كَانُوا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِمْ خَاضِعِينَ لِلدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ فِي تُونِسَ، فَقَدْ أَدْرَكَ أَبُو فَارِسٍ عَزَّوَزُ (عَبْدُ الْعَزِيزِ الْحَفْصِيِّ) أَنَّ آلَ عَمَّارٍ لَيْسُوا قَادِرِينَ عَلَى حِمَايَةِ طَرَابُلُسَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ فَسَارَ إِلَيْهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا فَانْقَرَضَتْ بِذَلِكَ وِلَايَةُ بَنِي عَمَّارٍ بْنِ ثَابِتِ (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م).

وَلَمَّا بَدَأَ الضَّعْفُ يَدِبُ فِي الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ عَادَتِ الْقَلَاقِلُ إِلَى طَرَابُلُسَ فَطَمَعَ الْإِسْبَانِيُّونَ بِهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م). وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ فِي لِيْبِيَا حَتَّى أَنْقَذَهَا الْحُكْمُ الْعُثْمَانِيُّ، سَنَةَ ٩٥٨ = ١٥٥١ م، مِنْ ذَلِكَ الْإِضْطِرَابِ.

السودان الغربي (أو المغربي) (*)

السُّودَانُ هو المِنطقة الممتدة في قارة إفريقيا (جنوب مصر وليبيا والقطر الجزائري والقطر المغربي) من البحر الأحمر شرقاً إلى بحر الظُّلُمَات (المحيط الأطلسي: الأطلنطقي) غرباً. وهذه المنطقة تقع، عند الجغرافيين العرب، شالَ خطِّ الآستواء، ذلك لأنَّ قدماء الجغرافيين منذ أيام اليونان قد ظنّوا أنَّ ما وراء (جنوب) خطِّ الآستواء بحارٌ أو قفارٌ أو غاباتٌ كثيفةٌ تملأها الوحوش الضارية والهوامُّ المهلكة، وأنها لا تصلحُ لسكنى البشر.

ولما قَسَمَ القدماءُ «الرُّبْعَ المغمور» (الجانبَ المَسكونَ) من الأرض (ما بينَ خطِّ الآستواء والقُطبِ الشَّامِيِّ) جَعَلُوهُ سبعةَ أَقاليمَ (أو مُناخاتٍ) وجَعَلُوا السُّودانَ في الأقليمين الأوَّل والثاني وعدُّوها «مُنحرفين عن الاعتدال» لِشِدَّةِ الحرِّ فيهما، ثم لِقَلَّةِ موافقتهما للسُّكنى ولِنشأة الحضارة.

وهذا السُّودانُ قسَمانِ شرقيٌّ وغربيٌّ. والقِسْمُ الشرقيُّ منه يُعرَفُ اليومَ بِأسمِ السُّودانِ المِصريِّ (بِحُكمِ الجِوار) - وهو جُمهوريَّةُ السُّودانِ - وفي السُّودانِ الشرقيِّ كينيا (جنوبَ جُمهوريَّةِ السُّودانِ) وأوغندة وجانبٌ من حَوْضِ نهر الكونغو (وإن كان حَوْضُ نهر الكونغو أحقُّ أن يُنسَبَ إلى أواسط إفريقيا. ولا صلةٌ كبيرةٌ له الآنَ بِحِثِّنا لأنَّ الإسلامَ دَخَلَ إلى حوض الكونغو في زمنٍ متأخِّرٍ عن العصرِ الذي نعالجه).

وأما القِسْمُ الغَرْبيُّ من السُّودانِ فيمتدُّ من الحدودِ الغربيَّةِ لجمهوريةِ السُّودانِ اليومَ إلى الشواطِئِ الواقعةِ على المحيطِ الأطلسي من الغربِ ومن الجنوب. ويدخلُ فيه (في السُّودانِ الغربي: غربي إفريقيا) شادُ وبلادُ النِّكار (النيجر) ومالي والسِّنغال وبلادُ غانةَ وساحلُ العاج وما يُجاوِرُ هذه كُلِّها من الأقسامِ السياسيَّةِ الحديثة.

بدأ دخولُ الإسلامِ إلى السُّودانِ الغَرْبيِّ منذُ القرنِ الرابعِ للهجرة (العاشر

(*) راجع الحاشية على الصفحة ٢٥ والمتعلقة بضبط الأعلام الجغرافية وأسماء الأشخاص والقبائل في هذا الفصل، وخصوصاً فيما يتعلّق بالسُّودان الغربي.

للميلاد) من طريق التجار المترددين على المناطق المختلفة. ثم زاد انتشار الإسلام مع قيام حركة المرابطين في القرن التالي. ولقد كان لدولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١ هـ) خاصة ثم لدولة الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٧ هـ) أثر كبير في ازدياد انتشار الإسلام.

والبحث في جغرافية السودان الغربي وتاريخه معقد جداً لأسباب منها أسماء الأمكنة التي ترد على صور مختلفة باختلاف لهجات السكان الكثيرة. ثم إن هذه الأسماء قد تكون أحياناً أسماء قبائل. أضف إلى ذلك كله أن هذه الأسماء نفسها لا تطلق عادة على أماكن متحيزة، ذلك لأن مساكن القبائل تتداخل ثم تتسع وتضيق بحسب امتداد سلطة رؤساء القبائل أو تقلص تلك السلطة.

وبعد ذلك تأتي الروايات التاريخية المتضاربة والمختلطة بالخرافات وما تنسأه الذاكرة الإنسانية من الأحداث ثم ما تضيفه من الأحداث إلى ذلك القصص الشعبي القائم على النقل الشفوي من جيل إلى جيل.

ثم إن معالجة الحياة السياسية في السودان الغربي لا يمكن أن تكون على أساس الوحدات السياسية (الدول) التي نعهدا في أيامنا، بل على أنها مساحات من الأرض تضيق أو تتسع بحسب قوة المتغلبين عليها من أرباب الأسر ورؤساء القبائل.

حوض النكار وحوض السنغال

يبدأ نهر النيل الغربي (النكار)، تمييزاً له من نهر النيل الشرقي أو نيل مصر^(١) من غربي إفريقيا، متجهاً نحو الشمال الشرقي حتى يصل إلى نقطة عند طرف الغابات الاستوائية على الحدود الجنوبية من الصحراء الكبرى، ثم يعطف نحو الجنوب ويستمر على سمنته (في اتجاهه) إلى أن يصب على مقربة من خليج فرناندوبو اليوم.

وأما نهر السنغال فيقع في الطرف الجنوبي الغربي من السودان الغربي: يبدأ في منطقة فوتا جالون (بلاد فوطة) ثم يتجه شمالاً. وبعد انحناؤه شديد يتجه غرباً ليصب

(١) في مقدمة ابن خلدون (٩٢/٥٤): «... ويسمى نيل السودان، ويذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة أوليك (٩). وعلى هذا النيل مدينة سلا (قرب الرباط، في المغرب) وتكرور وغانة - وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي.

في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) شَمَالَ العاصمة دَكَارَ، عندَ بلدةٍ جديدةٍ هي سان لويس. وَمَعَ أَنَّ كَلِمَةَ تَكَرُّور تُطْلَقُ، عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى مُعْظَمِ السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ، فَإِنَّهَا أَكْثَرُ أَنْطَبَاقًا عَلَى ذَلِكَ الْجُزْءِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي يُسَمَّى بَعْضُهُ (عَلَى بَحْرِ الظُّلُمَاتِ) «السَّنْغَال».

الإسلام في السودان الغربي

إِنَّ أَتَشَارَ الْإِسْلَامَ فِي السُّودَانِ يَرْجِعُ إِلَى جُهودِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْبَرَبِرِ يَحْسِنُ الْكَلَامَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ هُنَا.

البربر أو السكَّان الذين كانوا في المغرب عند الفتح الإسلامي قِسْمَانِ رَئِيسَانِ: الْبِرَانِسُ وَالْبُتْرُ. وَمِنَ الْبِرَانِسِ: صِنْهَاجَةٌ وَكُتَامَةٌ. «وَتَحْتَ صِنْهَاجَةٍ قِبَائِلُ كَثِيرَةٌ تَنْتَهِي إِلَى السَّبْعِينَ مِنْهُمْ لَمْتُونَةٌ وَكَذَالَةُ (بَكَافٍ مَعْقُودَةٍ) وَمَسُوفَةٌ..... وَتَحْتَ هَذِهِ الْقِبَائِلِ بَطُونٌ وَأَفْخَادُ تَقُوتُ الْحَصَرَ..... وَمِنَ صِنْهَاجَةٍ «الْمُلَّثَمُونَ»..... وَمَوْطِنُ هَؤُلَاءِ الْمُلَّثَمِينَ أَرْضُ الصَّحْرَاءِ وَالرَّمَالِ الْجَنُوبِيَّةِ فِيمَا بَيْنَ بِلَادِ الْبَرَبِرِ وَبِلَادِ السُّودَانِ.... وَكَانَ دِينُ صِنْهَاجَةٍ أَهْلِ اللَّثَامِ الْمَجُوسِيَّةِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ (٩٢ لِلْهِجْرَةِ = ٧١١ م). وَكَانَتِ الرَّأْسَةُ فِيهِمْ لِلْمَتُونَةِ. وَثَبَتَ مُلْكُ لَمْتُونَةٍ وَطَالَ فَجَاهَدُوا أُمَّةَ السُّودَانِ وَدَعَوْهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَانَ بِالْإِسْلَامِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّودَانِ.

ثُمَّ أَفْتَرَقَ أَمْرُ لَمْتُونَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْبَحَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ وَأَصْبَحَتْ رِئَاسَتُهُمْ شِيعَاءَ، مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ - نَحْوَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً - إِلَى أَنْ قَامَ فِيهِمُ الْأَمِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ تَيْفَاوَتِ الْمَعْرُوفُ بِتَاسَرَتِ اللَّمْتَوِيِّ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَبَايَعُوهُ.

وَلَمَّا تُوَفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ تَيْفَاوَتٍ قَامَ بِأَمْرِ صِنْهَاجَةٍ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَدَّالِيِّ، وَكَانَ بَنُو صِنْهَاجَةٍ يَسْكُنُونَ الصَّحْرَاءَ الَّتِي تَلِيهَا مِنَ الْجَنُوبِ غَابَاتُ بِلَادِ السُّودَانِ وَيَلِيهَا مِنَ الْغَرْبِ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ. وَكَانَ آبَنُ تَيْفَاوَتٍ يُتَابِعُ الْجِهَادَ فِي بِلَادِ السُّودَانِ لِلدِّفَاعِ عَنْ قَبِيلَتِهِ صِنْهَاجَةٍ وَلِنَشْرِ الْإِسْلَامِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٢٧ لِلْهِجْرَةِ (١٠٣٥ م) ذَهَبَ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْحَجِّ. وَلَمَّا رَجَعَ مَرَّ

بِالْقَيْرَوَانِ فَلَقِيَ فِيهَا أَبَا عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ عَيْسَى الْغَفْجُومِيِّ الْقَاسِيَّ. وَخَاطَبَهُ فِي أَمْرِ
الْبَرَبْرِ الَّذِينَ يَعْيشُونَ فِي جَنُوبِ الْمَغْرِبِ وَأَنْتَهُمْ لَيْسُوا عَلَى عِلْمٍ كَافٍ بِأُمُورِ الْإِسْلَامِ.
فَكَتَبَ أَبُو عِمْرَانَ رِسَالَةً إِلَى أَحَدِ أَتْبَاعِهِ وَاجَاكَ بِنِ زُلُو^(١) اللَّمَّطِيِّ (وَكَانَ يَسْكُنُ فِي
بَلَدَةِ نَفِيسٍ، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ سِجِلْمَاسَةَ - جَنُوبَ جِبَالِ الْأَطْلَسِ عِنْدَ الْحُدُودِ الشَّالِيَةِ
لِلصَّحْرَاءِ) وَأَعْطَاهَا لِيَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ. فَأَشَارَ وَاجَاكَ عَلَى أَحَدِ تَلَّابِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
يَاسِينَ الْجَزُولِيِّ^(٢) بِأَنْ يُرَافِقَ يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٠
(رَبِيعٍ عَامِ ١٠٣٩ م)^(٣).

وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ أَنَّ أَفْضَلَ الْوَسَائِلِ لِنَشِثَةِ جَيْلٍ يَقُومُ بِالْجِهَادِ وَيَحْمِلُ
الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِقَامَةُ رِبَاطٍ (أَوْ رِبَاطِيَّةٍ) فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغُرِّيِّ (النَّيْجَرِ) يَرْتَبِي فِيهِ
أَتْبَاعَهُ تَرْبِيَةً خَالِصَةً مَقْطُوعَةً مِنْ مَشَاكِلِ الْبَيْئَةِ الْأَجْتَامِعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَدَالِيُّ فَأَخْتَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ مِنْ
قَبِيلَةِ لَمْتُونَةَ أَمِيرًا عَلَى فُرُوعِ قَبِيلَةِ صِنْهَاجَةَ هُوَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، وَظَلَّ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ صَاحِبَ دَعْوَةِ الْمُرَابِطِينَ (نَسَبَةً إِلَى الرِّبَاطَةِ الَّتِي كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ
قَدْ أَقَامَهَا فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغُرِّيِّ). غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَاسِينَ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ الْحَاكِمَ
الْفِعْلِيِّ مِنْ وَرَاءِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لَمْ يَكْتَفِ بِالدَّعْوَةِ بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، بَلْ جَعَلَ يُجَاهِدُ قِبَائِلَ
الْبَرَبْرِ فِي جَنُوبِ الْمَغْرِبِ حَتَّى حَمَلَهَا جَمِيعًا عَلَى الطَّاعَةِ وَنَشَّأَهَا عَلَى الدِّينِ الْخَالِصِ
(السلوك الخالي من شوائب الوثنيَّة) وجعلها قوَّةً سياسيَّةً مرهوبة الجانب.

ثُمَّ تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، سَنَةَ ٤٤٧ للهجرة فقدمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لِرِثَاسَةِ
صِنْهَاجَةَ أَخًا لِيَحْيَى بْنِ عُمَرَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ، فِي الْمَحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٤٤٨ (أَوَّلِ
أَيَّامِ الرَّبِيعِ مِنْ عَامِ ١٠٥٦ لِلْمِيلَادِ).

(١) زُلُو (بزاي ساكنة).

(٢) قَبِيلَةُ كَزُولَةَ (بِكَافٍ مَعْقُودَةٍ سَاكِنَةٍ، تَلْفِظُ كَمَا يَلْفِظُ أَهْلُ الْقَاهِرَةِ الْجِيمَ: كَزُولَةُ). أَمَّا حَرَكَةُ هَذِهِ الْجِيمِ
فَتَكُونُ بِالْفَتْحِ (وَهُوَ أَشْهُرُ) وَتَكُونُ بِالضَّمِّ.

(٣) كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي عِمْرَانَ الْقَاسِيَّ سَنَةَ ٤٣٠ هـ.

وفي سنة ٤٥١ للهجرة (١٠٥٩ م) تُوْفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ، ورأى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ أَنَّ الْعِبْءَ أَثْقَلَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَهَّدَ إِلَى ابْنِ عَمٍّ لَهُ هُوَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّمْتُونِيَّ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ جَانِباً مِنَ الْأَمْرِ السِّيَاسِيِّ وَمِنْ الْجِهَادِ فِي قِبَائِلِ الْبَرَبِ الْقَرِيبَةِ مِنْ شَالِي الْمَغْرِبِ وَبَقِيَ هُوَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ قَرِيباً مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ. وَلَكِنْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٣ (مطلع عام ١٠٦١ م). نَظَّمَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ بِإِمْرَتِهِ، وَكَانَ - كَمَا بَدَأَ فِيهَا بَعْدَ - يُرِيدُ الْأَسْتِقْلَالَ بِالْحُكْمِ. وَلَقَدْ كَانَتْ رَغْبَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عُمَرَ فِي الْجِهَادِ وَالِدَعْوَةِ فِي بِلَادِ السُّودَانِ أَكْبَرَ عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الْحُكْمِ السِّيَاسِيِّ، فَلَمْ يُقَاوِمِ عَمَلُ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ.

وظَلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ وَيَدْعُو حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م). فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ اتَّسَعَ اتِّسَاعُهُ فِي بِلَادِ السُّودَانِ وَبَدَأَتْ تَنْهَضُ فِي السُّودَانِ دَوْلٌ مُسْلِمَةٌ.

مَالِي أَوْ مَالِي^(١):

عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ النَّيْلِ الْغَرِيِّ هَذَا مُدُنٌ مُهِمَّةٌ (زَالَ عَدَدٌ مِنْهَا مِنْذُ زَمَنِ). مِنْ هَذِهِ الْمُدُنِ كُلُّهَا (أَبْتَدَاءً مِنْ مَنَاجِيعِ النِّيْجَرِ): جَارِبُ، كَانْكَابَا، بَرْمُكُو^(٢)، نِيَانِي (مَالِي الْقَدِيمَةِ)، جِنَّةٌ، دِيَا، ثُمَّ (قَبْلَ أَنْعَاطِهِ جَنُوباً) بَامْبَا. وَعَلَى مَسَافَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ هَذَا الْمُنْعَطَفِ (إِلَى الشَّالِ الْغَرِيِّ) تَقُومُ مَدِينَةٌ تَنْبَكْتُ (تَمْبُكْتُو)، ثُمَّ بَعْدَ أَنْعَاطِهِ مَدِينَةُ كَاو. (كَأَوُ).

وَالْمَدِينَةُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِ مَالِي بُنِيَتْ عَلَى هَضْبَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الزَّرَاعَةُ، بَنَاهَا أَحَدُ شِيُوخِ جَمَاعَاتِ مَنَدَةِ فِي زَمَنِ لَا نُحَقِّقُهُ، وَلَكِنْ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - قَبْلَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ). وَالْعَاصِمَةُ الْأُولَى لِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَانَتْ جَارِبُ فِي أَعْلَى

(١) بِلَادُ مَالِي (الْيَوْمَ) كَانَتْ تُعْرَفُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ بِلَادِ التَّكُرُونِ (بِالنُّونِ فِي آخِرِهَا) وَيُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ «التَّكُرُور» (بِالْراءِ). وَكَانَ هَذَا الْاسْمُ يُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى مَعْظَمِ بِلَادِ السُّودَانِ الْغَرِيِّ (غَرِيبِ) أَفْرِيقِيَّةٍ.

(٢) بَرْمُكُو (فِي الْمَصَادِرِ الْأَجْنِبِيَّةِ وَفِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ): بِأَمَّا كُو.

نهر النكار (النيجر قريباً من منابعه) في منطقة كانشاما. ودخل الإسلام إلى كانشاما وعمّها منذ القرن الرابع للهجرة (الحادي عشر للميلاد).

ومالي دخلها الإسلام من طريق التجار، في نحو ٤٠٠ للهجرة (١٠١٠ م)، وفي سنة ٤٤٢ للهجرة (١٠٥٠ م) اعتنق ملكها باراماندانا^(١) الإسلام. وأدى هذا الملك فريضة الحج، فكان بذلك قدوة لجميع ملوك مالي الذين جاءوا بعده.

ومرّ من الزمن قرنان كان - في أثنائها - تاريخ مالي القائم على الروايات الشعبية (مثل غيره من تاريخ بلاد السودان) كثير الغموض. في هذه الحقبة، ونحو سنة ٤٩٥ للهجرة (١١٠٠ م)، كان الملك موسى كنع - والملقب: علا كني (كني يضم فسكون: الرئيس) - قد أدى فريضة الحج أربع مرّات، فها قيل. غير أن التاريخ السياسي الواضح لمملكة مالي يبدأ بمجيء ملك اسمه سن دياتا.

إلى الشمال الغربي من منطقة مالي كانت تقوم بلدة صوصو (وربما كانت «صوصو» * أسماً لمقاطعة ولغة أيضاً). ففي سنة ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م)، أو بعد ذلك بقليل، استولى سومان غورو سيّد صوصو على ماندنغ^(٢) (اسم مالي القديم) وأخذ أبناء ملكها الاثني عشر وقتلهم إلا واحداً كان كسيحاً (مقعداً) يدعى سن دياتا (السيد الأسد).

استطاع سن دياتا، برغم عاهته، أن يهرب من أسر سومان غورو وأن يجمع حوله أنصاراً ويقاتل بهم ثم يستعيد ماندنغ من يد سومان غورو، سنة ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م). وأحبّ سومان غورو أن يستردّ ما فقدّه في حرب سن دياتا، فنشبت بين الملكين معركة في كيريني، عند مدينة كوليورو (شمال برمكو)^(٣) فانهزم سومان غورو وسقط في المعركة قتيلاً. وتابع سن دياتا فتوحه حتى استطاع أن يلحق إمبراطورية صوصو كلها بمملكته. ونحو سنة ٦٣٨ للهجرة (١٢٤٠ م) استولى على غانة وخرّبها.

(١) برما (أو باراما) ثم ندنا (أو ندانا) بإدغام النون في الدال. ولعل له صيغاً أخرى.

(٢) ماندنغا (اسم قبيلة). * أو «كوكو» أيضاً.

(٣) في الكتب الحديثة: باماكو.

ولما اتّسعت مملكة سُن دياتا أصبحت عاصمتُها جاربُ (في مقاطعة كانغابا) في أعالي حوض النيجر متطرّفةً جدّاً: مُوغلةً في الغابات الاستوائية وبعيدةً عن طريق القوافل، فبنى مدينةً - على نحوٍ مائتينِ وثلاثين كيلومتراً شمالَ جاربَ - سمّاها، على الأرجح، نيامي. أمّا قبائلُ الفولاني^(١) (في الغرب) فيقولون فيها: مالي وميلي (بإمالة الياءين)، والبربر يقولون: ميل وميليت (بإمالة الياءين الأوليين). والعربُ يقولون: ماليل وميليل (بإمالة الياءات الثلاث). أمّا الهوسا (وهم جماعاتٌ لغويّةٌ لا عرقيةٌ) فيقولون: ونكرُ.

وبعدَ سنةٍ ٦٣٨ للهجرة لم يَقم سُن دياتا بحملاتٍ جديدةٍ، ولكنّ قوّاده استطاعوا أن يُوسعوا رُقعةَ الإمبراطوريّة. وفي النصف الثاني من القرن السابع للهجرة (والنصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد) بلغت إمبراطوريّة مالي أقصى اتّساعها وذروة عظمتها.

وفي مدى جيلٍ من الدهر (٦٧٠ - ٧٠٧ للهجرة) بعد سُن دياتا، توالى على عرش مالي خمسةُ ملوكٍ أو يزيدون لم يكن فيهم من يَسْتَحِقُّ لَقَبَ مَلِكٍ سوى مؤلّي (عبدٌ رقيقٌ أعتقه سيّده) يدعى سَبْكُورا أو سكورا (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ) أغتصب العرشَ ولكن ردَّ إلى مالي شيئاً من عظمتها.

ثم جاء أشهرُ ملوكِ مالي في صَفَحات التاريخ: منسا موسى أو المَلِكُ موسى (٧١٢ - ٧٣٨ هـ) فزاد في اتّساع رُقعة الإمبراطوريّة. واشتهر منسا موسى بقيامه بالحجّ سنة ٧٢٤ للهجرة (١٣٢٤ م)، فإنّه حملَ معه مالاً كثيراً وأصْطَحَبَ حاشيةً وفيرةً وتصدّقَ بأموالٍ كثيرة.

ولما عاد منسا موسى إلى السودان أصْطَحَبَ نفراً من العلماء والأدباء، يحسُن أن نذكرَ منهم هنا الشاعرَ الغرناطيَّ إبراهيم بن محمّد الساحلي المشهور بالطوئيجين^(٢)، وكان مُهندِساً أيضاً أدخل البناءَ بالطابوق أو القرميد (الطين

(١) فلّاتا (بالفاء وشدة على اللام ثم تاء مشناة من فوقها) اسمُ قبيلة. والفَلّاني (بفتح الفاء وتشديد اللام وتاء قبل الياء الأخيرة) والفَلّاني (بضمّ الفاء وتشديد اللام ثم نون قبل الياء).

(٢) في الإحاطة (١: ٣٣٧ وما بعد): دخل إلى بلد السودان فاتّصل بملكها واستوطنها زماناً طويلاً. كانت وفاته ٧٤٧ هـ (راجع ترجمته في هذا الجزء).

المطبوخ) وبنى عدداً من المساجد في تُنْبُكْتُ وكاغو، على الطريقة الهرمية (بسطوح عالية مخروطية تنتهي بنقطة) مما يساعد على تخفيف الحر عن المصلين.

وبعد منسا موسى هذا بدأ آنحدار إمبراطورية مالي.

غانة

غانة، في الأصل، لَقَبُ للملوك الذين حكموا تلك البلاد التي عُرِفَتْ فيما بعدُ بِاسْمِ غانة. ثم أُطْلِقَ هذا الاسمُ «غانة» على عاصمة المملكة وعلى البلاد الداخلة في حُكْمِ تلك المملكة. ويبدو أنَّ عاصمة إمبراطورية غانة كانت في وعكري أو في قُنْبَ (قُنْبَ صالح، وهي الآن خرائب على نحو مائتي ميل - ثلاثمائة كيلومتر شال برمكو)^(١).

وقيمة غانة في التاريخ ترجع إلى معدن الذهب الكثير في أرضها. ثم هي مملكة قديمة عرّفها التاريخ منذ القرن الثاني قبل الميلاد. وقد كانت أكبر ممالك السودان في غربي إفريقيا.

في أواسط القرن الثاني للهجرة (نحو ٧٧٠ م) كانت تحكم غانة أسرة سودانية من السُّنْغِي^(٢)، وكان النزاع بين هذه الأسرة وبين قبائل البربر في الشال شديداً. وفي سنة ٣٨٠ للهجرة (٩٩٠ م) احتلت قبيلة لمتونة مدينة أوداغشت (أو أوداغست)، وجعلتها مركزاً تجارياً كبيراً. هذه المدينة قد زالت الآن، ولا نعرف موقعها بالتدقيق. غير أن ذلك لم يمنع الأسرة السُّنْغِيَّة من البقاء في الحكم ومن مدّ حدودها ما بين تُنْبُكْتُ والبحر المحيط (الأطلسي) ما بين نهر النيل الغربي (النيجر) ونهر السنغال. وذلك في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد).

(١) راجع، فوق، ص ٤٠، الحاشية الثانية.

(٢) تلفظ «صفاي» (بصاد مضمومة ثم غين كأنها قاف ثم نون خفيفة كأنها مضمرة: مدغمة في الياء). ولعل معناها: السنّي، نسبة إلى سنة رسول الله (ﷺ).

في سَنَةِ ٤٦٩ للهجرة (١٠٧٦ م) اسْتَوْلَى أَبُو بَكْرُ بْنُ عُمَرَ عَلَى مَدِينَةِ قُنْبِ عَاصِمَةِ غَانَةَ وَدَخَلَ جَانِبَ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ فِي الْإِسْلَامِ. غَيْرَ أَنَّ جِهَادَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَرَ فِي قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِنَ الْإِحْتِفَاطِ بِعَاصِمَةِ غَانَةَ طَوِيلًا، إِذْ أَضْطُرَّ إِلَى الْإِنْسِحَابِ مِنْهَا ثُمَّ قُتِلَ فِي إِدْرَارَ (جِبَالِ الْأَطْلَسِ)، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م) وَهُوَ يُقَاتِلُ الْبَرْبَرَ.

وَبَعْدَ سَنَةِ ٤٨٠ للهجرة أَخَذَتْ قُوَّةُ مُلُوكِ غَانَةَ السُّنْفِي فِي التَّرَاجُعِ حَتَّى اقْتَصَرَتْ مَمْلَكَتُهُمْ عَلَى بُقْعَةٍ إِلَى غَرْبِ نَهْرِ الْكَارِ فِيهَا بَسِّيكونو عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنَ النَّهْرِ ثُمَّ وَعُكْرِي الْمُوَغْلَةُ غَرْبًا. أَمَّا الْمَنَاطِقُ الْآخَرَى الَّتِي كَانَتْ خَاضِعَةً لِمَمْلَكَةِ غَانَةَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مَمَالِكَ مُسْتَقَلَّةً.

وَفِي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) اسْتَوْلَتْ مَالِي عَلَى مَدِينَةِ غَانَةَ. وَبَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ دُمِّرَتْ مَدِينَةُ غَانَةَ.

وَلَقَدْ كَانَ لِغَانَةَ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ، فَإِنَّ الْأَسْرَ الَّتِي كَانَتْ تَحْكُمُ فِيهَا وَالْقِبَائِلُ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُهَا وَتَعْمَلُ فِي الرِّعْيِ - وَفِي الزَّرَاعَةِ أَيْضًا - وَهِيَ فِي الْأَغْلَبِ قِبَائِلُ سُنْفِي (صَغَاي)، ثُمَّ هِيَ مُخْتَلِفَةُ الْأَصُولِ مُخْتَلِفَةُ الْمَسَاكِينِ. وَبِمَا أَنَّ هَذِهِ الْقِبَائِلُ كَانَتْ كَثِيرَةً الْعَدَدِ مُتَفَرِّقَةً فِي الْمَنَاطِقِ فَقَدْ اتَّسَعَ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدَيْهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَطْرَافِ الْغَابَاتِ الْأَسْتَوَاتِيَّةِ - جَنُوبَ الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى.

لَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِالتَّارِيخِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ فِي السُّودَانِ الْمَغْرِبِيِّ. وَلَيْسَ ثَمَّتَ مَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ انْتِشَارُهُ قَدْ بَدَأَ مِنْذُ مَجِيءِ الْعَرَبِ إِلَى الْمَغْرِبِ، مِنْذُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلْهِجْرَةِ، مِنْ طَرِيقِ التِّجَارَةِ وَمِنْ طَرِيقِ دُعَاةِ مُتَطَوِّعِينَ. وَيَذْكُرُ لُويْسُ مَاسِينِيون فِي تَقْوِيمِهِ «الْعَالَمُ الْإِسْلَامِي» (بِالْفَرَنْسِيَّةِ، طَبْعَةُ ١٩٥٤ بَارِيس) أَنَّهُ كَانَ فِي كَانَم^(١) (شَادَ الْيَوْمَ) شِبْهُ دَوْلَةٍ يَسْكُنُهَا مُسْلِمُونَ مِنْذُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ لِلْمِيلَادِ (الثَّلَاثِ لِلْهِجْرَةِ) فِي الْأَغْلَبِ (ص ٣٥٩).

(١) كَانَم (بِفَتْحِ النُّونِ وَبِضَمِّهَا أَيْضًا) وَتَشَادُ أَوْ «شَاد» (بِلَا تَاءٍ فِي أَوَّلِهَا).

غير أنّ من الثابت أنّ الإسلام بدأ انتشاراً واسعاً في مُعظم أراضي إفريقيا الغربية (السودان الغربي) منذ مطلع القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد). ولكن إذا نحن استعرضنا «الديباج المذهب» لابن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩ هـ) - وهو مغربي الأصل - ثم كتاب «نيل الأبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بن أحمد بن أقيست المعروف بلقب بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦ هـ) - وهو من تنبكت (تمبكتو) المركز الأكبر للثقافة في السودان الغربي (أو المغربي) - لم نرهما ذكراً أحداً من الأدباء أو العلماء أو الفقهاء قبل القرن التاسع للهجرة، مما يدلّ على أنّه لم ينشأ في تلك البلاد أحدٌ من ذوي التقدّم والشهرة في هذه الفنون قبل ذلك التاريخ.

كانم - برنو^(١)

من المؤرخين من يُعالج تاريخ كانم مستقلاً عن تاريخ بُرنو، ومنهم من يسوق تاريخهما في سرد واحد. وأظنّ أنّ المنهج الثاني أذعَى إلى الاختصار.

وكانم - في الأصل - اسمُ مدينةٍ ثم أُطلقَ هذا الاسمُ على دولة. وكانم هذه كانت تقعُ إلى الشرق الشّالي من بحيرة شاد، وهي اليوم مقاطعةٌ في جمهورية تشاد. أمّا برنو فهي مقاطعةٌ إلى غربِ بحيرة شاد. وكان سكّانُ المقاطعتين - كانم وبُرنو - أخلاطاً من القبائل.

يبدو أنّ تأسيسَ هذه الدولة كان على يد قبيلة زواغة البربرية، وهي قبيلة بدوية كانت تسكنُ إلى الشّمال من كانم، وكان انتشارُها في تلك الأصقاع واسعاً. وقد بدأ دخولُ الإسلام إلى كانم منذُ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) على يد التجّار الذين كانوا يأتون إليها من ليبيا ومصر، أو يمرّون بها. ولما بدأ القرن السادس للهجرة (٥٠١ هـ = ١١٠٨ م) كان الإسلام قد اتّسع انتشاره ثم استقرّ. ولكن يبدو أيضاً أن الحكم كان، إلى ذلك الحين، «مُشِيخةً بدويةً» ثم انتقل إلى دولةٍ ملكيّة، فيما بعد.

(١) برنو (الأصل في الباء أن تكون ساكنة، وهي هنا شبه مفتوحة، مع ميل إلى ضمّها).

وفي الرواية أَنَّ أَوَّلَ الملوك المسلمين في هذه الدولة حومي أو أومي (٤٧٨-٤٩٢ هـ)، ثم يضطرب سياق الملوك لأنَّ اسم حومي (محمَّد؟) يكثرُ فيهم. ولَمَّا جاء دونما بنُ حومي (نحو ٤٩٠-٥٤٥ هـ=١٠٩٧-١١٥٠ م) استطاع، في أثناء رئاسته الطويلة الأمدِ أن يُؤيِّدَ سلطة قبيلته في كامل. وقد حجَّ مرتين ثم غرِقَ، في المرَّة الثالثة، في البحر الأحمر.

ويأتي في هذه السلسلة حومي آخرُ أو محمد بنُ عبد الجليل الملقَّب سَلْمَى (سالم؟)، وقد حكم من سَنَةِ ٥٩٠ إلى سَنَةِ ٦١٨ للهجرة (١١٩٤-١٢٢١ م) فوسَّع المملكةَ وسيطر على قبيلة زغاوة (التي كانت هيَ مملكة على كامل وما حولها). وفي أيامه أيضاً بدأ زوالُ الوثنية. ثم أصبحت جيمي (نجمينا)^(١) عاصمةً للدولة.

وبعدَ السلطان محمد بن عبد الجليل جاء ابنُه دونما (ت ٦٤٩ هـ=١٢٥١ م) فكان عهده مملوءاً بالحروب. ولكنه حرصَ على إقامة صلّاتٍ بالحفصيين أصحاب تُونِسَ فأرسلَ إلى السلطان الحفصيّ المُستنصر (أبي عبد الله محمد بن يحيى) هدايا نفيسة كان فيها زُرافةٌ (وكان دونما يدعى في ذلك الحين سُلطان بُرنو، وكانت عاصمته مدينة كوكه أو جاجا أو كاك- بكاف عربية أو بكاف معقودة). ويبدو أن برنو كانت مُنفردةً بِحُكمِ نفسها ولكنها كانت تابعةً لمملكةِ كَانَم. ثم يَمُرُّ قرنٌ أو يزيدٌ قليلاً فنرى كَانَمَ نفسها تابعةً لسلطان بُرنو؛ ويُرسِلُ سلطانُها أبو عمرو عُثْمَانُ بنُ إدريس، سَنَةَ ٧٩٤ للهجرة (١٣٩١ م) رسولاَ إلى الظاهر بَرْقُوقِ سُلطانِ مِصْرَ يشكو إليه غاراتٍ على أرضه ذَهَبَ فيها أخوه وسَلَفه في الحُكمِ عمرو (أو عُمَرُ) بنُ إدريس بن إبراهيم،، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من الرعايا سقطوا قَتلى أو أُسرى في يَدِ المُغيَرين.

وبعدَ جيلٍ من الدهر (نحو ٨٤٣ هـ=١٤٤٠ م) أصبحت مملكة بُرنو على

(١) هذه اللفظة «نجمينا» تشويه من الاسم الذي يرجع في أصله إلى العربية: إن جمنا (استرحنا) والعامة يقولون جَمِينَا (إن جَمِينًا تكتب كلمة واحدة: الْجَمِينَا).

جانبٍ من القوة فأخذَ جيرانُها يُدارونها، وربّما دَفَعُوا لها الجزى. ثم بعدَ جيلٍ آخرَ جاءَ إلى عرش بُرنو الغازي علي بن دونّا (٨٨١-٩٠٩ هـ) فقضى على المنازعات على العرش ونظّم مرافقَ الدولة ثم بنى، إلى الغرب من بُحيرة شادّ، سَنَةَ ٨٨٩ للهجرة (١٤٨٤ م)، عاصمةً جديدةً سمّاها «غِسْرَغَمُو» (قصرغمو أو بَرْنُنْ بَرْنُو)^(١): حصن بُرنو) وبسَطَ سُلْطَتَهُ على مَنْ كان يجاوره شَرْقاً وغرباً.

وجاء بعدَ عليّ هذا سُلْطَانٌ هو إدريسُ كَتَعَ كُرْمِي (؟) فحكم من سَنَةِ ٩٠٩ إلى سَنَةِ ٩٣٢ للهجرة (١٥٠٣-١٥٢٦ م)، فعادتْ كأنّهم إلى الخضوع لملكة بُرنو وبَقِيَتْ قبائلُ بولالا شبة مُستقلّة (تَعيشُ في تلك المملكة ولكن تدفع جزية).

امبراطوريّة الصوصو (صو) في كِيَاك (كانيغا)

جاءت جماعاتٌ من التَّكُور (حوض نهر السنغال)، في القرن السادس للهجرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وأسْتَبَدَّتْ بالسيطرة على كِيَاك: كانيغا (إلى الغرب من أواسط نهر النيجر). وفي سَنَةِ ٥٧٦ للهجرة (١١٨٠ م) نَهَضَ جُنْدِيٌّ وَعَكْرِيٌّ (سلنكي: نسبة إلى مدينة سيلاً من مدن السنغال) يدعى ديارا كِنْتِي (؟) - وكان هذا الأسمُ يُطْلَقُ أيضاً على الأسرة الحاكمة وعلى البلد. وقد كانتْ تلك الأسرةُ الحاكمةُ وثنيّةً.

وجاء^(٢) بعدَ ديارا كِنْتِي أبْنُه صوماغورو (صوماهورو) كِنْتِي (نحو ١٢٠٠-١٢٣٥ م: ٥٩٨-٦٣٣ هـ) وأَحْتَلَّ مَاندَنغ (في أعالي حوض النيجر)، فشجّع ذلك على أنْ يَحْتَلَّ جَارِبَ (كانغابا) في الجَنُوبِ ثم غانّة في الشَّمالِ.

غيرَ أنّ هذا النصرَ كانَ خاوياً فإنّ النهبَ والقتلَ اللذين سادا بعد هذا الاحتلال حلا التُّجَّارَ المسلمين (في غانّة خاصّة) على الهجرة إلى ولاتن (إلى

(١) برنن برنو أصلها برنو (مدينة، حصن) برنو (مضاف ومضاف إليه: برنو برنو - وفي لغتهم تدخل النون بين المضاف والمضاف إليه فيصبح التركيب الإضافي: برنن برنو.

(٢) راجع، فوق، ص ٤٠ «تاريخ مالي».

الشَّال الشرقي من بلدة غانة، على الحدود بين منطقة الغابات ومنطقة الصحراء) وعلى إنشاء محطة تجارية في ولاتن أخذت، على طريق القوافل، مكان غانة، وذلك نحو سنة ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م).

ويقال إن صوماغورو لما احتلّ ماندنغ قتل أحد عشر أبناً للملك ماندنغ. غير أن واحداً من هؤلاء الأبناء - وأسمه: صندياتا^(١)، وكان كسيحاً - نجا من القتل. ثم إنه جمع أنصاراً له، وفي سنة ٦٣٣ للهجرة قاتل صوماغورو، فأنهزم صوماغورو وقُتل، فعادت فلول أتباعه إلى التكرور، وعادت ماندنغ إلى حكم صندياتا.

امبرطورية سنغي (صُغاي)

تطلق كلمة سنغي على قبائل من أصول مختلفة كانت تسكن في الحوض الأدنى للنيكار (في منتصف الطريق بين أنحنائه في الشمال ومصبّه في الجنوب). وفي نحو ٢٦٠ للهجرة (٨٧٢ م) كانت مملكتهم كوكو* (بضم الكافين أو بفتحها) أكبر ممالك السودان. في ذلك الحين كان يسكنها جماعات من البربر. ففيها ولد أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي النكاري (نسبة إلى النيجر؟) الإباضي الذي ثار على الفاطميين (أصحاب تونس).

وفي نحو سنة ٣٧٠ للهجرة (٩٨٠ م) كان حكام كوكو مسلمين. وبعد قرن من الزمن اعتنقت أسرة «زا» (جا، ديا: الجاءون: الذين جاءوا من اليمن) الإسلام. ولكن يبدو أن السكان الأصليين (من السودان) ظلوا على الوثنية زماناً طويلاً.

ثم دخلت مملكة سنغي، سنة ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ م) في حكم مالي. وفي سنة ٦٧٥ للهجرة (١٢٧٥ م) أسس علي كولون أسرة سي أو شي، أو شيا (الجباة، الخلفاء: خلفاء جا؟). وفي نحو ذلك الزمن انتقلت عاصمة سنغي إلى مدينة كوكو.

ويبدو أن حكام مالي كانوا، بين حين وآخر، ينسبون سلطتهم على بلاد

(١) راجع، فوق، ص ٤١.

* صوصو

سُنِّي هذه. وبين سَنَةِ ٧٢٦ وسَنَةِ ٧٣٧ (١٣٢٥ - ١٣٣٥ م) كانت كوكو وما يَتَّبِعُهَا داخلَةً في سلطان مالي. وقد زار موسى صاحب مالي، سَنَةِ ٧٢٦ (مدينة) كوكو.

ثمَّ إنَّ أسرةَ الجائينَ استعادتِ استقلالَها. وفي سَنَةِ ٨٧٠ للهجرة (١٤٦٤ م) أقام عليُّ الكبيرُ إمبراطوريَّةَ سُنِّي. ومن ذلك الحين عُرِفَت هذه الأسرةُ بِأَسْمِ سُنِّي. وجاء سُنِّي عليُّ إلى العرش (نحو ٨٧٠ - ٨٩٩ هـ) فأستطاعَ استردادَ تنبكت، سَنَةِ ٨٧٤ للهجرة (١٤٦٩ م)، بعدَ أن كان الطوارق قد استولوا عليها، سَنَةِ ٨٣٧.

ويقال إنَّ سُنِّي عليًّا هذا كان يهتمُّ بأغراضه الشخصية أكثرَ مِن أهتمامه بما سوى ذلك. ولم يكن حُكمه في تنبكت صالحاً فهجَّرها الزُعماءُ من أهلها وهجَّرها تُجارُها إلى ولائتن. وفي سنة ٨٩٨ للهجرة (١٤٩٢ م) مات سُنِّي عليُّ فجاء بعده بارو (أبو بكر داو). ولكن في العام التالي أستطاعَ أحدُ القوادِ من الوصول إلى الحكم، وكان مُسلماً مُخلصاً، فأرتقى العرشَ بِأَسْمِ أسكيا محمدِ الأوَّلِ فنظَّم الإدارةَ وأنشأ جيشاً نظامياً وأقرَّ الأمنَ فعادت تنبكتُ مركزاً للثقافة الإسلامية. ثمَّ إنَّه أسَّسَ أسرةَ حكمتُ قرناً كاملاً من الزمن. من سَنَةِ ٩٠٠ إلى سَنَةِ ١٠٠٠ للهجرة (١٤٩٣ - ١٥٩١ م).

وفي سَنَةِ ٩٣٥ للهجرة (١٥٢٨ م) كُفَّ بَصَرُ محمدِ وأصيبَ بالعجز فاستبدَّ بالملك مكانه ابنُه موسى. ولكن وَقَعَ التنافسُ على الحكم بينَ نفرٍ مِنَ القوادِ ونفرٍ مِنَ المُغامرينَ وأضطربَ الأمرُ حتَّى جاء أسكيا إسحاقُ، سَنَةِ ٩٤٦ للهجرة (١٥٣٩ م) فتغلَّبَ على خصومه وقتلهم. وجاء بعدَ أسكيا إسحاقَ أخوه داوودُ (سَنَةِ ٩٥٦ هـ). ولقد تابعَ إسحاقُ وأخوه داوودُ سياسةَ أبيهما أسكيا محمدِ الأوَّلِ في نشرِ الإسلام^(١).

(١) هذه الأحداث والتي تليها وقعت بعد الحقبة التي يعالجها هذا الجزء، ولكن الاستمرار قليلاً في سردها يجعل الصورة التاريخية لتلك البلاد التي يغيب عنا كثير من تاريخها أكثر وضوحاً ثم يدل على اتصال مجرى الثقافة الإسلامية في ذلك الجانب من الأرض.

ولما مات داوود، سَنَة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عادَ الاضطرابُ إلى البلاد، ولم يَسْتَطِعْ ابنه مُحَمَّدُ الثالثُ أن يُدارِي الأحداثَ التي كانت في أيامه.

في ذلك الحين كان على عَرشِ المغربِ سُلطانٌ قويٌّ قديرٌ هو أبو العباسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ المعروفُ بالمنصور الذهبي، وقد حَكَمَ من سَنَة ٩٨٦ إلى سَنَة ١٠١٢ للهجرة (١٥٧٨-١٦٠٣ م). ولا رَيْبَ في أن المنصورَ لما نَظَرَ إلى قُوَّتِهِ وإلى ضَعْفِ الممالكِ السودانية كان قد داخلَهُ الطَّمَعُ في الاستيلاء على مناجمِ المِلْحِ ومناجمِ الذهبِ في بلادِ السودان. وكان بينَ المنصورِ سُلطانِ المغربِ وإسحاقَ الثاني مَلِكِ كاغو مَفاوضاتٍ سياسيةٍ لم تُثْمِرْ، فأرْسَلَ المنصورُ إلى السودانِ جيشاً كبيراً بقيادة قائِدٍ أَسْمُهُ جُوْذِر. ومعَ أن الجيشَ المغربيَّ لم يَصِلْ مِنْهُ إلى أرضِ السودانِ إلَّا أَقلُّه - لِطولِ الطريقِ ومَشَقَّةِ التحرُّكِ في الصحراء - فإنَّ الجيشَ المغربيَّ قد تغلَّبَ، بما كان لديه من المدافع، على جيشِ القبائلِ السودانية (التي زادتْ على مِائَةِ ألفٍ من الرجال) لأنَّها كانت تُعَارِبُ بِأدواتٍ بدائيةٍ من النِّبالِ والرِّماح. كان ذلك في أواخرِ سَنَة ٩٩٩ للهجرة (١٥٩١ م). وقد فرَّ أسْكيا^(١) إِسحاقُ الثاني (غرباً) عَبْرَ نَهْرِ النِّگار (النيجر). ويبدو أنَّ شَيْئاً من المُقاومة للمَغاربة قد استمرَّ في أرضِ السودان، ولكنَّ تلكَ المُقاومةَ أَنتَهَتْ في العامِ التالي وأنقرضتْ بِأنتهايتها إمبراطوريَّةُ سُنْغِي.

ودّاي

ودّايُ مِنطقةٌ تتَّصَلُ بها باجرمةُ ودارفورُ، غَرْبُ بُحيرةِ شاد (بحيرة لامي)، وَهِيَ أَحَقُّ أن تكونَ من أواطِ السودانِ أَكثَرَ مِنْها من غَرْبِهِ. وقد تَأَخَّرَ دُخولُ الإسلامِ إلى ودّاي حَتَّى القرنِ العاشرِ للهجرة (السادسَ عَشَرَ للميلاد). قِيلَ دَخَلَهَا الإسلامُ على يَدِ رَجُلٍ أَسْمُهُ صالِحٌ. من أَجلِ ذلكَ

(١) أسْكيا: الشيخ (٩). - «أسْكيا»: الذي ليس هو، الآخر (غير الذي كان من قبل). هذه ملاحظة أبدأها الزميل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدكتور عبد الله الطيّب (الخرطوم).

تُعرف «ودّاي» بأسم دار صالح أو دارِ صليح أيضاً. أمّا الاسم «ودّاي»
فيقال فيه إنّهُ آتٍ من «وداعة». وأهل المنطقة يفضلون على اسم «ودّاي» اسم بُركو
(بضمّ الباء).

أمّا الأحداثُ التي دارت في ودّاي فمتأخّرةٌ عن العصر الذي نُقص تاريخه
في هذا الكتاب.

الحياة الثقافية - في أيام بني الأحمر -

سألجأ في تصوير هذا العصر إلى إيراد عددٍ وافٍ جدًّا من الكتب في فنون العلم المختلفة. ومع أنَّ عددًا كبيراً جدًّا من هذه الكتب لا يُعدُّ في نطاق الأدب، فإنَّه يدلُّ على رُقيِّ الحياة الثقافية بلا ريب. ثمَّ إنَّنا نرى في هذه الكتب ميلاً كبيراً إلى الموضوعات الدينيَّة، ممَّا يتفقُ عموماً حينما تضعفُ القوَّةُ السياسيَّة في الأُمَّة، فالدينُ ملاذٌ وملجأٌ في أيامِ المحنِّ والضعفِ.

وسببُ الإطالة في هذا الفصلِ لصورةِ هذا العصرِ حرصٌ مِنَّا على أن نُوقِنَ أن هذا العصرَ الذي لم يكن وضاءً في السياسة، قد كان وضاءً جدًّا في الثقافة. وسيرى القارئُ أن عددًا كبيراً من الأسماء - من أسماء الكتب ومن أسماء مؤلَّفي الكتب - يدفعُ عن هذا العصر «تُهمةَ الانحطاط» التي أرادَ نفرٌ من الأغيارِ ومنا أيضاً أن يُلصِقوها به.

العلوم الدينية:

من أوائل الذين يُشارُ إليهم في هذا الباب، وفي العلومِ الدينيَّة، محمدُ بنُ عبدِ الله المُرسيُّ (٥٧٠ - ٦٥٥ هـ) له: رِيُّ الظَّمَانِ أو التفسيرُ الكبير (في أكثرَ من عشرين جزءاً) - التفسيرُ الأوسط (في عشرة أجزاء) - التفسيرُ الأصغرُ (ثلاثة أجزاء). ومنهم المُقرئُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ حسنِ الفاسيِّ (٥٨٩ - ٦٥٦ هـ في الأغلب) له اللآلئُ الفريدة في شرحِ القصيدةِ الشاطبية. ثمَّ منهم ابنُ عبْدونِ المكناسيِّ (ت ٦٥٩ هـ) (**). ومنهم المفسرُ الكبير أبو بكرِ القرطبيُّ (ت ٦٧١ هـ) (**).

(**) لأصحاب الأسماء من الذين أُشير إليهم بنجمين تراجم مستقلة في هذه السلسلة (يهتدى إليها بسنوات وفياتهم).

ومنهم أيضاً أحدُ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ خَضِرٍ الشَّاطِئِيّ (ت ٦٧٤ هـ) له: قواعدُ الخطِّ - كتابانِ في قراءةِ وَرْشٍ^(١). وكذلك منهم عبدُ السلامِ بنُ عليٍّ الرِّوَاوِيُّ وَلِيَّ قِضَاءِ المَالِكِيَّةِ في دِمَشْقَ وَأَنْتَهتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الإِقْرَاءِ فيها له: عددُ الآيِ - التَّنْبِيهَاتُ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَخْفَى مِنَ الْوُقُوفَاتِ (في القِراءَاتِ). ثم يَأْتِي هُنَا الشَّاعِرُ مَالِكُ بنُ المُرَحَّلِ (ت ٦٩٩ هـ) (**). ثم أَبُو جَعْفَرٍ بنِ الزُّبَيْرِ الفَرْنَاطِيُّ (ت ٧٠٣ هـ) (**). صَنَّفَ: البُرْهَانَ فِي تَرْتِيبِ سُورِ الْقِرْآنِ - مِلَاكُ التَّأْوِيلِ تَحْتَهُ لِكِتَابِ «دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ» لِفَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيّ (ت ٦٠٦ هـ)^(٢) أَوْ رَدُّ عَلَيْهِ.

وَيَأْتِي هُنَا أَيْضاً عَبْدُ الْوَاحِدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَالِقِيّ (ت ٧٠٥ هـ) له: الدُّرُّ النَثِيرُ وَالْعَذْبُ النَمِيرُ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّيْسِيرِ لِأَبِي عَمْرٍو الدَّائِيّ المِتَوَفَى سَنَةَ ٤٤٤ هـ لِلْهَجْرَةِ (**). ثم هُنَاكَ مِيْمُونُ الْفَخَّارُ (ت ٧١٦ هـ) له: التَّحْفَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ - الدُّرَّةُ - المَوْرَدُ. وَكَانَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الْخَرَّازُ الشَّرِيشِيُّ (ت ٧١٨ هـ) إِمَامُ الْقُرَّاءِ فِي فَاسَ: أَرْجُوزَةُ مَوْرِدِ الظَّمَانِ فِي رِسْمِ الْقِرْآنِ - عُمْدَةُ الْبَيَانِ فِي رِسْمِ الْقِرْآنِ - الْحُصْرِيَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ - شَرْحُ الْعَقِيلَةِ^(٣) فِي الْقِرَاءَاتِ - شَرْحُ ابْنِ بَرِّي^(٤) - الدُّرَرُ اللُّوَاعِ فِي أَصْلٍ مَقْرَأً نَافِعٌ. وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ كُنُونُ (النَّبُوغُ الْمَغْرِبِي ٢١٦) كِتَاباً فِي عُلُومِ الْقِرْآنِ لِابْنِ الْبَنَاءِ الْعَدَدِيِّ (ت ٧٢١ هـ) مِنْهَا: تَفْسِيرُ الْبَاءِ فِي الْبَسْمَلَةِ - تَفْسِيرُ الْأَسْمِ (بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي الْبَسْمَلَةِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ - حَاشِيَةٌ عَلَى الْكَشَافِ - الدَّلِيلُ فِي مَرْسُومِ خَطِّ التَّنْزِيلِ - الْمُتَشَابَهُ الْلفْظِي فِي الْقِرْآنِ - تَسْمِيَةُ الْحُرُوفِ وَخَاصَّةً وَجُودَهَا فِي أَوَائِلِ السُّورِ.

وَلَا بِنَ آجِرُومُ^(**) (ت ٧٢٣ هـ): الْبَارِعُ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ - شَرْحُ حِرْزِ الْأَمَانِي (فِي الْقِرَاءَاتِ) لِلشَّاطِئِيّ. وَهُنَاكَ «الْأَجُوبَةُ» (فِي التَّفْسِيرِ) لِابْنِ الْبَقَّالِ (ت ٧٢٥ هـ). ثم هُنَاكَ أَحَدُ بنِ الْحَسَنِ بنِ الزُّيَّاتِ الْكَلَّاعِي له: لَذَّةُ السَّمْعِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ - قَصِيدَةٌ

(١) عَثَانَ بنِ سَعِيدٍ (لَقَبُهُ وَرْشٌ) مِنَ الْقُرَّاءِ الْمَشْهُورِينَ، مَوْلَدُهُ وَوَفَاتَهُ فِي مِصْرَ (١١٠ - ١٩٧ هـ).

(٢) لِفَخْرِ الرَّازِيّ تَرْجُمَةً فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ.

(٣) عَقِيلَةٌ أَتْرَابُ الْقَصَائِدِ؟ (لِلشَّاطِئِيّ).

(٤) ابْنُ بَرِّي: عَلِيُّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ الْحَسَنِ الرَّبَاطِيُّ (ت ٧٣١ هـ) عَالِمٌ بِالْقِرَاءَاتِ.

(**) له تَرْجُمَةٌ فِي هَذَا الْجُزْءِ.

على نَمَطِ الشاطبية (حِرْزِ الأمان). ثم هنالك لأبي الحسن عليّ بن محمد ابن برّي الرباطي (ت ٧٢٥ هـ) وكان من أهل تازة ورئيس ديوان الإيضاء فيها: أرجوزة في مخارج الحروف - أرجوزة مشهورة هي « الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع »، مطبوعة (الأعلام للزركلي ٥: ١٥٦) وعليها شروح ولها مختصرات منها: المختار من الجوامع في مُحَاذَاةِ الدُّرَرِ اللّوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت ٨٧٥ هـ) صنفه سنة ٧٤٢ (الجزائر ١٣٢٤ هـ).

وكان أحد بن محمد العشّاب القرطبي وزيراً في تونس، له تفسير (للقرآن) مختصر. ولاين القَوَيْعِ التُّونِسِي (ت ٧٣٨ هـ) (***) تفسير سورة ق. ولاين جُزِّي مرتب رِخْلَة ابن بطوطة (ت ٧٤١ هـ) (**): البارُع في قراءة نافع - التسهيل لعلوم التنزيل (مطبوع، راجع الأعلام للزركلي ٦: ٢٢١). وكذلك لإبراهيم بن محمد الصفاقسي (٦٩٧ - ٧٤٢ هـ) « المُجيد في إعراب القرآن المُجيد » (ألفه مع أخيه محمد). ولمحمد ابن عليّ البَلَنْسِي العَنَسِي (ت ٧٤٦ هـ) « صِلَة الجَمْعِ وعوائد التذيل لمُؤْصُول كِتَابِي الإِعْلَامِ والتكميل لمُبَهَمَاتِ القرآن ».

ولمحمد بن عليّ بن عابد الفاسي (ت ٧٦٢ هـ) اختصارُ الكَشَافِ (لِلزَمْخَشَرِي) أزال عنه صِبْغَةَ الاعتزال. وكذلك لأبي القاسم السَّلَوِي (من أحياء القرن التاسع) تفسيرٌ للقرآن. وللجَادَرِي أو الجَادِيرِي (ت ٨١٨ هـ): النافع في أصول حَرْفِ نافع^(١) - شرح ضَبْطِ القيسي - شرح ابن برّي^(٢). ولمحمد بن يحيى بن جابر الغساني المكناسي (ت ٨٢٧ هـ) كتابٌ في رسم القرآن. ولأحمد بن محمد المسيلي (ت ٨٣٠ هـ) تفسيرٌ للقرآن.

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (بالتصغير) المدني المتوفى في المدينة، سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) على الأصح (وفيات الأعيان ٥: ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفي الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة ٨: ٥) سنة ١٦٩ هـ، وهو أحد القراء السبعة.

(٢) ابن برّي. النحوي أبو محمد عبد الله بن برّي المتوفى ٥٨٢ هـ (له ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة). ولعل المقصود بابن برّي هنا: أبو الحسن عليّ بن محمد التازي (ت ٧٣١ هـ) من الماهرين في العلوم العربية والقراءات (النبوغ المغربي ٢٠٩).

ومن المُكثَرين في التَّأليفِ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الشَّعَالِي^(١) الجزائريّ (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) له: الجواهرُ الحِسانُ في تفسيرِ القرآن (الجزائر ١٣٢٧ هـ) - المُختار من الجوامع في مُحَاذَاة الدَّرر اللوامع في أصل مُقرأ الإمامِ نافعٍ (الجزائر ١٣٢٤ هـ، راجع سركيس ٦٦١؛ بروكلمان، الملحق ٢: ٣٥٠، السطر العشرين). - نفائسُ الرُّجَان في قِصَصِ القرآن. وكذلك لأبي عبد الله الحِسن (أو الحِسين) بن عليّ الشوشاوي السِّفَلَاي (ت ٩٠٠ أو ٨٩٩ هـ): إِيَانَةُ المُبتدئين (في القِرَاءات) - الفوائدُ الجميلةُ على الآياتِ الجليّة - شرحُ موردِ الظَّمانِ في رسم القرآن. ويأتي هنا محمد بن عبد الكريم المَغِيلِي التِّلِمَسَانِي (ت ٩٠٩ هـ) له البدرُ المنير في علوم التفسير. ثم هنالك لابن غازِ المِكنَاسِي (ت ٩١٩ هـ) (***) نَظْمُ قِرَاءَةِ نافعٍ.

..... علوم الحديث

يَحْسُنُ البدءُ هنا بعليّ بن إبراهيم الأُمَيِّي الشَّرِيشِي (٥٦١ - ٦٤٢ هـ) كان عليه مَدَارُ الفُتْيَا في وقته، وله تَأْلِيفُ في الحديثِ والفقه. ومن المُؤَلِّفِينَ في الحديثِ القاسمُ ابنُ مُحَمَّد بن الطَّيْلَسَانِ القُرْطُبي (٥٧٥ - ٦٤٢ هـ) له: الجواهرُ المِفْصَلَات في المُسَلِّسَات - غرائبُ أخبارِ المُسَنِّدين^(٢) - ما وَرَدَ من الأمرِ في شُرْبِ الخمر - بيانُ المِنَنِ على قَارِئِ الكِتَابِ والسُّنَنِ^(٣). ثم هنالك مُحَمَّد بن عَتِيقِ اللاردي (٥٦٣ - ٦٣٧ هـ) له: أنوارُ الصِّباح في الجمعِ بين الكُتُبِ السِّتَةِ الصَّحاح^(٤) - مطالعُ الأنوار في شمائلِ المُختار (رسول الله). ثم هنالك أيضاً مُحَمَّد بن يوسُفَ بن مسدي (بفتح الميم أو بضمّها) الفَرْنَاطِي (ت ٦٦٣ هـ)، له: المُسَنَدُ الغَرِيب (جمع فيه مذاهبَ علماء

(١) راجع، في الشَّعَالِي هذا، تاريخ الجزائر العام ٢: ٢٦٢ - ٢٦٤؛ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٦٦١.

(٢) المسند (بضمّ فسكون ففتح) - والتي تجمع جمع مذكر سالماً: الحافظ لحديث رسول الله والموثوق في روايته.

(٣) الكتاب (القرآن الكريم) والسُّنَنِ (المقصود: أحاديث رسول الله عامّة).

(٤) والصَّحاح: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ثم كتب السُّنَنِ لابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) - وأبي داوود السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥ هـ) - والترمذي (ت ٢٧٩ هـ) - والنسائي (ت ٣٠٢ هـ).

الحديث) - المُسَلَّات - الأربعون (حديثاً) المختارة في فضل الحجّ والزّيارة (زيارة المدينة) - مُعْجَمٌ (ترجم فيه لشيخه). وهنالك أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَزَافِي (بفتح ففتح) السَّبْتِي (٦٠٧ - ٦٧٧ هـ) أَكْمَلَ نَظْمَ «الدَّرِّ الْمُنَظَّمِ فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ» (من تأليف والده أحمد). ومن المؤلّفين في الحديث عبدُ الله بنِ سعدِ بنِ أبي جَعْفَرَةَ الْأَنْدَلِسِيِّ (ت ٦٩٩ هـ في الأغلب) له جُمُوعُ النِّهَايَةِ (اختصر فيه صحيحُ البخاري) - بهجة النفوس (شرح جمع النّهاية)، والكتابان مطبوعان.

وهنالك مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْيَقُورِيُّ الْأَنْدَلِسِيُّ (ت ٧٠٧ هـ) له إكمال الإكمال (للقاضي عياضٍ على صحيح مسلم). وكان ابنُ رُشَيْدٍ السَّبْتِي (ت ٧٢١ هـ) (**) صاحبُ الرِّحْلَةِ من كبار علماء الحديث، له: تَرْجُمَانُ التَّرَاجِمِ (في وجه مناسبة تراجم البخاري) - إفادة النصيح بأَسْنَادِ الجامع الصحيح - السَّنَنُ الْأَبِينُ والموردُ الْأَمِنُ في المحاكمة بين الإمامين (البخاري ومسلم) في الحديث المُعَنَّعِ^(١). ولابن الشاطط القاسم ابن عبد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) كتابُ التعريف برجال البخاري - حاشية على صحيح مسلم. ولأبي القاسم التجيبي السبتي (ت ٧٣٠ هـ) «أربعون حديثاً في الجهاد».

ومن أكابر العلماء في الحديث مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بنِ سَيِّدِ النَّاسِ الْيَعْمُرِيُّ (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) أصله من إشبيلية ولكنه ولد ثم توفى في القاهرة. له: عُيُونُ الْأَثَرِ فِي غَزَوَاتِ سَيِّدِ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ^(٢) وفي شمائله إذ هي أشرف شمائل البشر (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) (القاهرة ١٣٥٦ هـ، دمشق ١٣٥٨ هـ) - بُشْرَى اللبيب بذكرى الحبيب (مجموع قصائد في مدح الرسول مرتبة على الشعراء) مطبوع (سترلند في شمالي شرقي ألمانيا ١٨١٥ م) - المقامات العلية في الكرامات الجليلة (مدائح في الرسول) - النَّفْحُ الشَّدِيدِيّ شرحُ جامعِ التِّرْمِذِيِّ - عُدَّةُ الْمَعَادِ فِي عَرُوضِ «بَانَتْ سَعَادُ» (لكعب بن زهير في مدح الرسول) - مَنَحُ الْمَدَحِ (قصائد للصحابة

(١) الحديث المعنعن: السند إسناده متصلاً: حدثنا فلان عن فلان عن فلان الخ (حتى يصل إلى رسول الله).

(٢) ربعة ومضر (قبيلتان كبيرتان قويتان ومعظم عرب الشمال). والمقصود بسيد ربعة ومضر هنا «محمد رسول الله». الأثر (هنا: أحاديث رسول الله).

رجالاً ونساء) - تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة.

وهناك عَلَمُ الدين القاسم بن مُحَمَّدٍ البرزالي (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) الإشبيلي، نسبة إلى برزالة (قبيلة من البربر، كان أصلُ أهله من إشبيلية، وكان مولده في دِمَشْقَ، له: ثلاثيات مُسَنَدِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ - العوالي المُسَنَدَةُ - تأليفٌ في طبقات المُحَدِّثِينَ - مُعْجَمُ شيوخه. ثم هنالك عائشة بنتُ عليّ الصنهاجية كانت عالمةً بالحديث.

ولابن جُزَيٍّ (ت ٧٤١ هـ) (***) مرتبُ رحلة ابن بطوطة: وسيلةُ المُسلم في تهذيب صحيح مُسلم.

وصنَّفَ أبو بكرِ الكَتَّانِيُّ، سنة ٧٤٣ هـ، الإلمامَ لِذَوِي النُّهى والأحلام. ولعيسى بن مسعود الزواوي (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ) إكمال الإكمال. وهنالك كذلك عبدُ المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٩ هـ) (***) السبتي، كان له تقدُّمٌ في علم الحديث وضبطِ رجاله. صنَّفَ مَشِيخَةً (ثَبَتاً بأسماء شيوخه احتوتُ على ألفِ شيخٍ). وكان مُحَمَّدُ بنُ جابر الوادي آشي (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ) واسعَ المعرفة بالحديث قليلُ البِضَاعَةِ في الفِقه نَعَتَهُ أَبْنُ خَلْدُونٍ بِإِمَامِ المُحَدِّثِينَ في تُونِسَ، له «أربعون حديثاً» (تَدُلُّ بِرِوَايَتِهَا عَنْ رِجَالٍ مُتَّبَاعِينَ في الأوطانِ على اتِّسَاعِ رِحْلَتِهِ). وله تعاليقُ وأسانيدُ في الفِقه.

ويذكرُ عبدُ الله كَنُونُ (ص ٢١٦، ٢١٧) أبا عبدِ الله الكرسوطيَّ الفاسيَّ المولودَ سَنَةَ ٦٩٠ هـ ثم يذكرُ الكرسوطيَّ الفاسيَّ (لعلَّهما واحدٌ، وأختلافُ التهجئة من خطأ الطبع) ويُوردُ مَعَ ذِكْرِهَا عدداً من كتب الحديث والفِقه. كما يذكرُ كَنُونُ أيضاً (ص ٢١٦) أبا القاسم بنِ عِمْرَانَ الحَضْرَمِيَّ السَّبْتِيَّ ويُوردُ له «الشافي في اختصار التيسير والكافي» في فضل علوم القرآن والحديث. وهنالك عبدُ الله بن مُحَمَّد بنِ فَرَحُونٍ (٦٩٣ - ٧٦٩ هـ)، أصلُه من تُونِسَ ومولده ومنشؤه ووفاته في المدينة (لم يخرج منها إلَّا إلى مَكَّة)، له: الدرُّ المُخَلَّص من التقصِّي والمُلَخَّص (جمع فيه أحاديث الكتابين) - كشف المُغْطَى في شرح مختصر الموطأ (شرح للكتاب السابق كما في الديباج ١٤٥، الأسطر ٦ - ٨).

ولمُحَمَّد بنِ مُحَمَّدٍ النَّذْرُومِيَّ التِّلِمَسَانِيَّ (ت بعد ٧٧٧ هـ) ثَبَتُ (ذَكَرَ فِيهِ مَا أَخَذَهُ عَنْ مُعَاَصِرِيهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ). وكان أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدِ الرُّعَيْنِيَّ الأَنْدَلُسِيَّ

الفاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) فقيهاً مُحدثاً (نفع الطيب ٢ : ٥٦٠) له تُحفة الناظر في غرائب الحديث. ولعلَّ كُتبه: تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتقاد في الجهاد، قد كانت في الحديث.

ولابن مرزوق (ت ٧٨١ هـ) (***) شرحُ عمدة الأحكام عن سيّد الأنام - المُسند الصحيح الحَسَن في مآثر مولانا أبي الحسن (!).

وكان في هذه الحَقبة سراجُ الدين عمرُ بنُ نور الدين الأنصاري الأندلسيُّ (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)، جَلَسَ للإقراء في دِمَشقَ والقاهرة، له: أسْمُهُ رجالُ الكتب الستة - طبقاتُ الأولياء (تاريخ الفكر الأندلسي ٤٠٠). ومن كبارِ علَمِهِ الحديثُ سراجُ الدين عمرُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنِ المُلَقَّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) أصلُهُ من وادي آشَ ومولدهُ ووفاتهُ بالقاهرة له كتبٌ كثيرةٌ جدًّا منها: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال - التذكرة في علوم الحديث - إيضاح الارتباب في معرفة ما يَشْتَبِهُ وَيَتَصَحَّفُ من الأسماء والأنساب - الإعلام بفوائد عمدة الأحكام - التوضيحُ لشرح الجامع الصحيح (للبخاري) - المقنع في علم الحديث - خصائص أفضل المخلوقين - غاية السؤل (السؤل) في خصائص الرسول - شرح عمدة الحُكَّام - التُكْتُ اللطافُ في بيان الأحاديث الضعيف المخرجة في مُستَدْرَكِ الحافظِ أبي عبد الله الحاكم النسيابوري - البدرُ المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير - «خلاصة البدر المنير» (في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي!) - طبقات المُحدثين - شرح زوائد مسلم على البخاري - شرح الجامع الصغير - مختصر شُعَبِ الإيمان - ثلاثة شروح على المنهاج (وهو شرحُ على صحيح مسلم للنووي).

ثم هنالك يجيى بنُ أحمدَ التَّنْزِي السَّراجُ الرُنْدِي الفاسي (ت ٨٠٥ هـ) الذي انتهت إليه رئاسةُ الحديث في بلده ووقته، له تقييد أو «مشيخة». ولأبي القاسم قاسمُ بنُ عليٍّ التينَمَلِي الفاسي المَالَقِي (٧٤٣ - ٨١١ هـ) «برنامج» في مَنْ أخذ عنهم، خرَّج له الصلاح الأقفهسيُّ جزءاً من مَرْوِيَّاته سماه «تُحفة القادم من فوائد الشيخ أبي القاسم». وهنالك مُحَمَّدُ بنُ عبد الملك المِنْتوري (ت ٨٣٤ هـ) الغرناطيُّ الأصلِ المَغْرِبِي الدارِ له: فِهْرِسْت (يشتملُ على مَرْوِيَّاته) - الأُمالي في الأحاديث العوالي.

ولمحمّد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد (***)
 (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ): أنواع الزراري في مكررات البخاري - المتجر الرياح في شرح
 الصحيح (للبخاري) رَجَزٌ في علم الحديث - روضة الإعلام بأنواع الحديث السام
 (السامي). ولأبي القاسم السلوي من أحياء القرن التاسع: شرح صحيح مسلم. ولأبي
 زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ): الأنوار (في المعجزات
 النبوية). وفي نحو سنة ٨٧٥ صنّف أحمد بن زكريّا المغربي «مُعَلِّمُ الطَّلَابِ بما للحديث
 من الألقاب» (طبقات الحديث: صحيح، حسن، مرفوع، مُرْسَل.....، ضعيف
 الخ).

وكان محمد بن يوسف السنوسي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) متعدّد نواحي الشخصية كثير
 التأليف له في الحديث: مكمل إكمال الإكمال - شرح مشكلات البخاري - مختصر
 الزركشي على البخاري - مختصر الروض الأنف (للسهيلي) - مختصر الأبي^(١) على
 (صحيح) مسلم. ومن الأسماء المشهورة في هذا الباب أبو عبد الله محمد بن القاسم
 التلمساني المعروف بابن الرصاع (ت ٨٩٤ هـ)، كان قاضياً وإماماً في جامع الزيتونة
 في تونس الحاضرة، له: تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار - تذكرة المحبين في
 أسماء سيّد المرسلين - الهداية الكافية. ومن علماء الحديث في هذه الحقبة أحمد بن
 زروق (ت ٨٩٩ هـ) (***)، له كتب في الحديث والفقه والتصوّف. وابن غازي المكناسي
 (ت ٩١٩ هـ) (***) : إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب - الفهرسة المباركة
 (فهرس لمحدثي فاس ولآثارهم).

..... علوم الفقه:

وكانت الرغبة في الفقه دائماً شديدة. فمن فقهاء هذه الحقبة عبد السلام بن غالب
 المَسْرَاقِي المعروف بابن غلاب (ت في القيروان ٦٤٨ هـ) له: الوجيز في الفقه. ومنهم
 راشد بن الوليد الفاسي (ت ٦٧٥ هـ) له: كتاب «الحلال والحرام» - حاشية على
 المدونة. ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي جَمْرَة (حمزة) الأندلسي (ت ٦٩٩ هـ في

(١) الأبي (بالضم) هو محمد بن خلفه (بالكسر) بن عمر من بلدة أبة (بينها وبين القيروان ثلاثة أيام) من
 علماء الحديث ومن الفقهاء، توفي سنة ٨٣٧ هـ (١٤٢٤ م).

الأغلب) له: المُقنع في الأحكام.

ومن فقهاء هذه الحِقبة أيضاً الزُّنَاقِي (ت ٧٠٢ هـ) له: شرحٌ على الموطأ - شرح المدونة (ص ٢١٦، ٢١٧). ومنهم أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَاكُشِيِّ (***) له: الجمعُ بين كتابَيْ ابنِ القُطَّانِ الفاسي وابنِ المَوَاقِي الغرناطيِّ على «كتاب الأحكام» لعبد الحقِّ الإشبيليِّ (ص ٢١٧).

ومن كبارِ الفقهاء ابنُ الحَسَنِ الصَّغِيرُ (بالتصغير في الأغلب) عليُّ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ الزَّروِيلِيُّ (ت ٧١٩ هـ) قاضي فاسَ له: الدرُّ النَّثِيرُ في النوازل والأحكام - تَقْيِيدٌ على المَدُونَةِ (في عدَّة مجلِّدات) - فتاوى - تقييد على الرسالة (لابن أبي زيد) - تقييد على التهذيب.

ولابن الفَخَّارِ الجُدَامِي المَالِقِي (ت ٧٢٣ هـ) (***) شرح الرسالة - تحريم الشِّطْرَنج - شرح المختصر (?) . ولابن الشَّاطِطِ القاسم بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ): غنيَّة الرائض في علم الفرائض. ولحمَّد بن عبد الله بن راشد القَفْصِي (ت بعد ٧٣١ هـ): لُبَّابُ اللِّبَابِ فيما تَضَمَّنَهُ الكِتَابُ مِنَ الْأَرْكَانِ وَالشُّرُوطِ وَالْمَوَاقِعِ وَالْأَسْبَابِ (في فروع الفقه، تونس ١٣٤٦ هـ) - الشَّهَابُ الثَّاقِبُ في شرح مختصر ابن الحاجب (في الفروع) - الْمَذْهَبُ فِي ضَبْطِ قَوَاعِدِ الْمَذْهَبِ - الفائقُ في معرفة الأحكام والوثائق - النِّظْمُ الْبَدِيعُ فِي اخْتِصَارِ التَّفْرِيعِ - تُحْفَةُ اللَّيْلِ فِي اخْتِصَارِ كِتَابِ ابْنِ الْخَطِيبِ (?). ثمَّ هنالك لِحَمَّادِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّْ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ): الْقَوَانِينُ الْفِقْهِيَّةُ: قَوَانِينُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَسَائِلُ الْفُرُوعِ الْفِقْهِيَّةِ (تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ) - الْأَنْوَارُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِّيَّةِ (?) . ولعبدِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ سَلَمُونِ الْكِنَانِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ (٦٦٩ - ٧٤١ هـ) الشافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي - وثائق. ثمَّ هنالك لِعِيسَى بْنِ مَسْعُودِ الزَّوَاوِيِّ (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ): شرحُ جامعِ الْأُمَّهَاتِ - مناقبُ مالِكٍ (بهامش تزوين الممالك للسيوطي، القاهرة ١٣٢٥ هـ). وكذلك لعزِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْهَوَارِيِّ الْمُنَسْتِيرِيِّ (٦٧٦ - ٧٤٩ هـ) قاضي الجماعة في تُونِسَ: شرح جامعِ الْأُمَّهَاتِ (لأبنِ الْحَاجِبِ) - شرح مختصرِ أبْنِ الْحَاجِبِ - تَقَايِيدُ على مختصرِ أبْنِ الْحَاجِبِ (?). ديوان

فتاوى. وهنالك عبد الرحمن الجزولي (ت ٧٤١ هـ) له تقييدٌ على الرسالة (لأبن أبي زيد القيرواني!).

وهنالك أيضاً ابن أبي يحيى التَّسْلِي (ت ٧٤٩ هـ) له: تقييدٌ على المَدُونَة - شرح الرسالة - شرح التهذيب - شرح الأجوبة (ص ٢١٧). ثم يأتي السَّطِّي (ت ٧٥٠ هـ) له: تعليقٌ على المَدُونَة - تعليقٌ على مختصر ابن شاسر (عبد الله بن محمد المصري المالكي المتوفى ٦١٦ هـ؟) - شرح الحَوَفِيَّة (علي بن إبراهيم الحوفي المصري المتوفى ٤٣٠ هـ) (ص ٢١٨).

ويحسُنُ قطعُ الكلامِ هنا للتأكيد على قيمة «التوثيق» في الفقه. اهتم المغاربة والأندلسيون بالوثائق (العقود التي تُنظَّم بين المتعاملين لدى الكاتب العدل) وألّفوا فيها. من هؤلاء جميعاً عبد الله بن علي بن سلمون الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بن يحيى الغرناطي (ت ٧٥١ هـ) وأبو القاسم بن سلمون بن علي البياسي الغرناطي (ت ٧٦٧ هـ) له: العِقدُ المُنظَّم للحُكَّام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام. وألّف فيها محمد بن أحمد الفشتالي (ت ٧٧٧ هـ). ثم هنالك القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفاسي (ت ٧٧٧ هـ) أو (ت ٧٧٩ هـ) له الفائق في (علم التأليف ب) - الوثائق. ولأبي عمران موسى بن عيسى المغيلي (ت ٧٩١ هـ) المَهْدَبُ الرائق في تدبير الناشئ من القضاة وأهل الوثائق - قِلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود.

ثم استمر الاهتمام بذلك طويلاً، فلأحمد بن يحيى الوَشرسي التلمساني (ت ٩١٤ هـ): الفائق في الأحكام والوثائق.

ونعودُ إلى المجرى الرئيس العام في فروع الفقه. كان من كبار الفقهاء والقضاة، في العلم والإقراء والقضاء، الشريف الغرناطي (ت ٧٦٠ هـ) (***) له: حصر مِثارات (?) القضاة بالأدلة.

وليوسف بن عمر الأنفاسي (٦٦١ - ٧٦١ هـ) إمام جامع القرويين بفاس تقييدٌ على رسالة ابن أبي زيد تداوله الناس في أيامه. ولمحمد بن محمد الربيعي التونسي (٦٨١ - ٧٦٣ هـ) «مُشِيخة» خرّجت له. ولمحمد بن الحسن المالقي (ت ٧٧١ هـ) شرحُ

مختصر ابن الحاجب. ثم لأبي عمران العبدوسي (ت ٧٧٦ هـ): تقييد على المدونة - تقييد على الرسالة - تقييد على التهذيب (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن قاسم الفاسي المعروف بالقَبَاب (ت ٧٧٩ هـ) له: اختصار أحكام ابن القطان - شرح قواعد القاضي عياض - بيوع ابن جماعة - فتاوى (ص ٢٠٥، ٢١٨). ومن الفقهاء محمد بن أحمد الشريشي (٦٩٤ - ٧٧٩ هـ) له: شرح المنهاج (للنووي، أربعة أجزاء) - زوائد الحاوي الصغير على المنهاج - اختصار الروضة.

وهناك أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي الفاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الفقيه المحدث (نفع الطيب ٢: ٥٦٠) له: اختصار المقدمات (لابن رشد) - الأسئلة والأجوبة - القواعد الخمس - المقدمات (?) - شرح المقدمات - الجامع المفيد - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الروضة البهية في البسمة والتصلية - المهاد في الجهاد (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (٧١٠ - ٧٨١ هـ) (***) له تأليف عديدة في فنون كثيرة (راجع الديباج، القاهرة، ص ٣٠٥ - ٣٠٩). أمّا الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) (***) فشهرة بالأصول أكبر من شهرته في الفروع.

ومن كبار الفقهاء ومشهورهم الإمام الشاطبي (***) المشهور أبو اسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ). كان مفسراً ومحدثاً وفقهياً وأصولياً نظاراً^(١) ولغوياً ونحوياً وبيانياً له استنتاجات جليلة وبحوث مُحَرَّرَةٌ^(٢) وقواعد مُحَقَّقَةٌ وكان حريصاً على اتباع السنة مجاناً للبدع وأهلها. وكان شاعراً ناثراً، قال لما أبتلي بأهل البدع: بليت، يا قوم، والبلوى مُنَوَّعة بن أداريه حتى كاد يُزديني^(٣). دفع المضرة لا جلب لمصلحة^(٤). فحسبي الله في عقلي وفي ديني!

(١) النظار: المناظر (الذي يحاول نصر رأيه بالبراهين) وخصوصاً في العقائد الدينية.

(٢) محررة (مصححة، مضبوطة).

(٣) أردى فلان فلاناً: أهلكه، أماته.

(٤) غايي دفع الضرر لا الاستفادة المادية. في قواعد الفقه أن دفع الضرر عن الناس مقدم على جلب المصلحة لهم.

ومن أقواله: «أما من تعسفَ وطلبَ المُحتملات والفَلَبَةَ بالمُشكلات وأعرضَ عن الواضحات فيُخاف عليه التشبُّه بن ذمِّه (ذمُّهم) الله في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ﴾^(١) منه ابتغاءَ الفِتنة وابتغاءَ تأويله^(٢). وما يعلمُ تأويله إلاَّ الله. والراسخون في العلم يقولون: آمناً به، كلٌّ من عند ربِّنا. وما يذكرُ إلاَّ أولو الألباب»^(٣).

وكان لا ينظر في كتب المتأخِّرين (القرييين من عصره) قال في مقدِّمة «الموافقات»:

... وأما ما ذكرتم من عدم اعتيادي على^(٤) التآليف المتأخِّرة فليس ذلك منِّي محض رأي، ولكن اعتيادته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخِّرين. وأعني بالمتأخِّرين (نفرأ) كابنِ بشير وابنِ شاس وابنِ الحاجب^(٥) ومن بعدهم، ولأنَّ بعض مَنْ لقيته من العلماي بالفيقه أوصاني بالتحامي^(٦) عن كتب المتأخِّرين....

ومن كتب الإمام الشاطبي: الموافقات أو عنوان التعريف بأصول التكليف (في أصول الفقه يتوسَّط فيه بين مالك وأبي حنيفة) - المجالس (شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري) - الاعتصام (في التوحيد، وقد تكلم فيه على البدع وتعريفها وما أخذها وأحكامها) - البدع والحوادث^(٧) - أصول النحو - عنوان الاتفاق في علم

(١) الزبي: الميل (بالفتح) والانحراف عن الحق والهدى. تشابه الأمران: أشبه كل واحد منهما الآخر (الأمر التشابه: الذي يَحْتَمِل معنيين أو أكثر).

(٢) التأويل: الخروج (في التفسير) عن ظاهر الكلام.

(٣) اللَّبَّ (بالضم): العقل. هذه الآية في المتن من سورة آل عمران (٣: ٦) أو سبعة، بحسب التعداد في المصحف).

(٤) «على» زائدة (راجع السطر التالي).

(٥) لم أهتم إلى ابن بشير هذا إلا في مقدِّمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١، ص ٨٠٧، ١٠٢١) وهو من الشراح المتأخِّرين على «المدونة» (في الفقه المالكي) - ابن شاس هو عبد الله بن محمد (ت ٦١٦ هـ) شيخ الفقهاء المالكية في عصره في مصر. - وابن الحاجب هو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من كبار علماء العربية (النحو)، وله كتب في الفقه أيضاً. ولد في مصر، وسكن الشام مدةً، وتوفي في الإسكندرية.

(٦) العلماي (؟): الكثير العلم. التحامي عن الشيء: اجتنابه، تركه.

(٧) البدعة (الجديد في الدين كما لم يفعله السلف). الحوادث (جمع حادثة): ما أحدثه الناس مما لا يقرُّه الدين.

الأشتقاق - شرح على الخلاصة^(١) (في النحو) - الإفادات والإنشادات (فيه طُرفٌ ومُلحٌ أدبيّات وإنشادات، أي مقاطعٌ من الشعر).

ومن الذين شهدوا القرنين الثامن والتاسع محمد بن عبد الرحمن الفهري المراكشي، صنّف سنة ٨٠١ كتاب «إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قبل الأم»^(٢). ومنهم ابن عرفة الورعمي التونسي (ت ٨٠٣ هـ) شيخ الإسلام في المغرب، له: المختصر في الفقه - الطرق الناصحة في عمل الناصحة^(٣) - المبسوط في الفقه - مختصر الفرائض^(٤) - شرح الفرائض الخوفية^(٥) - الحدودُ الفقهية. وكذلك منهم ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ)، وإن كان أكثر كُتبه شروحاً ومختصرات، له: الإعلام بفوائد عمدة الحكم - خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي^(٦) - تصحيح الحاوي - شرح الحاوي الصغير - عجالة المحتاج على المنهاج (للنووي) - شرح منهاج النووي (في فروع الفقه الشافعي) - العقد المذهب في طبقات حملة المذهب^(٧) = العقد المذهب في طبقات الشافعية نزهة النُّظار في قضاة الأمصار - كلام على سنة الجمعة القبليّة والبعدية^(٨) (الهند ١٣١٤ هـ، في مجموعة) - شرح تنبيه الشيرازي (بروكلمان ٢: ١١٣، الملحق ٢: ١٠٩، الزركلي ٥: ٢١٨، سركيس ٢٥٢).

ولسعيد بن محمد التّجيبّي العبّاني التّلمسانيّ (٧٢٠ - ٨١١ هـ) شرح الخوفية (في

- (١) الخلاصة: ألفية ابن مالك.
- (٢) المفروض أن يكون النسب المعتمد من جانب الأب. فعند العرب قول خاطيء هو أن الأم وعاء (أي لا يرث الطفل شيئاً من خصائصها، وهذا طبعاً خطأ). ويبدو أن هذا الكتاب محاولة لنقض هذا الرأي الخاطيء.
- (٣) تناصح الرجلان: نصح كلّ واحد منها الآخر. وناصح فلان نفسه في التوبة: كان مخلصاً فيها وصادقاً.
- (٤) الفرائض (هنا) تقسيم الإرث.
- (٥) أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي القلاعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ) أصله من حوف مصر، كان قاضياً في إشبيلية ومن البارعين في الفرائض (تقسيم الإرث) له فيها «تصانيف كبير ومتوسط ومختصر، وكلّ ذلك تَمَّ بلغ في إجادته الغاية» (ابن فرحون ٥٣ - ٥٤، بروكلمان ١: ٤٨٠، الملحق ١: ٦٦٣ - ٦٦٤).
- (٦) الحاوي (٢).
- (٧) في صلاة السنة قبل صلاة الجمعة وبعد صلاة الجمعة أقوال للفقهاء.

الفرائض) - شرح الجمل للخونجي (محمد بن نامارو المتوفى ٦٤٦ هـ). وهنالك عبد الرحمن بن يحيى الأصنوفي المغيلي صنف، سنة ٨١٦، شرح التلمسانية.

وكان محمد بن أحمد الوائوغي التونسي (٧٥٩ - ٨١٩ هـ) متعدد نواحي الشخصية واسع الإلمام بكثير من فنون المعرفة الدينية والطبيعية حتى قال هو عن نفسه: «أَعْرِفُ ثَلَاثِينَ عِلْمًا لَا يَعْرِفُ أَهْلُ عَصْرِي أَسْمَاءَهَا»! وتأليفه كثيرة، وربما كرّر التأليف في الموضوع الواحد مراراً (راجع شذرات الذهب ٧: ١٣٨ - ١٤١؛ بغية الوعاة ١٣).

وهنالك الفقيه المشهور أبو بكر بن عاصم (ت ٨٢٩ هـ) (***) الفرناطي، له: تحفة الحكّام في نُكْتِ العقود والأحكام (أرجوزة في قواعد القضاء)، ويُقال لها العاصمية وتحفة عاصم أيضاً (الجزائر ١٨٨٣، باريس ١٨٨٣ (٩)، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ الجزائر ١٢٨١ - ١٢٨٣ هـ، فاس ١٢٨٩ هـ)؛ عليها شروح: لأبي عبد الله محمد بن أحمد ميسارة (ت ١٠٧٢ هـ) (القاهرة ١٣١٤ هـ)؛ لمليّ بن عبد السلام التسولي (بولاق ١٢٥٦، القاهرة).

ومن الفقهاء أبو موسى الجنّاقي (ت ٨٣٠ هـ) له تقييدٌ على المدوّنة. (ص ٢١٧). والغالبُ على تصانيف تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) التاريخ، ولكن له: إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك (في الحج). ولقاسم بن عيسى القيرواني (ت ٨٣٧ هـ): شرح المدوّنة - شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مصر ١٣٣٠ هـ) - خلاصة من غاية التحصيل وترك التعليق والتزويل (التأويل!) للبرذعي (راجع نهاية التحصيل...، بروكلمان ٢: ٣١١، سطر ١٩، الملحق ٢: ٣٣٧، السطر ٤ من أسفل). - شرح التهذيب (مختصر من المدوّنة) لابن البراذعي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ (١).

وهنالك يوسف بن إبراهيم الوائوغي (ت بعد ٨٣٨ هـ) له: كفاية الناسك في علم المناسك.

ومن الفقهاء البارعين في الأدب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الشران الفرناطي، كان لا يزال حياً في سنة ٨٣٧، له تصانيف منها: الأرجوزة المنظومة في

الفرائض (تقسيم الإرث). وقد شرحها الحاسب المشهور القلصادي المتوفى سنة ٨٩١. جاء في مقدّمة هذه الأرجوزة (نيل الابتهاج ٣١١-٣١٢):

دوامُ حالٍ من المحالِّ واللفظ موجود على كلّ حال^(١).
وعادة الأيام معهودة: حرب وسلم والليالي سجال^(٢).
منّ لليلي بآتلاف؟ وم من اعتبار في اختلاف الليال^(٣)!
والشمس بعد الغيم تجلّى، كما للغيث من بعد القنوط أنهبان.
والنصر بالصبر محلّى الطباء، والجّد بالجدّ مريشُ النبال^(٤).
وما على الدهر انتقادٌ على حال، فإنّ الحال ذاتُ انتقال.
والسيف قد يصدأ في غمّده، ثمّ يجلّي صفحتيه الصّقال.
والفرج الموهوب تجري به لطائفٌ لم تجر يوماً ببال.
فصابر الدهر بحالٍ من حلّو ومُرّ وأعتدا وأعتدال^(٥).
فما له^(٦) صبرٌ على حالة. وإنّا الصبرُ حلّي الرجال.
ولا يضيق صدرك من أزمة ضاقت، فصنع الله رخبُ المجال.

والواضح أنّ هذه الأبيات من مقدّمة الأرجوزة قبل الوصول إلى معالجة تقسيم الإرث.

وَأَبْنُ مَرْزُوقِ الْحَفِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٨٤٢ هـ) (***) من المشاهير، له: أَعْتَنَامُ الفرصة في محادثة عالم قَفْصَة (ابن يحيى بن عقيبة، في التفسير والفقه) - شرح مختصر خليل - الأمل في شرح الجمل (للخونجى). وهنالكَ أحمد بن مُحَمَّد البرزليّ

- (١) اللطف (لطف الله بعباده): رعاية الله للبشر بدفع المكروه عنهم.
- (٢) معهودة (جرت العادة بأنها سيئة). سجال: متداول (مرة يكون النصر لهؤلاء ومرة لأولئك).
- (٣) اعتبار = عبرة (درس ذو مغزى). اختلاف الليالي (تنقلها خيراً وشرّاً).
- (٤) الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف (لا ينعى الضرب بالسيف إلّا مع الصبر والثبات في القتال). مريش النبال (يوضع للسهم ريش في مؤخرته حتى يستقيم سيره في الهواء): يصيب هدفه.
- (٥) صابر الخصم خصمه: باراه في الصبر (في طول الصبر) وغلبه (صبر أكثر منه).
- (٦) الدهر

(٧٤١ - ٨٤٤ هـ)، وقد طال عمره كثيراً، وكان إمام جامع الزيتونة في تونس، له: جامع مسائل الأحكام فيما نزل من القضايا بالفتن والحكام. وهناك محمد بن محمد الفرناطي (٧٨٢ - ٨٥٣ هـ) له: انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك. ولقاسم ابن سعيد العقابي التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) تعليق على ابن الحاجب (في الفقه! راجع الزركلي ٦: ١٠). ثم هنالك لإبراهيم بن فائد الزواوي الجزائري (٧٩٦ - ٨٥٧ هـ): تسهيل السبيل لمقتطف أزهار خليل - فيض النيل في شرح مختصر خليل - تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق.

وفي سنة ٨٦٤ صنف محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي فتوى في حقوق المرأة المطلقة.

وذكر خير الدين الزركلي آثني باسم محمد العقابي أثبت موته سنة ٨٧١: أحدهما محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد من أهل تلمسان له «تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر» (٦: ٢٣١)، وثانيهما محمد بن العباس بن محمد بن عيسى التلمساني النحوي أورد له «فتاوى» وعدداً من كتب النحو (٧: ٥٣). وقد ذكر بروكلمن الأول منها (الملحق ٢: ٣٤٦). وذكر بروكلمن «العقابي» مجرداً وأورد له حاشية على كتاب ابن الحاجب: منتهى السؤال (السؤل) والأمل في علمي الأصول والمجدل (الملحق ١: ٥٣٨، السطر ١١).

وهناك القوري (ت ٨٧٢ هـ) له: شرح مختصر خليل (في ثمانية مجلدات) - المنهل المورود شرح المقصد المحمود لابن الجنان (من أحياء القرن الثامن) - شرح واثق الفرناطي (ص ٢١٦، ٢١٧). ولأبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ): جامع الأمهات في أحكام العبادات - الإرشاد إلى مصالح العباد - شرح على مختصر خليل بن إسحاق - شرح على مختصر ابن الحاجب (في فروع الفقه، جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون وخليل بن إسحاق وآبن عرفة).

ونسب بروكلمن (٢: ٣١٩ مرتين، الملحق ٢: ٣٤٧، ٣٤٨) «الذرر المكنونة في نوازل المازونة» إلى أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت ٧٩١ هـ) وإلى

أَبْنِهِ أَبِي يَحْيَى زَكْرِيَا (ت ٨٨٣ هـ)، مع أَنَّ الفرقَ بَيْنَ سَتَتَيْهِ وَفَاتَيْهِمَا تُحِيلُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَبْنَاءً لِلأَوَّلِ (ولعل المازونة هذه رسالةٌ أو أرجوزة. ومازونةٌ في الأصل فَرَعٌ من قَبِيلَةٍ مَغِيلَةٍ).

وهناك عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّمَطِيُّ الْمِكنَاسِيُّ (ت ٨٨٠ هـ) من أَهْلِ فَاسَ لَهُ تَقَايِيدُ عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ (ص ٢٢٠). ثُمَّ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَشْدَالِي (ت ٨٦٦ هـ) لَهُ: تَكْمَلَةٌ حَاشِيَةٌ أَبِي مَهْدِي الْوَانُوغِي عَلَى الْمَدُونَةِ - مُخْتَصَرِ الْبَيَانِ لِابْنِ رَشْدٍ (رَتَّبَهُ عَلَى نَسَقِ مَسَائِلِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَجَعَلَهُ شَرْحاً لَهُ وَرَدَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنْ الْإِحَالَاتِ، فَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالتَّيْسِيرِ؛ وَتَرَكَ مِنْ مَسَائِلِهِ مَا لَا تَعَلَّقَ لَهُ أَصْلاً بِكَلَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَلَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ بَوَاجِهُ) - اخْتِصَارُ أَجْمَاعِ ابْنِ عَرَفَةَ (فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ لِتِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَلَامِ ابْنِ شَاسٍ وَابْنِ الْحَاجِبِ. ثُمَّ شَرَحَ هَذِهِ مَعَ زِيَادَةِ شَيْءٍ يَسِيرٍ تَمَّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ ابْنُ عَرَفَةَ). ثُمَّ هُنَاكَ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْعِلْمِيُّ الْقُسْنَطِينِي (ت ٨٨٨ هـ) لَهُ: تَقَايِيدُ عَلَى الْمَدُونَةِ - مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ - الرَّسَالَةِ. وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ الْإِمَامَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ السَّنُوسِي (ت ٨٩٥ هـ) لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا: شَرَحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ - مَكْمَلُ إِكْمَالِ الْإِكْمَالِ - نُصْرَةُ الْفَقِيرِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ (بِالتَّصْغِيرِ!) - شَرَحُ الْوُغْلِيْسِيَّةِ - نَظْمٌ فِي الْفَرَائِضِ - تَعْلِيقٌ عَلَى (مُخْتَصَرِ!) ابْنِ الْحَاجِبِ - شَرَحٌ عَلَى الْخَوْفِيَّةِ (فِي الْفَرَائِضِ). وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْأَزْرَقِ (ت ٨٩٦ هـ) (***) شَفَاءُ الْغَلِيلِ فِي شَرَحِ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. وَهُنَاكَ أَحْمَدُ بْنُ زَكْرِيَا التَّلْمَسَانِي (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ مَسَائِلُ الْقَضَاءِ وَالْفُتْيَا.

وهناك أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّقَطِي الْمَالَقِي، كَانَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ، لَهُ كِتَابٌ فِي الْحِسْبَةِ. وَمِنْ فُقَهَاءِ هَذِهِ الْحِقْبَةِ مُحَمَّدُ بْنُ (مُحَمَّدِ بْنِ) يُوسُفَ الْمَوَاقِ (ت ٨٩٧ هـ)، عَالِمٌ غَرْنَاطَةَ فِي وَقْتِهِ، لَهُ: شَرَحُ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. ثُمَّ يَأْتِي هُنَا أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفُ بَرْزُوقٍ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ: شَرَحٌ عَلَى رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ (مصر ١٣٣٢ هـ). وَقَدْ أوردَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ كُنُونٌ (ص ٢١٨) عِدداً مِنَ الْكُتُبِ فِي الْفِقْهِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ لَمْ يُسَمِّزْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (راجع أيضاً شذرات الذهب ٧: ٣٦٣).

وَأَبِي سَالِمٍ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَلَالٍ (ت ٩٠٣ هـ) شَيْخٌ سَجَلَمَاسَةٌ وَمُفْتِيهَا: كِتَابُ

المناسك (فاس ١٣١٨ هـ) - فتاوى (ص ٢١٧ ثم بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٤٨).

وكان محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) من القائمين بنشر الإسلام وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المغرب نفسه ثم في بلاد السودان فدخل بلاد أهر وبلاد كنو وكشن ثم رحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى بلدة كاغو واجتمع بسطانها ساسكي محمد الحاج؛ له تصانيف منها: مغني النبيل شرح مختصر خليل - إكليل المغني (حاشية على مختصر خليل) - أحكام أهل الذمة. وكان له شعر يسير عادي عليه جفاف لُغة العلماء (راجع في ذلك كله نيل الابتهاج ص ٣٣٠ - ٣٣٢). من هذا الشعر في إنكار صيحة المنطق والاكتفاء بقول الشرع (وقد كتب بذلك إلى الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١):

سَمِعْتُ بِأَمْرِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ؛	وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ ^(١) .
أَيَمُكُنُ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ	وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ ^(٢) ؟
هَلِ الْمُنْطَقُ الْمَغْنِيُّ إِلَّا عِبَارَةٌ	عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ ^(٣) .
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ؛ وَهَلِ تَرَى	دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لَشَكْلِهِ ^(٤) ؟
خَذِ الْحَقَّ حَقًّا مِنْ كُفُورٍ، وَلَا تُقِمِّ	دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ ^(٥) .
عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ، لَا الْعَكْسُ، فَاسْتَبِينَ	بِهِ لَا بِهِمْ، إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجَلِهِ ^(٦) .

وَفِي سَنَةِ ٩٠٩ هـ صَنَّفَ يَوْسُفُ الدِّلِيلِيُّ الْبِرْغَمَاوِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَجِيزِيُّ الْحَنْفِيُّ كِتَابَ

- (١) الحديث (القول المروي عن رسول الله) أو كل قول آخر. حكمه حكم أصله (تكون مرتبته في الصحة كمنزلة راويه (أو قائله) من الصدق والثقة.
- (٢) الفرقان: القرآن الكريم. ينهى عن الفرقان في بعض قوله (يجعل أقوال الرسول - في بعض الأمور - فوق قول القرآن، كالذين يقولون إن السنة أو أقوال الرسول وأفعاله، تنسخ بعض ما جاء في القرآن).
- (٣) المنطق «طريق» للوصول إلى الحق أو لاستخراج المجهول من المعلوم.
- (٤) معاني المنطق (أحكامه) مأخوذة من الكلام المؤلف (ولكن مرتبة على منهج مخصوص). والدليل الصحيح (على صحة حكم) يقاس بدليل آخر قام على صحة حكم آخر.
- (٥) لا تحكم على إنسان بمسلك شخص آخر (ولو كانا رافقين أو جارين أو من أتباع دين واحد).
- (٦) نحن نعرف مكانة كل إنسان بما في قوله من الصواب، ولا نعرف صواب القول من منزلة قائله عندنا. لأجله = لأجل الحق.

المِهْمَات في العبادات (في الفقه الحنفي). ولأبي الحسن علي بن القاسم الشجبي الزقاق (ت ٩١٢ هـ): المنهج المنتخب إلى أصول المذهب - لامية (في واجبات القاضي). وعلى هذين المصنفين شروح كثيرة معظمها مطبوع (بروكلمان ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٦؛ الزركلي ٥ : ١٣٧ = ٤ : ٣٢٠).

ومن مشاهير الفقهاء أحمد بن يحيى التلمساني الوشريسي (ت ٩١٤ هـ) له: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك - المنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق (في آداب المؤثق - طبع فاس ١٢٩٨ هـ؛ في نشرة المراسلات الافريقية بالفرنسية ١٨٨٤ م) - المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ؛ الوثائق المراكشية بالفرنسية، باريس ١٩٠٨ م) - أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبة والزواج (منشأ بألمانية ١٨٦٦ م) - كتاب الأقضية (نشره مركز الدراسات العليا في المغرب، المجلد الثامن، ١٩٣٧ م).

وفي هذه الحقة يأتي محمد بن عبد الله اليفرنسي المكناسي (ت ٩١٧ هـ) قاضي فاس، له المجالس (في الفقه) - التنبيه والإعلام فيما قضى به القضاة وأفق به الأحكام من الأوهام (ص ٢١٨). ولابن ميمون الإدريسي (٩١٧ هـ) رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملته القرآن (ص ٢١٧). ومن الفقهاء والمكثرين في التأليف محمد بن أحمد بن غازي الفاسي المكناسي (٨٤١ - ٩١٩ هـ) (***)، له في الفقه: تحرير المقالة في نظائر الرسالة (رسالة آبن أبي زيد القيرواني) وهي منظومة - الكليات الفقهية. ولإبراهيم الفجيجي (ت ٩٢٠ هـ) (***) المفيد في الفقه. وفي هذه الحقة أيضاً ممن لا نعرف زمنهم بالدقة أبو منصور المغراوي السجلماسي، له المسائل الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية. ثم هنالك عبد النور العمراني، له تقييد على المدونة - فتاوى. وربما دخل في هذه الحقة القاضي محمود كمت بن المتوكل كمت الكرمي داراً التنبكتي مسكناً الوعكري الصنهاجي (٨٦٥ - ٩٥٥ هـ)، ولعله قد بلغ أشده في سنة ٩٢٥ هـ، له تقييد على مختصر خليل. وربما دخل فيها أيضاً محمد بن محمد الرعيني الخطاب

(**) له ترجمة في هذا الجزء.

الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ)، أصله من المغرب ومولده ومنشؤه في مكة ووفاته في طرابلس (ليبيا)، وهو فقيه مالكي من علماء المتصوفين، له: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل - إرشاد السالك المحتاج إلى بيان المعتمر والحاج - هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج (أورد بركلان ٥٢٦: ٢)، هذين العنوانين على أنها كتابان مستقلان) - تحرير الكلام في مسائل الالتزام (فاس ١٣٠٥ هـ) - شرح نظائر رسالة ابن أبي زيد (لابن غز) - مواهب الجليل في شرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل (مصر: مطبعة السعادة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ؛ المطبعة الميمنية ١٣٣١ هـ).

ومن فقهاء الإباضية أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، من جيطال في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) له قناطر الخيرات (يصف فيه مرور المؤمنين على مقامات سبع عشرة من قناطر الصراط حتى يصلوا إلى الجنان؛ القاهرة ١٣٠٧ هـ) - قواعد الإسلام (القاهرة، بلا تاريخ) مع شرح لعبد الله بن محمد الكسي. ثم هنالك أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدماري تلميذ أبي سكن عامر الشماخي. صنّف البرادي، سنة ٨١٠ هـ؛ «الجواهر المنتقاة من إتمام ما أخل (أخل) الدارجيني به (في) كتاب طبقات المشايخ (راجع ترجمة الدارجيني، ت ٦٧٠). ثم يأتي أشهر مصنفي الإباضية أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي اليفري العامري (ت ٩٢٨ هـ)، له: كتاب السير (مختصر ثم تكملة لكتاب السير) (*) لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني الإباضي المتوفى سنة ٤٧١ هـ ومن كتاب طبقات المشايخ للدرجيني المتوفى سنة ٦٧٠ هـ ومن كتاب الجواهر المنتقاة للبرادي) - سرد الحجة على أهل القفلة. وهنالك مصنف إباضي آخر، لعله من هذه الحقبة، هو سالم بن سعيد الصائفي (أو الصائفي؟) له: «لباب الآثار الواردة عن مشايخ (المشايخ؟) المتأخرين الاخيار (في الأديان).

أصول الدين وعلم الكلام

وفي الفقهاء من يغلب عليه علم الكلام (في تخريج الأدلة أو في سياقة الجدال، وفي

الدفاع عن الرأي المُعْتَقَدِ أو الردُّ على آراء المُخالفين في الاعتقاد) أو يَغْلِبُ عليهم التصوُّفُ (من إقامة الأحوال الروحية مكانَ الأسباب المادية). من هؤلاء جميعاً عبدُ الحكيم بن برّاجان الأندلسي له «شرحُ الأسماء الحسنى». ومنهم مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ التُونِسِيِّ السَّكُونِي (ت ٧١٦ هـ) له «لحن العوامِّ فيما يتعلَّق بعلم الكلام». ومنهم المتصوِّفُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَرْحُونٍ (ت ٧٤٦ هـ) له: الزاهر (ديوان شعره) - التصدير والتعجيز (أو التذليل) : وكذلك منهم أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرْسِيِّ الأندلسي (ت ٧٥١ هـ) له «زهرُ الكيماء في قصَّة يوسفَ عليه السلام» (وهي مقاماتٌ فيها شواهدٌ من القرآن الكريم والحديث ومن التأمل والأخلاق وأشياء من القصص، شعراً ونثراً مسجوعاً). وقد كان لهذه القصَّة شهرةٌ (طُبعت في بودابست سنة ١٨٨١ م؛ القاهرة سنة ١٢٢٧، ١٣٠٦، ١٣٤١ هـ).

ويبدو أنَّ كُتِبَ الأصول (أصول الدين وأصول الفقه) كانت في هذه الحِقْبَةِ قليلةً. ففي هذا الباب يدخل مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْبَقَالِ (ت ٧٢٥ هـ) من أهل تازة ثم سكن فاس. وكان مُلِمّاً بعددٍ من فنون العلم ولكنّه اشتهر بالأصول، له «الأجوبة في التفسير والأصول». وهناك مُعاصِرُهُ ابْنُ الشَّاطِطِ الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) له «أنوارُ البروق في تعقُّب القواعد والفروق». وفي هذه الحِقْبَةِ أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ الرَّعِينِي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الأندلسي الأصل الفاسي الدار مولداً ووفاةً، له: اختصار المُقَدِّمَاتِ المُهَيَّجَاتِ (لابن رشد) - اختصارُ حدود الشيرازي - الأسئلة والأجوبة - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتقاد في الجهاد. وكذلك لعبسَدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْوُغْلَيْسِيِّ (ت ٧٨٦ هـ): المُقَدِّمَةُ (أو العقيدة) الوغليسية - رسالةٌ في الإيمان والإسلام.

وقد مرَّ الكلامُ على الإمام المشهور أبي إِسْحَاقَ الشَّاطِطِي (ت ٧٩٠ هـ) عندَ الكلامِ على الفقه.

وتَبَرُّزُ الإشارةِ هنا إلى أنسلمو تورميذا الذي وُلِدَ في جزيرة مَيُورْقَة وتعلَّم في لاردة (إسبانية) وبولونيا (إيطالية) وأَصْبَحَ راهباً فرنسيسكانياً. وكان قد صَنَّفَ مُنَاطِرَةً باللغة الكاتالانية (لهجة شَالِيّ شرقيّ إسبانية) اسمُها «الجدالُ بين الحمار

والفرنسيسكاني أنسلمو تورميذا». وقد نَصَحَهُ الأسقفُ نقولا مارتل بأن يعتنقَ الإسلام - وكان الأسقفُ مارتل نفسه مسلماً في قلبه. فانتقل أنسلمو إلى تونس سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) - قبلَ خروجِ العرب من الأندلسِ باثنين وسبعين عاماً - واعتنق هنالك الإسلامَ وتسمّى عبد الله بن عبد الله، وعُرف بالترجمان الميورقي^(١)، ثم صَنَّف رسالةً عنوانها: تُحفة الأريب (أو اللبيب) في الردّ على أهل الصليب.

وهناك أيضاً يحيى بن إبراهيم بن عمر الرقيلي من أحياء القرن التاسع له: تجريد الملة (في الردّ على اليهود) - كتابُ المُجادلة مع اليهود والنصارى.

ومن علماء الكلام في القرن التاسع أبو حفص عمر بن جماعة الإباضي له كتاب في العقيدة عليه عددٌ من الشروح. ثم هنالك عبد العزيز بن عبد العزيز اللمطي المكناسي (ت نحو ٨٨٠ هـ) له نظمٌ في المنطق وفي الأصول وفي الفقه. وله تقايد على « مختصر خليل » (في الفقه).

ولأحمد بن عبد الله الجزائري الزاوي (٨٠٠ - ٨٨٤ هـ) قصيدةٌ في التوحيد (علم الكلام) تُلَفَى بعناوينَ مختلفة: المنظومة الجزائرية - القصيدُ - كفاية المريد (وهي نيّف وأربعمئة بيتٍ شرحها كثيرون). ومن المُكثَرين في التّأليفِ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروفُ برزّوق (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ) من أهل فاس، ولكنه توفي في تكرين بجوار طرابلس (ليبيا)، له كُتُبٌ منها: شرح مختصر خليل - شرح رسالة أبي زيد القيرواني - الجُنة للمعتصم من البدع بالسنة^(٢) - شرح العقيدة القدسيّة، الخ. ولأبي العباس أحمد بن محمد الفاسي (٩)

- (١) يذكر عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي في هذه الرسالة بلده ومنشأه ثم رحلته ودخوله في الإسلام في أيام الأمير الحفصي (في تونس) أبي العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ) وأيام ابنه أبي فارس عزّوز (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) ويبيّن مقصود الرسالة في تسعة أبواب (ست وثمانين صفحة): وقد طبعت هذه الرسالة في لندن بلا تاريخ. وطبعت في تونس ١٢٩٠ هـ وفي مصر ١٨٩٥ م و١٩٠٤ م (راجع بروكلمان ٢: ٣٢٢ - ٣٢٣، الملحق ٢: ٣٥٢، معجم المطبوعات العربية ٦٣٠ عن كشف الظنون).
- (٢) الجُنة (بالضم): الوقاية. البدعة: الأمر المحدث في الدين كما لا يتفق مع المروي في الدين (وإن كان هنالك بدعة حسنة لا ضرر منها ثم بدعة سيئة). السنة: قول رسول الله وعمله.

أرجوزة « في أن اللغة فضيلة الإنسان » (في المنطق!) صنّفها سنة ٩٠٠ هـ. ثم هنالك أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت ٩٠٦ هـ) أو قبل ذلك بقليل (راجع الأعلام للزركلي، ط ٤، ٢٣١:١) والحاوية التي معه). ولا بن زكري هذا: مؤصل المقاصد (أرجوزة) - بُغية الطالب - المسائل العشر المسماة ببغية المقاصد وخلاصة المراسد (بروكلمن، الملحق ٢: ٢٥٧).

التصوف

وحينا تضعفُ السُّلطة السياسيّة أو تحتلّ الحياة الاجتماعيّة تتسعُ الأحوالُ الصوفيّة، لأنّ الذين يَعْجِزون حينئذٍ عن القيام بالإصلاح الاجتماعي أو يقصّرون في دفع عجلة القوّة المادّيّة يعتزلون الحياة العامّة ويسترون عجزهم بالتظاهر بحياة التقوى والتوكّل.

ففي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن كان ابن الرّقام شمسُ الدين أبو الفضل القاسم بن سعد السبتي التونسي (ت ٧٠٥ هـ)؛ له: اصطلاحُ الصوفيّة والتنبيه على مقاصدهم الجزئيّة والكليّة - تكملةُ الأنوار من علوم المُجَرِّبين الأبرار. وكذلك كان محمد بن أبي القاسم الحِميريّ (بروكلمن ٢: ٣٢٧) المعروف بابن الصبّاغ، له دُرّة الأسرار وتُحفّة الأبرار في مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي (تونس ١٣٠٤ هـ).

وفي هذه الحِقبة ابنُ الحاجّ الفاسيّ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدريّ القيروانيّ التلمسانيّ (ت القاهرة ٧٣٧ هـ) له: شمسُ الأنوار وكُنوز الأسرار (الكبرى: سحر وطلاسم) طبع في مصر ١٢٩٧ هـ ثم ١٣٢٩ هـ. - المُدخل أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها أكثرها ممّا يُنكرُ وبعضها ممّا يُحتمل (طبع في الاسكندرية ١٢٩٧ هـ والقاهرة ١٣٢٠ هـ) - بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله الحسنى.

ونجدُ في القرن الثامن أبا عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي، عاش في النصف الأوّل من القرن الثامن، له: كنز الأسرار ولواحق الأفكار - التُحفّة الظريفة في الأسرار الشريفة. وكذلك نجدُ لعلّي بن عمّر الهواريّ التونسيّ « مناقب الصالح عياد

الزيّات». ونجد أيضاً عُمَرَ الجزائريّ الرشيديّ، جاء إلى تُونِسَ سَنَةَ ٧٥٧ هـ، وصنّف ابتسام العروس ووَشَيَّ الطُّروس في مناقب أبي العباس أحمد بن عروس (تونس ١٣٠٣ هـ) - قَمَعَ النفوس من كلام ابن عروس - ديوان (القاهرة ١٨٨٠ م).

وفي هذه الحِقْبَة كان جمال الدين أبو الحاسن يوسف بن عليّ الندروميّ (من ندرومة قرب وهران بالجزائر اليوم) له قَبَسُ الأنوار وجمَعَ الأسرار (في معاني الحروف في أسماء النبات والحيوان) صنّفه سنة ٧٨٦. وفيها الفقيه الخطيب العارف المحقّق أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبّاد (***) النَّفْزِيُّ الرُّنْدِيُّ (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ).

وكان فيها أيضاً أبو العباس أحمد بن يوسف التُّجَيْبِيُّ بن البناء السَّرْقُسطِيُّ الفاسيّ (توفي في فاس قُبيل مبدأ القرن التاسع) نظم في التَّصَوُّف، له: المباحث الأصلية عن جملة الصوفية. وفيها أحدُ التَّادِيّ المتوفّي في تُونِسَ بُعيدَ القرن الثامن، له: مناقب الصالحة عائشة بنت عمران المنويّ. ثم هنالك محمد بن محمد بن يعقوب الكوميّ التُّونِسِيّ، صنّف بُعيدَ ٨١٠ هـ «تيسير المطالب ورغبة الطالب».

ومن المتصوّفة المشهورين المُكثَرين من التَّأليف شهاب الدين أبو العباس أبو الفضل أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى بن زَرْوَقِ الحضار البرنسي الفاسي (ت ٨٩٩ هـ)، له: الكِنَاش (أصول الحقيقة والطريقة، مطبوعاً مع شرح بقلم محمد بن أحمد الخروبيّ وبعنوان: قواعد التَّصَوُّف، القاهرة ١٣١٨ هـ) - النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية (القاهرة ١٢٨١ هـ) - المَقْصِدُ الأسمى فيما يتعلّق بمقاصد الأسماء (الأسماء الحسنی) - المَقْصِدُ الأسنی في شرح الأسماء الحسنی - الوظيفة^(١) الزرّوقيّة - وظيفة - دعاء - دعاء الصباح ودعاء المساء - نصائح - مفاتيح العزّ والنصر في التنبيه على بعض ما يتعلّق بحزب البحر^(٢): سفينة النجا (النجاة) فيمن إلى الله التجا (التجا) - شرح حزب البحر - عمدة (عدّة) المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر خواصّ الوقت - شرح القصيدة النونية^(٣) - شرح عقيدة

(١) الوظيفة: أدعية دينية معيّنة يقرأها صاحبها في أوقات راتبة (بأستمرار في أوقات معلومة).

(٢) «حزب البحر» لأبي الحسن عليّ بن عبد الله الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ).

(٣) يذكر بروكلمن «شرح القصيدة النونية» هذه، الملحق ٢٦٢: ٢ ثم يُحيل (للقصيدة النونية) على ١: =

الغزاليّ - أرجوزة في عيوب النفس - تمهيد (تأسيس) عقائد التصوّف وأصوله (أعاد صوغه وحرّره عليُّ بنُ حسام الدين المتقي الهنديّ بعنوان: قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة) - مكاتبة إلى كافّة الفقهاء (في الشروط الخمسة للقبول في الطريقة) - الذِكر (الحقيقي) - الدُررُ المنتخب في الأدوية (الأدعية؟) المُجربة - الجامع لجُمَلٍ من الفوائد والمنافع - المواهب السنيّة - المباحث السنيّة في خواصّ منظومة نور الدين الدميّاطي (نظم أسماء الله الحُسنى) - الكشف - شرح الحكم العطائية^(١) - شرح المقدمة الوغليسيّة^(٢).

وفي سنة ٨٣٠ هـ صنّف محمّدُ المفضّلُ بنُ الهادي بنِ أحمد بنِ عزّوزٍ «كشف الران»^(٣) عن فوَادٍ مانع الزيارة ومدّعي تفضيل الوظيفة على القرآن والدليل (على ذلك) والبرهان. وفي سنة ٨٦٠ هـ صنّف عليُّ بنُ عيسى بنِ سلامة البُسكريّ «اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار».

وفي هذه الحِقبة أيضاً إبراهيمُ التازيُّ الوهراني (ت ٨٦٦ هـ) له: النُصح التامّ للخاصّ والعامّ (قصيدة في المواعظ والحكم) - المرادية (٢). وله في هذا الجزء ترجمة مفردة. ومن المتصوّفة المشهورين أبو عبد الله محمّد بنُ سُلَيْمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ) صاحب «دلائل الخيرات» (بروكلمن ٢: ٣٢٧) له ترجمة مفردة.

وهناك محمّد بنُ محمّد بن يعقوب الكومي التونسي (ت بعد ٨٨٠ هـ) له: تيسير المطالب ورغبة الطالب (في أسرار الحروف) - الإيماء إلى علم الأسماء (بروكلمن ٢:

= ٤٨٤ (الترقيم للطبعة الأولى) أو ١: ٦٣٧ - ٦٣٨ (الترقيم للطبعة الثانية). ثم وقعت في بروكلمن، الملحق ١: ٤٨٤ على «القصيدة النونية» لأبي الحسين عليّ بن عبد الله الششتري المتصوّف (ت ٦٦٨ هـ). وفي نفح الطيب (٢: ١٨٦ - ١٨٧): وقال (الششتري)، وهي من أشهر ما قال: «أرى طالباً منّا الزيادة لا الحسنى.....»، وهي طويلة مشهورة في الشرق والغرب، وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا (كذا ثلاث مرّات) العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق.

- (١) الحكم العطائية لأحمد بن محمّد بن عطاء الله الاسكندري (ت ٧٠٩ هـ) المتصوّف.
- (٢) المقدمة الوغليسيّة (في الأصول: أصول الدين) لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت ٧٨٦ هـ).
- (٣) الران: الفطاء والحجاب الكثيف. الزيارة (لقبر الرسول في المدينة). الوظيفة (راجع الحاشية على الصفحة السابقة). على القرآن (على قراءة القرآن).

(٣٢٨)؛ وفي سنة ٨٩١ هـ صَنَّفَ أبو النجم ركن الدين الخطيب المغربي «عقائد الحقائق».

ومن أكابر رجال التصوّف الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (نسبة إلى قبيلة من المغرب) التلمساني الحسني (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) كان متعدّد نواحي الشخصية مُلماً بعدد كبير من علوم الدين ومن علوم الدنيا حتّى أنيساغوجي (المُدخل إلى المنطق) والفلسفة والطبّ وعلم الجبر والمقابلة وعلم الأسطرلاب (الفلك). ولكنه آنفرد بعلم الباطن (التصوّف) وفاق به أهل بلده وزمنه. ومن أقواله:

« من الغرائب في زماننا هذا أن يُوجد عالمٌ جُمع له علم الظاهر (الفقه) والباطن (التصوّف) على أكمل وجه بحيث يُنتفع به في العلمين. فوجود مثله في غاية النُدور. فمن وجده فقد وجد كنزاً عظيماً دُنيا وأخرى فليشدّ عليه يده لئلاّ يضيع عن قريب فلا يجد مثله شرقاً وغرباً أبداً - الولي الحقيقي من لو كُشِفَتْ له الجنة وحورها ما ألتفت إليها ولا ركنَ لغيره تعالى. فهذه حقيقة العارف. - حقيقة العبودية امتثال الأمر واجتناب النهي مع كمال الذلّة والخضوع ».

وللإمام السنوسي من الكتب: شرح الفاتحة - شرح صحيح البخاري - مكمل إكمال الإكمال (شرح على صحيح مسلم) - شرح الفرائض الخويّة - المقرّب المستوفي في شرح فرائض الخوفي - شرح كلمتي الشهادة - الدليل على أن الشهادتين تجمعان جميع صفات الله ورسوله - شرح أسماء الله الحسنى - العقيدة الكبرى = عقيدة أهل التوحيد والتسديد المُخرجة من ظلمات الجهل وربقة (ربقات) التقليد المرغمة أنف كلّ مُبتدع عنيد، القاهرة ١٣٠٦ - شرحها للسنوسي نفسه (أعمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوحيد) مصر ١٣١٧ هـ. - العقد الفريد (المنهاج السديد)؟ - العقيدة الوسطى (السنوسية الوسطى = الجمل = المرشدة) مع شرح لها للسنوسي - حاشية عليها لمحمود المقدسي، تونس ١٣٢١ هـ. - العقيدة الصغرى = عقيدة أهل التوحيد الصغرى = أمّ البراهين في العقائد (مختصر محتو على عقائد التوحيد)، ليبسك ١٨٤٨ م، الجزائر ١٨٩٦ م، فاس (مراراً)، فاس (في مجموعة) ١٣١٧ هـ، جاوى ١٣١٨ هـ، مصر ١٢٧١، ١٢٧٣، ١٢٨٨، ١٢٩٧،

١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ - شرحُ عليها للسنوسي: توحيد أهل
العرفان ومعرفة الله ورسوله والبرهان (بالبرهان)، تراي (قرب باري في إيطالية)
١٩١٤ م - مع شرح لها باللغة الملاوية لزين العابدين محمد بتّاني،
بنانع ١٣١٠ هـ - شرح (بالأردو)؟ لمحمد زين بن جلال الدين ()
بومبائي ١٣١٠ هـ - (نشره غابرييلي)، تراي (قرب باري في إيطالية)
١٩١٤ م - (نشرها هورتن في «نصوص قديمة» رقم ٣٩) بون (ألمانية)
١٩١٦ م - (نشرها لوشيان في المجلة الإفريقية وعلّق عليها باللغة الفرنسية) الجزائر
١٨٩٦ م (راجع معجم المطبوعات العربية ١٠٥٨، قارنه ببروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٣:
المجلة الإفريقية، رقم ٤٢، عام ١٨٩٨ م) - حاشية لمحمد بن أحمد الدسوقي (ت
١٢٣٠ هـ)، بولاق ١٢٨١، ١٢٩٧؛ القاهرة ١٢٩٠، ١٢٩٥، ١٣٠٥، ١٣٠٦،
١٣١٤، ١٣١٥، ١٣٣١ الخ - حاشية لإبراهيم الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ)،
بولاق ١٢٧٢، ١٢٧٧، ١٢٨٠، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٣، ١٢٩٨، ١٣٠٠، ١٣٠١،
١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣٣٠ (مع شرح أحد
الأجهوري على الهامش) ثم (طبع حجر) القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٨،
١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣١٨ هـ - حاشية لعبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت ١٢٢٧ هـ)،
القاهرة ١٢٩٢ هـ - حاشية لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي العريف (ت
١٠٩٦ هـ) في مجموعة، فاس ١٣٠٦ - ١٣٠٨ هـ - حاشية: ذريعة اليقين إلى أمّ
البراهين لمحمد بن عمر النوويّ الجاويّ، القاهرة ١٣١٣ هـ، مَكّة ١٣١٧ هـ - حاشية
لمحمد زين، الاستانة ١٣٠٢ هـ - حاشية: سراج الهدى لمحمد زين السماوي (باللغة
الملاوية)، مَكّة ١٣٠٣ هـ.

وللإمام السنوسي أيضاً: المقدمة (في الفلسفة: الإلهيات والتوحيد، نشرها
لوشيانو) الجزائر ١٩٠٨ م - شرح المقدمة (شرحها السنوسي) - مختصر المقدمة
(المواهب الربانية، شرحها إبراهيم بن الحسن البنّاني السرقسطي) مطبوعة على هامش
«العقيدة الصغرى»، القاهرة ١٣٠٤، ١٣٢٢ هـ - نصره الفقير = نصره أهل الدين
وأهل اليقين على من تعرّض في التطريق (؟) (في الردّ على أبي الحسن الصغير،

بالتصغير؟، المكناسي) - عمدة ذوي الألباب - كتاب الحقائق - جواب عمّن (؟) سأله عن وزن الأعمال - صلوات - رسالة (بلا عنوان) - جواب عن سؤال عن أبيات لبعض الصوفية - ترجمة (؟) المقامة النبوية - جواب على سؤال أُلقيَ على بعض الأخيار في النوم - المُجَرَّبَات (الحلّي بالمجربّات)، بولاق ١٢٧٩ هـ، مصر ١٢٩٦، ١٣١٦ هـ؛ (بهاشم مجربّات الديري) القاهرة ١٣١٨ هـ - شرح كتاب ايساغوجي (شرح الايساغوجي) - مختصر علم المنطق (مع حاشية الباجوري على شرح السنوسي على مختصر السنوسي في علم المنطق)، ضمن مجموعة، مصر ١٢٩٢ هـ - مختصر المنطق مع شرحه للسنوسي نفسه، حاشية على الشرح لمحمد بن الحسن البنّاني السرقسطي (ت ١١٩٤ هـ)، فاس ١٣٠٢ هـ - حاشية على مختصر المنطق للباجوري، القاهرة ١٢٩١، ١٣٢١ هـ - الطبّ النبوي = تفسير ما تضمّنته كلمة (١) خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطيّبة - شرح على حديث «المعدة بيت الداء».

ومن المؤلّفين في التصوّف، في هذه الحِقبة بركاتُ بن أحمد بن محمد العروسي النجّار القسنطينيّ، كان في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، له: وسيلة المتوسّلين في الصلاة على سيّد المرسلين - تذكرة الغافل وتبصرة الجاهل.

ومن الذين ألّفوا في التصوّف أبو عبد الله محمد بن محمد بن السكّاك المكناسيّ (ت قبيل ٩١٤ هـ) له استنزال اللطائف الرضوانيّة - نصّح ملوك الإسلام بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام - أسلوبٌ من الكلام على «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله». ويأتي في هذه الحِقبة أبو عبد الله محمد بن محمد الصبّاغ قاضي القضاة في القلعة (في القطر الجزائريّ) كان في أوائل القرن العاشر، وقد صنّف بُستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرشيد (دفن مليانة بالقطر الجزائريّ نحو سنة ٩٢٠) - شفاء الغليل - شرح على الذِكر - وله أقوالٌ نشرها رينيه باسّ، باريس ١٨٩٠ م.

ثمّ هنالك الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن صغدي التلمساني^(١) (ت مصر ٩٠١ هـ)

(١) راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٢، وفيه بن سعد (خطأ في الطبع)، ثم الأعلام للزركلي ٢٣١: ٦ (٥): (٣٣٥).

تلميذ السنوسي، له: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب - روضة السُرين في مناقب الأربعة المتأخرين (الهواري)، وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الغماري) - مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي عليه السلام.

وعاش في النصف الأول من القرن العاشر برهان الدين إبراهيم بن محمود الشاذلي (ت نحو ٩٠٦ هـ) له: أصول مقدمات الوصول - حزب المغرب - التفريد بضوابط قواعد التوحيد.

التاريخ والجغرافية

يلي اتّساع التأليف في العلوم الدينية، في عصر بني نصر، اتّساع التأليف في التاريخ لأنّ التاريخ من الفنون التي يتأسى بها الناس في أيام ضعفهم. فعن أوائل الذين اشتغلوا بكتابة التاريخ في هذا العصر يوسف بن محمد البياسي (ت ٦٥٤ هـ)، له الإعلام بالحروب في صدر الإسلام. وفي أيامه كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي (***) (ت ٦٥٨ هـ) الذي كثرت تصانيفه في التاريخ السياسي والتراجم وفي تاريخ الأدب. ثم يأتي أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد القنسي (***) (ت ٦٨٥ هـ) آخر الذين عملوا في تأليف كتاب «المغرب في حلى المغرب»، له «كتاب الجغرافية» (بيروت - المكتب التجاري ١٩٧٠ م). ولعبد العزيز بن محمد المزوي (***) (ت ٦٨٥ هـ) كتاب في تاريخ المغرب لا نعرف له عنواناً خاصاً. ثم يأتي أبو محمد العبدي البلسني (***) صاحب «الرحلة المغربية» التي بدأ القيام بها سنة ٦٨٨ للهجرة.

فإذا انتقلنا إلى القرن الثامن وجدنا أبا العباس الغبريني (***) (ت ٧١٤ هـ) صاحب «عنوان الدراية فيمن عرفت من العلماء في المائة السابعة ببجاية» (في القطر الجزائري اليوم)، وهو كتاب تراجم؛ ثم وجدنا ابن عذاري (***) (ت ٧٢٥ للهجرة، في الأغلب)، وله «البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب»، سرد فيه أولاً تاريخ المغرب ثم تاريخ الأندلس. وهناك أبو الحسن علي بن عبد الله (أو ابن محمد) الفاسي (***) (ت ٧٢٦ هـ) له «الأنيس المطرب برؤوس القُرطاس في أخبار ملوك

المغرب وتاريخ مدينة فاس». وهناك قاضي غرناطة أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي بكر (قتل شهيداً في وقعة طريف، ٧٤١ هـ) له «التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان بن عفان» - وكأنه نظر عند تأليف هذا الكتاب إلى موته هو شهيداً. ولأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي (**) رحلة (٧٣٦ - ٧٤٠ هـ) سمّاها «تاج المفرق بتخليّة علماء المشرق» وقد ملأها بالسجع. ويأتي هنا أيضاً أبو الحسن عليّ الجزنائي (**) (ت ٧٤٩ هـ) له «زهر الآس» (في بناء مدينة فاس). وفي هذا العصر المؤرخ الموصي لسان الدين بن الخطيب (**) (ت ٧٧٦ هـ) والرحالة ابن بطوطة (**) (ت ٧٧٩ هـ)، وشهرتهما في فنونها واسعة. ولأبي زكريّا يحيى بن محمد بن خلدون (**) (قتل بيلمسان، سنة ٧٨٠ هـ)، له «بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد». ثم هنالك لعبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت ٧٩٢ هـ) «عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب».

ومن كبار المؤرخين مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون (**) (ت ٨٠٨ هـ). ويأتي هنا أبو الفضل أبو القاسم إبراهيم البرادي تلميذ الشيخ عامر السماخي (ت ٧٩٢ هـ). وقد صنّف البرادي، سنة ٨١٠ هـ، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحلّ به كتاب الطبقات (القاهرة ١٣٠٢ هـ). وكتاب الطبقات المشار إليه هنا، هو «طبقات المشايخ» (في حياة الرسول والصحابة والأئمة الرُستميّين وعلماء الإباضية) لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرّجيني، ألفه الدرّجيني بعيد سنة ٦٢٦ للهجرة.

ومن أسرة بني نصر (أو بني الأحمر) في غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد (**) (ت ٨١٠ هـ، في الأغلب) له عدد من كتب التاريخ: نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان - نثر أفراد (٢) الجمان في نظم فحول الزمان (من أحياء المائة الثامنة) - مشاهير بيوتات فاس - حديقة النسر في أخبار بني مرين. ولأبي العباس أحمد بن الحسين (أو الحسن) بن عليّ بن قنفذ (ت ٨١٠ هـ) «كتاب الوفيات» مرتباً على السنين، وهو على غاية من الإيجاز. ثم يأتي القاسم بن عيسى بن الناجي القيرواني (ت ٨٣٧ هـ) القاضي، وخطيب جامع الزيتونة، له «معالم

الإيمان» (في أقسام): وصف المساجد القديمة، تاريخ بناء القيروان، وتراجم نفر من المشاهير). وبعد أمد نجد محمد بن علي الشاطبي المغربي الذي صنف، في تازة (في المغرب الأقصى)، سنة ٨٧٠ للهجرة، «عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان». ثم هنالك محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت ٨٩٩ هـ)، له «نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان».

ويأتي أخيراً أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غاز (*) (ت ٩١٩ هـ)، له «الروض الممتون في أخبار مكناسة الزيتون». ثم يأتي في أعقاب هذا العصر أبو العباس أحمد ابن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي القيرواني المتوفى في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) في جمادى الأولى من سنة ٩٢٨ (نيسان - إبريل ١٥٢٢ م)، له كتاب «السيرة» اختصره من كتاب أبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت ٤٣١ هـ) وعنوانه: «السيرة وأخبار الأئمة» (تاريخ أئمة الإباضية في مزاب بجنوبي الجزائر) ومن كتاب الطبقات للدرجيني ومن الجواهر المنتقاة للبرادي (راجع في الدرجيني والبرادي، فوق، ص ٨١) ثم زاد على هذه الكتب تراجم (إلى قريب من زمنه).

والسياسة العامة شديدة الصلة بالتاريخ. ولقد مر بنا شيء من ذلك في الكلام على أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (*) (ت ٥٢٠ هـ) ويحس هنا مدد الكلام قليلاً في أبي حمو موسى (الثاني) بن أبي يعقوب يوسف بن أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان. ويغمراسن بن زيان (٦٠٣ - ٦٨١ هـ) هذا استقل بمدينة تلمسان (القطر الجزائري) بعد ضعف دولة الموحدين وأنشأ سلطنة قرع زيان من بني عبد الواد.

ولدت أبو حمو موسى بن يوسف، سنة ٧٢٣ للهجرة (١٣٢٣ م)، في غرناطة (الأندلس) حيث كان أبوه مبعداً. وفي أواخر سنة ٧٣٦ للهجرة (أواسط ١٣٣٦ م) استولى المرينيون على تلمسان وأزالوا ملك بني زيان. ثم إن أبا حمو موسى بن يوسف استطاع بعد أمد، في صفر من سنة ٧٦٠ (كانون الثاني - يناير ١٣٥٩ م)، وفي حديث طويل، أن يدخل تلمسان ويعيد ملك بني زيان. وجعل أبو حمو موسى

(الثاني) هذا لدولة بني زِيَّان قُوَّةً وَأَبْهَةً. غير أَنَّ الدهرَ لَمْ يَصْنُفْ لَأبي حَوَّ فَنَارَعَهُ
أَوْلَادُهُ ثُمَّ قُتِلَ هُوَ فِي مَبْرَكَةِ الْغَيْرَانِ (على نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ تَلَمَّسَانِ - فِي مُحَارَبَةِ ابْنِهِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ - فِي رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٧٩١ (٢٣ / ١١ / ١٣٨٩ م).

وكان أَبُو حَوَّ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ حَازِماً حَكِيماً وَإِدَارِيّاً عُمَرَانِيّاً وَمُثَقِّفاً مُصَنِّفاً وَصَلَ
إِلَيْنَا مِنْهُ كِتَابٌ قِيمٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ أَسَمَهُ ^(١) «وَاسِطَةُ السُّلُوكِ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ»،
أَلْفُهُ بَيْنَ ٧٧١ وَ ٧٧٧ لِلْهِجْرَةِ (١٣٣٩ - ١٣٧٥ م) وَجَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ: فِي قَوَاعِدِ
الْمُلْكِ وَالْوَصَايَا وَالْآدَابِ وَالْحِكْمِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى طُرُقِ الصَّوَابِ (فِي الْحُكْمِ) - فِي قَوَاعِدِ
الْمُلْكِ وَأَرْكَانِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فِي قِوَامِ سُلْطَانِهِ - فِي الْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ نِظَامُ
الْمُلْكِ وَكَمَالِهِ وَتَبَهُّجَتِهِ وَجَمَالِهِ - فِي الْفِرَاسَةِ (مَعْرِفَةِ خَفَايَا النَّاسِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وُجُوهِهِمْ
وَمِنْ كَلَامِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ) وَهِيَ خَاتِمَةُ السِّيَاسَةِ.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَبَا حَوَّ قَدْ اعْتَمَدَ عِدَّةً مِنَ الْمَصَادِرِ اسْتَقَى مِنْهَا أَحْكَامَهُ وَأُمَثَلَتَهُ
أَبْرَزُهَا أَثَرًا فِي كِتَابِهِ: سِرَاجُ الْمُلُوكِ لِلطَّرْطُوشِيِّ (ت ٥٢٠ هـ) - كِتَابُ الْعِقْدِ لِابْنِ
عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨ هـ) - الْمَنْهَجُ الْمَسْلُوكُ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ ^(٢) - سُلُوكُ الْمُطَاعِ فِي عُدْوَانِ الْإِتِّبَاعِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَفَرٍ الْمَالِكِيِّ
(ت ٥٦٥ هـ).

(١) الأسطر التالية المتعلقة بأبي حَوَّ مُوسَى (الثاني) الزِيَّانِي مستقاة من البحث التالي: النظرية السياسية
للسُلْطَانِ أَبِي حَوَّ الزِيَّانِي الثَّانِي لوداد الْقَاضِي - فِي مَجْلَدِ «الْأَبْحَاثِ» (مَجْلَدٌ يَصْدُرُهَا مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ
الْعَرَبِيَّةِ وَدِرَاسَاتِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ: كَلِيَّةُ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ - الْجَامِعَةُ الْأَمِيرِكِيَّةُ، رَئِيسُ التَّحْرِيرِ:
إِحْسَانُ عَبَّاسٍ - الْجَامِعَةُ الْأَمِيرِكِيَّةُ فِي بَيْرُوتٍ) السَّنَةُ ٢٧ (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م).

(٢) هُوَ جَلَالُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ أَبُو الْفَضَائِلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ نَصْرِ (اللَّهُ) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الشَّيْزِيِّ (نَسَبُهُ إِلَى شَيْزُرٍ - قَرِيبِ حِمَاةٍ فِي شِمَالِي الشَّامِ: سُورِيَّة) التَّبْرِيزِيُّ الْعَدَوِيُّ النَّبْرَاوِيُّ (بَفَتْحِ فَتْحٍ
فِيهَا)، عَاشَ مَدَّةً طَوِيلَةً فِي حَلَبٍ وَكَانَ كَاتِباً عِنْدَ صَلاَحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي طَبْرِيقَةٍ. ثُمَّ
كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٥٨٩ لِلْهِجْرَةِ (١١٩٣ م). وَكَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ نَصْرِ هَذَا مُصَنِّفاً لَهُ: الْمَنْهَجُ الْمَسْلُوكُ
(أَوْ نَهْجُ السُّلُوكِ) فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ (أَلْفُهُ لَصَلاَحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ) ثُمَّ خِلَاصَةُ الْكَلَامِ فِي تَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
(رَاجِعِ بَرْوَكْلَمَنْ ١: ٦٠٣، الْمُلْحَقُ ١: ٨٢٢ - ٨٢٣). وَقَدْ اضْطَرَبَ يُوسُفُ الْيَانُ سَرْكِيْسُ فِي فِهْرِسْتِهِ
الْجَامِعِ «مَعْجَمِ الْمَطْبُوعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَعْرَبَةِ» فَأَوْرَدَ اسْمَهُ فِي أَمْكَتَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَالَ: أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْزَارِيُّ نَبَغٌ فِي حَلَبٍ (سَنَةَ ٥٦٥)، لَهُ خِلَاصَةُ الْكَلَامِ فِي تَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ،
بَارِيْسُ ١٨٦٤ (ص ١١٧٥)؛ وَقَالَ: الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، تَوَفَّى ٥٨٩، لَهُ «الْمَنْهَجُ

وتحاول وداد^(١) القاضي صُنْعَ نظريّةٍ سياسيّةٍ لأبي حنّو تقيّمها على الأسس التالية :
 خُلُقُ الْمَلِكِ : القاعدةُ الرُّباعيّة (الفضائل الأربعة : العقل والشجاعة والعدل ثمّ الكرم
 والحلم والعفو كأنّها شيءٌ واحدٌ ، حتّى يُصنِّحَ العدَدُ هنا أربعةً) . وأما الأساس الثاني
 فهو رعيّةُ الملك (وتُسمّى صاحبُ المقال : القاعدةُ البيروقراطية) ، أي مرافقُ الدولة
 أو حُطَطُها أو مناصبها والموظفون مِنَ الذين يقومون بالعمل في هذه المناصب .
 والأساس الثالث : مالُ الْمَلِكِ (القاعدةُ الاقتصاديّة) أو الجباية وإنفاقُ مالِ الدولة
 وحُسْنُ القيام على هذا المال في جبايته وفي إنفاقه . والأساس الرابع : جيشُ الْمَلِكِ
 (القاعدة العسكريّة) حُسْنُ معاملَةِ الجُنْد والتفطُّنُ لمقاصِدِ العدوّ ولحركاته . والأساس
 الخامس : فَراسةُ الْمَلِكِ (القاعدة السيكلوجيّة) . ولقد أولى أبو حنّو هذا الأساس
 أهمّاماً كبيراً فيما يتعلّق برجاله وأعوانه وبما يتعلّق بمُخصّوميه وأعدائه .

ولا ريب في أن هذا الكتاب - واسطة السلوك في سياسة الملوك (كما يظهر من
 مقال وداد القاضي) - نصائح شخصيّة جمعها أبو حنّو من طريق حياته (من قراءته في
 الكتب ومن اختباره في الإدارة والحرب) . ويبدو أن أبا حنّو قد حاول أن يبيّنها
 تبويباً عاقلاً نافعاً .

ولا يغيب عن المطالع في مقال وداد القاضي أن أبا حنّو قد استفاد من كتاب
 « كليلّة ودمنة » ، كما استفاد من المأثورات عن أفلاطون والواردة في الكتب
 العربيّة . إنّ ما سمّته وداد القاضي : خُلُقُ الْمَلِكِ أو القاعدةُ الرُّباعيّة - وهي العقل
 والشجاعة والعدل ... والحلم ... - إنّما هي الفضائل الأربع عند أفلاطون (ت ٩٧٠
 قبل الهجرة = ٣٤٧ ق.م) ، وإن كان أبو حنّو قد جمع في كتابه كلّ الأقوال التي

= السلوك في سياسة الملوك ، بولاق ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ) ، مصر ١٣٠٦ و ١٣٢٦ هـ (ص ١٢٧٧) . وبعد
 سطرين ذكر عبد الرحمن بن نصر الشيرازيّ وأحال على الشيرازي . راجع أيضاً الأعلام للزركلي
 (الطبعة الرابعة) ٣ : ٣٤٠ . وقد قبلت وداد القاضي عنواناً للكتاب « المنهج السلوك ... » (ص ٧٩) .
 وهناك أيضاً « المنهج السلوك في سياسة الملوك » ليوسف بن أيوب بن يحيى (بروكلمن الملحق ٢ :
 ١٠١٧) .

(١) هي (الآنسة الدكتور) وداد بنت عفيف بن حسن بن محي الدين القاضي من أسر بيروت الكريمة
 المرووفة (ولدت في بيروت ٢٢ / ١١ / ١٩٤٣ م) .

توافق مقصده من غير أن يورّعها بين مصادرها. ولقد أشارت وداد القاضي إلى مثل ذلك.

وفي هذا الباب من السياسة العامة يأتي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي المعروف بأبن الأزرق الأندلسي، تولّى القضاء في غرناطة ثم غادر الأندلس إلى تلمسان (في العُدوة المغربية)^(١) - لما استولى الإسبان على غرناطة - ويبدو أن وفاته كانت بعيد ذلك (قُبيل آنتهاء القرن الهجري التاسع والقرن الميلادي الخامس عشر). وأحبّ أبن الأزرق هذا أن يسلك سبيل أبن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في فهم التاريخ فهما اجتماعيًا، فوصل إلينا من كتبه: الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك (صنّفه سنة ٨٨٣ هـ) - تحبير الرياسة وتحذير السياسة - بدائع السلك في طبائع الملك، قال فيه أحمد بن أحمد بابا التنبكي (ت ١٠٣٦ هـ) (نيل الابتهاج ٣٢٤): «... بدائع السلك في السياسة السلطانية، كتاب حسن مفيد في موضوعه، لخص فيه (أبن الأزرق) كلام أبن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد لا يستغنى بوجه عنها» (لا يستغنى عنها بوجه).

ومن المتأخرين في هذا الدور محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني^(٢)، له «تعريف فيما يجب على الملوك»، وقد طُبع بعنوان «تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين» (بيروت ١٩٣٢ م) - «أحكام أهل الذمة».

ومن السياسة الخاصّة (سياسة الإنسان نفسه) النكاح. وقد وصل إلينا من

(١) في نيل الابتهاج (ص ٣٢٤): الفرناطي وقاضي الجماعة في غرناطة... كان حيًّا في حدود التسعين وثمانمائة، ارتحل لتلمسان لما استولى العدو على بلده ثم للشرق. ولم أقف على وفاته. - راجع أيضاً بروكلمن ٢: ٣٤٣، الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩)، مع الحاشية الطويلة المفيدة). وقد قدّر الزركلي تاريخ وفاة ابن الأزرق فكانت عنده ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م). ومن الصواب أن تؤخّر بضع سنوات أخرى.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي - نسبة إلى مغيل (بفتح فكسر) بلد قرب فاس (القاموس ٤: ٥١) - التلمساني مفسر وفقه ونحوي ومنطقي ومن العارفين بالاجتماع والسياسة (راجع نيل الابتهاج ٣٣٠ - ٣٣٢؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٣؛ الأعلام للزركلي (ط ٤، ٦: ٢١٦). وكانت وفاته ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م).

تصنيف أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني^(**) صاحب الرحلة والمتوفي نحو سنة ٧١٧ للهجرة (١٣١٧ م) «تُحفة العروس»^(١) ونزهة النفوس». وكذلك وصل إلينا من تصنيف أبي عبد الله عمر بن محمد النفاوي^(٢) كتاب الرّوضِ العاطرِ في نزهة الخاطر = المطبوعُ بعنوان «تنوير البطاح في معرفة كَيْفِيَةِ النِّكَاحِ» (القاهرة: بلا تاريخ، فاس ١٣١٠ هـ، تونس ١٩٢٨ م. ثم هو منقول ومطبوع في اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية).

علوم التعاليم

علومُ التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد كثيراً أو قليلاً، أو هي العلومُ الرياضية والطبيعية في تصنيف المعارف الإنسانية عندنا اليوم. وهنا موضعُ ملاحظةٍ يحسنُ أن تتكرر مرّةً بعدَ مرّةٍ: إن «العلم» ليس فقط مُفرداتِ المعارف القائمة على القواعد الدقيقة كالحساب والفلك والموسيقى، ولكن «نعت» العلم ينطبقُ أيضاً على كل فنٍّ من فنون المعرفة الإنسانية كالفلسفة والأدب والتاريخ إذا نحن سِرْنَا فيه على منهجٍ معيّن.

وعصرُ بني نصرٍ في الأندلس كعصر بني مرين في المغرب لم يخلُ من علوم التعاليم. أما قِلَّةُ هذه العلوم في الأندلس فلأنَّ العربَ لم يكن لهم في الأندلس، في تلك الحِقبة، سوى مدينة غرناطة وما حولها، فلا يُنتظرُ أن يكونَ فيها «علم» كثيرٌ وإن كثرت فيها الفنون الأدبية واللغوية والدينية، لأنَّ هذه الفنون أقربُ إلى العاطفة - والعاطفةُ تقوى في أيام الضَّعف السياسي. أما قِلَّةُ علومِ التعاليم في المغرب في ذلك الحينِ فترجعُ في رأي عبد الله كنون (النبوغ المغربي، ص ١٩٨، راجع ١٩٩) إلى أنَّ سلاطين المرينيين لم يشجعوا هذه العلوم كما شجعها الموحدون في

(١) العروس تقال للرجل وللمرأة.

(٢) كتب النفاوي هذا لأبي عوانة الزواوي وزير السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تولى من سنة ٧٩٦ إلى سنة ٨٣٧ للهجرة (١٣٩٤ - ١٤٣٣ م). ويبدو أن الزواوي كان في أوّل هذه المدة (راجع بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨ - ٣٦٩).

بعض أدوارهم ، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

★ ★ ★

يبرز في هذا العصر ثلاثة من علماء الرياضيات أولهم في تاريخ الوفاة محمد بن إبراهيم بن الرقام المُرسي الأندلسي (ت ٢١ صفر ٧١٥) وكان مشاركاً في الرياضيات والفيزياء وعلم النبات وفي الطب ، له كتاب في علم الظلال (فيزياء : بصريات ؟) وفي المساحة (الهندسة المستوية) في كتاب له عنوانه « التفسير » ، أوله : « التفسير صناعة يُنظر فيها في مساحة الأشكال » (راجع الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٥ : ٢٩٧ ، بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٧٨).

وأما الشمس المشرقة في الرياضيات ، في هذا العصر ، فكان أبا العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (٦٤٩ - ٧٢١ هـ) ، صنّف كتباً كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والتنجيم والجغرافية والنبات . وتقوم شهرته على كتابه المعروف بعنوان « تلخيص أعمال الحساب »^(١) . ويبدو أن اهتمام ابن البناء - بالإضافة إلى إحاطته بفروع هذا العلم - كان منصباً على تيسير الحساب على الناس^(٢).

ثم يأتي يعيش بن إبراهيم بن يوسف بن سمالك (ت نحو ٧٧٣ هـ) له : مراسم الانتساب في علم الحساب - رفع الإشكال في مساحة الأشكال (في الهندسة المستوية) - علم القبان (فيزياء - علم الحيل : ميكانيك) وغيرها في موضوعات أخرى^(٣).

(١) حققه وترجمه (نقله إلى الفرنسية) وعلّق عليه الدكتور محمد السويسي ، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.

(٢) راجع تمهيد محمد السويسي لكتاب « تلخيص أعمال الحساب » (الحاشية السابقة) ، تراث العرب العلمي لقديري طوقان ، الطبعة الثالثة ، ٤٢٩ - ٤٣٢ ، بروكلمن ٢ : ٣٣٠ - ٣٣١ ، الملحق ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٤ ، النبوغ المغربي ٢٢٠ - ٢٢١ ، الأعلام للزركلي ١ : ٢١٣ - ٢١٤ (٢٢٢).

(٣) راجع الأعلام للزركلي ٩ : ٢٧١ (٨ : ٢٠٥ - ٢٠٦) ، ووفاته في بروكلمن (٢ : ٣٤٤) قبل سنة ٧٧٤ هـ . ثم يذكره بروكلمن (الملحق ٢ : ٣٧٩) باسمه وينسب إليه الكتب التي ذكرها له من قبل ولكن يجعل وفاته سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م.

ولعلّ من علماء هذا العصر (وفي القرن الثامن للهجرة؟) أبا عبد الله بن هلال، قال فيه عبد الله كنون (النبوغ المغربي ١٩٨): إمامُ التعاليم وأتاه شرح كتاب المجسطي لبطليموس القلودي.

ويبدو أنّ علم الفلك والحسبان الفلكي كانا على مستوى صالح من الرقي، فإنّ أبا عليّ الحسن بن عمر المراكشي (ت نحو ٦٦٠) كان له كتاب «جامع المبادئ والغايات في علم الميقات» (بروكلمن ١: ٦٢٥، الملحق ١: ٨٦٦).

ومن البارعين في علم الفلك في هذا العصر محيي الدين أبو الفتح يحيى بن محمد ابن أبي الشكر (أو شكر) المعروف بالحكيم المغربي (ت بين ٦٨٠ و ٦٩٠ هـ)، كان من أهل قرطبة ثم رحل إلى المشرق وعمل مع نصير الدين الطوسي في مرصد مراغة^(١). ولابن أبي الشكر كتب كثيرة في الرياضيات والفلك منها (في الهندسة والمثلثات): تحرير أقليدس في أشكال الهندسة - كتاب المخروطات (تحرير المخروطات لأبولونيوس) - إصلاح كتاب منالوس في الأشكال الكروية - تهذيب كتاب ثيودوسيوس في الأكر - رسالة في استخراج الجيوب الواقعة في الدائرة - رسالة فيما تفرّع عن الشكل القطاع من النسب على سبيل الإيجاز. ثم له (في الفلك والحسبان الفلكي): الحكم على قرائن (قران)^(٢) الكواكب في البروج الاثني عشر - مقالات تتعلق بحركات الكواكب - مقالة في استخراج تعديل النهار وساعات المشرق (شروق الشمس)، والدائر من الفلك بطريق الهندسة - ملخص المجسطي^(٣) (من نقل أبي الفرج غريغوريوس الملقط المتوفى ٦٨٥ للميلاد) - زيج (جدول وتفسير لهذا الجدول) لتقوم الكواكب يشتمل على مائتين وواحد وأربعين فناً من الحساب - تسطيح الأسطرلاب - أربع مقالات في النجوم - رسالة الخطا والإيغور^(٤). وكذلك

(١) مراغة في أذربيجان الفارسية (في منطقة جبلية في أقصى الشمال - جنوب تبريز). وكان فيها مرصد من أكبر المراصد القديمة. اجتمع في هذا المرصد نفر كثيرون من علماء الفلك المسلمين.

(٢) القران (بالكسر): وجود نجمين على ممر واحد من خط البصر.

(٣) الخطا: (بهاء معجمة مفتوحة وطاء مهملة مفتوحة وألف): كاتاي - قبائل من الترك كانوا يعيشون شمال نهر جيحون، في أواسط آسية وكانوا على الوثنية، ومساكنهم كانت في مناطق تابعة للصين (راجع في تحقيق ذلك تاريخ ابن الأثير ٩: ٢٩٧، ١١: ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥ ثم راجع فهرس الأعلام (في تاريخ =

له كتب في التنجيم^(١).

ويأتي هنا شمسُ الدين أبو العباسِ محمدُ (أحدُ) بنُ مسعودِ الخزرجيِّ السَّبْتي (من أهل سَبْتَة) المغربي (ت ٦٩٨ هـ)، قيل فيه إنَّه مخترعُ علمِ الزايرة^(٢).

ثمَّ يأتي أبو مَقَرَّعٍ (بفتح فسكون ففتح: النبوغ المغربي ٢٢١ مرتين) أو أبو مقرة (نفع الطيب ٢: ٦٩٣، السطر السادس من أسفل) البطوي^(٣) له رجز في التقويم والتنجيم^(٤).

ولشمسِ الدين محمدُ الجَزُولِيُّ (ت نحو ٧٤٥ هـ): كتاب العمل بالأسطرلاب - رسالة في العمل بالجَنِبِ الغائب (٢) - رسالة في رُبْعِ المساترة (٢) - رسالة في ثَمَنِ الدائرة (بروكلن ٢: ٣٣١ - ٣٣٢، الملحق ٢: ٣٦٤ ابن الجزولي).

ومن علماء الفلك أبو زيد اللُّجَائِيّ الفاسيَّ (ت ٧٧٣ هـ) اخترع اسطرلاباً مُلصقاً بالجدار والماء يدير شبكته (٢) على الصفحة، فيأتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار، أو ينظر ارتفاع الكواكب في الليل.

ثمَّ نجدُ للزُّبَيْرِ بنِ أحمدِ بنِ إبراهيمِ بنِ الزبير (ت ٧٩٠ هـ) تذكرة ذَوِي الألباب في استيفاء العمل بالأسطرلاب (بروكلن ٢: ٣٤٤). ثمَّ يأتي في هذا النَّسَقِ أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بنِ عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ حَيندور^(٥)، له: الاعتباراتُ النظرية في الأحكام

= ابن الآثير) لا مقام التحقيق. والايغور أيضاً من الترك. - طريقة الحساب الفلكي عند هاتين الأمتين.

(١) راجع في الحكيم المغربي: الأعلام للزركلي ٩: ٢١٠ (٨: ١٦٦)، بروكلن ١: ٦٢٦، الملحق ١: ٨٦٨ - ٨٦٩ تراث العرب العلمي لقدري طوقان ٤٢٤.

(٢) في تاج العروس (الكويت ٦: ٢٥): الزايرة صورة مربعة أو مدورة تعمل لموضع (مواضع) الكواكب في الفلك لينظر (فيها) في حكم المولد (مولد الشخص من حيث السعد والنحس) في عبارة المنجمين. - راجع في ابن مسعود السبتي بروكلن ١: ٦٥٥، الملحق ١: ٩٠٩ - ٩١٠.

(٣) يمكن أن يكون اسمه الكامل: أبو محمد عبد الحق بن عليَّ البطوي (نسبة إلى بطوية في الريف، شمال المغرب) الوردزييُّ الجموليُّ المروجشيُّ السوسي، له رجز في التقويم والتنجيم (لعله: «بروج القمر عند العرب» الذي حرَّره موتيلنسكي وطبعه (الجزائر ١٨٩٩ م) - راجع النبوغ المغربي ١٢٢١ بروكلن ٢: ٣٣١، الملحق ١: ٣٦٤).

(٤) راجع في اللجائي النبوغ المغربي ٢١٤ - ٢١٥ تراث العرب العلمي ٤٣٧.

(٥) في النبوغ المغربي، ص ٢٢١، السطر الخامس: هيدور (بالهاء). راجع أيضاً بروكلن الملحق ١: ٣٦٥ - (بالهاء).

النجومية - شرح تلخيص أعمال الحساب لأبن البناء العدديّ.

ثمّ يأتي الجاديريّ (بالباء بعد الدال ، النبوغ المغربي ١٩٩ ، ٢٢١) أو الجادريّ (بكسر الدال وفتح الدال : راجع بروكلن ، الملحق ٢ : ٢١٧) وهو أبو زيد عبد الرحمن المؤقت في مسجد القرويين في فاس (ت ٨١٦ هـ) ، له روضة الأزهار في علم الليل والنهار .

ثمّ يأتي محمد بن أحمد بن يحيى بن الحباك (ت ٨٦٧ م) ، له : بُغْيَةُ الطُّلَّابِ في علم الأسطرلاب - شَرْحُ رَوْضَةِ الْأَزْهَارِ في علم الليل والنهار (للجاديري) - تُخْفَةُ الطُّلَّابِ في عددِ السنين والحساب (راجع بروكلن ٢ : ٣٣٢ ، الملحق ٢ : ٣٦٥ ؛ نيل الابتهاج ٣٣٣ فاس).

ومن الفنون التي تأخذ من الرياضيات ومن الفيزياء الموسيقى . في نحو سنة ٧٠٠ للهجرة صنّف محمد بن إبراهيم الصِّلَاحيُّ للناصر لدين الله المرينيّ (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ) أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق^(١) كتاباً في آلات الموسيقى أثبت بروكلن (٢ : ٣٣٣) عنواناً له : « الإمتاع والانتفاع »^(٢) .

وفي العلم الطبيعيّ على الحَصْر (الفيزياء) يأتي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي^(*) التونسيّ (ت ٦٥١ هـ) ، له : أَزْهَارُ الْأَفْكَارِ في جواهر الأحجار - مطالعُ البدور ومنازلُ السرور (في المعادن) - فصلُ الخطاب في مدارك الحواسِّ الخمس لأولي الألباب - الأحجار التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء وغيرها . ثمّ هنالك أبو الحسن بن يوسف المديونيّ الحكيم (في نحو هذا العصر) له الدَوْحَةُ الْمُشْتَبِكَةُ في ضوابطِ دارِ السِّكَّةِ (النبوغ المغربي ٢٢١) لِسَكِّ الْعِمْلَةِ ، وفي هذا العملِ جانبٌ من الفيزياء .

ومَعَ أَنَّ الصَّنْعَةَ (الكيمياء القديمة) قد عاشت في المشرق والمغرب مُدَّةً طَوِيلَةً ثُمَّ

(١) يورد بروكلن عادة أسماء الأعلام مختصرة . وقد وردت جملة بروكلن كما يلي : للمرينيّ أبي يعقوب بن يحيى بن عبد الحقّ .

(٢) لعلّ العنوان الكامل : الإمتاع والانتفاع بآلات السّاع .

إنَّهَا آسْتَمَرَّتْ فِي أوروْبَةِ إِلَى نَصْفِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، فَإِنَّ الْعَصْرَ الَّذِي نَبَحْتُ فِي أَعْلَامِهِ
الآنَ لَمْ يَجْمَعْ مِنْ عِلْمَاءِ الْكِيمِيَاءِ مَنْ كَانَ ذَا أَثَرٍ بَارِزٍ . هُنَالِكَ مَثَلًا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
عُمَرَ الزَّوَاوِيُّ النُّجَّارُ البِجَايِيُّ (مَنْ أَحْيَاءُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ فِي الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ) لَهُ فَصْلٌ
فِي الْكِيمِيَاءِ ثُمَّ تُخَفَّةُ النَّاطِرِ وَنُزْهَةُ الْمَنَاطِرِ (بِفَتْحِ الْمِيمِ - بَرُوكْلَمَنْ ، الْمُلْحَقُ ٢ :
٣٦٧) ، وَعُنْوَانُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ .

كَانَ حَظُّ الْعَصْرِ الْمَرِينِيِّ مِنَ الطِّبِّ أَوْفَرَ مِنْ حَظِّهِ مِنَ الْكِيمِيَاءِ . كَانَ فِيهِ (النَّبُوغُ
الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٠) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الشَّيْخِ الطَّبِيبِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ الْعَنْسِيِّ الْمَرَاكُشِيِّ
(وَفِي أَسْمِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَافِ) ، وَقَدْ كَانَ مُشَارِكًا فِي عَدَدٍ مِنَ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ ، لَهُ فِي
الطِّبِّ : الْأَمْرَاضُ السَّرِيَّةُ وَعِلَاجُهَا - الْأَذْكَمَةُ (٩٩) وَصِفَاتُهَا وَمَا يُطَلَّبُ أَنْ يُتَجَنَّبَ
فِيهَا . ثُمَّ لَهُ : النِّسَاءُ وَمَا يُخَمَدُ أَوْ يُذَمُّ مِنْهُنَّ ، وَضَعَهُ بِرَسْمِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ
(٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) .

وَيَبْدُو أَنَّ مِنَ الْبَارِعِينَ فِي الطِّبِّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَحَدَ بَنِي شُعَيْبِ الْجَزْنَائِيِّ (★★)
(ت ٧٤٩ هـ) ، وَكَانَ كَاتِبًا وَشَاعِرًا وَطَبِيبًا جَعَلَهُ السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيدٍ الْمَرِينِيُّ
(٧١٠ - ٧٣٢ هـ) فِي جُمْلَةِ الْكُتَّابِ ، وَلَكِنْ أُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقٌ (مُرْتَبٌ) الْأَطْبَاءِ
لِتَقْدِيمِهِ فِي الطِّبِّ ، فَكَانَ كَاتِبَهُ وَطَبِيبَهُ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرِينِيُّ
(٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) بَعْدَ ذَلِكَ (النَّبُوغُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٠) .

وَمِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِي الطِّبِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ اللَّخْمِيُّ الشُّقُورِيُّ (نِسْبَةٌ إِلَى بَلَدَةِ
شَقُورَةٍ ، مِنْ نَوَاحِي جِيَّانَ) الْأَنْدَلُسِيِّ ، صَنَّفَ سَنَةَ ٧٤٩ هـ لِلْهِجْرَةِ : تَحْقِيقَ النَّبَأِ عَنْ أَمْرِ
الْوَبَاءِ (فِي طَاعُونِ سَنَةِ ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) أَوْ الْمَوْتِ الْأَسْوَدِ (الطَّاعُونِ الْكَبِيرِ) الَّذِي
أَنْتَشَرَ فِي أوروْبَةِ سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وَآسْتَمَرَ إِلَى سَنَةِ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثُمَّ
عَادَ إِلَى أوروْبَةِ ١٣٦١ - ١٣٦٢ وَ ١٣٦٩ لِلْمِيلَادِ (٧٦٢ وَ ٧٧١ - ٧٧٢ لِلْهِجْرَةِ) .
وَلَهُ أَيْضًا مُجَرَّبَاتٌ فِي الطِّبِّ (رَاجِعْ بَرُوكْلَمَنْ ٣ : ١٢٧٩ ، السُّطْرُ ٢٨ وَمَا بَعْدَ ؛
الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وَمِنَ الْبَارِزِينَ فِي التَّطْبِيبِ وَفِي التَّأْلِيفِ فِي الطِّبِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْقَرِيبَلْيَانِيِّ (نِسْبَةٌ إِلَى قَرِيبَلْيَانَةٍ أَوْ كَرَّابِلْيَانَتِهِ عَلِيٍّ مَقْرُبَةٌ مِنْ أَوْزُبُولَةٍ ، شَرْقُ

مُرْسِيَّةً ، في الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الأَنْدَلُسِ) . كان عالماً بالأعشاب وطبيباً جراحاً سَكَنَ مَرَّاكُشَ مُدَّةٍ ثُمَّ عادَ إلى الأَنْدَلُسِ فَتَوَفَّى في غَرْنَاطَةِ (سَنَةِ ٧٦١ هـ) . وللقَرِيبِيَّانِيَّ هَذَا كِتَابٌ في الأعشاب (النباتات المُسْتَحْدَمَةُ في تَرْكِيبِ الأدوية) ثُمَّ كِتَابُ «الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام» أَلْفُهُ لِلسُّلْطَانِ أَبِي الجُيُوشِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّصْرِيِّ الَّذِي جَاءَ إلى الحُكْمِ سَنَةَ ٧١١ هـ لِلهَجْرَةِ ثُمَّ خُلِعَ سَنَةَ ٧١٣ هـ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ في وادي آشَ (قَرَبَ غَرْنَاطَةِ) سَنَةَ ٧٢٢ هـ (راجع بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٦ ؛ الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وفي أَيَّامِ المَرِينِيِّينَ (وَرُبَّمَا في النصف الثاني من القرن الهجري الثامن) كانت عائشة بنتُ الشَّيْخِ الكَاتِبِ الوَجِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الجَيَّارِ المَحْتَسِبِ^(١) في مَدِينَةِ سَبْتَةِ في شَمَالِ المَغْرِبِ . زادتُ سِنُّهَا على السَّبعِينَ ، وَكَانَتْ عَارِفَةً بالطَّبِّ وبالعقاقير ، بصيرةً بالماء (النَّظَرُ إلى بول المريض) وبعلاماته (راجع النبوغ المغربي ٢١٥) .

ومن المذكورين في هذه الحِقْبَةِ الشَّرِيفُ الصِّقْلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ التُّونِسِيِّ ، كَانَ في أَيَّامِ أَبِي فَارِسِ عَبْدِ العَزِيزِ الحَفْصِيِّ (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابُ الأَطْبَاءِ (أو كِتَابُ حِفْظِ الصَّحَّةِ) المَعْرُوفُ بالطَّبِّ الشَّرِيفِ . وَلَهُ شَرْحٌ على أَلْفِيَةِ ابْنِ سِينَا (بروكلمن ٢ : ٣٣٣ ، الملحق ٢ : ٣٦٧) .

وفي سَنَةِ ٨٩٧ هـ لِلهَجْرَةِ صَنَّفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ الحَسَنِيُّ المَصْنُودِيُّ مِنْ أَهْلِ تِلِمَسَانَ كُتُباً جَعَلَهَا بروكلمن (٢ : ٣٣٤ ، الملحق ٢ : ٣٦٧) في فَصْلِ الكِيمِيَاءِ وَعِلُومِ الجَفْرِ ، هِيَ : تُحْفَةٌ مِنْ صَبَرٍ على تَطْهِيرِ الحَجَرِ (وَهُوَ عُنْوَانٌ شَدِيدُ اللُّصُوقِ بِالكِيمِيَاءِ ، فَاَلْمَقْصُودُ بِالحَجَرِ هُنَا حَجَرُ الفَلَسَفَةِ الَّذِي تُحَكِّ بِهِ المَعَادِنُ الحَسِيسَةُ فَتُصْنَعُ ذَهَباً ، في ظَنِّهِمْ) - الوَاقِي في تَدْبِيرِ الكَافِي - المَحْنَةُ المَنْكِيَّةُ (؟) لِمَبْتَدِئِ القِرَاءَةِ المَكِّيَّةِ .

ويأتي في أواخرِ هذه السَّلْسَلَةِ عَبْدُ القَاهِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ التُّونِسِيُّ ، صَنَّفَ سَنَةَ ٨٩٩ هـ

(١) المحتسب هو الذي يتولى الحسبة (في الدولة الإسلامية): مراقبة السوق (مراقبة الأسعار والأخلاق العامة والبضائع والأطعمة).

للهجرة كتابَ الطَّبِّ في تدبير المُسافرين ومَرْضَى الطاعونِ (بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٦٧).

رثاء البلدان:

الدُّنْيَا دَوْلٌ - والدَّوْلَةُ: اُنْتَقَالَ الْأَمْرُ مِنْ جَمَاعَةٍ إِلَى جَمَاعَةٍ، مَرَّةً يَكُونُ لِهَؤُلَاءِ وَمَرَّةً يَكُونُ لِأُولَئِكَ، وَرَبِّمَا كَانَ لِقَوْمٍ ثُمَّ لَمْ يَمُدَّ إِلَيْهِمْ - والقاعدةُ أَنَّ كُلَّ دَوْلَةٍ (بِمَعْنَى مُلْكٍ أَسْرَةٍ أَوْ فَرْدٍ جَمَاعَةٍ * مِنْ النَّاسِ أَوْ رُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَبِمَعْنَى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ثَرْوَةً أَوْ تَمَتُّعٍ فَرْدٍ بِجَاهٍ) لَا تَعِيشُ إِلَى الْأَبَدِ، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ عُمُرٍ طَبِيعِيٍّ تَحِيَا فِي مَدَاهُ ثُمَّ تَسْقُطُ لِيَقُومَ غَيْرُهَا مَكَانَهَا، كَمَا يَقُولُ آبْنُ خَلْدُونٍ. وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ جِدًّا أَنْ يَحْزَنَ أَهْلُ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ أَوْ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَزُولَ دَوْلَتُهُمْ حِينَ يَبْدَأُ انْحِدَارُهَا نَحْوَ الزَوَالِ الْأَكِيدِ.

ولقد أَرَادَ الْإِسْلَامُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي زَوَالِ الدَّوَلِ وَالْأُمَمِ عِبْرَةٌ فَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يَأْتُوا بِمَا يُعْجَلُ زَوَالُهُمْ أَوْ يُجْعَلُ زَوَالُهُمْ شَدِيدَ الْأَلَمِ لَهُمْ - مَا دَامَ ذَلِكَ الزَّوَالُ أَمْرًا لَا مَفْرَئَ مِنْهُ - أَوْ سَيِّءِ الْعَوَاقِبِ عَلَيْهِمْ وَقَوْمُهُمْ. وَيَكْفِينَا هُنَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا. أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (١٢: ١٠٩، سُورَةُ يُوسُفَ). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٢: ٤٦، سُورَةُ الْحَجِّ).

وَمِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ يَحْسُنُ الْأَسْتِشْهَادُ بِهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ (ت ٧٥ هـ) الْأُمَوِيُّ قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَمْزِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ (رَاجِعِ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ) يَخَافُ عَلَى دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةِ الْقُرَشِيَّةِ أَنْ تَزُولَ بِالنِّزَاعِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ الطَّامِعِينَ فِي الْحُكْمِ (وَقَدْ سَقَطَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ، سَنَةَ ١٣٢ لِلْهِجْرَةِ - عَامَ ٧٤٩ لِلْمِيلَادِ):

* «جماعة» (بالنصب): مفعول به من المصدر «ملك» مضافاً إلى فاعله (أسرة أو فرد).

حَبَّذا العِيشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعاً لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ ؛
 قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقَبَائِلُ فِي مُدِّكَ قُرَيْشٍ وَتَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ .
 أَيُّهَا الْمُشْتَهِي فَنَاءَ قُرَيْشٍ ؛ يَبِيدُ اللَّهُ عُمْرَهَا وَالْفَنَاءُ .
 إِنْ تَوَدَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيٍّ بَقَاءُ .

كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يَخْشَى عَلَى مُسْتَقْبَلِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . أَمَّا الْبُحْتَرِيُّ ، فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، فَقَدْ جَاءَ إِلَى الْعِرَاقِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي تَمَّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م) لِيَجْرِبَ حَظَّهُ فِي التَّكْسِبِ بِالشَّعْرِ . لَمْ يَلَقَ الْبُحْتَرِيُّ النَّاشِئُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّاعِرِ الرَّاسِخِ الْمَكَانَةَ تَوْفِيقاً ، فَذَهَبَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَى الْمَدَائِنِ - وَهِيَ مَشْهُدٌ لِمَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ ، عَلَى نَحْوِ عَشْرِينَ مَيْلاً شَرْقَ بَغْدَادَ - وَوَقَّفَ عِنْدَ إِيْوَانٍ كِسْرَى يُعَزِّي نَفْسَهُ (الْحَائِبَةَ فِي التَّكْسِبِ بِالشَّعْرِ) بِزَوَالِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَنَتْ ذَلِكَ الْإِيْوَانَ (الْمَقَرَّ الْمَلَكِيَّ) ثُمَّ زَالَتْ ، فَقَالَ (رَاجِعِ الْجُزْءَ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ) قَصِيدَتُهُ السَّيْنِيَّةُ : « صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي » . فَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

حَضَرْتُ رَحْلِي الْمُهْمُومُ فَوَجَّهْتُ إِلَى أَبِيضِ الْمَدَائِنِ عَنَسِي (١) ،
 أَسْأَلُ عَنِ الْمُهْمُومِ وَأَسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسِ (٢) .
 ذَكَرْتَنِيهِمُ الْخُطُوبُ التَّوَالِي ، وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخُطُوبُ وَتَنَسِي (٣) .
 فَكَأَنَّ الْجِرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الْأَنْزِ سِ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّةَ رَمْسٍ (٤) .
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ .

(١) الرَّحْلُ : الْبَيْتُ ، الْمَسْكَنُ ؛ نَزَلْتُ عَلَى الْمُهْمُومِ فِي بَلَدِي فَسَافَرْتُ وَجِئْتُ إِلَى الْعِرَاقِ . الْعَنَسُ : النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ .
 أَبِيضُ الْمَدَائِنِ : الْمَدَائِنُ (بَلَدَةٌ عَلَى نَحْوِ عَشْرِينَ مَيْلاً شَرْقَ بَغْدَادَ) .

(٢) أَسَى (بِفَتْحٍ فَكسرٍ فَفَتْحٍ) فَلَانٌ عَلَى فَلَانٍ : حَزَنَ عَلَيْهِ وَأَشْفَقَ . آلُ سَاسَانَ : مُلُوكُ الْفَرَسِ . دَرَسَ : دَارَسَ ، مَحَوَّ الْمَعَالِمَ .

(٣) الْخُطْبُ (بِالْفَتْحِ) : الْمَصِيبَةُ .

(٤) الْجِرْمَازُ : بِنَاءٌ عَظِيمٌ كَانَ عِنْدَ أَبِيضِ الْمَدَائِنِ ، وَقَدْ عَنِيَ (أَمَحَى) أَثَرُهُ (تَاجُ الْمُرُوسِ - الْكُوَيْتُ ١٥ : ٥٩) . مِنْ عَدَمِ (فَقْدَانِ) الْإِنْسِ (بِالْكَسْرِ) : النَّاسُ ، السَّكَّانُ ، وَإِخْلَالُهُ (تَرَكَ النَّاسَ لَهُ) . الْبَنِيَّةُ (بِالْفَتْحِ) : كُلُّ مَا يَبْنَى . رَمْسٍ : قَبْرِ .

وكانت الدواعي لِرِثاءِ المُدُنِ في الأندلس كثيرةً، بعدَ أن بدأ الإسبانُ النصارى يستولون على المُدُنِ الإسلامية في تلك الحربِ الصليبية التي سَبَقَتِ الحربَ الصليبيةَ في المشرق.

في نَفْحِ الطَّيِّبِ (٤: ٣٥٢، راجع ٣٥٤، ٣٥٥؛ راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٧):
 أَنَّ مِنْ أَوَّلِ المَدِينِ العَظِيمَةِ الَّتِي آسَتُولَى عَلَيْهَا الإسبانُ مَدِينَةَ طُلَيْطَلَةَ، أَخَذَهَا
 أَلْفُونَسُو السَّادِسُ، سَنَةَ ٤٧٨ لِلهِجْرَةِ، مِنْ يَدِ القَادِرِ بِحْيِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ ذِي النُّونِ.
 فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَرِثِيهَا (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ٤٨٣ - ٤٨٦) بِقَصِيدَةٍ لَيْسَتْ مِنْ عِيُونِ
 الشُّعْرِ، وَلَكِنَّ فِيهَا عَاطِفَةً قَوِيَّةً مِنَ التَّعْبِيرِ وَكَشْفًا عَنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الأُمَمِ. مِنْ هَذِهِ
 الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ:

طُلَيْطَلَةَ أَبَاحَ الكُفْرُ مِنْهَا	حِاها. إِنَّ ذَا نَبَأٍ كَبِيرٍ.
فَلَيْسَ مِثَالُهَا إِيوَانُ كِسْرَى،	وَلَا مِنْهَا الْخَوَزَنْقُ وَالسَّديرُ ^(١) .
أَلَمْ تَكُ مَعْقِلًا لِلدِّينِ صَغْبًا	فَذَلَّلَهُ كَمَا شَاءَ الْقَدِيرُ ^(٢) ؟
وَكَانَتْ دَارَ إِيْمَانٍ وَعِلْمٍ	مَعَالِمُهَا الَّتِي طُمِسَتْ تُنِيرُ ^(٣) ،
فَعَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً	قَدْ أَضْطَرَبَتْ بِأَهْلِهَا الْأُمُورَ ^(٤) :
مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ، أَيُّ قَلْبٍ	عَلَى هَذَا يَقْرُؤُ وَلَا يَطِيرُ؟
أَنَا مَنُ أَنْ يَحِلَّ بِنَا أَتَقَامُ	وَفِينَا الْفِسْقُ أَجْعُ وَالْفُجُورُ*؟
وَأَكُلُ لِلْحَرَامِ، وَلَا أَضْطَرَارُ	إِلَيْهِ؟ فَيَسْهُلُ الأَمْرُ الصَّيرُ.
يَزُولُ السُّرُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا	عَلَى الْعِصْيَانِ أَرْخِيَتْ السُّتُورُ.
خُذُوا ثَارَ الدِّيَانَةِ وَأَنْصُرُوهَا،	فَقَدْ حَامَتْ عَلَى الْقَتْلِ النُّسُورُ.

(١) إِيوَانُ كِسْرَى لَا يَشْبِهُهَا. وَلَا مِنْهَا (وَلَيْسَ مِنْ نَوْعِهَا أَوْ مَكَانَتِهَا) الْخَوَزَنْقُ وَالسَّديرُ (قَصْرَانِ فِي جَنُوبِ الْعِرَاقِ مِنْ أَيَّامِ الْمَنَازِدَةِ).

(٢) الْقَدِيرُ: اللَّهُ تَعَالَى.

(٣) مَعَالِمُهَا (مَدَارِسُهَا وَمَسَاجِدُهَا الْخِ) طُمِسَتْ أَوْ مَحِيتِ الْآنَ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ تَنْبِيرِ).

(٤) مُصْطَفَاةً (مُخْتَارَةً): اخْتَارَ الْإِسْبَانُ أَخَذَهَا (الْآنَ) دُونَ غَيْرِهَا. مُصْطَفَاةً (أَيْضًا): مَأْخُودَةٌ. - اصْطَفَى فَلَانٌ مَالٌ فَلَانٌ: أَخَذَهُ كُلُّهُ (الْقَامُوسُ ٤: ٣٥٢، السُّطْرُ التَّاسِعُ مِنْ أَسْفَل).

(*) أَجْعُ (بِالضَّمِّ) تَوْكِيدٌ لِلْفِسْقِ (فِينَا جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْفِسْقِ). ثُمَّ «أَجْعُ (بِالْفَتْحِ) حَالٌ مِنْ «فِينَا» (فِينَا جَمِيعًا فِسْقًا).

ولا تهنوا، وسلّوا كُلَّ عَضْبٍ
لقد صَمَّ السَّمِيعُ، فلم يُعَوَّلْ
تُجَاذِبُنَا الْأَعَادِي بِأَصْطِنَاعِ
فَبَاقِي فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خِزْيٍ
وَأَخْرُ مَارِقُ هَانَتْ عَلَيْهِ
كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا:
أَتَرَكْ دُورَنَا وَنَفَرْنَا عَنْهَا
لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ،
فَلَا دِينَ وَلَا دُنْيَا، وَلَكِنْ
تَهَابُ مَضَارِبًا مِنْهُ النَّحُورُ^(١).
عَلَى نَبِيٍّ، كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ^(٢).
فَيَنْجَذِبُ الْمُخَوَّلُ وَالْفَقِيرُ^(٣):
تُثَبِّطُهُ الشُّوْبَةُ وَالْبَعِيرُ^(٤)،
مَصَائِبُ دِينِهِ، فَلَهُ السَّعِيرُ^(٥).
إِلَى أَيْنَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ؟
وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورٌ؟
وَعَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^(٦).
غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَا غُرُورُ^(٧).

وَكَثُرَ رِثَاءُ الْمُدُنِ وَالْدُّوَلِ فِي الْأَنْدَلُسِ. وَمِنْ أَشْهَرِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةُ ابْنِ
عَبْدُونٍ (ت ٥٢٩ هـ، راجع ترجمته في الجزء الخامس): «الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ
بِالْآثَرِ».

وجرت بين ملوك المغرب وملوك الأندلس مكاتبات، فكانت رسائلهم في
ذلك - في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي استنهاض بعض أولئك
الملوك همم بعضهم الآخر - مثل تلك القصائد.

- (١) لا تهنوا: لا تضعفوا. العضب: السيف. تهاب (تخاف). النحر (أعلى الصدر): المكان الذي ينحر أو
يذبح منه البعير.
- (٢) كانت الأخبار تأتي بالخطر على طليطلة فلم يلق الأمراء بالاً إلى ذلك.
- (٣) الاصطناع: تقريب الناس إليك بشيء من المغامم المادية. الخوّل: الذي خوّل الله (أعطاه) ملكاً أو
غيراً كثيراً.
- (٣) تثبّطه (تعوقه عن الحرب أو الهجرة) الشوبة (الشاة الصغيرة) أو البعير (الحيوان الكبير): يخاف أن
يجارب أو يهاجر فيخسر شيئاً (صغيراً أو كبيراً) يملكه.
- (٥) السعير: نار جهنم (في الآخرة). مارق: خارج من الإسلام (كافر).
- (٦) اليقين: الإيمان الثابت. الغرور (بالفتح): إبليس. راجع القرآن الكريم (٣١: ٣٣، سورة لقمان):
«..... فلا تفرّكنكم الحياة الدنيا، ولا يفرّكنكم بالله الغرور».
- (٧) ليس لهؤلاء دين، ولا هم يفهمون ما الدنيا (الحياة الكريمة)، ولكنهم مغرورون (مفتنون، متعلقون)
بالمعيشة المادية. غرور ما غرور (اهتمام بشيء قليل جداً من أسباب الحياة).

إِنَّ أَسْبَابَ الْخَوْفِ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ كَانَتْ كَثِيرَةً مُنْذُ أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ حِينَئِذٍ تَنَازَعُ مُلُوكُ الطَّوَاتِفِ ثُمَّ اسْتَيْلَءَ الْإِسْبَانِ النَّصَارَى عَلَى الْبُلْدَانِ وَعَلَى الْحُصُونِ مِنْ أَيْدِي الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ. فِي سَنَةِ ٤٨٨ هـ لِلْهِجْرَةِ - لَمَّا اسْتَوْلَى السَّيِّدُ الْقُمْنِيَّاتُورُ عَلَى بَلَنْسِيَّةَ قَالَ أَبُو خَفَاجَةَ (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) يَأْسَى لِحَالِهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤: ٤٥٥):

عَاثَتْ بِسَاحَتِكَ الطُّبَا، يَا دَارُ، وَمَحَا مَحَاسِنَكَ الْبَلَى وَالنَّارُ^(١)،
فَلِذَا تَرَدَّدَ فِي جَنَابِكَ نَاطِرٌ طَالَ أَعْتَبَارُ فَيْكَ وَأَسْتَعْبَارُ^(٢).
أَرْضٌ تَقَاذَفَتْ الْخُطُوبُ بِأَهْلِهَا، وَتَمَخَّضَتْ بِخَرَابِهَا الْأَقْدَارُ^(٣).
كَتَبَتْ يَدُ الْحَدَثَانِ فِي عَرَاصَتِهَا: (لَا أَنْتِ أَنْتِ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ)^(٤).
وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ لَمَّا جَرَتْ مَعْرَكَةُ ٥٢٧ هـ لِلْهِجْرَةِ (١١٣٣ م) - عِنْدَ إِشْبِيلِيَّةَ (٥) - حِينَ جَاءَ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، الْآيَةُ (٩):
٤١، (سُورَةُ التَّوْبَةِ) مَا يَلِي (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧):

وَلَقَدْ نَزَلَ بَنَا الْعَدُوِّ - قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَنَةً سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِيَّةً فَجَاسَ دِيَارَنَا^(٥) وَأَسَرَ جِيرَتَنَا وَتَوَسَّطَ بِلَادَنَا..... فَقُلْتُ لِلْوَالِي وَالْمَوْلَى عَلَيْهِ^(٦): هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ قَدْ حَصَلَ فِي الشَّرْكِ وَالشَّبَكَةِ^(٧)، فَلْتَكُنْ عِنْدَكُمْ بَرَكَهٌ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ إِلَى نُصْرَةِ

(١) عاث: أفسد، أتلّف، أهلك. الطبا (بالضم) جمع طبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. وفي نفح الطيب: طبا (بالكسر) يقصد طباء جمع طيبة (غزال)، وهو خطأ. البلى: القدم (بكسر ففتح): تقادم الزمن والتهرؤ والهلاك.

(٢) فإذا تردّد (نقل البصر من مكان إلى مكان) في جنابك (أطرافك، أقسامك) ناظر (عين). الاعتبار: الاتعاظ بالمصائب. استعبار: بكاء (حزن).

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة. تقاذفت الخطوب بأهلها (شردت المصائب أهلها من مكان إلى مكان). تمخّضت (تحركت ثم انجلت) الأقدار (جمع قدر - بفتح ففتح: وقوع ما كان الله تعالى قد قضاه أو حكم به في سابق علمه) عن خرابها.

(٤) الحدّثان (مفرد): كتابة عن الليل والنهار. والحدّثان أيضاً: المصائب. «لا أنت أنت ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح بها القائد العبّاسي أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري.

(٥) جاس بلادنا: وطنها، جاء إليها.

(٦) للوالي على البلد (إشبيلية؟) وللمولّى عليه: لأهل البلد (للناس كلهم).

(٧) في الشرك والشبكة (أصبح بين أيديكم بعيداً عن مراكز تموينه ومحاطاً برعيّكم).

الدين المتعينة عليكم^(١) حَرَكَةٌ: فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار (إلا خرج إليه) فيحاط به^(٢)، فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له. فقلبت الذنوب ورجفت بالمعاصي القلوب، وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره^(٣)، وإن رأى المكيدة بجاره ★★. فإننا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- وفي رمضان من سنة ٥٦٤ نظم الشاعر أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الكِنَانِي الوَقْشِي قصيدة في مدح السلطان يوسف بن عبد المؤمن (ثاني سلاطين الموحدين) وقال فيها يصف حال الأندلس ويحث على الجهاد (الذيل والتكملة ١: ١٩٧ - ١٩٩):

ألا لنت شعري، هل يمد لي المدي فأبصر حفل المشركين طريداً^(١)؟
وهل، بعد، يقضى في النصارى بنصرة تغادرهم للمرهفات حصيدا^(٢)؟
ويغزو أبو يعقوب في شانت ياقيب يعيد عميد الكافرين عميدا^(٣)؟
ويفتك من أيدي الطغاة نواعماً تبدلن من نظم الحُجُول قيوذاً^(٤)؟
وعقر منهن التراب ترائباً وخدد منهن المهجير خدوداً^(٥)؟

- (١) المتعينة على الوالي وعلى الناس: الواجبة عليهم.
- (٢) يحاط به: يصبح محصوراً من كل جانب.
- (٣) الوجار شق في الأرض يدخله الحيوانات كالشعالب والأرانب.
- (★★) مع أنه يرى استيلاء العدو على أرض جاره أو يرى أن العدو يقتل جاره.
- (٤) يمد لي المدي (المسافة): يطول عمري. الحفل: الاجتماع. طريد: مطرود، مشرد.
- (٥) المريف: السيف. حصيد: محصود (مقتول).
- (٦) أبو يعقوب: السلطان يوسف بن عبد المؤمن. شانت ياقيب (سانت ياغو، اليوم) بلد في أقصى الشمال الغربي من جزيرة الأندلس. عميد الكافرين: رئيس الإسبان. عمود: مرمود (مضروب على رأسه بالعمود) مقتول (ويزول ملكه).
- (٧) الطغاة جمع طاغية (وكان العرب يطلقون كلمة طاغية على كل ملك من ملوك الإسبان). نواعم جمع ناعمة (فتاة شابة، امرأة فتية). المهجل (بالكسر): الخلل (بالفتح). بدلاً من أن يتأنقن في لبس الخلاخيل في أرجلهن للزينة أصبحت القيود توضع في أيديهن وأرجلهن في الأسر والسجن.
- (٨) عقر فلان الشيء: مرغه في الفبار أو أدخله في التراب. الترية: الجانب الأعلى من الصدر. خدد: شقق. المهجير: حر نصف النهار (كناية عن العمل وقت الظهر) حيثما يستريح الناس عادة بالقيلولة (بالنوم بعد الظهر).

ولما عظمَ خطرُ الإسبانِ على بَلَنْسِيَّةَ قبلَ سُقوطِها^(١) جاءَ من أهلِها وفدٌ إلى السُّلطانِ أبي زكريّا الحفصيّ صاحبِ تُونِسَ، في رَجَبٍ من سَنَةِ ٦٣٦. وكان في الوفدِ ابنُ الأَبَارِ القُضاعي^(٢) فأَنشدَ قصيدته السَّيْنِيَّةَ «أَذْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا» بينَ يَدَيِ السُّلطانِ الحفصيّ.

وفي هذا الوقتِ نفسِه، قُبيلَ سُقوطِ بَلَنْسِيَّةَ، وَجَّهَ بعضُ الشُّعراءِ إلى السُّلطانِ الحفصيّ أبي زكريّا نفسِه قصيدةَ مَطلَعُها «نَادَتْكَ أَنْدَلُسُ فَلَبَّ نِدَاءَها»^(٣) جاءَ فيها (نفع الطيب ٤: ٤٧٩ - ٤٨٣):

تِلْكَ الْجَزِيرَةُ لَا بَقَاءَ لَهَا، إِذَا	لَمْ يَضْمَنْ الْفَتْحُ الْقَرِيبُ بَقَاءَها ^(٤) .
أَشْفَى عَلَى طَرْفِ الْحَيَاةِ دَمَاؤُهَا،	فَأَسْتَبَقِ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ دَمَاءَها ^(٥) .
حَاشَاكَ أَنْ تَفْنَى حَشَاشَتُهَا، وَقَدْ	قَصَّرْتَ عَلَيْكَ نِدَاءَها وَرَجَاءَها.
إِيَّهَ، بَلَنْسِيَّةَ، وَفِي ذِكْرَاكِ مَا	يَمْرِي الشُّؤُونَ دِمَاءَها لَا مَاءَها ^(٦) .
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى آحْتِلَالِ مَعَاهِدِ	شَبَّ الْأَعَاجِمُ دُونَهَا هَيْجَاءَها ^(٧) .
بِأَبِي مَدَارِسُ كَالطُّلُولِ دَوَارِسُ	نَسَخَتْ نَوَاقِيسُ الصَّلِيبِ نِدَاءَها ^(٨) .

وأشهرُ القصائدِ في هذا البابِ قصيدةُ أبي البقاء صالحِ بنِ يزيدِ الرُّنْدِي (ت ٦٨٤ هـ): «لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ» (راجع ترجمة الرندي هذا في هذا الجزء). ومع أَنَّ هذه القصيدةَ قد عُرِفَتْ بِأَسْمِ «رِثَاءِ الْأَنْدَلُسِ»، فَإِنَّهَا قَدْ نُظِمَتْ

- (١) استولى الإسبان عليها ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م).
- (٢) ابن الأَبَارِ القُضاعي (ت ٦٥٨ هـ؛ راجع ترجمته في هذا الجزء).
- (٣) لَبَّى: أَجَابَ.
- (٤) إِذَا لَمْ تَنْقُذْهَا أَنْتَ قَرِيبًا، فَإِنَّ الْإِسْبَانِ سَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا.
- (٥) أَشْفَى: قَرَبَ، اقْتَرَبَ. الدَّمَاءُ: بَقِيَّةُ الْحَيَاةِ. الدِّينُ الْحَنِيفُ: الْإِسْلَامُ.
- (٦) مَرَى يَمْرِي (مَسَحَ): يَمْرِي الْحَالِبُ ضِرْعَ (بِالْكَسْرِ) النَّمْجَةِ لِيَسِيلَ اللَّبَنُ مِنْهُ. الشَّانُ (بِالْفَتْحِ، وَجَمْعُهُ شُؤُونَ): مَجْرَى الدَّمْعِ مِنَ الْعَيْنِ. يَمْرِي الشُّؤُونَ: يَجْعَلُنَا نَبْكِي حَزْنًا.
- (٧) آحْتِلَالُ: سَكْنَى. الْمَعْهَدُ (الْمَنْزِلُ الَّذِي أَلْفَهُ الْإِنْسَانُ). شَبَّ: أَوْقَدَ. الْأَعَاجِمُ (هُنَا): نَصَارَى الْإِسْبَانِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ. دُونَهَا (دُونَ رَجُوعِنَا أَوْ وَصُولِنَا إِلَيْهَا). الْهَيْجَاءُ: الْحَرْبُ.
- (٨) مَدَارِسُ (هُنَا) مَآذِنُ، مَسَاجِدُ (لَأَنَّ الْمَسْجِدَ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانُ الدِّرَاسَةِ وَالْعِلْمِ). الطُّلُلُ: بَقَايَا الْبِنَاءِ بَعْدَ تَهْدِمِهِ (الْأَصْح: الْمَكَانُ الَّذِي زَالَ مِنْهُ الْبِنَاءُ). دَوَارِسُ (جَمْعُ دَارِسٍ: مَحْوٍ).

قبل سقوط الأندلس بقرنين كاملين.

وكان بين أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة (٥٨٢ - ٦٥٨ هـ) وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ) صداقة ومكاتبات. فلما سقطت بلنسية ورد على ابن عميرة رسالة من ابن الأبار (في شأن بلنسية، فيما يبدو، وبعد انقطاع المكاتب بينهما زمناً)، فرد عليها ابن عميرة برسالة طويلة من النثر والنظم جاء فيها (نفع الطيب ٤: ٤٩٠ - ٤٩٦):

..... وأعود من حيث بدأ الأخ الذي أبته شوقي وأتطمح حلاوة عشرته باقية في حاسة ذوقي، طارحني حديث مؤرِد جفّ وقطين خفّ^(١). فيا - الله - لأتراب درجوا^(٢) وأصحاب عن الأوطان خرجوا. قصّت الأجنحة وقيل: طيروا، وإنّا هو القتل أو الأسر أو تسيروا. فتفرّقوا أيدي سبا وانتشروا ملء الوهاد والرهي^(٣) فقي كلّ جانب عويل وزفرة، وبكلّ صدر غليل وحسرة^(٤). ولكلّ عين عبرة لا ترقأ من أجلها عبرة^(٥). دائم خامر بلادنا حين أتاها، وما زال بها حتى سجى^(٦) على موتاه، وشجأ^(٧) ليومها الأطول كهلها وقتاها. وأنذر بها في القوم بحران أنيعة^(٨) يوم أثاروا أسدها المهيجة، فكانت تلك الحطمة طلل الشؤبوب^(٩) وباكورة البلاء

(١) طارح فلان فلاناً حديثاً: حاوره مجدث. المورد: مكان شرب الماء. القطين: الساكن. خفّ: ارتحل.

(٢) التراب (بالكسر) - تراكب من كانت سنّه مثل سنك. درج: ذهب (مات). النداء (هنا): الأذان (النداء إلى الصلاة).

(٣) تفرّقوا أيدي سبا (في كلّ مكان)، كما تفرّق أهل اليمن بعد انفجار سد مأرب. الوهد (بالفتح): ما انخفض من الأرض.

(٤) الغليل: شدة العطش وحرارته (والحزن).

(٥) عبرة (بالكسر): عظة، درس، مغزى، (وبالفتح): دعة، بكاء. رقاً: جفّ (الدمع) وانقطع.

(٦) سجى الميت (بفتح فكون): غطاه.

(٧) شجأ الأمر فلاناً (جعله يحزن).

(٨) كان قد سبق سقوط بلنسية معركة أنيعة (أو أنيشة) التي دلّت على ضعف المسلمين هنالك. البحرين: شدة الحر (ودخول المريض في الهديان من شدة الحمى). الحطمة (بضمّ ففتح): النار الشديدة. الناقة التي تضرب الأرض بحفها ضرباً شديداً، الحادث العنيف. الطل: أول المطر، المطر الخفيف.

(٩) الشؤبوب: الدفعة (بالضم): الكبيرة من المطر. سقوط أنيعة (وهي بلدة صغيرة) كان البدء لسقوط المدن الكبيرة (مثل بلنسية).

المضبوب. أَثْكَلْنَا إِخْوَانًا^(١) أَبْكَانَا نَعِيْهِمْ.....

في نفح الطيب (٤: ٣٨٥ وما بعد):

ولم يَزَلْ بنو مَرِينٍ يُعِينُونَ أَهْلَ الأَنْدَلُسِ بِالمَالِ والرجالِ، وتركوا منهم حُصَّةً مُعْتَبَرَةً^(٢) من أقارب السلطان بالأندلس غزاةً. فكانتْ لهم وقائعُ في العدوِّ مذكورةٌ ومواقفُ مشهورةٌ. وكان عندَ آبنِ الأحمرِ^(٣) منهم جماعةٌ بَغْرناطَة وعلَِيْهِمْ رَئِيسٌ من بيتِ مُلْكِ بني مَرِينٍ يُسَمُّونَهُ «شيخَ الغُزاةِ». ولَمَّا أَفْضَى المُلْكُ إلى السُلْطَانِ الكَبِيرِ الشَّهِيرِ أَيْ الحَسَنِ المَرِينِيِّ، وَخَلَّصَ لَهُ المَغْرِبُ وِبَعْضُ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ، أَمَرَ بِإنْشاءِ الأَساطِيلِ الكَثيرةِ بِرَسْمِ الجِهادِ بالأندلسِ وأَهْتَمَّ بِذلكَ غَايَةً الأَهْتَامِ.

فَقَضَى اللهُ تَعَالَى أَنْ آسْتَوْلَى الإِفْرَنْجُ عَلَى كَثِيرٍ من تلكِ المراكبِ بَعْدَ أَخْذِهِمُ الجزيرةَ الخَضراءَ، وكانَ الإِفْرَنْجُ قد جَمَعُوا جُمُوعاً كَثيرةً بِرَسْمِ الأَسْتِيلَاءِ عَلَى ما بَقِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بالأندلسِ. فَاسْتَنْفَرَ^(٤) أَهْلُ الأَنْدَلُسِ السُّلْطَانُ أبا الحَسَنِ المَذْكَورَ، فَجاءَ بِنَفْسِهِ إلى سَبْتَةِ - فُرْضَةِ المَجازِ^(٥) ومَحَلُّ أَساطِيلِ المُسلمينَ - فإذا بِالإِفْرَنْجِ جَاءُوا بِالسُّفُنِ الَّتِي لا تُحْصَى وَمَنْعَوْهُ مِنَ العُبُورِ وإِغَاثَةِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ حَتَّى آسْتَوْلَوْا عَلَى الجزيرةِ الخَضراءِ^(٦) وَأَنْكَوَهُ فِي مَرَاكِبِهِ أَعْظَمَ نَكَايَةً^(٧)، وَللهِ الأَمْرُ.

وَقَدْ أَفْصَحَ عَنْ ذَلِكَ كِتَابُ صَدَرَ مِنَ السُّلْطَانِ أَبِي الحَسَنِ المَذْكَورِ إِلَى سُلْطَانِ مِصْرَ والشَّامِ وَالْحِجَازِ المَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ المَلِكِ المَنْصُورِ قِلاوُونِ الصَّالِحِيِّ الأَلْفِيِّ^(٨).....

- (١) أَثْكَلْنَا (أَفْقَدْنَا بِالمَوْتِ). النَمِيَّ (بِتَشْدِيدِ الياءِ): الَّذِي يَظُنُّ خَيْرَ المَوْتِ.
- (٢) حُصَّةً (قِسْمٌ) مُعْتَبَرَةٌ (وَإِثْبَاتٌ، كَثِيرَةٌ): جَمَاعَةٌ مِنْ جُنُودِ بَنِي مَرِينٍ.
- (٣) ابْنُ الأَحْمَرِ لِقَبِّ لِكُلِّ سُلْطَانٍ مِنْ سُلْطَانِيَّةِ بَنِي نَصْرٍ فِي غَرْناطَةِ.
- (٤) اسْتَنْفَرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ: دَعَاهُمْ (وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ) أَنْ يَسِيرُوا لِلْحَرْبِ.
- (٥) الفُرْضَةُ: المَخْلِيجُ (عَلَى النَهْرِ أَوْ البَحْرِ) تَرسو فِيهِ السُّفُنُ. المَجازُ (بَحْرُ المَجازِ) الَّذِي يَجُوزُ (بِيتَنَقُلُ) فِيهِ النَّاسُ بَيْنَ بَرِّ المَغْرِبِ وَبَرِّ الأَنْدَلُسِ.
- (٦) الجزيرةُ الخَضراءُ: الطَّرْفُ الأَقْصَى مِنْ جَنُوبِي جَزِيرَةِ الأَنْدَلُسِ، وَمَدِينَةُ هُنَاكَ أَيْضاً.
- (٧) أَنْكَوَهُ (فِي القَامُوسِ: نَكَوَهُ - بَفَتْحٍ فَفَتْحٍ فَسُكُونٍ): غَلَبَهُ، قَهَرَهُ..... أَغْرَقُوا كَثِيراً مِنْ مَرَاكِبِهِ.
- (٨) المَلِكُ المَنْصُورُ قِلاوُونُ (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) الصَّالِحِيُّ (لأنَّ المَلِكَ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أَيْوُبَ قَدْ أَعْتَقَهُ سَنَةَ ٦٤٧ لِلهَجْرَةِ) (الأَلْفِيُّ، لأنَّ سَيِّدَهُ كانَ قَدْ اشْتَرَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ).

وَبَعْدَ خَمْسِ صَفَحَاتٍ مِنْ دِيبَاجَةٍ فِي التَّمَدُّحِ وَالْمَدِيحِ وَبَثَّ الْأَشْوَاقَ وَذَكَرَ
المفاخر تبدأ رسالة أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح (٤ : ٣٩١ وما بعد):

.... لَمَّا وَصَلْنَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ^(١)، وَنَادَى مُنَادٍ لِلجِهَادِ عَزْمًا لِمِثْلِ لِدَائِهِ
يُصِيخُ^(٢)، أَنْبَأَنَا أَنَّ الْكُفَّارَ قَدْ جَمَعُوا أَحْزَابَهُمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ^(٣)، وَحَتَمَ عَلَيْهِمْ
بَابَهُمُ اللَّعِينُ التَّنَاصُرَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٤)، وَأَنْ تَقْصِدَ طَوَائِفُهُمُ الْبِلَادَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ
بِإِيجَافِهَا وَتَنْقُصَ بِالْمُنَازَلَةِ أَرْضَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^(٥) لِيَمْنَحُوا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ مِنْهَا وَيُقَلِّصُوا
ظِلَّ الْإِسْلَامِ عَنْهَا. فَقَدَّمْنَا مَنْ يَشْتَغِلُ بِالْأَسَاطِيلِ مِنَ الْقَوَادِ، وَسَيَّرْنَا عَلَى أَثَرِهِمْ إِلَى
سِتَّةَ مُنْتَهَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبَابِ الْجِهَادِ. فَمَا وَصَلْنَاهَا إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ أَخَذَهُ الْعَدُوُّ
الْكَافِرُ، وَسَدَّتْ أَجْفَانُ الطَّوَاعِيتِ^(٦) عَلَى التَّعَاوُنِ مَجَازَ الْعُبُورِ لَكِنَّا - مَعَ
أَنْسَادِ تِلْكَ السَّبِيلِ - حَاوَلْنَا إِمْدَادَ تِلْكَ الْبِلَادِ بِحَسَبِ الْجُهْدِ،
وَأَصْرَخْنَاهُمْ^(٧) بِمَنْ أَمَكْنَ مِنَ الْجُنْدِ وَأَمَرْنَا لَصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَالِ بِمَا
يُجَهِّزُ بِهِ حَرَكَتَهُ لِمُدَانَةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ^(٨) وَقَدْ كَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ حِينَ
قَضَى بِأَخْذِ هَذَا الثُّغْرِ^(٩)، أَنْ قَدَّرَ لَنَا قَتْنَحَ جَبَلِ طَارِقٍ^(١٠) مِنْ أَيْدِي الْكُفْرِ وَهُوَ الْمُطْلُ

(١) الصرّيح: الاستغاثة.

(٢) عزمًا (مفعول به من نادى). يصيخ: يميل (بسمعه). - كان عزمنا في الاستجابة لندائه أكيداً غلصاً
مثل استغاثته بنا.

(٣) لَمَّا وَصَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ أَنْبَأَنَا (أخبرنا). صوب: جهة.

(٤) حتم: أوجب، فرض. لَمَّا كُتِبَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ، سَنَةُ ٧٤٥ لِلْهِجْرَةِ (١٣٤٥ م) كَانَ الْبَابُ فِي رُومِيَّةِ
كَلِيمَتِ السَّادِسِ (١٣٤٢ - ١٣٥٢ م). الْأَوْبُ: الْجَهَّةُ وَالنَّاحِيَةُ.

(٥) الْإِيجَافُ: السَّرْعَةُ (الاسْتِيلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ بِلا حَرْبٍ). تَنْقُصُ (فَعْلٌ مُتَعَدٍّ) طَوَائِفُ الْإِسْبَانِ (فَاعِلٌ)
بِالْمُنَازَلَةِ (الْقِتَالِ، الْمُبَارَاةُ فِي الْقِتَالِ) الْأَرْضَ (مَفْعُولٌ بِهِ) مِنْ أَطْرَافِهَا (جَوَانِبِهَا). رَاجِعَ الْقُرْآنُ
الْكَرِيمُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (١٣ : ٤١، سُورَةُ الرِّعْدِ).

(٦) الْأَجْفَانُ جَمْعُ جَفْنٍ (بِالْفَتْحِ): مَرْكَبٌ حَرْبِي (٩). الطَّوَاعِيتُ (جَمْعُ طَاغُوتٍ: الشَّيْطَانِ) كِتَابَةٌ عَنِ
الْإِسْبَانِ.

(٧) أَصْرَخَ: أَغَاثَ، سَاعَدَ.

(٨) لِمُدَانَةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ (لِلْإِقْتِرَابِ مِنَ الْإِسْبَانِ الْمُهَاجِرِينَ بِجَيْشٍ: لِلْحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ احْتِلَالِ
الْمَدِينِ).

(٩) الثُّغْرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَخْشَى مِجْمُوعُ الْعَدُوِّ مِنْهُ (بِرًّا أَوْ بَحْرًا).

(١٠) جَبَلُ طَارِقٍ: رَأْسُ صَخْرِي مُشْرِفٍ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ طَرَفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ جَنُوبًا.

على هذه المدرة^(١)، والفرصة منها - إن شاء الله - متيسرة^(٢).... وعُدنا لحضرتنا^(٣) فاس لتستريح الجيوش من وعثله السفر^(٤) وترتبط الجياد وتتخبط العدد^(٥) لوقت الظهور المنتظر وتكون على أهبة^(٦) الجهاد.....

وعند عودنا من تلك المحاولة، تيسر الركب الحجازي^(٧) موجهاً إلى هنالكم رواجه^(٨)، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب.... وأعتقدنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء^(٩). وما لكم من غرض بهذه الأنحله فموقى قصده على أكمل الأهواء^(١٠)... والبلاد باتحاد الود متحدة، والقلوب على ما فيه مرضاة الله - عز وجل - منقعدة. جعل الله ذلكم خالصاً لرب العباد مذخوراً ليوم التناد^(١١) مسطوراً في الأعمال الصالحة يوم المعاد^(١٢).... والسلام الأثم يخصكم كثيراً أثيراً^(١٣) ورحمة الله وبركاته. وكُتب يوم الخميس السادس والعشرين من صفر المبارك من عام خمسة

-
- (١) المدرة: القرية (المدينة) المبنية بالطين (أي مدينة الجزيرة الخضراء التي بنيت هناك لتكون مكاناً لتجمع الجيوش).
 - (٢) ... متيسرة (سهلة) لمهاجرة الإسيان.
 - (٣) الحضرة: العاصمة.
 - (٤) وعثاء السفر (شدته والتعب الذي يقاسيه المسافر).
 - (٥) ارتباط الجياد (الخيل): إعدادها للحرب. العدة (بالضم): آلة الحرب.
 - (٦) الأهبة: العدة (بالضم) الوسيلة، الاستعداد.
 - (٧) الركب الحجازي: القافلة المتوجهة إلى الحجاز للحج.
 - (٨) الراحلة: الحيوان (البعير، الحصان، الخ) الذي يسافر الناس عليه.
 - (٩) نحن نعتقد أنكم إذا دُعيتُم إلى مثل هذه المساعدة في الدفاع عن المسلمين في الأندلس، «لا يخشى جديده من البلاء» (الاختبار): أنتم معروفون أن أعمالكم الماضية كانت للدفاع عن الإسلام والمسلمين (وهذا ملموح في ثنايا الرسالة)، فلن يكون موقفكم الجديد إلا كمواقفكم القديمة.
 - (١٠) وما لكم (ما ترغبون فيه) من غرض (حاجة أو رغبة) بهذه الأنحله (في بلادنا: المغرب) فموقى (نقوم لكم به) على أكمل الأهواء (على أحسن ما ترغبون).
 - (١١) مذخوراً: مَدَحَرّاً، محفوظاً. التناد = التنادي (يوم القيامة)، إذ يكثر فيه تنادي الناس: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة (يستغيثون بهم لشيء من الماء مثلاً) وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار (ليذكروهم بأن أعمالهم - أعمال أصحاب النار - في الدنيا لم تكن صالحة).
 - (١٢) يوم المعاد: يوم القيامة (عودة البشر كلهم إلى ربهم للحساب).
 - (١٣) الأثير: الفاضل، الكريم.

وأربعين وسبعمائة^(١).

وفي سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٥٠ م)، أو بعدها بقليل كتب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف النيار بن إسماعيل (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) «رسالة إعلامية» (من الدعاية الرسمية) يُشدّد فيها عزائم الرعية على شيء من الصبر على الضيق النازل بغرناطة ويُمْنِيهِمْ^(٢) بفرج أوسع مدى. في هذه الرسالة (نصح الطبيب ٤: ٤٤٢ - ٤٤٤):

.... فقد علمتم، ما كانت الحال آلت^(٣) إليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية^(٤) الذي جرى في ميدان الأمل جري الجموح^(٥)، ودارت عليه خمرة النخوة والخيلة مع الغبوق والصبح^(٦)، حتى طمع بسكر اعتزازه. و (قد) محص^(٧) المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوزت منتهى مقداره^(٨)، وتوجهت إلى استئصال الكلمة^(٩) مطامع أفكاره، ووثق بأنه يُظْفِئُ نور الله بناره. ونازل جبل الفتح فشدّ مُحَنَّقُ حصاره^(١٠).... وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد^(١١) المنقطع بين الأمة الكافرة والبحور الزاخرة والمرام البعيد. وإننا صابرون بالله^(١٢) تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله^(١٣)، ولجأنا إلى

(١) يوافقه في التقويم الميلادي ١٣٤٤/٧/٩.

(٢) يجعل لهم أمنية: أملاً مقبلاً.

(٣) آلت: رجعت، صارت (وصلت).

(٤) كان المسلمون في الأندلس يطلقون على ملوك إسبانية لقب «الطاغية» (الظالم المتجبر).

(٥) الجموح: الحصان النشيط النافر الذي لا يكاد يمكن أحداً من ركوبه.

(٦) خمرة (الصواب: خر). الخيلة: التكبر. الهامة، التعاطف، التكبر. الغبوق: شرب الخمر مساء. الصبح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) محص: طهر، اختبر، نفى الكدر والثواب من المعادن. محص (القتال) الناس: نفى منهم من لا يصلح (أهلك أكثرهم).

(٨) قتل من المسلمين أكثر مما كان هو قادراً على قتله (لضعف المسلمين وتحاذلهم).

(٩) استئصال: اقتلاع. الكلمة (كلمة التوحيد).

(١٠) جبل الفتح: جبل طارق.... اشتدّ عليه الحصار.

(١١) الوحيد (هنا) المنفرد بنفسه والمنقطع عن إخوانه المسلمين.

(١٢) صابرون بالله (استمناً بالله ليكون صبرنا على القتال أكثر من صبر عدونا).

(١٣) الجنح: الجانب من الليل. الدجنة: الظلام.

مَنْ يَبِيدُهُ نَوَاصِي الْخَلَائِقِ ^(١) وَفَسَحْنَا مَجَالَ الْأَمَلِ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ الْمُتَضَاقِقِ
وَلَمْ نُقْصِرْ - مَعَ ذَلِكَ - فِي إِبْرَامِ الْعَزْمِ وَاسْتِشْعَارِ ^(٢) الْحَزْمِ وَإِمْدَادِ الثُّغُورِ بِأَقْصَى
الْإِمْكَانِ وَبَعَثِ الْجَبِيُوشَ إِلَى مَا يَلِينَا عَلَى الْأَحْيَانِ ^(٣). فَرَحِمَ اللَّهُ أَنْقِطَاعَنَا إِلَى كَرَمِهِ
وَأَلْتَجَأْنَا إِلَى حَرَمِهِ ^(٤)، فَجَلَّى ^(٥) بِفَضْلِهِ، سُبْحَانَهُ، ظُلْمَ الشَّدَّةِ وَمَدَّ عَلَى الْحَرِيمِ
وَالْأَطْفَالِ ظِلَالَ رَحْمَتِهِ الْمُتَمَدِّدَةِ

وَبَيْنَمَا شَفَقْتُنَا عَلَى جَبَلِ الْفَتْحِ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ، وَكَلَبُ ^(٦) الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ يُنِيرُ
وَيُرْعِدُ، وَالرَّجَاءُ وَالْيَأْسُ خَصَانٍ: هَذَا يُقَرِّبُ وَهَذَا يُبْعِدُ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الْبَشِيرُ
بِأَنْفِرَاجِ الْأَزْمَةِ وَحَلَّ تِلْكَ الْعَزْمَةَ وَمَوْتَ شَاهِ تِلْكَ الرَّقْمَةِ ^(٧) وَإِبْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
تِلْكَ الْبُقْعَةِ ^(٨)، وَأَنَّهُ، سُبْحَانَهُ - أَخَذَ الطَّاعِيَةَ ^(٩) أَكْمَلَ مَا كَانَ آغْتِرَارًا وَأَعْظَمَ
أَنْصَارًا وَأَنَّ مَنْ يَبِيدُهُ الْأَمْرُ طَرَقَهُ بِحَتْفِهِ ^(١٠) وَأَهْلَكَهُ بِرُغْمِ أَنْفِهِ، وَأَنَّ مَحَلَّتَهُ
عَاجِلُهَا التَّبَابُ وَالتَّبَارُ ^(١١)، وَعَاطَتْ فِي مَنَازِلِهَا النَّارَ ^(١٢) وَأَنَّ حُمَاتِهَا ^(١٣) يَخْرُبُونَ

-
- (١) إِلَى مَنْ يَبِيدُهُ .. (إِلَى اللَّهِ). النَّاصِيَةُ: مَقْدَمُ الرَّأْسِ أَوْ شَرُّ مَقْدَمِ الرَّأْسِ.
(٢) اسْتِشْعَارُ (لِبْسِ) الْحَزْمِ (الْبَتِّ فِي الْأُمُورِ): تَظَاهَرْنَا بِذَلِكَ.
(٣) الثُّغُرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَمْشَى بِجِيءِ الْعَدُوِّ مِنْهُ. بَلِينَا: يَكُونُ إِلَى جَانِبِنَا، عَلَى مَقَرَّةٍ مَنَا. عَلَى الْأَحْيَانِ:
حِينَئِذٍ بَعْدَ حِينٍ (٢).
(٤) الْحَرَمُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَحْمِيهِ صَاحِبُهُ. حَرَمَ اللَّهُ: الْمَكَانَ الَّذِي لَا يَجُوزُ فِيهِ الْقِتَالُ.
(٥) جَلَّى: كَشَفَ.
(٦) الْكَلْبُ (بِفَتْحٍ فَفَتْحٍ): شِدَّةُ الْأَذَى.
(٧) الْأَزْمَةُ: الشَّدَّةُ. الْعَزْمَةُ: الْإِرَادَةُ. شَاهِ (مَلِكٌ) الرَّقْمَةُ: رَقْمَةُ الشُّطْرَنْجِ (بِالْكَسْرِ): كُنَايَةُ عَنْ مَلِكِ
الْإِسْبَانِ أَلْفُونْسُو الْحَادِي عَشَرَ الَّذِي تَوَفَّى فِي أَثْنَاءِ حَصَارِ جَبَلِ طَارِقَ، عَامَ ١٣٥٠ لِلْمِيلَادِ
(٧٥١ هـ). - التَّمْبِيرُ « شَاهِ تِلْكَ الرَّقْمَةِ » مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَقَامَةِ الْمُضِيرَةِ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ (ت
٣٩٨ هـ).
(٨) تِلْكَ الْبُقْعَةُ (الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَقِيَتْ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ).
(٩) أَخَذَ الطَّاعِيَةَ: أَمَاتَهُ.
(١٠) طَرَقَهُ (أَتَاهُ بِفَتْةٍ) بِحَتْفِهِ (بِهَلَاكِهِ).
(١١) التَّبَابُ وَالتَّبَارُ: الْهَلَاكُ.
(١٢) عَاطَتْ: أَفْسَدَ.
(١٣) الْحَمَاءُ: الْجُنُودُ (الْمُدَافِعُونَ، الْأَبْطَالُ).

بيوتهم بأيديهم وينادي بشتات^(١) السَّمل مُناديهم. وتلاحقُ الفُرسانُ^(٢) من جبلِ الفتح (ذلك) المَعقلِ^(٣) الذي عليه من عنايةِ الله تعالى رواقٌ مضروب، والرباطُ^(٤) الذي من حاربته فهو المحروب^(٥). فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائق لها عن الطريق.... وأنَّ النصرى - دمرها الله تعالى - جدت في ارتحالها^(٦) وأسرعت بحيفة طاعتها^(٧) إلى سوء مآلها^(٨) وحالها، وسَمحت للنار والنَّهب بأسلابها وأموالها^(٩). فبهرنا هذا الصنعُ الإلهي الذي مهد الأقطارَ بعدَ رجفانها^(١٠) وأنامَ العيونَ بعد سهادِ أجفانها.... ورأينا سِرَّ اللطائفِ الحفيّةِ كيف سريانه في الوجود وشاهدنا بالعيان أنوارَ اللطائفِ الإلهيةِ والوجود. وقلنا: إنّما هو الفتحُ الأوّلُ شفعَ بئانٍ، وقواعدُ الدينِ الحنيفِ أيدت من صنعِ الله ببنيان^(١١). اللهم، لك الحمدُ على نعيمك الباطنة والظاهرةِ ومِنِكَ^(١٢) الوافرة. إنَّك وَلِيُّنا^(١٣) في الدنيا والآخرة.

وهناك رسائلُ أخرى بهذا المعنى لا تخرجُ عن هذا الإطار - من ضعف المسلمين حيناً وتخاذلِ أمرائهم حيناً آخرَ، ومن تناصُرِ الدُولِ النصرانيةِ في أوروبا على إخراج المسلمين من الأندلس. وكانت البابوية تتزعّم هذه الحركة - بما لا حاجة إلى الاستشهاد بها. إنّ ما ذكرته يُجزئ عَمّا لم أذكره. وفي هذه الصفحات الكثيرة التي

(١) الشتات: التفرّق.

(٢) تلاحق الفُرسان: لحق بعضهم بعضاً (فروا، هربوا، انهزموا).

(٣) المَعقل: الحصن (بالكسر).

(٤) الرباط: المكان الذي يكون فيه مدافعون على حدود الدولة الإسلامية.

(٥) المحروب: المسلوب (الخاسر).

(٦) جدت في ارتحالها: أسرعت في سفرها (رجوعها إلى بلادها).

(٧) حيفة (جثة) طاعتها (ملكها: ألفونس الحادي عشر).

(٨) إلى سوء مآلها: مرجعها، مصيرها (مرجع الملك بعد الموت إلى جهنم).

(٩) سمحت للنار والنَّهب بأسلابها وأموالها^(٩).

(١٠) مهد (بلا تشديد وبتشديد): عمل على تسهيل الأمر وتيسيته (تسكينه).

(١١) الفتح الأوّل (موت الطاغية ألفونسو الحادي عشر؟). الفتح الثاني (انسحاب الإسبان وتركهم محاصرة المسلمين؟). قواعد (أسس) الدين الحنيف (الإسلام) أيدت (قويت، زاد، رسوخها) بنيان (بدعائم، بكمال).

(١٢) المن جمع منة (بالكسر): نعمة.

(١٣) الولي: الذي يتولّى أمر الناس (الصاحب، النصير، الحليف، الكفيل، الخ).

مَرَّتْ نَوْعٌ مِنَ الْأَدَبِ (أَدَبِ التَّفَجُّعِ) وَغَاذِجٌ وَاقِيَةٌ لِأَسْلُوبِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ.

- ومن رسالة لِّلِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ، بَعْدَ أَنْ وَرَدَ خَبْرُ بَانَ بْنِ مَرِينٍ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى إِنْجَادِ غَرْنَاطَةَ ثُمَّ جَاءَ خَبْرٌ ثَانٍ بِأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْ ذَلِكَ (نَفَحَ الطَّيِّبُ ٤: ٤١١-٤١٦):

.... وَنَحْنُ مِمَّا شَدَّ الْمُخَنَّقُ بِكُمْ نَسْتَنْصِرُ، أَوْ تَرَاخَى فِيهِ وَدَّكُمْ نَسْتَبْصِرُ، أَوْ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْوَابَكُمْ نُهْنِي وَنُبَشِّرُ. وَقَرَّرْنَا عِنْدَكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَوَقَّفَ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَصِلْ مِنْهُ إِلَيْهَا سَرِيَّةٌ^(١)، وَلَا بَطِشَتْ لَهُ (فِيهَا) يَدٌ جَرِيَّةٌ^(٢)... وَلَا نَدْرِي الْمَكِيدَةَ تُدَبِّرُ.... أَوْ لَشَاغِلٍ فِي الْبَاطِنِ لَا يَظْهَرُ^(٣)؟ وَبَعْدَ ذَلِكَ، وَرَدَتْ عَلَى بَانِيْنَا مِنْ بَعْضِ كِبَارِهِمْ وَزُعْمَاهُ أَقْطَارُهُمْ مُخَاطَبَاتٌ يَنْدُبُونَ فِيهَا إِلَى جُنُوحِهَا لِلِسَّلَامِ فِي سَبِيلِ النَّصْحِ^(٤)... فَلَمْ يَخَفْ عَنَّا أَنَّهُ أَمْرٌ دُبِّرَ بَلِيلٌ^(٥)... فَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ... لِنَعْتَبِرَ مَا لَدَيْهِ^(٦)... فَتَأْتَى ذَلِكَ وَجَرَ مُفَاوِضَةً أَعَدْنَا (فِي الْحَاشِيَةِ: أَعَدَدْنَا) لِأَجْلِهَا الرِّسَالَةَ^(٧) وَاسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَ^(٨).... وَنَحْنُ نَرْتَقِبُ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُهَادَنَةٍ تَحْصُلُ بِهَا الْأَقْوَاتُ الْمُهَيَّاتُ لِلْإِنْتِسَافِ^(٩)، وَتَسْكُنُ (فِي الْحَاشِيَةِ: تَسْكِينُ) مَا سَاءَ الْبِلَادَ الْمُسْلِمَةَ مِنْ هَذَا الْإِرْجَافِ^(١٠).... أَوْ حَرْبٍ يَبْلُغُ الْأَسْتَبْصَارَ فِيهَا غَايَتَهُ^(١١).... وَلَمْ

(١) السَّرِيَّةُ (فِي الْأَصْلِ): جَيْشٌ يَذْهَبُ لِلْجِهَادِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَهَذَا: حَمْلَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ فَقَطْ.

(٢) جَرِيَّةٌ = جَرِيَّةٌ (وَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِلْمُوَافَقَةِ فِي السَّجْعِ مَعَ «سَرِيَّةٍ»).

(٣).... لَشَاغِلٌ فِي الْبَاطِنِ: لِمَشَاكِلٍ دَاخِلِيَّةٍ (فِي بِلَادِ الْإِسْبَانِ).

(٤) .. يَطْلُبُونَ مِنَّا أَنْ نَمْنَحَ (نَمِيلَ) إِلَى السَّلَامِ (الصَّلَاحِ) فِي سَبِيلِ النَّصْحِ (اقْرَأْ: عَلَى سَبِيلِ النَّصْحِ): حُبًّا بِفَائِدَتِنَا نَحْنُ (الْمُسْلِمِينَ).

(٥) أَمْرٌ دُبِّرَ بَلِيلٌ (مَكِيدَةٌ، خِدَاعٌ).

(٦) تَظَاهَرْنَا أَنَّنَا قَبْلُنَا اقْتِرَاحَ الْإِسْبَانِ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مُفَاوِضِينَ.

(٧) الرِّسَالَةُ (هَذِهِ الرِّسَالَةُ).

(٨) اسْتَشْعَرَ الرَّجُلُ: لَبَسَ الشَّعَارَ (ثَوْبَ يَلْبَسُ مِلَاصِقًا لِلْبَدَنِ). اسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَ (الشَّجَاعَةَ): تَظَاهَرْنَا بِالْقُوَّةِ (بَيْنَا كُنَّا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِنَسْتَفِيتَ بِكُمْ).

(٩) فَعَلْنَا ذَلِكَ (قَبْلُنَا الْمَدَنَةَ) خَوْفًا عَلَى الْمَوَاسِمِ الَّتِي قَرُبَ حَصَادُهَا وَنَحْنُ إِذَا جَاءَ الْإِسْبَانُ بِمَحْمَلَةٍ عَلَيْهَا أَنْ يَنْتَسِفُوهَا (يَقْتُلُوهَا): يَتْلَفُوهَا.

(١٠) الْإِرْجَافُ: نَشْرُ الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ (الْتِهَادُ بِالْحَرْبِ).

(١١) حَرْبٌ يَبْلُغُ الْأَسْتَبْصَارَ (حَسَنَ النَّظَرِ) فِيهَا غَايَتَهُ (تَامَهُ): حَرْبٌ لَيْسَتْ لَهَا خِلْفَةٌ.

نَجْعَلُ سَبَبَ الْاَعْتِزَالِ فِيَا اَرَدْنَا وَشَمُوخَ الْاَنْفِ فِيَا اَصْدَرْنَا اِلَّا مَا اَشْنَا مِنْ عَزَمِكُمْ ^(١) عَلَى نُصْرَةِ الْاِسْلَامِ وَارْتِقَابِ خُفُوقِ الْاَعْلَامِ ^(٢) ثُمَّ اَتَّصَلَ بِنَا الْخَبْرُ الْكَارِثُ ^(٣) بِمَا كَانَ مِنْ حَوْرِ الْعَزَائِمِ الْمُؤْمَنَةِ بَعْدَ كَوْرِهَا ^(٤)، وَتَسْوِيفِ مَوَاعِيدِ النُّصْرَةِ بَعْدَ قَوْرِهَا ^(٥) وَأَنَّ الْحَرَكَةَ مُعْمَلَةً إِلَى مَرَاكُشَ ^(٦) الْجِهَةِ الَّتِي فِي يَدَيْكُمْ زِمَامُهَا فَسُقِطَ فِي الْاَيْدِي الْمَمْدُودَةُ ^(٧) ... وَخَسِيتِ الْاَبْصَارُ الْمُرْتَقِبَةُ ^(٨) وَسَاءَتِ الظُّنُونُ وَذَرَفَتِ الْعُيُونُ. وَأَكْذَبَ الْفُضْلَاءُ الْخَبَرَ وَنَفَوْا أَنْ يُعْتَبَرَ. وَقَالُوا: هَذَا لَا يُمَكِّنُ حَيْثُ الدِّينُ الْخَنِيفُ وَالْمُلْكُ الْمُنِيفُ ^(٩) وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى مِيثَاقَهُمْ وَحَمَلَ النِّصِيحَةَ اَعْنَاقَهُمْ ^(١٠). وَهَذَا الْمُفْتَرَضُ ^(١١) يَا بَاهُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْاِسْلَامُ، وَتَابَاهُ الْعُلَمَاءُ وَالْاَعْلَامُ، وَتَابَاهُ الْمَآذِنُ وَالْمَنَابِرُ، وَتَابَاهُ الْهَمَمُ الْاَكَابِرُ. فَبَادَرْنَا نَسْتَطْلِعُ طَلَعَ هَذَا النَّبَأِ الَّذِي إِنْ كَانَ بَاطِلًا فَهُوَ الظَّنُّ، وَلِلَّهِ الْمَنْ ^(١٢). وَإِنْ كَانَ خِلَافَهُ لِرَأْيٍ تَرَجَّحَ فَنَحْنُ نُوَفِّدُ كُلَّ مَنْ يَقْدُمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْقَطْرِ فِي شِفَاعَةٍ وَيَمِدُّ إِلَيْهِ كَفَّ ضَرَاعَةٍ وَمَنْ يُوسِّمُ ^(١٣) بِصَلَاحٍ وَعِبَادَةٍ يَتَطَارَحُونَ عَلَيْكُمْ فِي نَقْضِ مَا أُبْرِمَ وَنَسْخِ

- (١) أَشْنَا: أَذْعْنَا، أَعْلَنَّا.
- (٢) ارْتِقَاب (انتظار) خُفُوقِ (تَوَجُّعِ) الْاَعْلَامِ (الرايات): مَجِئِكُمْ لِمَاعِدَتِنَا.
- (٣) الْكَارِثُ: الشَّدِيدُ الْوَقْعُ عَلَى النَّفْسِ (الْمُنْذِرُ بِكَارِثَةٍ).
- (٤) الْحَوْرُ: الرَّجُوعُ (عَنِ الْعِزْمِ)، نَقْضُ مَا كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ. الْكُورُ: لَفَّ الشَّيْءُ عَلَى الْجِسْمِ (إِحْكَامُ الرِّبَاطِ، تَأْكِيدُ الْأَمْرِ). الْفُورُ (الِإِسْرَاعُ فِي الْعَمَلِ).
- (٥) إِنْ الْجَبِيشُ الَّتِي كَانَتْ مَتَّجِهَةً مِنْ مَرَاكُشِ (عَاصِمَةِ الْمَغْرِبِ) إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِقِتَالِ الْإِسْبَانِ، هِيَ الْآنَ مَعْمَلَةٌ (مُسْرَعَةٌ) نَحْوَ مَرَاكُشِ (بِسَبَبِ التَّزَاعِ بَيْنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ عَلِيِّ بْنِ عُمَانَ وَأَبِي عَنَانَ فَارَسَ، سَنَةَ ٧٥١ لِلْهِجْرَةِ، عَلَى الْعَرْشِ - رَاجِعِ الْاسْتِقْصَا ٢: ٨٥).
- (٦) سَقَطَ فِي الْاَيْدِي الْمَمْدُودَةِ (الطَّالِبَةِ لِلْمَعُونَةِ): تَحَيَّرَتْ وَاضْطَرَبَتْ.
- (٧) خَسِيتْ: ضَعُفَتْ (فَقَدَتْ الْقُدْرَةَ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ). الْمُرْتَقِبَةُ: الْمُنْتَظَرَةُ.
- (٨) الدِّينُ الْخَنِيفُ: الْإِسْلَامُ. الْمُنِيفُ: الْعَالِي (الثَّابِتُ الْقَوِيُّ).
- (٩) الْعُلَمَاءُ مُسْؤُولُونَ عَمَّا يَصِيبُ أُمَّتَهُمْ.
- (١٠) الْمُفْتَرَضُ = الْمَفْرُوضُ (رَجُوعُ بَنِي مَرْيَنٍ عَنْ وَعْدِهِمْ بِنُصْرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمُحَارَبَةِ الْإِسْبَانِ).
- (١١) نَسْتَطْلِعُ طَلَعَ النَّبَأِ: نَبِیْتُ عَنْ صَحَّةِ الْخَبَرِ. الْمَنْ: النِّعْمَةُ، الْإِنْعَامُ عَلَى النَّاسِ.
- (١٢) يَقْدُمُ (٤). الضَّرَاعَةُ: السُّؤَالُ (مِنْ اللَّهِ) بِتَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ. وَسَمَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ): صَارَ لَهُ عَلَامَةٌ. ... نَرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَفْرَادًا يَقْبَلُ شِفَاعَتَهُمْ عِنْدَكُمْ (٤) وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ كَيْ يَقْبَلُوا مِنْهُ (٤).

ما أَحْكَمَ^(١)، فَإِنَّكُمْ^(٢) تَجْنُونَ به على مَنِ اسْتَنْصَرَكُمْ عَكْسَ ما قَصَدَ.... وَهَبِ الْمُذَرَّ يُقْبَلُ في عَدَمِ الإِعَانَةِ وَضَرُورَةِ الاسْتِعَانَةِ وَالْاِسْتِكَانَةِ، أَيِ عُدْرٍ يُقْبَلُ في الْأَطْرَاحِ وَالْإِعْرَاضِ الصُّرَاحِ^(٣) كَأَنَّ الدِّينَ غَيْرُ وَاحِدٍ^(٤)، كَأَنَّ هَذَا الْقَطْرَ لِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ جَاحِدٌ، كَأَنَّ ذِمَامَ^(٥) الْإِسْلَامِ غَيْرُ جَامِعٍ.... فَنَحْنُ نَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ به وَالْأَرْحَامِ^(٦)، وَنَأْنِفُ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْإِخْجَامِ. وَنَتَطَارَحُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَرَكُوا حَظَّكُمْ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَةِ^(٧) حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَتَكَالَبُ عَلَيْنَا بِإِذْبَارِكُمْ بَعْدَ مَا تَسَاءَلْ لِاسْتِنْفَارِكُمْ^(٨).... وَمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ لَا يَفُوتُ^(٩)..... إِنَّمَا الْفَائِتُ مَا وَرَاءَكُمْ مِنْ حَيْثُ تَأْنِفُ مِنْ سَاعِهِ أَوْ ذَاؤُكُمْ^(١٠) وَدِينٌ يَشْمَتُ به أَعْدَاؤُكُمْ^(١١). فَاسْعِفُوا بِالشَّفَاعَةِ فِيمَنْ يَتِلَّكَ الْجِهَةَ الْمَرَاكُشِيَّةَ قَصْدَنَا^(١٢)، وَحَاشَا إِحْسَانَكُمْ أَنْ يَرْضَى فِيهِ رَدُّنَا.....

- (١) يتطارحون: يتبادلون الآراء في أمر ما (هنا: يلقون بأنفسهم بين أيديكم بذلة). في نقض ما أبرم (في إبطال ما كنتم أقررتوه) وفي نسخ ما أحكم (تبديل ما كان قد جُمع فرضاً واجباً).
- (٢) فإنكم (إقرأ: وإلا فإنكم - فإن لم تفعلوا فإنكم).
- (٣) أطراح الأمر: تركه جملة وإهماله. الإعراض (الالتفات عن الأمر، ترك الاهتمام بالشيء) الصراح (الواضح الذي لا تردد في تفسيره).
- (٤) كأن ديننا غير دينكم.
- (٥) الذمام: العهد، الحق، الحرمة (وجوب الدفاع عما يتصل بالإنسان).
- (٦) في القرآن الكريم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٤: ١، سورة النساء): خافوا الله. تساءلون = تتساءلون به بينكم (حينما يقول أحدكم للآخر: أسألك بالله - بأنّي وإياك نعبد ربّاً واحداً) واتَّقُوا (خافوا على) الأرحام (القراة التي بيننا في الدين، وفي النسب أيضاً) أَنْ تَقْطَعُوهَا وَتَتْرَكُوا نصرنا فيستولي علينا العدو الكافر.
- (٧) اتركوا الآن الخلاف الذي بينكم في تلك الجهة (مراكش - من الخلاف على تولي العرش) إلى أن تتقنونا من العدو (الإسبان) الذي يتكالب (يعلم العداوة لنا ثم يشب علينا من كل جانب) بإدباركم (إذا رأى أنكم تتخلفون عن نصرتنا).
- (٨) استنفاركم: الاستغاثة بكم.
- (٩) ما ذهبتم إليه (حل مشكلة الخلاف على العرش) لا يفوت (لا يمضي زمنه، يمكن أن تعالجوه بعد مدة). إِنَّمَا الْفَائِتُ (الذي تخسرونه ثم لاتتقنونه) ما وراءكم (ما تركتموه وراءكم: لا تهتمون به، أي ضياع بلاد الأندلس).
- (١٠) الواو: الهبة.
- (١١) ودين (أي الإسلام) يشمت به أعداؤكم - إذا زال عن الأندلس.
- (١٢) ابعثوا إلى مساعدتنا أولئك الجنود الذين رددتموهم إلى مدينة مراكش.

أدب المولد (*)

المَوْلِدُ، هنا، ذكرى ميلادِ محمدٍ رسولِ الله - في ثاني عَشَرَ ربيعِ الأوَّل من العام ٥٢ قبل الهجرة (٥٧٠ م) - والاحتفالُ بهذه الذكرى بِدَعَةٍ (شيء لم يكن في أيامِ رسولِ الله ولا في أيامِ الصَّحابة). غيرَ أنَّ هذه البِدعةَ إذا اتَّصلتْ بالتقوى (من صلاةٍ وذكرٍ لله) وبالأعمالِ الصالحة (من خِدْمَةِ المجتمع: بالصدقة والوعظ والتحدث بمآثرِ الإسلام وزيارَةِ بعضِ المسلمينَ بعضاً تأكيداً للمودةِ بينهم) فإنَّها تُصْبِحُ حينئذٍ بدعةً حَسَنَةً محمودة. أمَّا هذا الذي يفعله اليَوْمَ جماعاتٌ من المسلمين عادةً (من إقامة الزينة من الورقِ الملوَّن وإطلاق الرصاص والركض في الشوارع واستغلال المناسبةِ الكريمة في سبيلِ أغراضٍ دُنْيَوِيَّةٍ مُختلفة - سياسيَّة أو غير سياسيَّة) فإنَّها هُوَ جاهليَّةٌ ووَثْنِيَّةٌ أيضاً. وعلى هذا قال الإمام شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ).

«..... وأما اتِّخَاذُ مَوْسِمٍ غيرِ المَواسِمِ الشرعيَّةِ^(١) كَبَقْعِ لِيالي شهرِ ربيعِ الأوَّل التي يُقالُ إنَّها ليلةُ المولدِ^(٢)، أو بعضِ لِيالي رَجَبٍ^(٣) أو ثامنِ عَشَرَ ذِي الحِجَّةِ^(٤) أو

(*) للدكتور محسن جمال الدين كتاب في ثمان وأربعين صفحة، على صفحته الأولى: في رياض الأندلس: احتفال الموالد النبويَّة في الأشعار الأندلسيَّة والمغربيَّة والمهجريَّة، الطبعة الأولى، بغداد (مطبعة دار البصري) ١٩٦٧ م. - ومع أن هذا الكتاب يتناول أشياء كثيرة لا صلة لها بالمولد: دخول الإسلام إلى المغرب والأندلس (ص ٨ - ١٤) ثم اهتمام العلماء والأمرأ والخلفاء في ميلاد الرسول الأعظم (ص ١٤ - ١٩)، وهو فصل في نفر من علماء المغرب والأندلس ليس فيه ذكر للمولد. ثم يأتي فصل: الشخصيات الأندلسية والمغربية التي زارت المشرق أو دخلت الأماكن المقدسة (ص ١٩ - ٢٠). وابتداء من الصفحة العشرين (أو الحادية والعشرين على الأصح) يأتي الكلام على الاحتفال للمولد النبوي. ولا شك في أن الصديق محسن جمال الدين قد نبه الأفكار بكتابه الموجز إلى موضوع يستحق عناية وافية.

(١) في الإسلام موسمان شرعيَّان: أوَّلُ شَوَّال (عيد الفطر: لخروج المسلم من صيام رمضان على طاعة) ثم العاشر من ذِي الحِجَّة (عيد الأضحى: لقيام المسلم المستطيع بفريضة الحج).

(٢) لا خلاف في أن محمداً رسول الله قد ولد في شهر ربيع الأوَّل؛ ولكنَّ هنالك خلافاً في اليوم الذي ولد فيه من شهر ربيع الأوَّل.

(٣) لعلَّ في ذلك إشارة إلى ليلة الإسراء. إنَّ الحادث التاريخي: إسراء الرسول صَلَّى الله عليه وسلم (في السابع والعشرين من رجب) ثابت. ولكنَّ الاحتفال بهذه الليلة من كلِّ عام لم يكن معروفاً في أيام الصحابة.

(٤) في الثامن عشر من شهر ذِي الحِجَّة (من السنة العاشرة للهجرة) كان الرسول راجعاً من حجة الوداع. فلما =

أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ أَوْ ثَامِنِ شَوَّالٍ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجُهَّالُ عِيدَ الْأَبْرَارِ، فَإِنَّهَا مِنْ الْبِدْعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا (١) .»

أَمَّا الْأَحْتِفَالُ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ وَبِذِكْرِ أَيَّامِ وَلِيَالٍ مُخْتَلِفَاتٍ فَبَدَأَ فِي أَيَّامِ الْفَاطِمِيِّينَ (فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ = الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ)، فَقَدْ أَرَادَ الْفَاطِمِيُّونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِحُكْمِهِمُ السِّيَاسِيَّ وَجَاهَةً فَاتَّخَذُوا عِدَدًا مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَتَأَلَّفُوا بِهَا عَوَامَّ النَّاسِ بِإِقَامَةِ الْمَادِبِ الْعَامَّةِ وَإِقَامَةِ مَعَالِمِ الزَّيْنَةِ بِالْأَنْوَارِ وَبِقِرَاءَةِ السِّيَرَةِ (النَّبَوِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ السِّيَرِ). وَأَحَبَّ الْعَامَّةُ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ ضَرَرٌ (إِذَا كَانَتْ لِلتَّقْوَى وَلِفَائِدَةِ النَّاسِ)، وَلَكِنَّهَا - عَلَى كُلِّ حَالٍ - لَيْسَتْ فَرَضًا عَلَى النَّاسِ.

وَأَحَبَّ نَفَرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَيْضًا وَضَعَ سِيرَةَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِرَاءَةَ تِلْكَ السِّيَرَةِ عَلَى النَّاسِ فِي عِدَدٍ مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ (شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى شَفَاةِ مَرِيضٍ أَوْ نَجَاحِ مَشْرُوعٍ أَوْ مَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ).

وَبَيْنَمَا كَانَ عَوَامُّ النَّاسِ وَنَفَرٌ مِنَ الرُّعُلَاءِ السِّيَاسِيِّينَ يَخْرِصُونَ عَلَى الْأَحْتِفَالِ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ، كَانَ هُنَالِكَ مَقَاوِمَةٌ لِهَذَا الْأَحْتِفَالِ عَلَى أَنَّهُ بَدْعَةٌ. أَمَّا صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ فَقَدْ كَانَ يُشَجِّعُ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ لِأَغْرَاضٍ دِفَاعِيَّةٍ. كَانَ الْإِفْرَنْجُ الصَّلِيبِيُّونَ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ، فإِذَا رَأَوْا غُرَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاجَوْهُمْ. فَدَعَا صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى إِقَامَةِ مَوَاسِمٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْتَرَعَ عِدَدًا مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الْمَوَاسِمِ أَيْضًا ثُمَّ جَعَلَ لِلْمَوْسِمِ الْوَاحِدِ (فِي يَوْمٍ مَا مِنْ الْأَيَّامِ) أَسْمَاءً مُخْتَلِفَةً فِي الْأَمَاكِنِ الْمُخْتَلِفَةِ (٢).

= وَصَلَ إِلَى غَدِيرِ خَمٍّ نَزَلَ (لِيَسْتَرِيحَ)، لِأَنَّ السَّفَرَ الْقَدِيمَ كَانَ مَرَّاحِلَ. فَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ طَالِبِ. الْحَدِيثُ تَارِيخِيٌّ فِيمَا يَبْدُو. وَلَكِنَّ الْأَحْتِفَالَ بِذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بَدْعَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بَدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ عِيدًا شَرْعِيًّا.

(١) فَنَاوِي ابْنُ نَيْمِيَّةٍ (الْقَاهِرَةُ ١٣٢٦ هـ) ١: ٣١٢.

(٢) كَانَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ (الْأَعْيَادُ الشَّعْبِيَّةُ) تَحْمِلُ مَعْنَى دُنْيَاً وَغَايَةً سِيَاسِيَّةً حَرْبِيَّةً. مِنْ هَذِهِ مَوْسَمِ النَّبِيِّ مُوسَى فِي الْقُدْسِ وَمَوْسَمِ النَّبِيِّ رُوبَيْنَ فِي يَافَا (فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟.....؟) وَأَرْبَعَاءُ أَيُّوبَ فِي بَيْرُوتَ، وَخَيْسُ الْمَشَايخِ (خَيْسُ الدَّعْسَةِ) فِي حِمصَ، الْخ. وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ تَنْسَى الْآنَ.

وكانت غاية صلاح الدين من ذلك أن يكون من المسلمين جماعات مجتمعة متأهبة في أيام آجتاع النصارى في أعيادهم لئلا يُهاجم الإفرنج الصليبيون بلدة مسلمة والمسلمون فيها أو حولها غافلون عن ذلك. وانتشرت هذه المواسم في الشام ومصر والعراق ثم عاش عددٌ منها بعد ذلك زماناً طويلاً.

يُخبرنا ابنُ جُبَيْرٍ في «رحلته» أنه شهدَ احتفالاً بذكرى مولدِ الرسولِ في مكة، في أواخرِ القرنِ السادس للهجرة (أواخر القرن الثالث عشر للميلاد).

وفي مطلع القرن السابع للهجرة كان مُظَفَّرُ الدين كوكبوري صِهْرُ صلاح الدين الأيوبي (زوجُ أخته) يُقيمُ احتفالاتٍ لذكرى المولد في ولايته، في إربل، بالعراق. وقد نَظَّمَ ابنُ دحية الكلبيُّ المُتوفى سنةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) لكوكبوري «مولداً» (سيرة رسول الله: التنوير في مولد السراج المنير).

ومن الشام ومصرَ آتتقل هذا الاحتفالُ بذكرى مولدِ الرسولِ إلى المغرب والأندلس، ثم إلى الهند أيضاً. قال السَّخَاوِيُّ (ت ٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م) في كتابه «التبصرة المسبوك في نصيحة الملوك» (ص ١٣ - ١٤): «ولا (يزال) أهلُ الإسلامِ يَحْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مَوْلِدِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَعْمَلُونَ الْوَلَامَ لذلك ويتصدقون في ليلائه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويتغنَّون بقراءة مولده الكريم... وأكثرهم بذلك عناية أهلُ مصرَ والشام. وللشُّلْطَانِ في تلك الليالي مقامٌ يقومُ فيه... فلقد حَضَرْتُ ليلةَ مولدٍ من سنة ٧٨٥ (*) عند الظاهرِ برقوق».

والبديعياتُ (مدحُ رسولِ الله) فنٌ قديمٌ جداً بدأه كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بن أبي سلمى (ت ٢٦ هـ = ٦٤٥ م) في أيام الرسولِ (راجع الجزء الأول من هذه السلسلة). ثم اتَّسع القولُ في ذلك. وخرَجَ هذا الفنُّ من المدح المألوفِ إلى التَغَنِّي به في المناسبات، وفي ذكرى مولدِ رسولِ الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من كُلِّ عام. فَمِنَ الَّذِينَ وَضَعُوا

(*) ليلة المولد (بالحسبان العربي): العرب يحسبون اليوم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي، فالليلة عندهم قبل النهار. فليلة المولد، إذن، هي الثاني عشر من شهر ربيع الأول (من سنة ٧٨٥ للهجرة: ١٦ / ٥ / ١٣٨٣ م). أمّا في حسابنا اليوم (في الرزنامة) فليلة المولد في تلك السنة كانت (عندنا اليوم) أول ليل الحادي عشر من ربيع الأول ٧٨٥ هـ (١٥ / ٥ / ١٣٨٣ م).

«مَوْلَدَ» لِيَتْلَى أَوْ لِيُنَشِّدَ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ (فِي الْمَشْرِقِ): أَبْنُ الْمَغْرَبِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٤١٨ هـ) لَهُ قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٨٨ - ٤٨٩) ثُمَّ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ (٥٩٧ هـ) وَعَبْدُ الرَّحِيمِ الْبُرْعِيُّ الْيَمَنِيُّ (ت ٨٠٣ هـ) وَالسَّخَاوِيُّ صَاحِبُ الضَّوِّ اللَّامِعِ (ت ٩٠٢ هـ) وَعَائِشَةُ الْبَاعُونِيَّةُ (ت ٩٢٢ هـ) وَابْنُ الدَّنَيْعِ الشَّيْبَانِيُّ (ت ٩٤٤ هـ) وَأَبْنُ حَجَرَ الْهَيْتَمِيُّ (٩٧٤ هـ).

وَقَالَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كَثِيرًا فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْشَدُوا الْمَدَائِحَ فِيهِ فِي الْمُنَاسِبَاتِ (وَفِي ذِكْرِ الْمَوْلَدِ خَاصَّةً). وَفِي هَذَا الْفَصْلِ الطَّوِيلِ لَمَحَاتٌ مِنْ ذَلِكَ. وَسِيرَى الْقَارِئِ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ اسْتِعْرَاضَ كُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُنَا لَبَلَغَ هَذَا الْفَصْلُ نِصْفَ هَذَا الْجُزْءِ.

فَمِنْ الَّذِينَ نَظَمُوا فِي «مَوْلَدِ رَسُولِ اللَّهِ» خَاصَّةً أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصُّوفِيُّ (ت ٥٣٦ هـ)، لَهُ عَدَدٌ مِنَ الْمَدَائِحِ فِي الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٧ - ٤٩٩). مِنْ ذَلِكَ مِثْلًا:

وَحَقُّكَ، يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَلْبِي يَحُبُّكَ قُرْبَةً نَحْوَ الْإِلَهِ. (١)
جَرَتْ أَمْوَاهُ حُبِّكَ فِي قُودِي فَهَامَ الْقَلْبُ فِي طِيبِ الْمِيَاهِ.
فَصِيرْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنِ حَقٍّ، وَكُنْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنِ لَا هِي. (٢)
إِذَا شَغِفَ الْفُؤَادُ بِهِ وَدَادَا، فَهَلْ يَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِهِ نَاهِي؟ (٣)

وَلِأَبْنِ الْعَرِيفِ أَيْضًا «صَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ» تُشَبِّهُ «دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ» (أَيِ إِبْرَادِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ فِي جُمْلٍ مُتَقَارِبَةٍ فِي اللَّفْظِ). مِنْ ذَلِكَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٨ - ٤٩٩):

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ الْهَادِي مَا لَازَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ. (٤)
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَسْوَدَ الدُّجَى فَكَسَا مُحْيَا الْأَفْقِ ثَوْبَ حِدَادِ.

(١) قرابة: تقريبًا. وسيلة للقرب. - أنا أحبك ليقربني حبي لك من الله.

(٢) اللاهي: الذي يسهو، يهفل عن الأمور.

(٣) ذكره: ذكرى الرسول.

(٤) لاذ: التجأ - وهو يقصد ما دام في الأجساد أرواح (ما دامت هذه الدنيا).

صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ مَنْ خَصَّصَهُ بِالنُّورِ وَالْإِشْرَادِ.
 صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى رَسُولٍ فَاتِحٍ فَتَحَ الظُّلَامَ بِنُورِهِ الْوَقَادِ.
 صَلَّى عَلَيْهِ مَنْ أَرَاهُ جَلَالَهُ وَأُنَالَهُ مِنْ ذَاكَ كُلِّ مُرَادٍ^(١).
 وهذه القصيدة في نفح الطيب واحدٌ وثلاثون بيتاً على هذا النوع من السرد.
 فإذا نحن انتقلنا إلى الأندلس وجدنا بعضهم ينسبُ بديعته إلى القاضي عياض
 ابن موسى بن عياض (ت ٥٤٤ هـ). ولكن المقرئ يقول (نفح الطيب ٧:
 ٣٢٣ - ٣٢٤):

هنالك قصيدة « في التورية بسور القرآن و (في) مدح النبي صلى الله عليه
 وسلم... » وهي من غرر القصائد. وكثير من الناس ينسبها للقاضي الشهير عالم
 المغرب أبي الفضل عياض. وكنت أنا في أول الاشتغال ممن يعتقد صحة هذه
 النسبة حتى وقفت على البديعة الموصوفة لرفيقه أبي جعفر^(٢)، فإذا هي منسوبة
 للناظم ابن جابر^(٣).

غير أن القول في « البديعيات » عامة وفي « المولدات » خاصة قد اتسع في زمن
 لاحق وكثر حتى أصبح يغيا على الحصر.

أما الرحالة ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) فقد وصف طرفاً من الاحتفال بالمولد النبوي

(١) جلاله: عظمته (عظمة الله) - لعل في هذا البيت إشارة إلى المعراج (حينما وصل رسول الله إلى قرب
 عرش الرحمن).

(٢) في كل « فاتحة » للقول معتبره حق الثناء على المبعوث بـ « البقرة ».
 الفاتحة هي السورة الأولى في المصحف، والبقرة هي السورة الثانية.

(٣) أبو جعفر الغرناطي أو الإلبيري (ت ٧٧٩ هـ) رفيق ابن جابر الضرير (ت ٧٨٠ هـ) - راجع ترجمتهما
 في هذا الجزء. في هذا النص من « نفح الطيب » انقطاع في السرد أو نقص في الكلام. أن أبا جعفر
 الغرناطي هذا (ت ٧٧٩ هـ) لا يمكن أن يكون رفيقاً للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ). ولعل الكلام يستقيم
 إذا قلنا: ... حتى وقعت على هذه البديعة الموصوفة (في كلام يتناول ابن جابر الاندلسي الهواري)
 لرفيقه أبي جعفر، فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر.

(٤) راجع الحاشية السابقة.

في مكة. وصل ابن جبير إلى مكة في ثاني عشر ربيع الآخر (يوم ذكرى المولد ★) فنظم قصيدة منها (نفع الطيب ٢: ٤٩٢ - ٤٩٤):

بلغت النى وحللت الحرم فعاد شابك بعد الهرم^(١)
 فأهلاً بكّة، أهلاً بها، وشكراً لمن شكره يلتزم...^(٢)
 نبي شفاعته عصمة، فيوم التنادي به يعتصم^(٣)
 ويرعى لزواره في غبد ذماماً، فما زال يرمى الذمم^(٤)
 عليه السلام، وطوبى لمن ألم بتربته فاستلم^(٥)

ثم إن لابن جبير أشعاراً كثيرة في الحجاز وفي مدح الرسول. فمن هذه الأشعار مما يقرب من أدب المولى قوله (نفع الطيب ٢: ٤٩٣):

أحب النبي المصطفى وابن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا^(٦)
 هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم؛ وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا^(٧)
 مواليتهم فرض على كل مسلم، وحبهم أسنى الذخائر للأخرى^(٨)

(★) وصل ابن جبير إلى مكة يوم الخميس الثالث عشر لربيع الأول ٥٧٩ هـ، وهو الرابع من شهر آب - أغسطس، عام ١١٨٣ م (راجع «رحلة ابن جبير» بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م، ص ٥٨، راجع ص ٤٤ و ٤٩).

(١) الحرم: الحرم المكي (المساحة المحيطة بالكعبة).

(٢) شكراً (الله).

(٣) يوم التنادي: يوم القيامة.

(٤) في غد (يوم القيامة). الذمة والذمام: العهد، الأمن، الكفالة.

(٥) تربته (قبر الرسول). استلم: قبل.

(٦) المصطفى (المختار من جميع الناس). علي: علي بن أبي طالب. سبطاه = سبطا رسول الله (الحسن والحسين أبنا علي بن أبي طالب). فاطمة الزهراء (البیضاء) ابنة الرسول وزوج الإمام علي.

(٧) أهل البيت هنا (رسول الله وفاطمة وعلي والحسن والحسين). وأهل البيت في القرآن الكريم (٣٣: ٣٣)، سورة الأحزاب: «نساء النبي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس، أهل البيت، ويطهركم تطهيراً». أطلعهم (جعلهم). زهرا = بيضاء (لامعة). - أفق فاعل «أطلع».

(٨) الذخيرة: ما يحبسه الإنسان ويعدّه (ليستعين به في المستقبل). الأخرى: يوم القيامة.

وما أنا للصَّحْبِ الكِرَامِ بِمُبْغِضٍ ، فَإِنِّي أَرَى الْبَغْضَاءَ فِي حَقِّهِمْ كُفْرًا .^(١)
 هُمْ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ : وَهُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِالطُّبَّانِصْرَا .^(٢)
 عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَامَ ذِكْرُهُمْ لَدَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَأَكْرَمَ بِهِ ذِكْرًا .^(٣)

ويبرز هنا أبو العباس محمد بنُ أحمدَ العَرَفِي السَّبْئِي المَغْرِبِي ، فقد أَلَفَ (نحو سنة ٦٣٣ هـ) « الدَّرَّ الْمُنتَظَمَ فِي مَدَحِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ » (راجع نفح الطيب ٢ : ٣٦) :

أَهْلُ الْحَدِيثِ عِصَابَةُ الْحَقِّ فَازُوا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ .^(٤)
 فَوُجُوهُهُمْ زَهْرٌ مُنْضَرَّةٌ لِأَلَاؤِهَا كَتَأْتَقِي الْبَرْقِ .^(٥)
 يَا لَيْتَنِي مَعَهُمْ فَيُذَكِّرَنِي مَا أَذْكُرُهُ بِهَا مِنَ السَّبْقِ .^(٦)

ولأبي زيدٍ الفَازَزِيُّ (ت ٦٣٧ هـ) عددٌ من القصائد في مدحِ الرسول (نفح الطيب ٧ : ٥٠٧ - ٥١٢) ، منها (٧ : ٥٠٨) :

أَيُّ نَوْرِ كَشَفَ اللَّهُ بـ سُدَفَ الْبَاطِلِ عَنَّا أَجْمَعِينَ .^(٧)
 خَتَمَ اللَّهُ بـ أَنْوَارَهُ عِنْدَمَا أَكْمَلَ سِنَّ الْأَرْبَعِينَ .^(٨)
 وَأَتَانَا بِدَلِيلٍ بَيِّنٍ عَجَزَتْ عَنْهُ دَوَاعِي الْمُدَّعِينَ .^(٩)
 فَأَعِزَّ أَنْبَاءَهُ فَهِيَ^(١٠) مُنَى أَنْفُسِ الْقَائِلِ وَالْمُسْتَمْعِينَ .^(١١)

وهنا يأتي أيضاً ابنُ عَرَبِيٍّ (ت ٦٣٨ هـ) ، وَلَعَلَّ في « الصلاة الأَكْبَرِيَّة »^(١٢) له ما

-
- (١) الصحب: اصحاب رسول الله .
 (٢) الطباجع طلبة (بضم ففتح): حد السيف .
 (٣) الملأ الأعلى: العالم العلوي (الآلهي) مع الملائكة .
 (٤) أهل الحديث: الذين يشتغلون برواية أحاديث رسول الله . عصابة: جماعة على رأي واحد . سيد الخلق: محمد رسول الله . فازوا (نبحوا) لما استجابوا لدعوة رسول الله والاهتمام بأقواله وأفعاله .
 (٥) زهر جمع أزهر: أبيض ، لامع ، طاهر ، نقي . المنصرة: الجمال والانشراح (في الوجه) التألق للسمان .
 (٦) من سبق إلى الخير والأجر .
 (٧) السدفة (بالضم): الظلمة .
 (٨) لما بلغ محمد عليه الصلاة والسلام سنَّ الأربعين بعثه الله رسولا وجعله خاتم (آخر) الأنبياء .
 (٩) في الأصل كذا: دواعي . لعلها: دعاوى .
 (١٠) انبأؤه: أخبار (رسول الله) .
 (١١) راجع سر كيس ١٧٨ .

يقرب إلى «أدب المولد». ومع إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري القرطبي
(ت آخر سنة ٦٤٧ هـ) نقرب في مُحَمَّسَتِهِ من «أدب المولد» (نفع الطيب ٧):
(٤٤١ - ٤٤٤):

أَهْلًا بِكُمْ، يَا أَهْلَ هَذَا النَادِي، أَهْلَ أَعْتِقَادِ الْوَعْدِ وَالْمِيعَادِ^(١)،
أَهْدُوا الصَّلَاةَ إِلَى النَّبِيِّ الْهَادِي وَصِلُوا السَّلَامَ لَهُ مَعَ الْآبَادِ^(٢)
يَنْدَى نَسِيماً مُذَكِّراً تَسْنِياً^(٣)،
أَوْصَافُهُ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ أَبْهَجُ: الْعَرَفُ يَنْفَحُ وَالسَّنَا يَتَبَلَّجُ^(٤)،
فَتَأْرَجُ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَتَبْهَجُ. فَاقَ الزَّوَاهِرَ نَوْرُهَا يَتَوَهَّجُ^(٥)
وَالزَّهْرَ نَفَّاحَ النِّسِيمِ وَسِيَا^(٦)

وفي مَوْشَعَةٍ لآبِنِ سَهْلٍ الْإِسْبِيلِي (ت ٦٤٩ هـ) نَفَسٌ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ «التَّوْشِيعِ»
الذي يُقْرَأُ عَادَةً فِي الْمَوَالِدِ مَعَ عُذُوبَةٍ وَطَلَاوَةٍ عُرِفَ آبِنُ سَهْلٍ بِهَا وَنَفَقْدُ جَانِبًا كَبِيرًا
مِنْهَا فِي شِعْرِ غَيْرِهِ. وفي ترجمة آبِنِ سَهْلٍ جَانِبٌ وَافٍ مِنَ الْمَوْشَعَةِ الْمَذْكُورَةِ.
وآبِنُ الْجَنَانِ الْأَنْصَارِيُّ (ت بُعِيدَ ٦٥٢ هـ) عَالِمٌ وَأَدِيبٌ مَتَرَسِّلٌ وَشَاعِرٌ وَمِنْ الَّذِينَ
أَكْثَرُوا الْقَوْلَ تَبْرُكًا بِمَدِيحِ رَسُولِ اللَّهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرْجَمَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ. ثُمَّ لَهُ مَوْشَعَةٌ
بَارِعَةٌ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ مَطْلَعُهَا (نفع الطيب ٧: ٤٣٢):

اللَّهُ زَادَ مُحَمَّدًا تَكْرِيماً
وَحَبَّاهُ فَضْلاً مِنْ لَدُنْهُ عَظِيماً^(٧)

- (١) الذين يؤمنون بالوعد (النشر من القبور) والميعاد (اجتماع الناس في الآخرة للحساب).
- (٢) الآباد جمع أبد: دهر (مدة لا تنتهي).
- (٣) يندى (يصدر منه هواء رطب بارد) يذكر الناس بوصف التسنيم (والتسليم عين ماء في الجنة).
- (٤) أبهج: أكثر نضارة (حسناً وتألقاً). العرف: الرائحة الطيبة. نفع الطيب (المسك، مثلاً): انتشرت رائحته. السنا: الضوء. تبلج الصبح: ظهر وأثار.
- (٥) تتأرجح الأرجاء (نواحي البلاد): تكتسب رائحة (طيبة). الزواهر: الزهر (بالضم) جمع أزهر: نجم مضيء. توهج: زاد اتقاداً أو اشتعالاً (نوراً).
- (٦) نفع النسيم: تحرك. نفع الطيب: انتشرت رائحته.
- (٧) إن كلمة «لَدُنْهُ» مشكولة (نفع الطيب ٧: ٤٣٢، السطر ١١) بكسرة على الهاء. ولا يمكن أن يكون =

وَأَخْتَصَّهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيماً

ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً^(١) صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.

وفي ترجمة ابن الجنان جانب من هذه الموشحة.

ولابن الجنان أيضاً عددٌ من القصائد في مدح الرسول. وله أيضاً «رَمَضَانِيَّةٌ»
(الإحاطة ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨)، وهي تدخلُ في هذا الباب مادامَ الجامعُ بينَ الرَّمْضَانِيَّةِ
والمِيلَادِيَّةِ مديحُ رسولِ الله. ومطلعُ هذه الرَّمْضَانِيَّةِ:

مُضِيَ رَمَضَانٌ أَوْ كَأَنِّي بِهِ مُضِي	وِغَابَ سَنَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَوْ مُضَا. ^(٢)
فِيَا عَهْدَهُ قَدْ كَانَ أَكْرَمَ مَفْهِدٍ؛	وَيَا عَصْرَهُ أَغْزَزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى ^(٣)
أَلَمْ بِنَا كَالضَيْفِ فِي الطَّيْفِ زَائِراً	فَخَيْمَ فِينَا سَاعَةً ثُمَّ قَوَّضَا ^(٤) .
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي، إِذْ نَوَى غُرْبَةَ النَّوَى،	أَبِالسُّخْطِ عَنَّا قَدْ تَوَلَّى أَمِ الرُّضَا. ^(٥)
ثُمَّ قَالَ مُشِيراً إِلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ^(٦) :	

= هذا من عمل محقق الكتاب، بل من مساعد أو من متبرّع. إن هذه الكلمة «لدنه» ترد في القرآن الكريم مرتين (٤: ٤٠، سورة النساء): «... وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً» ثم (١٨: ٢، سورة الكهف): «لِيَنْزِلَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهِ». والنون في «لدن» مبنية على السكون، فإذا أضيفت «لدن» إلى الهاء (ضمير الغائب) كانت الهاء مضمومة. فهي شبيهة «عن»، فنحن نقول: عنه (يضم الهاء لا بكسرها)، وكذلك نقول: «لدنه» بسكون النون وضم الهاء.

(١) في القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة): «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ يُعِزُّكُمْ عَلَيْهِ: يُؤَلِّهِ أَنْ تَلْقَوْا مَشَقَّةً أَوْ مَكْرَهاً»، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

(٢) كَأَنِّي بِهِ مُضِيَ (مضى منذ زمن يسير جداً. سناه. نوره. أومض: لمع لمعاناً خفيفاً) (رأى الشاعر أن رمضان لم يطل كثيراً = إن تقوى الشاعر وجهه للصيام جملاه يشعر أن هذا الشهر كان قصيراً).

(٣) أَغْزَزَ عَلَيَّ أَنْ يَنْقَضِيَ: قد شقَّ عَلَيَّ أَنْ يَنْقَضِيَ (لم أكن مسروراً بانتهائه).

(٤) أَمْ: زار زيارة خفيفة. الطيف: الحلم (بالضم)، المنام. خَيْمَ: نزل، حلَّ، سكن. قَوَّضَ: رفع الخيمة، رحل، سافر.

(٥) إِذْ (لَمَّا) نَوَى (قصد رمضان) غربة النوى (الفراق - ليعود إلينا بعد أحد عشر شهراً). تَوَلَّى: ذهب.

(٦) ليلة القدر تكون في ليلة وتُر من العشر الليالي الأخيرة من رمضان: ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧ أو ٢٩. - من أحيا هذه الليلة (سهر فيها إلى الصبح ثم اتفق أن دعا دعاء صالحاً، فإن الله يستجيب هذا الدعاء).

وإن قُضِيَتْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ وَقْفَةٌ فَمَقْضِيُّهَا مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا قَضَى (١).
 فَيَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ جَلَّ قَدْرُهَا، وَحَضَّ عَلَيْهَا الْهَاشِمِيُّ وَحَرَّضَا (٢).
 وَقَالَ: أَطْلُبُوهَا تَسْعَدُوا بِطِلَابِهَا فَحَرَّكَ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ وَأَنْفَضَا (٣).
 جَزَاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ وَأَكْرَمَنَا بِالْعَفْوِ مِنْهُ وَبِالرِّضَا،
 وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ نَبِيِّ مُبَارَكٍ رَوْفٍ رَحِيمٍ لِلرَّسَالَةِ مُرْتَضَى.
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا أَنْهَلَ سَاكِبٌ وَذَهَبَ مُوشِيَّ الرِّيَاضِ وَفَضَّضَا (٤).

وَلِأَيِّ الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْمُتَشَاقِرِيِّ (القرن الثامن^(٥)) فِي أَدَبِ
 الْمَوْلِدِ شِعْرٌ مِنْهُ مُسَدَّسَةٌ (٦) ثُمَّ مِنْهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ (٦٥ بَيْتًا) جَاءَ فِيهَا (نَفْعُ

- (١) يبدو أن الشاعر قد طلب ليلة القدر (سهر أملاً في أن يراها، فلم يرها).
 - (٢) الهاشمي: محمد رسول الله. حضَّ عليها وحرَّضَا: حثَّ المسلمين على السهر في الليالي العشر الأواخر من رمضان في التقوى والعبادة.
 - (٣) أرباب (أصحاب) القلوب: الذين يذهبون في العبادات مذهباً روحياً (يدركون الجانب الظاهر والمعنى الخفي من العبادة). أنفض: أخذ الأمر بالجدِّ (بالكسر) وجهد في تنفيذه؛ حرك، دفع.
 - (٤) أنهل ساكب (هطل مطر كثير). وذهب موشى الرياض وفضضاً: أنبت في الأرض نباتاً مذهباً (بضم الميم وفتح الهاء: بلون الذهب) وفضضاً.... (بلون الفضة).
 - (٥) من نفع الطيب: كان المتشاقري هذا فقيهاً (٥١٢: ٧) قاضياً في رندة ومن شيوخ (أساتذة) لسان الدين بن الخطيب (٦٠٥: ٥)، ولكن لسان الدين نفسه يذكر أنه لقي المتشاقري مدة قصيرة جداً (٦: ١٣٩). وكانت بينهما مراسلة (راجع ٦: ١٣٥ - ١٣٨). وتأليف المتشاقري كثيرة (٦: ١٤٥). ولما انتهى لسان الدين بن الخطيب من تأليف كتاب «الإحاطة بأخبار غرناطة»، سنة ٧٧١ للهجرة (راجع الإحاطة ١: ٦٨، مقدمة عبد الله عنان) كان المتشاقري لا يزال حياً (٦: ١٤٥).
 - (٦) وصف المقرئ المسدسة (القصيدة المسطحة: ذات الاختلاف في قوافيها) والتي يتألف كل بيت (كل مجموع من ستة أشطر) من أربعة أشطر بقافية مستقلة ثم شطرين هما قفلة لكل بيت بقافية ثابتة (هي الميم في شطري القفلة). وقد قال المقرئ في وصفها (٥١٢: ٧): «وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب، فيما عدا الروي (يقصد الحرف الأساسي في قافية القفلة) فإنه على حرف الميم. وكذا آخر الشطر الذي قبله فإنه ميم أيضاً». وهذا نصه (نص التسديس: المسدسة بحروفه، ما عدا حرف الواو فلا في أجدده وكمثته على منواله).
- وترتيب الأجددية عند أهل المغرب، كما يبدو في هذا التسديس: من الألف إلى الزاي (أخت الراء) كترتيب المشاركة. ثم تستمر الأحرف على النسق التالي: ط، ظ، ك، ل، م (والميم غائبة من الأبيات لأنها في قافية القفلة)، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هاء، واو، ي (ألف مقصورة: ي بلا نقط)، ي (بنقطتين تحتها).

حَبِّي وَمَذْحِي أَحَدَ الْهَادِي الَّذِي
أُسْمِيَ الْوَرَى فِي مَنْصِبٍ وَبِمَنْسَبِ
الْحَقِّ أَظْهَرَهُ عَقِيبَ خَفَائِهِ،
وَنَفْسِي هُدَاهُ ضَلَالَةً مِنْ جَائِرِ
سُبْحَانَ مُرْسِلِهِ إِلَيْنَا رَحْمَةً
وَالْمُعْجَزَاتُ بَدَتْ بِصِدْقِ رَسُولِهِ
كَالظَّنِّي فِي تَكْلِيمِهِ، وَالْجَذْعُ فِي
وَالنَّارِ إِذْ خَمَدَتْ بِنُورِ وِلَادَةِ،
فَوْزُ الْأَنَامِ يَصْحُ فِي تَصْدِيقِهِ (١).
مِنْ هَاشِمٍ زَاكِي النَّجَارِ عَرِيقِهِ (٢).
وَالدِّينُ نَظَّمَهُ لَدَى تَفْرِيقِهِ (٣).
مُسْتَوْتِقِي بِيغُوثِهِ وَيَعُوقِهِ (٤).
يَهْدِي؛ وَيُهْدِي الْفَضْلُ مِنْ تَوْفِيقِهِ (٥).
وَحَقِيقَتُهُ بِالْمَأْثُرَاتِ خَلِيقِهِ (٦).
تَحْنِينُهُ وَالْبَدْرُ فِي تَشْقِيقِهِ (٧).
وَأَجَاجٌ مَلَأَ قَدَحًا مِنْ رَيْقِهِ (٨).

- (١) أحد الهادي: محمد رسول الله. - فوز الإنسان (في الآخرة بدخول الجنة) يمكن إذا صدق الإنسان برسول الله) وعمل بما جاء به رسول الله.
- (٢) المنصب (هنا): المقام (مقام الرسالة). المنسب: النسب. زاكمي: طاهر. النجار: الأصل. العريق: الكريم الأصل.
- (٣) محمد رسول الله أظهر الحق بعد أن كان الحق خافياً (بين الناس)، ثم نظم الدين بعد أن كان الدين (بين الناس) فوضى.
- (٤) هُده (هدى الرسول). الضلال والضلالة: السير في طريق الباطل. الجائر: الظالم، الحائد عن الطريق المستقيم. مستوتق: معتقد، متمسك. يعوق ويعوق من الأصنام التي عبدتها جماعات من عرب الجاهلية.
- (٥) هو يهدي (بالبناء للمعلوم) الناس. ويهدي (بالبناء للمجهول) الفضل (نائب فاعل مرفوع): (زيادة الخير عما عند الآخرين) من توفيقه (من موافقة الناس لما جاء الرسول به؟) - ويجوز «يهدي» (بالبناء للمعلوم) الفضل (مفعول به زيادة الخير فيه عما عند غيره)..... المعنى، على كل حال، غامض لضعف التركيب.
- (٦) دلت معجزات رسول الله على صدق رسول الله. المأثرة: العمل الكريم. وحقيقته بالمأثرات خليقه (؟) وبحقيقته: بما عرف عنه من الأعمال الكريمة) خليقه (لا وجه لإعرابها بالجر): إن صدق الرسول المعروف والمشهور جعله خليقاً: مستحقاً، قادراً وأهلاً للمعجزات التالية؟)
- (٧) كلمه الظهي وحنّ الجذع لفقده (راجع موشحة ابن سهل الإشبيلي، ت ٦٤٩ هـ). وأشار مرة إلى البدر فانشقّ البدر قسمين.
- (٨) يوم مولد رسول الله انطفأت النار في فارس (وكانت تلك النار في الهيكل في ذلك الحين مشتعلة منذ ألف سنة بلا انقطاع). في التاريخ: إن النار انطفأت (في نحو ذلك الزمن). الأجاج: الماء الشديد اللوحة.

والزادُ قَلَّ، فزادَ من بَرَكَاتِهِ فكفى الجُيُوشَ بَتَمَرِهِ وَسَوِيْقِهِ^(١).
غَيْرَ أَنَّ «مُسَدَّسَةَ الْمُنتَشَاقِرِيِّ» (نفع الطيب ٥١٢: ٧ - ٥١٧) أَغْلَى نَفْسًا وَأَحْسَنُ
مَعَانِي وَأَقْرَبُ إِلَى الْجَوِّ الرُّوحِيِّ لِلنُّبُوَّةِ. قال المنتشاقرِيُّ:

حَلَّ فِي طَيِّبَةِ رَسُولٍ كَرِيمٍ فعليه الصلاة والتسليم^(٢).

★ ★ ★

صَفْوَةُ الْخَلْقِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، مُرْشِدُ النَّاسِ لِلطَّرِيقِ السَّوَاءِ،
وَالْعِمَادُ الْمَلَاذُ فِي الْأَوَاءِ وَشَفِيعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْجَزَاءِ^(٣):
يَوْمَ يَبْدُو لَدَيْهِ جَاءٌ عَظِيمٌ فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

أَذْهَبَ الْغَيُّ نَوْرَهُ وَالْغِيَا هِيبَ فَأُضَاءَتْ مَشَارِقُ وَمَغَارِبُ^(٤)،
وَعَدَا الْحَقُّ غَالِبًا لِلْكَاذِبِ وَبَدَتْ مِنْهُ لِلْأَنَامِ عَجَائِبُ
صِدْقُ أَقْوَالِهِ بِهَا مَعْلُومٌ فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

كُلُّ دِينٍ بِدِينِهِ مَنسُوخٌ^(٥)، فَيَسُوِي مَا قَضَى بِهِ مَفْسُوخٌ.
لِهُدَاهُ بِكُلِّ قَلْبٍ رُسُوخٌ، فَالْوَرَى مَادِحٌ لَهُ وَمُصِيخٌ^(٦).
كُلُّهُمْ فِي هَوَى النَّبِيِّ يَهِيمٌ، فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

-
- (١) السويق: نقيع الشعير.
(٢) طيبة: المدينة المنورة.
(٣) العماد (الذي يُعتمد ويُعتمد عليه). الملاذ: اللجأ. الأواء: ضيق المعيشة وشدة المرض. يوم الجزاء: يوم القيامة.
(٤) الغي: الضلال. الغيهب: الظلام.
(٥) منسوخ: ملغى. الدين لا يلغى، وإنما الذي نسخ (بالبناء للمجهول) هو الشريعة (نظام المعاملات). الإسلام لم بلغ الدين كما أنزل على موسى وعيسى. ولكن الناس نسوا (بضم السين) هذين الدينين. ثم جاء الإسلام بحقيقة الدين وأبطل شريعة الدينين السابقين لأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان.
(٦) مصيخ: مائل بسمعه.

فَاقَ بِالْمَوْلِدِ السَّعِيدِ رَبِيعُ
مَنْ هُوَ الذُّخْرُ وَالْعِمَادُ الْمُنِيعُ،
وَرَوْوْفٌ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ^(١)
أَنَّ فِيهِ بَدَا الْجَلَالُ الرَّفِيعُ:
فَمَلَأَ لِلْمُذْنِبِينَ شَفِيعُ
فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

★ ★ ★

قَدْ سَمَا قَدْرُهُ بِغَيْرِ تَنَاهِي^(٢) وَعَلَا جَاهُهُ عَلَى كُلِّ جَاهٍ:
أَمِيرٌ بِالتَّقَى، عَنِ الشَّرِّ نَاهٍ؛ مَنْ يُطِيعُهُ يَنَلُ ثَوَابَ الْإِلَهِ،
وَلَهُ عِنْدَهُ النَّعِيمُ الْمَقِيمُ^(٣). فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

وفي هذا السِّلْكِ يأتي الإمامُ مالِكُ بْنُ الْمُرَحَّلِ الْمَالَقِيُّ السَّبْتِيُّ (الأندلسيُّ المَغْرِبِي) وَالمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ للهجرة فيزِيدُ على آبنِ سَهْلٍ الإِشْبِيلِيِّ في الصَّنَاعَةِ (راجع ترجمة الشاعرين) ولم يَقْصُرْ عنه في الطَّلَاوَةِ. غَيْرَ أَنَّ آبنَ المُرَحَّلِ يَفْضَلُ آبنَ سَهْلٍ في أَنَّهُ جَلَا الكَلَامَ على الرُّسُولِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في جَوْهِ الرُّوحِيِّ، بَيْنَا آبنُ سَهْلٍ قَدْ مَدَّ القَوْلَ في تَشَابِيهِه مَادِّيَّةً تَنْطَوِي على تَجَسُّمٍ (راجع نفح الطيب ٧: ٤٤٥ - ٤٤٩، مُوشَّحَةُ آبنِ سَهْلٍ تَمَّ ٤٥٣ - ٤٥٩، مُوشَّحَةُ آبنِ المُرَحَّلِ).

ولأبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ التَّنَسِّيِّ (من أحياء القرن الثامن للهجرة) كتابان في تاريخ المَغْرِبِ: «رَاحُ الأرواحِ فيما قاله المَوْلَى أَبُو حَمَّوٍ من الشعر وقيلَ فيه من الأمداح وما يُوافِقُ ذلك على حَسَبِ الاقتراح» ثم «نَظْمُ الدُرِّ والعِقْيَانِ في شَرَفِ بني زَيَّانٍ ومُلُوكِهِمُ الأَعْيَانِ» عَرَضَ فيها لأدبِ المَوْلِدِ ولأحتفالِ المَغَارِبَةِ بليلةِ المَوْلِدِ. جاء في نفح الطيب (٦: ٥١٣ - ٥١٥):

وكان السُّلْطَانُ أَبُو حَمَّوٍ المَمْدُوحُ بهذه القصيدة^(٤) يَحْتَفِلُ لِّلَّيْلَةِ مَوْلِدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غايةَ الإحتفالِ، كما كان مُلُوكُ المَغْرِبِ والأندلسِ، في ذلك العصر

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة).

(٢) التناهي: بلوغ الشيء إلى نهاية يقف عندها.

(٣) نعم مقيم: دائم.

(٤) «ما على الصَّبِّ في الهوى من جناح»، ليحيى بن خلدون.

وما قَبْلَهُ، (يفعلون). ومن احتفاله له^(١) ما حكاه شيخُ شيوخِ شيوخنا الحافظُ سيدي أبو عبد الله التَّنْسِيُّ ثم التِّلْمِسَانِيُّ في كتابه «راح الأرواح....»، ونصُّه:

إنه^(٢) كان يُقِيمُ لَيْلَةَ المِيلَادِ النَّبَوِيِّ - على صاحبه الصلاة والسلام - بمشورة^(٣) من تِلْمِسَانَ المحروسة مدعاة حُفَيْلَةٍ يُخْشَرُ فيها الناسُ خاصَّةً وعامَّةً، فما شِئَتْ من غمارِ مصفوفةٍ وزراريٍّ مَبْثُوثَةٍ^(٤) وبُسْطٍ مُوشَاةٍ ووَسَائِدٍ بالذهبِ مُغْشَاةٍ^(٥)، وشَمْعٍ كالأسطوانات وموائدٍ كالهالات، ومَبَاخِرٍ منصوبةٍ كالقِبابِ يَخَالُهَا المُبْصِرُ تَبَرًّا مُذَابٍ^(٦). ويُفَاضُ على الجميع أنواعُ الأطِيعَةِ كأنَّها أزهارُ الربيعِ المُنَمِّعةِ^(٧) تَشْتَهِيهَا الأنفُسُ وتَسْتَلِذُّهَا النِّوَاطِرُ. وَيُخَالِطُ حُسْنَ رِيَّاهَا الأرواحُ وَيُخَامِرُ^(٨). رُتَبَ النَّاسِ فيها على مَرَاتِبِهِمْ ترتيبَ آحْتِفَالٍ، وقد عَلَّتِ الجميعَ أَهْبَةُ الوَقَارِ والإجلالِ.

وَبَعْقَبُ ذَلِكَ يَحْتَفِلُ المُسْمِعُونَ^(٩) بِأمداحِ المُصْطَفَى عليه الصلاة والسلام، ومُكَفَّرَاتٍ تُرَغَّبُ في الإقْلَاعِ عن الآثَامِ^(١٠)، يَخْرُجُونَ فيها من فنٍّ إلى فنٍّ ومن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ويأتون من ذلك بما تَطَرَّبُ له النفوسُ وترتاحُ إلى سَمَاعِهِ القلوبُ. وبالقُرْبِ من السُّلْطَانِ - رضوانُ الله تعالى عليه - خِزَانَةُ المِنْجَانَةِ^(١١) قد زُخِرَتْ

(١) الاحتفال: الاجتماع للقيام بتكريم إنسان أو حادثة.

(٢) _ أبو حو.

(٣) مشورة (هنا) يبدو أنها مكان أو بناء خاص أو جانب من بناء.

(٤) في القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، سورة العاشية): ﴿.....﴾. وغمار مصفوفة وزراري مَبْثُوثَةٌ. النمرق والنمرقة (بضم النون فيها): الوسادة (الحفدة) الصغيرة يتكىء الجالس عليها. الزريَّة (بالفتح): بساط كيف أو حصير (والعامَّة يقولون: «سجادة»). مَبْثُوثَةٌ: متفرقة في أماكن مختلفة.

(٥) الوشي: النقش في النسيج بأشكال مختلفة وألوان مختلفة (التزيين). مغشاة: مستورة (عليها تزيين كبير بخيوط الذهب).

(٦) حقّ «مذاب» النصب: مذاباً. في التجويد (قراءة القرآن) يمكن الوقوف على المرفوع والمجرور بالسكون، ولكنّ المنصوب يجب الوقوف عليه بالفتحة. ولكنّ الكاتب هنا أراد أن يناسب بين «مذاب» و«كالقِباب» في السجع. وهذا خطأ.

(٧) المنمم: (هنا) المزخرف (المزِين) المرقش (بالألوان المختلفة).

(٨) الرِّيَا: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.

(٩) المسمع: المغني. المصطفى: المختار (رسول الله).

(١٠) يبدو أن المكفّرات (هنا) قصائد دينية تحثّ على الإقْلَاع (ترك) عن الآثَام (الذنوب).

(١١) النجانة (بجيم فارسية): ساعة تدلّ على الوقت.

كَأَنَّهَا حُلَّةٌ يَأْنِيَّةٌ لَهَا أَبْوَابٌ مَوْجِفَةٌ^(١) عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ. فَمَهْمَا مَضَتْ سَاعَةٌ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدَرِ حِسَابِهَا، وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صُورَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدِهَا الْيُمْنَى رُقْعَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَظْمٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِأَسْمِهَا مَسْطُورَةٌ فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمُؤَدِّيَةِ بِالْبُايَعَةِ حَقَّ الْخِلَافَةِ. هَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْ يَلْجَأَ عَمُودُ الصَّبَاحِ وَنِدَاءُ الْمُنَادِي: حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ^(٢).

وَيُنْقَلُ الْمَرِيءُ قِطْعَةً ثَانِيَةً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ نَفْسِهِ مِنْ كِتَابِ التَّنْسِي: نَظْمُ الدُّرِّ وَالْعِقْيَانِ «.....»، (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥١٤:٦ - ٥١٧). وَمَعَانِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ مَعَانِي الْقِطْعَةِ الْأُولَى مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي التَّعْبِيرِ وَمَعَ اخْتِصَارٍ يَسِيرٍ هُنَا وَتَفْصِيلٍ يَسِيرٍ هُنَاكَ. وَيَكْثُرُ التَّفْصِيلُ فِي وَصْفِ الْمِنْجَانَةِ مَعَ ذِكْرِ الْأَشْعَارِ الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ.

وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ لِلِّسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ (ت ٧٧٦ هـ) مِيلَادِيَّاتٌ (قِصَائِدُ طِوَالٍ قِيلَتْ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ). مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٥١:٦ - ٤٥٥):

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكُرَنِي نَجْدًا وَهَاجَ بِي الشَّوْقُ الْمُبَرَّحَ وَالْوَجْدَا^(٣).
ثُمَّ يَقُولُ:

إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطَيِّبَةٍ وَجِئْتَ بِهَا الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا^(٤)،
وَأَنْسَتْ نَوْرًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ يُجَلِّي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيُنَ الرُّمْدَا^(٥)،

-
- (١) مَوْجِفَةٌ: مَغْلَقَةٌ (أَوْجَفَ الْبَابَ: أَغْلَقَهُ).
(٢) نِدَاءُ الْمُنَادِي: أَذَانُ الْمُؤَذِّنِ. حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ (الْأَذَانُ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ: بَيْنَ ظَهْرِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ).
(٣) تَأَلَّقَ (الْبُرْقُ): لَمَعَ. نَجْدِيًّا: مِنْ جِهَةِ نَجْدٍ (شَمَالِي شِبْهُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ). الْمُبَرَّحُ: الْمَتَمَبُّ، الْمَعْدَبُ. الْوَجْدَا: الْحَبَّ.
(٤) شَافَهُ الرَّجُلَ الْمَكَانَ: اقْتَرَبَ مِنْهُ. طَيِّبَةُ: الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ. الْقَبْرُ: قَبْرُ رَسُولِ اللَّهِ.
(٥) الْأَغْلَفُ: الَّذِي عَلَيْهِ غَطَاءٌ طَبِيعِي (قَلْبٌ أَغْلَفَ: لَا تَصِلُ إِلَيْهِ النَّصِيحَةُ أَوْ الْحَقِيقَةُ). الْعَيْنُ الرُّمْدَا (الَّتِي أَصَابَتْ بِمَرَضِ الرَّمَدِ فَحَالَ ذَلِكَ دُونَ رُؤْيَيْهَا الْأَشْيَاءَ بوضوح).

فَنُبَّ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الْحِمَى
 وَقُلْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ
 وَلَمْ يَسْتَطِعْ، مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَ الْمَدَى،
 تَدَارِكُهُ، يَا غَوْثَ الْعِبَادِ، بِرَحْمَةٍ؛
 أَجَارَ بِكَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنَ الرَّدَى
 حَتَّى دِينِكَ الدُّنْيَا وَأَقْطَعَكَ الرِّضَا
 تَقَدَّمْتَ مُخْتَاراً تَأَخَّرْتَ مَبْعَثاً؛
 وَعِلَّةُ هَذَا الْكُونِ أَنْتَ؛ وَكُلُّ مَا
 فَهَذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ،
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ، يَا كَاشِفَ الْعَمَى،
 تَقْضَى زَمَانِي فِي «لَعَلَّ» وَفِي «عَسَى»
 إِلَى أَنْ أَحْطَا الرَّحْلُ فِي تَرْبِكَ الَّذِي
 لِمَوْلَاكَ أَهْتَزَّ الْوُجُودُ فَأَشْرَقَتْ
 قُصُورٌ يَبْصُرِي ضَاءَ الْمَضْبِ وَالْوَهْدِ (١٢)

- (١) ناب فلان عن فلان: قام مقامه وفعل ما يجب عن الآخر. أذرى فلان الدمع: نثره (بكى). عفر (مرغ بالتراب)
- (٢) أضحي من أحبته فرداً: لم يبق له محب (؟).
- (٣) تعتاد (بالبناء للمعلوم) = تعتاده (تمود إليه مرة بعد مرة).
- (٤) أجدى: أنفع. ما أجدى: ما أنفعه. ما أئدى كفك: ما أكثر نداها (كرمها).
- (٥) بوأ الله العبد مكاناً: أنزله فيه وأسكنه.
- (٦) اختارك الله للرسالة قبل جميع الأنبياء، ولكن جعلك آخرهم في الزمن.
- (٧) والله خلق هذا العالم من أجل أن تكون أنت رسولاً إليه. وكل شيء خلقه الله بعد ذلك كان أيضاً من أجلك. أبداً: فعل الشيء ابتداء (للمرة الأولى). أعاد العمل: عمله ثانية وثالثة الخ.
- (٨) ألا يالو ألوا: قصر. الذكر (القرآن الكريم).
- (٩) الروح: الخوف. أربد: تغير لونه (أظلم، اشتد).
- (١٠) اللوعة: حرقة الحب أو الحزن.
- (١١) الندى: (بالفتح): الرائحة الطيبة، (بالكسر): المثل، الكفو.
- (١٢) اهتز الإنسان (طرب، فرح). لما ولد الرسول: أضاءت السماء وظهرت أقطار العالم واضحة، حتى إن المباني التي في بصرى (في الشام) رؤيت من مكة. المضب: المكان العالي. الوهد: المكان المنخفض.

ومن رُعبِهِ الأوثانُ خرَّتْ مَهَابَةً، ومن هَوْلِهِ إيوانُ كِسْرَى قدِ آنَهَدَا^(١).
وغاضَ له الوادي، وصَبَحَ عِزُّهُ بُيُوتًا لنارِ الفُرسِ أعدمها الوَقْدَا^(٢).
رَعَى اللهُ منها ليلَةً أَطْلَعَ الهدى على الأرضِ من آفاقِها القَمَرَ السَّعْدَا.
ولِلسانِ الدينِ بنِ الخطيبِ « ميلاديّة » بارعةٌ رقيقةٌ لم يَحْفَظِ المَقْرِيُّ منها سوى
الأبياتِ التالية (نفع الطيب ٦ : ٥٠٩ - ٥١٠):

ما على القلبِ بَعْدَكُمْ من جُنَاحٍ أن يَرى طائراً بغيرِ جَنَاحٍ^(٣)،
وعلى الشوق أن يَشِبَّ إذا هَبَّ سَبَّ بأنفاسِكُمْ نسيمُ الصبَاحِ^(٤).
جيرةَ الحيِّ، والحديثُ شُجونٌ والليالي تَلِينُ بعدَ الجِراحِ^(٥)،
أَتَرُونَ السُّلُوَّ خامرَ قَلْبِي بَعْدَكُمْ؟ لا، وفالِقِ الإصباحِ^(٦)!
ولو آتَى أعطى اقترَاحي على الـ ضايقتُني فيكم صُرُوفُ اللَّيالي
وسَقَتُني كأسُ الفِراقِ دِهاقاً واستدارتُ عليَّ دَوْرَ الوِشاحِ^(٧)؛
وأستباحَتُ من جِدَّتِي وفتائي في آغْتَباقِ مُواصلٍ وأصطباحِ^(٨).
يا تُرى - والنفوسُ أسرى الأمانِ حَرَمًا لم أَخْلَهُ بالُستِباحِ^(٩).
هل يُباحُ الورودُ بعدَ ذِيادٍ ما لَهَا مِنْ وثاقِها مِنْ سَراحٍ؟
أو يُتاحُ اللُّقاءُ بعدَ انْتِزاحِ^(١٠)؟

- (١) خر: سقط. إيوان كسرى: قصر شرق بغداد كان لملوك الفرس. وقد انشقَّ جانبه ليلة مولد الرسول وسقط عدد من شرفاته (وفي التاريخ ما يدلُّ على حدوث ذلك في نحو ذلك الوقت).
- (٢) غاض الوادي (النهر): غار ماؤه وجفَّ (في ذلك الحين غار الماء في بحيرة ساوة في فارس). العز: القوة والمجد. صبغنا الحادث: جاءنا صباحاً. - في ذلك الحين انطفأت النار في الهيكل الكبير بعد أن ظلت مشتعلة ألف عام بلا انقطاع.
- (٣) جناح (بالضم): لوم، ذنب.
- (٤) شبَّ الشوق (المحبة): اشتعل، زاد. هب: جرى، قوي.
- (٥) الشجن (بفتح ففتح): الغصن. الحديث شجون (أنواع مختلفة ومتشعبة). الجراح: الشدة والمصيان.
- (٦) السلو: النسيان. خامر: خالط. فالق الإصباح (الله تعالى)، والواو للقسمة.
- (٧) صروف الليالي: الأحداث والمصائب. واستدارت عليَّ دور الوشاح (أحاطت بي من كل مكان).
- (٨) دهاقاً: مملوءاً. الاغْتَباقُ والاصطباح: شرب الخمر مساءً وصباحاً.
- (٩) الجدة: الزهو والقوة. الفتاء: الشباب.
- (١٠) الورود: شرب الماء. ذِياد: طرد، منع. الانتزاح: البُعاد.

وإذا أعوزَ الجُسمَ التلاقي، نابَ عنه تعارفُ الأرواح.
ويرى المقرئُ، بحقٍّ، أنَّ أبا زكريّا يحيى بنِ خلدونٍ (ت ٧٨٠ هـ) قد حاكى
هذه القصيدةَ للسانِ الدينِ لما مدَحَ السُّلطانَ أبا حوٍ في مَوْلِدِ سَنَةِ ثمانيةٍ وسبعينَ
وسبعمائةٍ (في صيفِ عام ١٣٧٦ م) فقال (نفع الطيب ٦: ٥١٠ - ٥١٣):
ما على الصَّبِّ في الهوى من جُناح أن يُرى حِلْفَ عَبرةٍ وأفتضاح^(١).

(وفي ترجمة يحيى بن خلدونٍ مختاراتٌ من هذه القصيدة).
ولابن زَمَرْكَ المَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٥ - أو بعدها بقليلٍ (نفع
الطيب ٧: ١٧١ - ١٩٥) بَدِيعَاتٌ تجري في قصائدَ ومُوشَحَاتٍ. من هذه البديعاتِ
قصيدتهُ التي أشَدَّها في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٦٧ للهجرة (نفع الطيب ٧: ١٧٩ - ١٨٣):
زارَ الحَيَّالُ بأَيِّمِنِ الزُّوراءِ فجلا سَناءُ غياهِبِ الظَّلَماءِ^(٢).
قال فيها:

يا ليتَ شِعْري، هل أرى أطوي إلى	قبرِ الرسولِ صحائفَ البَيِّداءِ
فَتَطِيبَ في تلكِ الرُّبوعِ مدائحي	ويَطُولَ في ذاكِ المَقامِ ثَوائي ^(٣) ؟
حيثُ النُّبُوَّةُ نورُها مُتَأَلَّقٌ	كالشمسِ تُزْهِى في سَناءٍ وسَناءٍ ^(٤) ؛
حيثُ الرِّسالةُ في ثِيَّةٍ قُدْسِها	رَفَعَتْ لِهَذي الخَلْقِ خَيْرَ لَواءٍ ^(٥) ؛
حيثُ الضَّرِيحُ، ضَرِيحُ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ،	فَخَرِ الوُجُودِ وشافِعِ الشُّعْماءِ؛
المُصْطَفَى والمُبرُتَضَى والمُجْتَبَى	والمُنْتَقَى مِنْ عُنْصُرِ العَلِياءِ ^(٦) .

-
- (١) الجناح (بالضم): اللوم، الذنب. العبرة: الدمعة (البكاء).
(٢) الزوراء: المكان الذي في الطريق إليه الخناء. والزوراء علم على مدينة بغداد لأن نهر دجلة ينعطف
قبل الوصول إليها. السنا: النور. الغيب: الظلمة. الظلماء: الليل.
(٣) الثواء: المكث (بالضم): الإقامة.
(٤) متألَّق: لامع. تزهى (كذا في الأصل): تفتخر تتكبر. لعلها «تزهو»: تضيء، تنير. السنا: النور.
السنا (بالهمزة): العلو، الارتفاع.
(٥) ثِيَّة (؟) قدسها (الطهارة، البركة، السمو والرفعة): قدسها الخالص التام الكامل.
(٦) المصطفى: المختار. المجتبي: المقرب.

وَبَلِيلَةَ الْمِيلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ
 قَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِبَعْثِهِ،
 أَكْرَمَ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَمِ سَرَتِ
 أَمْسَى بِهَا الْإِسْلَامُ يُشْرِقُ نُورُهُ،
 هُوَ آيَةُ اللَّهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا
 وَالشَّمْسُ لَا تَخْفَى مَرْيَّةُ فَضْلِهَا
 يَا مُصْطَفَى - وَالْكَوْنُ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ،
 يَا مُظْهِرَ الْحَقِّ الْجَلِيِّ وَمُطْلِعَ النَّهْرِ
 يَا مَلْجَأَ الْخَلْقِ الْمُشْفَعَ فِيهِمْ،
 يَا آسِيَّ الْمَرْضَى وَمُنْتَجَعَ الرِّضَا
 أَشْكُو إِلَيْكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلٍ،
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْلُصْ إِلَيْكَ، فَإِنَّمَا
 ثُمَّ يَسْتَرْدُّ أَبْنُ زَمْرَكَ إِلَى مَدْحِ مُحَمَّدٍ الْخَامِسِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ مَلِكِ غَرْنَاطَةَ^(١)، مَعَ
 الْإِشَارَةِ إِلَى الْاِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ:

وَبَسْفِدِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 يَا أَبْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي نَصْرِ وَمَنْ
 مِنْ كُلِّ مَنْ تَقِفُ الْمُلُوكُ بِبَابِهِ
 تَعِدُّ الْأَمَانِي أَنْ يُتَاحَ لِقَائِي.
 حَاطُوا ذِمَارَ الْمِلَّةِ السَّمْعَاءِ^(٥)
 يَسْتَمْطِوْنَ سَحَائِبَ النَّعْمَاءِ.

- (١) الكون (هنا) العالم، الوجود. الإنشاء: الإيجاد من العدم. - اختاركَ الله (يا محمد) قبل أن يبدأ خلق هذا العالم.
- (٢) الآسي: الطبيب، الداوي. منتجع الرضا (الذي يطلب الناس رضاءه). المواسي: الذي يساوي الآخرين بنفسه - الذي يواسي أو يحاول تخفيف آلام الآخرين.
- (٣) خلص فلان إلى المكان: استطاع أن يصل إليه مختزقاً أزدحام الناس.
- (٤) محمد (الغني بالله) بن يوسف ثامن سلاطين بني نصر في غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) وخامس من كان اسمه محمداً منهم.
- (٥) الذمار: الكيان والحرمة (ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه). الملة السمعاء: الدين اللين السهل (لا تعقيد ولا تشدد فيه)، الإسلام.

قَوْمٌ إِذَا قَادُوا الْجِيُوشَ إِلَى الْوَعَى فَالرُّغْبُ رَائِدُهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ؛
وَالْعِزُّ مَجْلُوبٌ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ، وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ بِكُلِّ لِوَاءٍ.
يَا فَعَرَ أُنْدُلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا، يَجْزِيكَ عَنْهَا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءٍ،
كَمْ خُضَّتْ طَوْعَ صَلَاحِهَا مِنْ مَهْمَةٍ لَا تَهْتَدِي فِيهِ الْقَطَا لِلْمَاءِ^(١).
عَظُمْتَ مِيلَادَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَشَفَعْتَهُ بِاللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ^(٢).
أَخِينَتْ لَيْلَكَ سَاهِرًا فَأَفْذَتْنَا قُوتَ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ^(٣).

وَلَا بَيْنَ زَمْرِكَ مُوشَعَةٍ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ (نفع الطيب ٧: ٢٨٠ - ٢٨١) مطلعها:
لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ، لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبٍ^(٤).
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ الْمَشِيبِ^(٥).

★ ★ ★

وَالْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ فِيهَا^(٦):

(هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمِ) الْمُصْطَفَى الْهَادِي شَفِيعُ مَطَاعٍ^(٧).
فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ وَحُبُّهُ زَادِي، وَنِعْمَ الْمَتَاعُ

- (١) المهمة: الأرض المقفرة (الخالية). القطا: طير قوي الحاسة للماء.
- (٢) الغراء: البياض (المباركة). الليلة الغراء (٤). لعلها ليلة عاشوراء (راجع، تحت، ص ١٣٠ - ١٣١).
- (٣) قوت القلوب: غذاء الروح. الإحياء: سهر الليل في العبادة. في الحاشية (نفع الطيب ٧: ١٨٣): أن الشاعر يورث هنا (يشير) إلى كتاب «قوت القلوب» (لأبي طالب المكي) وكتاب «إحياء علوم الدين» (لأبي حامد الغزالي). هذا التعليل بعيد.
- (٤) قدحت الأيام في الشيء: أتلفت جانباً منه. لم تقدح الأيام ذكرى حبيب (لم تنسى حبيبي). - منها يَنْقُصُ عَلَى الْحَبِّ مِنَ الزَّمَنِ لَا يَنْسُ أَحِبَّاءَهُ (لقد شاخ الشاعر، ولكنه ما يزال يرجو الذهاب إلى الحج؟).
- (٥) إذا غفل الإنسان في أيام شبابه (عن بعض العبادة)، فإنه يعود (إلى ذلك الجانب من العبادة) حينما تتقدّم به السن.
- (٦) البيت في الموشح (وفي المسمط) عدد من الأَشْطَرِّ يجمع بينها ترتيب معيّن في قوافيها.
- (٧) «هل يحمل الزاد لدار الكريم» شطر للفقير الزاهد أبي عبد الله أبي الحجاج يوسف المنصفي (نسبة إلى المنصف، وهي قرية قرب بلنسية). وكان للمنصفي رحلة إلى المشرق. وسكن سبعة وهو من أحياء النصف الأول من القرن السابع للهجرة (راجع المغرب ٣: ٣٥٤؛ نفع الطيب ١: ١٨١، ٣: ٥٩٥، ٤: ٣٣٦).

والله سَمَاءَ الرُّؤُوفَ الرَّحِيمِ، فجارُهُ المكفُولُ ما إن يُضَاعَ (١).
عسى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ ومُلْجَأُ الْخَلْقِ لِرَفْعِ الْكُرُوبِ (٢).
يَلْحَقَنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابٌ يَشْفَعُ لِي فِي مُوَبِقَاتِ الذُّنُوبِ (٣).

★ ★ ★

يا مُصْطَفَى، وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْعَدَمِ، وَالكَوْنُ لَمْ يَفْتَقِ كَيْامَ الْوُجُودِ (٤).
مَرْيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقِدَمِ بِهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسُودُ،
مَوْلَدُكَ الْمَرْقُومُ لَمَّا نَجَمَ أَنْجَزَ لِلْأُمَّةِ وَغَدَا السُّعُودُ.
نَادَيْتُ لَوْ يُسَمِّحُ لِي بِالْجَوَابِ شَهَرٌ رَبِيعٍ، يَا رَبِيعَ الْقُلُوبِ،
أُطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ احْتِجَابٍ شَمْسًا، وَلَكِنْ مَا لَهَا مِنْ غُرُوبِ.

ويبدو أنَّ من المناسبات التي كان أهلُ الأندلس (والمغرب) يحتفلون لها ذكْرَى عاشوراء (العاشر من المحرم: الشهر الأول من السنة الهجرية - وفي العاشر من المحرم من سنة ٦١ = ١٠/١٠/٦٨٠ م) كانت مأساة عاشوراء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه. ولآبَن زَمْرَكَ (نفع الطيب ٧: ٢٢١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ مُحَمَّدٍ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ النَّصْرِيِّ يَذْكُرُ فِيهَا عاشوراء:

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بَرَكَاتُهُ رَفَعَتْ لِيَوَاءَ لِلنَّدَى مَنُشُورًا (٥)،
لَكَ رَاحَةٌ تُزْجِي الْغَمَّ بِأَنْمُلٍ فَجَرَّتْ مِنْهَا بِالنَّوَالِ بُحُورًا (٦).

- (١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة). ما أن يضاع: لا يضاع («أن» زائدة).
- (٢) يوم الحساب: يوم القيامة. الكرب: الحزن الشديد.
- (٣) الذنب الموبق (المهلك، العظيم).
- (٤) المصطفى: المختار للرسالة (محمد رسول الله). والخلق (الواو للحال: حينما كان البشر لا يزالون) رهن العدم (قبل وجودهم في هذا العالم). الكون (هنا): هذا العالم. الفتق: الثقب. الكأس: الأوراق الخضر التي تغلف الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة). - أن الله قضى أن يكون محمد رسولاً إلى هذا العالم قبل أن يخلق الله هذا العالم.
- (٥) المولى: السيد (محمد رسول الله). الندى: الكرم.
- (٦) تزجي: ترسل، تسيّر. الأنملة: طرف الإصبع (كناية عن سهولة تسيير الأمور). النوال: العطاء (الخير، الفائدة).

وَالْيَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ وَغَدَاً - ظَفِرْتَ بِأَجْرِهِ - عَاشُورَا (١).
 رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبَوِيَّةٍ تَرَوِي الثَّقَاتُ حَدِيثَهُ الْمَشْهُورَا.
 لَا زِلْتَ، عَامَكَ كُلَّهُ، فِي غِبْطَةٍ لُقِيتَ مِنْهَا نَضْرَةً وَسُرُورَا (٢).
 وَلَا بَيْنَ زَمْرِكَ أَيْضاً قَصِيدَةٌ يَبْدُو أَنَّهُ مَدَحَ بِهَا الْغَنِيَّ بِاللَّهِ النَّصْرِيَّ وَوَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ
 عَاشُورَاءَ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٧: ١٧٦ - ١٧٧). من هذه القصيدة:

مَوْلَايَ، يَا أَبْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلَا وَالرَّافِعِينَ لِوَاءِهَا الْمَشُورَا،
 أَبْنَاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ فِي الذِّكْرِ أَصْبَحَ فَخْرُهُمْ مَذْكُورَا (٣)،
 وَالْمُؤَثِّرُونَ - وَرَبُّنَا أَتَى بِهَا، فِي الْحَشْرِ خُلِدَ وَصَفُهُمْ مَسْطُورَا (٤)،
 فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ يَدَيْكَ غَائِمٌ وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورَا،
 فِي مَوْسِمٍ لِلدِّينِ قَدْ جَدَّدْتَهُ وَأَقَمْتَ فِينَا عَيْدَهُ الْمَشْهُورَا.
 أضعافَ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مِنَّةٍ تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورَا (٥).

أَمَّا فِي السُّودَانِ الْغَزْبِيُّ خَاصَّةً فَيَبْدُو أَنَّ الْإِهْتِمَامَ كَانَ بِالْفِقْهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ؛ وَأَمَّا
 النَّتَاجُ الْأَدْبِيُّ وَالتَّأْلِيفُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ فَكَانَ فِي زَمَنِ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا. ثُمَّ
 إِنَّ هَذَا النَّتَاجَ كُلَّهُ لَمْ يَظْهَرْ بِالطَّبْعِ إِلَّا قَلِيلًا جِدًّا، كَمَا أَنَّ وُصُولَنَا إِلَى هَذَا
 النَّتَاجِ - مَخْطُوطًا وَمَطْبُوعًا - كَانَ أَيْضاً صَعْبًا.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ هُنَاكَ بَضْعَةً نَفَرٍ وَرَدَّ ذِكْرُهُمْ فِي «نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ»، مِنْهُمْ
 عَبْدُ الْعَزِيزِ التَّكْرُورِيُّ الَّذِي رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ (ص ١٨٢).

- (١) القربة: العمل الذي يسر الآخرين ويقربك منهم.
- (٢) الغبطة: النعمة، حسن الحال، السرور. في القرآن الكريم (١١: ٧٦)، سورة الدهر: ﴿فَوَقَاهُمْ (صرف عنهم) اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ (يوم الحساب، يوم القيامة) وَلَقَاهُمْ (أعطاهم) نَضْرَةً (حسنًا وإضاءة في وجوههم) وَسُرُورًا﴾.
- (٣) في الذكر (في القرآن الكريم).
- (٤) المؤثرون: الذين يفضلون الآخرين (بفتح الحاء) على أنفسهم. الحشر (سورة الحشر). في القرآن الكريم (٩: ٥٩)، سورة الحشر: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ذلك الشيء الذي يطمونه لغيرهم.
- (٥) المنة: الإحسان، الإنعام.

ومنهم محمد بن أحمد بن أبي محمد التازخي (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٣٦ م) والمشهور بلقب أيد^(١) أحمد رحل إلى تكدة فلقى فيها المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) وحضر دروسه. ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن نفر من العلماء في مِصرَ ومكة. وأجتهد (في تخريج مسائل الفقه) وصار من محصلي العلماء محدثاً ومحققاً ومتفناً في عدد من العلوم. ثم قفل إلى السودان ونزل في بلدة كشن فأكرمه صاحبها غاية الإكرام وولاه قضاءها (ص ٣٣٥).

وأخذ الفقيه الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (توفي بعد ٩٤٠ هـ) العلم وكانت قد تقدمت به السن عن عبد الله بن عمر بن محمد أقيت في بلاد ولاتن ثم سافر للغرب (للمغرب) فأخذ عن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). بعدئذ دخل بلاد السودان، مثل بلد كند وبلد كشن وغيرها وأقرأ أهلها وجرى بينه وبين العاقب الأنصمي خلاف. ثم إنه دخل تنبكت ودرس فيها. وعاد حيناً إلى مراكش ثم رجع إلى بلاده (ص ٣٤٤).

وهناك أيضاً عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي السفياني المعروف بلقب سقين أبي محمد (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٥٦ هـ) أخذ عن زروق (ت ٨٩٩ هـ) وعن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). ثم إنه رحل إلى الشرق (سنة ٩٠٩ هـ). ثم رجع إلى بلاد السودان ودخل كانو وغيرها وبقي هناك مدة عاد بعدها إلى فاس، سنة ٩٢٤ للهجرة وتولى الخطابة فيها في جامع الأندلس^(٢). وبعد وفاة محمد بن محمد بن الإمام القوري (ت هـ) تولى الفتيا فيها أيضاً، مدة وجيزة، فيما يبدو. فلما عزل عن الفتيا أكتب على رواية الحديث وإقرائه إلى أن أذركته الوفاة (ص ١٧٦ - ١٧٧).

ثم يأتي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي (٩٠٩ - ٩٧٣ هـ). ولما توفي والده (سنة ٩٥٥ للهجرة - راجع ترجمته) قاضي

(١) أيد، أيت: ابن.

(٢) في جامع عذوة الأندلسيين - الجانب الذي سكنه المهاجرون من الأندلس في مدينة فاس.

تَنَبُّكَتَ تَوَلَّى هُوَ الْقَضَاءُ بَعْدَهُ. وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْبَلَاغَةِ وَالْمَنْطِقِ، وَلَهُ تَعْلِيقٌ عَلَى رَجَزِ الْمَغِيلِي فِي الْمَنْطِقِ (ص ٣٤٠).

وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ، قَبْلَ أَنْتَهَاءِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْهَجْرَةِ، إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَتَ التَّنْبُكْتِيَّ (٩٣٢ - ٩٩١ هـ)، كَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ «تَأْلِيفُ صِفَارٍ فِي التَّصَوُّفِ» وَغَيْرِهِ، مِنْهَا «مُعِينُ الضُّعْفَاءِ فِي الْقَنَاعَةِ» (ص ١٠٢). وَكَذَلِكَ تَحَسَّنُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْعَاقِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَتَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى التَّنْبُكْتِيَّ (٩١٣ - ٩٩١ هـ)، كَانَ قَوِيَّ الْقَلْبِ صُلْبًا فِي الْحَقِّ مِقْدَامًا وَمُسَدَّدًا فِي أَحْكَامِهِ ثُمَّ جَسُورًا عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى مَنْ دُونِهِ. وَلَهُ مَعَ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ وَقَائِعُ كَانُوا يَخْضَعُونَ لَهُ فِيهَا. أَمَّا إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَكَانَ يَغْزِلُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَضَاءِ وَيَلْزِمُ بَيْتَهُ، فَيُلَاطِفُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْصِبِهِ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا. وَكَانَ الْعَاقِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا قَدْ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ وَاتَّصَلَ بِنَفَرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَأَجَاوَزَهُ (ص ٢١٨ - ٢١٩).

وَمِنَ الْفُقَهَاءِ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَمِيِّ الْمَسُوفِيِّ (تُوفِّيَ بَعْدَ ٩٥٠ هـ) مِنْ أَهْلِ أَكْدَسَ - وَهِيَ بَلَدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ - أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيِّ التِّلْمَسَانِيِّ (ت ٩٠٩ هـ)، وَكَانَ الْمَغِيلِيُّ قَدْ رَحَلَ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ وَبِلَادِ التَّكْرُورِ. ثُمَّ رَحَلَ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَخَذَ عَنِ جَلَالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) فِي مِصْرَ وَغَيْرِهِ، فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ. وَلِلْعَاقِبِ تَصَانِيفُ مِنْهَا تَعْلِيقَةٌ عَلَى قَوْلِ خَلِيلٍ^(١) - جُزْءٌ فِي وَجُوبِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي قَرْيَةِ أَصْمَنَ - الْجَوَابُ الْمَحْدُودُ عَلَى أَسْئَلَةِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ - أَجْوِبَةُ الْفَقِيرِ عَنْ أَسْئَلَةِ الْأَمِيرِ، أَجَابَ فِيهَا السُّلْطَانُ أَسْكَي الْحَاجَّ مُحَمَّدَ (ص ٢١٧ - ٢١٨، رَاجِعْ ٣٤٤).

(١) خَلِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَنْدِيِّ (لَأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ ثِيَابَ الْجَنْدِ): فَقِيهٌ مَلِكِي (ت ٧٧٦ هـ)، لَهُ كِتَابٌ فِي الْفِقْهِ مَشْهُورٌ بِعَنْوَانِ «مَحْتَصَرِ خَلِيلٍ».

ابن أبي البقاء البلنسي

١ - هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بأبي أبي البقاء، أصله من سَرَ قُسْطَةَ (ومسكنه في بَلَنْسِيَّة). كانت وفاته سنة ٦١٦ للهجرة (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كان ابن أبي البقاء البلنسي بارعاً في العربية (النحو) واسع العلم بها، وقد تصدر لتعليمها، وكانت له عناية بتقييد الآثار (الحديث؟). ثم هو شاعرٌ مجوّد، له رثاءٌ وله وصفٌ جيدٌ وغزلٌ.

٣ - مختارات من شعره

قال ابن أبي البقاء البلنسي من قصيدة له في الرثاء:

قد علّمتني الليالي أن ريقَها صابٌ، وإن قال قومٌ إنّها عسلٌ^(١).
إنّ الذي كانت الآمالُ مُشْرِقةً به وعيش الأماشي بُرْدُها خَضِلٌ^(٢)،
أصاب صَرَفُ الليالي منه قُطْبَ حَجَى.
يا مَنْ رأى الثَّهْبَ أعيّت دونها السُّبُلُ^(٣).

- وقال يَصِفُ السَّيْفَ:

وذو رَوْنَقٍ كالبرقِ، لكنَّ وِغْدَهُ صَدُوقٌ؛ ووِغْدُ البرقِ كِذْبٌ. ورُبَّما^(٤)....

(١) الريقة: الريق (اللعاب - بالضم - القليل): كناية عن السرور القليل الذي تحاول الدنيا أن تهيه للناس. الصاب: شجر له عصارة (بالضم) مرّة.

(٢) بردها (بالضم) ثوبها (وفي الأصل، ضبطت الكلمة بفتح الباء من البرد، ضدّ الحرّ، ولا معنى له). الخضل: المبتلّ، الناعم.

(٣) الحجى: العقل. قطب حجي (مركز العقل): المستند الذي يدور عليه العقل. صرف الليالي: المصائب. يا مَنْ رأى الثَّهْبَ أعيّت دونها السُّبُل (كانت المصيبة بموت هذا الرجل عظيمة إلى حدّ أن النجوم وقفت عن الدوران) لقد اضطرب كلّ شيء بعد موته.

(٤) الرونق: الحسن (بالضم)، اللعان. يريق السيف إذا هرّاه صاحبه ليضرب به. السيف يريق وهو على وشك أن يصيب فيقتل. أمّا البرق (الذي في الغيم) فقد يظهر فيتبعه مطر أو لا يتبعه مطر. ورُبَّما (فيها اكتفاء): ورُبَّما أمطر (الغيم بعد البرق).

عَقَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلِّ تَمَائِي وَقُلْتُ لَهُ: كُنْ لِلْمَكَارِمِ سُلْمًا^(١).
وساء الأعداي إذ بَكَتْ شَفْرَاثُهُ، وسرَّ ولاةَ الْوُدِّ لَمَّا تَبَسَّ^(٢).

- وله في الغزل:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْغَرَامِ أَنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمٌ حِجَامٍ^(٣):
عَبْرَاتُ تَصُّدُّ عَنْ نَظَرَاتٍ، وَنَشِيجٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ^(٤)،
وِدْمَاءُ تُرَاقٍ بِأَسْرِ دُمُوعٍ، وَنَفُوسٌ تُودِي بِرَسْمِ سَلَامٍ
شَرِبْتُ، بَعْدَكَ، اللَّيَالِي حَيَاتِي غَيْرَ أَوْشَالٍ لَوْعَتِي وَسَقَامِي^(٥).

٤- ** الذيل والتكملة ١: ٢١٥ (رقم ١٤٣).

ابن غِيَاثِ الشَّرِيشِيِّ

١- هو أبو عمرو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غِيَاثِ الْجُدَامِيِّ الشَّرِيشِيِّ، كان مولده سَنَةَ ٥٣٦ للهجرة (١١٤١-١١٤٢ م). كَتَبَ فِي شَبَابِهِ عَنِ الْأَمِيرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (مِنْ وُلَاةِ الْمُوحِدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ؟). ثُمَّ إِنَّهُ زَارَ مَرَاكُشَ وَمَدَحَ أُمَرَاءَهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٠ (شباط - فبراير ١٢٢٣ م) فِي الْأَغْلَبِ: أَوْ ٦١٩ (الوافي ٤: ١٠).

(١) النجاد (بالكسر) ما يحمل به السيف فيعلق في العنق. التيممة: حجاب يعلق على الصبي لمنع إصابته بالعين (من خرافات العامة). عقدت نجاديه لحلّ تَمَائِي: بدأت بحمل السيف (بالقتال والحرب) لما حلّت عني تَمَائِي (لما جاوزت سن الطفولة): باكرأ - وقلت..... كن (في يدي: سأقاتل بك) في سبيل الوصول إلى معالي الأمور.

(٢) الشفرة: حديدة السيف التي تقطع. بكت شفرة السيف (سال عليها الدم من قتال الأعداي). تبسم السيف: كثر بريقه (لكثرة تحريكه للضرب به).

(٣) الحمام (بالكسر): الموت.

(٤) تكثر العبرات (الدموع) في العين حتّى تمجّز العين عن النظر. النشيج: إرتفاع الصوت بالبكاء.

(٥) بعدك (بعد فراقك). شربت الليالي حياقي (ذهبت من الحياة: بطلت بعدك قيمة الحياة). الوشل (بفتح ففتح): الماء القليل (بقية الشيء). اللوعة: حرقة يجدها الإنسان في نفسه من أثر حبّ أو ألم أو حزن. السقام: الضعف، المرض.

٢ - كان أبو عمرو بن غياث ذا مكانة في قومه، كما كان أديباً وكاتباً محسناً اتّصلت المكاتبات بينه وبين نفرٍ من أدباء زمانه منهم مثلاً ابن مَرْجِ الكُحل^(١)، وكانت تلك المكاتبات تجري في نثرٍ وفي شعرٍ. وشعره كثيرٌ رقيقٌ جيدٌ. ويبدو أن مُعظَمَ شعره كان في مدحِ الملوكِ والرؤساء.

٣ - مختارات من آثاره

- لأبي عمرو بن غياث أبياتٌ في العتاب والنسيب، هي (نفع الطيب: ٢: ٦٠٨):

أودع فؤادي حَسرةً أو دَعٍ ، نَفْسَكَ تُؤْذِي. أَنْتَ فِي أَضْلَعِي^(٢).
أَمْسِكْ سِهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَارِمْهَا: أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابٌ مَعِي^(٣).
مَوْعِدُهَا الْقَلْبُ، وَأَنْتَ الَّذِي مَسْكُنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّعِينِيُّ^(٤): لَقِيتُ (أَبْنَ غِيَاثٍ) سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ (وَسِتِّمِائَةٍ) وَأَخَذْتُ عَنْهُ ثُمَّ اسْتَجَزْتُهُ^(٥) سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ فَكَتَبَ إِلَيَّ مُجِيزاً:

..... قَسماً بما يكونُ به الْقَسَمُ^(٦)، لَقَدْ اسْتَفْتَحْتُ بَاباً وَإِنَّهُ لَمُعْلَقٌ مَبْهُمٌ^(٧)؛
وَاسْتَنْطَقْتُ أَعْجَمِيّاً، وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يُفْصَحَ الْأَعْجَمُ. وَنَفَخْتُ حَيْثُ لَا ضَرَمَ^(٨):

-
- (١) ابن مرج الكحل (راجع الجزء الخامس، ص ٦٩١).
(٢) أودع (أجعل في) فؤادي حسرة أو دع (اترك وضعا). إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ (ووضعت حسرة في قلبي) فَإِنَّكَ تُؤْذِي نَفْسَكَ أَيْضاً لِأَنَّكَ مَحْبُوبِي الَّذِي أَجْعَلُهُ أَنَا بَيْنَ أَضْلَعِي (في قلبي).
(٣) إرم سهام اللحظ: أطلقها عليّ.
(٤) هو أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ الرعينيّ (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ).
(٥) طلبت منه إجازة (شهادة) بما أخذته عنه من العلم والسباح لي بأن أعلم الناس ما تعلمته منه.
(٦) بما به يكون القسم (الحلف باليمين): بالله تعالى.
(٧) استفتحت باباً (طلبت فتح باب): طلبت منّي شيئاً (إجازة). وَانَّهُ (أَنَّ هَذَا الْبَابَ): إعطائي إجازات. وَانَّهُ لَمُعْلَقٌ (ليس لي عادة بإعطاء إجازات). الْمَبْهُمُ: الشيء الساذج (الذي لا علامات فيه)....
(٨) ونفخت حيث لا ضرم: لا مادة قابلة للاشتعال بالترويح (بنفع الريح) عليها.

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُّ^(١).
^(٢) ولقد تركتُ مِنَ الْأَشْيَاخِ^(٣) مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ وَيَجِبُ أَنْ يُتِمَّنَ
 بِهِ وَيُتَبَرَّكَ. غَيْرَ أَنَّ الْقِدَمَ وَالْهَرَمَ وَالْأَلَمَ^(٤) صَرَفْتَنِي عَنِ الْإِسْهَابِ وَالتَّطْوِيلِ^(٥). وما
 يُطِيلُ شَيْخٌ لَهُ بَعْدَ نَوَامَاتِ الْعُيُونِ بِاللَّيْلِ نَظْرَةً تَخْيِيلُ^(٦)؛ وَكُتِبَ تَخْيِيلٌ وَعَيْشُهُ
 تَنْكِيلُ^(٧). وَقَدْ أَتَّضَحَ لَهُ مِنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّانِينَ السَّبِيلُ^(٨).

- وله أبياتٌ في الصَّبَا والشَّيْبِ:

صَبَوْتُ، وَهَلْ عَارٌّ عَلَى الْحُرِّ إِنْ صَبَا وَقِيدٌ بُعِيدَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الصَّبَا^(٩) ؟
 يرى أَنَّ حُبَّ الْحُسْنِ فِي اللَّهِ قُرْبَةٌ لِمَنْ شَاءَ بِالْأَعْمَالِ أَنْ يَتَقَرَّبَا.
 وقالوا: مَشِيبٌ. قلتُ: وَاعْجَبَا لَكُمْ، أَيْنَكُرُ نُورٌ قَدْ تَحَلَّلَ غَيْبَا^(١٠) ؟
 وليس مَشِيباً مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّا كُمَيْتُ الصَّبَا مِمَّا جَرَى عَادَ أَشْهَابَا^(١١).

٤ - ** المغرب ١: ٣٥؛ برنامج الرعياني ٩٩ (رقم ٣٧)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٩٥-٢٩٦
 (رقم ٧٨٠)؛ تحفة القادم ١٢٩؛ الوافي بالوفيات ٤: ١١؛ نفح الطيب ٢: ٦٠٨.

- (١) البيت للمتنبي. الشحم: مادةٌ يصبح بها الجسم سميناً. الورم: انتفاخ من مرض.
- (٢) كان ابن غياث يريد أن يذكر نغراً من شيوخه (أساتذته). وهم غير المذكورين في الأصل.
- (٣) الأشياخ: الشيوخ (الأساتذة).
- (٤) القدم (طول الزمن) يدعو إلى النسيان. الهرم (طول العمر) يدعو إلى الضعف. الألم (ذهاب الصحة) يدعو إلى قلة الصبر وقلة الاحتل.
- (٥) الإسهاب: إكثار التعابير للمعنى الواحد. التطويل: الإتيان بمعان كثيرة.
- (٦) بعد نومات العيون (بعد أن ينام الناس في الليل). نظرة تخييل: تدلّ على الحبل (بفتح ففتح): المجنون أو فساد التفكير.
- (٧) كتبه (كذا في الأصل). والكتب جمع كتاب بمعنى الحكم أيضاً. يقول: إن أحكامه من عمل الخيال لا صواب فيها. التنكيل: العقاب الشديد الذي يراد به ردع الآخرين عن أعمال السوء.
- (٨) اتّضح (بان، ظهر).... السبيل (النهاية، الموت).
- (٩) صبا: مال (إلى المحبوب). قاد: جرّ. الصبا: العشق (الجهل في أيام الشباب)..
 (١٠) الغيب: الظلام (هنا: سواد الشعر). في الوافي: «بدر» مكان «نور».
- (١١) الكميت (الحصان الأحمر اللون). كميت الصبا (نشاط الشباب). أشهب (أبيض اللون).

الرقاء المرسِيّ

١ - هو الأستاذ أبو عليّ الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الرحمن الكِنَافِيّ المَرَسِيّ، من أهل مُرْسِيَّة. أخذَ القِراءاتِ عن أبي جعفر (بن) (١) الحِصَار. وماتَ الرقاء في بلدِهِ مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م) في الأغلب.

٢ - كان الرقاء المرسِيّ مُقرِّئاً ونَحْوِيّاً، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً صاحبَ مُقطَّعاتٍ، وفي شعرِهِ تكلُّفٌ لزومٍ ما لا يلزَمُ. ويبدو أَنَّهُ كان يُكثِرُ من وَصفِ المآكل.

٣ - مختارات من شعره

- قال الرقاء المرسِيّ في المُجَنَّبَاتِ (نوعٍ من الحلوى: عَجِينٍ مَحْشُوٍّ بِالْجُبْنِ يُقْلَى بِالسَّمْنِ وَيُغْمَسُ فِي الْقَطَرِ، كالقطائف) (٢):

شُغِفْتُ بِحُبِّ أَبْكَارِ حَبَالِي، وَوَدَّيْ لَوْ بَنَيْتُ بِهَا عَرُوساً (٣).
إِذَا لَاحَتْ بُدُوراً فِي الْمَقَالِي تَرَاءَتْ لِلْعَيُونِ بِهَا شُمُوساً (٤).

- وله في النسيب (من لزومٍ ما لا يلزَمُ بِكَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ):

أَتَسَى فَأَسَى كُلُّمَا كَلَّمَا، وَبِأَنَّ الْأَسَى كُلُّمَا كَلَّمَا (٥).

(١) في بغية الوعاة (ص ٢٢٣): أبو جعفر بن الحصار. وفي نفح الطيب (٢: ٥٠) أبو جعفر الحصار.

(٢) يمكن أن تقلق بالسيرج (بالسين المهملة المكسورة) أو الشيرج (بالشين المعجمة المفتوحة): دهن السمسم.

(٣) شغف الرجل (بالبناء للمجهول): أصيب شغاف (بالضم) قلبه (غلاف قلبه) من الحب. أبكار جمع بكر (بالكسر) كناية عن القطيفة (وجمعها قطائف) التي تكون شنيّة ومختومة الطرفين أو تكون من قطعتين أطبقت إحداها على الأخرى وختمت دائرتها. حبالي (كناية عن انتفاخ القطائف لكثرة ما في جوفها من الجبن). بنى الرجل بالمرأة (اتخذها زوجاً له) لأنّه بيني بيتاً (خيمة) تضمها معاً. ودّ (بالضم أو بالكسر أو بالفتح): الحب، الرغبة (بالفتح).

(٤) لاحت بدوراً (تكون بيضاء حيناً تكون عجيّناً). المقالي (هنا) جمع مقلاة (صفحة تقلق فيها الأطعمة). تراءت شُمُوساً (حيناً تقلق تصبح صفراء أو حمراء).

(٥) أسى: داوى. كلّم (بالضم): في كلّ مرّة. كلّم (بالفتح): جرح. بان: ابتعد، ذهب. الأسى: الحزن. كلّم (في القافية): خاطب. - إذا نظر المحبوب بعينه إلى الحبّ، شعر الحبّ بأنّه قد جرح (قلبه). فإذا عاد المحبوب فخاطب الحبّ شعر الحبّ بأنّه قد شفي من جروح قلبه.

ورَوَى الْغَلِيلَ، وَمِنْ بَعْدِمَا شَفِي الصَّبَّ مَاءُ اللَّمَى آلَهَا (١)
 وَثَلَّمْ مَا شَاءَ مِنْ قَرَبَةٍ وَزَادَ فَقَدْ ثَلَّ مَا ثَلَّهَا (٢).
 وَسَلَّ عَلَيْهِ حُسَامَ النَّوَى، وَمَنْ يَأْسُ مَا سَلَّ مَا سَلَّهَا (٣).
 وَضَرَمَ نَارَ الْجَوَى فِي حَشَاهُ فَأَلْحَفَهُ ضُرٌّ مَا ضَرَّمَا (٤).
 وَعَدَّمَهُ الصَّبْرَ مِنْ بَعْدِهِ يَرَى فُرْصَةً عَدَّ مَا عَدَّمَا (٥).
 أَعَيْنِيهِ، كُفَّاءَ، فَأَصْلُ الْبَلَا - إِذَا مَا أَعْتَرَى وَأَتَمَّتْ - أَتَمَّتْهَا (٦).
 وَيَا صَاحِبِيهِ، أَلَا عُدَّتْهَا، وَهَلَّا إِذَا عُدَّتْمَا عُدَّتْمَا (٧)؟
 وَقَدْ قُلْتُهَا أَنْ سَيَقْضِي أَسَى، وَمِنْ قَبْلِهِ قُلْتُ مَا قُلْتُهَا (٨).

٤ - ★★ تحفة القادم ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ١٢ : ٦٦ - ٦٧؛ بغية الوعاة ٢٢٣.

- (١) رَوَى الْغَلِيلَ (حَرَّ الْعَطَشِ، الْعَطَشُ الشَّدِيدُ): أَطْفَأَ الْعَطَشَ. الصَّبَّ: الْحَبَّ. مَاءُ اللَّمَى (سَمَرَةُ الشَّفَاهِ) رَيْقُ (الْمُحِبُّوبِ). آلَمَ (أَدْخَلَ الْأَلَمَ عَلَى النَّفْسِ)، لِأَنَّ الْمُحِبَّوبَ حَجَبَ رَيْقَهُ (بِمَدَنٍ) عَنِ الْحَبِّ.
- (٢) الْبَيْتُ غَامُضٌ. ثَلَّمْ: قَطَعَ، شَقَّقَ. (قَرَابَةُ نَسَبٍ؟) - فِي الْأَصْلِ «قَرَبُهُ» مُضْبُوطَةٌ بِضَمَّةٍ فَسُكُونٌ فَكُسْرَةٌ. زَادَ (٤). ثَلَّ: هَدَمَ.
- (٣) النَّوَى: الْفِرَاقُ، الْبَعَادُ. يَأْسُو: يَدَاوِي. مَا سَلَّ: أَثَرُ الْحُسَامِ (السِّيفِ). سَلَّمَ (٤): أَلْقَى السَّلَامَ، نَجَّى، أَنْقَذَ..... (٤).
- (٤) الْجَوَى: أَلَمُ الْحَبِّ. الْحَشَا: الْبَاطِنُ، الْقَلْبُ. أَلْحَفَهُ: غَطَّاهُ (بِالْحَافِ). ضَرَّ: أَذَى، مَرَضَ. ضَرَمَ: أَشْعَلَ النَّارَ.
- (٥) عَدَّمَهُ: أَعْدَمَهُ، أَفْقَدَهُ. الصَّبْرَ (مَفْعُولُ بِهِ). مِنْ بَعْدِهِ (بِالضَّمِّ؟): فِرَاقُهُ، بَعَادُهُ. - يَرَى فُرْصَةً (مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ مَقْدَمٌ). عَدَّ (مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ مُؤَخَّرٍ). عَدَّمُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمُجْهُولِ): فِي هَذِهِ الْفُرْصَةِ الَّتِي لَا يَرَى الْحَبُّ فِي أَثْنَائِهَا مَحْبُوبَهُ يَسْتَطِيعُ الْحَبُّ أَنْ يَعْرِفَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَدَمَهَا (فَقَدَهَا لَمَّا ابْتَعَدَ مَحْبُوبُهُ).
- (٦) كُفَّاءَ: تَوْقَفًا (عَنِ الدَّمْعِ، الْبُكَاءِ). اعْتَرَى: أَصَابَ. اتَّمَّتْ (اتَّسَبَّ): إِنَّ ابْتِلَاءَ الْحَبِّ بِالْمَصَائِبِ رَاجِعٌ إِلَى أَنْ عَيْنِيهِ تَرِيَانُ الْمُحِبُّوبِ اعْتَرَى = اتَّمَّتْ (٤).
- (٧) وَيَا صَاحِبِيهِ (رَفِيقِيهِ). عُدَّتْمَا: التَّجَاوَعَتَا (احْتِمِيَّتَا مِنْ أَنْ يَصِيبَكُمَا الْحَبُّ بِالْمَصَائِبِ). وَإِذَا كُنَّا أَتَمَّا قَدْ عُدَّتْنَا (وَنَجُوتْنَا) مِنَ الْحَبِّ، فَلَمَّا إِذَا مَا عُدَّتْنَا (رَجَعْنَا) إِلَيْهِ (وَأَنْقَذْتُمَا تَمًّا هُوَ فِيهِ). عُدَّتْنَا (فِي الْأَصْلِ) بِالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ. وَقَاعِدَةٌ لَزُومٌ مَا لَا يَلْزِمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنْ تَكُونَ «عُدَّتْنَا» (بِالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ). عُدَّتْنَا (الثَّانِيَةِ) لَعَلَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فَعْلًا مُتَعَدِّيًّا (وَلَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ بِهَذَا الْمَعْنَى) - يَقْصِدُ أَتَمِّيَّتَهُ، أَنْقَذْتُمَا.
- (٨) قَضَى: مَاتَ. الْأَسَى: الْحُزَنُ. - وَأَنَا قَبْلَكُمْ قُلْتُ عَنْ هَذَا الْحَبِّ أَنَّهُ سَيَمُوتُ مِنَ الْحَبِّ (وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَزَالُ حَيًّا).

أبو عبد الله بن عسكر

١ - هو القاضي أبو عبد الله بن عسكر (المرقبة العليا ١٢٣) أو أبو عبد الله محمد ابن عسكر (نفع الطيب ٢ : ٣٥١) : محمد بن علي بن عبيد الله بن الحضير بن هارون الفسائي الملقب (الذيل والتكملة ٦ : ٤٤٩)، أصله من إحدى قرى مالقة، وكان مولده نحو سنة ٥٨٤ للهجرة (١١٨٨ - ١١٨٩ م).

تلقى أبو عبد الله بن عسكر العلم على نفرٍ كثيرين في الأندلس وفي المدونة (المغربية) وفي المشرق. وقد ولي قضاء مالقة نيابة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن النباهي^(١) - عند انتقال الحكم في الأندلس من بني هود إلى بني الأحمر - (نحو ٦٣٠ هـ) ثم تولى قضاءها مستبداً (مستقلاً) إلى آخر حياته في ربيع جمادى الآخرة من سنة ٦٣٦ - ١٢٣٩/١/١٢ م).

٢ - كان أبو عبد الله بن عسكر مستقيم السيرة ماضي العزيمة عادلاً. وكان متوقفاً للذهن واسع المعرفة بالقراءة (للقرآن الكريم) وبالحدِيث والفقه والنحو والتاريخ. وكان مؤلفاً صنّف عدداً من الكتب منها: مقامة سمّاها «رسالة آدخار الصبر» وافتخار القصر والقبر»، وهي غريبة في بابها - المشرع الروي في الزيادة على غريب الهروي^(٢) - أربعون حديثاً (ألزم فيها أسم شيخه أَسَم الصّحابي)^(٣) - نزّه الناظر في مناقب عمّار بن ياسر^(٤) - الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر^(٥) - الإكمال

(١) تولى القضاء بمالقة من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٦٣٠ هـ في أيام الأمير محمد بن يوسف بن هود الذي كان مستبداً بما كان قد بقي للعرب في الأندلس قبل مجيء بني نصر أو بني الأحمر.

(٢) أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ) له كتاب غريب القرآن (الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة) وغريب الحديث.

(٣) اشترط أن يكون كلّ حديث من الأربعين حديثاً قد رواه صحابي اسمه كاسم أحد شيوخ أبي عبد الله ابن عسكر أو أن تكون الأربعون حديثاً رواها صحابة أسماؤهم كلّهم كاسم شيخ واحد من شيوخ ابن عسكر^(٤).

(٤) عمّار بن ياسر (ت ٣٧ هـ) من الصحابة وأحد السابقين إلى الدخول في الإسلام، ومن الولاة والقادة الشجعان.

(٥) ألفه لأبي محمد بن أبي خرص (بضم الخاء) الضرير الواعظ.

والإتقان في صِلَة الإعلام بمحاسنِ الأعلام من أهلِ مَالَقَةِ الكِرَامِ^(١).
ولأبي عبدِ اللهِ بنِ عسْكَرٍ نَظْمٌ جَيِّدٌ يَأْتِي فِيهِ أحياناً بِلُزُومٍ ما لا يِلْزَمُ. وهو أديبٌ
مُحْسِنٌ في النثر والنظم معَ المقدرة على وُجُوهِ البلاغة.

٣ - مختارات من آثاره

- لما كان أبو عمران موسى بن سعيد^(٢) بالجزيرة الخضراء مُقَدِّماً على أعمالِها من
قِبَلِ ابنِ هودٍ^(٣) وَصَلَ (إليه) كتابٌ مِنَ الفقيه القاضِي أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عسْكَرٍ
قاضي مَالَقَةِ، معَ أحدِ الأدباءِ، منه (نفع الطيب ٢: ٣٥١ - ٣٥٢):

أَفَاتِحُ مَنْ قَلْبِي بَعْلِيَاهُ وَاثِقُ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْصَارُ لَمْ تَنْسَخِ الْوُدَّ^(٤).
وِثْقْتُ بِمَا لِي مِنْ ذِمَامِ تَشْيَعِي بِأَلِ سَعِيدٍ فَأَبْتَغَيْتُ بِهِ السَّعْدَا^(٥).
وَبِالْحَبِّ يَدْنُو كُلُّ مَنْ أَقْصَتِ النَّوَى بِرُغْمِ حِجَابِ النَّوَى بَيْنَنَا مَدَا^(٦).

يا سَيِّدِي الَّذِي حَمَلَنِي مَا أَمَالَ أَسْمَاعِي مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَنْ أَهْجُمَ عَلَى مُفَاتِحَتِهِ
شَافِعاً فِي مُوَصِّلِهَا إِلَيْهِ، وَاثِقاً بِالْفَرْعِ لَعَلَّ الْأَصْلَ^(٧)، مُؤَمِّلاً لِلْإِفْضَالِ بِتَحْقِيقِ
الْفَضْلِ^(٨). إِنْ لَمْ تَقْضِ بِاجْتِمَاعِ بَيْنَنَا الْأَيَّامُ فَلَا^(٩) تُجْزِيءُ مِنَ الْمُشَافَهَةِ بَيْنَنَا أَلْسُنُ
الْأَقْلَامِ وَيُوحِي بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ سُورِ الْوِدَادِ^(١٠). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَكَ فِي ذَلِكَ

(١) لهذا الكتاب اسم آخر، هو: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيها احتوت عليه مألقة من العلماء
والرؤساء والأخيار وتقبيد ما لهم من المناقب والآثار. وأبو عبد الله بن عسكرو مات قبل أن يكمل
هذا الكتاب، فتولَّى كماله (إكمالُه) ابنُ أخته أبو بكر بن محمد بن خميس.

(٢) من آل سعيد المنسي (راجع الجزء الخامس، ص ٣٣٨).

(٣) محمد بن يوسف بن هود المستبد بجنوبي الأندلس باسم المتوكل (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٤) أفاتح: أبدأ بمخاطبة... - الأبصار لم تنسخ الودَّ (٤).

(٥) الذمام: العهد، الحرمة، الحق. التشيع: الانتماء إلى قوم أو رأي.

(٦) أقصى: أبعد (فعل ماض). النوى: البعاد، الفرقة، الفراق.

(٧) لعلم الأصل (المعرفي بمكانة آل سعيد وفضلهم).

(٨) الإفضال: الإحسان إلى الآخرين. تحقيق الفضل: الثقة بأن يحدث الإحسان الجديد (قياساً على ما
عرف عن آل سعيد من الفضل السابق).

(٩) كذا في الأصل (المعنى يقتضي أن يقال: فلا أقلَّ من أن تجزيء....).

(١٠) الوداد: المحبة. سور الوداد (بالمحبة الكاملة، المحبة السامية).

الأُفْقِي بَدْرًا^(١)، وأُذْنَاكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ فَصِرْنَا لِقُرْبٍ مَنْ يَرِدُ عَنْكَ لَا نَعْدَمُ لَكَ ذِكْرًا^(٢). فَكُلُّ يَثْنِي بِالَّذِي عَلِمْتَ سَعْدًا^(٣) وَيَصِفُ مِنْ خِلَالِكَ مَا يَقْضِي (به) ذَلِكَ الْمَجْدُ^(٤). وَلَمَّا كَانَ إِحْسَانُكَ يُبَشِّرُ بِهِ الصَّادِرُ وَالْوَارِدُ وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ الْغَائِبُ وَالشَّاهِدُ^(٥)، مَدَّ أَمْلَهُ نَحْوَكَ مُوَصِّلُ هَذِهِ الْمَفَاتِحِ، وَلَيْسَ لَهُ وَسِيلَةٌ وَلَا بِضَاعَةٌ إِلَّا الْأَدَبُ^(٦)، وَهِيَ - عِنْدَ بَيْتِكَ الْكَرِيمِ - رَاجِحَةٌ. وَهُوَ مِنْ شَتَّى خُطُوبٍ هَذَا الزَّمَانِ شَمْلَهُ وَأَبَانَتْ نَوَائِبُهُ صَبْرَهُ وَفَضْلَهُ^(٧). وَمَا طَمَحَ بِبَصَرِهِ إِلَّا إِلَى أَفْقِكَ^(٨)، وَلَا وَجَّهَ رَجَاءَهُ إِلَّا نَحْوَ طَرَفِكَ^(٩). وَالرَّجَاءُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ يَعُودَ وَقَدْ أَثْنَتْ حَقَائِبُهُ^(١٠) وَأَعْنَقَتْ مِنَ الْحَمْدِ رَكَائِبُهُ^(١١). وَدُمْتَ غُرَّةً فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ^(١٢) مَخْصُوصًا بِأَفْضَلِ التَّحِيَّةِ وَالتَّسْلِيمِ.

- وَمِنْ شَعْرِهِ فِي النَّسِيبِ، وَفِيهِ عَاطِفَةٌ فِطْرِيَّةٌ مِنَ الطُّفُولَةِ الْعَذْبَةِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٥٢: ٢):

- (١) بَدْرًا (مَعْرُوفًا مَشْهُورًا نَافِعًا).
- (٢) ذِكْرَكَ عِنْدَنَا لَا يَنْقُطِعُ.
- (٣) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ: «وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدًا» (أَيُّ بَأْ هُوَ مَعْرُوفٌ وَمَشْهُورٌ).
- (٤) الْخِلَالُ: الصِّفَاتُ، الْخِصَالُ الْحَمِيدَةُ. ذَلِكَ الْمَجْدُ (الْقَدِيمُ الَّذِي لِقَوْمِكَ).
- (٥) الصَّادِرُ (الذَّاهِبُ مِنْ عِنْدِنَا) وَالْوَارِدُ (الْقَادِمُ عَلَيْنَا) وَالْغَائِبُ (الَّذِي لَيْسَ مَعَنَا الْآنَ) وَالشَّاهِدُ (الْحَاضِرُ بَيْنَنَا): جَمِيعُ النَّاسِ.
- (٦) لَا يَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا الْمَعْرِفَةُ بِالْأَدَبِ (بِالشَّعْرِ) مِثْلًا، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَيْسَ قَرِينًا لَكَ فِي الْغِنَى أَوْ الْجَاهِ أَوْ الْمَكَانَةِ.
- (٧) أَبَانَتْ: أَبْعَدَتْ، قَطَعَتْ. نَوَائِبُهُ (نَوَائِبُ الزَّمَانِ: الْمَصَائِبُ).
- (٨) أَفْقَكَ: بَلَدَكَ (الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ).
- (٩) طَرَفَكَ (الْجَانِبَ مِنَ الْبَلَادِ حَيْثُ أَنْتَ).
- (١٠) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ الْأُمَوِيِّ نَصِيبٍ (بِالتَّصْفِيرِ) بِنِ رِبَاحٍ (تَبِينُ ١٠٥ وَ ١١٠ هـ):
فَعَاوِجَا فَاثْمُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلَوْ سَكُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ.
- (١١) الرُّكُوبَةُ: الْمَطِيَّةُ يَسَافِرُ النَّاسُ عَلَيْهَا. أَعْنَقَتْ: مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا وَهِيَ تَسِيرُ (مَسْرَعَةً). مِنَ الْحَمْدِ (بِحَمْدِكَ) سُرُورًا بِمَا نَالُوا مِنْكَ.
- (١٢) الْبَهِيمُ: السَّادِجُ، الْغَفْلُ (بِضَمِّ فَسْكَونٍ): الَّذِي لَا مَعَالِمَ فِيهِ أَوْ إِشَارَاتٍ تَهْدِي السَّائِرِينَ.

أهواك، يا بذرُّ، وأهوى الذي يَغْذِلُنِي فيك، وأهوى الرقيب^(١)؛
والجارَ والدارَ وَمَنْ حَلَّهَا وَكُلَّ مَنْ مَرَّ بِهَا مِنْ قَرِيبٍ؛
وَكُلَّ مُبْدٍ شَبَهَا مِنْكُمْ، وَكُلَّ مَنْ يَلْفِظُ بِأَسْمِ الْحَبِيبِ.
- وقال يصف رجلاً أحْدَبَ ويقارنه بشكلِ هندسيٍّ مثلث (الإحاطة ٢: ١٢٥):

وأحْدَبٍ تَحَسَّبُ فِي ظَهْرِهِ سَفِينَةٌ فِي نَهْرٍ عَائِمَةٌ.
مُثَلَّثُ الْخَلْقَةِ، لَكِنَّهُ فِي ظَهْرِهِ زَاوِيَةٌ قَائِمَةٌ.

- وصف البلغة (والبلغة حذاء خفيف مألوف في الشمال الإفريقي وفي الأندلس، وهي، في الأصل، تُتَّخَذُ مِنَ الْحُلْفَاءِ^(٢)). والبلغة لا تزال معروفة في المغرب إلى اليوم، وتُصْنَعُ مِنْ جِلْدٍ عَادِيٍّ ذِي لَوْنٍ أبيضَ أو أَصْفَرَ في الأكثر). وهذه الأبيات من قصيدة قالها الشاعرُ في مدح السلطان المأمون أبي العلاء بن المنصور الموحديّ (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ):

رَكِبْتُ إِلَى لُفْيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ مُبِرَّةٍ أَنْ تَعْرِفَ الْأَبَ وَالنَّسْلَ^(٣).
إِذَا نَسَبُوهَا فَالْتَنُوفَةُ أَهْمُهَا، وَوَالِدُهَا مَاءُ الْقَمَامِ إِذَا أَنَهَلَا^(٤).
وَمَا عَلِمْتُ يَوْمًا غِذَاءً، وَإِنَّا أَعَارَ لَهَا الْأَعْضَاءُ صَانِعُهَا قَتْلًا^(٥).
وقد ضَمُرْتُ حَتَّى اغْتَدْتُ مِنْ نُسُوعِهَا
فَلَوْ عَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ مَا أَسْقَطَتْ ظِلًّا^(٦).

- (١) البدر: المحبوب الجميل الذي يشبه البدر. يغذل: يلوم. الرقيب: الذي يتابع أعمال المحبين لينقص عليهم حياتهم (يمنعهم من الالتقاء، يشي بهم، إلخ).
- (٢) الحلفاء: نبات ينبت على أطراف الماء له أوراق ليفية تشبه سعف النخيل تصنع منه حبال، ويشتمل أيضاً بسرعة وشدة.
- (٣) يشبه البلغة بالمطية (الدابة التي يسافر الناس عليها)، سوى أنها لا أبوان لها ولا نسل (أولاد) لها.
- (٤) التنوفة: الفلاة (الأرض الواسعة لا ماء فيها). أنهل: انهر (هطل: سقط بكثرة).
- (٥) أغضاؤها (أقسامها) لم تأت من النمو بالغذاء، ولكن الذي صنع البلغة كان قد قتل أوراق الحلفاء على أشكال مختلفة.
- (٦) ضمرت: أصبحت نحيلة أو هزيلة. اغتدت (كذا في الأصل بالdal المهملة): أصبحت. النسع (بالكسر) سير عريض من جلد. اغتدت من نسوعها^(٧).

وما في قَرَاها قدرُ مَقْعَدِ رَاكِبٍ، وَلَكِنَّهَا سَاوَتْ مِسَاحَتَهَا الرَّجُلَا (١).
لِتَبْلِيغِهَا الْمُضْطَرَّ تُدْعَى بِبُلْغَةٍ، وَإِنْ قَسَتْ بِالتَّشْبِيهِ شَبَّهَتْهَا نَعْلًا (٢).
سَأَشْكُرُهَا جُهْدِي وَأُثْنِي بِفَضْلِهَا، فَقَدْ بَلَّغْتَنِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الرَّمْلَا (٣).
مَلِكًا كَانَ الشَّمْسَ فَوْقَ جَبِينِهِ، وَلَيْثَ الشَّرَى فِي دِرْعِهِ حَامِيًا شَبْلًا (٤).
إِذَا رَأَى أَمْرًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ «عَسَى»؛ وَإِنْ قَالَ: كُنْ، لَمْ يَخْشَ فِي غَرَضٍ مَوْلَى (٥).
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ فِي اللَّهِ هَمُّهُ
فِيُجْزِي لَهُ، فِي ذَلِكَ، الْقَوْلَ وَالْفِعْلَا (٦).

٤ - ** الذيل والتكملة ٦: ٤٤٩ - ٤٥٢ (رقم ١٢١٨)؛ المرقبة العليا ١٢٣، راجع ١١٢؛
الإحاطة ٢: ١٢٢ - ١٢٥، نفح الطيب ٢: ٣٥١ - ٣٥٢، ٣: ٣١١،
٤: ٣١١ - ٣١٢، ٥: ١٣٠.

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْإِسْتِجْيِيُّ

١ - هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْإِسْتِجْيِيُّ، كَانَ أَسْلَافُهُ مِنْ
سُكَّانِ إِسْتِجَةَ ثُمَّ آتَتْهُمَا إِلَى مَالَقَةَ.

وُلِدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْتِجْيِيُّ فِي مَالَقَةَ وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ
يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَمِيرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَوْطِرِ اللَّهِ وَأَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ

- (١) القرى (بالفتح): الظهر.
- (٢) لتبليغها المضطر: للوصول بالاحتاج إلى السفر تسمى بلغة (تبلغه مقصده). - في عملها (خدمتها)
لصاحبها تشبه المطية) أما شكلها فيشبه النمل.
- (٣) جهدي: بأقصى طاقتي. أثنى بفضلها: أشكرها على فضلها.
- (٤) الشري: الجبل. ليث (أسد) الشري يكون شديداً ضارياً. هم أسد الشري (شجعان أقوياء). - في
درعه حامياً شَبْلًا (٥).
- (٥) لم يكن فيه من «عسى»: لم يكن فيه تردد. المولى: السيد. لم يخش (يخف) في غرض (في أمر من
أمره) مولى (سيِّداً فوقه يمنعه مما يريد).
- (٦) كلَّ هَمِّه أَنْ يَرْضَى اللَّهَ بِأَعْمَالِهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَجْرِي لَهُ اللَّهُ ذَلِكَ (يساعده الله على تنفيذ كلِّ ما
يريده من قول أو فعل).

المجيد الأزدي وأبو علي بن سيري^(١). ثم إنه أقرأ في بلده مالقة وهو بعد في العشرين من العمر.

ويبدو أن الاستجى هذا قد جاء إلى غرناطة^(٢) في آخر عمره - سنة ٦٣٩ للهجرة - ومريض فيها ثم توفي في أواخر سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) في الأغلب.

٢ - كان محمد بن أحمد الاستجى من حملة العلم والمشتغلين بالحديث، ولكن الأدب غلب عليه. وله نثر وشعر ليسا في الغاية من الإجادة. ثم هو مصنف له: ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز^(٣) (شرح لديوان المتنبي) - شمس البيان في لمس البنان - الزهرة الفاتحة في الزهرة اللاتحة^(٤) - نفع الكيامات^(٥) في شرح المقامات - اقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين - التصور والتصديق في التوطئة لعلم التحقيق (في المنطق؟) - رقم الحلل في نظم الدول - مفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان^(٥)، هذا بالإضافة إلى ما له من شعر ونثر وخطب ورسائل. وهذه الكتب الدالة على اتساع نطاق معرفته لم يصل إلينا منها شيء.

وفي شعر أبي عبد الله الاستجى شيء من المذوبة - برغم ما يبدو عليه من التقليد - فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب للاستجى مطلع قصيدة هو: « ما للنسيم لدى الأصيل عليلاً^(٦)؟ » ثم أورد منها بيتاً واحداً هو:

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلّموا عليه رقّة ونحوها^(٧).

٣ - مختارات من آثاره

- قال محمد بن أحمد الاستجى على طريقة أهل التصوف في ذكر الأماكن المقدسة:

- (١)
- (٢) يبدو أنه انتقل من مالقة إلى غرناطة لحنة كانت قد وقعت عليه في مالقة.
- (٣) الإعجاز (بالكسر): عجز بعض الناس عن فعل ما يقدر عليه بعضهم الآخر. الأعجاز (بالفتح) جمع عجز (بفتح فضم): الشطر الثاني من بيت الشعر. الصدور جمع صدر: الشطر الأول من بيت الشعر.
- (٤) نفع: انتشار الرائحة، الكيامة: الأوراق الخضراء التي تضم الزهرة قبل أن تفتح الزهرة.
- (٥) الإحسان الإحسان (؟).
- (٦) الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر والمغرب. العليل: الضعيف (القليل الحر).
- (٧) ألم: مرّ (بأرضهم) أو نزل نزولاً خفيفاً (قليلاً).

قِفُوا فِي رُبِّي نَجْدٍ، فِي الْقَلْبِ مَرْسَاهُ؛ وَغَنُّوا إِذَا أَبْصَرْتُمْ ثُمَّ مَغْنَاهُ^(١).
أَمَا هَذِهِ نَجْدٌ؟ أَمَا ذَا هُوَ الْحِمَى؟ فَهَلْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ أَمْ صُمَّ أُذُنَاهُ^(٢)؟
دَعْوُهُ يُوقِي ذِكْرَهُ بِلِسَانِهِ دُيُونَ هَوَاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ^(٣).
وَيَا سَائِقَا عَيْسَ الْغَرَامِ بَلْوَمِهِ
- وَكُلُّ إِذَا يَغْشَاهُ فِي الْحُبِّ يَخْشَاهُ^(٤) -

أَرْحَاهُ، فَقَدْ ذَابَتْ مِنَ الْوَجْدِ وَالسُّرَى، وَلَمْ يَنْقُ إِلَّا عَظْمُهَا وَبَقَايَاهُ^(٥).
وَيَا صَاحِبِي، عَجْزِي عَلَى الْخَيْفِ مِنْ مَنِي؛ وَيَا ذَا التَّقَى، مَنْ لِي بِأَنِّي أَلْقَاهُ^(٦)؟
وَعَرَّجْ عَلَى وَادِي الْعَقِيقِ فَإِنِّي أَسْأَلُ عَمَّنْ كَانَ بِالْأَمْسِ سُكْنَاهُ^(٧).
وَقُلْ لِلَّيَالِ قَدْ سَلَفْنَ بَعِيثُهُ وَعُمْرِي عَلَى رُغْمِ الْعَذُولِ قَطَعْنَاهُ^(٨)،
هَلِ الْعَوْدُ أَرْجُوهُ أَمْ الْعُمْرُ يَنْقُضِي فَأُقْضِي وَلَا يُقْضَى الَّذِي أَتَمَّنَاهُ^(٩)؟
- وَلَهُ مِنْ بَرْنَامَجٍ مَشِيخَتِهِ (وَفِيهِ تَكْلُفٌ كَثِيرٌ وَتَوَرِيَاتٌ وَإِشَارَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ إِلَى
الْأَدَبِ وَالنَّحْوِ وَالتَّارِيخِ):

مَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ اللَّائِحَةُ وَالْأَنْوَارُ الْفَائِضَةُ^(١٠). إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ الْحِكْمَةِ وَلَا أَفْنَدُ،

- (١) المرسى: النزول، البقاء، السكى. المعنى: المكان المعمور (الذي يسكنه الناس).
- (١) الحمى: المسكن الذي يجب علينا حمايته.
- (٣) قبل أن يتوفاه الله (قبل أن يموت).
- (٤) الميس جمع عيساء: الناقة. - يا أيها الذي يسوق النياق إلى نجد (مكان المهبوب) وهو ينشد لوم المهبوب. - وكل إنسان يرى هذا المهبوب يخاف منه (لتبديل جسمه بالنحول من أثر الحب)؟ -.
- (٥) أرحها: اترك الميس مدة بلا سير (بلا سفر) فلملها تستريح قليلاً (لكثرة أسفار هذا الحب عليها ولبعد أسفاره). الوجد: شدة الحب أو ألم الحب. السرى: السير في الليل.
- (٦) عاج: مال (إلى مكان لينزل فيه). الخيف ومنى في الحجاز (من مناسك الحج) يكنى بها عن مكان المهبوب.
- (٧) ... عن المهبوب الذي كان يسكنه.
- (٨) العذول: اللاتم. سلفن (مضين - بفتح الضاد) بعيشه (بالعيش فيه؟).
- (٩) العود: الرجوع إلى ذلك المكان. فأقضي (أموت). لا يقضي الذي أتمناه (لا يتاح لي ما أتمنى: زيارة المهبوب).
- (١٠) الأنوار (الأولى) جمع نُور (بالضم): الضوء، الضياء. الأنوار (الثانية) جمع نُور (بالفتح): الزهرة. اللائحة: البداية للنظر. الفائضة: التي تنتشر منها الرائحة الطيبة.

وَأَرَدُ مَوْرَدَ النُّعْمَةِ وَلَا أَكْنَدُ^(١). أَمْسَكَ دَارِينَ يُنْهَبُ أَمِ الصَّنْدَلُ فِي الضَّرَامِ
الْمُلْهَبِ^(٢)؟ أَمْ تَفْتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَفَاحَ نَسِيمُهَا، وَتَوَضَّعَتْ أَسْبَابُ الْمِنَّةِ فَلَاحَ
وَسِيمُهَا^(٣)؟

(وقال في صُلبِ هذا البرنَامَجِ في ذِكْرِ نَفَرٍ مِنْ شُيُوخِهِ):

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْعَالِمُ الْعَدْلُ الْمُحَدِّثُ^(٤). الْأَكْمَلُ الْمُتَفَنِّنُ الْخَطِيبُ الْقَاضِي
أَبُو مُحَمَّدٍ بِنْ حَوْطِ اللَّهِ^(٥)، سَمِعْتُ عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً بِمَالَقَةٍ بِقِرَاءَةِ الْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ
أَبْنِ غَالِبٍ^(٦)، وَلَقِيْتُهُ بِقُرْطَبَةَ - وَهُوَ قَاضِيهَا - وَحَدَّثَنِي عَنْ جَدِّي وَعَنْ جُمْلَةِ شُيُوخِ
وَلَهُ بَرْنَامَجٌ كَبِيرٌ. وَأَخُوهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو سُلَيْمَانَ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْعَالِمُ الْعَلَمُ الْأَوْحَدُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ الْمُتَفَنِّنُ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ
أَبْنُ عَبْدِ الْهِجْدِ الْأَزْدِيِّ^(٧)، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْمَزِيدَ مُفْرَدًا^(٨)، وَكُتَابَ الْجُمَلِ
وَالْإِيضَاحِ وَسَيَبَوِيهِ^(٩) تَفْقَهُا^(١٠). وَمَا زِلْتُ مُوَاطِنًا لَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أَكْنَدُ (يُنْسَبُ إِلَى الْفَنْدِ) يَفْتَحُ فَفَتْحَ - ضَعْفُ الرَّأْيِ (الْجُنُونِ). أَكْنَدُ (يُنْسَبُ إِلَى الْكُنُودِ): كَفَرَانِ
النُّعْمَةِ أَوْ نَكَرَانِهَا). وَفِي ذَلِكَ اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٢: ٩٤، يُونُسُ): ﴿إِنِّي لِأَجْدُ رِيحَ يُونُسَ
لَوْلَا أَنْ تُفْتَدُونَ﴾ ثُمَّ (١٠٠: ٦، الْعَادِيَاتُ): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

(٢) دَارِينَ اسْمُ لِمَكَانَيْنِ (فِي الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّامِ: سُورِيَّةٌ) مَشْهُورَيْنِ بِالسَّكِّ. نُهَبَ: أُتِيحَ لِجَمِيعِ النَّاسِ.
الصَّنْدَلُ: مَادَّةٌ طَيِّبَةٌ الرَّائِحَةِ تَلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْفُجُ رَائِحَتَهَا.

(٣) لَاحَ: ظَهَرَ. وَسَيْمُهَا (شَبَحَهَا الْجَمِيلَ).

(٤) الْعَدْلُ: الَّذِي تَقْبَلُ شَهَادَتُهُ أَمَامَ الْقَاضِي (تَقَالُ لِلْمَذْكُورِ وَلِلْمَوْثُوثِ وَلِلوَاحِدِ وَلِلْجَمْعِ). الْمُحَدِّثُ: الْمُشْتَغَلُ
بِالْحَدِيثِ (حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ).

(٥) الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بِنْ سُلَيْمَانَ بِنْ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْمَالِقِيُّ (ت ٦١٢ هـ) تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بِلْدَانٍ
عَدِيدَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ وَافْرِيقِيَّةٍ. كَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا، وَلَهُ شُعْرٌ (الْمَرْقَبَةُ الْعَلِيَا ١١٢). وَحَوْطُ اللَّهِ تَحْرِيفٌ
(فِيهَا يَبْدُو) مِنْ حَوْتَلَلُو (حَوْتٌ: سَمَكَةٌ، وَ«أَلُّو» عَلَامَةُ التَّصْغِيرِ فِي الْإِسْبَانِيَّةِ).

(٦) لَعَلَّهُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بِنْ إِبْرَاهِيمَ بِنْ مُحَمَّدٍ بِنْ غَالِبِ الْأَنْصَارِيِّ (ت نَحْو ٦٤٠ هـ أَوْ قَبِيلَ ذَلِكَ).
وَتَوَلَّى قَضَاءَ غِرْنَاطَةِ، فِي الْأَغْلَبِ (الْمَرْقَبَةُ الْعَلِيَا ١٢٤).

(٧)

(٨) مُفْرَدًا: بِرَوَايَةٍ (فِي الْقُرْآنِ) وَاحِدَةً (بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ وَحَدَّثَهَا أَوْ بِقِرَاءَةِ وَرْشٍ وَحَدَّثَهَا الْخ - رَاجِعَ ذَلِكَ
فِي تَرْجُمَةِ الْقُرْطُبِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٠، فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٩) كِتَابُ الْجُمَلِ (لِلزَّجَّاجِيِّ) وَكِتَابُ الْإِيضَاحِ (لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ) ثُمَّ سَيَبَوِيهِ = الْكِتَابُ .

(١٠) تَفْقَهُا: فَهَمَّا وَمُنَاقَشَةً وَنَقْدًا (كَانَ يَعْرِفُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ). وَهُوَ الْآنَ يَرِيدُ أَنْ يَزِيدَادَ مَعْرِفَةَ بِهِ.

وكان فريده عصره في الذكاء، ولم يكن في طلبه الأستاذ أي زيد السهلي أنجب منه^(١).....

ومنهم الفقيه الأجل العالم المحدث السيد أبو محمد القرطبي^(٢)، قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات^(٣)، وتفقهت عليه في الجمل^(٤) والأشعار. وأجازني جميع ما رواه^(٥). وكذلك فعل كل واحد ممن تقدم.

★★-٤ الإحاطة ٢: ٢٤١ - ٢٥٠.

موسى بن سعيد العنسي

١- هو أبو عمران موسى بن محمد (٥١٤ - ٥٨٩ هـ) بن عبد الملك (٤٢٦ - ٥٦٢ هـ) بن سعيد العنسي، ولد في (قلعة بحصب) * في خامس رجب من سنة ٥٧٣ للهجرة (٢٨ / ١٢ / ١١٧٧ م). ثم إن موسى أذكر الفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) وتلقى عليه شيئاً من العلم (المغرب ١: ١٠٤).

بدأ موسى بن سعيد حياته السياسية بأن تولى الكتابة لعبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (أخي المنصور الموحدي)، حينما كان عبد الواحد هذا والياً على الأندلس (إشبيلية^(٢)). ويبدو أن منافسة شديدة كانت بين عبد الواحد والمستنصر أبي يعقوب يوسف الثاني (حفيد يعقوب الأول المنصور) وسُلطان المغرب (٦١١ - ٦٢٠ هـ). وأراد المستنصر أن يستميل موسى بن سعيد فعرض عليه الوزارة في مراكش، فلم يقبل موسى (نفع الطيب ١: ٥٨٢ - ١٨٣).

(١) أبو زيد (أبو عبد الرحمن) السهلي (ت ٥٨١ هـ) صاحب كتاب «الروض الأنف (بضم فضم)».

(٢)

(٣) كل ختمة من القرآن (قراءة كاملة) برواية واحدة في القراءات (راجع الحاشية الثانية على هذه الصفحة).

(٤) الجمل = كتاب الجمل (للزجاجي)

(٥) سمح لي بأن أروي عنه (ما تعلمته منه): أعلمه لغيري.

* بحصب (بضم الصاد أو بكسرهما).

وَأَسْتَطَاعَ عَبْدُ الْوَاحِدِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ فِي مَرَاكُشَ (٦٢٠ - ٦٢١ هـ) عاماً واحداً
ثُمَّ خُلِعَ وَقُتِلَ (نفع الطيب ٤ : ٣٨٤). ومع أن موسى بن سعيد لم يكن في مَرَاكُشَ يومَ
تَوَلَّى عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُلْكَ، بَلْ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ يُهْنُتُهُ (نفع الطيب ٢ : ٣٦٢)،
فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى مَرَاكُشَ (المغرب ٢ : ٥٣) بعدَ ذلك.

ثُمَّ تَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنَ هُودٍ، سَنَةَ ٦٢٥ لِلْهِجْرَةِ (١٢٢٨ م) عَلَى
الْمُوحِّدِينَ وَأَسْتَبَدَّ بِالصُّخَيْرَاتِ (قُرْبَ مُرْسِيَّةٍ) وَأَتَّسَعَ مُلْكُهُ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ، فَهَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْعَنْسِيُّ وَأَبْنَهُ مُوسَى (صاحبُ هذه الترجمة) مَعَهُ إِلَى آيْنِ هُودٍ وَنَقَضَا
وَلَاءَهُمَا لِلْمُوحِّدِينَ (كما كانا قد نقضا من قبلُ ولاءَهُمَا لِلْمُرَابِطِينَ).

وَأَرَادَ آيْنُ هُودٍ أَنْ يُكَافِيَءَ بَنِي سَعِيدٍ عَلَى نُصْرَتِهِمْ لَهُ فَوَلَّى مُوسَى عَلَى الْجَزِيرَةِ
الْخَضْرَاءِ.

وَاتَّصَلَ أَسْتَبْدَادُ آيْنِ هُودٍ بِجَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ عَشَرَ سِنِينَ ثُمَّ قَتَلَهُ أَحَدُ وَلَاتِهِ، سَنَةَ
٦٣٥ لِلْهِجْرَةِ (في أَوَّلِ شَهْرِ عامِ ١٢٣٨ م).

وَيَبْدُو أَنَّ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ قَدْ تَنَقَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً فِي مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ رَأَى أَنَّ
مُقَامَهُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ كَثِيرَ الْأَضْطِرَابِ فَعَزَمَ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِنِيَّةِ الْحَجِّ،
غَيْرَ أَنَّهُ تَوَفَّى بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي ثَامَنِ شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٤٠ (٣٠٠ /
١٢٤٣ م).

٢- كان أبو عمران موسى بن سعيد رجلاً سياسياً، ودولةً مثل أهله. وكان كاتباً
مُتَرَسِّلاً وشاعراً، إلا أنه أبرعُ في نثره منه في شعره. والذي يبدو أن ميَّزته كانت في
اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِ بِالتَّارِيخِ وَبِالْأَدَبِ، وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي
حُلَى الْمَغْرِبِ».

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في المظفر عبد الملك

العامري^(١) (المغرب ٢: ٣٠٢) إملاء (أرتجألاً):

مَلِكٌ لَمْ يَرِثِ الْإِمَارَةَ عَنْ كَلَالَةٍ وَبَذَرَ لَمْ يَطْلُعْ بِغَيْرِ هَالَةٍ^(٢)، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَتْ
بِبَلَنْسِيَّةٍ رِثَاةً جَدَّهُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣)، وَأَوَى مِنْهُ أَهْلُهَا - فِي تِلْكَ
الْخُطُوبِ - إِلَى حِرْزِ حَرِيزِ^(٤). فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّيْتَلَ فِي الْمَخْبَرِ^(٥) مِثْلُ الْأَسَدِ،
فَقَلَّدُوهُ تِلْكَ الْقَلَائِدَ فَذَبَّ عَنْ نِظَامِهَا وَاجْتَهَدَ^(٦). فَهَزَمَ الْمُثْمِنِينَ وَأَخْرَجَ عَنْ بِلَادِهِ
أَمِيرَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ غَانِيَةَ. وَطَلَعَ عَلَى تِلْكَ الظُّلَمِ كَالصُّبْحِ الْمُبِينِ^(٧)، إِلَّا أَنَّهُ صَادَفَ
فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عِيَاضٍ أَسَدَ الْحُرُوبِ وَقُطِبَ الْخُطُوبِ^(٨)، رَجُلَ
الثَّفَرِ^(٩) شُهْرَةً وَشَجَاعَةً، وَقَدْ أَلْقَى جَمِيعُ تِلْكَ الْبِلَادِ لَهُ بِالْسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَهَوَتْ قُلُوبُ
أَهْلِ بَلَنْسِيَّةٍ إِلَيْهِ^(١٠). وَرَأَى أَنَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَتَارُوا عَلَيْهِ. فَخَضَعَتْ
أَقْلَامُهُ لِلسُّيُوفِ^(١١)، وَدَارَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ صُرُوفٌ^(١٢). فَلَمْ يَرَ إِلَّا الْفِرَارَ، قَائِلًا لَيْسَ

(١) من نسل المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) المستبد بأمر الخلافة المروانية في أيام هشام بن الحكم

المستنصر بن عبد الرحمن الناصر.

(٢) الكلاله: الرجل يموت لا أولاد له ولا زوجة (ان المظفر لم يصبح ملكاً لأنه لم يكن هنالك ملوك، بل
انتزع الملك من أصحابه). الهالة دائرة (مظلمة أو ملونة) ترى حول الجرم المضيء بنفسه كالشمس
والقنديل (وهي في الحقيقة ترى حول عين الراي - أو بين الجسم والمضيء - وعين الراي حيناً يكون
الهواء مشبعاً بالرطوبة على درجة معينة). وكانوا من قبل يعتقدون أن الهالة تدل على شيء من
القداسة.

(٣) هو حفيد المنصور بن أبي عامر.

(٤) الخطب: المصيبة، الحادث المؤذي. أوى: التجأ.

(٥) في القاموس (٣: ٣٤١): التيتل (بالثاء المثناة) الوعل المسنّ، نوع من بقر الوحش (الغزلان). المخبر:
الاختبار (حقيقة الأمر).

(٦) قلدوه تلك القلائد (ولّوه - بفتح اللام - الحكم). ذبّ: دفع (دافع، حامى عن البلد).

(٧) المبين: الظاهر، الواضح.

(٨) صادف (يقصد: وافق، حدث). ابن عياض: ملك (مستبد) بشرق الأندلس (راجع نفع الطيب ٤:
٤٥٦). قطب الخطوب (سبب تلك الأحداث الكبار).

(٩) الثفر: المكان (براً أو بحراً) يخشى مجيء العدو منه يحكم منطقة قرية من بلاد الاسبان.

(١٠) هوت إليه القلوب (مالت).

(١١) انهزم أدبه (ورجال بلاطه الأدباء) أمام القوة.

(١٢) الصرُوف: المصائب.

على زار الأسد قراراً^(١). فجاءت به المقادير إلى أن حصلته في يد عدوه عبد الله بن غانية، فسجنه في جزيرة ميورقة إلى أن يسر الله سراحه على يد الموحدين. فعل براكش تحت نعمة ضافية ملحوظاً بعين الرعاية متفقداً من الأمر العزيز بأجزل جراية^(٢).

- قال موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في نهر أندرش (المغرب ٢: ٢٣٥):
 خلني في نهر أندرش كني أروي عنده عطشي.
 مد منه مغمض نضري في بسيط بالرياض وشي^(٣).
 عند ما أبصرت بهجته حرت من فكر ومن دهش^(٤).
 - وقال يرد على من عاتبه^(٥) بكثرة المطالعة والصبر عليها (المغرب ٢: ١٧٠ = نفع الطيب ٢: ٣٣٤):

يا مفضياً عمره في الكأس والوتر^(٦) وراعياً في الدجى للأنجم الزهر^(٧)
 يبكي حبيباً جفاؤه أو يُنادم من يهفو لديه كفصن باسم الزهر^(٨)،
 منمماً بين لذات يمحققها ولا يخلد من فخر ولا سير^(٩)،

- (١) يقول النابغة الذبياني:
 أنبت أن أبا قابوس أو عدي، ولا قرار على زار من الأسد.
 لا يستطيع أحد أن يطمئن إذا كان يسمع صوت أسد (إذا كان إلى جانبه ما يهدده).
 (٢) المتفقد الذي يعتني به أناس كثيرون. من الأمر العزيز (أمر الملك). أجزل (أكبر، أثنى) جراية: مرتب جار على الموظف أو المقرّب باستمرار.
 (٣) نضر، ناضر: ريان، براق. وشي (المقصود: الفعل المجهول من وشى - بتشديد الشين - زين).
 (٤) الدهش (يفتح أو بفتح ففتح): التحير، ذهاب العقل.
 (٥) هو يرد بهذه الأبيات على ابنه علي (ت ٦٨٥ هـ) والمؤلف الأخير لكتاب المغرب (راجع نفع الطيب ٢: ٣٣٣ - ٣٣٤).
 (٦) الكأس (شرب الخمر) والوتر (سماع الفناء): اللهو.
 (٧) الزهر جمع أزهر: لامع، مشرق. راعياً للأنجيم الزهر: ساهراً بلا عمل منتج.
 (٨) جفاؤه: هجره. هفا إليه: مال، اشتاق. كفصن (حبيب معتدل القامة كالفصن).
 (٩) يحققها (يضميها سدى). السيرة: السمعة الحسنة أو التاريخ المكتوب.

وعاذل لي فيما ظلت أكتبه:

يُنْدي التعجب من صبري ومن فكري^(١)؛

يقول: ما لك؟ قد أفنيت عمرك في حبر وطرس عن الأغصان والحبر^(٢)

وظلت تسهر طول الليل في تعب ولا ترى أبد الأيام من ضجر^(٣).

أقصر، فأني أذرى بالذي طمحت لأفقه همتي، وأسأل عن الخبر^(٤)،

وأسمع لقول الذي تتلى محاسنه، من بعد ما صار مثل التراب، كالسور^(٥)

(جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم، بعد المات، جمال الكتب والسير)^(٦).

★★ - ٤ المغرب (٢: ١٧٠ - ١٧١) ثم راجع ١: ٩٨ - ٩٩، ١٠٤، ١٠٥ - ١٠٧، ١١٠،

١٤٢، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٣٢٠، ٣٣٤، ٤٢٣ - ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٤،

٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٧، ٣٥، ٥٣، ٦٣، ٧٣، ٨١ - ٨٢، ٨٥، ١٠٣،

١١٠ - ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٤٥، ١٤٨ - ١٥١، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٥، ١٨٠،

٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣،

٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٤، ٤٠٦، نفع

الطيب (٢: ٣٣٣ - ٣٣٥) ثم ١: ١٥٤ - ١٥٥، ١٧٨ - ١٧٩، ١٨٢ - ١٨٣، ٢٠٠،

٣٣٧، ٣: ١٨٣، ٣٥١، ٣٦٤ - ٣٦٦، ٤: ١٣٨ - ١٤٠.

الأعلم البطليوسي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم بن إسحاق الأعم البطليوسي^(٧) النحوي،

(١) العاذل: اللاتم. ظلت (بالكسر) = ظلت (بكر اللام الأولى وسكون الثانية).

(٢) في حبر (مداد أسود يكتب به) وطرس (ورق): في الكتابة والتأليف. الأغصان والحبر (الثوب الجميل

من الحرير الأسود) لعله يقصد النساء الجميلات (اللواتي قاماتهن معتدلة كالأغصان وأبشارهن أو

ظاهر جلدهن ناعم كالحرير).

(٣) إن كلمة ظلت (في هذا البيت وفي البيت الرابع من هذه القطعة أيضاً) مضبوطة (في نفع الطيب ٢:

٣٣٣) بفتح الظاء. أبد الأيام: كل الأيام (التي لا تنتهي).

(٤) أقصر (اترك هذا الاعتراض).

(٥) من بعد ما صار مثل التراب (بعد ما مات). تتلى محاسنه كالسور (محاسنه كريمة كالسور في القرآن

الكريم - هذه مبالغة غير مستحبة).

(٦) الواضح أن البيت مضمّن. السيرة (تاريخ رجل عظيم).

(٧) هو غير الأعم الشنمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ). وفي سنة وفاة الأعم البطليوسي شيء من

الخلاف.

وُلِدَ فِي بَطْلَيْوَسَ وَأَخَذَ النَحْوَ عَنِ الْأَسَازِ هُذَيْلٍ^(١) مِنْ عُلَمَاءِ النَحْوِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَصَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي عَدِيدٍ مِنَ الْفَنُونِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ - ١٢٤٥ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ رَجُلًا ضَيِّقَ الصَّدْرِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَثِيرَ الشَّكْوَى مِنَ الزَّمَنِ وَمِنَ النَّاسِ، وَهَجَا حِمَصَ (إِشْبِيلِيَّةَ) وَلَمْ يَتَّفَقْ أَنْ هَجَاهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَكَانَ بَارِعًا فِي النَحْوِ خَاصَّةً. وَلَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: تَارِيخُ بَطْلَيْوَسَ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصِّحَاحِ لِلْجَوْهَرِيِّ وَالْغَرِيبِ الْمَصْنُوفِ (رَاجِعْ بَغِيَّةَ الْوَعَاةِ ١٨٥). وَقَدْ بَلَّغَتْ تَصَانِيفُهُ خَمْسِينَ عَدًّا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١).

وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ أَدِيبًا شَاعِرًا. وَكَانَ نَاقِدًا أَيْضًا (رَاجِعْ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١ - ٤٥٢، ٥٩٦، ٧: ٦ و ٧).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِلأَعْلَمِ الْبَطْلَيْوَسِيِّ فِي الشَّكْوَى مِنَ الدَّهْرِ وَالنَّاسِ:

★★ دَعِ الْأَيَّامَ تُنْصِفُ مِنْ أَنْاسٍ إِذَا صَارَتْ لَهُمْ حَقَرُوا الْكِرَامَا. (٢)
وَلَا تَدْمَغْ جُفُونُكَ إِنْ تَفَانَوْا وَلَا تَقْرَأْ عَلَى أَحَدٍ سَلَامَا.
وَنَكَّبْ عَنْ مَصَارِعِهِمْ جَزَاءً، وَلَا تَحْفَظْ لِمَذْمُومٍ ذِمَامَا. (٣)
وَفَكَّرْ فِي صَنِيعِهِمْ - وُلَاةَ - لِتَشْكُرْ فِي تَسْرُعِهِ الْهِامَا!
صَحِبْتُ النَّاسَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فَلَمْ أَرَ مِنْ أَوْدٍ لَهُ الْمُقَامَا.
★★ يَا حِمَصُ، لَا زِلْتَ دَارًا، لِكُلِّ بَوْسٍ، وَسَاحَةِ.

(١) الْأَسَازِ هُذَيْلٍ (كَذَا غَيْرُ مَنْسُوبٍ) ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «بَغِيَّةِ الْوَعَاةِ» (ص ٤٠٨) نَقْلًا عَنِ الْمَغْرِبِ (١): ٢٦٥، وَسَمَّاهُ الْقَرِي فِي «نَفْحِ الطَّيِّبِ» (٤: ١٢٧): «الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ هُذَيْلُ الْإِشْبِيلِيِّ». رَاجِعْ أَيْضًا فِي «الْمَغْرِبِ» (١: ٢٦٥، الْحَاشِيَةُ الْآخِرَةُ). وَفِي النُّصُونِ الْيَانِعَةِ (ص ٦٩ - ٧١) شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَمِنْ شَعْرِهِ.

(٢) إِذَا صَارَتْ لَهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ لَهُمْ نَفُودٌ.
(٣) نَكَّبَ: تَجَنَّبَ، ابْتَعَدَ. الْمَصْرَعُ: الْمَقْتَلُ، الْهَلَاكُ. جَزَاءً: عِقَابًا (لَا تَعَايِبِ النَّاسَ يَمُوتُ بِمَقْتَلِهِمُ الدَّهْرُ).

ما فيك موضع راحة إلا وما فيه راحة^(١)!

- ومن أقواله في النقد (من نفع الطيب): لِيَكُنْ مَحْفُوظُكَ مِنَ النِّظْمِ مِثْلَ قَوْلِ
أَبْنِ الْقَبْطَرُنِيِّ^(٢): «دَعَاكَ خَلِيلُكَ وَالْيَوْمُ طَلٌّ» (٣: ٥٩٦) - وقال إِنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ
أَبْنَ زُهْرٍ يَقُولُ: «كُلُّ الْوَسَّاحِينَ عِيَالٌ عَلَى عُبَادَةِ الْقَرَّازِ فَمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ:
«بَذَرْتِمَ...».... وما حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحَاً عَلَى قَوْلِ إِلَّا أَبْنِ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ: «أَمَا
تَرَى أَحَدًا.... لَا يُلْحَقُ» (٧: ٧).

٤ - ** المغرب ١: ٣٦٩؛ القدر المملّى ١٥٧؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ نفع الطيب (راجع
المتن)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٦٠ (٦٢).

طلحة بن حزم الأموي

١ - هو أبو محمد طلحة بن أبي بكر محمد (ت ٦١٩ هـ) بن طلحة بن محمد بن عبد
الملك بن أحمد بن خلف بن الأسد بن حزم الأمويّ اليابريّ الإشبيليّ، أصلُ أهله من
يَابُرَةَ^(٣) ثمّ انتقلوا إلى إشبيلية.

وُلِدَ طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ الْأُمَوِيُّ، فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٦٠١ (مطلع كانون
الثاني - يناير من عام ١٢٠٥ م).

وروى طلحة بن حزم الأمويّ عن أبيه أبي بكرٍ وعمّه أبي العباس ثمّ عن نفَرٍ
كثيرين منهم أبو بكر بن قسوم الزاهد (ت ٦٣٩ هـ) وأبو عليّ بن الشلوبين
(ت ٦٤٥ هـ) وغيرهم. ولم يأخذ عن أبيه كثيراً لأنّه كان قد عانى مرضاً شديداً في
مطلع شبابه، ثمّ إنّ أباه توفّي باكراً (سنة ٦١٩ هـ). غير أنّ هذا كلّهُ لم يَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ
يَسْتَدْرِكَ كَثِيراً مِنَ الْعِلْمِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ، فَقَدْ تَصَدَّرَ لِتَدْرِيسِ النُّحُوِّ وَغَيْرِهِ بَاكراً ثُمَّ
أَجَازَ لِنَفَرٍ مِنَ الَّذِينَ دَرَسُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُجَاوِزَ هُوَ الْعَشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ.

(١) موضع راحة (بقدر راحة اليد).

(٢) أبناء القبطنة ثلاثة أدباء شعراء (راجع تراجمهم في الجزء الخامس).

(٣) يابرة في البرتغال اليوم (شرق لشبونة العاصمة).

وكانت وفاة طَلْحَةَ بْنِ حَزْمٍ فِي إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةِ ٦٤٣ لِلْهِجْرَةِ (١٢٤٥ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- كان طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ الْأُمَوِيُّ مُقَرَّبًا لِلْقُرْآنِ قَدِيرًا فِي صِنَاعَةِ التَّجْوِيدِ، كَمَا كَانَ عَارِفًا بِالْحَدِيثِ وَنَحْوِيًّا مَاهِرًا وَمُتَبَحِّرًا فِي التَّارِيخِ. ثُمَّ كَانَتْ لَهُ عِنَايَةٌ بِالْأَدَبِ، وَرُبَّمَا نَظَّمَ الشُّعْرَ. وَشِعْرُهُ عَادِيٌّ يَمِيلُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّعْفِ.

ثُمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ مُعْجَمٌ شُيُوخِهِ سَمَّاهُ «مُلْحَةَ الرَّاوِي وَخِتَامَ عَيْنِيَةِ الْحَاوِي»^(١) (أَلْفُهُ سَنَةَ ٦٢٠ هـ) ثُمَّ وَسَّعَ هَذَا الْمُعْجَمَ (سَنَةَ ٦٣٥ هـ) فِي بَرْنَامَجٍ سَمَّاهُ «نُغْبَةُ الْوَارِدِ وَنُخْبَةُ مُسْتَفَادِ الْوَافِدِ»^(٢) (وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَسْمَاءِ مِائَاتٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ). ثُمَّ إِنَّهُ عَمِلَ فَهَارِسَ (لِأَسْمَاءِ الْكُتُبِ؟) لِنَفَرٍ مِنْ أَشْيَاخِهِ كَأَبِي أُمَيَّةَ وَأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْحَاجِّ وَغَيْرِهِمَا؛ وَقَدْ ظَهَرَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ جَوْدَةُ اخْتِيَارِهِ وَحَسَنُ تَرْتِيبِهِ وَفَضْلُ اقْتِدَارِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ قَدْ بَدَأَ يَزِيدُ فِي «كِتَابِ الصَّلَةِ» لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكُوَالٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِتِمَامَ مَا بَدَأَ بِهِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ الْأُمَوِيُّ: كَانَ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ عَائِدٍ يُنْشِدُنَا فِي أَوَاخِرِ مَجَالِسِ السَّمَاعِ (تَدْرِيسِ الْحَدِيثِ):

مَجَالِسُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ حَدَائِقُ تَنْزَّهَ^(٣) فِيهَا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ.

ثُمَّ قَالَ (طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ): وَسَأَلَنِي صَاحِبُنَا وَشَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قَاسِمٍ الْخَرِيرِيُّ تَذْيِيلَ هَذَا الْبَيْتِ فَقُلْتُ:

(١) الملحة: ما يستحسن من الأحاديث. الراوي: راوي الحديث. العيبة: وعاء من خوص (جريد النخل).

الحاوي: الذي يرقى الأفاعي ويقبض عليها ويلعبها. والحاوي (الشيء) يشتمل على أشياء كثيرة.

(٢) النغبة: الجرعة (بالضم) أو ملء الفم من الماء. الوارد: الآتي إلى الماء ليستقي (يشرب أو يملأ وعاء).
الوافد: الآتي من مكان بعيد.

(٣) تنزه = تنزهه: تسير في البساتين طالبة التفرج عن النفس (وهذا المعنى المقصود هنا خطأ شائع). والتنزه، في القاموس، الترفع عن الأمور التي لا تليق.

(مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائقُ
تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الشريعةِ وسَطَها
وأطلعتِ الأفنانُ زَهْرَ فنونهِ
وأثمرتِ الأزهارُ زُهْرَ فوائِدِ
كَسَتْ شَمْسُ دِينِ الْمُصْطَفَى كُلَّ ما بها
نَرَى طالبي الآثارِ في رَغْدِ عَيْشِهِمْ
فَلِلْفِكْرِ قُطْفٌ ثُمَّ لِلنَفْسِ نَعْشَةٌ،
تَنْزَهُ فِيهَا أُعْيُنٌ وَقُلُوبٌ).
فَأَيْنَعَ غُصْنُ الْعِلْمِ فَهوَ رَطِيبٌ^(١)؛
فَرِيحُ الصَّبَا مِنْ نَشْرِهِنَّ تَطْيِيبٌ^(٢)؛
يَلْدُ جَنَى مَعْنَى لَهْنٌ غَرِيبٌ^(٣).
فَلِلنُّورِ فِي الْأَوْرَاقِ رُوقٌ عَجِيبٌ^(٤).
جَنَابٌ رَحِيبٌ وَالْمَحَلُّ خَصِيبٌ^(٥)؛
وَلِلْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْجَمِيعِ نَصِيبٌ^(٦).

- ومن نظم أبي محمد طلحة بن حزم:

من كان في كَسْبٍ لَهُ مُسْتَهْلًا؛
من لا يَرِيكَ أَمْرُهُ فِي دِرْهَمٍ
حُكْمٌ لَهُ فِي حُكْمِهِ عَدْلٌ فَمَا
فَكَأَنَّ مَا حَكَمُوا بِهِ مِنْ حُكْمِهِ
ذاك الذي لا ريب في تَنْقِيسِهِ^(٧).
فهو الذي لا شَوْبَ فِي تَخْلِيسِهِ^(٨).
يرتابُ فِي الْإِنْصَافِ فِي تَخْصِيسِهِ^(٩).
عَنْهُ اسْتِفَادَوْهُ وَمِنْ تَمْحِيسِهِ^(١٠).

٤ - ★★ الذيل والتكملة ٤: ١٦١ - ١٧٠ (رقم ٣٠٣)؛ بغية الوعاة ٢٧٣.

- (١) أهنج الثمر: نضج (واستعماله للغصن خطأ).
- (٢) الفنن (بفتح ففتح): الفنن. الفنون (هنا) الأنواع. الصبا: ريح الشرق. النشر: الرائحة الطيبة.
- (٣) زهر، لعلها «زهر» (بالضم): نجوم (فوائد بارعة مشهورة). جنى يجني: قطف الأثمار. جنى معنى: معان مختارة.
- (٤) دين المصطفى (محمد رسول الله): الإسلام. النور (بالفتح): الزهر الأبيض. روق (حسن منظر؟) لا يستقيم بها الوزن هنا.
- (٥) الآثار (هنا) الأحاديث (أحاديث رسول الله). رغد العيش: سعة ونعمته. والجملة: «جناب رحيب والمحَلُّ خصيب» في محلِّ نصب حال (٤).
- (٦) للفكر قطف (طالبو الآثار، أي دارسو الحديث، يقطفون من رواية الأحاديث أثماراً شهية مفيدة). النعشة (هنا): اغتناء الإنسان بعد فقر أو إنهاضه بعد عثرة، سرور.
- (٧) - من كان متساهلاً في إنفاق ما يكسبه، فذلك الذي يكسب ماله من وجه غير شرعي (سهولة).
- (٨) - والذي لا تشكُّ في أمره عند إنفاق ماله، فذلك لا شوب (لا خلط، لا سوء) في إخلاصه في جمع ماله.
- (٩) الحكم (هنا) الله. لا يرتاب في تخصيصه (في إعطاء بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر).
- (١٠) فإذا وافق حكم الناس على فلان من الناس ما حكم به الله عليه، فأنهم يكونون قد استفادوا هذا الحكم الصحيح من نعمة الله عليهم، ومن التمهيص: البحث الدقيق في الأمور (؟؟؟).

عنان بن جابر

١ - هو عنان بن جابر بن جامع زعيم قبيلة بني مرداس بن سليم - وكان بنو مرداس هؤلاء قد جاءوا مع القبائل التي سرحها الفاطميون من صعيد مصر إلى إفريقية (القطر التونسي) انتقاماً من الذين كانوا قد تخلّوا عن الدعوة الفاطمية (راجع الجزء الرابع). وقد كان ملوك بني حفص يُقربون رجالات من بني مرداس ويُقدِّقون عليهم العطايا لِيستعينوا بهم عند الحاجة إليهم في مقاومة خصوم الحفصيين.

وفي أيام أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) حدث خلاف بين بني مرداس ويحيى الحفصي، فألقى يحيى الحفصي شيئاً من العداوة بين قبيلة بني مرداس وقبيلة بني علاق. فاستاء عنان بن جابر (شيخ بني مرداس) وآرثحل مع قومه إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وكانت وفاة عنان بن جابر نحو سنة ٦٤٥ للهجرة (١٢٤٧ م).

٢ - عنان بن جابر شيخ بدويّ مُستقيم السيرة أبي النفس شجاع. وشعره بدويّ الخصائص وعليه نفحة جاهلية، وفيه حاسة (وصف للقتال) وفخرٌ بالنفس. وشعره متين السبك ولكن يتخلله صيغ غريبة: سالي (سال)، تخاير، ضائر^(١).

٣ - مختارات من شعره

- قال عنان بن جابر يفتخر ويذكر سبب انتقاله من إفريقية (تونس) إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري):

ولما رأيتُ الودَّ قد بانَ وأنقضى دَعَوْتُ، ونارُ الشوق تغزو ضائري^(٢):

(١) سالي (بضمين على الياء) مكان سال (منقوص): الذي يسلو (ينسى)، التخاذل (التنافس في الخير)، وهو يقصد بها الاختيار، الضائر (جمع ضرة: ثاني زوجتي الرجل أو جمع ضرورة: ما يضطر الإنسان إلى فعله، الحاجة)، وهو يستعملها بمعنى الضرر.

(٢) بان: ابتعد.

ألا أيها الغادي على متن ضامر
عليه غلام لا يمل من السرى
تحمّل إلى ترشيش عني تحية
بلاد بها نيطت عليّ تلامي،
وبلغ لندب أريج سمنع
بعثت، أبا عبد الإله، بدائعا
تذكرني الود الذي كان بيننا
ليال وأيام نعننا بوصلها
وكنا إذا ما الجيش صفت جنوده
فلما بدا لي بعض ما كنت أتقي
وعادت عليّ الأرض حلقة خاتم
رأيت رجالا من رياح ومالك
سليم القرى عبّل الذراعين فاطر^(١)
علم خير بالصوى والمخاطر^(٢)،
كما سلم الأحباب عند التزاور^(٣).
وفيها نما عقلي ولبي وخاطري^(٤).
سلاما يؤدي عن عنان بن جابر^(٥)
محبّة منظومة كالجواهر^(٦)،
وترغم أني سالي غير ذاكر^(٧).
على كرم منّا وحفظ سرائر^(٨).
ترانا على خيل عتاق ضوامر^(٩).
وحانت أمور ضيقات المصادر^(١٠)،
بلا ذلة مني سوى طوع أمر،
وعوف ودباب وزغب وماجر^(١١)

- (١) الغادي: الذهاب باكراً. متن (ظهر) ضامر: حصان نحيل البطن (قادر على الجري السريع طويلاً). القرى: الظهر. عبّل: سمين. فاطر: الذي فطر (شق)، أي شقّ سنّه لحم اللثة وبرزت (في السنة الثانية من عمره؟): أصبح قوياً.
- (٢) السرى: السفر في الليل. الصوة (بضم الصاد وتشديد الواو): علامة توضع على جانب الطريق لمعرفة الاتجاه أو لقياس المسافات. المخاطر (يقصد الأماكن التي فيها خوف).
- (٣) ترشيش: تونس. التزاور (تبادل الزيارات أو زيارة بعض الناس بعضاً).
- (٤) ناط: علق. التمنية: حرز (بالكسر): قطعة ورق تطوى طياً يجعلها مثلثاً متساوي الساقين وتعلق على الصبي الصغير لدفع أذى العين والحسد (يقصد أنه ولد في تونس).
- (٥) الندب: الظريف والنحيب (الذكى، الفاضل) الأريج: الشيط، الحليم (الواسع الخلق)، الكريم. السمنع: السيد، الكريم، الشجاع.
- (٦) بدائع محبّة (مزينة): أي قصيدة ذات معان جميلة.
- (٧) سالي: (أو سالي) يقصد «سال» (بكسرتين على اللام): الذي ينسى.
- (٨) سرائر جمع سريرة: ما يكتمه الإنسان أو يسره (يضمّره) في نفسه.
- (٩) الحصان العتيق: الكريم (المعروف النسب)، القادر على الركض. الضامر (النحيل البطن)، السريع.
- (١٠) اتقي: أخشى، أخاف (من العداوة). حان: اقرب. أمر ضيق المصدر (لا خيار فيه؟) سيء العاقبة.
- (١١) رياح ومالك وعوف أساء قبائل، ثم دباب وزغب (بالضم) أسان. ويبدو أن ماجر أيضاً اسم بطن من قوم الشاعر.

لَهُمْ مَرْقَبٌ دُونِي وَقَدْ كُنْتُ فَوْقَهُمْ بَسِيفِي وَرُمَحِي وَالْوَعْيُ وَعِشَائِرِي ^(١) ،
 تَبَيَّنْتُ حَالًا لَا أَطِيقُ أَحْتَالَهَا فَحُدْتُ بِنَفْسِي عَنْ عَدُوٍّ وَجَائِرٍ .
 وَسَلَّمْتُ أَرْضَ الشَّرْقِ لَا عَنْ مَذَلَّةٍ ، وَيَمَّمْتُ أَرْضَ الْغَرْبِ لَا عَنْ تَحَايِرٍ ^(٢) ،
 إِلَى بَلَدٍ لَا يَعْرِفُ الذَّلَّ أَهْلُهُ كِرَامَ الْعَشَايَا مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ ^(٣) .

٤-★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٢-٢٠٥؛ عنوان الأريب ٢٠٢-٢٠٥ .

ابن سفر المريّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ (بن عبد الله) بن سَفَرِ الْمَرْيِّ ^(١) - منسوباً إلى جَدِّه - أَصْلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْيَةِ وَلَكِنَّهُ عَاشَ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ . لَا نَعْلَمُ زَمَنَهُ بِالْتَّحْدِيدِ ، وَلَكِنْ يُنْتَظَرُ أَنْ يَكُونَ - أَسْتِنَاداً إِلَى وَرُودِ تَرْجُمَتِهِ فِي «تُحْفَةِ الْقَادِمِ» لِابْنِ الْأَبَارِ الْمُتَوَفَّى فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٦٥٨ - مِنْ أَحْيَاءِ النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ (الثَّالِثَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) .

٢- ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِّ أَدِيبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ رَقِيقٌ مَحْسَنٌ كَانَ شَاعِرَ الْمَرْيَةِ فِي عَصْرِهِ ، أَحْسَنُ شِعْرِهِ الْوَصْفُ ، وَوَصَفَهُ مِنْ أُبْدَعِ الْأَوْصَافِ فِي جَمَالِ الْأَنْدَلُسِ .

٣- مختارات من شعره

- قَالَ ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِّ فِي وَصْفِ الْأَنْدَلُسِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ١ : ٢٠٩ - ٢١٠) :

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تُلْتَدُ نَعْمَاءٌ وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءٌ ^(٥) .

- (١) - كَانَ لَهُمْ مَكَانَةٌ دُونِي . (تَحْيٍ) ...
- (٢) يَمُّ : قَصْدٌ . تَحَايِرٌ (يَقْصِدُ اخْتِيَارًا) .
- (٣) كَرِيمُ الْمَشْيَةِ : يَحَافِظُ عَلَى عِفَافِهِ (٤) . هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ : جَدُّ قَبِيلَةٍ .
- (٤) فِي الْمَغْرِبِ : أَبُو الْحُسَيْنِ . وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١ : ٢٠٩) الْمَرْيِّ (وَهُوَ تَصْغِيفٌ) . وَفِي الْوَاقِفِ بِالْمَوْفِيَّاتِ : الْمَرْيِّ . وَيَدْعَى أحياناً : ابْنَ صَفَرٍ (بِالضَّادِ) .
- (٥) النَّعْمَاءُ : الْخَفْضُ وَالِدَعَةُ (الْعَيْشُ فِي أَمْنٍ وَاطْمَئِنَّانٍ) . السَّرَاءُ : النِّعْمَةُ وَالرَّخَاءُ (سَعَةُ الْعَيْشِ) وَالْمُسْرَةُ .

وليس في غيرها بالعيش مُنتَفِعٌ،
وَأَيْنَ يُعَدَّلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها
وكيفَ لا يُنْهَجُ الأبصارَ رؤيتها
أنهارها فِضَّةً، والمِسْكُ تُرْبَتُها،
وللهواء بها لُطْفٌ يَرِقُّ به
ليسَ النسيمَ الذي يهفو بها سَحَرًا،
وإنَّما أَرَجَ النَّدَّ استِثَارَ بها
وَأَيْنَ يَبْلُغُ منها ما أُصْنِفُه،
قَدُمِيزَتْ من جِهاتِ الأرض حين بدتْ
دارتْ عليها نِطاقًا أبحرُ خَفَقَتْ
لذلك يَنسِمُ فيها الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ؛
فِيها خَلَعْتُ عِذارِي ما به عِوَضٌ؛
فَهيَ الرِّياضُ وكُلُّ الأرضِ صَحراءُ! (١)

- (١) الصَّهْبَاءُ: الحُمْرُ. - حَتَّى الحُمْرِ (إذا شربت في غير الأندلس) لا تحدث للإنسان أنسا (اشرحاً).
والأنس في الأصل: حديث النساء.
(٢) وأين يعدل عنها: إلى أين ينتقل الإنسان.
(٣) الوشي: التزيين. صنعاء: عاصمة اليمن (مشهورة بالنسيج الجيد الجميل).
(٤) الحَزْزُ: الحرير. الدرّ: اللؤلؤ. الحصباء: الحصى، صفار الحجارة.
(٥) يرقّ به من لا يرقّ: إنّ الجافي الطبع يصيح (بعد تشقّ هوائها) رقيقاً لطيفاً. الأهواء جمع هوى: ميل النفس إلى العشق وما يتبعه.
(٦ و ٧) هفت الريح: هبّت وحركت الأغصان. السحر: آخر الليل قبيل الفجر. في نفع الطيب (١: ٢١٠)
«النسيم» (بالرفع: بضمة على آخره) وهذا لا يستقيم في الإعراب («فالذي» لا تعرب في المشهور خبراً) مع الاسم الظاهر في التواسخ. وكذلك المعنى بذلك لا يستقيم. المقصود: ليس الذي يهبّ في الأندلس (في آخر الليل) نسيماً (من الهواء)، ولا قطرات الماء المنتثرة (المتفرقة) في الفصون من الطلّ (الندى) ماء متجمّعا، ولكن ذلك كلّ مزيج من الأرج (الرائحة الطيبة) ومن ماء الورد.
(٨) يحيط بالأندلس (كالنطاق: الزنار، من كلّ جانب) أبحر (بحار وأنهار). وجداً بها: عشقاً لها. تبدّت وهي (أي الأندلس).
(٩) خلعت عِذارِي: انغمست في اللهو. والأصح: قضيت كلّ شبّاي (في التمتع باللهو أيضاً). ولا أجد عوضاً (بدلاً) من شبّاي.

- وقال في النسيب:

وواعدُتْها والشمسُ تَجْنَحُ للُدْجِي، بزورَتها شمساً وبدراً للُدْجِي يَسْرِي^(١).
فجاءتْ كما يمشي سناً الصُّبْحُ في الدُّجَى،
وطوراً كما مرَّ النسيمُ على النهرِ^(٢)؛
فَعَطَرَتِ الآفاقَ حَوَلي فَأَشْعَرَتْ بَمَقْدَمِها، والعَرَفُ يُشْعِرُ بالزَّهْرِ^(٣).
فَتَابَعْتُ بالتَقْبِيلِ آثارَ سَعِيها كما يَتَقَصَّى قَارِيءُ أَحْرَفِ السُّطْرِ^(٤).
فَبِثُّ بها، والليلُ قد نامَ، والهوى تَنَبَّهَ بينَ الغُصْنِ والحَقْفِ والبَذْرِ^(٥).
أَعَانَقُها طوراً وأَلْثِمُ تارَةً إلى أن دَعَتْنَا للَنَوَى رَايةُ الفَجْرِ،
فَفَضَّتْ عُقوداً للتَعانُقِ بَيْنَنا. فياليلةِ القَدْرِ، اترُكي ساعةَ النَّفْرِ^(٦)!

٤- ** الوافي بالوفيات ٣: ١١٤، المغرب ٢: ٢١٢-٢١٣، نفح الطيب ١: ١٥٧،
٢٠٩-٢١٠، ٢٢٧، ٣: ١٩٨-١٩٩، ٢١٢، بالشيا ١٢٩-١٣٠.

أبو عليّ الشلوّين

١- هو أبو عليّ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ المعروف
بالشَّلَوَيْنِ وبالشَّلَوَيْنِي^(٧)، وُلِدَ في إِسْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٥٦٢ هـ لِلْهِجْرَةِ (١١٦٦-١١٦٧ م).

- (١) الشمس (الحقيقية) تَجْنَحُ (تميل) للُدْجِي (الليل، للغروب). شمساً (فتاة جميلة) تزورني في الليل مع أنّ
البدر ظاهر في سماء الليل.
- (٢) كما يمشي سناً (ضوء).... على مهل.
- (٣) العَرَفُ: الرائحة الطيبة.
- (٤) سعيها (إلي): مجيئها، سيرها. كما يَتَقَصَّى..... خطوة خطوة.
- (٥) بَثُّ بها (معها). نام الليل: غَفَلَ (طال). الغُصْنُ (قوامها) والحَقْفُ: ما اعوجَّ من الرمل (وسط جسمها)
والبدر: وجهها (أعانقها.... وأقبلها).
- (٦) فَفَضَّتْ.....: أنهت لقاءنا. ليلة القَدْرِ (الليلة السابعة والعشرون من رَمَضان - وهي مباركة وخير من
ألف شهر). ساعة النفر: الوقت الذي ينحدر فيه الحجاج من عرفات (وهو المنسك الأساسي في
الحج). - يا ليلتنا السعيدة لا تنتهي! (هنا) ليلة القدر (كناية عن الليلة التي قضاها مع محبوبته)، وليلة
النفر (كناية عن الصباح الذي اضطرَّ فيه إلى مغادرة مكان محبوبته).
- (٧) هنالك نحوِّي يعرف بالشلوّين الصغير (نحو ٦٢٠ - ٦٦٠ هـ) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن =

أخذ أبو عليّ الشلوبين عن جماعة وفيرة العدد من العلماء (راجع أسماؤهم في «الذيل والتكملة» ٥: ٤٦١ - ٤٦٢). ثمّ تصدّر للإقراء نحو سنة ٥٨٠ هـ واستمرّ في ذلك ستين عاماً. في هذه الأثناء كان مُنقطعاً إلى آل زُهر. ثمّ إنّه زار مرّاكش في أيام المنصور الموحديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاته (نفخ الطيب ٤: ٤٧٢) في إشبيلية في منتصف صفر من سنة ٦٤٥ (١٢٤٧/٦/٢١ م).

٢- قال أبو جعفر أحمد بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م) في «صلة الصلة» (٧٠ - ٧١): «وكان الأستاذ أبو عليّ (الشلوبين) رحمه الله إماماً في العربية غير مدافع، وهو آخر أئمة ذلك الشأن بالشرق والمغرب.... أقرأ نحواً من ستين سنة وعلا صيته واشتهر ذكره. وكان ذا معرفة بنقد الشعر وغيره بارعاً في التعليم ناصحاً (وبه أبقى الله ما بأيدي أهل المغرب من علم العربية. وقلّ متأدّب بالأندلس من أهل وقتنا لم يقرأ عليه أو نحويّ لا يستند - ولو بواسطة - إليه).

ومن «نفخ الطيب»: كان أبو عليّ الشلوبين من أعلام إشبيلية (٢: ٢٧١) سار في المشرق والمغرب ذكره (٣: ١٩٢) وهو إمام النحاة (٣: ٤٩٠). ولقد كان له نظم على منهج نظم العلماء مملوء بالإشارات اللغوية والنحوية، متخلف (رديء). وكانت له مصنّفات منها: كتاب القوانين (في علم العربية: النحو) - كتاب

= إبراهيم الأنصاري المالقي، أخذ العربية (النحو) والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن عصفور مدة إقامة ابن عصفور في مالقة. وأقرأ الشلوبين الصغير القرآن والعربية في بلده (مالقة) مجاناً، يقرئ الذين يجيئون التزوّد بالعلم للعلم غير قاصدين التكبّب بما يتعلّمون. وكان يعيش من أملاك له. له شيء من التصنيف: شرح أبيات سيبويه شرحاً مفيداً وكملّ شرح شيخه ابن عصفور على الجزولية (بنية الوعاة ٧٩ - ٨٠). والشلوبيني، في الغالب، نسبة إلى الشلوبينية (سالوبرينيا - وهي بلدة صغيرة في منتصف الساحل الجنوبي على البحر الأبيض. وهي تقع جنوب غرناطة تماماً، ولكن على شاطئ البحر). وهي قرية من قرى إشبيلية (إنباه الرواة ٢: ٣٣٢). وفي القاموس (٤: ٢٤٠): شلوبين أو شلوبينة (بفتح ففتح فيهما) بلد بالمغرب منه أبو عليّ الشلوبيني النحوي. وفي نفخ الطيب أيضاً (٣: ٤٩١) «.... وهو منسوب إلى حصن شلوبينة» (في نسخة: شلوبينية). ولكن نقرأ من المؤلفين في الموضوع يذكرون أن الشلوبين هو الأبيض أو الأشقر. وابن خلكان يقول (٣: ٤٥٢): «... هذه النسبة إلى الشلوبين، وهو بلفة الأندلس (نصارى الأندلس): الأبيض أو الأشقر. هكذا ذكروا. والله أعلم». ثمّ راجع الحاشية الثالثة، تعليقاً على قول ابن خلكان.

التوطئة على الجزولية، وهو مشهور (نفع الطيب ٣ : ١٨٤). والجزولية أرجوزة في النحو لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت ٦٠٧ هـ). وهذه « التوطئة » مختصر لكتاب القوانين. - شرح المقدمة الجزولية (شرحها شرحين: شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً) - تعليق على كتاب سيبويه.

٣ - مختارات من شعره

- وصل إلينا من أبي عليّ الشلوبيّ أبياتٌ من الشعر (المغرب ٢ : ١٣٠، نفع الطيب ٣ : ٤٩١) يتفرّز فيها بـفـلامٍ أسمه قاسمٌ كان يَهْواه، وهي:

ومّا شجا قلبي وفَضّ مدامعي هوى قدّ قلبي إذ كَلَفْتُ بقاسم^(١).
تَشَقَّتْهُ جُهْدِي، فكان - لَشَقَوَتِي وطول عَنائي - قاسياً غيرَ راحمٍ*.
وكنتُ أَظُنُّ الميمَ أصلاً، فلم تَكُنْ. وكانت كَيمِرُ الحِقَّتْ بالزَلاقمِ^(٢).
- ولأبي عليّ الشلوبيّ أيضاً (القدح المملّى ١٥٣):

لو لم تَكُنْ لِي أعراقٌ لها كَرَمٌ، ولم يَكُنْ في رجال الأزد لي سَلَفٌ^(٣)،
لكان في سَيِّبَوِيهِ الفخرُ لي، وكفى بذاك فخراً. فكيف العُلمُ والشرف^(٤)
فالحمد لله حمداً لا أنصرامَ له. فكلُّ ذي حَسَدٍ في مِثْلِ ذا يَقِفُ^(٥)

(١) شجا: حزن، أحزن. فضّ مدامعي: نثر دموعي (جعلها تتساقط بكثرة). قدّ: قطع. كلفت بالشئ: أحببته وتعلّقت نفسي به.

(*) العناء (بالفتح): التعب.

(٢) الميم أصلاً (كنت أحب أن اسمه، حقيقةً، قاسم: يقسم بين نفسه ومحبه قسمة حق). ولكن الميم في اسمه زائدة (فهو قاس). الزلاقم: الحيات الزرق (من المغرب ونفع الطيب).

(٣) أعراق جمع عرق (بالكسر): أصل (من النسب). الأزد (قبائل من عرب الجنوب).

(٤) سيبويه: عمرو بن عثمان الحارثي (ت ١٨٠ هـ) من أهل البصرة، فارسي الأصل، كان إمام النحاة. فكيف العُلم والشرف: فكيف إذا أُضيف إلى أصلي الكريم وإلى نسبي في قبائل الأزد ما بلغت إليه أنا من العُلم ومن الشرف (المكانة الاجتماعية)؟

(٥) أنصرام: انقطاع، انتهاء. فكلُّ ذي حَسَدٍ في مِثْلِ ذا يَقِفُ: لا أحد يحسدي في هذه الأمور لأنّه يعلم أنّه لا يستطيع أن يبلغ فيها إلى مثل ما بلغت أنا فيها.

٤- ** التكملة ٦٥٨ (رقم ١٨٢٩)، الذيل والتكملة ٥: ٤٦٠-٤٦٤، صلة الصلة ٧٠-٧١ (رقم ١٢٨)، المغرب ٢: ١٢٩-١٣٠، القدر المعلي ١٥٢-١٥٤، وفيات الأعيان ٣: ٤٥١-٤٥٢، الديباج المذهب ١٨٥-١٨٦، ابن قنفذ ٣١٧، بغية الوعاة ٣٦٤، نفح الطيب (راجع المتن)، شذرات الذهب ٥: ٢٣٢-٢٣٣، الأعلام للزركلي ٥: ٢٢٤ (٦٢).

عبد الواحد المراكشي

هو مخني الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، ولد في السابع من ربيع الثاني من سنة ٥٨١ (١١٨٥/٧/١٠ م) في مدينة مراكش في أسرة كانت، فيها يبدو، غنية وجبهة متصلة بالبيت المالك اتصالاً وثيقاً لا ينفك أن يكون من جهة القرابة.

لقي عبد الواحد المراكشي الطبيب الشاعر أبا بكر بن زهر، قيل في مراكش وقيل في فاس، ولا نعلم ما مبلغ العلم الذي أخذه عنه إذ كان مولد عبد الواحد سنة ٥٨١ وكانت وفاة ابن زهر في سنة ٥٩٥.

وتنقل عبد الواحد المراكشي كثيراً في المغرب وفي الأندلس وبينهما، وكان وثيق الاتصال بالأمير أبي اسحق بن أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي - وكان حاكماً لإشبيلية في أيام أخيه محمد الناصر (٥٩٥-٦١١ هـ) - . وفي آخر يوم من سنة ٦١٣ هـ (١٢١٧/٤/٩ م) غادر عبد الواحد الأندلس إلى مصر ثم حج (آخر سنة ٦٢٠ هـ = مطلع ١٢٢٤ م) وعاد بعد ذلك إلى مصر. ولعله زار في أثناء تلك المدة الشام والعراق.

ويبدو أن عبد الواحد المراكشي لم يرجع إلى المغرب. ومع أننا لم نسمع من أخباره شيئاً بعد تأليف كتابه «المعجب»، سنة ٦٢١ للهجرة، فإن وفاته كانت سنة ٦٤٥ (١٢٤٧ م) أو بعد ذلك بعام أو عامين.

٢- شهر عبد الواحد المراكشي بكتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ألفه

في المشرق بطلب من وزير عباسي كان قد «أصفاه وُدّه وأغدق عليه إحسانه» وفرغ من إملائه في رمضان من سنة ٦٢١ (أيلول - سبتمبر ١٢٢٤ م). ولعل ذلك الوزير كان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الذي تولّى الوزارة للعباسيين في بغداد من أواخر سنة ٥٩٥ إلى سنة ٦٢٣ هـ (١١٩٨ - ١٢٢٦ م). ثم إننا لم نسمع شيئاً عن عبد الواحد المراكشي بعد الفراغ من إملاء كتابه المعجب. و«المعجب» كتاب طريف فيه تاريخ وفيه جغرافية وفيه أدب واجتماع، وخصوصاً من تلك المدة التي شهدتها المؤلف من عهد الدولة الموحدية فأثبت عدداً من الحوادث التي شهدتها بنفسه أو رواها عن شهدائها.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب «المعجب»:

.... وبعد، أيها السيد الذي توالى عليّ نعمة وأخذ بضيعي من حضيضي الفقر والحمول اعتناؤه وكرمه.... فإنك سألتني - بؤاك الله أعلى الرتب، كما عمرك بك أنديّة الأدب... - إملأه أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره وعلى شيء من سير ملوكه، وخصوصاً ملوك المصامدة من بني عبد المؤمن، من لدن ابتداء دولتهم إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ - وأن ينضاف إلى ذلك نبذة من ذكر من لقيته أو لقيت من لقيته أو رويت عنه بوجه ما من وجوه الرواية من الشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل.

- شيء من سيرته (المعجب ٢٦٢ - ٢٦٣):

.... فمراكش آخر المدن في المغرب^(١)..... وبهذه المدينة، أعني مراكش، مسقط رأسي. وهي أول أرض مس جلدي ترابها^(٢). وكان مولدي بها لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ٥٨١، في أول أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

(١) في أبعد نقطة من المغرب إلى الجنوب.

(٢) «وَأول أرض مسّ جلدي ترابها» شطر من الشعر (راجع نفع الطيب ١: ١٧٣) من شعر بعض الأعراب (راجع حاشية ٦، نفع الطيب ١: ١٧٢). وهو بيت مشهور (وفيات الأعيان ٤: ٢٥٤).

أَبْنِ عَلِيٍّ^(١). ثُمَّ فَصَّلْتُ^(٢) مِنْهَا وَأَنَا أَبْنُ تِسْعَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ، فَلَمْ أَرْزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَجَوَّدْتُهُ وَرَوَيْتُهُ^(٣) عَنْ جَمَاعَةٍ كَانُوا هُنَاكَ مُبَرِّزِينَ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ وَالنُّحُو. ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَرَاكُشَ فَلَمْ أَرْزَلْ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ^(٤). ثُمَّ عَبَرْتُ إِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٦٠٣ فَأَذْرَكْتُ بِهَا جَمَاعَةً مِنَ الْفُضَلَاءِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ شَأْنٍ^(٥) فَلَمْ أُحْصَلْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا مَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِمْ وَمَوَالِدِهِمْ وَوَفَايَتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ، وَأَنْفَرَدُوا دُونِي بِكُلِّ فَضِيلَةٍ. وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعَ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(٦).

- إِشْبِيلِيَّةُ (المعجب ٢٧١):

.... وإِشْبِيلِيَّةُ هَذِهِ هِيَ حَاضِرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي وَقْتِنَا هَذَا^(٧). وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ حِمَصَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَنْزُولِ أَجْنَادٍ حِمَصَ إِيَّاهَا حِينَ أَفْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ^(٨). وَقَدْ زَادَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَى صِفَةِ كُلِّ وَاصِفٍ وَأَتَى فَوْقَ نَعْتِ كُلِّ نَاعِتٍ. وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيمٍ يَنْصَبُ مِنْ جِبَالِ شُقُورَةٍ، وَتَنْصَبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ، فَلَا يَصِلُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ إِلَّا وَهُوَ خِضَمٌّ^(٩) تَصْعَدُ فِيهِ السُّفُنُ الْكِبَارُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ^(١٠) سَبْعِينَ مِيلًا - وَذَلِكَ مَرَحَلَتَانِ^(١١) - . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ كَانَتْ

(١) هو النصور الموحدى (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٢) فصل الرجل من البلد: غادرها، سافر منها.

(٣) رويته (رويت قراءته وأحكام قراءته والناسخ والمنسوخ فيه، الخ).

(٤) متردداً بين هاتين المدينتين (هنا: انتقل بينهما).

(٥) كلُّ شَأْنٍ (كلُّ فرع من فروع المعرفة).

(٦) يختصُّ برحمته..... ﴿القرآن الكريم ٣: ٧٤، آل عمران، راجع ٢: ١٠٥، البقرة﴾.

(٧) الحاضرة: العاصمة. في وقتنا هذا (زمن المؤلف: عبد الواحد المراكشي): القرن السابع للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

(٨) إشبيلية سميت حصن لشبهها بمدينة حصن بالشام (سوريا). أمّا الأجناد (المحاربون الذين نزلوا فيها فهم الذين جاءوا في عصر الولاة مع بلج بن بشر (راجع ذلك في الجزء الرابع - اطلب بلج بن بشر في الفهرس).

(٩) الخضم: البحر الواسع.

(١٠) البحر الأعظم: المحيط الأطلسي (الاطلانطيكي).

(١١) المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في يوم (نحو ٣٠ كيلومتراً). والكاتب يجعل المرحلة خمسة وثلاثين ميلاً (رومانياً) أو اثنين وخمسين كيلومتراً.

قاعدة^(١) مُلْكِ بَنِي عَبَّادٍ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ صَيَّرَهَا الْمَصَامِدَةُ^(٢) مَنْزِلًا لَهُمْ أَيَّامَ كَوْنِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ، مِنْهَا يَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَفِيهَا يَسْتَقَرُّ مُلْكُهُمْ. وَبَنَوْا بِهَا قُصُورًا عَظِيمَةً وَأَجْرُوا فِيهَا الْمِيَاءَ وَغَرَسُوا الْبَسَاتِينَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي حُسْنِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ.

٤ - المعجب... (دوزي)، ليدن ١٨٤٧ م ثم ١٨٨١ م؛ (محمد هاشم الكتي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ؛ مصر (المطبعة الجاهلية) ١٣٣٢ هـ؛ (محمد الفاسي)، فاس ١٩٣٨؛ (صححه.... محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م.

★★ صلة الصلة ٧٠ - ٧١؛ التكملة (رقم ١٨٢٩)؛ الديباج المذهب ١٩٠؛ مقدّمة المعجب (في طبعة دوزي وفي طبعة العريان)؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٤؛ بروكلن ١: ٣٩٢ - ٣٩٣، الملحق ١: ٥٥٥؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٨ - ٨٢١؛ النبوغ المغربي ١٥٤ - ١٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٢٦ (١٧٦)؛ سركيس ١٧٢٤ - ١٧٢٥؛ بالنبيا ١١٨ - ١١٩، ٢٤٨ - ٢٥٠؛ الأدب المغربي ٣٩٠ - ٣٩٤.

أبو بكر بن البناء الإشبيلي

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي الإشبيلي المعروف بابن البناء، فقد كان أبوه بناءً في إشبيلية، ويبدو أنه قد تأثر بصنعة أبيه فنشأ على كثير من الجِدِّ والهِمَّةِ والمُثَابَرَةِ. كان مولده في إشبيلية سنة ٥٨١ للهجرة (١١٨٥ - ١١٨٦ م).

تلقَّى أبو بكر بن البناء العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن بن عطية (ت ٦٤٥ هـ) وأبو بكر بن طلحة (ت ٦١٨ هـ) وأبو الحسن بن جابر بن الدباج (ت ٦٤٥ هـ) وأبو عليّ ابن الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ).

وعَمِلَ أبو بكر بن البناء الإشبيلي كاتباً لنفَرٍ من الولاة على الأندلس ثم خَصَّ نفسه بولاية الموحدين على إشبيلية. وفي آخر مُدَّةِ المُسلمين في إشبيلية أَسْتَبَدَّ بِمُكْنِهَا

(١) قاعدة (عاصمة): مدينة مهمة.

(٢) مصوذة قبيلة بربرية ينتمي إليها سلاطين دولة الموحدين.

حيناً. ثم لما استولى عليها الإسبان (رَمَضانَ ٦٤٦) انتقل منها إلى سَبْتَةَ (في العُدوة المغربية)، وفيها تُوقَى وشيكاً في السادس من شَوَالٍ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٩/١/٢٢ م).

٢ - كان ابنُ البناءِ الإشبيليُّ أديباً كاتباً ومُترسلاً مُكثِراً وشاعراً. وقد ذَكَرَ المؤرِّخونَ لحياته أن تَرَسُّلَهُ كان عادياً وأن شِعْرَهُ كان قليلَ الرونق. ولكنه يبدو واسعَ الثقافة، فقد كان مُولِعاً بِاقتناء نفائسِ الكتب كما كان مُولِعاً أيضاً بنسخ الكُتُبِ النفيسةِ وبتقْييد الأقوالِ والنُكْتِ البارعة، حتَّى قيل إنَّه لما غادرَ إشبيليةَ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسِمِائَةَ كتابٍ بِحِطِّ يَدِهِ.

وكان ابنُ البناءِ الإشبيليُّ على شيءٍ من التناقض في طبعه: كان يظهرُ مُتَدَيِّناً بينما كان جريئاً على سَفَكِ دِمَاءِ خُصومه. وكان يبدو متواضعاً وهو يرى نفسه فوق الناسِ جميعاً. وكان رفيقاً في معاملةِ الوُلاة: كان يَخْدِمُهُمْ مدَّةً ثم إذا أرادَ الانفصالَ عنهم فَعَلَ ذلك بيسرٍ من غيرِ أن يَجِدَ أولئك الوُلاةَ طريقاً إلى لُومِهِ.

٣ - مختارات من شعره

- كان السَيِّدُ أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي حَفْصِ بنِ عبدِ المؤمنِ المُوَحِّدِيِّ واليًّا على بَلَنْسِيَّةَ (في شَرْقيِّ الأندلس) ثم أصبح واليًّا على إشبيلية (في غربيِّ الأندلس). فَمَاتَ في إشبيلية، فقال أبو بكر بنُ البناءِ يَرِثِيهِ (المغرب ١ : ١٤٩؛ راجع اختصار القُدَحِ المَعْلَى ١١٩):

كَأَنَّكَ مِنْ جِنْسِ الْكَوَاكِبِ كُنْتَ، لَمْ تَفَارِقْ طُلُوعاً حَالَهَا وَتَوَارِيَا^(١).
تَحَلَّيْتَ مِنْ شَرْقٍ يَرُوقُ تَلَالُؤًا، فَلَمَّا أَنْتَحَيْتَ الْغَرْبَ أَصْبَحْتَ هَاوِيَا^(٢).

-
- (١) كأنَّكَ مِنْ جِنْسِ الْكَوَاكِبِ (مثل الكواكب: مضيء، منير) لَمْ تَفَارِقْ حَالَهَا (الإضاءة، النور). التواري: الاختفاء، الغروب. أنت مثل الكوكب مضيء دائماً (سواء أكنت ظاهراً في السماء أم غائباً عن السماء) ولكن الناس لا يرونك.
- (٢) تَحَلَّيَ الرَّجُلُ: اتَّخَذَ أَوْ لَبَسَ حُلِيَةً أَوْ زِينَةً. يَرُوقُ (يحسن في النظر). انتحى: اتَّجَهَ إِلَى نَاحِيَةٍ. هَاوِيَا: الساقط وراء الأفق الغربي (ليغيب كالشمس).

- كان « الباجي » رجلاً ثائراً استبدَّ بإشبيلية حيناً وانتزعها من ابن هودٍ (في أوائلِ عَشْرِ الثلاثين من القرنِ الهجريِّ الرابع). وقد مدَّحه أبو بكر بنُ البناء ومدَحَ معه نفرًا من أهلِهِ وأنصارِهِ فقال فيهم جميعاً - والأبيات التالية من الشُّعر الجيِّد (اختصار القدح المعلّى ١١٩):

أَنْتُمْ وُلَاةُ الْأَمْرِ رُغْمَا عَلَى أَنْفِ أَعْدَاءِ وَحُسَادٍ (١).
 فِي ضَيْضِيءِ الْمَجْدِ أَشْتَرَكْتُمْ وَفِي بُخْبُوحَةِ الرَّأْيِ لَدَى النَّادِي (٢).
 ثَلَاثَةٌ مِثْلُ الْأَثَانِي عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَعْدُو عَلَى الْعَادِي (٣).
 هَزُّوا بِمَا أُعْطِيتُمْ قُبَّةَ الْقَصْرِ وَهَزُّوا قُبَّةَ الْوَادِي (٤).

- في الذيل والتكملة (٥: ٦٨١) أن بعضَ خواصِّ ابنِ البناءِ جَمَعَ له جانباً من رسائله في أربعةِ مُجلَّداتٍ ضخمةٍ. قيل: فلَمَّا أَطْلَعَ ابْنُ الْبَنَاءِ عَلَيْهَا كَتَبَ بِحَظِّهِ عَلَى أُولَها يَتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ مِنْ نَظْمِهِ هـا:

إِنِّي تَأَمَّلْتُ فَلَمْ أَسْتَجِدْ أَكْثَرَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَرْضَهُ (٥).
 وَرُمْتُ بِالْإِحْسَانِ قَوْزاً فَلَا سَهْمَهُ نَلْتُ وَلَا أَرْضَهُ (٦).
 وَهَذَانِ أَيْضاً يَتَانِ جَيِّدَانِ مِنْ لُزُومِ مَا لَا يِلْزَمُ (بِأَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ).

٤- ** الذيل والتكملة ٥: ٦٨١-٦٨٢ (رقم ١٢٨٣)؛ اختصار القدح المعلّى ١١٨-١١٩؛ المغرب ١: ٢٤٩.

- (١) أناف = أنوف (جمع أنف).
- (٢) الضَّيْضِيُّ: الأصل. البخبوخة: وسط الدار (المكان الواسع). النادي: مجلس كبار القوم ذوي المكانة والنفوذ.
- (٣) الأنثية (بالضم) إحدى حجارة ثلاث ينصب عليها القدر فوق النار. إنَّ الشكل ذا الزوايا الثلاث يكون أثبت من كلِّ شكل آخر ذي أربع زوايا أو خمس أو ست، الخ. العادي: المعتدي، المهاجم، العدو. أنتم على رأي واحد لا يتزعزع.
- (٤) بما أعطيتُم (من القوة ومن حسن الرأي) قُبَّةُ الْقَصْرِ قبة الوادي - أنتم بقوتكم تحيفون قصر الموحدين في مراكش وقصر الوادي (النهر الكبير الذي عليه مدينة اشبيلية مقرّ الوالي على الأندلس من طرف الموحدين).
- (٥) استجاد الشيء: وجده جيِّداً. أرضه (من الرضا).
- (٦) رام يروم: قصد. فلا سهمه نلت ولا أرضه (لم أتل منه شيئاً لا كبيراً ولا صغيراً).

أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ جابر بن عليِّ بن عليِّ بن يحيى اللَّخميُّ الإشبيليُّ المعروفُ بابن الدبّاج أو ابن الدبيج (بغية الوعاة ٣٣١)، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ هـ (١١٧٠ - ١١٧١ م).

أَخَذَ ابْنُ الدَّبَّاجِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ طَلْحَةَ وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ خَرُوفٍ وَأَبِي ذَرٍّ الْحُسَيْنِيِّ وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ تَصَدَّرَ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ بِالْقُرَآءَاتِ السَّعِّ وَلِتَدْرِيسِ النُّحُو (مِنْ كِتَابِ سِبْوَيه) وَالْأَدَبِ (فِي الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ وَنَوَادِرِ الْقَالِي وَغَيْرِهَا) نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ٢١ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١٢/٩ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّبَّاجُ رَجُلًا عَالِمًا صَالِحًا زَاهِدًا مِنْ أَعْلَامِ الْقُرَآءِ وَالنُّحَوِيِّينَ وَالْأَدْبَاءِ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ شَدِيدَ الذِّكَااءِ ظَرِيفَ الدُّعَابَةِ. وَلَهُ مَقْطَعَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ الرِّصِينِ الصَّحِيحِ وَمَوْشَحَاتٌ (الْقَدَحُ الْمَعْلَى ١٥٦).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّبَّاجُ الْإِشْبِيلِيُّ فِي الْفَزْلِ:

لَمَّا تَبَدَّتْ وَشَمْسُ الْأَفْقِ بَادِيَةً أَبْصَرْتُ شَمْسَيْنِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بَعْدٍ.
مِنْ عَادَةِ الشَّمْسِ تُعْشِي عَيْنَ نَاطِرِهَا، وَهَذِهِ نَوْرُهَا يَشْفِي مِنَ الرَّمَدِ^(١).

- وَقَالَ يَصِفَ مُجَبَّنَاتٍ (قَطَائِفَ مَخْشُوءَةٍ بِالْجُبْنِ وَمَقْلُوءَةٍ بِالسَّمَنِ، تُغْمَسُ فِي الْقَطْرِ)^(٢):

أَخْلَى مَوَاقِعَهَا إِذَا قَرَّبَتْهَا وَبُخَارَهَا فَوْقَ الْمَوَائِدِ سَامِي.
إِنْ أَحْرَقْتَ لَمَسًا فَإِنَّ أَوَارَهَا فِي دَاخِلِ الْأَحْشَاءِ بَرْدُ سَلَامٍ^(٣)!
- وَقَالَ فِي ظَاهِرِ الْأُمُورِ وَبَاطِنِهَا:

- (١) تُعْشِي: تُضَعِفُ الْبَصَرَ (وْخُصُوصًا فِي اللَّيْلِ).
(٢) الْقَطْرُ: سَكَّرَ مَحْلُولٌ بِقَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ يَغْلَى عَلَى النَّارِ حَتَّى يَكْتَسِبَ كِفَافَةً مَعْيَةً. وَيُضَافُ إِلَيْهِ قَلِيلٌ مِنَ الْحَمِضِ (الْمَادَّةُ الْحَامِضَةُ كِيلاً يَتَبَلُّورُ).
(٣) الْأَوَارُ: حَرَّ الشَّمْسِ وَالنَّارِ.

ما جاء عَفْوَاً فَخُذْهُ وما أبى فَتَجَنَّبْ.
ولا تَرُدْ كُلَّ مرعى ولا تَرُدْ كُلَّ مشرب^(١).
فَرُبَّما لَلْفُطْمُ وفيه سَمٌ مُقَشَّبٌ^(٢).

- وقال في القناعة بالعيش:

رَضِيتُ كَفافي رُتْبَةً وَمَعِيشَةً فَلَسْتُ أَسامي مُوسِراً وَوَجِهماً (*).
وَمَنْ جَرَّ أَثْوابَ الزمانِ طَوِيلَةً فلا بُدَّ يوماً أَنْ سَيَعْرِثُ فيها!
- وقال في مرِّ الأيامِ بِسُرعة:

ما لي أرى أَيْامَنا تَمُرُّ مُراماً مُسرِعاً؟
إِذْ حَسَبْنا أَشْهُراً حَسِبْتُهُنَّ جُمُعاً^(٣).
وَلَمْ نَكُنْ نَعْنى بِأَنْ تُبْطِئْ أَوْ أَنْ تُسْرِعاً^(٤)،
لو لَمْ تَكُنْ أَعْمارُنْنا وَهْنٌ يَذْهَبُ مَعاً!

٤- ** برنامج الرعي ٨٨-٨٩؛ التكملة ٦٨٣ (رقم ١٩١٠)، الذيل والتكملة ٥:
١٩٨-٢٠١؛ صلة الصلة ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٥-٢٥٦؛ القدر الملقى
١٥٥-١٥٦؛ بغية الوعاة ٣٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٥-٢٣٦؛ نفح الطيب
٢: ٩٥، ٣: ٤٦١، ٤٧٨-٤٧٩.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي

١- هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وُلِدَ سَنَةَ

- (١) راد يرود: طلب، بحث عن. ورد يرد: ذهب إلى الماء ليشرب.
- (٢) وفيه سَمٌ مُقَشَّبٌ (ممزوج به) - صواب التركيب: طعام مُقَشَّبٌ (ممزوج بسم أو بما يفسده).
- (*) الكفاف: ما كان مقدار الحاجة بلا زيادة ولا نقصان. رتبة: في المكانة الاجتماعية (من الناحية المعنوية).
معيشة: فيما يتعلق بالطعام والشراب واللباس (من الناحية المادية). سامى فلان فلانا: نافه للبلوغ حتى
يبلغ إلى مثل مكانته (العلمية أو الاجتماعية....). المور: الغنى.
- (٣) حسب يحسب (بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع): عدّ. وحسب يحسب (بكر السين في الماضي
وفتحها في المضارع): ظنّ. جمعة: أسبوع.
- (٤) نَعْنى: نَهَمَ، نشغل (بفتح الفين) بالنّا.

٥٥٩ هـ (١١٦٣ - ١١٦٤ م). كان الحكّام الذين سبقوه في حاضرة تونس ولاةً للموحّدين. فلما آلت الولاية إلى أبي زكريّا هذا (٦٢٦ هـ) كان الموحّدون قد ضعُفوا جدًّا فأعلن استقلاله عنهم. ثم اضطدّم بيحيى بن غانية الميورقي (وكان بنو غانية لا يزالون أنصاراً للمرابطين الذين خلفهم الموحّدون في المغرب) فقاتله يحيى وتغلّب عليه وقتله (٦٣١ هـ). ثم تغلّب أيضاً على قبيلة هوّارة التي ثارت عليه.

وعمل أبو زكريّا على توسيع رُقعة مُلكه فانتزع من الموحّدين عدداً من المدن (تلمسان وسجلماسة في الجزائر اليوم إلى جانب سبتة وطنجة ومكناسة في المغرب اليوم).

وكانت وفاة يحيى بن عبد الواحد الحفصي في بونة (أرض الجزائر اليوم)، في جُمادى الآخرة من سنة ٦٤٧ (مطلع الحريف من عام ١٢٤٩ م).

٢- يُعَدُّ يحيى بن عبد الواحد المؤسّس للدولة الحفصية في تونس. وقد كان عظيم الهبة سديد الرأي، كما كان تقيّاً عادلاً متواضعاً ومُحبّاً للرعية. وكان ملكاً عُمَرائياً أنشأ جامع القُصبة (القلعة القديمة) وصومعته (مئذنته) البديعة العجيبة (ولما اكتمل بناؤها في غرة رَمَضان من سنة ٦٣٠ بدأ الأذان فيها هو نفسه). وبنى سوق العطارين (ولا تزال سوق العطارين إلى اليوم تحمل الطابع التونسي القديم) وعدداً من المدارس وأنشأ مكتبة كبيرة. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظراً.

٣- مختارات من آثاره

- من وصيّة يحيى بن عبد الواحد الحفصي لابنه ووليّ عهده أبي عبد الله محمد المنتصر:

اعلم - سَدَدَكَ اللهُ وأرشدَكَ، وهداكَ لِمَا يُرضيكَ وأسعدَكَ، وجعلكَ محمودَ السيرة مأمونَ السريرة^(١) - أَنْ أَوَّلَ مَا يَجِبُ عَلَى مَنْ أَسْتَرْعَاهُ اللهُ فِي خَلْقِهِ وجعله مسؤولاً عن رعيّته، في جُلِّ أَمْرِهِم ودِقِّهِ^(٢)، أَنْ يُقَدِّمَ رِضا الله في كُلِّ أَمْرٍ يُحاولُهُ، ويكونَ عمله

(١) سَدَدَكَ اللهُ (جعل سيرك مستقيماً). السريرة: الطويّة، الباطن (ما يكتمه الإنسان في نفسه).

(٢) الجُلُّ الكبير، العظيم (العامّ الجمل). الدقّ: الدقيق، الصغير (المفصّل).

وسميه وذبه^(١) عن المسلمين بعد التوكل عليه. ومتى فاجأك أمرٌ مُقلقٌ أو وردَ عليك همٌ مرهقٌ فريض لُبِّك وسكن جأشك^(٢).... ولا تُقدِّم إقدامَ الجاهل، ولا تُخجِم إجمامَ الآخر^(٣) المتكاسل. واعلم أن الأمر إذا ضاق مجالُه وقصرَ عن مقاومته رجالُه، فمفتاحُه الصبرُ والحزامة^(٤) وأخذُ الرأي من عِقاء الدولة ورؤسائها وذوي التجارب من نُبائها^(٥)، ثم الإقدام عليه بعد التوكل على الله فيما لديه..... وعليكَ بتفقدِ أحوالِ الرعيَّة: فلا تتم عن مصالحهم ولا تُسامح أحداً فيهم.... واتخذ ثقاتِ صادقين مُصدِّقين لهم في جانبِ الله أو قرُنصيب، وفي رفعِ مسائلِ خلقه إليك أسرعٌ مُجيب.

- وقال يَصِفُ روضةً أنشأها قُربَ تونسِ العاصِمَة:

وسالَ نَمِيرُ الماءِ بَيْنَ أَخْضارِها فجاءَ كَمَثَلِ الفَرْقِ بَيْنَ الذَّوائبِ^(١)،
وإلاَّ كما شَقَّ الكَنْهَوْرَ بَارِقٌ، وإلاَّ كَمَثَلِ الصُّبْحِ بَيْنَ الغِيَاهِبِ^(٢).
قَدِ اطَّرَدَتْ فِيهِ المَذانِبُ دَائِماً، ولم تَرَ حُسناً كاطِّرادِ المَذانِبِ^(٣).
وللِياسَمينِ الغَضُّ في خُضْرٍ بُسْطِها ناثِرٌ دُرٌّ أو سَبائِكُ ساكِبِ^(٤).
مُعْطَرَّةُ الأَرْدانِ يُنْعِمُ نَفْعُها

يُحْيِيكَ عَرَفُ الطَّيِّبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ^(٥).

- (١) ذبٌ عن شيءٍ: دافع عنه.
- (٢) اللَّبُّ: العقل. الجأش: النفس، القلب.
- (٣) أحجم: تأخر (خاف مباشرة العمل). الآخرق: الأحق والمتخير الذي لا يدري ما يجب أن يفعل.
- (٤) الحزامة: الفصل في الأمور.
- (٥) النبهاء: الأشراف ثم ذوو الفطنة (جودة الفهم).
- (٦) النمير: الطيب النافع في الري (سقي المزروعات). الفرق (فصل شعر الرأس جانبيين). الذوابة (بالضم): ضفيرة الشعر. - سال غير الماء (يقصد: النهر) بين اخضرارها (نبات الأرض الأخضر) كأنه فرق: خطَّ أبيض (لأن الفرق في الشعر يكشف عن جلد الرأس) بين الذوائب (الضفائر السود - والعرب تقول للأسود أخضر).
- (٧) الكنهور: قطع السحاب العظيمة (والملموح هنا أنها السوداء - فإن الغيوم إذا كثف فيها بخار الماء بدت سوداء). الفيهب: الظلمة (بالضم)، الليل الشديد السواد.
- (٨) اطردت الأشياء (كانت متتابعة). المذهب (بالكسر): سيل الماء (الماء المجرور من نهر أو من حوض).
- (٩) الغض: الطري الناضر (الذي فيه لبن ولحمان وجال). الدر: اللؤلؤ. السبيكة: قطعة المعدن (بكسر الدال) التي أذيت (فأصبحت صافية خالية من المواد الغريبة) ثم أعيد سبكها.
- (١٠) الرदन (بالضم): طرف الثوب. نفحها: ما ترسله من رائحة طيبة. أنعمت الريح: هبت هينة.

٤ ★★ أزهار الرياض ٣ : ٢٠٨ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٨٦ - ١٩٠ ؛ خلاصة تاريخ تونس ١٠٧ - ١٠٨ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٣ - ١٩٤ (٨ : ١٥٥).

ابن سهل الإشبيلي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، وُلِدَ في إشبيلية، نحو سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م)، على اليهودية فكان يُعرفُ بابن سهل اليهودي أو الإسرائيلي. ثم لما اهتدى إلى الإسلام، بعد أن بلغ مبلغ الشباب، أصبح يُدعى ابن سهل الإشبيلي والإسلامي. غير أن نقرأ من مؤرخي الأدب كانوا يشكون في صحة إسلامه (راجع نفع الطيب ٣ : ٥٢٣ - ٥٢٤).

يبدو أن ابن سهل بدأ تلقى العلم وقراءة القرآن قبل أن يدخل في الإسلام. وقد درس على أبي علي الشلويني (ت ٦٤٥ هـ) وعلى أبي الحسن الدباج (ت ٦٤٦ هـ). وتطوّف ابن سهل بشعره بين بلاطات الأمراء، فلقد كان في قرطبة (وله وصف في نهرها: الوادي الكبير)، كما مدح صاحب مرسية محمد بن يوسف بن هود (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). ثم انتقل إلى إشبيلية، منقط رأسه، وسكنها إلى أن استولى الإسبان عليها، سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م). فانتقل إلى العُدوة الإفريقية (المغرب). وسكن سبتة وأصبح كاتباً لواليتها أبي علي بن خلاص. وكانا مرة في البحر معاً، في عرض سبتة، فغرقا، سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) في الأغلب.

٢ - ابن سهل الإشبيلي شاعرٌ مُقلِّ مُحسن له قصيدٌ وموشحاتٌ متنوعةٌ أكثرها في الغزل، وأكثرُ غزله في غلامٍ يهوديٍّ اسمه موسى. وغزله رقيقٌ جدًّا، قيل لأنه «اجتمع فيه ذلّان: ذلّ العشق وذلّ اليهودية». وكذلك له وصفٌ بارعٌ. وأما موشحاته فهي متنوعةٌ. وجميعُ شعره سلسٌ عذبٌ. وله بديعةٌ (في مدح الرسول)، قيل نظمها قبل أن يُسلم.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن سهل الإشبيلي في النسيب، وهو من شعره الرقيق المشهور:

سَلِّ فِي الظَّلامِ أَخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهْرِي؛ قَدْزِي النُّجُومُ، كَمَا يَذْرِي الْوَرَى، خَبْرِي.
أَيِّتْ أَهْتِفُ بِالشُّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْشِقُ رَيًّا ذِكْرَكَ الْعَطْرِ (١)؛
حَتَّى أُخَيِّلَ أَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٌ بَيْنَ الرِّياضِ وَبَيْنَ الكَأْسِ وَالْوَتَرِ (٢).
- وقال يصف نَهْرًا يَحْتَرِقُ مَرَجًا:

الأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ رِدَاءً أَخْضَرًا، وَالطَّلُّ يَنْثُرُ فِي رُبَاهَا جَوْهَرًا (٣).
هَاجَتْ فَخَلَّتْ الزَّهْرَ كَافُورًا بِهَا، وَحَسِبْتُ فِيهَا التُّرْبَ مِسْكَأً أَذْفَرًا (٤).
وَكَأَنَّ سَوْسَنَهَا يُصَافِحُ وَرَدَهَا ثَغْرًا يُقْبَلُ مِنْهُ خَدًّا أَحْمَرًا (٥).
وَالنَّهْرُ مَا بَيْنَ الرِّياضِ تَخَالُهُ سَيْفًا تَعْلَقُ فِي نِجَادٍ أَخْضَرًا (٦).
- وَمِنْ بَدِيعِيَّةٍ لَهُ يُمدِّحُ فِيهَا الرَّسُولَ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ:

وَرَكِبَ دَعَتَهُمْ نَحْوَ طَيِّبَةِ نِيَّةٍ فَمَا وَجَدَتْ إِلَّا مُطِيعًا وَسَامِعًا (٧).
تُضِيءُ مِنَ التَّقْوَى خَبَايَا صُدُورِهِمْ وَقَدْ لَبَسُوا اللَّيْلَ الْبَهِيمَ مَدَارِعًا (٨).
تَكَادُ مُنَاجَاةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ تَنْمُ بِهِمْ مِسْكَأً عَلَى الشَّمِّ ذَائِعًا (٩).

- (١) هتف فلان: صاح وهو يمدّ صوته. نشق (بفتح فكسر): شَم. الرَيَّا: الريح الطيبة.
- (٢) أخَيِّلَ: أبدو (لِلناظرين إلَيَّ). الثَمَلُ: الذي أثرت فيه الحُمْر.
- (٣) الطَّلُّ: نقاط الماء المتجمعة من برد الليل على الأغصان. الجَوْهَرُ: اللؤلؤ.
- (٤) الكافور: طيب أبيض اللون. المسك: طيب أسود اللون. الأذفر: الشديد الرائحة (طبيّة تلك الرائحة كانت أو كريهة - والمقصود هنا: الرائحة الطيبة).
- (٥) السوسن: الزنبق الأبيض. يشبه الفم (الأسنان) بالزنبق الأبيض، والحد (لاحتراره: دليل صحته وجماله) بالورد.
- (٦) النجاد: حمالة (بالكسر): سِرّان من جلد أو نسيج يعلّق بها السيف إلى العنق.
- (٧) الركب: الجماعة على الإبل (بكسر فكسر) يسافرون معاً. طيبة (بالفتح): المدينة المنورة.
- (٨) البهيم: الذي لا علامة ظاهرة فيه (شديد السواد). المدرع (بكسر فسكون ففتح): الدِّرَاعَة (بالضمّ وتشديد الراء): ثوب من صوف. - لبسوا الليل مدارع: استعانوا على برد الليل بثياب من صوف ثم تابعوا سيرهم.
- (٩) المناجاة: المخاطبة سرّاً من قرب (أو في الضمير). تَمَّ: انتشر. ذائع: منتشر.

تَلَاقَى عَلَى وَرْدِ الْيَقِينِ قُلُوبُهُمْ خَوَافِقَ يُذَكِّرْنَ الْقَطَا وَالْمَشارَعَا (١):
 قُلُوبٌ عَرَفْنَ الْحَقَّ فَهِيَ قَدْ أَنْطَوَتْ عَلَيْهَا جُنُوبٌ مَا عَرَفْنَ الْمَضَاجِعَا (٢).
 - ولابن سهل هذه الموشحة المشهورة التي كثر تقليدُها في المغرب والمشرق:
 هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهَ مِنْ مَكْنَسٍ (٣).
 فَهَوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَهَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ (٤).

* * *

يَا بُدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَّوَى غُرَّرًا تَسْلُكُ بِي نَهَجَ الْغُرَرِ (٥).
 مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ (٦).
 أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجِوَاءِ وَالتَّدَانِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٧).
 كُلُّمَا أَشْكُوهُ وَجَسَدِي بَسَمًا كَالرُّبَى بِالْعَارِضِ الْمُتَبَجِّسِ (٨).

(١) الورد (بالكسر): مكان الماء (ذهاب الناس إلى الماء للشرب). تلاقى - تلاقى. القطا جمع قطاة (طائر سريع الطيران). الشرعة: الشريعة (مكان شرب الماء). - يجتمع المسلمون الذاهبون إلى طيبة (المدينة المنورة، لزيارة قبر الرسول) بيقين (بإيمان ثابت) خوافق (قلوبهم تخفق من فرحة اللقاء أو الوصول إلى المدينة). يذكرون (يذكرون - بالضم والكاف المشددة المكسورة) الناس (بالنصب) بالقطا والمشارع (بطيور القطا وهي بسرعة في طيرانها إلى أماكن الماء).

(٢) قلوبهم موجودة بين جنوب (جمع جنب) ما عرفن المضامع: الاستلقاء في الفراش (النوم).
 (٣) الحمى: ما يجب على الإنسان حمايته. ظي الحمى (أجل أهل الحي والذي يحميه أهله من أن تمتد إليه عين المحب). حمى: منع. الصب: المحب المشتاق إلى المحبوب. قلب صبَّ حله (المحبوب الذي حلّ: نزل، ملأ) قلب المحب. المكنس (بفتح فسكون ففتح): الكناس (بالكسر): المكان تأوي إليه الطباء (هنا: النساء الجميلات) وغيرها من الوحوش.

(٤) الصبا: ريح الشرق. القبس: النار القليلة المحمولة (ولها لهيب) في عود دقيق.
 (٥) النوى: البعاد (بالضم)، الفراق. الغرة (بالضم): مقدّم الجبين (كناية عن البياض والجمال). - كلّ محبوب من هؤلاء المحبوبين غرة (كلّ شيء فيه جيل). نهج: طريق. الغرر (بفتح ففتح): الضلال.

(٦) منكم الحسنَى (مؤنث أحسن): فيكم أحسن (أجل) ما في جميع الناس.
 (٧) أجتني: أجنب، أنال (القليل من اللذات). مكْلُوم: مجروح. الجوا (يقصد: الجواء جمع جَوْ: داخل الشيء): القلب. التداني: القرب. - لذتي الوحيدة أنني أفكر في حبيبي (لأنني لا أستطيع لقاءه).

(٨) الوجد: الحزن (من الابتعاد عن المحبوب). بسم: ابتسم (انفرجت شفتاه فظهرت أسنانه الجميلة - من غير أن يحدث صوتاً). الربوة: الراية (الأرض المرتفعة قليلاً تسقى بماء وافر وتعرض للريح وللشمس =

إِذْ يُقِيمُ الْقَطْرُ فِيهَا مَأْتَمًا، وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسٍ (١).

* * *

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتَّوَدَّةِ؛ بَأْيٍ أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقٍ (٢).

مَا عَلِمْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ أَقْحُونًا عَصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقٌ (٣).

أَخَذَتْ عَيْنَاهُ مِنْهُ الْعَرَبْدَةُ؛ وَفُؤَادِي سِكْرُهُ مَا إِنْ يُفِيقُ (٤).

فَاجِمُ اللَّمَّةِ مَعْسُولُ اللَّمَى سَاحِرُ الْفُنْجِ شَهِيَّ اللَّصِّ (٥).

وَجْهُهُ يَتَلَوُ «الضُّحَى» مُبْتَسِمًا، وَهُوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي «عَبَسَ» (٦).

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ، لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمَذْنِبُ.

أَخَذَتْ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ وَجْنَتَيْنِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ (٧).

= فيكثر نباتها وزهرها). المارض: الغيم المقبل (المملوء بالمطر). المنبجس: المنفجر (المتدفق) بالماء. - شكواي إليه تجعله يتسم وتظهر أسنانه فيزداد جلالاً، كما أن المطر يُنبِت في الربوة أنواع النبات والأزهار فتزداد بذلك جلالاً.

(١) نزول القطر (المطر) كأنه دموع المأتم (اجتماع النساء عند الميت - بفتح فسكون). وهي (أي الربي) من بهجتها (من جلالها وفرحها - بما فيها من أنواع الزهر.....).

(٢) التوودة: التأتّي (أنا شديد الحب له ولسرعة لقائه، وهو يضرب لي المواعيد البعيدة أو يتفاوض عن رغبتني). الجافي: الغليظ القاسي.

(٣) نضد: رتب، نسق. الأقحوان زهر له بتلات بيض (تشبه بها الأسنان السليمة الجميلة) وقلبه أصفر. الرحيق (السائل الحلو في الزهر تشربه النحل ثم تمجّه من فيها فيكون منه العسل). والشاعر يقصد بالرحيق «الحمر».

(٤) عينا المحبوب سكرت من رحيق فمه (راجع الحاشية السابقة). العربدة: السكر الذي يؤدي به السكران من حوله. وفؤادي سكره ما إن (إن هنا زائدة) يُفِيقُ (وفؤادي لا يفيق من سكره - من نظري إلى جمال فمه ومعرفتي بما في فمه - من غير أن أكون قد ذقته).

(٥) فاجم: أسود. اللمة (بالكسر): الشعر المجاور للأذن (سواد الشعر كناية عن الشباب). اللمى: سمرة في الشفة (كناية عن الشفاه، وعن الريق). الفنج الدلال، جمال العينين. اللص: سواد قليل في باطن الشفة (كناية أيضاً عن الريق).

(٦) مطلع السورة الثالثة والتسعين في المصحف: ﴿والضحى﴾ (أول ارتفاع النهار وامتداد الضياء) والليل إذا سحى (هبط بهدوء وسكن)، ما ودّعك ربك (تركك، يا محمد) وما قلى (أبفض، أبفضك). ومطلع السورة الثمانين: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾.

(٧) مشرق للشمس (كناية عن بياض وجهه) فيه (في وجهه) مغرب للشمس (كناية عن حمرة خدوده، كالحمرة التي تتركها الشمس على الأفق الغربي إذا هي غربت).

ذهبَ الدمعُ بأشواقِي إليه، وله خدٌّ بلحظي مُذهبٌ^(١)؛
يَبْتَسُّ الوردُ بلحظي كُلَّما لاحظته مُقلتي في الخُلْسِ^(٢)؛
ليستَ شعري، أيُّ شيءٍ حرَّما ذلك الوردَ على المُفترسِ^(٣)؟

★ ★ ★

كُلَّما أشكو إليه حُرقي كَلَّما أشكو إليه حُرقي
تَرَكْتُ الحَاطِظَ من رَمَقي تَرَكْتُ الحَاطِظَ من رَمَقي
وأنا أشكرُهُ في ما بَقِيَ، وأنا أشكرُهُ في ما بَقِيَ،
فَهُوَ عِنْدِي عادِلٌ إن ظَلَمَا، فهو عِنْدِي عادِلٌ إن ظَلَمَا؛
ليسَ لي في الأمرِ حُكْمٌ بعدَما ليسَ لي في الأمرِ حُكْمٌ بعدَما
غادَرَتْنِي مَقْلَتاهُ دَنِفاً^(٤) غادَرَتْنِي مَقْلَتاهُ دَنِفاً^(٤)؛
أَثَرَ النَّمْلِ على صَمِّ الصِّفا^(٥) أَثَرَ النَّمْلِ على صَمِّ الصِّفا^(٥)؛
لستُ ألحاه على ما أُلَفَا^(٦) لستُ ألحاه على ما أُلَفَا^(٦)؛
وعذولي نُطقه كالخُرسِ^(٧) وعذولي نُطقه كالخُرسِ^(٧)؛
حَلَّ من نَفْسي محلَّ النَفْسِ. حَلَّ من نَفْسي محلَّ النَفْسِ.

★ ★ ★

أضرمَ النارَ بأحشائي ضِرامَ أضرمَ النارَ بأحشائي ضِرامَ
هيَ في خَدَّيهِ بَرْدٌ وسَلَامٌ، هيَ في خَدَّيهِ بَرْدٌ وسَلَامٌ،
أتَّقِي منه على حُكْمِ الغَرامِ أتَّقِي منه على حُكْمِ الغَرامِ
تتلطَّي كُلَّ حينٍ ما تشاءُ. تتلطَّي كُلَّ حينٍ ما تشاءُ.
وهيَ ضُرٌّ وحَرِيقٌ في الحِشا^(٨). وهيَ ضُرٌّ وحَرِيقٌ في الحِشا^(٨).
أَسَدًا ورَدًا وأَهْوَاهُ رِشا^(٩). أَسَدًا ورَدًا وأَهْوَاهُ رِشا^(٩).

- (١) ففي دمعي وجفٍّ من كثرة بكائي (لأنَّ حبي له شديد وهو معرض عني). خدَّه مذهب (في احمرار من خجله كُلَّما نظرت إليه).
- (٢) يجمُرُ خَدَّه (من الخجل) كُلَّما نظرت إليه في الخلس (جمع خلسة بالضم) مرَّةً بعد مرَّةً في غفلة من الذين حولنا.
- (٣) أنا الذي أزرع الورد في خدوده (أجعلها تحمّر من نظري إليها) ثم هي حرام عليّ (لا أستطيع أن أقطف منها ما زرعته فيها: أن أقبلها).
- (٤) الدنف: المريض القريب من الهلاك (التلف، الموت).
- (٥) الرمق: بقية الروح (في الجسد). الصفا جمع صفاة: الصخرة المساء الصلبة. الصمّ جمع أصمّ وصماء. الشيء الأصمّ: الصلب المصمت (المملوء جوفه). - إن سِير النملة على الصخر لا يترك أثراً.
- (٦) أشكره في (على) ما بقي (في) من حياة وقوّة. ألحاه (من لحى، يلحى: ذمّ، لعن).
- (٧) العذول: الذي يلوم الحبَّ على حبّه. كلام عذولي وسكوته سيّان (أنا لن أسمع لوماً في محبوبي من أحد).
- (٨) هذه الحمرة التي تشبه النار هي برد وسلام في خدَّيه (لا تضرّه)، وهذا اقتباس من القرآن الكريم (٦٩: ٢١)، سورة الأنبياء: ﴿قلنا: يا نارُ، كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. الحشا: القلب (قلبي).
- (٩) أتقي: أخاف، أجنب. الورد: الأحمر (الأسد الورد: الشديد الضراوة والافتراس). رشا: غزال

قُلْتُ، لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعَلَّمًا، وَهُوَ مِنَ الْحَاضِرَةِ فِي حَرَسٍ (٢) :
أَيُّهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَعَنَا أَجْعَلِ الْوَصْلَ مَكَانَ الْخُمْسِ (٣) !

- من نفع الطيب (٧: ٤٤٥ وما بعد): « من ذلك قول أبي اسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (موشحة، ولكن) بعضاً ذكر أنها من قوله لَمَّا أَظْهَرَ الإسلام، وَهِيَ لَا تَقْتَضِي رَفْعَ الرِّبَا عَنْهُ وَالْإِتِّهَامَ (٤):

جَعَلَ الْمُهِمِّنُ حُبَّ أَحَدِ شَيْمَةِ (٥)
وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةً (٦)،
فَفَدَا هَوَاهُ عَلَى الْقُلُوبِ تَمِيمَةً (٧)؛

= صغير - أنا أحبه كأنه غزال جميل بريء ثم أخافه (أخاف نتائج هجرانه) كأنه أسد كربه المنظر شديد الضراوة.

(١) تبدي: ظهر لي (لَمَّا رَأَيْتَهُ). الْمُعَلَّمُ: الفارس الشجاع القوي الذي لا يتلثم في أثناء المارك (ولا في غير المارك) لأنه لا يخاف من خصومه، بل هم يخافونه. الحَاضِرَةُ الفتاة (كالسيف والرماح) تحرسه.

(٢) أنت أخذت كل قلبي (سلبتني القدرة على أن أحب محبوباً آخر)، تصدق علي بوصلك (بالاقتراب منك). مكان الخمس (في الجهاد توزع أربعة أخماس الغنائم المنقولة بين الأحياء من الذين اشتركوا في المعركة)، ويبقى الخمس الخاص فيكون لآل بيت الرسول (إذ لا يجوز لهم أن يأكلوا من الزكاة والصدقات) وللمحتاجين من سائر المسلمين. وهنا إشارة إلى آية من القرآن الكريم (٨: ٤١، سورة الأنفال): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ (للتصدق على المحتاجين وللرسول وللنفقة الرسول ونفقة أهل بيته) ولذي القربى (لأقارب الرسول) واليتامى والمساكين (الذين يكسبون مالاً لا يكفيهم لحياتهم) وابن السبيل (المنقطع عن وطنه لا يملك ما يتابع به طريقه).

(٣) لم يكن المقرري صاحب نفع الطيب على حق في إعلان الارتياح بصحة إسلام ابن سهل، ذلك لأن الإيمان شيء بين الإنسان وخالقه، ولا يجوز لنا إذا قال إنسان إنه مسلم أن نردّ قوله، ما لم يكن لنا دليل على أن عملاً من أعماله مخالف للإسلام جهاراً. ولا شك في أن الإيمان في الناس على مراتب، فهناك أفراد إيمانهم أعلى من إيمان أفراد آخرين. غير أن الحكم في ذلك لله وحده. ولقد كان في أيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، جماعة صحّ الارتياح بإيمانهم فسماهم الله «منافقين»، ولم يقل إنهم كفّار أو غير مسلمين.

(٤) قال إحصان عباس في (نفع الطيب ٧: ٤٤٥، الحاشية ٢): لم أجد هذه الخمسة (الموشحة) منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلا في النسخ، ولم ترد في ديوانه (طبع صادر ١٩٦٧).

(٥) المهيمن (من أسماء الله الحسنى). أحمد (محمد رسول الله). شيمة: خلق (بضم فضاء)، العادة (الجميلة).

(٦) كريمة: جوهرة (لؤلؤة) نفيسة (ثمينة، غالية)، فهو خير المرسلين وآخر المرسلين.

(٧) التميمية: الحجاب (ما يعلّق على الأطفال لردّ العين عنهم ومنع الأذى).

وَعِدَا هُدَاهُ لَهُذِهِمْ تَتَمِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١).

★ ★ ★

أَبْدَى جَبِينُ أَبِيهِ شَاهِدَ نَوْرِهِ^(٢)،
سَجَّعَتْ بِهِ الْكُفَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ^(٣)
كَالطَّيْرِ غَرَدَ مُغْرِبًا بِصَفِيرِهِ

عَنْ وَجْهِ إِصْبَاحٍ يُطِلُّ نَسِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(٤).

★ ★ ★

اللَّهُ أَوْضَحَ فَضْلَهُ فَتَوَضَّحَا،
وَاللَّهُ بَيْنَ حُبِّهِ فِي «الضُّحَى»^(٥)،
وَالْجِدْعُ حَنَّ لَهُ هَوَى فَتَرَنَّا^(٦)،
وَالْمَاءُ فَاضَ بِكَفِّ تَسْنِيَا^(٧). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

-
- (١) الْهُدَى (بِالضَّمِّ) كَالْهُدَى (بِالْفَتْحِ). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٥٦: ٣٣، سُورَةُ الْأَحْزَابِ): ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.
- (٢) فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ (وَالدَّخْلَ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ) كَانَ فِي جَبِينِهِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ (وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ النُّورِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِي آدَمَ). ثُمَّ إِنَّ امْرَأَةً (فِي الْجَاهِلِيَّةِ) كَانَتْ تَرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ هُوَ يَأْبَى ذَلِكَ (وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحَيْنِ زَوْجُ أَمْنَةَ وَالِدَةِ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ). وَيَقُولُونَ (وَهَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ أَوْ الْخَفِيَّةِ) إِنَّهُ بَعْدَ مَدَّةٍ (وَكَانَتْ أَمْنَةُ قَدْ حَبَلَتْ بِمُحَمَّدٍ) مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَرَأَتْ أَنَّ النُّورَ الَّذِي كَانَ يَتَلَأَلُ فِي جَبِينِهِ قَدْ اخْتَفَى (انْتَقَلَ إِلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أَمْنَةَ) فَلَمْ تَرْغَبْ فِيهِ.
- (٣) سَجَّعَ: غَنَّى، أَكْثَرَ الْكَلَامَ (فِي الشَّيْءِ).
- (٤) «نَسِيمًا» (كَذَا فِي الْأَصْلِ) وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا. يَجِبُ أَنْ تَكُونَ «وَسِيمًا» (جَمِيلًا). ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْقَافِيَةَ (نَسِيمًا) تَأْتِي فِي آخِرِ مَخْمَسٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوْشِعَةِ.
- (٥) حُبِّهِ (حَبِّ الرَّسُولِ). الضُّحَى (السُّورَةُ الثَّلَاثَةُ وَالتَّسْعُونَ فِي الْمَصْحَفِ) وَهِيَ: ﴿وَالضُّحَى﴾ (أَوَّلُ النَّهَارِ. وَالْوَاوُ لِلْقَمَرِ) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (نَزَلَ، خِيمَ). مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ (تَرَكَكَ، يَا مُحَمَّدَ). وَمَا قُلَى (أَبْفَضَكَ). وَلِآخِرَةِ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَى (مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا). أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؟... الخ.
- (٦) الْجِدْعُ جُزْءٌ مِنَ سَاقِ شَجَرَةٍ كَانَ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ يَقِفُ عَلَيْهِ لِيَخْطُبَ. فَجَعَلَ جَاعَاتُ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ هَذَا الْجِدْعَ يَحْنُ (يَتَنُ حَزَنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ). فَقَطَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذَا الْجِدْعَ.
- (٧) وَفِي الْإِثْرِ أَنَّ الْجَيْشَ عَطَشَ مَرَّةً وَلَمْ يَجِدْ مَاءَ فَفَاضَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ مَاءٌ شَرِبَ مِنْهُ الْجَيْشُ حَتَّى =

اَخْتَثَ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ،
وَالْأَرْضُ وَاجْفَةٌ تَخَافُ فِرَاقَهُ^(١).
سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سُرَاهُ فَسَاقَهُ
شَخْصاً عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ كَرِيماً^(٢). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

فَأَشْمَ رِيحَانِ الْقُلُوبِ الطَّيِّبِ—
وَدَنَا فَأَسْمِعَ: « يَا مُحَمَّدُ، مَرْحَباً^(٣).
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبِ،
إِنْ كُنْتُ قَبْلَكَ فَدَجَعَلْتُ كَلِماً^(٤) ». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

يَا لَيْلَةَ يَجْرِي الزَّمَانُ فَتَسْبِقُ،
الْحُجُبُ فِيهَا وَالْأَرَائِجُ تُفْتَقُ^(٥).
مَا كَانَ مِنْكَ اللَّيْلُ قَبْلَكَ يَمَبَقُ.

-
- = أَرْتَوَى. تَسْمِعُ: عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ (مَاءٌ عَذْبٌ).
(١) أَحْتَثَ الدَّابَّةُ: حَتَّىهَا (حَضَنًا عَلَى الْإِسْرَاعِ). السَّبْعُ الطَّبَاقِ (السَّمَوَاتُ السَّبْعُ). الْبَرَاقُ: دَابَّةٌ أَكْبَرُ مِنَ الْحِمَارِ وَأَصْفَرُ مِنَ الْحِمَارِ عَظِيمَةُ السَّرْعَةِ، إِذْ تَجْعَلُ، فِي كُلِّ خُطْوَةٍ، حَافِرًا حَيْثُ يَنْتَهِي بَصَرُهَا. وَعَلَى الْبَرَاقِ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالرَّسُولِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. الْوَاجِفُ: الْخَائِفُ الْمُضْطَرِبُّ.
(٢) مَلِكُ الْمُلُوكِ: اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
(٣) أَشْمَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) أَدْنَى مِنْهُ (جَعَلَهُ اللَّهُ) يَشْمُ (بِضَمِّ الشَّيْنِ) رِيحَانًا (نَبَاتًا ذَا رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ). رِيحَانُ الْقُلُوبِ (يَنْعَشُ الْقَلْبُ؟). دَنَا (أَقْتَرَبَ مِنْ عَرْشِ الرَّحْمَنِ). فَأَسْمِعَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ: جَعَلَهُ اللَّهُ يَسْمَعُ).
(٤) ... إِذَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلْتُ مُوسَى يَكَلِّمُنِي (وَهُوَ لَا يَرَانِي)، فَقَدْ جَعَلْتُكَ الْآنَ جَارًا قَرِيبًا جَدًّا لِعَرْشِي (تَسْمَعُ وَتَرَى).
(٥) الْحُجُبُ جَمْعُ حِجَابٍ (دُونَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ) تَفْتَقُ (تَشَقُّ لِيَبْصُرَ الرَّائِي مِنْ خِلَالِ فَتَوَقَّهَا: شَقَوَقَهَا). الْأَرَائِجُ جَمْعُ أَرِيحٍ وَأَرِيحَةٍ (رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ). تَفْتَقُ: يَفْتَحُ وَعَاوُهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ (شَمَّ الرَّسُولُ فِي الْإِسْرَاءِ رَائِحَةَ لَا عَهْدَ لِلْإِنْسَانِ بِهَا).

بُشْرَى، مُحَمَّدٌ آسْتَفَادَ نِسِيًا^(١). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

حَتَّى إِذَا أَقْتَمَ الْبُرَاقَ لِيَنْزِلَا،

نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمَوَاتِ الْمُلَا^(٢):

«يَا رَاحِلًا وَدَعْتُهِ لَا عَنْ قَلْبِي،

مَا كَانَ عَهْدُكَ بِالْغُيُوبِ ذَمِيًا^(٣)». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

٤- ديوان ابن سهل القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٩، ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٢٨ هـ؛

فاس (طبع حجر) ١٣٢٤ هـ؛ (أبو حسين القرني)، القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٦٦ م؛

بيروت ١٨٨٥ م (١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)؛ القاهرة (المكتبة العربية) ١٩٢٦ م. (قدّم له احسان

عبّاس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٣ م ثم ١٩٦٧ م.

- مختارات من ابن سهل، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٣.

★★ المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمد الإفرائي المغربي، فاس

١٣٢٤ هـ = ١٩٠٩ م.

- ابن سهل الأندلسي، تأليف عارف تامر.

المغرب ١: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ فوات الوفيات ١: ٢٩ - ٣٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥ - ١١؛

القدح المعلقى ١٤٠ - ١٤١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفح الطيب ٢:

٣٠٧ - ٣٠٨، ٣: ٥٢٢ - ٥٢٧، ثم هنالك موشحات لابن سهل ومعارضاتها ٧: ١١،

(١) عبق (يفتح فكسر): ظهرت رائحته. مسك الليل (غلام الليل كله، لأنّ المسك أسود): كان الليل كله

يفوح برائحة طيبة.... آستفاد نسياً (أصبح له هو أيضاً رائحة طيبة تفوح في العالم).

(٢) آقتعد فلان الدابة: ركبها. اقتعد الرسول البراق (لينزل إلى الأرض)... أسرار السماوات (كائنات في

السما لا يعرفها الناس). القلى: البغض.

(٣) ما كان عهدك بالغيوب (جمع غيب: وجودك في عالم الغيب، في طبقات السماء) ذمياً (مذموماً): لقد

كنت في عالم الغيب كأنك في الأصل من أهله. أو: لقد أسرى بك إلى السماء لأنك مبرأ من كل عيب

(سلوكك بالغيوب، في السرّ، كسلوكك الظاهر في العلن). - راجع القرآن الكريم: ﴿أرجعوا إلى أبيكم

فقولوا: يا أبانا، إنّ أبناك سرق. وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين﴾ (١٢: ٨١، سورة

يوسف)، ثم ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.

فالصالحات (من النساء) قانتات (مطيعات لأوامر الله ولأزواجهن) حافظات للغيب (محافظات على

سلوكهن في أثناء غيبة أزواجهن) بما حفظ الله﴾ (بما كان الله قد وصّى)..... ثم ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه

بالغيوب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ (١٢: ٥٢، سورة يوسف).

٦١-٦٥، ٦٩، ٢٤٦ وما بعد، ٤٤٥-٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٦-٩٢٥؛ بروكلمن ١: ٣٢٢-٣٢٣، الملحق ١: ٤٨٣؛ نيكل ٣٤٤-٣٤٥؛ مختارات نيكل ٢٠٩-٢١٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦ (٤٢)؛ سركيس ١٢٣.

التيفاشي القفصي

١- هو شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون ابن حجاج^(١) القيسي التيفاشي، نسبة إلى تيفاش^(٢). وُلِدَ في مدينة قفصة (في غربي القطر التونسي)، سنة ٥٨٠ (١١٨٤ م) وبدأ تعلّمه فيها على أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن جعفر المقدسي. ثم انتقل إلى تونس الحاضرة وتابع دراسته في جامع الزيتونة. بعدئذ رحل إلى مصر وقرأ على عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩) ثم انتقل إلى دمشق وقرأ فيها على تاج الدين الكندي.

وعاد التيفاشي إلى تونس فولّاه أبو زكريّا يحيى الحفصي (٦٢٦-٦٤٧ هـ) القضاء في قفصة. ولكنه ارتحل ثانية إلى المشرق. وفي رحلته الثانية ماتت امرأته. ثم انكسر به المركب مرة (بعد موت زوجته) ففرّق أبناؤه الثلاثة وضاع ما كان معه من المال.

وتجول التيفاشي في المشرق: زار العراق وفارس ثم جاء إلى القاهرة نحو سنة ٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وعرف نفراً من كبارها منهم مخيي الدين محمد بن نادي^(٣) وأبو الحسن علي بن سعيد العنسي (وقد أجاز له رواية كتاب «المغرب في محاسن المغرب») ومكرم بن منظور (ت ٦٥٤) والد صاحب «لسان العرب» وكانت وفاة التيفاشي القفصي في القاهرة، سنة ٦٥١ (١٢٥٣-١٣٥٤ م).

٢- كان التيفاشي القفصي واسع الإحاطة بفنون من الأدب والعلم وشاعراً

- (١) في «الديباج المذهب» سلسلة نسب أطول. في بروكلمن ١: ٦٥٢، الملحق ١: ٩٠٤؛ شهاب الدين.
(٢) تيفاش قرية من قرى قفصة (الديباج المذهب ٧٥). وذكر حسن حسني عبد الوهاب أن تيفاش (الورقات ١: ٤٤٨) في شمالي عمالة (مقاطعة) قسنطينة في شمالي القطر الجزائري.
(٣) وفي «الورقات» (ص ٤٥٠، ٤٥٥) «ابن ندى».

يَنْهَجُ مِنْهَجَ أدباء عصره في تكلف أوجه البلاغة؛ غير أن شِعْرَه نازل على المرتبة المقبولة. أما شُهْرَتُهُ ومكانته فتقومان على مؤلفاته العديدة، وإن كان أكثرها وثيق الصلة جدًا بالناحية الجنسية الصريحة. وللتيفاشي كتبٌ منها: فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب^(١) - الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة (التونسيين) - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (لعلّه الأحجار الملوكية، ولعلّه في الأصل من كتاب فصل الخطاب) - سجع الهديك في أخبار النيل - الديباج الحُسرواني في شرح شعر ابن هاني - درّة اللآلي من عيون الأخبار ومستحسن الأشعار - نزهة الألباب في ما لا يوجد في كتاب (نواذر وأشعار تتعلق بالجنس) - مطالع البدور في منازل السرور - قادمةُ الجَنَاح (في معاشرَة النساء) - رجوع الشيخ إلى صباه في القوّة على الباه - رسالة في ما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه بما يضرّ وينفع.

٣ - مختارات من آثاره

- من تاريخ الموسيقى في المغرب:

.... كان غِناءُ أهلِ الأندلسِ في القديمِ إمّا بطريقةِ النصارى * وإمّا بطريقةِ حُدَاةِ العرب^(٢). ولم يكنْ عندهم قانونٌ يعتمدون عليه إلى أن قامتِ الدولةُ الأموية، وكانتِ مُدَّةُ الحَكمِ الرَبَضيّ^(٣)، فوفد عليه من المشرق ومن إفريقيةِ التونسية من يُحسِنُ صَنَعَةَ التلاحين المدنية^(٤) وأخذ الناس عنهم، إلى أن وفد الإمام المُقدِّمُ في

(١) هذا الكتاب يقع في أربعين جزءاً (نحو ثمانية آلاف صفحة)، وهو مُوسِعة (موسوعة: دائرة معارف) مبنية على الأنواع التي تتناول المعارف الإنسانية المختلفة من مظاهر الطبيعة (الجماد والحيوان) ومن المدارك العلمية والعملية كالطبّ والموسيقى ومن الأحوال الاجتماعية والفكرية كتاريخ الأمم وعلومهم كالفلك وعلم الحجارة الكريمة. وقد اختصر هذا الكتاب ابنُ منظور مصنّف «لسان العرب». ويمكن أن نعدّ هذا الكتاب سلسلة متوالية في التأليف لأن التيفاشي جعل لكلّ جزء عنواناً مستقلاً (راجع أيضاً «الورقات»، ص ٤٥٥ - ٤٥٧).

(٢) الحادي: الذي يسوق قوافل الإبل، يقصد بطريقة الحداة «الفناء البدوي».

(٣) الدولة الأموية: الدولة المروانية في الأندلس. الحكم الرضي هو الحكم الأول (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) بن هشام بن عبد الرحمن الداخل.

(٤) المُدْنِيَة (بضمّ فضاء): خلاف البدوية. * نصارى الأندلس (الأسباك).

هذا الشأن عليُّ بنُ نافعٍ الملقَّبُ بزِيَابَ غُلامُ إِسْحاقَ المَوْصِلِيَّ على الأميرِ عبدِ الرحمن الأوسط (١) فجاء بما لم تَعَهْدُهُ الأَسْمَاعُ واتَّخذَ السلطانُ (٢) طَريقَتَهُ ونُسِيََ غيرها إلى أن جاء ابنُ باجَّةَ الإمامُ الأعظمُ فاعتكفَ مُدَّةَ سِنينَ مَعَ جَوَارٍ مُحْسِناتٍ فَهَذَّبَ الاستِهْلالَ (٣) والعَمَلَ ومزجَ غِنَاءَ النصارى بغِناءِ المشرقِ واختَرعَ طَريقةَ الأَجْدالِ (٤) (٥) بالأندلس. وقد مال إليها طَبِيعُ أَهْلِها ورفضوا ما سواها. ثُمَّ جاء بعده ابنُ جودي وابنُ الحَمَّارة وغيرُهما فزادوا أَلحانَهُ (٥) تَهْذِيباً واختَرعوا ما قَدَرُوا عليه من الأَلحانِ المُطَرَّبَةِ. وكان خاتِمَةُ هذه الصَّنَاعَةِ أبو الحسنِ بنُ الخاسِرِ المُرْسِي (٦) فَإِنَّهُ أَذْرَكَ فيها عِلْماً وَعَمَلاً ما لم يُذِرْكَ أَحَدٌ. وله في الموسيقى كتابٌ كَبِيرٌ في جُمْلَةِ أسفارِهِ. وكلُّ تلحينٍ سَمِعَ بالأندلس والمَغْرِبِ في شِعْرِ مَتَأَخَّرٍ فَهُوَ من صَنَعَتِهِ.....

- يوم نعيم بين ليلين غير ذلك:

ويوم سَرَقْنَاهُ من الدهر خِلْسَةً؛ بلِ الدهرُ أَهداهُ لنا مُتَفَضِّلاً.
أَشْبَهُهُ بَيْنَ الظَّلَامينَ غُرَّةً لِحَسَناءَ لاحتَ بينَ فرَعيْنِ أُرْسِلاً (٧)!

- ذهاب الليل ومجيء الفجر:

-
- (١) زِيَابَ (راجع، فوق، ص ٨ في الجزء الرابع). تلميذ إِسْحاقَ المَوْصِلِيَّ. عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ).
- (٢) السلطان: صاحب السلطة (الخليفة، الدولة) - يقصد الغناء الرسمي، في البلاط.
- (٣) ابن باجَّةَ (راجع، فوق، ص ٢١٥ في الجزء الخامس). الاستِهْلال: مطلع الغناء. العمل: منهج الغناء والسير فيه (٤).
- (٤) الأجدال (غير معروفة - علامة الاستفهام من الأصل المنقول عنه).
- (٥) ابن جودي (٤). ابن الحمارة (ضبطها حسن حسني عبد الوَّهاب (الورقات ١: ٤٥٤) بتشديد الميم. وتركها شوقي ضيف (المغرب ٢: ١٢٠) مهملة. وكذلك فعل إحسان عباس (نفع الطيب ١: ٢٠٥، ٣: ٥٩٧، ٤: ١٣، ١٤٠)، وديدرينغ (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢). وابن الحمارة الفرناطي تلميذ ابن باجَّةَ، برع في الأَلحانِ وفي نظم الشعر. ويرد هذا الاسم في نفع الطيب مرَّةً بكسبة واسمها أبو الحسن عليّ ثلاث مرَّات أبو عامر محمَّد. ولعلَّ الاثنين واحد..... في أَلحانِهِ (في أَلحانِ ابن باجَّةَ).
- (٦) أبو الحسن بن الخاسِرِ المُرْسِي (٤).
- (٧) الفرع: الشَّعر. لاحت بين فرعين: ظهر وجهها بين شيء من شعرها في كلِّ جانب.

نَبْهٌ نَدِيمُكَ، إِنَّ الدِيكَ قَدْ صَخَبَا
والفجر في كَيْدِ اللَّيْلِ السَّقِيمِ حَكِي
كَأَنَّهُ، بِظِلَامِ اللَّيْلِ مُتَمَزِّجًا،
كَأَنَّا الْفَجْرُ زَنْدٌ قَادِحٌ شَرَّارًا
كَأَنَّ أَوَّلَ فَجْرِ فَارِسٍ حُمِلَتْ
كَأَنَّ ثَانِيَ فَجْرِ غُرَّةٍ وَضَحَتْ
- وصف الزلزال:

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ فِي زَلْزَالِهَا عَجَبًا
أَضَحَتْ كَوَالِدَةٍ خَرَقَاءَ مُرْضِعَةٍ
قَدْ مَهَّدَتْهُمْ مِهَادًا غَيْرَ مُضْطَرَبٍ
حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتَ بَعْضَ الَّذِي كَرِهْتَ
هَزَّتْ بِهِمْ مَهْدَهُمْ تَشَا تُنْهِنُهُمْ
فَصَكَّتِ الْمَهْدَ غَضَبِي فَهِيَ لَا فِظَّةً
تدعو إلى طاعة الرحمن كُلُّ تَقِيٍّ
أَوْلَادَهَا دَرٌّ تُذِي حَافِلٍ غَدَقٍ (٧)
وَأَفْرَشْتَهُمْ فِرَاشًا غَيْرَ مَا قَلِيٍّ
مِمَّا يَشُقُّ، مِنَ الْأَوْلَادِ، مِنْ خُلُقٍ (٨)،
ثُمَّ اسْتَشَاطَتْ وَآلَ الطَّبِيعِ لِلْخَرَقِ (٩)
بَعْضًا عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَنَقِ (١٠).

- (١) صخب: علا صوته واختلط بغيره (يقصد: صاح). الطنب: خشبات حول الخيمة تشد أطراف الخيمة إليها. قَوْض: هدم، قلع.
- (٢) المتيمم: الذي أمرضه الحب. غلبا (كذا في الأصل)، لعلها «حجبا».
- (٣) افتر: ابتسم فظهرت أسنانه. المنسم: الرائحة الطيبة (كذا يقصد الشاعر). الشنب: البارد! والشنب (بفتح ففتح): الجميل، الصافي.
- (٤) الزند: قطعة من الحديد تقدح (تستخرج) بها النار من الحجر. فحمة الليل: اشتداد سواده.
- (٥) أول فجر: الفجر الكاذب (أول ظهور نور الصباح من وراء الأفق) ويكون ضعيفا. كبا: عثر. - كَانَ الْفَجْرُ فَارِسَ (على حصان أسود؟) تتالت وراءه الرايات البيض حتى غلبته وغطت عليه!
- (٦) الفجر الثاني: الفجر الصادق (حينما يعمّ النور وجه الأفق الشرقي ولكن قبل أن تستنير الأرض. الفرّة: مقدّمة الوجه أو الرأس (وتكون بيضاء). تسيل: تمتدّ (تظهر ثابتة). الطرف: الحصان. الأدهم: الأسود.
- (٧) الخرقاء الحمقاء. الدرّ: اللبن. حافل: مملوء. غدق: كثير.
- (٨) شق: صعب (بضم العين)، أتعب.
- (٩) تشا تنههم: تشاء أن تكفهم (تردعهم، تمنعهم) عن السلوك السيء. آل: رجّع. الخرق: الحق.
- (١٠) الحق. - غضبت وعاد طبعها إلى الاضطراب (بعد الهدوء). صك: ضرب.

- مَنَامٌ مُنْذِرٌ بِمُصِيبَةٍ:

وجرى لي في المنام أمرٌ عجيبٌ في السراج . وذلك أني رأيتُ^(١) كأنني جالسٌ وبينَ يَدَيَّ ثلاثةُ سُرُجٍ موقودة^(٢)، وإلى جَنبي زوجتي وهي تنفُخُ على أحدِ السُرُجِ لتُطْفِئَهُ. فأذركني عليها غَيْظٌ شديدٌ ونَهَيْتُهَا عن ذلك، فَأَلَحَّتْ في النَّفْخِ عليه. فاضطربتُ وَقُلْتُ لها: إن أطفأتِه فأنتِ طالقٌ! فقامتُ فَنفَخَتْ في السرجِ الثلاثةِ وأطفأتُها. ولم أَكُنْ قَبْلَ ذلك (قد) جرى على لِساني للطلاقِ ذِكْرُ البَتَّةِ^(٣)، ولا حَدَثُ نفسي بطلّاقِها قَطُّ. وكان لي منها ثلاثةُ بَنِينَ. وَاتَّقَى بعدَ هذه الرؤيا بِأيامٍ أن مَرِضَتْ فماتت. وَرَكِبْتُ أنا وأولادي الثلاثةُ البحرَ وَمَعِيَ مالٌ طائلٌ. فَعُطِبَتِ السفينةُ في البحرَ وَغَرِقَ البنونَ الثلاثةُ والمالُ جميعُهُ. وَنَجَّوْتُ على لوحٍ مَسْلُوباً^(٤) من الأهلِ والمالِ.

- ٤- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (بيشيا)، فلورانس ١٨١٨ م؛ حققه يوسف حسن ومحمود بسيوني (المطبعة العامة للكتاب ١٩٧٧ م).
- نثار الأزهار في الليل والنهار (جزء من «أزهار الأفكار» - اختصره ابن منظور)، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.
- كتاب الباء في رجوع الشيخ إلى صباه (رجوع الشيخ إلى صباه من القوة على الباء)، بولاق ١٣٠٩، القاهرة ١٣١٦.
- الأحجاز التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء (راجع الأعلام للزركلي).
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (هذه ابن منظور - حققه إحسان عباس)، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٩٨٠ م.
- ★★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٨٨ - ٢٩١؛ الديباج المذهب ٧٤ - ٧٥؛ الورقات لحسن حسني عبد الوهّاب، ص ٤٤٨ - ٤٦٠ (راجع له أيضاً: مجلّة الفكر - جوان ١٩٥٩ م - ص ٤ - ١٠؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٥ - ٢٠٨؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٩: ١٢؛ لعبد القادر زمامة؛ المجلّة الآسيوية ١٨٢٨ م، ص ٥ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٦٥٢،

(١) أي رأيتُ فيما يرى المنام.

(٢) كذا في الأصل. والصواب: موقدة (من أوقد): مشتعلة.

(٣) البَتَّة: أبداً، قط، مطلقاً.

(٤) مَسْلُوباً: مجرداً تماماً أملك.

الملحق ١: ٩٠٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٩ (٢٧٣، راجع الحاشية، ص ٢٧٤)؛ سركيس ١: ٦٥١-٦٥٢.

حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيِّ

١- هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ القرطبيِّ المالقيِّ، أصلُ أهله من قرطبة وقد انتقلَ جدُّه لأبيه - الحسنُ بنُ أحمدَ - إلى مالقة. ووُلِدَ حُمَيْدُ الأنصاريُّ في مالقة سنة ٦٠٧ للهجرة (١٢١٠-١٢١١ م).

سَمِعَ حُمَيْدُ الأنصاريُّ من أبي الحسنِ بنِ محمدٍ الشاري^(١). وسمع من كثيرين غيره في الأندلسِ والمغربِ والمشرق. وكان قبلَ رحلته (نحو ٦٤٩ هـ) قد تصدَّرَ في بلدِه مالقة للتدريس فأقرأ القرآنَ وحَدَّثَ ودرَّسَ الفقه والعربية (النحو).

وَرَحَلَ حُمَيْدُ الأنصاريُّ إلى المشرقِ بِنِيَّةِ الْحَجِّ. ويبدو أَنَّهُ وَصَلَ أَوَّلًا إلى الشام (سورية) ثُمَّ انتقلَ إلى مِصْرَ، ولكنَّه مَرَضَ في مصرَ ثُمَّ تُوُفِّيَ في الثاني والعشرين من ربيعِ الأوَّلِ من سنة ٦٥٢ (١١/٥/١٢٥٤ م).

٢- كان حُمَيْدُ الأنصاريُّ وَرِعًا زَاهِدًا مُتَقَشِّفًا. وقد كان مُقَرَّنًا للقرآنِ مجودًا ومُحدِّثًا حافظًا وفقيهاً وماهرًا في علم العربية (النحو). ثُمَّ هو كاتبٌ وشاعرٌ، وشِعْرُهُ كثيرٌ عاديٌّ قاصرٌ على الزُّهْدِ والحِكَمِ.

٣- مختارات من شعره

- قال حُمَيْدُ الأنصاريُّ في الناسِ وأحوالهم:

مَطَالِبُ النَّاسِ فِي دُنْيَاكَ أَجْناسُ فَأَقْصِدْ فَلَا مَطْلَبَ يَبْقَى وَلَا ناسُ^(٢).

(١) تُوُفِّيَ في رمضان من سنة ٦٤٩. وفي الديباج المذهب (ص ٤٦): أبو الحسن بن محمد الشارقي (وتكرار «الشاري» في الذيل والتذكرة يمكن أن يدل على أنَّ الشاري أصح).

(٢) اقصد: اعتدل.

وَأَرْضَ الْقَنَاعَةِ مَالًا وَالتَّقَى حَسَبًا،
وَأَنْ عِلَّتْكَ رُؤُوسٌ وَأَزْدَرَّتْكَ، فَفِي
فَمَا عَلَى ذِي تُقَى مِنْ دَهْرِهِ بَاسٌ (١).
بَطْنِ الثَّرَى يَتَسَاوَى الرَّجُلُ وَالرَّاسُ.

- وَقَالَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ بَيْنَ صُبْحِهِ
أَقَمْتُ عَلَى نَفْسِي فَنَاءً دَلِيلَهَا،
وَقَالَتْ: «تَمَتَّعْ مِنْ زَمَانِكَ سَاعَةً،
وَبَادِرْ إِلَى لَذَاتِ ذَاتِكَ وَأَغْتَنِمْ
وَعَرَّتْ وَمَا بَرَّتْ، وَلَكِنْ أَجَبْتُهَا:
وَلَيْلَ شَبَابِي قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ (٢)،
فَصِرْتُ بِوَجْهِ مُغْرَضٍ عَنْ دَلِيلِهِ (٣).
وَلَا تَبْكِيَنَّ الْهَوْلَ قَبْلَ نَزْوِلِهِ (٤)،
طُلُوعَ مُحْيَا الْبَذْرِ قَبْلَ أَفْوَلِهِ (٥).
«وَكَمْ نَاصِحٍ لِي مَا أَصْخَتْ لِقِيلُهُ (٦)»!

٤ - ** الذيل والتكملة ١: ١٣٨ - ١٤٣ (رقم ٢١٤)، الديباج المذهب ٤٦، بغية الوعاة
١٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩.

أبو الخطاب السكوني

١ - هو أبو الخطاب محمد (٧) بن أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن
خلف بن محمد بن عبد الله السكوني، أصله أهل من لبلة (في جنوبي البُرْتغال
اليوم - غرب إشبيلية). وكان مسكنه في إشبيلية، ثم غادرها لما استولى عليها

- (١) بأس: مشقة، ضرر.
- (٢) بين: ظهر. ليل شبابي (شعري الأسود، شبابي).
- (٣) فناء دليلها (٤).
- (٤) الهول: المصيبة الخيفة (الموت؟).
- (٥) البدر (المحبوب). الأفول: الغيب.
- (٦) عرّت (أي الدنيا أو النفس): خدعت. برّت: وفّت بما وعدت، صدقت بما قالت. أصخت: أملت
سمعي إليه، سمعت منه. القيل: القول.
- (٧) جاء في الذيل والتكملة ذكر ثلاثة إخوة لأبي الخطاب السكوني اسم كل واحد منهم «محمد» أيضاً. هم
أبو الحكم (٥: ٦٣٠، رقم ١١٩٩) وأبو عمر (٥: ٦٣٥، رقم ١٢٠١) وأبو الفضل (٥: ٦٣٦، رقم
١٢٠٢).

النصارى (٦٤٦ هـ). روى أبو الخطاب السُّكُوئيُّ فنوناً من العلم عن نفرٍ من أهلِهِ ثم عن نفرٍ آخرينَ منهم: أبو عبدِ اللهِ بنُ زَرْقُونِ (ت ٥٨٦ هـ) وأبو جعفرِ بنِ مَضاء (ت ٥٩٢ هـ) وأبو عمرانَ المارْتَلِيَّ الزَاهِدُ (ت ٦٠٤ هـ) وعبدُ المَلِكِ بنُ بَدْرُونِ (ت ٦٠٨ هـ) وأبو عُمَرَ بنِ عَساتِ (٥٤٢-٦٠٩ هـ) وأبو الحسنِ بنُ خَروفِ (ت ٦١٠ هـ) وأبو مُحَمَّدِ بنُ حَوْطِ اللهِ (ت ٦١٢ هـ) وأبو بَكْرِ بنُ طَلْحَةَ الإِسْبِيلِيَّ (ت ٦١٨ هـ).

وكتبَ أبو الخطابِ السُّكُوئيُّ، في أيامِ شبابه لِبَعْضِ الأُمراءِ ثم تَرَكَ ذلك. وكانت وفاته عن سِنٍّ عاليةٍ، في العَشرِ الأَواخرِ من شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٥٢ (النصف الثاني من آب - أغسطس من عام ١٢٥٤ م).

٢- كان أبو الخطابِ السُّكُوئيُّ حافظاً للحديثِ وفقيهاً وعارفاً بالتاريخ، كما كان مُبرِّزاً في علوم اللُّغة. وكان فصيحاً بليغاً يخطُبُ رَوِيَّةً وأَرتجالاً بينَ يَدَيِ الملوِكِ وفي المحافلِ الجُمهوريَّة. وله شِعْرٌ. غيرَ أنَّ شِعْرَهُ الواصلَ إلينا عاديٌّ وَيَنوُّ بأَشياءَ من الضَّعْفِ.

وكان أيضاً مُصَنِّفاً صَنَعَ بِرَناجماً سَمَّاهُ «التَّذْكِرة» ضَمَّنَهُ التَّعْرِيفَ بِشُيُوخِهِ وِبدارِكِهِمُ العِلْمِيَّةِ وبأَحوالِهِم وبطُرُقِ أَخْذِهِ عَنْهُمْ، وقد عَدَّ مِنْهُمْ نَيِّفاً وَتَسْعِينَ شَيْخاً. وكان هذا البرنامجُ ضَخْماً وَلَكِنَّهُ ضاعَ لَمَّا غادرَ أبو الخطابِ إِشبيليةَ.

وله أيضاً قصيدةٌ سَمَّاهَا «ناظِمةُ الفرائض»^(١) في عَقْدِ العَقائِدِ - الحُجُجِ الإِقناعِيَّةِ في المَحْجُورِ إِذا اسْتَعْمَلَ في الخُطَطِ الشَّرْعِيَّةِ - النِّفْعَةُ الدَّارِيَّةِ وَاللِّمَحَةُ البُرْهَانِيَّةِ في العَقِيدَةِ السُّنِّيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الإِيمَانِيَّةِ. وقد جُمِعَتِ جُمْلَةُ من رِسائِلِهِ الإِخوانِيَّةِ خَاصَّةً وَمِنْ أَشعارِهِ في كِتابِ عُنْوانِهِ «الْفُرَرُ وَالْدُّرَرُ» (جَمَعَهُ أَبُو بَكْرِ بنِ أَخِيهِ أَبِي عُمَرَ).

(١) في حاشية الصفحة ٦٣٢ (الذيل والتكملة، السفر الخامس): كذا في الأصل. ولعلها «الفرائد» (إذ الملموح أن هذه القصيدة في العقائد الإيمانية من علم الكلام، بينما «الفرائض»: في الموارث. والفريضة: اللؤلؤة الثمينة النادرة).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الخطاب محمد بن أحمد السكوني صاحب هذه الترجمة في السامر من الأسفار ومن أحوال الزمن وأحوال البشر:

أشكو إلى الله ما لا قيت من زمن في غربة عارضت في مآلف الوطن^(١).
إذا تنكر لي حالا (؟) تنكر لي أبناؤه وأثاروا نائر الإح^(٢).
أستغفر الله، كم لله من مني! لمت الزمان، ولا لوم على الزمن^(٣).
فالأمر لله في الحالات أجمعها، والكل لولاه لم يوجد ولم يكن.
هو الذي خلق الأشياء مخترعاً فالتمح بلامحة الأبواب والفتن^(٤).
وكن مع الله في علم وفي أدب مستوضحاً سنن القرآن والسني^(٥).

- وله في شيء من الجدال الكلامي (علم الكلام):

بمذكر العقل كل الخلق مطلوب كسباً، ولكن لرب الخلق منسوب^(٦).
مشيئة الحق في الأكوان كائنة علماً قديماً، وسر الغيب محبوب^(٧).
وكل شيء فمقدور بقدرته، وهو المسبب، ما للغير تسبب^(٨).

- (١) عارضت في مآلف الوطن: حالت دون استقرار في وطني.
- (٢) حالا (كذا في الأصل). لعل المقصود: إذا تنكر لي وطني (في حال من أحواله) تنكر لي (أيضاً) أبناء وطني. الصواب أن يقال: حال. ولعل «حالا» خطأ من النسخ (في الأصل المخطوط) أو في أثناء التصحيح (عند الطبع) أو من الإهمال.
- (٣) المنة: المعروف، الفضل (بلا مقابل).
- (٤) مخترعاً (على غير مثال سابق ومن غير مادة موجودة من قبل) فاعرف ذلك بمقلك.
- (٥) السنن (بفتح ففتح): الطريقة، المثال. السنن جمع سنة (بالضم فيها): عمل رسول الله.
- (٦) كل الناس مطالبون بأن يعملوا أعمالهم بعد تفكير (وإرادة)، مع العلم بأن الله تعالى هو الذي يجعل الإنسان قادراً على أعماله (هذا الرأي يرجع في علم الكلام إلى أن أعمال الإنسان مكتوبة عليه منذ الأزل، ومع ذلك فهو يباشرها بإرادته (أو على الأقل يكون راضياً بها).
- (٧) - كل ما يحدث الآن وبعد الآن في العالم هو بإرادة الله القديمة.....
- (٨) إن الله وحده قادر على كل شيء، وهو مسبب (موجد) الأشياء كلها. ولا يستطيع أحد غيره أن يوحد شيئاً.

فَسَلِّمِ الْأَمْرَ لِلْأَحْكَامِ وَأَرْضَ بِهَا، فَكُلُّ حُكْمٍ بِصَفْحِ اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ^(١).

٤- ★★ الذيل والتكملة ٥ : ٦٣٠-٦٣٥ (رقم ١٢٠٠).

أبو الحجاج البيهقي

١- هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البيهقي، وُلِدَ في بَيْسَةَ من كورة جَيَّانَ في ١٤ من ربيع الأول من سَنَةِ ٥٧٣ (١١٧٧/٩/١٠ م). وقد تَنَقَّلَ في البلاد: زارَ إشبيلية والجزيرة الخضراء وغيرها ثم انتقل إلى تُونَسَ وَلَزِمَ بَلَاطَ أَبِي زَكْرِيَّا بَحْيِي الحَفْصِيِّ (٦٢٦-٦٤٧ هـ) ونال عنده حُظْوَةً فَأَجْرَى أَبُو زَكْرِيَّا لَهُ رَاتِبًا شَهْرِيًّا. وَأَلَّفَ البيهقي لأبي زكريا كتابَ الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام. وكانت وفاته في الرابع من ذي القعدة من سَنَةِ ٦٥٣ (١٢٥٥/١٢/٥ م) في مدينة تونس.

٢- كان أبو الحجاج البيهقي أديباً بارعاً مُطَّلِعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر، عارفاً بأَيَّامِ العربِ وأشعارها في الجاهلية والإسلام. كثير الحفظ والرواية يحفظ النوادر والفكاهات المروية عن الأندلسيين مما جعله نديماً للملوك. وكان أيضاً عالماً في اللغة. ثم هو من أشيخ المؤرخين ومؤرخ الأندلس (المغرب ١ : ٢٠٥، ٤٢٧، ٧٣ : ٢). وهو مصنف له كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام (من مقتل عمر بن الخطاب إلى ثورة الوليد بن طريف الخارجي على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية). - ذيل على تاريخ ابن حيَّان - الحماسة المغربية (انتهى من تأليفها في مدينة تُونَسَ، في آخِرِ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٤٦). وله ذيلٌ على كتاب «المتين» (في التاريخ)، لأبي مَرْوَانَ حَيَّانَ بْنِ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ (ت ٤٦٩ هـ)، وكان ابن حيَّان قد أَلَّفَ هذا الكتابَ في عشرة أجزاء وجعله قاصراً على أحداث عصره (نفع الطيب ٣ : ١٨١).

(١) كن راضياً بالأحكام (بما يحكم عليك الله به في هذه الدنيا)، إذ لا فائدة من الاعتراض عليها فإنها مكتوبة (عليك) في صفحة اللوح المحفوظ (في السماء، منذ خلق الله السماء والأرض).

٣ - المختار من آثاره

- من مقدمة كتاب الحماسة المغربية:

..... أما بعد، فإنني قد كنتُ في أوانِ حداثتي وزمانِ شبوبي ذاك ولوعٍ بالأدب ومحبةٍ في كلامِ العرب. ولم أزل مُتَّبِعاً لمعانيه ومُفْتَشّاً عن قواعده ومبانيه إلى أن حصلتُ لي جملةٌ منه لا يسعُ الطالبُ المُجْتَهِدُ جَهْلُها، ولا يصلحُ الناظرُ في مثلِ هذا العلمِ إلا أن يكونَ عنده مثُلُها. وحملتني المحبةُ في ذلك العلمِ والولوعُ به على أن جمعتُ مما اخترتهُ واستحسنتهُ من أشعار العرب جاهليِّها ومُخَضَّرِها وإسلاميِّها ومولَّديها^(١) ومن أشعار المُحدِّثين من أهلِ المشرق والأندلس وغيرهم ما تحسُّنُ به المُحاضرة وتَجَمُّلُ عليه المناظرة^(٢).

ثم إنني رأيتُ أن بقاءها دونَ أن تَدْخُلَ تحتَ قانونٍ يَجْمَعُها وديوانٍ يُؤَلِّفُها مُؤَدِّ بذاهيها ومُؤدِّ إلى فسادها. فرأيتُ أن أضُمَّ مُختارَها وأُجَمِّعَ مستحسنَها تحتَ أبوابٍ تُقَيِّدُ نافرَها وتَضُمُّ نادرَها. فنظرتُ في ذلك فلم أجِدْ أقربَ تبويباً ولا أحسنَ ترتيباً ممَّا بَوَّبه ورَتَّبه أبو تَمَّامٍ حَبِيبُ بنُ أَوْسٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كتابهِ المعروف بكتاب الحماسة ولا أحسنَ من الاقتداء به والتَّوَخِّيَ لمذهبه لتَقَدُّمِهِ في هذه الصَّنَاعَةِ وأنفِرادِهِ منها بأوفرِ حظٍّ وأنفَسي بِضَاعَةٍ. فَاتَّبَعْتُ في ذلك مَذْهَبَهُ ونَزَعْتُ مِنْزِعَهُ، وَقَرَّنتُ الشُّعْرَ بما يُجَانِسُهُ ووَصَلْتُهُ بما يُنَاسِبُهُ. ونَقَّحْتُ ذلكَ وأَخْتَرْتُهُ على قَدْرِ اسْتَطَاعَتِي وبلوغِ طاقتي وجهدي.....

- وله هجاء فيه مُجَوِّدٌ في غلامٍ يُحِبُّه كان يقرأ عليه ثم شبَّ، قاله يخاطب آخر:

قد سلَّونا عن الذي تَذْريهِ وجَفَّونا إِذْ جَفَا بِالتَّيهِ؛

(١) الشعر المخصم هو الذي نظمهُ شاعر عاش في الماهلية والإسلام. والشعر المولَّد هو الشعر العبَّاسي لأنَّ عدداً كبيراً من الشعراء العبَّاسيين كانوا مولودين بين أب عربي وأم غير عربيَّة، أو لأنَّ معانيه كانت مولَّدة (مبتكرة أو منظورة) فيها إلى المعاني التي كانت عند غير العرب.

(٢) المُحاضرة كلامُ القوم الذين يحضرون مجلساً واحداً ويتناولون المُحاضرون فيه كلاماً وأخباراً ممَّا يحضُرهم ومن مُتناول أيديهم وذاكرتهم. والمناظرة: المُباحثة في أمر بالمُهاجَّة (بإقامة المُحجج) ومحاولة كلِّ مناظر أن يتغلَّب بالمُهاجَّة على مناظره.

وَتَرَكْنَاهُ صَاحِرًا لِلنَّاسِ خَدَعُوهُ بِالزُّورِ وَالتَّمْوِيهِ:
لِمُضِلٍّ يَهْدِيهِ نَحْوَ مُضِلٍّ وَسَفِيهِ يَقُودُهُ لِسَفِيهِ!

٤-★★ المغرب ٢: ٧٣؛ القدح المعلق ٩٤-٩٥؛ وفيات الأعيان ١: ٢٣٣، ٧:
٢٣٨-٢٤٤ (وفيها مختارات كثيرة من كتاب الحاسة المغربية)؛ نفح الطيب ٣:
١٨١، ٣١٦-٣١٧؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٢؛ بروكلمن ١: ٤٢٤، الملحق
١: ٥٨٨-٥٨٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٩-٣٣٠ (٨: ٢٤٩).

محمد بن عبد الله المرسّي

١- هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي
المرسّي، وُلِدَ في مُرْسِيَّة في أوَّلِ سَنَةِ ٥٧٠ (صيف ١١٧٤) أو آخِرِ ٥٦٩. قرأ القرآن
على أبي الحسين محمد بن غلبون المرسّي، وسمِعَ النحو من أبي الحسن علي بن يوسف بن
شريك الدائقي والطيب بن محمد بن الطيب والشلوبين وتاج الدين الكندي، وسمِعَ
الموطأ في المغرب من الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري.

وبعد أن تطوَّفَ في الأندلس والمغرب في طلب العلم رَحَلَ، سَنَةَ ٦٠٧ وَحَجَّ
وتطوَّفَ في الحجاز والشام والعراق ومصرَ وخُرَاسَانَ يَزِدَادُ عِلْمًا أو يتصدَّرُ
للتدريس^(١). وفي سَنَةِ ٦٢٤ انتقلَ إلى مِصرَ. وقد كانت وفاته في عَرِيشِ مِصرَ، وَهُوَ
مُتَوَجِّهُ إلى دِمَشْقَ، في خامسَ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٦٥٥ (١٢٥٧/٤/١ م)^(٢).

٢- كان مُحَمَّدُ بن عبد الله المرسّي مُفسِّراً ومُحدِّثاً وفقيهاً، كما كانت له مُشاركةٌ
في شيءٍ من المهندسةِ المُستوية^(٣) وفي عِلْمِ الكلام. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً

(١) راجع معجم الأدباء ١٨: ٢١٠، ٢١١؛ بغية الوعاة ٦١.

(٢) في بروكلمن (الملحق ١: ٥٤٦): في ٣ / ٤ / ١٢٥٧ م.

(٣) في معجم الأدباء (١٨: ٢١١، راجع بغية الوعاة ٦١): «وكان نبيلاً ضريراً يحمل بعض مشكلات
أقليدس». وهذا مستغرب لأن الأعمى لا يستطيع معالجة المسائل القائمة على الأشكال (إلا إذا كانت
كلمة «ضرير» خطأ في النسخ) .. ومع أن الصفدي قد ترجم له في الوافي بالوفيات (٣: ٣٥٤ - ٣٥٥)
فإنه لم يذكره في نكت الهميان في نكت الهميان.

وعالماً بالنحو. وكانت له تصانيف كثيرة ورَدَ له منها: رَيِّ الظَّهَانِ في تفسير القرآن (كبير جداً في عشرين جزءاً، قَصَدَ منه أن يَرْبِطَ عند التفسير بين الآيات) - التفسير الأوسط (عشرة أجزاء) - التفسير الصغير (ثلاثة أجزاء) - مختصر صحيح مُسَلَّم - كتابٌ في أصول الفقه والدين - كتاب في البديع والبلاغة - الإملاء على المُفَصَّل (للزَمَخْشَرِي) - الضوابط النحوية في علم العربية - الكافي في النحو - تعليقٌ على الموطأ. وله عددٌ من التعاليق أيضاً في فنون مختلفة.

٣ - مختارات من شعره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْسِيِّ في الثِّقَةِ بِعَفْوِ اللَّهِ:

قالوا: مُحَمَّدٌ، قد كَبُرَتْ - وقد أتى داعي المَنُونِ - وما اهْتَمَمْتَ بِزَادٍ (١) !
قلتُ: الكَرِيمُ - مِنَ القَبِيحِ لَضَيْفِهِ عِنْدَ القُدُومِ مَجِيئُهُ بِالزَّادِ.
- وقال في الغزل:

قالوا: فَلَانٌ قد أزال بهاءَهُ ذاك العِذارُ، وكان بَدَرَ تَامٍ (٢).
فأَجَبْتُهُمْ: بل زادَ نورُ بهائِهِ، ولذا تَضَاعَفَ فيه فَرْطُ غرامي.
واستَقْصَرَتْ الحَاطِظَةُ فَتَكَاتِهَا فَأتى العِذارُ يُمِدُّهَا بِسِهامٍ (٣).

- وقال في أَنَّ النِّجَاةَ (يومَ القيامة) تكونُ بِاتِّبَاعِ كتابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ:
من كان يَرِغَبُ في النِّجَاةِ فما له غيرُ اتِّبَاعِ المُصْطَفَى فيما أتى (٤).
ذاكَ السَّبِيلُ المُسْتَقِيمُ؛ وغيرُهُ سُبُلُ الغَوَايَةِ والضَّلَالَةِ والرَّدَى (٥).

- (١) مُحَمَّد (منادى: يا مُحَمَّد). المَنُون: الموت. الزاد (هنا): التقوى والأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان في الآخرة. في القرآن الكريم (٢: ١٩٧، البقرة): ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.
- (٢) بهاءه: جماله. العِذار: الشعر النابت في الوجه. كان بدر تام: كان وجهه قبل أن ينبت شعر وجهه أبيض كله (يشبه البدر)...
- (٣) - مع تقدّمه في الشباب خَفَّ السَّحَرُ في عينيه فَمَوَّضَ من ذلك الشَّعر الذي يبدأ فينبت في وجهه (وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ بَدْءَ نَبَاتِ الشَّعر في الوجه يزيد في الجمال).
- (٤) المصطفى: مُحَمَّد رسول الله. فيما أتى به مُحَمَّد رسول الله.
- (٥) الردى: الموت، الهلاك.

فَاتَّبَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي صَحَّتْ فِذَاكَ إِذَا اتَّبَعْتَ هُوَ الْهُدَى (١)
وَدَعَ السُّؤَالَ بِكُمْ وَكَيْفَ؟ فَإِنَّهُ بَابٌ يَجْرُ ذَوِي الْبَصِيرَةِ لِلْعَمَى (٢).
الدينُ مَا قَالَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُمْ قَفَا (٣).

٤-★★ معجم الأدباء ١٨: ٢٠٩ - ٢١٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٤ - ٣٥٥؛ بغية الوعاة ٦٠ - ٦١؛ نفح الطيب ٢: ٢٤١ - ٢٤٢؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٠ (٦: ٢٣٢).

ابن الجنان الأنصاري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الجنان (٤) الأنصاري من أهل المريّة. أخذ ابن الجنان الأنصاري العلم عن نفرٍ منهم: أبو الحسن سهل بن مالك وأبو بكر عزيز بن عبد الملك القيسي المُرسيّ (ت ٦٣٦ هـ) والمعروف بابن خطاب النّحوي (نفح الطيب ١: ٢٢٢) ثم عبد الله بن عبد الحق بن قطرّال المتوفى أيضاً سنة ٦٣٦ للهجرة (راجع نفح الطيب ٥: ٢٥٦ و ٧: ٤١٦) ثم أبو الربيع بن سالم وأبو عيسى بن السّداد ثم أبو عليّ الشّلوّينيّ (ت ٦٤٥ هـ).

واتّصل ابن الجنان الأنصاريّ بالمتوكّل محمد بن يوسف بن هودٍ صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). فلما استولى الإسبان على مرسية (٦٤٠ هـ) انتقل إلى أوريولة. ثم جاءته دعوة من ابن خلاص صاحب سبتة (المغرب) فانتقل إلى سبتة. ثم انتقل إلى

-
- (١) كتاب الله: القرآن الكريم. السنن (جمع سنة): العمل الذي كان الرسول يقوم به، والأحاديث التي كان يقولها.
 - (٢) في الحياة أمور مغيّبة (وراء الحسّ الإنساني) لا فائدة من محاولة معرفتها؛ والبحث عن أسبابها وكيفياتها يزيد في غموضها وفي حيرة الباحث.
 - (٣) الصّحب والصّحاب: الذين عاشوا في زمن الرسول وعرفوه وصحبوه. التّابعون: الذين لم يروا الرسول، ولكن رأوا صحبه. قفا يقفوا: تبع.
 - (٤) اختار خير الدين الزركليّ أن يسمي ابن الجنان هذا (الأعلام ٧: ٢٥٦ = ٧: ٢٩) ابن الجنان بالبلاء بنقطتين تحتها. راجع تعليقه.

بجاية. وفي بجاية مَرَضَ ثُمَّ تُوُفِّيَ نحو ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م).

٢- كان ابنُ الجنان الأنصاريُّ من العلماء بالحديث والفقه، كما كان أديباً وخطيباً بارعاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مُحَسَّناً. وفنون شعره الزُّهد والمواعظ والبديعيات (القصائد في مدح الرسول) والألغاز. والسهولة والعذوبة تغلبان على شعره. ونثره متينٌ حَسَنُ الصَّنَاعَةِ. وله موشحات.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الجنان الأنصاريُّ (في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه) يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ:

جَهَلَ الطَّيِّبُ شِكَايَتِي؛ وَشِكَايَتِي أَنَّ الطَّيِّبَ هُوَ الَّذِي هُوَ مُمَرِّضِي^(١).
فَإِنْ أَرْتَضِي بُرْنِي تَدَارِكْ فَضْلُهُ، وَإِنْ أَرْتَضِي سَقَمِي رَضِيتَ بِمَا رَضِي.
مَا لِي اعْتَرَضُ بِالَّذِي يَقْضِي بِهِ، لَكِنْ لِرَحْمَتِهِ جَعَلْتَ تَعَرُّضِي^(٢).

- وقال في الشفاعة برسول الله:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ لَمْ أَكْفَرْ ذَنْبَهُ بِذِكْرِ شَفِيعٍ فِي الذُّنُوبِ مُشَفَّعٍ^(٣).
وَلَمْ أَقْضِ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً عَلَى ذِي مَقَامٍ فِي الْحِسَابِ مُرْفَعٍ^(٤).
أَرْجِي لَدَيْهِ النِّفْعَ فِي صِدْقِ حُبِّهِ، وَمَنْ يَرْتَجِ الْمُخْتَارَ لَا شَكَّ يُنْفَعُ^(٥).
وَأَهْدِي إِلَى مِثْوَاهِ مَنِّي تَحِيَّةً إِذَا قَصَدْتَ بَابَ الرِّضَا لَمْ تُدْفَعْ.

(١) الطبيب (في الشطر الأول): الحكيم الذي يداوي الناس. الشكاية: المرض. الطبيب (في الشطر الثاني): الله.

(٢) - مع أَنَّ الإنسان المؤمن لا يجوز له أن يعترض على أحكام الله، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغُ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ (يتصدى، يتوجه) الإنسان في طلب الخير من الله.

(٣) الشفيع المشفع يوم القيامة محمد رسول الله (ولكنه يشفع بعد إذن الله له بذلك). ففي القرآن الكريم (٣٢: ٤، سورة السجدة): ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ (من دون الله) مَنْ وَلَّى وَلَا شَفِيعٌ﴾ ثم (٢: ٢٥٥، سورة البقرة): ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ (عند الله) إِلَّا بِإِذْنِهِ؟﴾.

(٤) ذو مقام في الحساب (يوم القيامة) مرفع (عالي المقام): محمد رسول الله.

(٥) المختار (محمد رسول الله).

- الموشحة المشهورة.

هذه الموشحة بديعية في مدح الرسول وذكر فضائله ومُعجزاته. وهي مشهورة جداً لا تزال إلى اليوم تُسمع في المناسبات الدينية. ولقد كانت شهرتها منذ أيامه هو واسعة جداً عارضها أو قلدها شعراء كثيرون^(١). من هذه الموشحة.

الله زاد مُحَمَّداً تَكْرِيمًا
وَحَبَاهُ فَضْلاً مِنْ لَدُنْهُ عَظِيماً^(٢)
وَاخْتَصَّصَهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيماً
ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً. صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً^(٣).

★ ★ ★

حَازَ الْحَمَامُ الْمَادِحَ أَحْمَدُ^(٤)،
وَزَكَّتْ مَنَاسِبُهُ وَطَابَ الْمَخْتِئِدُ^(٥).
وَتَأَثَّلَتْ عَلَيْهِ أَوَاهُ وَالسُّودُّ^(٦)
مَجْدًا صَمِيحًا حَادِثًا وَقَدِيمًا. صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً^(٧).

★ ★ ★

فَخَرَّ لَأَدَمَ قَدَّ تَقَادَمَ عَصْرُهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُذَرَى وَيَجْرَى ذِكْرُهُ.
سِرُّ طَوَاهِ الطُّبِّ سَيْنُ فَهَمَّ نَشْرُهُ

-
- (١) راجع نفع الطيب ٧: ٤٣٢ - ٥١٩ (في أماكن كثيرة متتالية ومتفرقة).
(٢) حباه: أعطاه. من لدنه: من عنده (لا يقال إلا في الله).
(٣) راجع التعليق في ترجمة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ) على «صلّوا عليه وسلّموا تسليماً».
(٤) أحمد (محمّد رسول الله).
(٥) زكا: طاب، طهر. المنسب (القراية). والمناسب: أصول الفرد وآبأؤه. المحدث: الأصل (الكريم) والطبع (السليم).
(٦) تأثّل: ثبت، عظم. السودد (والسودد، أيضاً): السيادة.
(٧) الصميم: وسط الشيء، الخالص النقي من كلّ شيء (خيراً أو شراً).

معنى السجود لآدم تفهيماً^(١). صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

★ ★ ★

آيَاتُهُ بَهَّرَتْ سَنَاءً وَسَنَاءً^(٢)

وَأَفَادَتْ الْقَمَرِينَ مِنْهُ ضِيَاءً^(٣)

وَعَلَّتْ بِأَعْلَامِ الظُّهُورِ لَوَاءً^(٤)

فَهَدَى بِهِ اللَّهُ الصِّرَاطَ قَوِيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

★ ★ ★

دَنَّتِ النُّجُومُ الزُّهْرُ يَوْمَ وَلادَتِيه،

وَرَأَتْ حَلِيمَةً آيَةً لِسَيَادَتِيه.

وَتَحَدَّثَتْ سَفْدٌ بِذِكْرِ سَعَادَتِيه

فَتَفَاءَلُوا، نِعَمَ الْيَتِيمِ يَتِيماً^(٥). صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

★ ★ ★

مَـا زَالِ بُرْهَانُ النَّبِيِّ يَلُوحُ:

يَفْغَدُو بِهِ الْإِعْجَازُ ثُمَّ يَرُوحُ،

(١) في الأخبار المروية أنّ «محمّداً» (صلّى الله عليه وسلّم) كان موجوداً قبل آدم أبي البشر. وفي هذه المحمسة أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (راجع القرآن الكريم، مثلاً، ٢: ٣٤، سورة البقرة) لأنّ «النطفة» التي نشأ منها «محمّد» كانت موجودة في آدم منذ ذلك الحين (وهذه أقوال مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، في أماكن كثيرة).

(٢) الآية: العلامة، المعجزة التي يختصّ الله بها بعض خلقه دون بعض (انقلاب العصا حيّة كان آية لموسى). بهر: أدهش، حير، غلب، ستر (الأشياء الماثلة). السنا: ضوء البرق. السناء: العلوّ، الرفعة.

(٣) القمران: الشمس والقمر.

(٤) العلم: الجبل. الظهور جمع ظهر: رأس الجبل. اللواء: الراية (يسير بها الرجل فيتبعه الناس). وعلت.... فاق (محمّد) برسالته جميع الذين جاءوا قبله.

(٥) دنا: اقترّب. الزهر: اللامعة. حليلة السعدية: مرضعة رسول الله. سعد (بنو سعد: قبيلة حليلة السعدية) - في هذه الأشرطة علامات ينسبها الشاعر (كما نسب نفر كثيرون مثلها) إلى ولادة الرسول (وليست من الأخبار الصحاح - وقد قال الرسول: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد: اللحم المجفف).

حَتَّى أَتَاهُ بِعَدَاكَ الرُّوحُ^(١)
يُوحِي لَهُ وَخَى الْآلِهَ حَكِيماً. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

بَرَكَاتُهُ أَرْسَلَتْ عَلَى التَّغْدَادِ^(٢)
كَمْ أَطْعَمَتْ مِنْ حَاضِرِينَ وَبَادِ
مِنْ قَصَصَةٍ أَوْ حَثِيَّةٍ مِنْ زَادِ
رِزْقاً كَرِيماً لِلجِيُوشِ عَمِيماً^(٣)! صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

وَالْجِذْعُ حَنَّ لَهُ حَنِينَ الْوَالِدِ^(٤)،
يُيَدِي الَّذِي يُخْفِيهِ مِنْ بِلْبَالِهِ^(٥).
أَفْلا يَحْنُ مُتَيِّْمٌ بِجِبَالِهِ^(٦)
يَشْتَاقُ وَجْهاً لِلنَّبِيِّ وَسِيماً^(٧)? صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

ذَاكَ الشَّيْفِيعُ مَقَامُهُ مَحْمُودٌ،

-
- (١) برهان النبي... ما عهده معاصروه من صدقه وأمانته واهتمامه بخير قومه. الروح: جبريل.
(٢) أربى: زاد. الحاضر: الساكن في المدينة. البادي: الساكن في البادية. القصعة: وعاء صغير يوضع فيه الطعام. الحثية (ليست في القاموس). الحثي: ما يؤخذ (من الأشياء) باليد: مقدار كفاً (شيء قليل).
(٣) العميم: الجمع الكثير.
(٤) كان في صدر مسجد الرسول في المدينة جذع (قطعة من ساق شجرة ضخمة) كان الرسول يقف عليه ليخطب في المسجد. فبعد وفاة الرسول أخذ نفر من الناس يأتون إلى هذا الجذع للتبرك به ثم يقولون إنهم يسمعون منه حينئذٍ (صوتاً يدلّ على الشوق والحزن) كحنين الوالد (الشديد الحزن، المتعير). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجذع لأنه قدّر أن سلوك نفر من الناس عند هذا الجذع يدلّ على الوثنية.
(٥) البلبال: اضطراب العقل وتحيريه بأفكار مختلفة تخطر له.
(٦) المتيمّم: الذي أمرضه الحبّ.
(٧) الوسيم: الجميل.

وَلِوَاؤُهُ يَبِيدُ الْعُـمَلَاقَ مَعْقُودُ.
فَإِذَا تَوَافَسَتْ لِلْحِسَابِ وَفُودُ^(١)،
قَالُوا: تَقَدَّمَ بِالْأَنَامِ زَعِيمَا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا.

★ ★ ★

فَيَقُومُ بِالْبَابِ الْعَلِيِّ وَيَسْجُدُ،
وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ، أَنَا الْمَوْعِدُ^(٢).
فِيْجَابُ: قُلْ يُسْمَعُ إِلَيْكَ، مُحَمَّدُ!
وَنُزِيكَ مِنَّا نَضْرَةٌ وَنَعِيمَا^(٣). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا.

★ ★ ★

أَعْظَمُ بِعِزِّ مُحَمَّدٍ وَبِجَاهِهِ.
أَكْرَمَ بِهِ مُتَوَسِّلًا لِأَلْهِهِ^(٤).
شَرِبَتْ كِرَامُ الرُّسُلِ فَضْلَ مِيَاهِهِ^(٥)،
فَقَدَتْ تُعْظَمُ حَقَّهُ تَعْظِيمَا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا.

★ ★ ★

يَا سَامِعِي أَخْبَارِهِ وَمَفَاخِرِهِ
وَمُطَالَعِي آثَارِهِ وَمِآثِرِهِ^(٦)،
وَمُؤَمِّلِي وَافِي الثَّوَابِ وَوَاغِرِهِ،
إِنْ شِئْتُمْ فَوْزًا بِذَلِكَ عَظِيمَا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا.

(١) للحساب: ليوم الحساب (يوم القيامة) وفود الأمم المختلفة (من أتباع الأنبياء).
(٢) فيقوم (يقف) بالباب العليّ (بين يدي الله). أن: قرب، حلّ. الموعد: الوعد (وعد الله بتفضيل أمة محمد على غيرها من الأمم، ففي القرآن الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ - لِلنَّاسِ﴾).

(٣) النضرة (هنا) تُلَأْؤُ الوجة من نشاط أو سرور.

(٤) توَسَّلَ الرجل: طلب شيئاً (تمن هو فوقه) مع الرجاء.

(٥) شربت الرسل فضل مياهه (إنائه): كانت رسالاتهم جزءاً من رسالته

(٦) المآثرة (بضم الميم): المكرمة (العمل الكريم) المتوارثة.

- من وصية كتبها ابن الجنان الأنصاري على لسان ابن هود^(١) إلى أولاده وعُمَّالِه الموظفين في دولته).

.... إنا - والله المرشد - نَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ الذي قَلَدْنَا الله تعالى منه ما قَلَدَهُ، وَأُسْنَدَهُ إلينا من أُمُورِ خَلْقِهِ ما أَسْنَدَهُ، قد أَلَزَمَنَا من حُقُوقِهِ الواجِبَةِ وفُرُوضِهِ الرَاتِبَةِ ما لا يُسْتَطَاعُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ أَدَاؤُهُ^(٢)، ولا يَسْتَتِيبُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ تعالى انتِهاؤُهُ وابتدأؤُهُ. فَهُوَ المشكورُ عَزَّ وَجَلَّ على نِعْمَتِهِ والمُسْتَعَانُ على ما يُدِينِي من رِضاهِ ويُقَرِّبُ من رَحْمَتِهِ. وَإِنَّ كُلَّ امرئٍ بِشَأْنِهِ مشغولٌ، وعن خُوصِيَّةٍ^(٣) نفسه مسؤول. ونحن بما اشترعانا اللهُ تعالى مشغولون، وعن الكبير والصغير مسؤولون. وعلينا النصيحةُ لله في عبادِهِ وبلادِهِ، والنظرُ لهم بِمُنْتَهَى جِدِّ المُجْتَهِدِ واجْتِهَادِهِ. ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله عليه تَوَكَّلْنَا، وبِهِ إليه تَوَسَّلْنَا^(٤). فَعَيْنُنَا تَسْهَرُ لِتَنَامَ للرعيَّةِ عُيُونُهُمْ، وَتَحَرُّكُنَا يَتَّصِلُ لِيَحْصُلَ لَهُمْ سُكُونُهُمْ. وَأَمَلْنَا أَلَّا نَقَرَّ فِيهِمْ بِحَوْلِ اللهِ تعالى ظُلْماً ولا هَضْماً^(٥)، ولا نَخْرِمُ لَهُمْ في إقامة حقوقِ اللهِ ما اسْتَطَعْنَا نَظْماً. وَأَنَّى^(٦) يَنْصَرَفُ، عن هذا القَصْدِ بِعَمَلِهِ وَنِيَّتِهِ، مَنْ يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ جلَّ جلالُهُ لا يُجَوِّزُ ظُلْماً ظالِمٍ في بَرِيَّتِهِ^(٧). وَلَعَلَّ اللهُ الذي حَمَلَنَا ما حَمَلْنَا، واستَعْمَلَنَا بِمُشِيئَتِهِ فيما اسْتَعْمَلْنَا، أَنْ يَهَبَ لَنَا تَوْفِيقَهُ وَيَسْلُكَ بِنَا إلى هُدَاهِ طَرِيقَهُ.

- دَمَ الدنيا (من خُطْبَةِ لابنِ الجنانِ الأنصاري):
.... فَبُيِّنَتْ الدارُ داراً لا تُداري، ولا تُقِيلُ لِعائِرها عِثَاراً^(٨)، ولا تَقْبَلُ

-
- (١) المتوكل بن هود صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).
 - (٢) الراتب: المتكرر على نسق واحد. أداؤه: القيام به.
 - (٣) الخوصية تصغير الخاصة التي هي نسبة إلى الخاصة (ما يخص نفسك دون غيرك).
 - (٤) نستعين بالله في طلبنا شيئاً من الله.
 - (٥) المضم: أن يكون لأحد عندك حق فتعطيه جزءاً منه فقط (والظلم أن تسلبه كلَّ حق).
 - (٦) أنى: كيف؟
 - (٧) البرية: الخلق (بالفتح) جميع الناس.
 - (٨) الدار: هذه الدنيا. لا تقيل لعائرها عثاراً (لا ترفع ساقطاً من سقطته): لا تغفر ذنباً (جاء به أحد خطأ).

لِمُعْتَذِرٍ أَعْتَذَرًا، وَلَا تَقِي مِنْ جَوْرِهَا ^(١) حَلِيفًا وَلَا جَارًا. وَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَهْدٍ وَلَا ذِمَامٍ: كَمْ فَتَكَّتْ بِقَوْمٍ غَافِلِينَ عَنْهَا نِيَامٍ، كَمْ نَازَلَتْ بِنَوَازِلِهَا مِنْ قِبَابٍ وَخِيَامٍ ^(٢)، كَمْ بَدَّلَتْ مِنْ سَلَامَةٍ بِدَاءٍ وَمِنْ صِحَّةٍ بِسَقَامٍ.. كَمْ أَبَادَتْ طَوَارِقَ حَوَادِثِهَا مِنْ شَيْخٍ وَكَهْلٍ وَغُلَامٍ. لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا تَرِثِي لَوَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ، وَلَا تُخْلِدُ سُرُورًا فِي خَلَدٍ ^(٣)، وَلَا يَمْتَدُّ فِيهَا لِأَمَلٍ أَمَدٌ. بَيْنَا يُقَالُ قَدْ وَجَدَ، يُقَالُ قَدْ فَقَدَ! بَعْدًا لَهَا قَدْ طُبِعَتْ عَلَى نَكَدٍ وَكَمَدٍ، فَالْفَرَحُ فِيهَا تَرَحُّ، وَالْحَبْرَةُ عَبْرَةٌ ^(٤)، وَالضَّحِكُ وَالْأَبْتَسَامُ بُكَاءٌ وَأَدْمَعُ سِجَامٌ ^(٥). تُفَرِّقُ الْأَحْيَةَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ، وَتُسَكِّنُ الْوَحْشَةَ مُؤَسَّ رِبَاعِهِمْ ^(٦)، وَتُبْسِجُ بِالْحِيَامِ ^(٧) حِمَى الْأَعْرَةِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى امْتِنَاعِهِمْ، وَتَسْتَجِثُّ رَكَائِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَارْتِجَاعِهِمْ ^(٨)، فَيَسِيرُونَ طَوَعَ الزَّمَامِ ^(٩)، وَيُلْقُونَ مَقَادَةَ التَّذَلُّلِ وَالِاسْتِسْلَامِ، حَتَّى يَلْجَأُوا بِالرَّغَامِ وَيَنْزِلُوا بِطُونِ الرَّجَامِ وَيَجْلُوا الْوَهْدَ بَعْدَ الْمَقَامِ السَّامِ ^(١٠). فَلَا نَاجٍ مِنْ خَطْبِهَا الْعَظِيمِ وَلَا سَلِيمٌ ^(١١): يَتَسَاوَى فِي حُكْمِ الْمَنِيَةِ الْأَغْرُ وَالْبَهِيمِ

- (١) وقى، بقي: حمى، دافع عن. الجور: الظلم، الحيد عن طريق الحق.
(٢) نازلت: حاربت، اعتدت. النازلة: المصيبة. قباب (أهل القباب). القبة: خيمة كبيرة من جلد يسكنها الرؤساء والأغنياء. والخيمة تكون (في العادة صغيرة من شعر أو صوف أو نسيج آخر ويسكنها عامة الناس). الدنيا عدو لجميع الناس.
(٣) لا ترثي لفنان: لا ترحه. لا تخلد: لا تبقي، لا تديم. ثم اقرأ: ولا تخلد سروراً ولا في خلد (في بال): لا يحظر ببال أحد أن الدنيا تدوم لأحد.
(٤) ترح: حزن. الحبرة: السرور. عبرة: دمعة (حزن، أسف).
(٥) السجام مصدر سجم: سال (كثيراً أو قليلاً). وابن الجنان (هنا) يصف الدموع بالمصدر «سجام» والمصدر (إذا جعلناه صفة) يلزم الأفراد أكان الموصوف مفرداً أو جمعاً.
(٦) الرباع جمع ربع (بالفتح): المكان المسكون.
(٧) الحيام (بالكسر): الموت.
(٨) تحتت: تحرّض وتحت على السرعة (تسوق بعنف). الركائب جمع ركوبة: دابة تركب في السفر. إلى الله (أي بالموت). ارتجاع (الخلق إلى الله: ردّ الناس إلى الله (يوم القيامة) لحسابهم.
(٩) الزمام: لجام الدابة، رسنائه.
(١٠) الرغام: التراب. الرجام جمع رجة (بالفتح): حجر ينصب على القبر. الوهد: الأرض المنخفضة، الحفرة. السام (حقاً أن تكون: السامي): العالي (لأن المنقوص تلزمه الياء في التعريف والإضافة: هو سام، ولكنه سامي المقام والسامي في المقام.
(١١) الخطب: المصيبة. الخطب العظيم: الموت. سليم معطوفة على ناج.

والأعزُّ والمُضيمُ^(١).....

٤- ** عنوان الدراية ٣٠٢-٣٠٦؛ الإحاطة (١٣١٩ هـ) ٢: ٢٥٦-٢٦٤؛ نفح
الطيب ٧: ٤٠٦-٤٣٨، ٤٤٠-٤٤١، ٥٠١-٥٠٢، ٥٠٦-٥٠٧؛ الأعلام
للزركلي ٧: ٢٥٦ (٢٩).

أبو الحسن الشاذليّ

١- هو نور الدين أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ الله بن عبدِ الجبارِ الشريف^(٢) الزرّويّ الشاذليّ، وُلِدَ في قرية غُمارَة قرب سَبْتَة^(٣)، سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) ونشأ فيها وتلقّى علومه الأولى.

تاقت نفسُ أبي الحسن إلى التصوّف منذ مَطْلَعِ شبابه فانتقل إلى زَرْوِيلَة^(٤). ثم إنّه جاء إلى فاسَ فلقِيَ نفراً من أتباع الصوفيّ المشهور أبي القاسم الجُنيد البغداديّ (ت ٢٩٧ هـ) ومن أتباع أبي مدين، أشهرهم عبدُ السلام بن مَشيش (ت ٦٢٥ هـ) وأبو عبد الله محمد بن حِرْزَمِ المعروف بابن حَرَاظِم وبأبي حِرْزَم (ت ٦٣٣ م) وأخذ عنهم مُعْظَمَ معارفه وطريقة سلوكه في التصوّف.

(١) النية: الموت. الأغرّ: الأبيض (الكريم الأصل). البهم: الأسود (المجهول الأصل). ويقال للشيء إذا لم يكن واضحاً في جودته أو في رداءته: لا أغرّ ولا بهيم. المضيم (بالفتح): الذليل.

(٢) أبو الحسن الشاذلي من البربر أهل المغرب الأقصى كما يدلّ على ذلك مولده في قرية غمارَة وتقلّبه في المغرب في مطلع حياته - في زرويلة وفاس. ولكن أتباعه المتأخرين رفعوا نسبه إلى الطلوين عامّة مرّة، وإلى الإدارة مرّة ثانية خاصّة - ومن هنا أطلقوا عليه لقب الشريف. ويحسّن أن نلاحظ أيضاً أن هؤلاء المؤرّخين لحياته جعلوه يلتقى من مشاهير الصوفيّين والعلماء نفراً لم يجمع بينه وبينهم مكان ولا زمان - جريباً على عادة نفر من المؤرّخين الذين لا يحكمون قوانين المنطق وطبيعة العمران ومجاري العادة عند التأريخ. - ومعظم الذين أرخوا لأبي الحسن الشاذلي شغلوا أنفسهم بالكرامات (شبه المعجزات) وبالروايات الخيالية والمنامات أكثر ممّا رجّعوا إلى التاريخ وإلى ضبط أحداث حياة الشاذليّ بالتواريخ.

(٣) سبته مرقاً المغرب الأقصى على البحر الأبيض المتوسط.

(٤) زرويلة بلدة كانت عند شفشاون، قريبة من تطوان (في الجانب الشمالي من المغرب الأقصى).

بعدئذٍ انتقل إلى تونس وتلقّى على نفرٍ من علمائها التفسيرَ والحديثَ والفقهَ والنحوَ والأدبَ ولقيَ فيها المتصوّفَ أبا سعيدٍ الباجيَّ (ت ٦٢٨ هـ).

ولعلَّ عبدَ السلامَ بنَ مشيشٍ كان قد أشار على أبي الحسن الشاذلي بالتوجّه إلى تونس توسيعاً لطريقة التصوّف فانتقل أبو الحسن إلى تونس وأتخذَ رباطاً^(١) في جبل زغوان وأخذَ ينشرُ دعوته في بلدةٍ شاذلةٍ قريباً من رباطه. وكثُرَ أتباعُ أبي الحسن في تونس وعظُم نفوذُه فسعى به أبو القاسم بن البراء قاضي الجماعة بتونس إلى السلطان أبي زكريّا الحفصيّ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فتعرّض أبو الحسن لشيءٍ من الاضطهاد ثم نُفيَ عن تونس فجاء إلى مصرَ، ولعلّه في هذه الفترة ذهب إلى العراق ولقي في بغداد أبا الفتح الواسطيَّ (ت ٦٣٢ هـ).

وعاد أبو الحسن الشاذليُّ إلى تونس سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، ولكنه أزعجَ عنها من جديد فرجعَ إلى مصرَ (٦٤٢ هـ) ومعه نفرٌ من خاصّةِ أتباعه أشهرُهم أبو العباسِ المرسِي^(٢). واستقرَّ الشاذليُّ وأتباعُه في الاسكندرية واتّسعت دعوته هناك فتعرّض لشيءٍ من الاضطهاد. ثم كُفَّ بصرُه - أو ضعُف كثيراً - سنة ٦٤٦ هـ. ويُقال إنّه أشترك في تلك السنة نفسها في معركة المنصورة التي نشبت بين المسلمين وبين الحملة الصليبيّة السادسة التي كان يقودها لويس التاسع ملك فرنسا والتي أُسرَ فيها لويس نفسه.

وسار أبو الحسن الشاذليُّ في نفرٍ من أتباعه إلى الحجّ - بعد أن كان قد حجّ مراراً من قبل - فأصابته وعكةٌ في قرية حُميرة^(٣) بصحراء عيذاب من صعيد مصرَ، فتوفّي في شهر شوالٍ من سنة ٦٥٦ (تشرين الأوّل - أكتوبر ١٢٥٨ م) فتولّى أبو العباس المرسِي دَفَنَهُ.

(١) الرباط: محلّ ربط الخيل؛ وهو مكان تنزل فيه جماعات من المجاهدين لصدّ العدو عن تخوم البلاد الإسلامية. ثم أصبح الرباط دالاً على بناء صغير ذي قبة يقيم فيه رجل أو نفر من الرجال للزهد والتصوّف، أو للعبادة.

(٢) أبو العباس المرسِي: هو شهاب الدين أحمد بن عمر (ت ٦٨٦ هـ).

(٣) حميرة (بالتصغير) وباء (ثالث حروف الهجاء منقوطة بنقطتين من فوقها) علم (بفتح ففتح) في صحراء عيذاب، من صعيد مصر (راجع القاموس ٢: ١٤ ثم تاج العروس - الكويت ١١: ٩٤).

٢ - أبو الحسن الشاذلي من كبار أصحاب الطرق^(١) الصوفية ومن أشهرهم. وكان الشاذلي قد تأثر بعدد من كتب التصوف المشهورة منها: المواقف والمخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النيفري (ت ٣٥٤ هـ) - قوت القلوب لأبي طالب المكي (ت ٣٨٧ هـ) - الرسالة البيانية لأبي القاسم القشيري (٤٦٥ هـ) - إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥). ومع أن الشاذلي من أصحاب التصوف المعتدل في التفكير والسلوك، فإن الجانب السلبي بارز في حياته جداً: إن تصوفه يقوم على أربع دعائم: الذكر وبساطة العمل الصالح، التفكير وبساطة الصبر، الفقر وبساطة الشكر، الحب وبساطة بغض الدنيا وأهلها، وثمره ذلك محاولة الاتصال بال محبوب (الله). ويبدو أن الشاذلي كان في أول حياته أكثر ميلاً إلى الكيف والجهد والعمل الاجتماعي، ولكن لم يُحرز نجاحاً في كifah في المغرب الأقصى وتونس ومصر ثم ناله من محاولة العمل الإيجابي اضطهاداً مستمراً، فآثر الإخلاق إلى الوجه السلبي من التصوف.

وكان للشاذلي نظم.

والشاذلي مُصنّف له: عمدة السالك على مذهب الإمام مالك في العبادات وغير ذلك - المقدمة العزمية للجماعة الأزهرية (مختصر الكتاب السابق) - كتاب الإخوة - الرسالة الحوذنية - التسلي والتصور على ما قضاه الله من أحكام أهل التجبر والتكبر - خميس رائية أي مدني - ديوان - مجموع أشعار^(٢) - رسالة الأمين - الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواص (السّر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل). وللشاذلي أحزاب^(٣) كثيرة منها: حزب البرّ (أو الحزب الكبير) - حزب البحر - حزب الإخفاء - حزب النصر - حزب الطمس على عيون الأعداء - حزب اللطف - حزب الفتح (أو حزب الأنوار) - حزب الضحى - حزب

(١) الطرق جمع طريقة: أسلوب للحياة الصوفية يقوم على الاقتداء بشيخ صوفي معين مع اتّخاذ مسلك معين وقراءة أحزاب معينة (الحزب: راجع حاشية تالية).

(٢) لعلّ هذا المجموع هو الديوان.

(٣) الحزب: الورد (بكسر الواو): ترتيب لآيات وأقوال على وجه مخصوص يقرأها المتصوّف (أو المتعبّد عامة) في أوقات معينة (راجع نموذج من ذلك في المختارات من آثار الشاذلي).

صلاة الفتح والمغرب - حزب الحمد - حزب التفريح - الحزب الأول - الحزب الثاني - دعاء .

٣ - مختارات من آثاره

- من حزب البرّ المعروف بالحزب الكبير:

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم^(١). بسم الله الرحمن الرحيم^(٢)؛ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل: سلامٌ عليكم. كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ: إِنَّهُ مِنْ عَمَلِ مَنْكُمْ سَوْءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ؛ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٣). ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً؛ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٤).....
اللهم، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بِالْجَهَالَةِ مَعْرُوفٌ. وَأَنْتَ بِالْعِلْمِ مُوصُوفٌ، وَقَدْ وَسَّغْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَهَالَتِي بِعِلْمِكَ فَسَّغْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسَّغْتَهُ بِعِلْمِكَ. وَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.....

يا الله، يا عظيم، يا علي، يا كبير: نَسْأَلُكَ الْفَقْرَ مِمَّا سِوَاكَ^(٥) وَالْغِنَى بِكَ حَتَّى لَا نَشْهَدَ إِلَّا إِيَّاكَ^(٦). وَالطُّفَّ بِنَا فِيهَا لُطْفًا عَلِمْتَهُ يَصْلُحُ لِمَنْ وَالَاكَ، وَانْكَسْنَا جَلَابِيبَ الْعِصْمَةِ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللَّحَظَاتِ، وَاجْعَلْنَا عِبِيداً لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَعَلِّمْنَا مِنْ

-
- (١) القرآن الكريم (١٦: ٩٢، سورة النحل): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.
(٢) في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة تبدأ بمائة وثلاث عشرة سورة منها بالآية: «بسم الله الرحمن الرحيم». أمّا السورة التاسعة (سورة التوبة) فلا تبدأ بهذه الآية لأنها نزلت في الحرب وفي «براءة» الله ورسوله من المشركين الذين كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين على الوثنية. ومطلع السورة التاسعة: ﴿براءة من الله ورسوله....﴾. ولذلك تعرف أيضاً بسورة «براءة». ثم إن الآية «بسم الله الرحمن الرحيم» ترد في سياق سورة النمل (٢٧: ٣٠) فيكون عدد مرّات البسملة في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة بعدد السور.
(٣) القرآن الكريم ٦: ٥٤ (سورة الأنعام).
(٤) القرآن الكريم ٦: ١١١ (سورة الأنعام).
(٥) هذه الجملة يجب أن تعني ما يلي: نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا أَغْنِيَاءَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاكَ، فَقَرَاءَ (مُتَحَاجِّينَ) إِلَيْكَ وَحْدَكَ وَأَنْ نَغْنَى (نَصْبِحَ أَغْنِيَاءَ بِكَ: بِمَطَائِكَ أَنْتَ).
(٦) حَتَّى لَا يَكُونَ أَمَامَ أَبْصَارِنَا وَبَصَائِرِنَا غَيْرُكَ.

لَدُنْكَ عِلْمًا نَصِيرُ بِهِ كَامِلِينَ فِي الْمَخْيَا وَالْمَمَاتِ.....

اللَّهُمَّ، نَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا، وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا، وَنَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَنَسْأَلُكَ يَقِينًا صَادِقًا، وَنَسْأَلُكَ دِينًا قِيمًا. وَنَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَنَسْأَلُكَ تَهَامَ الْعَافِيَةِ^(١)، وَنَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ. وَنَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ.....

- من مقدمة المقدمة العزّية ومن خاتمتها:

.... هذه مقدّمة في مسائل العبادات وغير ذلك على مذهب الإمام مالك بن أنس، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الْوُلْدَانُ وَنَحْوُهُمْ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - لَخَصْنُهَا مِنْ كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ «عُمْدَةِ السَّالِكِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ». وَسَمَّيْتُهَا بِـ «الْمُقَدِّمَةِ الْعِزِّيَّةِ لِلْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ» مُشْتَمِلَةً عَلَى أَحَدَ عَشَرَ بَابًا.....

يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَلَّا يُرَى إِلَّا مُحَصِّلًا حَسَنَةً لِمَعَادِهِ أَوْ دِرْهَامًا لِمَعَاشِهِ، وَيَتْرَكَ^(٢) مَا لَا يَغْنِيهِ وَيَخْتَرِسُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَقِفُ عِنْدَ مَا أَشْكَلَ وَيُنْصِفُ جَلِيسَهُ وَيُلِينُ لَهُ جَانِبَهُ وَيَصْنَحُ عَنْ زَلَّتِهِ وَيَلْزِمُ الصَّبْرَ. وَإِنْ نَظَرَ عَالِيًا نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ، وَيُنْصِتُ لَهُ عِنْدَ الْمَقَالِ. وَإِنْ رَاجَعَهُ رَاجَعَهُ تَفْهَمًا وَلَا يَعَارِضُهُ فِي جَوَابِ سَوَالِ سَأَلِهِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي عِلْمٍ فَيَسْكِينُهُ وَوَقَارٍ وَتَرَكَ الْاِسْتِيلَاءَ وَجَحْنَ التَّأَنِّي وَجَمِيلَ الْأَدَبِ، فَإِنَّهَا مُعِينَانِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.....

٤- الشرح (أو الأنس أو السر) الجليل في خواص «حسبنا الله ونعم الوكيل»^(٣)، القاهرة (طبع حجر) بلا تاريخ؛ القاهرة ١٢٩٧ هـ.

- حزب البحر (في مجموع لطيف)، القاهرة (طبع حجر) ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ)؛ قازان ١٨٩٧ م (١٣١٤-١٣١٥ هـ)؛ مع أحزاب أخرى وأشعار وترجمة فارسية تتخلّل السطور في مجموع عنوانه «لوح محفوظ»، لمحمد محفوظ الحق، أَرَا (؟) ١٣٠٩ هـ؛ مع أحزاب أخرى بمقدمة هندستانية وترجمة تتخلّل السطور، لمحمد عبد القيم، كاونبور

- (١) العافية من كلّ بليّة: الإغناء (الحماية) من كلّ مصيبة. تمام العافية: تمام الصحة.
- (٢) السياق النحوي يقتضي أن يكون الفعل «يترك» والأفعال التي بعده معطوفة عليه «منصوبة»، ولكن المعنى حينئذ يضطرب ويصبح «وَأَلَّا يَتَرَكَ مَا لَا يَغْنِيهِ: أَي يَهْتَمُّ بِمَا لَا يَغْنِيهِ».
- (٣) في القرآن الكريم (٣: ١٧٣)، سورة آل عمران: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ (إِنَّ اللَّهَ يَكْفِينَا مَكَائِدَ أَعْدَائِنَا وَيُدْفَعُ تِلْكَ الْمَكَائِدَ عَنْنَا) وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (وهو الذي نفوض إليه أمرنا في كلّ شيء).

- ١٨٩٦ م؛ مع ترجمة إلى لغة التاميل (في جنوب الهند) في مجموع «نفحة الأنبار» (٩)، لنوح عليّ القادري، بومباي ١٣٢٠ هـ.
- المقدمة العزّية للجماعة الأزهرية، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية: عيسى الباي الحلبي وشركاه) بعد ١٣٣٢ هـ.
- مجموع الأحزاب، القاهرة ١٣١٧ هـ.
- ★★ شرح حزب البحر:
- شرح.... لأحمد بن أحمد زرّوق^(١) (على هامش دلائل الخيرات)، مدراس ١٩٠٨ م.
- اللطيفة المرضية، لابن ماهلا (٩)، القاهرة ١٩٣٥ م.
- فيض الرحمن (حاشية) لحسن العدوي، القاهرة ١٢٨١ هـ.
- خلاصة الزهر.... لمحمد خليل القاوقجي^(٢)، القاهرة ١٣٠٤ هـ.
- شرح حزب البرّ (أو الحزب الكبير):
- تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير، للمرئضى الزبيدي^(٣)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٣ هـ.
- شرح حزب البرّ أو الحزب الكبير، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي^(٤) (مع «تنبيه العارف»)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٦٩ م.
- الجواهر المضىة (٩) في شرح العزّية، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهرى، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٣٢ هـ.
- درّة الأسرار وتحفة الأبرار، تأليف محمد بن أبي القاسم الصبّاغ الحميري، تونس ١٣٠٤ هـ.
- مجموعة آراء سنيّة للسادة الشاذلية (تحرير محمد الطيّب الجزائري)، دمشق ١٣٠١ هـ.
- ابن عطا الله ونشأة الطريقة الشاذلية: تحقيق «الحكم العطائية» - لبولس نونا،
- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، تأليف محمد بن محمد عياد.....
- أبو الحسن الشاذلي، بقلم علي سالم عمّار، الجزء الأول، مصر، (مطبعة دار التأليف) ١٩٥١ م.
- أبو الحسن الشاذلي الصوفي والعارف بالله، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود (أعلام العرب، رقم ٧٢)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر) ١٩٦٧ م.

(١) أحمد بن أحمد بن زرّوق (ت ٨٩٩ هـ)، له ترجمة في هذا الجزء.

(٢) محمد بن خليل المشيشي القاوقجي الطرابلسي (ت ١٣٠٥ هـ)، راجع بروكلمن، الملحق ١: ٧٧٦.

(٣) محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب القاموس العظيم «تاج العروس».

(٤) عبد الرحمن الفاسي (ت ١٠٣٦ هـ).

نكت الهميان ٢١٣؛ ابن قنفذ ٣٢٣؛ شذرات الذهب ٥: ٢٧٨ - ٢٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٢٤٦ - ٢٤٩؛ بروكلمن ١: ٥٨٣ - ٥٨٤، الملحق ١: ٨٠٤ - ٨٠٦؛ النبوغ المغربي ٣٥٧ - ٣٦٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢٠ (٤: ٣٠٥)؛ مجلة العربي ٦/ ١٩٦٤ و ٧/ ١٩٦٤؛ سركيس ١٠٨٨ - ١٠٨٩.

ابن الأَبَارِ القُضَاعِيّ

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦١٩ هـ) بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر بن الأَبَارِ القُضَاعِيّ البَلَنْسِيّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ في أحدَ الرِّبْعَيْنِ من سنة ٥٩٥ (أوائل ١١٩٩ م) ونشأ فيها.

بدأ ابنُ الأَبَارِ تَلَقَّى العِلْمَ على والدِهِ ثم سَمِعَ من نَفَرٍ كثيرين منهم: عبد الله بن أيوب بن نوح الغافقي السَّرْقُسْطِيّ (ت ٦٠٨ هـ) ومحمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري (ت ٦١٠) وقد أخذ عنه النحو والأدب. ومن شيوخه أبو سليمان داوود بن سليمان بن حَوْطِ الله (نفع الطيب ٤: ٣٣٥) المُنْتَوَى سَنَةَ ٦٢١ للهجرة - وكان من المشتغلين بالتاريخ؛ ومنهم أبو الخطّاب أحمد بن محمد بن واجب القيسي (ت ٦١٤ هـ) أخذ عنه التاريخ. ومن أكبر شيوخه أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلّاعي (ت ٦٢٤ هـ) وكان بارعاً في الحديث والتاريخ مع العلم بالبلاغة والأدب كما كان له عددٌ من الكُتُبِ. وقد لازمه ابنُ الأَبَارِ عِشْرِينَ سَنَةً وتخرّج على يَدَيْهِ وتعلّم منه صناعة الكتابة ومن شيوخه أيضاً أبو جعفر بن الحصار، وكان عارفاً بالقراءات (نفع الطيب ٢: ٥٠).

وفي سنة ٦٢٥ هـ دخل ابن الأَبَارِ في خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ فكتب لأبي عبد الله محمد بن حفص الموحّديّ والي بَلَنْسِيَّةَ ثم لابنه السيد أبي زيد ثم لزيّان بن مردانيس، في السنة التالية. ولما حاصرَ دون جاقمة صاحبُ بَرَجْلُونَةِ (برشلونة) مدينة بلنسية (رَمَضانَ ٦٣٥) ذهبَ ابن الأَبَارِ في وَفْدٍ إلى سُلْطَانِ تُونِسَ أبي زكريا يحيى للاستنجاد به على الفِرْنَجَةِ. وأنشد ابن الأَبَارِ يومذاك مِذْحَتَهُ في أبي زكريا «أذركَ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا». وأرسل أبو زكريا أسطولاً لِنَجْدَةِ بَلَنْسِيَّةَ، ولكنَّ الأسطولَ وَصَلَ بعدَ فَوَاتِ

الأوان. ولما استولى الفرنجة على بلنسية (صفر ٦٣٦) خرج ابن الأبار منها بأسرته مع الجالين عن المدينة. وانتقل إلى تونس واستقر فيها. وتقلبت الأحوال بابن الأبار في تونس فكتب للسلطان أبي زكريا (٦٣٦ هـ) ثم وازر للمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، كما غضب المستنصر عليه مراراً ورَضِيَّ مراراً. وفي العشرين من المحرم من سنة ٦٥٨ (١٢٦٠/٦/٦ م)، في الأغلب، أمر المستنصر بقتله، بعد أن بلغ خصومه في الدس عليه الغاية.

٢- كان ابن الأبار القضاعي عارفاً بالتاريخ بصيراً بطبقات الرجال ملماً بفنون كثيرة من العلم والأدب، أديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً مُحَسِّناً. وكان من فنونه المدح والاعتذار والوصف والغزل والنسيب والمجون. وله ترسل كثير التكلف.

وكذلك كان ابن الأبار مُصَنِّفاً له من الكتب: كتابُ تَكْمِلَةِ الصِّلَةِ (وهو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، وقد حثه على وضع هذا الكتاب شيخه أبو الربيع بن سالم) - تحفة القادم (تراجم شعراء) ^(١) - إعتابُ الكتاب (تراجم لنفر عديدين من الكتاب المشاركة والمغاربة) - الحُلَّةُ السَّيَّاءُ في أشعار الأُمراء - المُعْجَمُ في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصَّدَقِي - درر السَّمَطِ في خبر السُّنَطِ (الحسين بن علي!) - إيماض البرق في أدباء الشرق - إفادة الوفاة (في ذكر الوافدين على الأندلس) كتاب التاريخ - قطع الرياض (في أشعار مختارة) - معادن اللُّجَيْنِ في مرثي الحسين - هداية المعترف في المؤتلف والمختلف.

٣- المختار من آثاره:

- قال ابن الأبار القضاعي يمدح أبا زكرياً يحيى الحفصي سلطان تونس

(١) كتاب «تحفة القادم» مفقود. ولكن أبا إسحاق البليقي كان قد صنع منه «المقتضب من كتاب تحفة القادم» (بتحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٧ م). والبليقي هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي إسحاق (إبراهيم؟) بن الحاج. أصل البليقي من مراكش ولكن مولده ومنشأه في الأندلس وهو ينتسب إلى بليقي (بفتح الباء، وتروى أيضاً بفتح الفاء مع كسر اللام المشددة) وهي حصن قرب المريّة. ولعل وفاة أبي إسحاق البليقي كانت في مراكش في أواخر القرن الثامن للهجرة.

ويستنصره على الإفرنج لإنقاذ بلنسية (نفح الطيب، ٤: ٤٥٧ - ٤٦٠):

أدركَ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا؛ إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسًا^(١).
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسَتْ؛ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسًا.
يَا لِلْجَزِيرَةِ! أَضْحَى أَهْلُهَا جَزَرًا لِلْحَادِثَاتِ، وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسًا^(٢).
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلَامٌ بَارِقَةٍ يَعُودُ مَأْتَمُهَا عِنْدَ الْعِدَا عُرْسًا^(٣).
تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مُقَاسِمَهُمْ إِلَّا عَقَائِلُهَا الْمَحْجُوبَةُ الْأُنْسَا^(٤).
وَفِي بَلَنْسِيَةٍ مِنْهَا وَشَاطِبَةٍ مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا^(٥).
مَدَائِنٌ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسِيًا جَذْلَانِ، وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسِيًا.
فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسًا، وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنْسًا^(٦).
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعًا، وَلِلنَّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسًا^(٧).

- (١) - أسرع بإنقاذ الأندلس. درس: امحى (فقد الأمل بنجاتها).
(٢) يا للجزيرة: كان الله في عون جزيرة الأندلس وأنقذها من بليتها! جزراً: ذبائح. الجدّ (بفتح الجيم): الحظ. التمس: البؤس والشقاء.
(٣) في كلّ شارقة = عند طلوع كلّ شمس: كلّ يوم. البارقة: السيوف (القاموس ٣: ٢١١، السطر ١٩). الإلام: الزول، الإصابة، الزيارة. إلام بارقة: قتل بالسيوف. العدى: الإسبان الإفرنج. وفي طبعة بيروت (٤: ٤٥٧): باقعة (داهية).
(٤) البيت غامض. - الروم: نصارى الأندلس. تقاسم الروم: توزّعوا الغنائم بينهم. العقائل جمع عقيلة: المرأة المصونة الكريمة. المحجوبة: المحبّاة عن عيون الأجانب. الأنس جمع أنوس: (اللطيف العشرة، المؤانس). - الملموح في معنى البيت: يتقاسم الإسبان (بعد كلّ هجمة على العرب) الغنائم إلّا النساء (فإنهن يقتلن....) فلا نال (تهناً) مقاسم (بضم الميم: صاحب السهم أو النصيب في القسمة) شيء من تلك الغنائم!
(٥) ما ينسف (يدك، يهدم، يقتلع الشيء من أصله) أو ما ينزف (ينزع، يلاشي، يفرغ) النفس = ما يقتل، ما يهلك.
(٦) الدسكرة: المزرعة. كانت تلك الدساكر حامية لتلك المدن التي سقطت في يد الإسبان (فذهبت المدن والدساكر معها). الكنس جمع كناس (بكسر الكاف): بيت الظلي (مساكن للنساء الجميلات).
(٧) البيعة (بكسر الباء): الكنيسة، معبد النصارى. النداء: الأذان، دعوة المسلمين إلى الصلاة من المآذن.

كانتَ حدائقَ للأخداقِ مُونِقَةً فَصَوَّحَ النصرُ من أذواحيها وعسا (١)
 فأينَ عَيْشٌ جَنَيْتَاهُ بها خَضِرَاءُ؟ وأينَ عَصْرٌ جَلَيْنَاهُ بها سَلَسًا (٢)؟
 مَحَا مَحَاسِنَهَا طَاغِرٌ أَتَيْحَ لَهَا، ما نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلَا نَعَسًا (٣).
 صِيلَ حَبْلُهَا، أَتَمَّا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ، فَمَا أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسًا (٤)
 وَأَخِي مَا طَمَسَتْ مِنْهَا الْعُدَاةُ كَمَا أُخِيَّتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمِسَا (٥)،
 أَيَّامَ صِرْتَ لِلنَّصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقًا وَبِتَّ مِنْ نَوْرِ ذَاكَ الْهَدْيِ مُقْتَبِسًا؛
 وَقُمْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا كَالصَّارِمِ أَهْتَرَأُوكَ الْعَارِضِ أَنْجَسًا (٦)
 هَذَا رِسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كَتَبٍ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَنْسَا
 تَوْمٌ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ مُقْبَلَةٌ مِنْ تَرْبِهِ الْقُدْسَا؛
 مَلِكٌ تَقَلَّدَتْ الْأَمْلاكُ طَاعَتَهُ دِينًا وَدُنْيَا فَغَشَّاهَا الرِّضَا لِسَا
 مِنْ كُلِّ غَادٍ عَلَى يُمْنَاهُ مُسْتَلِيًا، وَكُلٌّ صَادٍ إِلَى نِعْمَاهُ مُلْتَمِسًا (٧).
 مُؤَيَّدٌ لَوْ رَمَى نَجْمًا لِأَثْبَتِهِ، وَلَوْ دَعَا أَفْقًا لَبَّى وَمَا اخْتَبَسَا (٨).
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَالْأَيَّامِ قَدْ نَكَلَتْ، طَلَّقَ الْمُحْيَا وَوَجَّهَ الدَّهْرُ قَدَّعَسَا (٩).

- (١) للأخداق (اللعيون) مونقة (جميلة): تسر الناظرين. صَوَّحَ = ييس. النصر: الأخضر الريان. الدوح والأدواح جمع دوحة: الشجرة الكبيرة. عسا، يعسو: ييس.
- (٢) جليناه (جلوناها!): أبرزناه، جعلناه. سلسًا: لينًا، رائقًا، مطاوعًا لنا.
- (٣) الطاغى: الظالم. وكان مؤرَّخو العرب يسمون كلَّ ملك من ملوك الإِسبانية «طاغية». المضم: اتزعاج جزء من الحق من صاحبه. نفس: مال إلى النوم (غفل).
- (٤) صل حبْلُها: اجعلها من أهلك ودافع عنها. المراس: شدَّة (العدو عليها)؛ كثرة حروبها. ما أبقي المراس لها حبْلًا (صلة، قرابة بأحد) = تخلَّى جميع الناس عنها) ولا مرسة (قوة على القتال).
- (٥) طمس: محَا. المهديُّ بن تومرت (ت ٥٢٤ هـ) مصلح عظيم، وهو صاحب دعوة الموحدين ومؤسس دولتهم (راجع ص ٣٥٩ من الجزء الخامس).
- (٦) الصارم: السيف. اهْتَرَأَ: تحرك، تقايل نصله (استعداداً للضرب به أو في أثناء الضرب به). العارض: الغيم المقبل يحمل مطراً. انجس: تحرق، هطل منه المطر.
- (٧) يمينه مستلماً = مقبلاً يده اليمنى. صاد: عطشان.
- (٨) - لو رمى سهمه النجم لأصابه ولو دعا الغيم في السماء إلى أن يطر لأمطر.
- (٩) نكل عن الأمر: جبن عنه وتأخر.

كَأَنَّهُ الْبَدْرُ - وَالْعَلِيَاءُ هَالَتْهُ -
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت،
قامت على العدل والإحسان دولته
مُباركٌ هديُهُ، بادٍ سكينتُهُ؛
قد نَوَّرَ اللهُ بالتقوى بصيرته،
وربَّ أَصِيدَ لا تُلْفِي به صيداً،
إلى الملائك يُنْهِى والملوك معاً
يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ، أَنْتَ لَهَا
وقد تَوَاتَرَتِ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ
طَهَّرَ بِلَادَكَ مِنْهُمْ، إِنَّهُمْ نَجَسٌ،
واضْرِبْ لَهَا مَوْعِداً بِالْفَتْحِ تَرْقُبُهُ.
- ومن نثره ما كتبه في ترجمة أستاذه أَبِي الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ^(١) في كتاب إعتاب

- (١) المهالة: ضياء يحيط (في رأي العين) بالقمر عادة. تحف: تحيط. القنا: جمع قنّاء: القصب، الرمح. شهب: القنا: النصال المركبة في رؤوس الرماح (كناية عن كثرة الأسلحة ومضاهاها).
- (٢) تدبيره: حكمه. عرف (رائحة) معروفه (خيرته): القليل من معروفه وعطائه. وسع الدنيا وما وسعت: أدرا، نظّم الدنيا وكلّ ما فيها (كل ما وسعته الدنيا). واسى: عزّى، أحسن إلي. الوري: جميع الناس. أسا: طيّب، شفي.
- (٣) أنشرت: بعثت من الموت. «وجود» في الأصل، ولعلّها «وجوه»: أنواع. رمس: قبر.
- (٤) - لا يبالى إذا نزلت المصيبة فجأة (لأنّه مستعد لجميع المفاجآت).
- (٥) الأصيد: المائل العنق تجبراً (لأنّه ملك عظيم). الأشوس: الذي ينظر بمؤخرة عينه من التكبر والغيظ (طلباً للانتقام). - قد يتظاهر بعض الناس بالقدرة والشجاعة وليس له شيء منها.
- (٦) - هو في سلوكه وأخلاقه مثل الملائكة، وفي نسبه من الملوك. النبعة: عدد كبير من سبلات القمح أو من القصب أو النخل تنبت من أصل واحد (كناية عن الأسرة العظيمة النبيلة). ما غرسا (بالبناء للمجهول أو للمعلوم!).
- (٧) - الشائع بين جميع الناس أنّك وحدك الذي تستطيع أن تتغلّب على ملوك الصفر (الروم، الإسيان الإفرنج) وتنقذ الأندلس.
- (٨) ترقبه: تنتظره (الأندلس).
- (٩) راجع ٥: ٦٩٣.

الكتاب (ص ٢٤٩):

شَيْخِي الَّذِي أُوْرَثَنِي هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَرَضِيَّ اتَّخَاذَهَا لِي بِضَاعَةً، وَضَمَنَ أَنْ لَا إِضَاقَةً (فِي امْتِهَانِهَا) وَلَا إِضَاعَةً؛ جَاعِلًا قَوْلَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ^(١) شَاهِدًا فِي الْإِعْتِلَاقِ بِهَا وَالِاتِّصَالِ: «مَنْ جَمَعَ بِلَاغَةً وَخَطًّا لَمْ يَخْشَ فِي دَوْلَةِ الْأَفَاضِلِ حَطًّا». فَاسْتَرْجَحْتُ حَصَاتِهِ^(٢) وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا قَابِلًا وَصَاتِهِ غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِهِ خُطَّةً وَلَا مُتَبَوِّئًا دُونَهَا خُطَّةً لِكَيْلًا أَنْقُضَ مَا أُبْرِمَ وَأُرْتَبِطَ خِلَافَ مَا اسْتَكْرَمَ^(٣). وَكَانَ هُوَ - قَدَّسَ اللَّهُ أَشْلَاءَهُ وَأَجْزَلَ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ جَزَاءَهُ^(٤) - قَدْ عُنِيَ بِي فِي شَبِيئَتِهِ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ وَالِي بَلَنْسِيَةَ حِينَئِذٍ وَحَجَبَهُ رَائِحًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا وَأَلْزَمَهُ مَكَانًا قَاصِيًا كَانَ بِهِ قَاضِيًا^(٥). فَخَاطَبْتُهُ مُسْتَعْطِفًا بِرِسَالَةٍ مِنْهَا:

وَبَعْدُ، فَكَتَبَ الَّذِي قَصَرَ، ثُمَّ عَلَيْنَ قَصْدَهُ وَأَبْصَرَ^(٦)؛ وَأَقْتَرَفَ فَأَعْتَرَفَ، وَاجْتَرَحَ^(٧) فَلَمْ يَجِدْ أَجْدَى مِنْ أَنْ قَرَعَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ وَاسْتَفْتَحَ. وَفِي عِلْمِ الْمَوْلَى أَنَّ الْعَبِيدَ أَهْلَ الْخَطَا وَمَظْنَةَ السَّغْيِ الْمُسْتَبْطِ^(٨). إِنْ اغْرَقُوا النَّزْعَ عَنْ قَوْسِ الْإِجْتِهَادِ^(٩)

(١) شَيْخِي: أَسَاتِذِي وَمُعَلِّمِي. إِضَاقَةٌ: ضَيْقُ ذَاتِ الْيَدِ، فَقْرٌ. ابْنُ أَبِي الْخِصَالِ: أَدِيبٌ شَاعِرٌ (رَاجِعْ ص ٢٦١ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٢) الْخَطُّ: حَسَنُ الْخَطِّ، الْكِتَابَةُ الْحَسَنَةُ لَصُورِ الْأَحْرَفِ. الْخَطُّ: الْإِخْطَاطُ، النَّزُولُ عَنِ الرَّتَبَةِ الْعَالِيَةِ. اسْتَرْجَحْتُ حَصَاتِهِ (عَقَلَهُ): وَجَدْتُهَا رَاجِحَةً (صَحِيحَةً، مُصَيِّبَةً).

(٣) الْوَصَاةُ: الْوَصِيَّةُ، النَّصِيحَةُ. الْخُطَّةُ (بِضَمِّ الْهَاءِ): الطَّرِيقَةُ فِي الْعَمَلِ، الْمُنَاجَاةُ. الْخُطَّةُ (بِكَسْرِ الْهَاءِ) الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ. تَبَوَّأَ: نَزَلَ (فِي مَكَانٍ)، سَكَنَ. نَقَضَ: حَلَّ، أَبْطَلَ. أُبْرِمَ: أَحْكَمَ، قَرَّرَ. ارْتَبِطَ (الْخَيْلُ) اقْتَنَى (خَيْلًا) اسْتَكْرَمَ (الْخَيْلُ، الْمَرْأَةُ، الْإِنْعَ): وَجَدَهَا كَرِيمَةً الْأَصْلَ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ (لَمْ أَرَأَنَّ أَفْعَلَ إِلَّا مَا كَانَ هُوَ يَفْعَلُ).

(٤) قَدَّسَ: بَارَكَ. أَشْلَاءَهُ: الْقَطْعُ مِنْ جَسَدِهِ (لَأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ شَهِيدًا فِي الْمَعْرَكَةِ). أَجْزَلَ: أَكْثَرَ. النِّعَمِ الْمُقِيمِ (الدَّائِمِ): الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ. جَزَاؤُهُ: ثَوَابُهُ.

(٥) عَنِيَ بِي: اِهْتَمَّ بِي وَسَهَرَ عَلَى تَأْدِيئِي. حَجَبَهُ: مَنَعَهُ مِنَ الدَّخُولِ إِلَى بِلَاطِهِ. رَائِحًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا... (!) أَلْزَمَهُ مَكَانًا قَاصِيًا (بَعِيدًا) أَجْبَرَهُ عَلَى السَّكْنِ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ. كَانَ بِهِ قَاضِيًا: هُوَ، أَيُّ الْوَالِي، اخْتَارَهُ هُنَالِكَ لِلْقَضَاءِ (٩)

(٦) الَّذِي قَصَرَ... (أَيُّ ابْنِ الْأَبَارِ).

(٧) اقْتَرَفَ (الذَّنْبَ): أَتَاهُ (أَذْنَبَ).

(٨) اجْتَرَحَ: اكْتَسَبَ ذَنْبًا، سَبَّ، شَتَمَ.

(٩) الْمَوْلَى: السَّيِّدُ. الْمَظْنَةُ: مَوْضِعٌ، مَكَانٌ. مَظْنَةُ السَّغْيِ الْمُسْتَبْطِ (التَّائَخَرُ) الْعَبِيدُ يَسْرِعُونَ فِي ارْتِكَابِ الْخَطَا.

وأصابوا شاكلة المُرَاد^(١)، فكالسَّهَامِ في قرطه مَرَامِيهَا^(٢). وَإِنْ تَنَكَّبُوا^(٣) مُرْتَضَى السَّعْيِ الحميدِ وتَجَنَّبُوا مُقْتَضَى الرَّأْيِ السديد، فغيرُ نُكْرٍ (أَنَّ ذَلِكَ) من شَيْمِ العبيد. وَمَتَى نُوقِشُوا الحساب على كُلِّ زَلَّةٍ وَعُوقُوا على كُلِّ ضِلَّةٍ^(٤)، أَفَنَاهُمُ الْعِقَابُ سَرِيعاً وَأَهْلَكَهُمُ التَّأْدِيبُ^(٥) جميعاً....

- ٤- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فرنسيسكو كوديرا)، مدريد ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م.
- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فنزالس بالنسيه)، مجريط ١٩١٥ م.
- كتاب التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قداره في مجريط عام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م ومن طبعة غوثالث وبالنشيا، عام ١٩١٥ م) - (عُني بطبعه وتعليق حواشيه ألفرد بل ومحمد بن أبي شنب)، الجزائر (المطبعة الشرقية) ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م؛ (نشره عزّة العطار)، القاهرة ١٩٣٥ م؛ القاهرة (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المثني) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- فهارس تكملة الصلة، من عمل الاركون وبالنسيا، مدريد ١٩١٥ م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي (فرنسيسكو كوديرا إي زيدين)، مدريد (روخس)، ١٨٨٤ - ١٨٨٦ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧؛
- الحلة السراء (قطع متفرقة نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٧ - ١٨٥١ م؛ ثم باريس ١٨٦٤، ثم ١٨٨٣ م؛ قطع أخرى (نشرها موللر) ١٨٨١ م؛ (حققه وعلّق حواشيه حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
- إعتاب الكتاب (حققه صالح الأشتري)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم: اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيتي (بتحقيق إبراهيم الإبياري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م؛ (نشره ألفرد البستاني).....

ثم يتأخرون في التوبة وإصلاح أخطائهم. أعرقوا: بالغوا (٤). النزع: مدّ القوس (وصع بيّة القوس - مؤخرته - في وتر القوس ثم جذب الوتر لإطلاق السهم).

- (١) الشاكلة: الحاصرة. أصاب الشاكلة (قتل المصاب). أصاب شاكلة الأمر: أحسن العمل وأتقنه....
- (٢) في قرطه مراميا (٩).
- (٣) تنكّب (الطريق): ابتعد عنه.
- (٤) الضلة (بالكسر): الضلال، ضدّ الهدى، الخيرة، الغفلة عن الصواب.
- (٥) التأديب: القصاص، الضرب (في سبيل الإصلاح).

- معارضة « ملقى السبيل » لأبي العلاء المعريّ (مطبوع مع « فتوى في القيام والألقاب » لابن تيمية)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م.
- ديوان ابن الأبار (تحقيق عبد السلام الهراس)....
- ★★- الحلة السراء (رسالة لعبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين).
- ابن الأبار: حياته وكتبه، تطوان (معهد مولاي الحسن)
- المغرب ٢: ٣٠٩-٣١٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٥-٣٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٢٨٣-٢٨٤؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٥٣-٢٧٥ (رقم ٧٠)؛ القدر المعلق ١٩١-١٩٧؛ عنوان الدراية ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن قنفذ ٣٢٤؛ شذرات الذهب ٥: ٢٩٥؛ نفح الطيب ١: ٣١٥، ٢: ١١٦، ٥٨٩-٥٩٤، ٥٩٧-٥٩٨، ٣: ١٣٩، ١٤٤-١٤٥، ٤٦٧، ٦٠٣-٦٠٤ (?)، ٤: ٥٨-٥٩، ١١٩-١٢١، ٣١٩-٣٢٠، ٣٢٣-٣٢٤، ٤٥٧-٤٦٠، ٤٧٢-٤٧٣، ٤٩٠-٥٠٧؛ أزهار الرياض ٢: ٢٠٤-٢٢٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٢٧-٣٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٣؛ بروكلمن ١: ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠-٥٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٠ (٦: ٢٣٢)؛ تراجم إسلامية ٣٤٢-٣٥٣؛ نيكل ٣٣٢-٣٣٣؛ مختارات نيكل ١٩١.

أبو المطرف بن عميرة

١- هو أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن الحسن بن عميرة الخزومي^(١)، أصله من جزيرة شقر (قرب بلنسية)^(٢).

وُلِدَ أبو المطرف في بلنسية، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٨٠ (كانون الأوّل - ديسمبر ١١٨٤ م) أو قبلَ ذلك بسنتين * . بدأ تلقّي العلم في الأندلس ثم رَحَلَ (في الأندلس والمغرب؟) فدرس الحديثَ والفقهَ وعِلَمَ الكلامِ والأدبَ، ولكنَّ مَيْلَهُ كان إلى اللغة:

(١) هو غير أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة (بفتح العين أيضاً) الضبي اللوزقي القاريء المحدث المتوفى ٥٧٧ هـ (نفح الطيب ٢: ٦٠١). وغير أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبي (ت ٥٩٩) صاحب بغية الملتبس (راجع ترجمته). * في الإحاطة (١: ١٨٥): ٥٨٢ هـ.

(٢) جزيرة شقر بليدة جنوب بلنسية وليست جزيرة. وإنّا قيل لها جزيرة لأنّ الماء (نهر شقر) يحيط بها (وفيات الأعيان، بيروت، ٥٧: ١). راجع تحت (ص ٢١٩) قول أبي المطرف بن عميرة: هل النهر عقد للجزيرة مثلاً عهدنا،....؟ وشقر (بالفتح): جزيرة شرقها (تاج العروس - الكويت ١٢: ٢٢٢). وهي في وفيات الأعيان (٥٧: ١) بالضم: شقر.

أخذَ عن أحمدَ بنِ هرونَ بنِ عاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وأبي الربيعِ بنِ سالمٍ وابنِ حَوْطٍ
الله وأبي الخطَّابِ أحمدَ بنِ واجِبٍ (ت ٦١٤ هـ) وعن الشلوينِ (ت ٦٤٥ هـ).

وعاد أبو المطرّف فاستقرّ في بلنسية مدّة ثم تولّى القضاء في شاطبة ثم في جزيرة
ميورقة (٦٢٧ هـ)، وكان فيها لما استولى عليها الإسبان (آخر رجب
٦٢٨ = ١٢٣١/٦/٢ م). ثم إنّه عاد إلى بلنسية وشهد سقوطها^(١) أيضاً
(٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م).

عندئذٍ جازَ إلى المغرب فاستوطن بجاية مدّة وأقرأ بها. ثم إنَّ الرشيدَ الموحديّ
(٦٢٠ - ٦٤٠) استوزّره. وتولّى القضاء بعد ذلك في سلا ثم في مكناس ثم في سبتة.
ولما استولى المرينيّون على سبتة غادرها إلى تونس ودخل في خدمة الحفصيّين فاتّخذَه
المُستنصرُ بالله الحفصيّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) مُستشاراً.

وكانت وفاة أبي المطرّف بن عميرة في تونس ليلة الجمعة رابع ذي الحجة من سنة
٦٥٨ (١١/١١/١٢٦٠ م) في الأغلب.

٢- كان أبو المطرّف بن عميرة ناثراً وناظماً ومؤرخاً مؤلفاً صنّف كتاباً عن
«كائنة ميورقة» (سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الإسبان)، والكتاب مفقود. ويبدو
أنّ له كتاباً آخر «التبيين في علم الكلام». ويأتي شعره مطوّلات ومقطّعات، وبعض
مطولاته أفضل من مقطّعاته في البيتين والثلاثة كما قاله في عدد من الأغراض
العارضة وبنائها على توريّات قليلة التوفيق. وفنون شعره المدح والغزل والشكوى
والإخوانيات (قصائد يتبادلها الشعراء كما يتبادل سائر الناس رسائلهم). ونثره
نوعان: نوعٌ شديد التكلّف كثير الإشارات حتّى يغمض على القارئ، ولو كان
مثقفاً، ثم نوعٌ عاديّ سهل مُرسل ومطلق من الصنّاعة.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو المطرّف بن عميرة يتشوّق إلى بلنسية بعد سقوطها ورحيله عنها:

(١) نفع الطيب: ٤: ٤٦٠.

ويندُبُ عهداً بالمشقر فاللوى . وابن اللوى منه وأين المشقر^(١) !
تغيرَ ذاك العهدُ بعدي وأهله . ومنَ ذا على الأيامِ لا يتغيرُ ؟
وأقفرَ رسمُ الدارِ إلّا بقيّةً . لسائلِها عنِ مثلِ حالي تُخبرُ .
فلم تبقِ إلّا زفرةٌ إثرَ زفرةٍ ؛ ضلوعي لها تنقذُ أو تنفطرُ^(٢) ؛
وإلّا اشتياقٌ لا يزالُ يهزني ، فلا غايةً تدنو ولا هو يفتُرُ .
أقول لساري البرق في جُح ليلةٍ . كلانا بها قد بات يبكي ويسهرُ^(٣) ،
تعرضَ مُجتازاً فكان مُذكّراً . بعهدِ اللوى ؛ والشئُ بالشئِ يُذكرُ .
ألا ليتَ شعري ، والأمايُ ضِلّةٌ ؛ وقولي : « ألا يا ليت شعري » تحيرُ .
هلِ النهرُ عقدٌ للجزيرةِ مثلاً . عهدنا ؟ وهل حصاًؤه (بعدُ) جوهر^(٤) ؟
وهل للصبا ذيلٌ عليه تجرهُ . فيزورُ عنه موجهُ المتكسر^(٥) .
وتلك المغاني ، هل عليها طلاوةٌ . بما راقَ منها أو بما رَقَّ تسحرُ ؟
ملاعبُ أفراسِ الصّابة والصّبا . تروحُ إليها تارةً وتُبكرُ^(٦) .
وقبليّ ذاك النهرِ كانتَ معاهدُ . بها العيشُ مطلولُ الخميّةِ أخضر^(٧) ،
بحيث بياضُ الصّبحِ أزرارُ جيّهِ . تطيبُ وأردانُ النسيمُ تُعطرُ^(٨) .

- (١) اللوى: ما استدار من الرمل: المشقر: حصن في شرقي بلاد العرب (والشاعر يبكي بها عن وطنه جزيرة شقر).
(٢) تنقذُ: تنقطع. تنفطرُ: تتشقق.
(٣) الساري: السائر في الليل. الخنج: الجزء من الليل. ساري البرق (البرق الذي يلمع ليلاً). كلانا بها (في تلك الليلة) يبكي (أنا أبكي بدموعي، والبرق يسقط في أثره المطر).
(٤) الجزيرة: جزيرة شقر. هل النهر عقد للجزيرة (يحيط بها). الحصاء: الحصى.
(٥) الصبا: ريح لطيفة تهبّ على شبه جزيرة العرب من جبال فارس مارةً فوق مياه خليج البصرة (والعرب يحبونها). والشعراء يذكرون الصبا ويعنون بها كلّ ريح محبوبة. ازور: مال.
(٦) الصّابة: الحبّ. الصّبا: الشباب. تروح (في المساء) وتبكر (في الصباح): دائماً تهبّ عليها هذه الريح.
(٧) القبلة: الجهة. وتستعمل عادة للجهة الجنوبية لأنّ اتجاه المسلمين في صلاتهم انتقل في عهد الرسول من القدس (شمال المدينة) إلى الكعبة في مكة (جنوب المدينة).
(٨) الجيب: مدخل القميص في العنق (أعلى الثوب)، والأردان أطراف الثوب (أدنى الثوب). الريح الطيبة تعطر أجواء جزيرة شقر.

ليالٍ بماء الورد ينضحُ ثوبها وطيبُ هواءٍ فيه مِنكُ وعنبر.
جَنَابٌ بأعلاهَ بهارٌ ونَرْجِسُ: فأبيضُ مفترُّ الشَّيَا وأصفرُ (١).
كذاك إلى أن صاحَ بالقومِ صائحٌ وأنذرَ بالبَّيْنِ المُشْتَتِ مُنْذِرُ (٢).
وفَرَّقَهُمَ أيدي سِبا وأصابَهُم على غِرَّةٍ منهم قَضَاءُ مُقَدَّرُ (٣).

- وقال أبو المطرّف يمدح الأميرَ أبا زكريّا يحيى بن عبدِ الواحدِ الحفصيَّ سلطانِ
تُونِسَ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) قبلَ أن ينتقلَ أبو المطرّف إلى تونس (وفي الأبيات التالية
كثير من الجناس والطباق):

شاقَهُ غِيبُ الخيالِ الواردِ بارقَ هاجَ غرامَ الهاجدِ (٤).
لم يكنَ بعدَ السُّرى مُسْتَمْتَعٌ فيه للرائي ولا للرائدِ (٥).
مَلِكٌ لولا حُلَاهُ الغُرُّ لم يَجْرُ بالحمدِ لسانُ الحامدِ.
فضلهُ مثلُ سَنَا الشمسِ، وهل لِسَنَا الشمسِ يُرى من جاحد؟
قَهَرَ البَغْيَ بِجَدِّ صَادِعِ ما تعدّاه وَجَدَّ صَاعِدِ (٦).
إِنَّا آلُ أُمِّ حَفْصٍ هُدَى للورى مِنْ غَائِبٍ أو شَاهِدِ..
قَعَدُوا فوقَ النجومِ الزُّهرِ عن هِمَمِ نَبَّهَنَ عَزَمَ القاصِدِ..
وعنِ الإسلامِ ذادوا عندما فَلَّ طَوْلُ العَهْدِ غَرَبَ الذائدِ (٧).
أَيُّ فخرٍ عُمَرِيُّ المُنْتَمَى وَرَثَوهُ ماجِداً عن ماجدِ (٨)!
ما الفَتْوحُ الغُرُّ إِلَّا لَهُم بين ماضٍ بادىءٍ أو عائدِ.

- (١) جناب: جانب من الأرض. أعلاه (تلاه). البهار: زهر الربيع (ويطلق عادة على الزهر الأصفر).
- (٢) صاح بالقوم صائح (يدعوهم إلى التفرّق أو الهلاك). البين: الفراق.
- (٣) أيدي سباً: في كلّ جهة. غرة: غفلة. قضاء (حكم) مقدّر (محسوب، مكتوب على الناس).
- (٤) غيب: بعد. الخيال الوارد: الحلم (النام). الهاجد: النائم، الذي يصلي بالليل.
- (٥) السرى: السير في الليل.....
- (٦) الجدّ: الجهد (بضمّ الجيم). لعلّها الحدّ (بالهاء المهملة). الصادع: الذي يصدع (يشقّ، يكسر). وصدع بالأمر: أعلنه. الجدّ (بالفتح): الحظّ.
- (٧) ذاد: دافع. الغرب: الحدّ (حد السيف). فلّ: ثم، شقّ، كسر.
- (٨) عمريّ المنتمى: يرجع إلى عمر (بن الخطّاب).

في مُحيّا لاحقٍ من سابقٍ؛ وعلى المولود سيماء الوالد.

- كان بين أبي المطرف بن عميرة وأبي عبد الله محمد بن محمد بن الجنان (توفي بعيد ٦٥٠ هـ) وأبي الحسن علي بن محمد الرعيني بن الفخار (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ) مراسلات. وكانوا جميعاً كثيري التكلف للصناعة في رسائلهم مع حشد الإشارات المختلفة من أدبية وتاريخية وجغرافية. وبما أن حرف النون موجود في اسمي أبي الحسن الرعيني وابن الجنان، فقد كتب أبو المطرف رسالة التزم في كل كلمة منها حرف النون ثراً ونظماً. من هذه الرسالة (الذيل والتكملة ٥: ٣٤٨ - ٣٤٩):

محاسن دُنيانا تبين لناظر يُنقب عنها مُستبيناً لعينها^(١)
نجيب الرعيين مارن أنفها، ونذب بني الجنان إنسان عيناها^(٢).

البيان أنواع. وإن ظن أن يمينه صنّاع، فلنسجّه ناس نعرفهم نقلاً وعيناً^(٣)، ونعدّهم زماناً زماناً. فنجد مناقلهم نايبة ونسبهم مُتدانية ومنارِعهم عن الإحسان وانية^(٤): معانٍ عُونٌ وغيطانٌ وحُزونٌ، ونكتٌ تندُرٌ ونُبدٌ عيونُ النقدِ نحوها تنظر^(٥). وإنما الصناعة لناظمي جُانها ومُتناولي عِنانها^(٦) اللذين يُنوعان الإنشاء ويضعان أمكنة الثقب الهناء^(٧). إن نظماً أنسياً فند زمان ونابغة بني دُبيان وابن الحسين عند بني حمدان وحندجان ونسيبه بالحسان، وابن القين ونصيبه من

(١) - محاسن الدنيا لا تبين (لا تظهر) إلّا للنّاظر المتأمل الذي ينقب (يبالغ في البحث). عيناها (هنا): حقيقتها، وجودها المادّي.

(٢) النجيب: الفاضل على مثله. الرعينيون: بنو رعين (أفضل بني رعين). المارن: أعلى الأنف (كناية عن الرفعة والشرف). النذب: النجيب. إنسان العين: البؤبؤ (كناية عن أفضل الأشياء).

(٣) الصناع: الماهر، البارِع. نقلاً (ساعاً عنهم) وعينا (مشاهدة لهم).

(٤) النقل (بالفتح): الطريق المختصر. المنقلة (بالفتح): أرض ذات حجارة. نايبة (من نبأ أو من نبو): مرتفعة أو غير مستوية. مناقلهم نايبة (٩). وانية: ضعيفة، مقصرة.

(٥) عون (جمع عون): (هنا) مكرورة، معادة. الغوط والغيط (بالفتح فيها): أرض واسعة منخفضة ليّنة. الحزن (بالفتح): أرض صلبة يصعب فيها السير. النكتة: الفكرة الطريفة اللطيفة. النبذة (بالضمّ أو بالفتح): القطعة (المنبوذة: القليلة القيمة!).

(٦) الجمانة (بالضمّ): اللؤلؤة الكبيرة. العنان: رسن الدابة.

(٧) النقة (بالضمّ): الجرح أو النقرة (بالضمّ) من أثر الحرب. الهناء: القطران (يضعان الأمور مواضعها).

الإحسان^(١). وإن نثرأ فَمَنْ ساكنُ أرْجانَ ونائب ديوان الإنشاء ببغدان^(٢) وأصناف^(٣) كان من شأنهم وكان؟ ميمناً بالرحمن والمثاني والقرآن والنور والسكينة والنبي ومكانه من المدينة^(٤)، إنها للبينتأ بناء البيان وأنجب أبناء الزمان^(٥)؛ نزلاً منزل الفرقدين وتناولوا أنواع المناقب باليدَيْن^(٦). فمن نزاهة تُناطح كيوان ونوال يُنسي مَعَن بني شيبان^(٧).

- لما استولى الإسبان على بلنسية عَظُم الرُزءُ على المسلمين، فكتب أبو المطرّف إلى الشيخ أبي جعفر بن أُمَيَّة (نفع الطيب ١ : ٣٠٥ - ٣٠٨):

ألا أيها القلبُ المُصرِّحُ بالوَجْدِ، أما لك من بادي الصَّباة من بُدٍّ^(٨)؟
وهل من سُلُو يُرْتَجى لِمُتِمٍّ له لَوَعَةُ الصادي ورَوَعَةُ ذي الصَدِّ^(٩)؟
يَحِنُّ إلى نجد. وهيئات! حرَّمت صروفُ الليالي أن يعود إلى نجد^(١٠).
أمن بعدِ رُزءٍ في بِلَنَسِيَّةِ ثَوَى بأحنائنا كالنارِ مُضْمَرَةَ الوَقْدِ^(١١)،
يُرْجى أناسٌ جَنَّةً من مصائب تُطاعِنُ فيهم بالثَّقَفَةِ المُلْدِ^(١٢)؟

(١) القند الزماني والناطقة الذبياني والحدججان (حدج: امرؤ القيس) شعراء جاهليون. ابن الحسين (المتنبي). بنو حمدان (قوم سيف الدولة). ابن القين (الحداد) يقصد به الفرزدق، لأن جريراً كان يعير الفرزدق بأنه من قوم حدادين (أي مدنيين).

(٢) ببغدان = بغداد. ساكن أرْجان ونائب ديوان ببغداد (٩٩).

(٣) المثاني: الآيات (تنشئ: تقرأ ثانية وثالثة، إلخ، تكرر)، النور والسكينة معروفان والمقصود منها (هنا) غامض.

(٤) اللبنة: قطعة من الطين المطبوخ أو من الحجر تجعل في بناء الجدران.

(٥) الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج). المنقبة: الفعل الكرم والمفخرة.

(٦) كيوان: كوكب زحل. معن بني شيبان هو معن بن زائدة (ت ١٥١ هـ) من الفصحاء والشجعان والكرماء.

(٧) الوجد والصباة: الحب.

(٨) المتِمُّ الذي تيممه (أمرضه) الحب. اللوعة: التألم. الصادي: العطشان (المشتاق إلى المحبوب) الروعة: الهيبة. ذو الصَدِّ: المائل عَمَّن يريده (المحبوب).

(٩) نجد (الأرض المرتفعة): مقاطعة في شمالي شبه جزيرة العرب (كناية عن جزيرة شقر).

(١٠) أحنأونا: ضلوعنا (في قلوبنا).

(١١) جَنَّة (بالضم): حامية، ستر. الثَّقَف: الرمح. الأملد: الناعم اللين من الغصون (يقصد الرمح المستقيم الذي ينحني ولا ينكسر).

وهلْ أَذْنَبَ الْأَبْنَاءَ ذَنْبَ آبَائِهِمْ فَصاروا إلى الإخراج من جَنَّةِ الْخُلْدِ^(١) ؟
 مَرْحَبًا بالسَّعَاءِ^(٢) وما أَعَارَتْ أَفْقِي من الوَضَاءِ، وَوَرَدَتْ تَسْحَرُ النَّهْيِ-
 وَتَسْحَبُ ذَيْلًا عَلَى السَّهْيِ^(٣)..... بِلَاغَةٍ تَفْتِنُ كُلَّ لَبِيبٍ وَتَرْعَى رَوْضَ كُلِّ أَدِيبٍ
 وَتَغْضُّ عَلَى رُغْمِ الْعَدُوِّ مِنْ حَبِيبٍ^(٤)..... وَأَجْرَيْتَ خَبَرَ الْحَادِثَةِ الَّتِي مَحَقَّتْ بَدَرَ
 التَّامِّ وَذَهَبَتْ بِنَضَارَةِ الْأَيَّامِ. فَيَا مَنْ حَضَرَ يَوْمَ الْبَطْشَةِ وَعُزِّي فِي أُنْسِهِ بَعْدَ تِلْكَ
 الْوَحْشَةِ، أَحَقًّا أَنَّهُ دَكَّتِ الْأَرْضُ وَنَزَفَ الْمَعِينُ وَالْبَرَضُ وَصَوَّحَ^(٥) رَوْضُ الْمُنَى وَصَرَاحَ
 الْحَطْبُ وَمَا كُنَى؟ أَيْنَ لِي كَيْفَ قُفِدَتْ رَجَاحَةُ الْأَحْلَامِ وَعُقِدَتْ مَنَاحَةُ الْإِسْلَامِ.....
 أَحْلُمُ مَا نَرَى؟ بَلْ مَا رَأَى ذَاكَ حَالَمٌ: طُوفَانٌ يُقَالُ عِنْدَهُ: لَا عَاصِمَ^(٦)! مَنْ يُنْصِفُنَا
 مِنَ الزَّمَانِ الظَّالِمِ؟ اللَّهُ بِمَا يَلْقَى الْفَوَادُ عَالِمٌ.

- وَقَالَ فِي تَارِيخِ جَزِيرَةِ مَيُورَقَّةَ: أَسْتِيلَاءُ الْإِسْبَانِ عَلَيْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤:
 ٤٦٩ - ٤٧٠) - وَقَوْلُهُ هُنَا مِنَ النَّثْرِ الْمُرْسَلِ.

إِنَّ سَبَبَ أَخْذِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَمِيرَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى
 كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَحَدَ أَعْوَانِهَا، وَوَلِيَهَا سَنَةً سِتًّا وَسِتِّمِائَةً، وَاحْتِاجَ إِلَى الْخَشَبِ
 الْمَجْلُوبِ مِنْ يَابَسَةِ^(٧). فَأَنْفَذَ طَرِيدَةً بَحْرِيَّةً وَقِطْعَةً حَرْبِيَّةً^(٨). فَعَلِمَ بِهِ وَالِي طَرُوشَةِ
 فَجَهَّزَ إِلَيْهَا مِنْ أَخْذِهَا. فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْوَالِي وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ لِبِلَادِ الرُّومِ^(٩)،

- (١) ذَنْبَ آبَائِهِمْ (آدَمَ).
- (٢) السَّعَاءُ: الْفَيْعَةُ، السَّحَابَةُ (أ). تَسْحَبُ ذَيْلًا (تَفْتَخِرُ).
- (٣) السَّهْيُ وَالسَّهْيُ: نَجْمٌ خَفِيَ (لِبَعْدِهِ وَعَلَوْهُ).
- (٤) غَضُّ مِنْهُ: حَطٌّ مِنْ قَدَرِهِ. حَبِيبٌ (أَبُو تَمَامِ الشَّاعِرِ).
- (٥) أَجْرَيْتَ خَبَرَ الْحَادِثَةِ (ذَكَرْتَ سَقُوطَ بِلَنْسِيَّةٍ). مَحَقَّتْ بَدَرَ التَّامِّ (ذَهَبَتْ بَنُورُهُ، أَعَادَتْهُ مَظْلَمًا). دَكَّتِ
 الْأَرْضُ دَكًّا: تَهْدَمَتْ، سَقَطَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا. نَزَفَ: فَنِيَ، نَفَدَ. الْمَعِينُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْجَارِي. الْبَرَضُ:
 الْبُشْرُ الْقَلِيلَةُ الْمَاءِ. صَوَّحَ: بَيَّسَ.
- (٦) لَا عَاصِمَ: لَا مَانِعَ، لَا حَامٍ. (لَيْسَ ثَمَّةُ شَيْءٍ يَمْنَعُ الْمَصِيبَةَ).
- (٧) يَابَسَةُ: جَزِيرَةُ صَغِيرَةٌ فِي أَرْخَبِيلِ الْبِلْيَارِ (شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ).
- (٨) طَرِيدَةٌ (يَبْدُو أَنَّهَا قِطْعَةٌ بَحْرِيَّةٌ).
- (٩) طَرُوشَةُ: فِي شِمَالِ شَرْقِيَّ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ (فِي مَنْتَصَفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ بِلَنْسِيَّةٍ وَبِرْشُلُونَةِ). وَالِي طَرُوشَةِ
 الْإِسْبَانِي. بِلَادُ الرُّومِ (إِسْبَانِيَّةٌ الَّتِي كَانَ يَحْكُمُهَا النَّصَارَى - وَالْعَرَبُ كَانُوا، فِي الْأَنْدَلُسِ، يَطْلُقُونَ اسْمَ
 الرُّومِ عَلَى كُلِّ طَوَائِفِ النَّصَارَى).

وكان ذلك رأياً مشؤوماً. ووقع بينه وبين الروم * . وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بلغه أن مسطحاً من برشلونة^(١) ظهر على يابسة و(أن) مركباً آخر من طرطوشة انضم إليه. فبعث ولده في عدة قطع إليه حتى نزل مرسى يابسة. ووجد فيه لأهل جنوة^(٢) مركباً كبيراً، فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقاتله وأخذه. وظن أنه غالب الملوك، وغاب عنه أنه أشأم من عاقِر الناقة^(٣). وإن الروم، لما بلغهم الخبر، قالوا لملِكهم وهو من ذرية أذفونش^(٤): كيف يرَضى الملك بهذا الأمر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا؟.....^(٥)

٤- ** أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة، الرباط (جامعة محمد الخامس) ١٩٦٥ م.

المغرب ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٣٣-١٣٥؛ القدح العلّی ٤٢-٥٢؛ تحفة القادم ١٤٥-١٥٠؛ الذيل والتكملة ١: ١٥٠-١٨٠ (رقم ٢٣١)؛ أعمال الأعلام ٢٧٣-٢٧٤؛ الإحاطة ١: ١٧٩-١٨٦؛ الديباج المذهب ٤٦-٤٧؛ جذوة الاقتباس ٧٢؛ عنوان الدراية ٢٥٠-٢٥٣؛ بغية الوعاة ١٣٧-١٣٨؛ نفح الطيب ١: ٣٠٥-٣١٧، ٣: ١٤٥-١٤٧، ٤٨٧-٤٨٨، ٤٦٩-٤٧١، ٤٩٠-٤٩٦، ٥٠٦-٥٠٧، ٢٤٦: ٦ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤-٧٠٨؛ بروكلمن ١: ٣٨١، الملحق ١: ٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٢-١٥٣ (١٥٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٠-١٩٤.

ابن عربيّة^(٦)

١- هو أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي المعروف بأبن عربيّة وُلد في

- (١) مسطح: يبدو أنه نوع من المراكب. برشلونة: مرفأ كبير مهم في شمالي شرقي جزيرة الأندلس.
- (٢) جنوة. مرفأ في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة إيطاليا. * (كذا).
- (٣) قالوا اسمه: قدار (بالضم)، عقر (ذبح) الناقة التي أرسلها الله اختباراً لقبيلة ثمود قوم النبي صالح، فغضب الله على ثمود وهدم بلادهم.
- (٤) الأذفونش في الأصل اسم علم على شخص (كان في إسبانية عدد من الملوك يحملون هذا الاسم). ثم أصبح هذا الاسم كاللقب للملوك إسبانية النصارى، كما كان كسرى لقباً لملوك الفرس وقيصراً لقباً لملوك الروم والرومان.
- (٥) وهذه الرسالة تنمة تصف تشّت آراء المسلمين وتحاذلهم في القرن الأخير من حياتهم في الأندلس.
- (٦) يرد هذا الاسم: عربية (بفتح ففتح) عربيّة (بتقديم الياء وبالتصغير). وقد اخترت القراءة الأولى.

المهديّة، سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ - ١٢٠٤ م)، ونشأ بها. ثمّ إنّه انتقل إلى تونس الحاضرة واتّصل بأبي زكريا يحيى بن عبد الواحد (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فولّاه القضاء في تبرسق. وكانت وفاته في تبرسق، ٢٨ المحرم ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م).

٢ - كان ابن عربيّة عالماً بالحديث وبالفقه وبعدد من فنون الأدب، غير أنّ شهرته كانت في الشعر. وهو شاعرٌ مجيد يُقلّد المِشَارِقَة مِنَ الإِسْلَامِيِّينَ والمُحَدِّثِينَ (الأُمويّينَ والعبّاسيّين). وأغراضه وجدانيّةٌ في النسيبِ والعِتابِ والوصفِ. وربّما تكلفَ استعمالَ الغريب من الألفاظ. وهو من الذين خَمَسُوا القصيدةَ الشُّقْراطِيسِيَّةَ لعبد الله بن يحيى الشُّقْراطِيسِيّ (ت ٤٦٦ هـ) في مدح الرسول. ثمّ هو مُصنّفٌ، له: جوامعُ الكَلِمِ النَّبَوِيَّةِ - آثارُ السَّحابةِ في شُراءِ الصَّحابةِ - قصائدُ المِدَحِ ومضائِدُ المِنحِ (وهي ديوانه). ثمّ له عدد من الكتب في الحديث والفقه.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن عربيّة في النسيب والعِتاب:

ألا، فرعى الله الحمى ونسيمه، وإنّ جلّ ما ألقاه من ساكني الحمى^(١)،
وتيمّمكم، يا أهلَ نَجْدٍ. فإنّني أراكم تلومون المَشُوقَ المُنَيِّباً^(٢).
هَجَعْتُمْ. وَمَنْ لي بالمُجُوع؟ فرُبّما أَلَمَّ به مِنْكُمْ خِيَالٌ فَسَلماً^(٣).
أيطرُقُ جَفْناً باتٍ مِنِّي ساهراً ويتركُ أجفاناً لكم بَتْنٌ نُوماً^(٤)؟
ولما استطارَ البرقُ قُلْتُ لصاحبي: أقلي هفا أم تُغرّه قد تبسّماً^(٥)؟
أعارَ وميضَ البرقِ حُسْنَ ابتسامه وماذا عليه لو أعارَ له اللَّمى^(٦)؟

- (١) جلّ: عظم، كثر، اشتدّ. ما ألقاه (من العذاب في البعد عن محبوب في الحمى).
- (٢) تيمّم الحبّ الرجل: اشتدّ عليه فأمرضه.
- (٣) أَلَمَّ (مرّ، زار) به (فيه: في المَجُوع،: الإغفاء، النوم). في الأصل «مسلاً» (ولا وجه لها). اقرأ: فسَلماً.
- (٤) طرُق: زار ليلاً. - أنا سهران لا أرى حبيبي في نومي (ولا في اليقظة - بفتح ففتح). وأنتم تنامون ملء جفونكم، ولكن لا ترونه في منامكم (لأنكم لا تفكّرون به ولا تعرفون مكانته ولا تدركون جماله).
- (٥) استطار: انتشر. أقرب المعاني للفعل «هفا» هنا: حق، اشتاق.
- (٦) اللّمي: السمرة في الشفاء.

أَوِ الْبَرَدِ الْعَذْبِ الَّذِي لَنْ تُذَيِّهَ حرارة أنفاسِ امرئٍ قَبْلَ الْفَا^(١) ؟
تَعْلَمُ مِنْهُ خَلْبُ الْبَرْقِ خُلْفَهُ ؛ فَمِنْ أَيِّمَا بَرْقٍ تَرَاهُ تَعْلَمُ^(٢) ؟
- وقال في الحنينِ إلى الوطنِ (وقد تكلف فيه الغريب من الألفاظ):
أَقُولُ لِرُكْبٍ قَافِلٍ مِنْ مُعَرَّسٍ بِجَمَّةٍ، تَرْدِي بِالْحُمُولِ مَشَاحِجُهُ^(٣) :
لَكَ اللَّهُ، أَمْتِغْنَا عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي أَكْبَرُهُ أَسْلَافُنَا وَأَبَالِجُهُ^(٤) ؛
وعن وطني، لولا العُلى وطلابُها لَعَزَّ عَلَى مَثَوَايَ أَنِّي خَارِجُهُ^(٥)
وعن رسمِ إيوانٍ تداعتْ عِراصُهُ وَدُكَّتْ حَنَائِيهِ وَخَرَّتْ مَعَارِجُهُ^(٦) ؛
وما صَنَعَ الْقَصَّةُ الْعُبَيْدِيُّ وَالْحِمَى وَسُورُ الْمُصَلَّى وَالْكُثِيبُ وَعَالِجُهُ^(٧) ؟

- (١) البرد: قطرات الماء التي تجمد بعد سقوطها من السحاب (كناية عن أسنان المحبوب).
(٢) البرق الخَلْبُ (الذي يبرق ويرعد ثم ينقشع غيمه من غير أن يطر). الخلف (بالضم): إخلاف الوعد. - هذا المحبوب تعلم قلة الوفاء بالوعد من هذا البرق الذي نراه في سائنا، فمن أي برق أخذ لون أسنانه البيض وعذوبة ريقه؟
(٣) الركب جماعة (على إبل) في سفر. قافل: راجع. المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرين في أثناء سفرهم ثم يتابعون السفر بعد ذلك. الجمّة: مكان يجتمع فيه ماء كثير. وجّة (هنا) بلد (في تونس؟). تردّي الخيل: تضرب الأرض بجوافرها ضرباً من سرعة جريها. الحمول جمع حمل (بالفتح): الهودج على الجمل (شبه بيت تركب فيه النساء). مشاحج (؟). المشحج (بالكسر): الغراب. - لعله يقصد البغال التي تحمل النساء والأحمال.
(٤) أمتعنا: حدّثنا حديثاً ممتعاً (يسرنا). الأبالج (؟) - الأبلج: الأبيض، الجميل، الكريم الأصل، الجواد، وجمعها بلج (بالضم).
(٥) خارجه: خارج منه (بعيد عنه). - خارج: خبر «إن» وليست «ظرفاً متعلقاً بالخبر المحذوف (؟).
(٦) الرسم: أثر البناء بعد زواله. الإيوان: البناء العظيم لمجلس الملك. تداعى: تهدّم. العريضة (بالفتح): المكان الواسع بين البيوت لا بناء فيه (والاستعمال هنا خطأ).
دك (بالبناء للمجهول) القصر: هدم كله. الحنيّة: القنطرة المعقودة. خرّ: سقط. المراج (بالكسر): المصعد (بالفتح): الطريق. يصعد فيها السائر. والشاعر يقصد بالمعارج السلام جمع سلم (بضم ثم لام مشددة مفتوحة).
(٧) القصر العبيدي: (القصر الذي كان ينزل فيه أئمة العبيديين (الفاطميّين) في المهديّة (في القطر التونسي). الحمى (المكان المحروس: مسكن النساء، والقلمة). الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. عالج: الرمل المتداخل المتراكب. لعل الشاعر يقصد بالكثيب وعالج مكانين للزخرفة (راجع البيت التالي).

وشاطِئُهُ أُنْسَى تَنَوَّعَ حُسْنِهِ ، وَخِضْرُهُ أُنَّى تَدَفَّعَ مَائِجِهِ (١) ؟
سَلامَ عَلَى الْمَهْدِيَّتَيْنِ فِيهِمَا أَبُ بَنْتُ عَنْهُ قَاصِرُ الْخَطْوِ هَادِجُهُ (٢) .

٤ - ★★ رحلة التجاني ٣٧٥ - ٣٨٠ ؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٧ - ١٩٩ ؛ الأعلام
للزركلي ٤ : ٣٧١ (٢٠٩) .

أحمد اللّليائي

١ - هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم اللّليائي - نسبة إلى لّليانة قرب المهدية ، في
القطر التونسي - انتقل به أبوه إلى تونس الحاضرة (العاصمة) ، وفيها لازم الإمام أبا
زكريّا البرقيّ .

تولّى أحمد اللّليائي عدداً من أعمال الدولة في أيام المستنصر الأول
(٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) . وكانت له في الوقت نفسه صلاتٌ تجارية بفرنسة وإيطالية فجمعَ
من ذلك ثروة كبيرة كانت سبباً لحسده عليها ثم مُصادرتها . ولم يشف ذلك غلّاً
السُّلطان له فقتله بعد ذلك في المحرم من سنة ٦٥٩ (في آخر شهر ١٢٦٠ م) .

٢ - كان أحمد اللّليائي فقيهاً وشاعراً مشرقياً الديباجة مشرقياً الأغراض متين
السبك صحيح التعبير . وفنون شعره الغزل والعتاب . وداليته التي تأتي في
« مختارات من شعره » تُذكرنا باليتيمة : « هل بالطلول لائل رد؟ » (راجع ٢ :
١٩٧) .

٣ - مختارات من شعره

- كان أحمد اللّليائي بعيد الطموح يُحدّث نفسه بأمر كثيرة (بالوصول إلى
السُّلطة مثلاً) . وفي مثل ذلك يقول :

-
- (١) أنى : كيف . الخضر : البحر العظيم .
(٢) المهديتين : ... (٣) . المهدية : بلد في منتصف الساحل الشرقي من القطر التونسي . بنت عنه : ابتعدت
(من بان يبين) . قاصر الخطو (ضعيف عاجز عن المشي) . الهادج : الذي يمشي بصعوبة أو بارتعاش .

في أمّ رأسي حديثٌ لسامعٍ ليس يُبصرُ^(١).
 فإنّ تطاولَ عُمري وساعَدَ الجَدُّ يَظْهَرُ^(٢).
 أرى جُموعاً صِاحِحاً، ومذهبي أنْ تُكسَّرَ^(٣).
 - وله في الغزل:

شادنٌ في القلبِ مرتعُهُ خَصَّه بالحُسنِ مُبدِعُهُ^(٤).
 لاميّ فيه أخو سَفَهِ بكلامٍ لست أَسْمَعُهُ^(٥).
 رَدَّ لي قلبي لِتَمَذُّلِهِ، فهو في كَفْنِهِ أَجْمَعُهُ^(٦).
 هل يُرى دهرٌ يجودُ به بعدَ ما قد كان يَنْعُهُ.
 وشقيقِ النفسِ يُتَحَفُّني بحديثِ جَلٍّ مَوْقَعِهِ^(٧).
 لفظُهُ دُرٌّ يُسَاقِطُهُ، وبناني السَّمْعُ يَجْمَعُهُ^(٨).
 - وقال أحمدُ اللّليانيّ في العتاب:

هذي العُذيبُ، وهذه نَجْدُ! أين الذي يَقْضِي بِهِ الْوَجْدُ^(٩)؟

- (١) أمّ الرأس: الدماغ. لسامع ليس يبصر (يسمع كلامي ولكن لا يتبيّن معناه ولا يدرك ما يحثّه له المستقبل).
- (٢) الجدّ (بالفتح): الخطّ.
- (٣) في البيت توريتان. الجمع الصحيح (جمع الأسماء جمعاً مذكراً سالماً أو مؤنثاً سالماً ثم، جماعات من الناس: أهل الدولة مثلاً). تكسير الجمع من الكلام جمعه على غير نسق معلوم: جمع ناثر ناثرون (جمعاً سالماً) وثوار (جمع تكسير). وتكسير الجمع (من الناس) تفريقه.
- (٤) الشادن: الغزال الصغير (المحبوب). في الأصل: خصّه في الحسن أبده. المبدع: الخالق (الله).
- (٥) السفه: النقص في العقل.
- (٦) عذل: لام. - إذا أردت أن أسمع لؤمك في حبيبي حتّى أهجره فاعمل أولاً على أن تردّ إليّ قلبي الذي هو أسير في يدي محبوبي.
- (٧) شقيق النفس: الذي هو عندك بمنزلة نفسك (روحك، حياتك). المحبوب. جلّ موقعه: عظم وقعه (تأثيره في نفسي).
- (٨) - كلام محبوبي درّ (جوهر، لؤلؤ) يلقي به وهو يتكلّم، وأنا أصغي إليه بانتباه كأنّي ألتقط اللؤلؤ بيناني (أطراف أصابعي) من الأرض.
- (٩) العذيب: نبع ماء (وماؤه قليل ولكن حلو) قرب ينبع (نهر المدينة المنورة). هذي العذيب..... هاهي قريبة مني. الوجد: الحبّ. الذي يقضي به الوجد أن يزور الحبّ أرض حبيبه.

ما هكذا حالُ المُحِبِّ إذا أعلامُ رُبْعٍ حبيبهِ تبدو^(١).
 سَرَّخَ دُمُوعَ المَينِ مُتَبَدِّراً وبِذْكَرٍ ماضِي عَهْدِهِمْ فَأَشْدُ^(٢).
 وَأَلْتَمَّ عَلَى شَفَفِ مَواطِنِهِمْ، إنَّ عاقَ عَن مَقْصُودِكَ البُعْدُ.
 لَمْ أُنْسَ يَوْمَ وَداعِهِمْ سَحَرًا، والدمعُ أَسْلَمَ دُرَّةَ العِقْدِ^(٣).
 فَمَسَى اللِّقَاءُ يَكُونُ مُقْتَرِنًا إنَّ أَنْجَدْتَ كَلَفًا بِهِ نَجْدُ^(٤).
 وَلَمَّا نَرَجُو تَجُودَ بِهِ كَفَّ الزَّمانُ وَيُسْعِدُ المَجدَ^(٥).

٤ - ** مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٥ - ١٩٧؛ عنوان الأريب ١ : ٧٣ - ٧٤.

أبو بكر بن سيّد الناس

١ - هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد (٥٦١ - ٦١٨ هـ) بن عبد الله (٥١١ - ٥٩١ هـ) بن محمد بن يحيى بن محمد^(٦) بن سيّد الناس اليغمريّ الإشيليّ، أصلُ أهلِهِ من مَنَسِجَ قُرْبَ حَلَبَ (في الشام)، وأصلُ أهلِهِ الأقربين من أُبَدَّةَ من عَمَلِ جِيَّانَ. يذكرُ أبو بكر بن سيّد الناس عن نفسه أَنَّهُ وَلِدَ لَعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيَتْ من شَهرِ أَكْتُوبَرِ الأَعْجَمِيِّ في صَدْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ^(٧). فعلى هذا يكون مولده في عاشر المحرم من سنة ٥٩٧ (١٢٠٠/١٠/٢١ م)، في الحُجيرة من قُرى إشبيلية، وبدأ تلقّي العلم على

(١) الأعلام: الجبال، الأماكن العالية البارزة. الربع: المسكن. - لا يفعل أحد مثل فعلي: يرى أرض حبيبهِ ثم لا يذهب إليها.

(٢) ابتدرت العين: سال دمعها. المبتدر (الذي يبكي كثيراً؟). شدا: غنى - كان ماضي عهدي معهم سعيداً.

(٣) أسلم دره العقد: انقطع سلكه وتفرقت حبات لؤلؤه (كناية عن كثرة بكائه).

(٤) أجدت: ساعدت (نجد على إتاحة الفرصة لزيارتها).... مقتربا (!).

(٥) المجد (بالفتح): الخط.

(٦) ساق الرواة نسب أبي بكر بن سيّد الناس سياقة أطول، مع شيء من الاختلاف (راجع «عنوان الدراية» و«الذيل والتكملة».

(٧) سنة سبع وتسعين وخمسمائة. أكتوبر المعجمي (تشرين الأول) والشهر العاشر من السنة الشمسية في الحساب الحديث.

أبيه ولازمه خمس عشرة سنة، وعلى جدته لأبيه أم العفاف نزهة بنت سليمان اللخمي ولازمها ست سنوات ونصف سنة. ثم يذكر نفراً كثيرين من الذين قال إنه تلقى العلم عليهم، منهم: أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمي (ت ٦٠٣ هـ) وأبو ذر مضعب بن محمد الحنفي (ت ٦٠٤ هـ) وأبو الحسن بن خروف النخوي (ت ٦٠٩ هـ) وابن جبير الرحالة (ت ٦١٤ هـ) وأبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحمي (ت ٦١٩ هـ) وغيرهم كثير، حتى قال ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٧): «وشيوخه كثيرون يتعذر إحصاؤهم ويدعو إلى السأم استقصاؤهم»، مع أنه قد سرد من أسمائهم ما ملأ أربع صفحات (٥: ٦٥٤-٦٥٨). ويبدو أن ابن سيد الناس كان مُبالغاً في عدد الذين تلقى عنهم العلم وفي العلم الذي تلقاه أيضاً، حتى (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٨) «أنكر كثير من الناس عليه ذلك ونسبوه إلى أدعائه ما لم يروِه (من العلم) ولقاء من لم يلقه (من الشيوخ) على الوجه الذي زعمه».

وأكتب أبو بكر بن سيد الناس (أي جعل الناس يكتبون عنه ما يلقي من فروع العلم) بحضن القصر (قرب إشبيلية) مدة - وفي الإكتاب أذهب معظم عمره في الأندلس - ثم فصل عنها وأكتب القرآن في قرية خاملة من قرى شريش (من أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) تدعى بونينة. ثم فصل (نزع) من بونينة، بعد سنة ٦٤٠ للهجرة، إلى سبتة (في أقصى الشمال من المغرب، على البحر المتوسط)، بعدئذ انتقل إلى بجاية (في القطر الجزائري اليوم) فتولى الإمامة والخطابة بجامعها.

وفي حدود سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦م)، دعاه المستنصر^(١) الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) إلى تونس الحاضرة وولاه الإمامة والخطبة بجامعه.

وقد كانت وفاته بحاضرة تونس، في جبادى الأخيرة^(٢) من سنة ٦٥٩ للهجرة

(١) في عنوان الدراية المستنصر (ص ٢٤٧) مرتين. وفي الحاشية: تخطيط لنيل الابتهاج لأنه قال المنتصر (راجع نيل الابتهاج ٢٢٩). وفي «خلاصة تاريخ تونس» لحسن حسني عبد الوهاب «المنتصر (ص ١٠٨-١٠٩) أربع مرات، وفي الصفحة ١٢٥ «المنتصر». وفي زامباور (ص ١١٥): «المنتصر» وفي الحاشية المنتصر.

(٢) في «عنوان الدراية (ص ٢٤٩): وكانت وفاته يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين جمادى الآخرة، سنة تسع =

(١٢٦١ للميلاد). وَلَحِقَهُ قُبِيلَ مَوْتِهِ مَرَضٌ فِي عَيْنَيْهِ (راجع نفع الطيب ٤ : ١١٠).

٢- كان أبو بكر بن سيّد الناس بارعاً في القراءات حافظاً للحديث عارفاً برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفياتهم ومبلغ أعمارهم. وكان يقوم على البخاري^(١) قياماً حسناً. وكان إذا قرأ الحديث يُسَنِّدُهُ (إلى رواته) حتّى يَنْتَهِيَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثمّ إذا أنتهى الإسنادُ (رُجوعاً إلى الرسول) عادَ إلى ذِكْرِ رِجاله من الصّحابة والتابعين فَمَنْ بَعْدَهُمْ واحداً واحداً يُعَرِّفُهُمْ نَسَباً وأَسْماً وَصِفَةً (حتّى يَنْتَهِيَ نُزولاً) إلى شيخه..... ثمّ يذكُرُ لُغَةَ الحديث وفِقْهَهُ والخِلافَ العالِي^(٢) ودَقائِقَهُ ورقائِقَهُ والمُسْتَفادَ منه (راجع عنوان الدراية ٢٤٦-٢٤٧ ونيل الابتهاج ٢٢٩). ثمّ هو خطيبٌ ولُغويٌّ وتاريخيٌّ وشاعرٌ.

وقيل في أبي بكر بن سيّد الناس (الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٨ - ٦٥٩): «وتصدّى لإسماع الحديث وغيره مُتَظاهراً بِسَعَةِ الرِّوَايةِ والإكْثَارِ عن^(٣) الشيوخ... فأنكر كثير من الناس عليه ذلك.... وعلى الجملة، فقد كان قاصراً عمّا تعاطاه من ذلك شديد التجاسر عليه، مُتَأَيِّداً بما ناله من الجاه والحُظوة عند الأمير بتونس».

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو بكر بن سيّد الناس يَتَشَوَّقُ إلى زيارة البيتِ الحرامِ (الكعبة المشرفة في مكة):

أيا سائراً نحو الحِجاز، وقَصْدُهُ إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ، بَلَّاغُ^(٤).
ومِنْهُ إلى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يكونُ لَهُ بالروضَتَيْنِ مَرَاغُ^(٥).

= وخسين وستائة. وفي «الذيل والتكملة» ٨ أو ٧ جادى الثانية، وفي «نيل الابتهاج»: ثالث عشر جادى الأخيرة ٦٥٧. توفي بتونس في رجب (شذرات الذهب (٥ : ٢٩٩).

- (١) كتاب «الجامع الصحيح» (في أحاديث رسول الله) لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ).
- (٢) الخلاف العالِي = الخلاف في الأحاديث العوالِي التي يروها أفراد معاصرون للرسول (٤).
- (٣) مدّعياً أَنَّهُ تَلَقَّى العلمَ على شيوخٍ كثيرين.
- (٤) قصده (نيتَه) بلاغ (تبلغه مرامه وتوجب له الأجر وإن لم يصل) (٤). أو أرجو أن تبلغ سلامي.
- (٥) الروضة الشريفة (مكان قبر الرسول). المِراغ والمِراغة: المكان الذي يتمرّع فيه الشخص (يتقلب على التراب ليحكّ جسمه بالأرض أو للتذلل أو للباس، الخ).

فيا أسفاً، كم قد تَمَنَّيتُ قَصْدَهُ فأدفع عن قَصْدي له وأُراغ^(١).
وقصّر بي جَدِّي، إذ الأمرُ في يدي جيّع، وعِندي ثروةٌ وفَراغ^(٢).
(وذا) الآنَ قد خَطَّ المَشِيبُ بِمَفَرِّقي، وكَلَّلَ رأسي من حُلَاةِ صِباغ^(٣).
أَعْلَلُ نفسي بالْمُنَى، وتَصُدُّني ذنوبُها عند الفِراقِ مَصاغ^(٤) (٥).
عسى توبةٌ قبلَ المَآتِ وزُورَةٍ فَيُنْضَحَ من شَيْنِ الذُّنُوبِ رِداغ^(٥).
وَألقى شُيوخاً يُؤْنِسُ المرءَ مِنْهُمْ أحاديثُ صِدِّيقٍ تُجْتَلَى وتُصاغ^(٦).

- ومن رسالة بخطّ أبي بكر بن سيد الناس يقول فيها (الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٩-٦٦١):

أما أصلنا فَمِنْ مَنبَجِ الشَّامِ . وخرج سَلَفُنا غُرَافَةً في طالعةِ بَلَجٍ^(٧) واستوطنوا أَبَدَةً جَيَّانَ - ويقال إِنَّها شبيهةٌ ببلدِهِم في خِصْبِها وآتِساغٍ خَيْرِها - كذا رَأَيْتُهُم وسمِعْتُهُم يتلفَظون بها ، بالذالِ المُعْجَمَةِ . وفي أخبارِها ما يَدُلُّ على أَنَّ العربَ ، إذ ذاك ، تكلَّموا فيها بالذالِ المُهْمَلَةِ ومولِدُ جَدِّي الفقيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ بِأَبَدَةٍ سَنَةً إِحدى عَشْرَةَ وخَمِيسَاءَةً . وتُوفِّيَ في إِشبيليةَ عامَ (معركة) الأُرُك سَنَةً إِحدى وتسعين^(٨) . ومولِدُ أَبِي إِشبيليةَ في

- (١) « ادفع » حقها النصب بأن مضرة بعد فاء السببية (بعد فعل التمني). ولكن يجب حينئذ نصب « أراغ » فيحدث إقواء (عيب: نصب بدل الرفع في القافية). أراغ: أبعد (عن الطريق السوي).
- (٢) الجذ (بالفتح): الحظ. في الأصل « إذا » (الصواب إذ). - انا مستطيع أن أذهب إلى الحج، ولكن حظي سيء فلم تتح لي فرصة بعد للذهاب.
- (٣) خط: كتب (بدأ الشيب في رأسي). كلل رأسي: أحاط برأسي صباغ (لون أبيض: شيب) من حلاه: زينته. - كان لون مشيبه جيلاً.
- (٤) ذنوب لها عند الفراق مصاغ (٥): تنحرف بي عن قصدي.
- (٥) زورة (للمدينة، لقبر الرسول). الثين: العيب. نضح: غسل بالماء. الرداغ: الوحل. أرجو إذا زرت مكة والمدينة أن تضل تلك الزورة (مع التوبة) ما علي من عيب الذنوب.
- (٦) شيوخ (أساتذة). أحاديث صدق: أحاديث صادقة (ثابتة، صحيحة). تجتلى: يطلب الإنسان اجتلاءها (النظر إليها). وتصاغ (تجمل زينة لما يحفظه الإنسان من فنون العلم).
- (٧) بلج بن بشر القشيري (ت ١٢٤ هـ) قائد جيش جاء من الشام لإخضاع الثائرين في إفريقية (تونس) ثم دخل الأندلس وشارك في القتال. راجع أخباره مفصلة في الجزء الرابع من هذه السلسلة (ص ٤٣ وما بعد).
- (٨) سنة ٥٩١ هـ. ومعركة الأرك انتصر فيها الموحدون على الإسبان في الأندلس وخفوا وطأة الإسبان عن المسلمين هناك. راجع في هذه السلسلة الجزء الخامس (ص ٣٦٠).

جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةً إِحْدَى وَتَسْعِينَ (وَخَمْسَمِائَةَ)، وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةً ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ. وَمَوْلَدِي بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى إِشِيلِيَّةٍ تُسَمَّى الْحُجِيرَةَ، خَرَجَ أَبُوَايَ لَهَا فِي غَلَّةِ الزَّيْتُونِ لِضَمِّ فَائِدٍ^(١) أَمْلَاكِهِمْ - وَكَانَا مُتَحَابِّينِ لَا يَصْبِرُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، فَخَرَجَا جَمِيعاً إِلَيْهَا - فَكَانَتْ وَلَادَتِي بِهَا لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ أُكْتُوبَرِ^(٢) الْعَجَمِيِّ، وَلَا أَدْرِي مَا وَافَقَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَلَفِ تَقْيِيدَاتِي وَتَقْيِيدَاتِ سَلَفِي فِي ضَيْعَةٍ^(٣) كُتِبِي. إِلَّا أَنَّ وَالِدِي كَانَتْ تَقُولُ: كُنْتُ لَيْلَةَ مَوْسَمِ يَنْبَرٍ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٤)، وَإِلَّا مَا تَحَقَّقَتْهُ بِآخِرَةِ^(٥) مِنْ وَجْهِهِ (مَنْ) أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي صَدْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ، قَبْلَ السَّيْلِ الْكَبِيرِ بِأَشْهُرٍ.

٤ - ** الذيل والتكملة ٥: ٦٥٣ - ٦٦٢ (رقم ١٢٤٥)؛ عنوان الدراية ٢٤٦ - ٢٤٩؛ نيل الابتهاج ٢٢٩ - ٢٣٠؛ شذرات الذهب ٢٩٨ - ٢٩٩.

ابن عبدون المكناسي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي، من أهل مكناس، كانت وفاته في العشر الأول من ذي القعدة من سنة ٦٥٩ (خريف ١٢٦١ م) في الأغلب.

٢ - ابن عبدون المكناسي شاعر متين السبك جزل المعاني على شعره نفحة مشرقية بارزة. وفنونه الغزل والعتاب ووصف الطبيعة ينحو فيها المنحى الوجداني. ويبدو أنه كانت له مشاركة في القراءات والفقه.

(١) غلة الزيتون = موسم الزيتون (في الخريف). الفائذ = الفائذة (٤): محصول أراضيهم.

(٢) أكتوبر (راجع مطلع ترجمة أبي بكر بن سيد الناس).

(٣) ضيعة = ضياع (بالفتح: فقدان).

(٤) (٤).

(٥) الفيضان العظيم.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن عبدون المكناسي في الشَّيب:

لَمَّا تَرَأْتِ لِلْمَشِيبِ بِمَفْرِقِي شُهْبٌ أَغْرَنَ عَلَى شَبَابِي الْأَذْهَمَ^(١)،
أَبْدَى التَّجَهُمَ مِنْ أَحَبِّ. أَمَا دَرَى أَنَّ الدِّيَاجِيَّ حُسْنُهَا بِالْأَنْجَمِ^(٢)؟

- وقال في فاس ومكناس:

إِنْ تَقْتَحِرْ فَاسٌ بِمَا فِي طَيِّهَا وَبِأَنَّهُمَا فِي زِيَّهَا حَنَاءُ^(٣)،
يَكْفِيكَ مِنْ مِكَنَاسٍ أَرْجَاؤُهَا وَالْأَطْيَانِ: هَوَاؤُهَا وَالْمَاءُ^(٤)!

- وقال في العتاب:

يَا جِيرَتِي وَمَنْ أَسْتَجَرْتُ بِهِمْ مِنْ جَوْرِ عِزِّهِمْ عَلَى ذُلِّي^(٥)،
عَلَّقْتُ حِلَّ مَحَبَّتِي بِكُمْ. بِحَيَاتِكُمْ، لَا تَقْطَعُوا حَبْلِي.
مَا كَانَ أُنْدَى ظِلِّ عَيْشَتِنَا إِذْ كَانَ مُنْتَظِمًا بِكُمْ شَمْلِي،
إِذْ نَجَّتَنِي ثَمَرَ الْمُنَى ذُلًّا فِي رَوْضِ أُنْسٍ وَافِرِ الظِّلِّ^(٦)،
عُودُوا إِلَى عَادَاتِ وَصْلِكُمْ: لَا تَحْرِمُونِي لَذَّةَ الْوَصْلِ.
حَاشَاكُمْ، وَالْفَضْلُ شَيْئُكُمْ، أَنْ تُعْقِبُوا الْإِخْصَابَ بِالْمَحْلِ^(٧)،
وَإِذَا أُبَيِّنْتُمْ غَيْرَ جَوْرِكُمْ، فَالْجَوْرُ مِنْكُمْ غَايَةُ الْعَذْلِ.
إِنْ شِئْتُمْ قَتْلِي، فَهَا أَنَا ذَا. لَا تَحْذَرُوا مِنْ طَالِبِ دَحْلِي^(٨)!

- (١) الفرق المكان الذي يفصل فيه الإنسان بين شعره. شهب: نجوم (شعرات بيض).
أغرن = هجمن - الأدهم: الأسود. - كثر الشعر الأبيض في شعري الذي كان شديد السواد.
- (٢) تجهم فلان فلانا: استقبله بوجه عابس كربه.
- (٣) بما في طيها: داخلها (ماضيها من الآثار الجميلة والمكانة الرفيعة).
- (٤) الأرجاء جمع رجا: الناحية.
- (٥) الجور: الظلم (الاستبداد).
- (٦) ذلل جمع ذلول: سهل. يسهل الوصول إليه.
- (٧) الشيمة: العادة (الجميلة). المحل (بالفتح): القحط. - (أعيدكم من أن تقطعوني بعد أن كنتم تحسنون إلي).
- (٨) الدحل: الثأر.

٤ - ** نفع الطيب ٦ : ٢١٢ ، النبوغ المغربي ١٧٠ - ١٧١ ، ٧٢٤ - ٧٢٥ ، ٧٦٣ - ٧٦٤ ،
الأعلام للزركلي ٧ : ١٣٦ (٦ : ٥٦) .

ابن سُراقَة الشاطبيّ

١ - هو أبو عبد الله (ويُكنى أيضا : أبا بكرٍ وأبا القاسم) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ^(١) بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِبِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ سُراقَة . وُلِدَ فِي شَاطِبَةِ فِي رَجَبٍ
مِنْ سَنَةِ ٥٩٢ (حزيران - يونيو ١١٩٦ م) . وَقَدْ سَمِعَ مِنْ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ أَبِي
الْقَاسِمِ (أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ بَقِيٍّ ت ٦٢٥ هـ) .

وَرَحَلَ أَبْنُ سُراقَة فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ رِحْلَتُهُ فِي زَمَنِ
بَاكِرٍ جَدًّا حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبِي الْحَاسَنِ بْنِ شَدَّادٍ (ت ٦٣٢ هـ) ، فِي بَغْدَادَ أَوْ
فِي أَثْنَاءِ رِحْلَةِ أَبْنِ شَدَّادٍ إِلَى حَلَبَ . وَكَذَلِكَ سَمِعَ فِي الْعِرَاقِ مِنْ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ
السُّهْرَوْرْدِيَّ (ت ٦٤٣ هـ) وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَالِقِيِّ وَأَبِي حَفْصٍ الدِّينَوْرِيِّ وَآخَرِينَ .
وَتَوَلَّى أَبْنُ سُراقَة دَارَ الْحَدِيثِ الْبَهَائِيَّةَ فِي حَلَبَ (مُدَّةَ سِيرَةٍ ، فَمَا يَبْدُو) ، إِذْ أَنَّهُ
أَتَقَلَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَتَوَلَّى بِهَا دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةَ ، مِنْ سَنَةِ ٦٤٢ لِلْهِجْرَةِ إِلَى حِينَ
وَفَاتِهِ سَنَةَ ٦٦٢ (١١٦٣ - ١١٦٤ م) .

٢ - كَانَ أَبْنُ سُراقَة الشَّاطِبِيُّ أَحَدَ الْأَثَمَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَأَحَدَ الشُّيُوخِ الْمَعْرُوفِينَ
بِالتَّصَوُّفِ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ ، وَقَدْ تَوَلَّى نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْقَضَاءِ . ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ
عَلَى مَذْهَبِ الْقَوْمِ (الْمُتَّصِفِينَ) . وَشِعْرُهُ سَهْلٌ وَاضِحٌ ، وَلَكِنَّهُ يَغْمُضُ عَلَى الْقَارِئِ الْعَادِيِّ
أَحْيَانًا بِمَعَانِيهِ الصُّوفِيَّةِ أَحْيَانًا . وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَلَفَ كُتُبًا فِي التَّصَوُّفِ .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ .

- قَالَ أَبْنُ سُراقَة الشَّاطِبِيُّ أُبَيَاتًا فِيهَا مَعَانٍ صُوفِيَّةٌ ، فَمِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا :

(١) فِي نَسْقِ نَسَبِهِ خِلَافَ . رَاجِعْ حَاشِيَةَ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ .

نَصَبْتُ، ومثلي للمكارم ينصب،
وحاولت إحياء النفوس بأسرها
وأتعِبُ إن لم تمنح الخلق راحة،
مرادِي شيء، والمقادير غيره.
* إلى كم أمني النفس ما لا تناله
وقد مر لي خمس وعشرون حجة
وأعلم أنني - والثلاثون مُدَّتِي -
فماذا عسى في هذه الخمس أرتجي
- وقال في الصديق المُخلص:

وصاحب كالزُّلال يمحو
لم يخص إلا الجميل مني،
صفاءه الشك باليقين.
كانه كاتب اليمين^(٧).

- (١) نَصَبَ يَنْصِبُ (يكسر الصاد في الماضي وفتحها في المضارع): جدّ وسمى وصمد (اتّجه إلى الشيء).
ومثلي للمكارم ينصب (يقصد أن يرقى إلى المكارم). رام: أراد. غرّب (بتشديد الراء): اتجه نحو
الغرب، أmeen في سفره (بالغ في عمله). ورمّت شروق الشمس وهي تغرب: أردت أن تطلّ الشمس
مشرقة، بينما هي من عادتها أن تشرق وتغرب (أردت خلاف ما تعودّه البشر).
- (٢) وحاولت إحياء النفوس (بالعلم) بأسرها (كلّها)، وقد غرغرت (تردّدت الروح عند الموت في الحلق = وقد
أوشكت نفوس البشر أن تموت من الجهل لمعرفة الحقيقة).
- (٣) إن لم تمنح (يا ربّ العالمين؟) وغيري إن لم يتعب الخلق يتعب (٤).
- (٤) المراد: البغية (بالضم)، المطلوب. المقادير (ما قضاه الله على عباده وأرادهم أن يفعلوه أو ما كتب عليهم
من الحوادث).
- (٥) كان الشاعر يظنّ أنّه سيعيش ثلاثين سنة فقط. وكان لما قال هذه المقطوعة في الخامسة والعشرين من
العمر (راجع البيت السابق) - في هذه السنّ (بين الخامسة والعشرين والثلاثين) يكون الإنسان ميّالاً إلى
الذهاب إلى مغايب (أماكن) اللهو، ومع ذلك فأنا أرفض اللهو (في هذه السنّ) رفضاً باتاً. حر (بفتح الحاء
وبلا شدة على الراء): خليق، أهل، يستحق.
- (٦) في هذه الخمس (في السنوات الخمس الباقية من عمري). وجدي: حبي، شوقي (ميل نفسي إلى اللهو)
إلى أوب (رجوع) من العشر (عشر سنوات). أفضى: أذى، وصل. - أنا الآن أشعر بالميل إلى اللهو كأنّي
لا أزال ابن عشر سنين (٩).
- (٧) ... لا يذكر إلا أفعالي الجميلة الحسنة الصالحة. - على كَيْفِي كلّ فرد من الناس ملكان (بفتح ففتح):

٤-★★ فوات الوفيات ٢: ١٨٥-١٨٦؛ الوافي بالوفيات ١: ٢٠٨-٢٠٩، شذرات الذهب ٥: ٣١٠-٣١١؛ نفح الطيب ٢: ٦٣-٦٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧ (٣٢٢: ٥).

أبو الحسن بن محمد الجيّاني

١- هو أبو الحسن علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي الجيّاني، أخذ النحو عن أبي الحسن بن الدبّاج وأبي علي بن الشّلوين. ثمّ إنّه تصدر للتدريس وتولّى القضاء مدةً بحضن القصر (قرب إشبيلية). بعدئذ نزل في مراكش، وقد استكتبه الرشيد الموحدي (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ) حيناً. وكانت وفاته سنة ٦٦٣ هـ (١١٦٤ هـ = ١١٦٥ م).

٢- يبدو أنّ أبا الحسن بن محمد الجيّاني قد وقف جميع آثاره على مدح الرسول. ومع أنّ آثاره هذه عادية في معانيها وفي المعجزات التي سردّها من تلك الحارقة للعادة والحارقة للطبيعة، فإنّا نلمح فيها عاطفة دينية مشبوبة ورغبة ملحة في زيارة قبر الرسول خاصة. ويبدو أنّ هذه الفرصة لم تُتاح له قط. من أجل ذلك كتب رسالة طويلة بهذا المعنى وأرسلها توضع على قبر الرسول. وبعض شعره أكثر غزوبة من نثره.

٣- مختارات من آثاره:

- من بديعياته (في مديح الرسول)^(١):

كيف لا أندبُ عهداً بالحمي عن جفوني طارق النوم حمي^(٢)؟
نزعست شوقاً إليه مهجة لم يدغ منها الهوى غير دما^(٣).

اثان من الملائكة) يُحصى الذي على الكتف اليمنى منها الأعمال الصالحة التي يأتي بها ذلك الفرد، ويحصى الآخر أعمال الفرد السيئة.

(١) أسماء الأماكن في هذه القصيدة ليست أعلاماً جغرافية معينة. بل رموز للمكان الذي يتشوق إليه المتصوّف أو المتفرّج.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً. طارق النوم: النوم الطبيعي.

(٣) نزعست: مالت، تشوّقت. مهجة: دم القلب (القلب). الذماء (بالفتح): بقية الروح في الجسم.

يا ليالينا بذي الغور، أما
وعهوداً باللوى قد سلفت
يا حداة العيس، رفقا! إنها
أوهن الوخذ قواهن، فإن
مدت الأعناق لما رملت
هاديات بالهوادي، كلما
جنبوها مورد الماء، فقد
وعداها بعداها ظفراً
إنها قد حملت شغناً، إذا
شربوا الدمع حمياً وأرتووا،
من عذيري من زمان قد مضى
حسرتا إن لم أبلغ أملي
إن حسي في غد أن أغتدي
النبي الأبطحي المجتبي

يتسلى القلب عنكن أما؛
لم أزل أبكي عليهن دماً.
شكت الجهد وبغد المرتى^(١).
لاح نجدت خلت فيها لهما^(٢).
بنقا الرمل وأكناف الحمى^(٣).
ضل حاد جاذبته الخطأ^(٤).
حرمته أو تزور الحرما^(٥).
وسروراً يوم تأتي الموسى^(٦).
ما بكوا قلت غمام سجا^(٧).
ولذا عافوا الزلال الشبا^(٨).
أقرع السن عليه ندماً.
قبل أن يأتي الردى مختوماً^(٩).
لائذا بالمصطفى مختوماً^(١٠).
سيد الخلق الكريم المنتمى^(١١).

- (١) يا حداة (سائقي) العيس (النياق). الجهد: التعب. المرتى: الطليعة (الذي يسير في مقدمة القوم) - والشاعر يقصد المراد (المكان الذي يؤدّ الذهاب إليه).
- (٢) أوهن: أضعف. الوخذ: السير (السريع المتوالي). ومع ذلك فلما اقتربنا من نجد (من المكان الذي نشاق إليه) ظن أن بهالماً (جنوناً) لكثرة ما أسرعت من جديد.
- (٣) «رمل» يقصد بها هنا: غرقت قوائمها في الرمل وعجزت عن السير (وهذا معنى ليس في القاموس)، مدت أعناقها لتصبح أقرب إلى المكان المقصود ببضعة أصابع، هرول.
- (٤) الهادية: الناقة التي تسير في مطلع القافلة (لأنها تعرف الطريق). الخطام (بالكسر): اللجام. - شوقها يجعلها تعرف الطريق الصحيح أكثر من الهادي (السائق).
- (٥) لا تحاولوا أن تسقوها ماء في أثناء الطريق، لأنها عذمت على ألا تشرب ماء قبل وصولها إلى مكة.
- (٦) عداها (فعل أمر للمنتمى من «وعد») العدا: الأعداء. الموسم: اجتماع الناس في الحج.
- (٧) الأشعث: الذي أغبر وجهه وتشتت شعره من طول السفر وغبار الطريق. سجم: سال بكثرة.
- (٨) الحميم: الحار. الزلال: الماء الصافي. الشم: البارد.
- (٩) اخترم الموت الرجل: أخذه (قبل أوانه).
- (١٠) حسي: كفاية لي. لائذ: ملتجئ. المصطفى: رسول الله. مختوماً = متحرماً: لا ينالني أحد بسوء.
- (١١) الأبطحي: من بطحاء مكة (أشرف بقاعها واعزاها). المجتبي (المختار المقرب). المنتمى: الأصل.

الرسول الساطع النور الذي قد جلا نور هُداة الظلما.

- وله من رسالة طويلة كَتَبَ بها لتُؤخَذَ إلى قبرِ رسولِ الله:

إلى سيِّدِ المرسلين ورسولِ ربِّ العالمين، الذي جُعِلَ له الأرضُ مَسْجِداً وطهوراً^(١)، وكان ولم يَزَلْ مُتَنَقِّلاً من صُلْبِ آدَمَ نوراً^(٢). من يَلْجأُ إليه يومَ الفَرَعِ الأكبرِ النَّبِيِّينَ^(٣)، ويرجو مَذْخُورَ شَفَاعَتِهِ في غَدِ المُسَيِّونَ. ذُوَابُهُ بني هاشمِ المُتَجَشِّمِ في ذاتِ الله سُبْحَانَهُ أَصْعَبَ المَاشِمِ^(٤). الميمونُ النقيبة والطليعة^(٥)، المُشِيرُ إلى الأصنامِ فَخَرَّتْ صَريعةً^(٦). حبيبُ الله وخليلُهُ ومن أُنْزِلَ عليه تحرِيْمُهُ وتحليلُهُ، وقام على صِدْقِهِ بُرْهَانُ الحَقِّ الواضِحِ ودليلُهُ. الذي أعْجَزَ البُلْغَاءَ وَهُم أَوْفَرُ النَّاسِ في وقْتِهِ عَدَدًا^(٧)، ولو آتَخَذُوا البَحْرَ مِدَاداً والأشجارَ مَدَاداً^(٨) فَضَحَّهْمُ بِبَاهِرِ آيَاتِهِ وَمَا فَجَرَهُمُ الكاذِبَ سَطُوعُ آيَاتِهِ^(٩)، الذي جُمِعَتْ له شَتَى الفضائلِ وضُرُوبُهَا....

٤- ★★ الذيل والتكملة ٥: ٢٨٧ - ٣٠١ (رقم ٥٧٩)، الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

- (١) في الحديث « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » (في الإسلام تجوز الصلاة في كل مكان من غير ضرورة إلى بناء مخصوص أو لباس معين).
- (٢) انتقل النور من آدم إلى أبنائه واحداً بعد واحد، في نسب متصل مستقيم، حتى وصل إلى محمد رسول الله.
- (٣) يوم الفرع الأكبر: يوم القيامة. مَذْخُورُ الشفاعة: الشفاعة المدخرة لتكون يوم القيامة من حق محمد رسول الله.
- (٤) الذوابة: أعلى القوم. المتجشم.... الذي لاقي في سبيل الدعوة إلى الله أشد المصاعب.
- (٥) الميمون: المبارك. النقيبة: الطليعة. (طلائع الجيوش التي قامت بالجهاد!).
- (٦) لما كان فتح مكة، سنة ٨ (٦٣٠ م) صعد الرسول إلى ظهر الكعبة وبيده قضيب كان يدفع به الأصنام ويلقيها أرضاً وهو يتلو: ﴿ قل: جاء الحق وزهق الباطل (إن الباطل كان زهوقاً) ﴾ (١٧: ٨١، سورة الإسراء). خَرَّتْ: سقطت. صريعة: ملقاة أرضاً (لا فرق بينها وبين سائر الحجارة في الأرض).
- (٧) بلاغة الرسول (وكان أمياً لا يخط ولا يقرأ الخط) كانت معجزة ظاهرة في زمن اشتهر أهله بالبلاغة.
- (٨) المداد: الحبر. المدد: النجدة (لو جعلت جميع الأشجار تصلح لتكون أقلاماً).
- (٩) أول نور الفجر يكون ضميماً فيسمى الفجر الكاذب (لا تحين به صلاة الصبح) ثم ينتشر النور من وراء الأفق واضحاً فيسمى الفجر الصادق. السطوع: الضياء القوي. الآيات: العلامات، الدلائل. الضروب: الأنواع.

ابن الفَخَّارِ الرُّعَيْنِي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن هَيْصَمِ الرُّعَيْنِي المعروفُ بِأَبْنِ الفَخَّارِ، وُلِدَ في إشبيلية في شَعْبَانَ من سَنَةِ ٥٩٢ (صيف ١١٩٦ م) وفيها نشأ وأخذ عن شيوخ عصره - وقد عدَّ منهم في «برنامجه» مائة وأثنى عشر - منهم: أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن خروف النحوي (ت ٦٠٩ هـ) ومحمد بن عبد النور السبقي المقرئ (ت ٦١٤ هـ) وأبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون الفقيه المحدث (٥٣٩-٦٢١ هـ) وأبو القاسم عامر بن هشام الأزدي القرطبي الشاعر (٥٥٣-٦٢٣ هـ) وأبو الحسن عليُّ بن محمد البلوي الفقيه (٥٥٤-٦٢٣ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إدريس بن مرج الكحل (ت ٦٣٤ هـ).

جلس أبْنُ الفَخَّارِ الرُّعَيْنِي للتدريس والإفادة مُنْذُ سَنَةِ ٦١٤ للهجرة. وكان كثيرَ التنقُلِ في الأندلس والمغرب: في سنة ٦١٥ للهجرة كان قاضياً في مَورُور (من جنوب الأندلس بين شريش وقرمونة وإشبيلية). ثم رأيناه في مالقة (٦١٥ هـ) وإشبيلية وفي قرطبة (٦٢٥ هـ). وفي سبته بالمغرب (٦٢٩ هـ)، ثم في غرناطة (٦٣٦ هـ)، وتلمسان بالمغرب (٦٤٦ هـ). في هذه الأثناء كتب (في ديوان الإنشاء) لنفرٍ من ملوك الأندلس وملوك العُدوة الإفريقية. وفي آخر عُمره استقرَّ في مراكش حيثُ تُوُفِّيَ في الرابع والعشرين من رمضان سَنَةِ ٦٦٦ (٧/٦/١٢٦٨ م).

٢- ابنُ الفَخَّارِ الرُّعَيْنِي فقيهٌ ومُحدِّثٌ وأديبٌ نائرٌ مُترسِّلٌ وناظمٌ، وكتابته تتصف بخصائص عصره من الميل الشديد إلى السجع وإلى أنواع البديع، فقد يُنشئ رسالةً أو ينظم قصيدةً في كلِّ كلمةٍ من كلماتها حرفُ العينِ أو حرفُ السينِ، مثلاً (راجع «مختارات من آثاره»). وله شيءٌ من الشعرِ الوجداني ذي النُفحةِ الدينية. ثم هو مُصنِّفٌ له: كتاب الإيراد لبُذبةِ المستفاد من الرواية والإسناد بقاء حَمَلَةِ العلم في البلاد على طريق الاقتصاد والاعتقاد (وهو برنامج شيوخه: برنامج شيوخ الرُعَيْنِي) - اقتفاء السُنَنِ في انتقاء أربعين من السُنَنِ (في الحديث) - شرح الكافي لابن شريح^(١) - جَنَى

(١) كتاب الكافي (في القراءات....) لمحمد بن شريح بن أحمد الرُعَيْنِي الإشبيلي المقرئ (٣٩٢-٤٧٦ هـ). =

الأزاهرِ النضيرة وسنا الزواهرِ المنيرة في صِلَةِ المَطْمَعِ والذَّخيرةِ تَمَّا وَلَدَتْهُ الخَوَاطِرُ مِنَ
الحاسنِ في هذه المَدَّةِ الأخيرةِ (فيه المَخَاطِبَاتُ التي جرت بينه وبين الكِتَابِ والشعراء).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفَخَّارِ الرَّعِينِيّ (مع شرط التزام العين في كل كلمة)^(١)

عَلَكَ عَلَّتْ عُلُوُّ الشُّعْرَيْنِ مُصَاعِدَةً لأَعْلَى المَطْلَعَيْنِ^(٢)
أَعَادَ عَلَى العُلَا عَصْرِي سُوْدٍ بِرَيَعَانِ المَارِفِ مُفْرِعَيْنِ^(٣)
عُنِيَتْ بِمَنْزِعِي عَمَلٍ وَعِلْمٍ عِنَايَةً مُوَلِّعٍ بِالنَّزْعَيْنِ^(٤)
وَتَعْتَمِدُ العُقُولُ بِمُعْجَزَاتٍ أَشْعَثُهَا تَرْوَعِ السَّاطِعَيْنِ^(٥)

عَلَكَ مَشْعُرُ إعْظَامِي وَمَنْزَعُ اعْتِصَامِي^(٥) وَعُمْدَةُ اعْتِمَالِي وَعِزُّوَةُ اعْتِمَادِي وَعُرُوَّةُ
اعْتِدَادِي^(٦) وَمُهَيِّعُ إِشْرَاعِي وَمَرْبِعُ نِزَاعِي^(٧) بِعِنَايَتِكَ أَعَالِي الرُّعَانِ وَأَتَعَاطَى
الإِمْعَانِ^(٨) وَادَّعِي الإِفْرَاعَ وَأُعْنِي الْيِرَاعَ^(٩) وَأُدْفَعُ الْعِيَّ وَأُضَارِعُ الْأَلْمِيَّ^(١٠)

= طبع كتاب الكافي بإمضاء كتاب « المكرر فيا تواتر من القراءات ونحرر » لأبي حفص عمر بن القاسم بن
محمد النشار الأنصاري، مكة ١٣٠٦ هـ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٢٦ هـ (راجع بروكلمان،
الملحق ١: ١٧٢٢، الأعلام للزركلي ٧: ٢٨، معجم المطبوعات العربية ١٧٧٦، ١٨٥٦).

(١) سيكون الشرح للقطعة التالية موجزاً يكاد يقتصر على الألفاظ. إنَّ المقصود من القطعة إبراز الجهد
اللفظي، والمعاني كانت تبعاً لذلك.

(٢) الشعرى اليانية (الشعرى الميضاء من النجوم المشهورة المهمة).

(٣) ريعان كل شيء: أوله وأفضله. المرع: الخصب.

(٤) تروع: تعجب الناظر (مع الشعور بشيء من الخوف). الساطعان: الشمس والقمر.

(٥) الشعر: المنسك (مكان العبادة). المفزع: الملجأ.

(٦) العزوة: الانتساب، القرابة. العروة: كل ما يمتسك به ويعتمد عليه أو يربط شيئاً بشيء.

(٧) المهيح: الطريق الواضح. المربع: المسكن. النزاع: النزوع (الميل والاشتياق).

(٨) عالي: بارى في العلو. الرعن (بفتح فسكون): أنف الجبل وطره الشاخص (العالي). أتعاطى الإمعان:

أحاول التوغل في الأمور.

(٩) الإفراع: علو الشرف في القوم. أعني: أتعب. اليراع: القلم (!).

(١٠) أدفع العي: أبعد عن نفسي المعز عن الكلام. أضرع: أشابه. الألمي: الخفيف الظريف. اليلمي: الذكي.

- وقال (من غير اشتراط معين) يُجيب أبا المطرّف بن عميرة:

وافى الكتابُ وقد تقلّدَ جيدهُ ما أنتَ مُحسِنُ نَظْمِهِ ومُجيدُهُ^(١).
أبا المطرّف، دعوةً من خالصٍ لِعُلاكٍ غائبٍ وُدّه وشَهِيدُهُ^(٢).
أنتَ الوحيدُ بلاغةً وبراعةً ولكَ البيانُ طَريفُهُ وتليدهُ:
فالنثرُ أنتَ بديعُهُ وعِمادُهُ، والنظمُ أنتَ حبيبُهُ ووَلِيدُهُ^(٣).

إيه، أُمّها السيّدُ الذي جَلَّتْ سيادَتُهُ وحَلَّتْ صَمِيمَ الفؤادِ ودادَتُهُ^(٤)، دامتْ سعادته
وهامتْ بما ينفعُ الناسَ عادَتُهُ. أَلْقَيْتَ إِلَيَّ كتاباً كَرِماً خَطَّتْهُ تلكَ اليمنى التي اليمُنُ^(٥)
فيها تَخَطُّهُ ونُسِقتْ جواهرُ بيانه التي راقَ بها سِنطُهُ^(٦). فلا تسألوا عنِ ابتهاجي
لأعاجيبه وانتهاجي لأساليبه وشِدَّةَ كَلْفِي بآلتِياحٍ وَسِيمِهِ وجِدَّةَ شَغْفِي باسترواح
نسيمه^(٧).

أما أَنَّ القلبَ لو فَهِمَ حَقِيقَةَ البَينِ قَبْلَ وَقوعِهِ وعِلْمَ قَدَرِ ما نُفِثَ مِنَ الرُّوعِ في
رُوعِهِ^(٨)، لَبالَغَ في اجتنابه واعتَقَدَ المَعْنَى عنه من قَبيلِ المعنى به^(٩). ولِها^(١٠) اللهُ
الأطماعَ فَإِنَّها تستدرجُ المرءَ وتَسْجُرُهُ وتستخرجُ حينَ تُعْرِيه، ما يَسِرُّهُ^(١١)، ما زالتْ تَقْتُلُ

(١) الجيد: العنق.

(٢) أبو المطرّف (راجع، فوق، ص ٢١٧....). الشهيد: الشاهد (الحاضر).

(٣) الطريف والتليد: الجديد والقديم.

(٤) بديعه وعياده وحبيبه ووليدته: بديع الزمان الهمداني وعياد الدين الأصفهاني وأبو تمام والبحري.

(٥) الودادة (بالفتح): المودة.

(٦) أَلْقَيْتَ إِلَيَّ: وصل إليّ من شخص عالي المرتبة. في القرآن الكريم (٢٧: ٣٠، النمل): ﴿إِنِّي أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. اليمنى: اليد اليمنى. اليمن: البركة.

(٧) السمط: الخيط الذي تنظم فيه اللآلئ ليكون منها عقد.

(٨) الكلف: شدة الحب. الوسيم: الوجه الجميل. الشغف: الحب الذي يصل إلى الشغاف (بفتح الشين: غلاف القلب).

(٩) البين: البعاد والفراق. نفث: نفخ. الروع (بالفتح): الخوف. الروع (بالضم): النفس.

(١٠) المعنى عنه (في الفقه والعبادة): الذنب اليسير (النَّجَسُ القليل الذي لا يبطل وضوءاً). من قبيل المعنى به: الواجب معالجته (لأنه وإن كان يسيراً فإنه يؤدي إلى نتائج خطيرة).

(١١) لها: لمن.

(١٢) تستخرج (تزعج منه) حين تعريه (من النعم) ما (كان) يسره. - أي تسلبه النعم.

في الذروة والذروة وتَحْتَلُ^(١) بالترغيب في الجاه والثروة حتى أنأت عن الأحباب
الحبائب ورمت بالغريب أقصى المغارب^(٢).....

- وقال يَحْنُ إلى الذهاب إلى الحجاز للحج:

حَنِينِي إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ شَدِيدُ، وَشَوْقِي إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ يَزِيدُ^(٣)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُبَاحُ إِلَيْهَا وَصُولٌ فَيَحْطَى بِالْوَصَالِ عَمِيدُ^(٤)؟
وَمَنْ لِي أَنْ أُدْعَى إِلَى حَرَمِي هُسْدَى؟ وَهَلْ لِي عَلَى تِلْكَ الْبِقَاعِ وَفُودُ؟
وَهَلْ نَاقِعٌ لِي مَاءٌ زَمَزَمَ غُلَّةَ لَهَا بَيْنَ أَحْنَاءِ الضَّلُوعِ وَقُودُ^(٥)؟
وَهَلْ أَتْنِي نَحْوَ الرِّسُولِ لَطِيبَةَ فَيَذْنُو لِقَايَ مِنْ مُنَاهِ بَعِيدُ^(٦)
وَالصِّقَ خَدِّي - مِنْ ضَرِيحِ مُحَمَّدٍ - بَحِثُ تَلَاقَتِي فِي ثَرَاهُ خُدُودُ؟
فَمَا لِي لَا أَسْعَى إِلَيْهَا مُبَادِرًا بَقِيَّةَ عُمْرٍ تَقْضِي وَتَبِيدُ^(٧)؟
تَحْتُ رِكَابِي نَحْوَهَا عَزْمَةُ امْرِيءٍ بِمَحْيَاهُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ يَجُودُ^(٨)!
يَهُمُّ فَيُلْقِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَةً وَيَمْضِي مَضَاءَ السَّهْمِ حَيْثُ يُرِيدُ^(٩).
فَأَقْضِي ذِمَاءَ النَّفْسِ فِي عَرَصَاتِهَا غَرِيبًا لَدَيْهَا، وَالْغَرِيبُ شَهِيدُ^(١٠)؟

(١) في القاموس (٤: ٢٨): ما زال (فلان) يقتل من فلان في الذروة والغارب: يدور من وراء خديعته (أي يحاول أن يكر به ويفتنه وهو يتظاهر بمحاولة نفعه). ختل زيد عمراً: خدعه (بعد أن وجد منه غفلة) فالتأل هو الذي يخدع من يثق به.

(٢) أنأت: أبعد. الأحباب جمع حب (بكسر الحاء): الحب أو المجهود. الحبائب جمع حبيبة. رمت به أقصى المغرب: نبذته، طرحته أبعدته إلى آخر المعمور من الأرض.

(٣) البيت العتيق: الكعبة. وادي العقيق في المدينة.

(٤) العميد أو المعمود هو الذي ضرب على رأسه بالعمود (الحب الذي كاد يهلكه الحب).

(٥) زمزم: بئر في مكة (في الحرم). الغلة: العطش. نفع الظمان (المطشان) من الماء أو بالماء: روي وزال عطشه.

(٦) وهل أتني: أرجع (بعد الحج إلى مكة) لطيبة (للمدينة)....

(٧) إليها (إلى المدينة) مبادراً (مسرعا). بقية عمر (في آخر عمري) بينا هذه البقية تنقضي (أوشكت أن تنتهي) وتبديد (تتلاشى، تهلك).

(٨) الركاب: الإبل المعدة للركوب. الحيا: الحياة. في ذات الآله: في سبيل الله.

(٩) يهم: يعزم (على أمر). بين عينيه (أمامه!).

(١٠) الذماء: بقية الروح في الجسد. فأقضي ذماء النفس: أموت. العرصة (بفتح فسكون): فحة أمام الدار لا بناء فيها.

وَأَنَّ أَمْرًا يَقْضِي فَرِيضَةً حَجَّهِ وَزَوْرَةَ قَبْرِ الْمُصْطَفَى لَسَعِيدٌ^(١)!

- من مقدّمة برنامج شيوخ الرعيني لأبي الحسن الرعيني:

أمّا بعد: فَإِنَّ بَعْضَ الْأَصْحَابِ الْعَلِيَّةِ الْجَلَّةِ الْمَعْدُودِينَ^(٢) - لَأَعْتَنَاهُمْ بِرِوَايَةِ الْعِلْمِ وَنَقْلِهِ فِي عُدُولِ الْمِلَّةِ^(٣) - سَأَلَنِي أَنْ أَقِيدَ لَهُ مَا عُلِقَ بِالْخَاطِرِ مِنْ أَسْمَاءٍ مَنْ لَقِيَتْهُ وَرَوَيْتُ عَنْهُ. فَتَوَقَّفْتُ فِي إِسْعَافِهِ وَاسْتَهْدَفْتُ لِسَهَامِ الْمَلَامَةِ فِي خِلَافِهِ^(٤) سَتْرًا (لهذا) النَّزْرَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ مِنْ ذَلِكَ وَاتَّقَاءً مِنْ مِثْلِي أَنْ يَطُورَ تِلْكَ الْمَسَالِكُ^(٥)، إِلَى أَنْ غَيَّبَ أَفْقُ الثَّرَى شَبَابَهُ وَنَهَبَتْ يَدُ الْبَلِي إِهَابَهُ. وَأَذْكُرْتُ بَعْدَ أُمَّةٍ^(٦) وَحَذِرْتُ أَنْ أَرْهَقَ^(٧) فِيهِ بِمَدْمَةٍ، فَأَثَرْتُ أَنْ أَسْتَدْرِكَ^(٨) مَا فَاتَ مِنْهُ لِمَنْ طَلَبَهُ مِثْلُ طَلْبِهِ، وَأَنْ أُوْرِدَ مَنْ هُوَ مِنَ الشَّيْخَةِ وَمَا عِنْدِي مِنَ السَّمَاعِ بِحَسْبِهِ^(٩). فَأَثْبِتُ مَا لَمْ يُفْلِتْهُ ذِكْرِي، وَأُوْرِدْتُ مَا لَمْ يَرْتَبْ فِيهِ^(١٠) فِكْرِي مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاحِ الَّذِينَ لَقِيْتُهُمْ وَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَالْإِفْصَاحِ بِبَعْضِ مَا اسْتَفَدْتُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا مُنِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ النِّسْيَانِ وَذَهَبَ

(١) المصطفى من أسماء الرسول.

(٢) العلية (بالكسر) جمع «علي» (ذو المكانة الرفيعة في قومه). الجلّة (بالكسر) جمع جليل (العظيم، ذو المكانة السامية). المعدود (المذكور بين كبار القوم).

(٣) العدول (بالضّم) جمع عدل (بالفتح): العادل الأمين الذي يرضي الناس بحكمه. الملة: الدين (الأمة الإسلامية).

(٤) توقّف: أحجم، تردّد. في إسعافه (في إجابته إلى ما طلب). استهدف: تعرّض (أصبح ظاهراً مكتشفاً للذي يريد مهاجمته).

(٥) النزر: القليل. اتقاء: شفقة، خوف. يطور: يحوم حول الشيء (يسير في) تلك المسالك: الطرق (الصعبة، المتعبة).

(٦) الثرى: التراب. البلي الهلاك. الإهاب: الجلد. إلى أن غيَّب إلخ: إلى أن مات. اذكرت (تذكرت) بعد أمة (زمن طويل). - راجع القرآن الكريم (١٢: ٤٥، سورة يوسف): ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ.....﴾.

(٧) حذر: خاف، تحجّب. أرهق (بالبناء للمجهول) بمدّة: اتّهم (بالبناء للمجهول) بأمر لا استحقّق التهمة به (لأنّي تركت عملاً أستطيع عمله).

(٨) أثر: فضّل. استدرك الرجل ما فاتته: قام بعمل كان يجب عليه أن يعمل من قبل.

(٩) الشّيخة: كبار الأساتذة. السماع: تلقّي العلم من أفواه الرجال. بحسبه (بنسبة كلّ شيء تعلّمته إلى الشيخ الذي تعلّم ذلك الشيء منه).

(١٠) أرتاب: شكّ.

مُعْظَمُ الْمُقَيَّدِ وَالْمُسْتَفَادِ بِالْتَرَدُّدِ ^(١) فِي الْأَسْفَارِ وَالتَّحَوُّلِ عَنِ الْأَوْطَانِ....

- وله، في حديثٍ طويلٍ، رسالةٌ من (شعر ونثر) أَلْتَزَمَ فِيهَا حَرْفَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهَا: وفيما يلي شيءٌ منها:

أَعِيدَ التَّعْهُدُ لِلْعَمِيدِ بِعَظْفَةٍ تُعْنَى بِرَجْعَةِ عَهْدِكَ الْمَتْبَاعِ ^(٢).
أَعْهَدْتَ عَقْدَ الْعَزْمِ عِنْدِي عَارِيًّا عَنْ رَعْيِ عَهْدِ مُعَاهِدِ وَمُوَاعِدِ ^(٣)؟
يَا عَلَمِي الْمَتَّبِعَ وَعَارِضِي الْمُنْتَجِعَ ^(٤) وَمُعْتَمِدِي الْمَطَاعَ الْمُتَتَبِعَ ^(٥)، تَعَهَّدْتُكَ لِلنِّعَمِ
هَمْعُ عَهَادِهَا ^(٦)، وَرَعْنَتُكَ لِلْعَصْمِ شُرْعُ صِعَادِهَا ^(٧)، وَأَعْتَلَى السَّعْدُ بِإِعْلَانِكَ وَأَعْتَنَى الْعِلْمُ
بِأَعْتِنَائِكَ، وَرُفِعَتِ الْأَعْيُنُ لِرَعَامَةِ إِبْدَاعِكَ.....

٤- برنامج شيوخ الرعي (حققه إبراهيم شيوخ) - دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، رقم ٤)، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

★ الذيل والتكملة ٥: ٣٢٣-٣٦٩ (رقم ٦٣٦) - وفيها نصوص لغيره؛ صلة الصلة ١٤٠-١٤١ (رقم ٢٨٣)؛ القدح المعلي ١٧٣؛ نفع الطيب ٥: ٥٢-٥٣، راجع ١: ٣١١؛ الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

-
- (١) المقيد (في دفاتري من مفردات المعلومات) والمستفاد (الذي تثقف به عقلي من الاختبار بما يصعب تدوينه في وقته، بل يتذكره الإنسان بعد مدة). مني: أصيب. التردد: كثرة الذهاب والهاب.
 - (٢) التمهّد: الاعتناء، حسن المعاملة. العميد (المضروب بالعمود): الحب. تعني (تعلق) برجعة (عودة) عهدك (زمن إحائك، صداقتك، حبك) المتباعد (الذي مرّ عليه زمن طويل).
 - (٣) هل تذكر أنّي عزمْتُ مرّةً على عملٍ لم يكن فيه وفاء لك (....) عن الوفاء بكلّ ما أنتظره مني صديقي أو ما وعدتُ به أجداً).
 - (٤) العلم: المكان العالي (الجبل)، الثارة الظاهرة. المتَّبِع (الذي أقنّدي به). العارض: السحاب المطر. المنتجع: المكان الذي يذهب إليه الناس بعد أن يسقط عليه المطر (للشرب منه ولرعي أنعامهم).
 - (٥) المعتمد المطاع المتَّبِع (الذي اعتمد عليه وأطيعه ثم هو لا يجيبني إلى ما أطلبه منه).
 - (٦) تعهّدتك (فعل طلب للدعاء) للنعم (حتى تنال النعم) همع (فاعل تعهّدتك؛ والهمع جمع هامة: سحابة مطرة). العهد: المطر المتتابع (والضمير «ها» في «عهادها» راجع إلى «النعم»).
 - (٧) رعنك (حنك، دأضت عنك) للعصم (٤): لحمايتك. الصمّدة (وجمعها: صعاد - بالكسر): القصبه المستوية المستقيمة، الرمح. الشرّع جمع شارعة (قناة - أي رمح - شارعة: صمّدة، موجهة نحو العدوّ).

أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ الله النُّمَيْرِيُّ الفاسِيُّ الوادي آشيّ، أصلُه من سُشْتَرٍ من عَمَلٍ (مِنْطَقَةٍ) وادي آشَ (قُرْبَ غَرْنَاطَةِ).

وُلِدَ الشُّشْتَرِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٦٠٢ هـ (١٢٠٥-١٢٠٦ م) وَتَلَّمَذَ لِلْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُرَاقَةَ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِبِيِّ (ت ٦٦٢ هـ)؛ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَلَقِيَ الْمُتَصَوِّفَ الْمَشْهُورَ عَبْدَ الْحَقِّ بْنِ سَبْعِينَ (٦١٤-٦٦٨ هـ) فَأَخَذَ عَنْهُ وَاقْتَدَى بِهِ (مَعَ أَنَّ ابْنَ سَبْعِينَ أَصْغَرُ سِنًا). ثُمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَطَوَّفَ بِهِ كَثِيرًا وَحَجَّ مَرَارًا.

وكانت وفاة الشُّشْتَرِيِّ فِي دِمِياطَ (مِصْرَ)، فِي ١٧ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١٢٦٩/١٠/١٦ م).

٢- كان أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ مُجَوِّدًا لِلْقُرْآنِ عَارِفًا بِمَعَانِيهِ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالْحِكْمَةِ وَبِطَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَدْ آثَرَ التَّجَرُّدَ (الرُّهْدَ) وَالْعِبَادَةَ. وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ قَصِيدٌ وَمِنْهُ مُوشَّحَاتٌ. وَشِعْرُهُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ (الْمُتَصَوِّفَةِ). وَلَكِنْ يَظْهَرُ عَلَى شِعْرِهِ شَيْءٌ مِنْ الضَّعْفِ.

وَلِلشُّشْتَرِيِّ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى (فِي بَيَانِ السُّنَنِ وَإِحْصَاءِ الْعُلُومِ وَمَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْمَلَهُ وَيَعْتَقِدَهُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ) - الْمَقَالِيدُ الْوُجُودِيَّةُ فِي أَسْرَارِ الصُّوفِيَّةِ - الرِّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ فِي تَوْحِيدِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَالْمَرَاتِبِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِحْسَانِيَّةِ - دِيْوَانُ شِعْرِهِ.

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ شِعْرِهِ

- لِأَبِي الْحَسَنِ الشُّشْتَرِيِّ مَقَاطِعُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ (الْمُتَصَوِّفِينَ) مِنْهَا^(١):

(١) مَعَانِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ صُوفِيَّةٌ لَا تَفْهَمُ فِيهَا دَقِيقًا إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ الَّذِي يَنْفَرِدُ بِهِ الْمُتَصَوِّفُونَ. إِنَّ الْأَلْفَاظَ: التَّجَرُّدَ، الْفَقْرَ، الْخَلْقَ، الْأَمْرَ، الطَّيَّ، النَّشْرَ، إلخ أَلْفَاظٌ صُوفِيَّةٌ مَعَانِيهَا عِنْدَ الْمُتَصَوِّفَةِ غَيْرُ مَعَانِيهَا الْمَأْلُوفَةِ فِي الْقَوَامِيسِ.

لَقَدْ تَهَتْ عُجْبًا بِالتَّجَرُّدِ وَالْفَقْرِ
 وَجَاءَتْ لِقَلْبِي نَفْحَةٌ قُدُسِيَّةٌ
 طَوَّيْتُ بِسَاطَ الْكَوْنِ، وَالطِّيُّ نَشْرُهُ،
 وَغَمَضْتُ عَيْنَ الْقَلْبِ غَيْرَ مَطْلَقٍ
 وَصَلْتُ لِمَنْ لَمْ تَفْصَلْ * عَنْهُ لِحِظَةً
 وَمَا الْوَصْفُ إِلَّا دُونَهُ، غَيْرَ أَنِّي
 وَذَلِكَ مِثْلُ الصَّوْتِ أَيْقِظُ نَائِمًا
 فَقُلْتُ لَهُ: الْأَسْمَاءُ تَبْغِي بَيَانَهُ؛
 - أَرَى طَالِبًا مِنَّا الزِّيَادَةَ لَا الْحَسَنَى
 وَطَالِبِينَ مَطْلُوبِنَا مِنْ وَجُودِنَا
 - مَنْ لَامَنِي، لَوْ أَنَّهُ قَدْ أَبْصَرَ
 وَغَدَا يَقُولُ لَصَاحِبِهِ: إِنْ أَنتُمْ
 شَذَّتُمْ أُمُورُ الْقَوْمِ ^(٣) عَنْ عَادَاتِهِمْ،
 فُلِمَ أَنْدَرِجُ تَحْتَ الزَّمَانِ وَلَا الدَّهْرُ.
 فَغَبِيتُ بِهَا عَنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.
 وَمَا الْقَصْدُ إِلَّا التَّرْكَ لِلطِّيِّ وَالنَّشْرِ.
 فَأَلْفَيْتَنِي ذَاكَ الْمَلَقَّ بِالْغَيْرِ.
 وَنَزَّهْتُ مَنْ أَغْنَى عَنِ الْوَصْلِ وَالْمَجَرِ.
 أُرِيدُ بِهِ التَّشْبِيهَ عَنْ بَعْضِ مَا أُدْرِي.
 فَأُبْصِرُ أَمْرًا جَلَّ عَنْ ضَابِطِ الْحَصْرِ.
 وَكَانَتْ لَهُ الْأَلْفَاظُ سِتْرًا عَلَى سِتْرِ.
 بِفَكْرِ رَمَى سَهْمًا تَعَدَّى بِهِ عَدَنًا ^(١).
 نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الصَّعْقِ إِنْ عَنَّا ^(٢).
 مَا ذُقْتُهُ أَضْحَى بِهِ مَتَحِيرًا؛
 أَنْكَرْتُمْ مَا بِي أَتَيْتُمْ مُنْكَرًا.
 فَلِأَجْلِ ذَاكَ يُقَالُ: سِحْرٌ مُفْتَرَى!

٤- ديوان أبي الحسن الششتري (تحقيق علي سامي النشار)، الاسكندرية، ١٩٦٠ م.

★★ عنوان الدراية ٢١٠-٢١٣؛ نيل الابتهاج ٢٠٢-٢٠٣؛ نفح الطيب ١٨٥-١٨٧،
 ٢٠٥-٢٠٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٩٣؛ بروكلمن ١: ٣٢٣
 الملحق ١: ٤٨٣-٤٨٤؛ نيكل ٣٥٢-٣٥٣؛ مختارات نيكل ١٩٤-١٩٦؛ الأعلام
 للزركلي ٥: ١٢٠-١٢١ (٤: ٣٠٥).

(*) لم تفصل عين القلب.

(١) عدن: الجنة.

(٢) الصق: الغياب عن الحس. عن: ظهر - أن مطلوبنا من حياتنا أن نصل إلى الله، فإن تجلى لنا غيبنا عن الحس.

(٣) القوم = المتصوفون.

ابن عصفور الإشبيلي

١- هو الأستاذ (وفيات ابن قنفذ ٣٣١) العلامة (وفات الوفيات ٢: ١١٦) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور الحضرمي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠-١٢٠١ م).

تَلَقَّى ابنُ عَصْفُورِ العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن الدبّاج (٥٦٦-٦٤٦ هـ) وأبو علي الشّلوّين (٥٦٢-٦٤٥ هـ)، وقد لَازَمَ الشّلوّينَ عَشْرَ سِنِينَ وقرأَ عليه كتابَ سِيُوه. ثمّ جلسَ للإِقْرَاءِ في إشبيلية نفسها إلى أن حَدَّثَتْ بَيْنَهُ وبينَ الشّلوّينِ مُنَافَرَةٌ أدَّتْ إلى وَخْشَةٍ فمُقاطَعَةٍ (صلة الصلة ١٤٢) لِتَنَافُسٍ في إعرابِ كَلِمَةٍ (راجع نفع الطيب ٢: ٢٠٩-٢١١). وكان الشّلوّينُ أَوْسَعَ وَجَاهَةً فَاضْطُرَّ ابنُ عَصْفُورِ إلى مُغَادَرَةِ إشبيلية فتنقَّلَ بينَ شَرِيشَ وشَدُونَةَ ومَالِقَةَ ولُورِقَةَ ومُرْسِيَةَ يَدْرُسُ على نفرٍ من علمائها. ثمّ إنّه جلسَ للتدريس أشهراً في كُلِّ بَلَدَةٍ يُعْمَلُ فيها تَقَايِيدُهُ (تعليقاته) على كتابِ الجَمَلِ للرّجّاجي وكتابِ الإيضاح لأبي عليّ الفارسي وعلى الكَرَّاسَةِ المنسوبة للجَزُولي وعلى كتابِ سِيُوه. وكان يُعْمَلُ هذه الكتبُ كُلُّهَا من حِفْظِهِ.

ثمّ إنّ ابنَ عَصْفُورِ غَادَرَ الأندلسَ إلى تُونُسَ وتصدَّرَ فيها للتدريس مدّةَ سيرة ثمّ انتقلَ إلى بجاية (في الجزائر اليوم) بانتقالِ مَخْدُومِهِ (المُحْسِنِ إليه) الأميرِ أبي عبد الله محمّدِ المستنصرِ الحفصيّ (قبل سنة ٦٤٧ هـ، في الأغلب، قبل أن يَلِيَ المستنصرُ الملك). بعدئذٍ عاد ابنُ عَصْفُورِ إلى لورقة (جنوب شرقيّ الأندلس). ثمّ انتقلَ إلى غربيّ الأندلس.

ولم تَطُلْ إقامةُ ابنِ عَصْفُورِ في الأندلسَ فَرَجَعَ إلى المَغْرِبِ ونَزَلَ في بلدةِ سَلا (قرب الرِّبَاط). في هذه الأثناء، فيما يبدو، كان المستنصرُ الحفصيّ قد جاء إلى العرش، سنة ٦٤٧ هـ فاستدعى ابنَ عَصْفُورِ فعاد ابنُ عَصْفُورِ إلى تُونُسَ الحاضرة واستقرَّ فيها. وكانت وفاته في تونس غريقاً في ذي الحِجَّة من سنة ٦٦٩ في الأغلب (مطلع الصيف من عام ١٢٧١ م)،

٢- كان ابنُ عَصْفُورِ الإشبيليّ بارِعاً في العربية (النحو) كَثُرَ طُلَّابُهُ وأقبلوا عليه من المغرب والشرق، إذ «كان بقيّة الحاملين للواءِ العربية في المغرب»، ثم أصبحت

عليه الإحالة (الرجوع إلى رأيه) من المشرق والمغرب (نفع الطيب ٣ : ١٨٤). وابن عصفور يتبع مذهب البصريين (في النحو) عموماً ويُقدّم سيبويه (أشهر البصريين) خاصة على كل نحوي. ثم هو يتخير أحياناً أشياء من آراء الكوفيين والبغداديين.

ولابن عصفور أشياء في تفسير القرآن، ولكن ذلك لم يكن من اختصاصه (راجع نفع الطيب ٥ : ٣٨٤).

وابن عصفور مصنفٌ مُكثِرٌ له: المُقَرَّبُ (في النحو)، ويقال إن حدوده (تعريفاته) كلها مأخوذة من الجزولية (فوات الوفيات ٢ : ١١٦) تأليف عيسى بن عبد العزيز الجزولي المغربي (ت ٦٠٧ هـ). وقد انتقد كثيرون من الأندلسيين وغيرهم ابن عصفور على هذا الكتاب (راجع نفع الطيب ٤ : ١٤٨). ولكن لهذا الكتاب قيمةٌ يدلُّ عليها كثرة الذين شرحوه واختصروه^(١).

وله أيضاً: المُتَمِّعُ في التصريف (وأبوابه: الحروف الزوائد، أبنية الأسماء، أبنية الأفعال، أي الصيغ التي تأتي عليها الأسماء والأفعال، نحو فَعَلَ، فُعِلَ، فُعِلَ، استفعل إلخ، الإبدال، القلب والحذف والنقل، الإدغام، مسائل التمرين). والمقرب كتابٌ يدلُّ على سعة مطالعات ابن عصفور في كتب علماء النحو. ثم إنه عاد فألف «شرح المقرب».

وكذلك له شروح على عدد من كتب النحو: شرح كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) - شرح كتاب الجمل للزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) شرحه ثلاثة شروح كبيراً ووسطاً وصغيراً - إنارة الدياجي^(٢) - الأزهار - الهلال أو الهلالية (البلغة ١٧٠) - السلك والعنوان ومرام اللؤلؤ والمرجان (بروكلمن، الملحق ١ : ٥٤٧) - المفتاح - شرح الإيضاح^(٣) -

-
- (١) راجع أسماء هؤلاء الشراح والمختصرين في «ابن عصفور والتصريف» (ص ٥٣ - ٥٥).
 (٢) يقول فخر الدين قباوي (ابن عصفور والتصريف ٨٩، الحاشية ٤)، لعل (إنارة الدياجي) أحد شروح جل الزجاجي.
 (٣) يرى بروكلمن (١ : ٣٥٢، السطر ٢٨) أن «الإيضاح» هو «إيضاح الشكل» للمطرزي (ت ٦١٠ هـ)، وفي دائرة المعارف الإسلامية (٣ : ٩٦٢) أن الإيضاح هو لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)؛ وفي بروكلمن =

مختصر المحتسب (في النحو لابن بابشاذ المصري المتوفى ٤٦٩ هـ) - البديع (شرح لمقدمة الجزولية « في النحو للجزولي المتوفى ٦٠٧ هـ) - المقنع - مختصر الفرّة - منظومة في النحو. ثم له كتب ألصق باللغة والأدب: شرح الأشعار الستّة (دواوين امرئ القيس، النابغة، زهير، علقمة الفحل، طرفة، عنترّة) ولكن لم يتمّه - شرح الحماسة (ديوان الحماسة لأيّ تمام) ولكن لم يتمّه - شرح ديوان المتنبي - مفاخرة السالف والعذار^(١) - الضرائر (الضرورات التي تحمل الشاعر على مخالفة قواعد في اللغة أو في النظم) - سرقات الشعراء .

وكان لابن عصفور شيء من الشعر وشيء من الكتابة الأنيقة.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عصفور في وصف التّجمل بعد الجهل:

لَمَّا تَدَنَسْتُ بِالتَّفْرِيطِ فِي كِبَرِي وَصِرْتُ مُغْرَى بِشُرْبِ الرَّاحِ وَاللَّسِّ^(٢)
رَأَيْتُ أَنَّ خِضَابَ الشَّيْبِ أَسْتُرُ لِي؛ إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّنَسِ^(٣)!

- من مقدّمة كتاب المقرّب:

.... فلما كان علم العربيّة (النحو) من أجلّ العلوم قدراً وأعظمها خطراً، إذ به تقوم للإنسان ديانته فتتمّ صلاته وتصحّ قراءته؛ وكانت أكثر الموضوعات فيه لا تبرّد غليلاً^(٤) ولا تحصل لطالبيه مأمولاً، وأنها بين مطوّلة قد أسرف فيها غاية الإسراف

= أيضاً (١: ٣٥٤، الطر الثاني) أن الإيضاح للسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) وأن « شرح الإيضاح » للسكاكي نفسه. وفي « ابن عصفور والتصريف » أن « الإيضاح » (ص ٤٩) غير « شرح الإيضاح » (ص ٥١) وأن الإيضاح لأيّ عليّ الفارسي.

(١) السالف للمرأة، والعذار للرجل.

(٢) الراح: الحمر. اللس: سواد مستحسن في باطن الشفة (المقصود: التقييل)، الغزل - في « فوات الوفيات » (٢: ١١٦ س): التحليط في كبرى.... برشف الراح واللس.

(٣) - أن أقل قدر من الوسخ يمكن أن يبدو على نسيج أبيض. إنه صيغ شعره حتى إذا ظهرت منه هفوة لم يلمه الناس بحجة أنه متقدّم في السن لا يجوز منه مثل ذلك العمل!

(٤) الخطر: (أهميّة قيمة). الغليل: شدّة العطش وحرارته. - لا تبرّد غليلاً (لا تمنح الإنسان ما يطلبه).

وَمُخْتَصَرَةٌ أَحْجَفَ فِيهَا غَايَةَ الإِحْجَافِ أَشَارَ مِنَ النَّجَحِ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي آرَائِهِ وَالْيُمْنُ مُعْتَادٌ فِي مَذَاهِبِهِ وَأَنْحَائِهِ - مَالِكُ عِنَانِ الْعُلُومِ وَفَارَسُ مِيدَانِهَا وَمُخْرَزُ قَصَبِ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ رَهَانِهَا وَتَارِيخُ الْفَضَائِلِ وَعُنْوَانُهَا وَحَدَقْتُهَا وَإِنْسَانُهَا - الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ الْأَوْحَدُ الْمُؤَيَّدُ الْأَسْعَدُ أَبُو زَكَرِيَّا ابْنُ الشَّيْخِ الْمُقَدَّسِ ^(١) الْمُجَاهِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ الْمُقَدَّسِ أَبِي حَفْصٍ ^(٢) أَدَامَ اللَّهُ عِلَاءَهُمْ وَأَنَارَ بَنُجُومَ السَّعْدِ سَمَاءَهُمْ - إِلَى وَضْعِ تَأْلِيفِ مُنَزَّهِ عَنِ الْإِطْنَابِ الْمُحِلِّ وَالِاخْتِصَارِ الْمُحِلِّ، مُحْتَوٍ عَلَى كَلِّيَّاتِهِ مُشْتَمِلٍ عَلَى فُصُولِهِ وَغَايَاتِهِ، عَارٍ عَنِ إِيرَادِ الْخِلَافِ ^(٣) وَالِدَلِيلِ، مُجَرَّدٌ أَكْثَرُهُ عَنْ ذِكْرِ التَّوْجِيهِ وَالتَّغْلِيلِ، لِيُشْرِفَ النَّاضِرُ فِيهِ عَلَى جُمْلَةِ الْعِلْمِ فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ وَيُحِيطَ بِمَسَائِلِهِ فِي أَقْصَرِ أَوَانٍ. فَوَضَعْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابًا صَغِيرَ الْحَجْمِ مُقَرَّبًا لِلْفَهْمِ، وَرَفَعْتُ فِيهِ مِنْ عِلْمِ النُّحُوِّ شَرَائِعَهُ ^(٤) وَمَلَكَّهُ عَصِيَّةً وَطَائِعَةً وَذَلَّلْتُهُ لِلْفَهْمِ بِحَسَبِ التَّرْتِيبِ وَكَثْرَةِ التَّهْذِيبِ لِأَلْفَاظِهِ وَالتَّقْرِيبِ، حَتَّى صَارَ مَعْنَاهُ إِلَى الْقَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى السَّمْعِ. فَلَمَّا أَتَيْتُ بِهِ عَلَى الْقَدَحِ تَمَنُّعًا عَلَى الْقَدَحِ ^(٥) مُشَبِّهًا لِلْعَقْدِ فِي التَّنَائُمِ وَوُضُولِهِ وَاتْتِظَامِ فُصُولِهِ، سَمَّيْتُهُ «بِالْمُقَرَّبِ» لِيَكُونَ أَسْمُهُ وَفَقَّ مَعْنَاهُ وَمُتَرَجِّمًا عَنْ فَخْوَاهُ...

- ٤ - المتع (نشره فخر الدين قباوي)، حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.
 - المقرَّب (نشره أحمد عبد الستار الجوّاري وعبد الله الجبوري)، بغداد (رئاسة ديوان الأوقاف في الجمهورية العراقية - في سلسلة «إحياء التراث الإسلامي»)، الجزء الأول، بغداد (مطبعة العالي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

★ ابن عصفور والتصريف، تأليف فخر الدين قباوي، حلب (دار الأصفى) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

صلة الصلة ١٤٢ - ١٤٣ (رقم ٢٨٥)؛ فوات الوفيات ٢: ١١٦؛ الذيل والتكملة ٥: ٤١٣ - ٤١٤؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣١؛ البلغة ١٦٩؛ عنوان الدراية ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٣٥٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٠٩ - ٢١١، ٣: ١٨٤، راجع ٢: ٢٧١ - ٢٧٢، ٧٠١.

- (١) المقدَّس (بكسر الدال: الذي يكثر من تقديس الله وتسيحه).
 (٢) هو أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَتَاتِي (٥٩٩ - ٦٤٧ هـ) جدّ الخلفاء الحفصيين.
 (٣) الخلاف: اختلاف النحاة في تخريج الإعراب، إلخ.
 (٤) الشرائع، المفروض أنها جمع شريعة (طريقة!)؛ أو: شراعه: قلع (بالكسر) السفينة.
 (٥) القدح (بفتح القاف): العيب. (وكسر القاف) الحقّ (قلت فيه الحقّ كيلا يستطيع أحد أن يعيبه!).

٤ : ١٤٨ ، ٥ : ٣٨٢ ، شذرات الذهب ٥ : ٣٣٠ ، بروكلمن ١ : ٣٨١ ، الملحق ١ :
٥٤٦ - ٥٤٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٦٢ ، الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٩ - ١٨٠ (٢٧) ؛
معجم المؤلفين ٧ : ٢٥١ .

الدَّرْحِينِي

١ - هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن إنجلاف من تيجار
في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاطٌ إباضي وعلم وفقه .

يبدو أن مولد الدَّرْحِينِي كان في السَّنات الأخيرة من القرن السادس . ودرس في
مطلع شبابه في وَرَجَلَة (٦١٦ - ٦١٨ هـ) ثم رأيناه يتابع تلقي العلم (سنة ٦٣٣) في تَوَزَّرَ
بجَنُوبِي تُونِسَ . وبعد ذلك عاش مُدَّة في جزيرة جَزَبَة . ولعل وفاته كانت نحو ٦٧٠
(١٢٧٠ م) .

٢ - كان الدَّرْحِينِي فقيهاً إباضياً ومؤرخاً وشاعراً . ويبدو أن نشاطه الأدبي بدأ سَنَة
٦٢٦ (١٢٢٨ م) . اشتهر بكتابه « طبقات المشايخ » . وهذا الكتاب قسماً واضحاً
أولهما (يبدو وكأنه منسوخ من « كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر
الوَرَجَلَانِي) ، استعرض فيه انتشار المذهب الإباضي في شَالِي إفريقيا وتأسيس الدولة
الرُّسْتَمِيَّة ثم ألحق به تراجم لنفر من فقهاء الإباضية المتقدمين من المغاربة . وأمّا ثاني
القسمين فهو مجموع تراجم مشاهير الإباضية من فقهاء وغير فقهاء . ويتألف هذا القسم
الثاني من اثنتي عشرة طبقة تتناول كل طبقة خمسين سنة . وقد خُصت الطبقات الأربع
الأولى (في القرنين الأولين من الهجرة) بالفقهاء الإباضية من المشاركة ، والطبقات الثماني
الباقية بالفقهاء الإباضية من المغاربة .

- طبقات المشايخ ، القاهرة ١٣٠٢ هـ .

★★ دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن ١ : ٤١٠ ، الملحق ١ : ٥٧٥ .

ابن أبي الحسين

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين^(١) سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف المنسي، من أهل القيروان، كان هو وأهله من أبناء الدولة (المقرّبين من السلطان). ويبدو من شعره أنّ أهله كانوا من البدو الذين قدّمهم الحفصيون على قوم عنان بن جابر (راجع، فوق، ص ١). وقد تولّى محمد بن أبي الحسين الحجابة (الوزارة) في أيام أبي زكريّا يحيى (٦٢٥-٦٤٧ هـ) ثمّ في أيام أبيه محمد المنتصر (٦٤٧-٦٧٥ هـ)، فزاد ذلك في نفور عنان بن جابر وقومه فرحلوا عن تونس^(٢).

وكانت وفاة محمد بن أبي الحسين، سنة ٦٧١ للهجرة (١٢٧٢-١٢٧٣ م)، في تونس.

٢- كان محمد بن أبي الحسين رجلاً بعيداً الهمة ذا عزمٍ وحزمٍ في الأمور. وقد وصفه حسن حسني عبد الوهاب ياتقان العلوم وبالمعرفة باللغة وبرقة الشعر والبراعة في الترسل. وفي شعره متانة، وفيه وصف وفخر وشيء من الحكمة. ثمّ هو مُصنّف عني بكتاب «المحكم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) رتبّه على أواخر الكلمات وسماه «ترتيب المحكم» ثمّ اختصره وجعل أسمه مُختصره «خلاصة المحكم».

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد قصيدة يحثّ فيها عنان بن جابر على العودة إلى تونس:

(١) هذا النسب الطويل من الأعلام (للزركلي). وقد اقتصر حسن حسني عبد الوهاب على «محمد بن أبي الحسين بن سعيد (مكان: سعيد)، أبو عبد الله».

(٢) راجع البيت الرابع عشر من المختارات من شعر عنان بن جابر. يذكر حسن حسني عبد الوهاب أنّ محمد ابن أبي الحسين قد تولّى الحجابة للمستنصر الحفصي. وفي بني حفص سلاطين تونس بضعة نفر تلقبوا بالمستنصر، ولكنهم كلّهم جاءوا بعد وفاة محمد بن أبي الحسين. والصواب أن يقال إنّ ابن أبي الحسين تولّى الحجابة للمستنصر الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد وأخو أبي زكريّا يحيى مؤسس الدولة الحفصية (راجع زامباور، ص ١١٥ و ١١٧).

سَلَوْا دِمْنَةً بَيْنَ الْفَضَا وَالسَّوَاجِرِ
 وَدُونَكُمْ، يَا لِلرَّجَالِ، تَحِيَّةً
 فَتَى مَا دَعَتْهُ زَلَّةٌ فَأَجَابَهَا،
 وَقَدْ كَانَ بَيْنِي، يَا عِنَانُ، وَبَيْنَكُمْ
 وَفِي كُلِّ عَامٍ كَانَ لِلجَيْشِ وَقْعَةٌ
 فَتَخْتَالُ أَعْطَافٌ وَتَعْمَلُ سُمْرُنَا،
 نَشَاوَى عَلَى خَيْلٍ نَشَاوَى كَأَنَّا
 عَزِيزٌ عَلَيْنَا، يَا عِنَانُ، ضَلَالَةٌ
 تَبْصُرُ وَلَا تَحْمِلُ عَلَى النَّفْسِ غِيَّهَا؛
 فَدَيْتُكَ، لَا تَشْرِ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى؛

هَلِ اسْتَنْ فِيهَا وَاكْفَاتُ الْموَاطِرِ (١)؟
 يُخَصُّ بِهَا عِنَانُ بْنُ جَابِرٍ (٢).
 فَكَيْفَ طَوَى كَشْحًا عَلَى نَفْسٍ غَادِرٍ (٣)؟
 بَوَاطِنُ صُنَّاهَا بِحِفْظِ الظَّوَاهِرِ (٤).
 نَجَرُ بِهَا أَذْيَالَنَا جَرَّ سَادِرٍ (٥)
 وَنَهْتَزُ كَالسُّمْرِ أَبْتِغَاءَ الْمَفَاخِرِ (٦)
 وَأُسَيِّفُنَا لَمْ نَسْتَفِيقْ مِنْ تَسَاكِرِ (٧).
 حَدَّتْ بِكَ لَا تَلْوِي عَلَى زَجْرِ زَاجِرٍ (٨).
 أُعِيدُكَ مِنْ كَرَّاتٍ دَهْرٍ جَوَاسِرٍ (٩)
 فَدَيْتُكَ، لَا تَشْرِ الْعَمَى بِالْبَصَائِرِ (١٠).

- (١) الدمنة: آثار الدار (المكان الذي كان فيه دار مسكونة). الفضأ: نوع من الشجر. السواجر: لعلها جمع سوجر - بالفتح - نوع من الشجر (تاج العروس - الكويت ١١: ٥٠٧). استن: هطل (فيها المطر دفعة - بالضم - واحدة وتتابع). الواكف: (المطر) السائل، الهاطل. المواطر جمع ماطرة (٩): غيمة مطرة.
- (٢) دونكم: خذوا (اعلموا). يا للرجال (ما أحسنه من رجل).
- (٣) الكشح: الجانب (من جسم الإنسان). طوى كشحاً: أسر (حقداً).
- (٤) صنَّاهَا من صان: حفظ، حمى.
- (٥) جرَّ فلان ذيله: مشى متبختراً (معجباً بنفسه). السادر (الذي لا يبالي بالعواقب، المنطلق في هواء لا يفكر في شيء آخر).
- (٦) المعطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. تصل: تهتز. السمر جمع أسمر: الرمح. اهتزاز الرمح (في الذهاب إلى الحرب) كناية عن الثقة بالظفر.
- (٧) النشوان: السكران (المسرور بما يملك). تساكِر (تظاهر المرء بالسكر وهو ليس سكران).
- (٨) عزيز علينا (أمر صعب علينا، ثقيل على نفوسنا، مسيء لنا). حدث بك: ساقتك، دفعتك. لا تلوي: لا تلتفت (لا تسمع زجر زاجر: من يريد أن يردك عن الضلال).
- (٩) الغي: الضلال. كَرَّةُ الدهر (هجمته بالأذى على الإنسان). جواسر (يريد بها جمع جاسرة: جريئة، شجاعة).
- (١٠) شرى: اشترى. البصائر جمع بصيرة: الفطنة وحسن الإدراك للأمور (ولعله يقصد العين الباصرة، من مقارنة البصائر بالعمى).

وما العربُ العَرَباءُ إِلَّا بَعْدَهَا، فَمَنْ كَانَ أَوْفَى كَانَ أَوْلَ فَاخِرٍ^(١).
فَكَمْ حَفِظْتَ مِنْ ذِمَّةِ قَوْسٍ حَاجِبٍ، وَكَمْ مَثَلٍ أَبَقَى السَّمَوَالُ سَائِرٍ^(٢).
كَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُوفُونَ، فَاتَّبِعُوا سَبِيلَ الْوَفَاءِ كَابِرًا إِثْرَ كَابِرٍ^(٣).
وَمَنْ تَنَفَّعَ الذِّكْرَى تَلَا فَي تَلَا فَهُ وَكَشَّفَ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ الرُّشْدِ سَافِرٍ^(٤).
هَدَتْكَ الْهُوَادِي، يَا عَيْنَانُ، وَأَمْطَرَتْ ذُرَاكَ الْغَوَادِي بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ^(٥).

٤- ** مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٩-٢٠١؛ الاعلام للزركلي ٦: ٣٣٤
(١٠١-١٠٢).

القرطبي صاحب التفسير

١- هو الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الخرزجي الأنصاري من أهل قرطبة، ولد سنة ٥٧٨ للهجرة (١١٧٣ م). سمع من أبي
العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ) وأخذ عن أبي عليّ الحسن بن محمد بن
محمد البكري وعن أبي الحسن عليّ بن محمد بن علي بن حفص اليخضمي.

- (١) العرباء: الصريحة النسب. بعدها: بمددها (بكثره عددها). أوفى: أكثر عدداً. أكثر وفاء بالمعهد.
- (٢) حاجب بن زرارة (بالضم) سيد بني تميم في الجاهلية (ت سنة ٣ هـ) كان قومه قد اعتدوا على بقعة من المراعي على ضفاف نهر الفرات لم تكن لهم. فغضب كسرى وأراد أن يمنع بني تميم من الرعي في جميع مناطق الفرات. فجاء حاجب إلى كسرى ووعدته بالآل يعود بنو تميم إلى الرعي في مناطق ليست لهم وجعل قومه رهناً للوفاء بوعدته. ووفى بنو تميم بالوعد. والسموال بن عادي، يقال فيه إنه كان وفياً بوعدته. فكم حفظت من ذمة قوس حاجب (هذه القوس القليلة الثمن كانت ثمينة جداً لأنها حملت بني تميم على الوفاء بوعدتهم ثم علمتهم الوفاء بالوعد في غير موقفهم مع كسرى).
- (٣) كابرًا إثر (بعد) كابر: إرثاً من سلف عظيم إلى خلف عظيم بعده.
- (٤) - والذي ينفعه تذكر ماضيه يتلافى (يتجنب) تلافه (هلاكه) ثم يكشف (يعرف، يختبر) وجهاً من أوجه الرشد (الصواب). سافر: واضح، ظاهر. ليس في «من» (هنا) معنى الشرط.
- (٥) الهادية: الدليل المتقدم في السير، الهادي الناصح. الذروة (بالكسر أو بالضم): المكان العالي (بيتك الرفيع، الشريف). الغادية: الغيمة الممطرة القادمة في الصباح. بين باد وحاضر: إذا كنت في البادية أو في الحضر (المدينة).

رَحَلَ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ وَاسْتَقَرَّ فِي مُنْبَةِ بَنِي خَصِيبٍ، شَمَالَ أَسْوَطَ بَصْعِيدِ مِصْرَ. وَكَانَتْ وَقَاتِهِ هُنَاكَ فِي تَاسِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٧١ (١٢٧٣/٣/٣١ م).

٢- كَانَ الْقُرْطُبِيُّ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ رَجُلًا صَالِحًا مُتَعَبِّدًا زَاهِدًا وَمِنْ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ مُتَبَحِّرًا فِي عَدَدٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَفِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ خَاصَّةً، كَمَا كَانَ مُلِيحَ النِّظْمِ.

وَهُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ لِمَا تَضَمَّنَهُ (الْقُرْآنُ) مِنَ السُّنَّةِ وَآيِ الْفُرْقَانِ (أَسْقَطَ مِنْهُ الْقِصَصَ وَالتَّوَارِيخَ وَأَثْبَتَ عَوَضًا عَنْهَا أَحْكَامَ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْبَاطَ الْأَدِلَّةِ وَذَكَرَ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِعْرَابَ وَالنَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ) - الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى - التَّذْكَارُ فِي أَفْضَلِ الْأَذْكَارِ - التَّذْكَرَةُ بِأَحْوَالِ الْمَوْتَى وَأَحْوَالِ (أُمُورِ) الْآخِرَةِ (= التَّذْكَرَةُ الْفَاخِرَةُ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ؟) - قِمَعَ الْحِرْصِ بِالزَّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَرَذَلَ (ذَلَّ) السُّؤَالَ بِالْكَفِّ (بِالْكَتْبِ) وَالشَّفَاعَةَ - شَرَحَ التَّقْصِي - أَرْجُوزَةً (جَمَعَ فِيهَا أَسْمَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) - الْإِعْلَامُ بِمَا فِي دِينِ النَّصَارَى مِنَ الْفَسَادِ وَالْأَوْهَامِ وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (رَدُّ عَلَى كِتَابٍ فِي الْمَجْدَلِ لِأَحَدِ نَصَارَى طُلَيْطَلَةَ) - كِتَابُ الْعَقِيدَةِ - الْمِصْبَاحُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَفْعَالِ (لَا بِنِ الْقَطَّاعِ) وَالصَّحَاحُ (لِلْجَوْهَرِيِّ) (مَجْرَدًا مِنَ الشَّوَاهِدِ).

وَالْمَقْصُودُ بِكِتَابِهِ « الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ » أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِآيَاتِ الْقُرْآنِ. وَلَكِنْ هَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ تَفْسِيرًا بِمَعْنَى « تَوْضِيحِ مَعْنَى الْآيَةِ بَعْدَ، الْآيَةِ »، بَلْ هُوَ « عَرْضٌ لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ آيَةٍ مِنْ وَجْهِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ تَفْسِيرِ الْأَلْفَاظِ وَبَيَانِ إِعْرَابِهَا وَذِكْرِ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ أَوْجِهٍ الْبَلَاغَةِ وَمِنْ الشَّوَاهِدِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا سِوَاءِ أَكَانَتْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ مِنْ أَقْوَالِ الرِّجَالِ أَوْ مِنَ الْأَشْعَارِ أَوْ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْ مِنَ الْآيَاتِ حِينَ تَوَافَقَ الْآيَةُ الْآيَةُ الْمَقْصُودَةُ بِالتَّفْسِيرِ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ « الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ » يَنْكَشِفُ عَنْ سَعَةِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي كَانَ الْقُرْطُبِيُّ يَتِمَتَّعُ بِهَا وَعَنْ إِصَابَةِ الرَّأْيِ فِيهَا يَتَنَاوَلُ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَفِيدٌ جِدًّا لِلْبَاحِثِ، إِذْ هُوَ يَجْمَعُ لِلْقَارِئِ مَعْظَمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ آيَةٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَلَكِنَّهُ يَشَوِّشُ الْأُمُورَ عَلَى الْقَارِئِ الْعَادِي حِينَ يَجَاوِلُ أَنْ « يَضُرَّ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ » (أَيَّ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ آيَةٍ مَا بَايَرَادُ مَا يَشَبْهُ تِلْكَ الْآيَةَ مِمَّا وَرَدَ

من آيات القرآن، فيختلط الأمر حينئذ على القارئ العادي بين الآية المقصودة بالتفسير في موضعها والآيات المستشهد بها. وهذه خطة تدعو إلى التطويل. لقد جاء تفسير الآية: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (٢: ٤٤، سورة البقرة) في سبع صفحات (١: ٣١١ - ٣١٦) في نحو مائة وعشرة أسطر (نحو ألف وثلاثمائة كلمة) منها ستة عشر بيتاً من الشعر.

وهناك مأخذ آخر على أسلوب القرطبي في التفسير حينما يفصل بين كلمات الآية الواحدة ثم يُورد في أثناء تفسير تلك الآية أقساماً من آيات توافق الآية المقصودة بالتفسير في المعنى وفي اللفظ. ففي تفسير الآية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ. إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢: ١٤)^(١). في أثناء شرح هذه الآية (١: ١٧٩ - ١٨١) يورد القرطبي أقساماً من آيات هي:

- وجزاء سيئة سيئة مثلها (٤٢: ٤٠، الشورى).
- فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ به (٢: ١٩٤، البقرة).
- ومكروا ومكر الله (٣: ٥٤، آل عمران).
- إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا (٨٦: ١٦، الطارق).
- يخادعون الله، وهو خادعهم (٤: ١٤٢، النساء).
- فيسخرون منهم، سخر الله منهم (٩: ٧٩، التوبة).

إنَّ القارئ العادي لا يستطيع أن يعرف (بالتأكيد) أن هذه الآيات الست مختلفة المواقع في المصحف وأنها ليست (في القراءة) من الآية المقصودة بالتفسير، والتي هي من سورة البقرة. ولكن هذه هنات (مأخذ يسيئة) في «أسلوب» التفسير، وليست تمنع من أن نرى القرطبي في تفسيره هذا جيد الفهم للمقصود حسن التخريج للأدلة.

٣- مختارات من آثاره

١- من مقدمة «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي المفسر (١: ٢ - ٣): وبعد، فلما

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن ١: ٣١١ وما بعد.

كان كتابُ الله هو الكفيلَ بجميعِ علومِ الشرعِ الذي استقلَّ بالسُّنةِ والفَرَضِ، ونزلَ به أمينُ السماءِ إلى أمينِ الأرض^(١)، رأيتُ أنْ اشتغلَ به مدى عُمري وأستفرغَ به مُنِّي^(٢) بأنْ أكتبُ فيه تعليقاً وجيزاً يتضمَّنُ نُكُتاً^(٣) من التفسيرِ واللُّغاتِ والإعرابِ والقراءاتِ و(مِنَ) الرَّدِّ على أهلِ الزَّيغِ والضَّلالاتِ^(٤) و(مِنَ) أحاديثِ كثيرةٍ شاهدةٍ لِمَا نذكرُهُ من الأحكامِ ونزولِ الآياتِ^(٥) جامعاً بين معانيها ومُبيِّناً ما أشكل^(٦) منها (وذلك) بأقاويلِ السَّلفِ ومن تبعَهُم مِنِ الخَلَفِ.

وعَمِلْتُهُ تَذَكُّرةً لِنَفْسِي وذخيرةً لِيَوْمِ رَمْسِي وَعَمَلاً صالحاً بعدَ موتي. قال اللهُ تعالى: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ وقال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾؛ وقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عَمَلُهُ إلَّا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له».

وشرطي في هذا الكتابِ إضافةُ الأقوالِ إلى قائلِها والأحاديثِ إلى مُصنِّفيها^(٧)، فإنَّه يُقالُ: مِن بركةِ العِلْمِ أنْ يُضافَ القولُ إلى قائله.

وكثيراً ما يجيءُ الحديثُ في كُتُبِ الفقهِ مُنبهاً لا يَعْرِفُ مَنْ أَخْرَجَهُ^(٨) إلَّا مَنْ أَطَّلَعَ على كُتُبِ الحديثِ فيبقى مَنْ لا خِبرةَ له حائراً لا يَعْرِفُ الصحيحَ من السقيم^(٩) - ومعرفةُ ذلك عِلْمٌ جسيمٌ^(١٠) - فلا يُقبلُ منه الاحتِجاجُ به ولا الاستِدلالُ حتى

(١) أمينُ السماءِ: جبريل. أمينُ الأرض: محمد رسولُ الله.

(٢) المُنَّةُ (بالضَّم): القوةُ.

(٣) النُّكُتَةُ: النقطةُ البارزةُ، المسألةُ الدقيقةُ أو النادرةُ.

(٤) الزَّيغُ: الحيدُ أو الميلُ عن الطريقِ الصحيحِ. الضَّلالةُ: الباطلُ، مخالفةُ الطريقِ المستقيمِ.

(٥) نزولُ الآياتِ (أسبابُ نزولها، تاريخها).

(٦) أشكلُ الأمرُ: اشْتَبَه، التبسَ (لم يكنَ الجزمُ فيه برأيٍ واضح).

(٧) مصنَّفُ الأحاديثِ: مرَّتبُ أحاديثِ رسولِ الله في أبوابها بحسبِ معانيها.

(٨) أخرجَ الحديثَ (بَيَّنَ طريقَ روايته).

(٩) الحديثُ الصحيحُ: الثابتُ في روايته عن رسولِ الله. السقيمُ من الحديثِ: ما كان في روايته عن رسولِ

الله شكاً أو جَرَحَ في أمانةِ رجاله (فهو ضعيف) أو ما لم يكن من أحاديثِ رسولِ الله (فهو موضوع، مكذوب).

(١٠) جسيمٌ: عظيمٌ، (صعب).

يُضيفه إلى من خرّجه من الأئمة الأعلام والثقات المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نُشيرُ إلى جُملي من ذلك في هذا الكتاب. والله الموفق للصواب.

(ثم إنني) أَضْرِبُ^(١) عن كثير من قصص المُفسرين وأخبار المؤرخين، إلّا ما لا بُدَّ منه ولا غناء^(٢) عنه للتبيين. وأعتَضْتُ من ذلك تبينَ آيِ الأحكام بِمسائل تُسفرُ عن معناها وتُرشدُ الطالبَ إلى مُقتضاها^(٣). فضَمَنْتُ كُلَّ آيةٍ تتضمَّنُ حُكْماً أو حكمين فما زادَ مسائلَ نُبِّئُ فيها ما تحتوي عليه من أسبابِ النزولِ والتفسيرِ والغريبِ والحكم^(٤)؛ فإن لم تتضمَّنْ حُكْماً ذَكَرْتُ ما فيها من التفسيرِ والتأويلِ^(٥)، هكذا إلى آخرِ الكتاب. وسمَّيْتُهُ «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنَهُ من السُّنة وآيِ الفرقان»^(٦)، جَعَلَهُ اللهُ خالِصاً لوجهه، و(أرجو) أن ينفعني بِهِ ووالديَّ بِنِّهِ^(٧). إنه سميعُ الدعاء قريبٌ مُجيبٌ^(٨). آمين.

- ٤- الجامع لأحكام القرآن، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ م، الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٣ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م (نسخة مصورة).
- أفضية الرسول صَلَّى الله عليه وسلم، القاهرة (البابي) ١٣٤٦ هـ.
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة^(٩) (في مجموع، رقم ٤)، القاهرة (مكتبة الجمهورية العربية) بلا تاريخ؛ (صححه أحمد محمد مرسى)، القاهرة (مطابع مذكور وأولاده) بلا تاريخ.

- (١) أَضْرِبُ عن الشيء: رفض الأخذ به، ترك العمل به.
- (٢) الغناء (بالفتح): (هنا) الاستغناء. لا غناء عنه: ضروري.
- (٣) مقتضاها: وجوبها، الحاجة إليها، وجه العمل بها.
- (٤) الغريب (من الألفاظ): ما كان قليل الاستعمال. الحكم: الوجه الشرعي الذي يجب العمل به.
- (٥) تأويل الكلام: العدول به عن الحقيقة إلى الجواز، ترك المعنى الظاهر وطلب المقصود الباطن.
- (٦) الفرقان: القرآن الكريم (الذي يفرق بين الحق والباطل).
- (٧) المَنَ (بالفتح): النعمة، الفضل.
- (٨) في القرآن الكريم (٢: ١٨٦، البقرة): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ (دعائي).
- (٩) في بروكلمن (الملحق ١: ٧٣٧): بولاق ١٣٠٠، القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ (لم يأت قبلها كلمة مطبوع).

- التذكار في أفضل الأذكار: القرآن الكريم (خرج أحاديثه... أحمد بن محمد الغماري)، القاهرة (الخانجي) ١٣٥٥ هـ.
- ★★- شرح التذكرة القرطبية (لأحمد بن أحمد بن محمد، المتوفى ٨٩٦ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ.
- مختصر التذكرة بأحوال الموتى الخ، لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ، ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزاق) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ مصر ١٣٢٠ هـ.
- مختار تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تصنيف توفيق الحكيم (٩)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ م.
- الوافي بالوفيات ٢: ١٢٢-١٢٣؛ الدياج المذهب ٣١٧-٣١٨؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٤٨-٤٩، ٣: ٢٣٥-٢٣٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٥١٢ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧-٢١٨ (٥: ٣٢٢)؛ سركيس ١٥٠٤، راجع ١١٣٣ (رقم ١٧).

ابن مالك النحوي

١- هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي. وُلِدَ ابنُ مالكٍ في جَبَّانَ، سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) في الأغلب، ودرس فيها على ثابت بن خيار المتوفى سَنَةَ ٦٢٨ هـ (نفح الطيب ٧: ٢٨٧) وعلى أحمد بن نوارٍ وعلى أبي عبد الله محمد ابن مالك المرشاني وعلى أبي علي الشلوبيني الصغير (ت ٦٦٥ هـ).

ورحل ابنُ مالكٍ في مطلع حياته فدرس في مصرَ على أبي عمرو عثمان بن الحاجب (٥٧٠-٦٤٦ هـ) وأبي صادق بن الصباح (ت ٦٣٢ هـ). ثم جاء إلى دمشق فدرس على أبي الحسن بن السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) وأبي الفضل مكرم بن محمد (ت ٦٣٥ هـ). وانتقل إلى حلب فأخذ من ابن يَمِيشَ (ت ٦٤٣ هـ) ومن تلميذه ابن عمروني (ت ٦٤٣ هـ).

وتصدّر ابنُ مالكٍ للتدريس في دِمَشْقَ، وفي حَمَاةٍ مُدَّةً، وفي حَلَبَ أيضاً. وكانت وفاةُ ابنِ مالكٍ في دِمَشْقَ في الثاني عشرَ من شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٧٢ (١٢٧٤/٢/٢٢ م).

٢- كان ابن مالك إماماً في القراءات وفي اللغة والنحو واسع الأطلاع على أشعار العرب التي يُستشهد بها في اللغة والنحو: كان يأتي بالشاهد من القرآن الكريم، فإذا لم يجده في القرآن أخذه من الحديث، فإذا لم يجده فيها أخذه من أشعار العرب.

ولابن مالك النحوي نظم كثير يدور كله على جمع قواعد اللغة والنحو وعلى شواردها. وهذا النوع من النظم يكون في العادة كثير التكلف قليل الروق.

ولابن مالك تصانيف كثيرة منها: الفوائد (في النحو، وقد ضاع) - تسهيل الفوائد، (مختصر من الفوائد) - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (قيل: كتاب ضمّه ابن مالك كتابه «تسهيل الفوائد») - شرح التسهيل - الموصّل في نظم المفصل (في النحو. والمفصل للزمخشري) - سبك المنظوم وفك المختوم (نثر الكتاب السابق) - الكافية الشافية (وهي أرجوزة في ثلاثة آلاف بيت مطلعها: قال ابن مالك محمد وقد...) - الخلاصة (مختصر الكافية، وتُعرف عادة باسم الألفية لأنها تتألف من نحو ألف بيت، ومطلعها: قال محمد هو ابن مالك) - شرح الكافية - إكمال الاعلام بثلاث الكلام - لامية الأفعال - شرح لامية الأفعال - فعل وأفعّل - المقدمة الأسدية (في النحو وضعها باسم ولده تقي الدين الأسد - عُدّة الافظ وعُمدة الحافظ - النظم الأوجز في ما يُهمز - الاعتضاد في الظاء والضاد - تحفة المودود في المقصور والمدود. وله أيضاً الدالية المرموزة (وهي تحتوي على ما تحويه ألفية الشاطبي*) في القراءات السبع، وهي المعروفة باسم «حرر الأمانى ووجه التهاني» أو باسم الشاطبية اختصاراً. وفي الدالية أكثر مما في الشاطبية - اعراب مُشكِل البخاري.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مالك النحوي في مطلع «الألفية»:

قال محمد هو ابن مالك: أَحَدُ ربي الله^(١) خيرَ مالك،

(*) راجع ترجمة الشاطبي (ت ٥٩١ هـ) - في الجزء الخامس.

(١) لفظ الجلالة «الله»، هنا، مرقق (بجمل الألف التي بعد اللام الثانية وقبل الهاء بين الفتح والكسر) لأنه جاء بعد كسرة (في «ربي»). وفي غير هذا الموضع (أي بعد الفتح أو الضم) يلفظ اسم الجلالة «الله» مفخماً، نحو: قال الله... أو هذا خلق الله.

مُصْلِيًّا عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
وَأَسْتَعِينُ اللَّهَ^(٢) فِي أَلْفِيَّةٍ
تُقَرَّبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ
وَتَقْتَضِي رِضًا بِغَيْرِ سُخْطٍ
وَهُوَ سَبْقُ حَائِزٍ تَفْضِيلًا
وَاللَّهُ يَقْضِي بِهِ بَاتٍ وَافِرُهُ
- وَمِنْ مَثَرِ الْأَلْفِيَّةِ (هَمْزَةُ «أَنَّ» - مَتَى تُكْسَرُ وَمَتَى تُفْتَحُ):

لِ «إِنَّ، أَنْ، لَيْتَ، لَكِنَّ، لَعَلَّ،
«كَانَ» عَكْسُ مَا لِ «كَانَ» مِنْ عَمَلٍ^(٧)؛
«كُنْ» «وَلَكِنْ ابْنُهُ ذُو» ضِغْنٍ^(٨).
وَرَاعَ ذَا التَّرْتِيبَ إِلَّا فِي الَّذِي
وَهَمْزَ إِنَّ أَفْتَحَ لَسَدَّ مَصْدَرٍ
كَانَ «عَكْسُ مَا لِ «كَانَ» مِنْ عَمَلٍ^(٧)؛
«كُنْ» «وَلَكِنْ ابْنُهُ ذُو» ضِغْنٍ^(٨).
كَلِمَتَ فِيهَا «أَوْ... هُنَا غَيْرِ الْبَدْيِ»^(٩)
مَسَدَّهَا، وَفِي سَوَى ذَلِكَ أَكْثَرُ^(١٠):

- (١) الشَّرْفَا: مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِالْفَتْحَةِ (لِاسْمِ الْفَاعِلِ الْحَلِيِّ بِاللَّامِ - بِلَامِ التَّعْرِيفِ).
- (٢) لَفْظُ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» مَفْعُولٌ بِهِ.
- (٣) تَحَاوَلُ (هَذِهِ الْأَلْفِيَّةُ) أَنْ تَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ النُّحُو: الْأَقْصَى: الْأَبْعَدُ (الشَّوَاذِ) أَيِ فِيهَا أَمْثَلَةٌ عَلَى الْقَوَاعِدِ وَعَلَى مَا يَشُدُّ أَيْضًا عَنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ. ثُمَّ تَبَسُّطُ (تَفْصِيلُ) الْبَذْلِ (الْمُطَاة): كَثْرَةُ وَجْهِ الْأَعْرَابِ، وَلَكِنْ بِإِيجَازٍ.
- (٤) تَقْتَضِي (تَسْتَحِقُّ، تَطَالِبُ الْقَارِئُ الْمُتَعَلِّمُ) رِضًا (سُرُورًا بِهَا مِنْهُ). السُّخْطُ: الْكَرْهُ وَالْفُضْبُ. فَائِقَةُ: فَاضِلَةٌ (تَزِيدُ فِي قِيَمَتِهَا وَفِي نَفْعِهَا عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَعْتِ - ت ٦٢٨ هـ - رَاجِعُ تَرْجَمَتِهِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).
- (٥) وَهُوَ (ابْنُ مَعْتِ) مُسْتَحَقٌّ تَفْضِيلًا عَلَيَّ لِأَنَّهُ سَبَقَ فِي نَظْمِ أَلْفِيَّةٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ.
- (٦) الْآخِرَةُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. دَرَجَاتُ الْآخِرَةِ (يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْسِنُونَ فِي الْجَنَّةِ فِي مَرَاتِبٍ يَطْلُو بِعَظْمَا عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ أَعْمَالٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا).
- (٧) عَمَلُ الْأَحْرَفِ الْمَشَبَّهَةِ بِالْفِعْلِ: (إِنَّ، أَنْ، لَكِنَّ، لَيْتَ، لَعَلَّ) تَنْصُبُ الْأِسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ. وَعَمَلُ الْفِعْلِ النَّاقِصِ (كَانَ وَأَخَوَاتُهَا: ظَلَّ، مَا زَالَ، الْخ) تَرْفَعُ الْأِسْمَ وَتَنْصُبُ الْخَبَرَ: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا.
- (٨) الضِّغْنُ: الْحَقْدُ. - فِي الْأَمْثَلَةِ (رَاجِعُ الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ).
- (٩) «رَاعَ» (فَعَلَ أَمْرًا مِنْ رَاعَى - يَرَاعِي) حَافِظٌ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ فِي الْجُمْلَةِ: الْحَرْفُ الْمَشَبَّهُ بِالْفِعْلِ (أَوْ الْفِعْلُ النَّاقِصُ) ثُمَّ اسْمُهُ ثُمَّ خَبَرُهُ: لَيْتَ زَيْدًا قَائِمًا. - أَمَّا إِذَا اتَّصَلَ بِالْخَبَرِ (أَوْ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ) حَرْفُ جَرٍّ (أَوْ ظَرْفٍ)، فَحِينَئِذٍ يَتَقَدَّمُ الْخَبَرُ عَلَى الْأِسْمِ: لَيْتَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَمَرًا («ثَمَرًا» اسْمُ «لَيْتَ» مُؤَخَّرًا). كَانَ فِي الدَّارِ رَجُلٌ. لَيْتَ هُنَا غَيْرَ الْبَدْيِ. الْبَدْيُ: الَّذِي يَتَكَلَّمُ كَلَامًا قَبِيحًا.
- (١٠) تَفْتَحُ هَمْزَةُ «أَنَّ» إِذَا كَانَتْ هِيَ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهَا كُلُّهَا بِمَصْدَرٍ يَكُونُ مَعْمُولًا لَهُ مَعْلٌ مِنْ =

وَأَكْسَرَ فِي الْإِبْتِدَاءِ، وَفِي بَدْءِ صِلَةٍ،
أَوْ حُكِيَتْ بِالْقَوْلِ، أَوْ حَلَّتْ مَحَلًّا
وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فَعْلٍ عُلُقَا
بَعْدَ إِذَا فُجَاءَةً، أَوْ قَسَمَ،
مَعَ تَلَوِّ «فَا الْجَزَا» - وَذَا يَطْرُدُ
وَبَعْدَ ذَاتِ الْكَسْرِ تَصَحَّبُ الْخَبَرُ
وَلَا يَلِي ذِي اللَّامِ مَا قَدْ نُفِيَا
وَحَيْثُ «إِنَّ» لِيَمِينٍ مُكْمِلَةٌ^(١)
حَالٍ «كَزُرْتَهُ وَإِنِّي ذُو أَمَلٍ»^(٢)؛
بِاللَّامِ «كَأَعْلَمَ إِنَّهُ لَذُو تُقَى»^(٣)؛
لَا لَامَ بَعْدَهَا يَوْجِهَيْنِ نُمِي^(٤)؛
فِي نَحْوِ: «خَيْرُ الْقَوْلِ إِنِّي أَحْمَدُ»^(٥)؛
لَامُ ابْتِدَاءٍ، نَحْوِ «إِنِّي لَوَزَرٌ»^(٦).
وَلَا مِنْ الْأَفْعَالِ مَاكَ «رَضِيَا»^(٧)،

- = الإعراب: علمت أن زيداً قادم (علمت قدوم زيد - قدوم مفعول به) - العدل أن تصف الناس من نفسك: العدل إنصافك الناس من نفسك (إنصاف خبر) الخ. وفي سوى ذلك من الأماكن تكسر همزة «أن».
- (١) الهمزة في «أن» (من الأحرف المشبهة بالفعل) تأتي أحياناً مكسورة وأحياناً مفتوحة. تكون مكسورة: إذا جاءت في أول الكلام (إن الله يحب المحسنين) - وفي بدء الجملة التي تكون صلة لاسم الموصول (جاء الذي إن حديثه يعجبني) - وبعد القسم (والله، إن العلم نافع).
- (٢) حُكِيَتْ بالقول (جاءت بعد فعل القول): قال سعيد: إن الجو بارد (إن «الجو بارد» جملة مقولة القول، وهي تصلح لأن تكون بدء الكلام). «زرتَهُ وَإِنِّي ذُو أَمَلٍ» «إِنِّي ذُو أَمَلٍ» جملة في محل نصب حال (بعد واو الحالية).
- (٣) لو قلنا: اعلم أن العلم نافع (فهمة «أن» تكون مفتوحة - لأنَّ «أنَّ وما بعدها» يتأول بمصدر يقع مفعولاً به للفعل «علم». فإذا قلنا: اعلم إنَّ العلم لنافع، كسرنا همزة «أن»).
- (٤) إذا جاءت «أن» بعد «إذا» الفجاءة (وليس بعدها لام التوكيد): «سمعت صوتاً مقلقاً، فالتفت فإذا أنه ذئب يعوي (هنا يجوز فتح همزة أن وكسرها). فإذا تلتها لام التوكيد «.....» فإذا إنه لذئب....» (تعين كسر همزة «أن»). وكذلك في القسم: «أقسم بالله أنه بريء (يجوز الوجهان في «أن»). فإذا قلنا: «أقسم بالله إنه لبريء» (كانت همزة «ان» مكسورة). نعى ينمي: رفع، نسب (صحَّ عن المتقدمين).
- (٥) إذا جاءت «أن» مسبوقة بفاء الجزاء (في جملة شرطية أو شبهة بالشرطية)، فهمة «أن» تكون مكسورة: ومن يتب من ذنوبه، فإنَّ الله غفور رحيم. يطرُد: يأتي بلا شواذ.
- (٦) إنَّ لام التوكيد تدخل على الخبر جوازاً: إني واثق - إني لواثق (ولكن همزة «أن» تكون في الحالين مكسورة).
- (٧) ولام التوكيد هذه تدخل على الفعل المضارع إذا كان مثبتاً. إنَّ الإنسان ليرضى عن الحسن في كل حين، أو إذا كان اسم فعل (بمعنى الفعل المضارع): إنَّ زيداً لنعم الرجل - ولنعم الرجل زيد. ولكنها لا تدخل على الفعل الماضي ولا على الفعل المضارع إذا جاء منفياً، فلا يقال: إن زيداً لرضي أو أن زيداً لا يرضي.

وقد يليها مَعَ قَدْ، «كَيْنَ ذَا» لقد سما «على العدا مُسْتَحْوَذاً»^(١).

٤- كنت أودّ أن أنسّق تَأْلِيفَ آبن مالكٍ وشروحها وحواشيها نسقاً منطقيّاً - كما كنت قد فعلت بتأليف آبن هشام الأنصاري (٣: ٧٨٣-٧٨٧) - ولكن يبدو أن الشروح والحواشي على تأليف آبن مالكٍ أكثرُ تعقيداً منها على شروح آبن هشام. ثم أدركني زمنُ الطّباعة - وأنا في إعداد هذا الجزء للطبع (وإن كان وضعه بالتأليف والترتيب والنسخ قد تمّ منذ زمن بعيد). من أجل ذلك آثرتُ الطريقةَ التالية، وهي أهون عليّ. فعسى أن تُتاح فرصةٌ في الطّبعات المقبلة فأستدرك هنالك ما فاتني هنا.

ويرى القارئ أن الطّبعات الحديثة هنا قليلةٌ (ولا أعتقد أنها في الأصل قليلة). غير أنني قد اعتمدتُ في جمع هذه الكتب مكتبةَ جامعة بيروت العربية (وكتبُ آبن مالكٍ فيها قليلةٌ جدّاً لا تتجاوز أربعة) ومكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت (وكانت كتبُ آبن مالكٍ فيها قليلة أيضاً) ثمّ معجم المطبوعات العربية ليوسف إيلان سركيس (مصر ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) و«تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمن (خمس أجزاء، ليدن ١٩٣٧ - ١٩٤٩ م).

كتب آبن مالك:

★ ألفية آبن مالك، وتُعرف أيضاً باسم «الخلاصة»: - (شرح دي ساسي)، باريس ١٨٣٣ م (١٢٤٩ هـ).

- بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٢٩، ١٣٣٢ هـ. القاهرة (المكتبة التجارية) الطبعة الثالثة ١٩٣٢ م.

- (مع شرح لعبد الواحد)، كاونبور (الهند) ١٢٦٠ هـ.

- في مجموع «أمهات الفنون» (مصر؟) ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥ هـ (١٨٦٣ - ١٨٧٨ م).

(١) وتدخّل هذه اللام على «قد» التي تسبق الفعل الماضي لتؤكدّه أو على الفعل المضارع لتكسبه تأكيداً: لقد جاء سعيد مسروراً - ولقد يكون الحسن محبوباً.

- القاهرة (طبع حجر - مطبعة المدارس) (١) ١٢٩٠ هـ.
- قسنطينة (الجزائر) ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ).
- (نشرها غوغيه) (٢)، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ؟ (مطبعة محمد أبي زيد) ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.
- مصر (المطبعة البارونية) ١٣٠٨ هـ.
- طهران (طبع حجر) ١٢٨٨ (نيروزيه: فارسية) = ١٣١٠ هـ.
- ؟ (في مجموع) ١٣١٠، ١٣١٣ هـ.
- (حرّرها محمد حسن علي)، لكنهو (طبع حجر) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- نشرها أنريكو فيتو (٣) - مع ترجمة وشرح) بيروت ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- لاهور (الهند) ١٩٠٢ م (١٣٢٠ هـ).
- فاس ١٣٢٣ هـ.
- مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ.
- مصر (المطبعة اليمينية)، مراراً ثم ١٣٣٠ هـ.
- ★ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (للبخاري)، الهند ١٣١٩؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (دار العروبة) ١٩٥٧ م.
- ★ أرجوزة في المثلثات (٤) (نشرها الأمين الشنقيطي)، القاهرة ١٣٢٩ هـ.
- ★ تهليل الفوائد وتكميل المقاصد (تحقيق محمد كامل بركات)، القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م.
- ★ لامية الأفعال (المفتاح في أبنية الأفعال)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (مع الألفية)، بيروت ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ★ تحفة المودود في المقصور والمدود (تحرير إبراهيم البازجي)، القاهرة (مطبعة البيان) ١٨٩٧ م (١٣١٥ هـ)؛ (نشرها محمد بن الأمين الشنقيطي - مع أرجوزة المثلثات لابن مالك)؛ (مطبوع مع الاعلام)، مصر ١٣٢٩ هـ.
- ★ منظومة فيما ورد بالواو والياء (في مجموعة)، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ.
- ★★ شروح وحواش على كتب ابن مالك مباشرة:

(١) طبعة واحدة أو طبعتان (٤).

(٢) Goguyer.

(٣) E. Vitto.

(٤) يرد هذا الكتاب بعنوانين مختلفين: الاعلام أو اكمال الاعلام بثلث الكلام (سركيس ٢٣٣) وأرجوزة في المثلثات - بيان ما فيه لغات ثلاث فأكثر - المثلث ذو المعنى الواحد (بروكلمن ١: ٣٦٣، الملحق ٥٢٦).

- (أ) على ألفية ابن مالك:
- شرح على ألفية ابن مالك لأبي زيد عبد الرحمن بن عليّ المكودي (ت ٨٠١ هـ)، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم ١٣١٥، ١٣٢٠ هـ؛ فاس ١٢٩٤، ١٣١٨ هـ، ثم بلا تاريخ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٤ هـ.
 - الدرّة المضية..... لبدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٦٨٦ هـ)، بيروت ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ؛
 - منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، لأثير الدين أبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، (حرّره وقدم له سدي غليزر)، نيوهاغن (جمعية الاستشراق الاميركية) ١٩٤٧ م.
 - شرح ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، بولاق ١٢٥١ هـ، ١٢٥٣ هـ، ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (دار الطباعة) ١٢٦٥ هـ؛ (نشرها ديتريشي)، ليسك ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ برلين ١٨٥٢ م بيروت (المكتبة العمومية) بلا تاريخ ثم ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الثالثة ١٩٣٢، ١٩٥٨ م.
 - شرح خطبة (مقدمة) ألفية ابن مالك، تأليف محمد الكردودي، فاس (بلا تاريخ).
 - أوضح المسالك أو التوضيح لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢ هـ) (تحرير عبد الرحيم الصفيوري)، كلكتا ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م، ١٢٣٧ هـ (١٢٥٣ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ، ١٣١٢ هـ، ١٣١٦ هـ؛ بولاق ١٣١٠ هـ؛ (في مجموعة) ١٣٢٦ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الرابعة ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار إحياء العلوم) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
 - المقاصد النحويّة في شرح شواهد الألفية (ويعرف بعنوان: الشواهد الكبرى)، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، القاهرة ١٢٩٧ هـ؛ (على هامش «خزانة الأدب» للبغدادي)، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
 - منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأشموني (ت نحو ٩٠٠ هـ)، (بهاش حاشية على شرح الأشموني)، بولاق ١٢٨٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٥ هـ؛ (حقّق محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.
 - البهجة^(١) المرصّية (شرح الألفية) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، لكنهو ١٨٣١ م
- (١) ربّما قرئت «النهجة» بالنون راجع سركيس، ص ١٠٧٦؛ بروكلن ١: ٣٦٢، الملحق ٢: ٥٢٤ (الكتاب رقم ١٥ فيها).

- (١٢٤٧ هـ)، طهران (طبع حجر) ١٢٤٨، ١٢٦٨، ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ (بهاش الأزهار الزينية) بولاق ١٢٩٤ هـ (؟)؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.
- تمرين الطلاب في صناعة الاعراب (على القسم النحوي من الألفية) لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥٢، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤، ١٢٨٩، ١٢٩٣ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٢ هـ؛ القاهرة ١٣٣٥ هـ.
- موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، (بهاش «تمرين الطلاب»، سنة ؟).
- الأزهار الزينية في شرح متن الألفية، تأليف أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٩ هـ.

(ب) شروح على لامية الأفعال:

- شرح بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، هلسنغفوس - فنلندا ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ (نشرها كلفرن)، هلسنغفوس ١٨٥٤ م (١٢٧١ هـ)؛ (نشرها كلفرن وفولك)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (نشرها فولك)، ليسينغ ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)، بيروت ١٣١٢ هـ (سركيس ٢٣٥).
- الهند ١٢٦١ هـ؛ (في «مجموع من مهمات الفنون»): القاهرة ١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ؛ فاس ١٣١٧ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ (؟).
- الشرح الكبير والشرح الصغير، لمحمد بن عمر بن بحرقي اليمني الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ.
- حاشية على «لامية الأفعال»: لأحمد الرفاعي المالكي الأزهرى، القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٤ هـ.
- حاشية على الشرح الكبير والشرح الصغير (لابن بحرقي)، تأليف محمد الطالب بن حدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي، فاس ١٢١٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٨ هـ.

(ج) خلاصة ومعارضة:

- خلاصة الخلاصة (الألفية) لمؤلف مجهول، لكنهو (بلا تاريخ).
- المعارضة على ألفية ابن مالك أو الاحرار (؟ بروكلمن ١: ٣٦٢، السطر ٢٢، الملحق ١: ٥٢٣، رقم ٢٥، ٣: ١٢١٥، السطر الخامس)، لعبد الودود بن علي بن أحمد بن المختار

- الشنقيطي (ت بعد ١٣٠٠)، القاهرة ١٣٢٧ هـ.
- ★★ شروح وحواش على شروح وحواش (منسوبة بحسب وفيات مؤلفيها - والذين لم أعرثر الآن على تواريخ وفياتهم ألحقوا بآخر هذه القائمة):
- حاشية على شرح ابن عقيل لعبد الرحمن بن صالح المكوذي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٢٧٩ هـ، ١٣٠٥ هـ.
 - التصريح بمضمون التوضيح على أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، لخالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٨٦، ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٤٤ هـ؛ طهران ١٢٨٦ ثم ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) و ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).
 - حاشية لابن زين الدين الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) على شرح التوضيح لخالد الأزهرى (بهاش «التصريح بمضمون التوضيح»)، مصر ١٣٠٥ هـ.
 - حاشية (على البهجة المرصية للسيوطي)، تأليف ياسين بن زين الدين عليم الحمصي العليمي (توفي في عاشر شعبان من سنة ١٠٦١ = ١٦٥٩/٧/٢٩ م)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٣، ثم (بهاش التصريح على التوضيح، تأليف خالد بن عبد الله الأزهرى)، طهران ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ) و ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
 - حاشية على شواهد شرح ابن عقيل، لعبد المنعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٠، ١٢٩٥، ١٣٠١، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣٢٥ هـ.
 - حاشية الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الجبيري الملوحي (ت ١١٨١ هـ) على شرح المكوذي على ألفية ابن مالك، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ. ثم (بهاش شرح المكوذي)، القاهرة (؟) ١٣٠٥ هـ.
 - شرح شواهد ابن عقيل، تأليف عبد المنعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
 - زواهر الكواكب لبواهر المواكب، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن سعيد التونسي (ت ١١٩٩ هـ)، وهي حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تونس ١٢٩٣ هـ، ١٢٩٨ هـ.
 - فتح الجليل على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أو حاشية السجاعي، تأليف أحمد بن محمد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ)، بولاق ١٢٧٠، ١٢٨٦، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ هـ؛ (مع تقرير الشيخ محمد بن محمد الأنباري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٣٠٣ هـ.

- حاشية على أوضح المسالك، للطيب بن عبد المجيد الكراني (؟) (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ)، فاس ١٣١٥ هـ.
- حاشية لمحمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بولاق ١٢٨٠، ١٢٨٥، ١٢٨٨؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٩، ١٣٢٣ هـ.
- نظم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف أبي عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٤٧ هـ)، فاس ١٣١٨ هـ.
- شرح نظم أوضح المسالك.... تأليف ابن حمدون السلمي (مطبوع مع «نظم أوضح المسالك»).
- حاشية على شرح الأزهرية لخالد الأزهرى، تأليف حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ.
- حاشية حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٣ هـ) على شرح مجرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ.
- كشف الخفاء والغطاء: حاشية على أوضح المسالك، للطالب بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٤ هـ)، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل، تأليف محمد بن عبد الرحمن الشهير بلقب قطّة العدوي (ت ١٢٨١ هـ)، بهامش حاشية الجرجاوي، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ ثم (مستقلة) بيروت ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) راجع بروكلمن ١: ٣٦١ (السطر العاشر)، الملحق ١: ٥٢٤ (السطر الثالث)؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ بهامش شرح شواهد ابن عقيل، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- حاشية على شرح ابن عقيل، تأليف محمد الحِضْرِيّ الديماطي (ت ١٢٨٨ هـ)، القاهرة ١٣٧٢، ١٢٨٢، ١٢٨٧، ١٢٩١، ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٤٥ هـ.
- حاشية نصر الموريني (ت ١٢٩١ هـ) على «منهاج السالك» للأشموني، بولاق ١٢٩٤ هـ.
- حاشية الشيخ أحمد الرفاعي الأزهرى (ت بعد ١٣١٢ هـ) على شرح مجرق على لامية الأفعال لابن مالك، القاهرة (المطبعة الوهية) ١٢٩٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ.
- تقرير العالم (حاشية على حاشية الصبان) لمحمد الأنباي (ت ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٢٨٨ هـ.
- حاشية محمد علي بن سعيد على منهاج السالك، فارس (طبع حجر) ١٢٦٨ هـ (؟). تونس ١٢٠٠-١٢٠٨، ١٢٩٢-١٢٩٣ هـ.
- تقارير على حاشية السجاعي لمحمد بن محمد الأنباي (ت ١٣١٣)، بولاق (؟) ١٢٩٦، ١٣٠٣ هـ.

- تقرير على حاشية الصبان (على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، تأليف اسماعيل الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- شرح محمد المهدي بن محمد الوزاني (ت ١٣٤٢ هـ) على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، فاس ١٣١٨ هـ.
- إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف عبد الحميد الشرنوبي (ت ١٣٤٨ هـ)، بولاق ١٣١٩ هـ.
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (الطبعة العاشرة).... الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م.
- بغية السالك إلى أوضح المسالك، تأليف عبد المتعال الصعيدي (نحو ١٩٧٥ هـ ؟).....
شروحٌ وحواشٍ لم أستطع تحقيق مؤلفيها فسردتها بحسب تواريخ طبعها:
- حاشية ميرزا أحمد طالب (على البهجة للسيوطي)، طهران ١٢٧٥ هـ.
- إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، تأليف محمد بن مسعود الشرمياطي العثماني، فاس ١٣٠٥، ١٣١٥ هـ.
- حاشية المهدي بن مصطفى القرشي (النقرشي ؟) على ألفية ابن مالك، فارس- إيران ١٣٠٩ هـ.
- حاشية على شرح المكودي لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، فاس (بلا تاريخ)؛ القاهرة (بهاشم شرح المكودي)، ١٣١٥ هـ.
- حاشية..... على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٨ هـ.
- حاشية على شرح المكودي، تأليف المهدي بن سليمان الصديري، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- التوضيح أو تهذيب أوضح المسالك: حاشية ألفها محمد سالم علي وأحمد مصطفى المراغي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).
- الكواكب الدرية (شرح الألفية)، تأليف صالح بن عبد الصنوع الآبي الأزهرى، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- القواعد الأساسية للغة الغريبة حسب منهاج شرح الألفية، تأليف..... القاهرة () ١٣٥٤ هـ.
- فوات الوفيات ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٩ - ٣٦٤؛ ابن قنفذ ٣٣٢؛
بغية الوعاة ٥٣ - ٥٧؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٩؛ نفح الطيب ٢: ٢٢٢ - ٢٣٣، ٦؛
٢٤٦، ٧: ٣٧٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦١ - ٨٦٢؛ نيكل ٣٥٧ - ٣٥٨؛
مختارات نيكل ٢٠٤؛ بروكلمن ١: ٣٥٩ - ٣٦٣، الملحق ١: ٥٢١ - ٥٢٧؛ سركيس
٢٣٢ - ٢٣٤، راجع ١٧٨٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١١ (٦: ٢٣٣)؛ معجم المؤلفين ١٠:
٢٣٤؛ العربي ٩/ ١٩٧٢.

محمد بن الحسن القلبي

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلبي، نسبة إلى قلعة بني حنّاد (فقد كان جد أبيه ميمون قاضياً فيها). نشأ في مدينة الجزائر وأخذ فيها عن محمد بن منداس. ثم إنه انتقل إلى بجاية واستوطنها، وفيها برع واشتهر. وقد تصدر للتدريس في فنون العربية - اللغة والنحو والأدب - . وتوفي في بجاية، سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤-١٢٧٥ م).

٢- كان محمد بن الحسن القلبي مشاركاً في عدد من فنون العلم، في الفقه والتاريخ واللغة والنحو والأدب، بارعاً في علم التصريف محباً للتعليل على طريقة ابن جني^(١). كما كان شاعراً على شعره نفحة دينية ونفحة صوفية. وكان مصنفاً له: الموضح في علم النحو - حدق العيون في تنقيح القانون (نحو) - نشر الحفي في مشكلات أبي علي (الفارسي في كتابه: الإيضاح في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن الحسن القلبي في مدح الرسول:

أمن أجل أن بانوا فؤادك مُفرمٌ وقلبك خفاق ودمعك يسجم^(٢)؟
وما ذاك إلا أن جِسْمَكَ مُنْجِدٌ وقلبك مع مَنْ سار في الركب مُتَهَمٌ^(٣).
ومن قائل في نظمه مُتَعَجِّباً: أجسم بلا قلب، فكيف رأيتم؟
ولا عجب أن فارق الجسم قلبه، فحيث نوى المحبوب يثوي المتيم^(٤)!
عساهم، كما أبدوا صدوداً وجفوة، يعودون للوصل الذي كنت أعلم.

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) من أئمة النحو والأدب.

(٢) بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. جَم الدمع: سال.

(٣) أنجد الرجل: جاء مُجِداً (المكان العالي). الركب: الجماعة المسافرون معاً. أتهم (بفتح فسكون) الرجل: نزل إلى تامة (بالكسر): ساحل الحجاز (المكان المنخفض). - يريد أن يقول: حاجات جسمي مختلفة من حاجات قلبي (نفسي، عقلي).

(٤) نوى: مكث. المتيم: الذي تيمه (ذله) الحب.

إليك، رسولَ الله، أرفعُ حاجتي؛ فأنتَ شفيعُ الخلقِ، والخلقُ همُّ (١).
 فقد سارتِ الرُّكبَانُ واغتَنِمُوا المنى؛ وإنِّي من دونِ الخلائقِ مُحرَّمٌ (٢).
 وهَبْنِي عَصِيَّتُ اللهَ جهلاً وَصَبُوءَ؛ فَمَنْ يَقْبَلُ الشُّكُوى وَمَنْ يَتَرَحَّمُ (٣)؟
 وقد أثقلتُ ظَهْرِي ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ؛ وَلَكِنْ عَفَا اللهُ أَعْلَى وَأَعْظَمَ.

- وله من قصيدة يبدو عليها أثرُ ابنِ عبدونٍ: «الدهر يفجعُ بعدَ العينِ بالأثر» (٤):

الخُبْرُ أَصْدَقُ في المَرَأَى من الخَبَرِ. فمَهْدُ العُذْرِ، لَيْسَ العَيْنُ كالأثرِ (٥).
 وَخَلَّ عن زَمَنِ تَحْشَى عَوَاقِبَهُ، إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا فَكَّرْتَ ذُو غَيْرِ (٦).
 أَيْنَ الأَلَى جَنَّبُوا خَيْلاً مُسَوِّمَةً وَشَيَّدُوا إِرْماً خَوْفاً من القَدَرِ (٧)؟
 تَنَافَسَ النَّاسُ في الدُّنْيَا، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ المُقَامَ بِهَا كَاللَّنَحِ بِالبَصْرِ.
 أَوْدَى بداراً وَأَوْدَى بَابِنِ ذِي يَزْنَ وَقَلَّ غَرْبَ هِرْقَلٍ؛ إِنَّهُ لَحَرِي (٨)!

- (١) الهيم جمع هائم: الذي اشتدَّ عطشه، الذي اشتدَّ حبه، الذي سار على وجهه لا يدري إلى أين يذهب.
 (٢) النية: ما يتمناه (يرغب فيه) الإنسان. اغتَنِمُوا (رجعوا) المنى: وصلوا إلى مكة والمدينة. محرم = محروم (من الذهاب إلى الحج).
 (٣) الصبوة: الميل إلى النساء.
 (٤) راجع الجزء الخامس، ص ١٩٢.
 (٥) مهد العذر (اجعل طريق اعتذارِي إليك ممهداً: سهلاً في المسير): اقبل عذري. العين: الشخص المائل (القائم أمام الراي من كل شيء).
 (٦) خلَّ عن زمن: اترك التذكُّر لزمن. غير (بكسر ففتح) الدهر: أحداثه وأحواله المتغيرة. ويجوز أن تكون جمعاً لكلمة «غيرة» (بكسر ففتح ففتح) راجع تاريخ العروس (الكويت ٣: ٢٨٧).
 (٧) جنب القوم خيلهم (جعلوها تسير مسرعة ملجمة إلى جنب إبلهم، استعداداً للقتال). المسومة: المعدة (بضم ففتح ففتح) فدا لشدَّة مفتوحة):، الحياة. شيد: بنى بالحجارة الضخمة. إرم (بكسر ففتح) مدينة قديمة، قيل كانت سقوفها من النحاس (وقد سَفَّ ابن خلدون، في مقدمته، هذا القول. وقال: هي ارم ذات العماد أو الأعمدة، أي البلدة التي يسكن أهلها في الخيام).
 (٨) أودى الدهر بالرجل (أهلكه). دارا ملك فارسي. ابن ذِي يَزْنَ (ملك من ملوك اليمن العرب). فل: ثلَّم (قطع). الغرب: حدَّ السيف. هرقل: ملك من ملوك الروم. إنه لحري: إنه حريّ بذلك (جدير به، ينتظر منه ذلك: حريّ بالدهر أن يهلك كلَّ الناس، وحريّ بهرقل أن يهلك كما يهلك جميع الناس).

وَلْتَفْتَكِرْ فِي مَلُوكِ الْعَرَبِ مِنْ يَمَنِ، وَلْتَعْتَبِرْ بِمُلُوكِ الصِّينِ مِنْ مُضَرَ^(١)؛
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ أَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ سِوَى الْأَسْمَاءِ وَالسَّيْرِ.

٤- ★★ تعريف الخلف ٢: ٣٥٩-٣٦٣؛ عنوان الدراية ٩٤-٩٩؛ تاريخ الجزائر العام
٢: ٦٠-٦٢؛ تاريخ أعلام الجزائر ١٤٨-١٤٩؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣١٧
(٨٦)؛ الطمار ٩٥-٩٨؛ الأصالة ٤: ١٩ (ص ٢٨٢).

ابن الجنان الشاطبي

- ١- هو فخر الدين أبو الوليد محمد بن (الشريف، المشرف) سعيد بن هشام بن الجنان الشاطبي الحنفي، وُلِدَ في شاطبة سنة ٦١٥ للهجرة (١٢١٨-١٢١٩ م).
قَدِمَ ابن الجنان الشاطبي إلى الشام وسكن دمشق وصحب فيه كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم (٥٨٨-٦٦٠ هـ) وابنه مجد الدين فانتقل في صحبتها من المذهب المالكي إلى المذهب الحنفي. وفي دمشق درس في المدرسة الإقبالية. وكانت وفاته سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٦-١٢٧٧ م).
- ٢- كان ابن الجنان الشاطبي أديباً فاضلاً وشاعراً مُحَسَّناً على الطريقة الصوفية.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الجنان الشاطبي في الأغراض الصوفية:

أَفْنَانِي الْقَبْضُ عَنِّي حَتَّى تَلَاشِيَ وَجُودِي^(٢) .
وَجَاءَنِي الْبَسْطُ يُحْيِي رُوحِي بِفَضْلِ وَجُودِي^(٣) .

-
- (١) ولتفتكر (فكر أنت في ما صار إليه أمر ملوك العرب). مضر: عرب الشمال. وملوك الصين، في التاريخ، لا صلة لهم بمضر.
 - (٢) القبض: حال يكون الصوفي فيها مجذوباً إلى الله (لا وجود شخصياً له).
 - (٣) البسط ضد القبض. يظل الصوفي في هذه الحال قريباً من لطف الله، ولكن الله يُعْثِي له وجوده الشخصي رحمة بالناس كيلا يفرغهم أن الإنسان يمكن أن يصل إلى تلك المرتبة.

فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ : شُكْرًا ، لَذَاكَ بِالنَّفْسِ جُودِي ^(١) .
وَقُمْتَ أَشْطَحَ سُكْرًا ، فَعَبْتُ عَنْ ذَا الْوُجُودِ ^(٢) !

- وقال ابنُ الجنان، على الطريقة الصوفية (القدح المملّى ٢٠٧):

خَبِرْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ مُعْطَرٌ وَافَى شَذَاهُ فَظَلْتُ مِنْهُ أُسْكِرُ ^(٣) .
لِلَّهِ مَا أَخْلَى شَمَائِلَهُ الَّتِي جَاءَ النِّسِيمُ بِعَرَفِهَا يَتَبَخَّرُ ^(٤) .
وَافَى وَمَا فِي الْقَوْمِ مِنْ يَذْرِي بِهِ إِلَّا قَتَى فِي حُبِّهِ مُتَنَكِّرُ ^(٥) .
تُتْلَى أَحَادِيثُ الْغَرَامِ بِقَلْبِهِ ، وَلِسَانُهُ عَمَّا بِهِ يَسْتَخِيرُ ^(٦) ،
حَتَّى إِذَا غَنَى لَهُ الْحَادِي بِهِمْ ، وَسَرَى لَهُ مِنْ شَرِّ لَيْلِي الْعَنْبَرِ ^(٧) ،
هَزَّ الْمَاعِطُفَ ثُمَّ رَاحَ مُوَلَّهًا نَشْوَانَ فِي تِلْكَ الصَّبَابَةِ يَمُثِّرُ ^(٨) .
- مُتَهَتِّكًا فِي الْعَاشِقِينَ ، كَمَا تَرَى - يُبْدِي الَّذِي يُخْفِيهِ مِنْهُ وَيُضْمِرُ .

- ولا بن الجنان أيضاً مقطّعات في مثل ذلك ^(٩):

★ ذَكَرَ الْعُذِيبَ فَمَالَ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى صَبُّ عَلَى صُحُفِ الْغَرَامِ قَدْ انْطَوَى ^(١٠) .

- (١) إذا وصلت إلى مثل تلك الحال هان عليّ بذل نفسي (الاستغناء عن الحياة في هذه الدنيا).
- (٢) الشطح: كلام على ظاهره رُعونة (خفة وحق وتصريح بما لا يجوز للعاقل أن يصرّح به). السكر: غيبة تحصل للصوفي إذا جاءه لطف من الله أخرجه من شعوره بما حوله.
- (٣) الشذا: طيب الرائحة.
- (٤) الشائل جمع شال (بالكسر): الخلق، السجية، الصفة.
- (٥) وافى: جاء، وصل. فقى (يقصد الشاعر نفسه): الرجل الذي يعتمد عليه. في حبه متنكر: (يظنّ الناس أن حبه مثل حبهم - حبهم ذلّ للمحبوب، وحبه اعتزاز بالله).
- (٦) مع أنّ حبه في قلبه (قريب منه جداً)، فإنه يتساءل عن هذا الحبّ (لأنه مستغرب عند البشر).
- (٧) الحادي: سائق القافلة يغنيّ للمسافرين كيلا يملّوا من طول الطريق. سرى: سافر ليلاً. النشر: الرائحة المنتشرة (الطيبة). العنبر: مادّة طيِّبة الرائحة. ليلي (كناية عن العزّة الإلهيّة).
- (٨) المعطف (بالكسر): رداء واسع يلبس اتقاء للبرد. والشاعر يقصد العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من الجسم). هزّ عطفه: افتخر وأعجب بنفسه (لأنّ الله أنعم عليه بتقريبه - راجع البيت السابق). المولّه: الذي يكاد يُجنّ من شدّة الحبّ. نشوان: سكران. الصبابة: الهبة. يثمر من الصبابة: إنّ الهبة (محبة الله) قد شغلته عن كلّ شيء حتّى أصبح يثمر (يقع) إذا مشى (أي غافلاً عن كلّ شيء آخر).
- (٩) المعاني في القطع التالية صوفية تحتل تأويلات مختلفة (راجع القطعة السابقة).
- (١٠) العذيب: نبع ماء قرب ينبع (بضمّ الباء). وينبع مرفأ المدينة المنورة.

يكي على وادي العقيق مثله
وبمُهَجَّتِي مَعْبُودُ حُسْنٍ مِنْهُمْ،
أوحى إلى قلبي الذي أوحى له.
★ يا رَعَى اللهُ عَيْشَنَا بَيْنَ رَوْضٍ
تَحَسَّبُ النهرَ عِنْدَهُ يَتَشَنَّى
★ لي حَيْبٌ عَنْ حُبِّهِ لَا أَحُولُ.
قَالَ لي عاذِلِي: تَنَاسَ هَوَاهُ.
لو ضَلَلْنَا فِي قَتْرَةٍ مِنْ هَوَاهُ
وَيَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ مُنْعَطِفِ اللَّوَى^(١).
فلذا على عَرْشِ القلوبِ قَدِ اسْتَوَى^(٢).
فَعَجِبْتُ كَيْفَ نَطَقْتُ فِيهِ عَنِ الْهَوَى^(٣)!
حَيْثُ مَالِ السَّرُورِ فِيهِ نَمِيلُ.
وَتَخَالُ الْفُصُونُ فِيهِ تَمِيلُ.
إِنَّ شَرَحَ الْغَرَامِ فِيهِ يَطُولُ.
قُلْتُ: أُنْسَى، يَا عاذِلِي، مَا تَقُولُ؟
لَهْدَانَا مِنْ مُقْلَتِيهِ رَسُولُ^(٤)!

٤- ★★ الوافي بالوفيات ١: ١٧٥-١٧٧؛ فوات الوفيات ٢: ١٩٥-١٩٨؛ القدح الملقى
٢٠٦-٢٠٩؛ المغرب ٢: ٣٨٣-٣٨٤؛ بغية الوعاة ٤٥-٤٦؛ نفح الطيب ٢:
١٢٠-١٢٣، ٣: ٣٥٣.

ابن الناظر القرشي

١- هو أبو عليّ الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أبي الأحوص
القرشيّ الفهريّ، أصله من بَلَنْسِيَّةَ ومولده في جَيَّانَ سَنَةَ ٦٠٣ (١٢٠٦-١٢٠٧ م)،
طَلَّبَ الْعِلْمَ في عِدَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِ: أَخَذَ فِي غَرْنَاطَةِ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْكُؤَابِ وَفِي
إِشْبِيلِيَّةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَابِرٍ الدَّبَاجِ (ت ٦٤٦ هـ) وَلَا زَمَ الشُّلُوبِينَ (ت ٦٤٥ هـ) فِي الْأَدَبِ

- (١) وادي العقيق ومنعطف اللوى: مكانان (الأول منها قرب المدينة)، والثاني اسم عام.
- (٢) معبود حُسْنٍ (يقصد الله). وفي البيت إشارة إلى آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها (٢٠: ٥ سورة طه): ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.
- (٣) أوحى (الله) إلى قلبي.... هنا أيضاً إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم (٥٣: ٣-٤): ﴿في حقِّ محمدٍ رسول الله: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاَّ وحيٌّ يوحي﴾﴾.
- (٤) الفترة: المدة الفاصلة بين رسالتين. كان بين عيسى بن مريم ومحمد رسول الله فترة (هدوء، مدة لم يعرف البشر فيها دهنًا منزلاً).

والنحو وأخذ عنه أكثر كتاب سيبويه. وفي بَلَسِيَّة أخذ عن أبي الربيع بن سالم وفي مُرْسِيَّة عن أبي العباس بن عيَّاش وفي جزيرة شُقْر عن الخطيب أبي بكر بن وضَّاح وفي مالقة عن الحاج أبي محمد بن عطية وأبي القاسم بن الطيلسان.

أقرأ ابن الناظر القرشي القرآن والعربية (النحو) والأدب في غرناطة مدة ثم انتقل إلى مالقة وتصدَّر فيها للإقراء والتحديث وخطبَ في جامعها بضماً وعشرين سنة. ثم إنَّه غادر مالقة إلى غرناطة فولِّي القضاء في المَرِيَّة وبَسْطَة ومالقة (وهي تابعة لغرناطة). وكانت وفاة ابن الناظر القرشي في الرابع عشر من جُمادى الأولى من سنة ٦٧٩^(١) (١٣/٨/١٢٨٠ م).

٢- كان ابن الناظر القرشي من أهل المعرفة والدراية (العلم بالحديث) والرواية الواسعة (للحديث) ومن القراء والفقهاء، كما كان نحوياً أديباً وشاعراً. والقطعة الواردة له هنا من لزوم ما لا يلزم، وفيها شيء من الإحسان. ثم هو مُصنّف له شرح المُستصفي (للإمام الغزالي؟) وشرح الجمل (في النحو للزجاجي؟)، إلى جانب مُصنّفات في القراءات والحديث.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الناظر القرشي في الدنيا والآخرة:

رَغِبْتُ عن الدنيا لِعِلْمِي أَنَّهَا مَحَلُّ حَيَاةِ الْمَرْءِ فِيهِ بَلَاغٌ^(٢).
وقد لاح في فَوْدِي شَيْبٌ عَلَى الرَّدَى دَلِيلٌ، وفيه - ما أَرَدْتُ - بَلَاغٌ^(٣).
وَأَمَلْتُ من مَوْلَايَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ يَكُونُ بِهَا مِنِّي إِلَيْهِ بَلَاغٌ^(٤)؛

(١) من بغية الوعاة (ص ٢٣٤) وهي مثبتة بالأحرف. وفي المرقبة العليا (ص ١٢٧): ٦٩٩ (ولكنها مدونة بالأرقام).

(٢) رغبت عن الشيء: زهدت فيه وتركته. بلاغ كفاية (ما يتلغ به الإنسان كي يبقى حيًّا).

(٣) الفود: الشعر في جانب الرأس. الردى: الموت. بلاغ: بيان، انذار.

(٤) مولاي: ربي (الله). بلاغ: وصول (إلى الجنة).

فَأَخْطَى إِذَا الْأَبْرَارُ قِيلَ لَهُمْ غَدَاً: هَلُمُّوا إِلَى دَارِ النِّعَمِ فَرَاغُوا^(١).
رَأَيْتُ بَنِيهَا مَا رَمَتْهُمْ سِهَامُهَا فَطَاشَتْ، وَلَا حُمَّ الْحَيَامُ فَرَاغُوا^(٢).
فَعُجْتُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ بِهَمَّتِي، فَعِنْدِي عَنْهَا رَاحَةٌ وَفَرَاغٌ^(٣).

٤- ★★ المرقبة العليا ١٢٧؛ بغية الوعاة ٢٣٤؛ نفح الطيب ٥٣٦: ٢، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٧٥؛
الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٠ (٢٤١).

سعيد بن حكم القرشي

١- هو الأمير الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد
العزیز بن حكم المَعَارِي الْقُرَشِيُّ الطَّبِيرِيُّ، أصله من طَبِيرَةَ^(١) - من غربي
الأندلس - وبها مولده في سادس جُمَادَى الْآخِرَةِ من سَنَةِ ٦٠١ (١٢٠٥/١٩/٢٩ م).

تَطَوَّفَ سَعِيدُ بْنُ حَكَمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ مُدَّةً ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي مَدِينَةِ إشبيلية وقرأ فيها الموطأ
على أبي الحسين (أبي الحسن؟) بن زَرْقُونٍ وعلى أبي علي الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ). ولكن
يبدو أنه لم يكن على وفاقٍ مع والي إشبيلية من قبَلِ الموحدين فانتقل إلى العُدْوَةِ
المَغْرِبِيَّةِ فجاء إلى سَبْتَةِ ثُمَّ جال في إفريقية (تونس) والمغرب. بعدئذٍ استقرَّ مُدَّةً في
تونس الحاضرة ثُمَّ جاء إلى جزيرة مَيُورْقَة^(٢)، وذلك قبل أن يتغلب عليها الإسبانُ في
مُنْتَصَفِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٦٢٧ (١٢٣٤/١/٢ م). وقد كان له شيءٌ من الإشراف في

- (١) هَلُمُّوا: تعالوا (بفتح اللام)، أسرعوا. دار النعم: الجنة. راغ يروغ: مال، جاء إلى.
- (٢) بنوها (بنو الدنيا): الناس. طاش: حاد عن الهدف، أخطأ الهدف. سهامها (سهام الدنيا، سهام النية أو الموت). - كانت سهامها دائماً مصيبة (لم ينج أحد من الموت). حم: قرب. الحمام: الموت. راغ: حاد (نجا).
- (٣) عاج مال، قصد. دار البقاء: الآخرة (في مقابل دار الفناء: الدنيا). فراغ: خلاه البال.
- (٤) يذكر حسين مؤنس (الحلة السراء ٢: ٣١٨، الحاشية) مدينتين باسم طبيرة، إحداها على بعد كيلومترين من مصب نهر مندق في منتصف الساحل الغربي من البرتغال اليوم. والثانية قرب الساحل الجنوبي عند منتصفه. والذي يظن أن هذه البلدة الثانية هي التي ولد فيها سعيد بن حكم.
- (٥) إلى الجنوب الشرقي من الأندلس أرخبيل فيه ثلاث جزر ذوات أحجام ظاهرة: ميورقة (الكبيرة) ومنورقة (الصغيرة) ويابسة.

جزيرة مَيُورْقَة. ثمَّ إِنَّه جاء إلى جزيرة مَنُورْقَة عاملاً (أميراً على جمع الضرائب). وفي أيام دولته في مَنُورْقَة أَشْتَغَلَ بالحديث على المُحَدِّثِ أَبِي الحُسَيْنِ يوسُفَ بنِ مُفَوِّزٍ.

ولمَّا أَخْتَلَّ أمرُ الموحدين وأستولى الإسبان على مَيُورْقَة أَستطاع سعيدُ بنُ حَكَمٍ أن يَحُولَ بَيْنَهُم وبين الأستيلاء على مَنُورْقَة بشيءٍ من المُدَاراةِ وبَدَفَعَ جَزِيَّةً سَنَوِيَّةً. وكان النافذُ في مَنُورْقَة مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ هِشَامٍ، وكان أمرُ الموحدين قد ضَعُفَ وأفترقتِ الكَلِمَة - فَاسْتَبَدَّ سعيدُ بنُ حَكَمٍ بأمر الجزيرة في ثاني شَوَالٍ من سَنَةِ ٦٣١ (١٢٣٤/٧/١ م) ثمَّ أَسْتَمَرَ في حُكْمِهَا حُكْمًا عَاقِلًا صَالِحًا حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ^(١) في السابعِ والعِشرينَ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٨٠ (١٢٧٢/١/٩ م).

٢- كان سعيدُ بنُ حَكَمٍ القُرَشِيُّ حَازِمًا في الإدارة شَديدَ القَسْوَةِ في العُقُوبَةِ يَقْتُلُ على شُرْبِ الخمرِ، عَاتِبَهُ في ذلك أَسَادهُ آبنُ مُفَوِّزٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ (أَعْمَالُ الأَعْلَامِ ٢٧٦): «يا فقيه! هذه الجزيرةُ كَثِيرَةُ العِنبِ. والناسُ يَشْرَبُونَ الخمرَ بها وَيَسْكُرُونَ فَيُضَيِّعُونَ الاحْتِرَاسَ فَيُظْهِرُ (يَتَغَلَّبُ) عَلَيْنَا العَدُوُّ». وكان مَعَ ذلك مُحْسِنًا إلى الأَفرادِ وإلى الجَماعاتِ: يَفْكُ الأَسْرَى وَيَتَصَدَّقُ على المُحْتَاجِينَ وَيَنْصُرُ المَظْلُومِينَ.

وَهُوَ من العُلَمَاءِ والأُدبَاءِ وذو حَظٍّ وافرٍ من رِوايةِ الحديثِ. ثمَّ هو أَيْضًا نَاشِرٌ شاعِرٌ شَديدُ الأَخْذِ بالصَّنَاعَةِ في نَثَرِهِ خَاصَّةً كَثِيرُ المَيْلِ إلى الإِلْغازِ في الأَشْيَاءِ المُخْتَلِفَةِ نَظْمًا وَنَثَرًا. وفنُونُ شِعْرِهِ النَسِيبُ والحِكْمَةُ والمدحُ والوصفُ. وأبرزُ فنونِ نَثَرِهِ التَّرْسُلُ.

٣- مَخْتارات من آثاره

- من رسالةِ كَتَبَ بها سعيدُ بنُ حَكَمٍ القُرَشِيُّ^(٢):

أَمَتَعَ اللهُ بِكَ، أَيُّهَا الوَلِيُّ الكَرِيمُ الوَفِيُّ الصَّمِيمُ الشَّرِيفُ أَبَا المَنِيفِ حَسَبًا وَصَنَعَ لَكَ وَبَلَّغَكَ أَمْلَكَ. يَخْصُصُكَ بِالنَّاءِ - الطَّيِّبِ كَنَائِكَ، الصَّيِّبِ كَوَفَائِكَ - مُجَلِّكَ

(١) من زامباور (ص ٩٢)، وفي أعمال الأعلام (ص ٢٧٦): في حدود ٦٨٠.

(٢) يبدو أن سعيد بن حَكَمٍ كَتَبَ هذه الرسالة إلى أحد أمراء الحَفَصِيِّينَ في تونس: أَبِي زَكَرِيَّا بَحْيِي (٦٤٧-٦٤٧ هـ) أو ابنه أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ (المستنصر) الأوَّلَ (٦٤٧-٦٧٥ هـ).

بالحقّ الواجب ومُحَلِّكٍ مِنَ الْوُدِّ بَيْنَ التَّرَائِبِ ^(١) سَعِيدٌ بْنُ حَكَمٍ . ولا جديدٌ إِلَّا عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَكِفَايَتُهُ وَوَقَايَتُهُ - سُبْحَانَهُ - (والتي) هي خَيْرٌ مِنْ دِفَاعِنَا - وَحَايَتِهِ ^(٢) .

وقد وَرَدَتِ الْحَدِيقَتَانِ الْأَنِيقَتَانِ وَالرَّوْضَتَانِ الْغَضَّتَانِ تَعَبَقَانِ إِذْ تُنَشِّقَانِ وَتَرَوِقَانِ لَمَّا ^(٣) تَرُمُقَانِ . وَالْحُسْنُ مِنْ مَرَاةَا يَسْفِرُ وَالِدَجْنُ يَنْجَلِي مِنْ سَنَاهَا إِذَا يُسْفِرُ ^(٤) . سَبَقَتْ أُولَاهَا كَالْبُشْرَى ، وَنُسِقَتْ بَعْدُ عَلَى أَثَرِهَا الْأُخْرَى وَجَاءَتْهَا خَفِيفَتِي الْمَحْمَلِ لَطِيفَتِي الْمُجْمَلِ ... فَلِلَّهِ مُهْدِيهَا وَمُطْلِعُهَا نِيرَتَيْنِ ^(٥) . لَقَدْ أَوْجَبَ بَرِّهَا حَقًّا كَبِيرًا ، وَحَمَلَ مِنْ شُكْرِهَا مَا يَثْقُلُ ثَبِيرًا ^(٦) . وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلِيِّ مَا أُولَاهُ ^(٧) .

- وقال مُلْفِزًا فِي شَمْعَةٍ :

مَا جَمِيلَةُ الْمَرَاةِ صَقِيلَةُ كَالْمَرَاةِ مُنْتَصِبَةُ كَالْقَنَاءِ ^(٨) مَرْتَقِبَةُ مِنَ الْأُذَانِ بِالْعِشَاءِ لِلأَدَاةِ ^(٩) . مَعَ الْإِسْتِمْعَالِ قَرِيبَةُ الْحَيَاةِ ، وَعَلَى الْعُطْلَةِ وَالْإِغْفَالِ بَعِيدَةُ الْوَفَاةِ ^(١٠) . مُنْهَلَةٌ وَلَيْسَتْ بِغَمَامَةٍ ، مُسْتَقَلَّةٌ وَلَكِنْ بِدِعَامَةٍ ^(١١) . وَمَعَ كَوْنِهَا تَهْمِي بِدُرِّرٍ (فإنَّهَا) تَرْمِي

- (١) مَحَلِّكَ : مُحْتَرَمَكَ . مَحَلِّكَ : مَنْزِلَكَ (بِالضَّمِّ) . التَّرَائِبُ : عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ (بَيْنَ التَّرَائِبِ : فِي الْقَلْبِ) .
- (٢) حَايَتِهِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى وَقَايَتِهِ .
- (٣) هَذِهِ الرِّسَالَةُ شُكْرٌ عَلَى هَدِيَّةٍ : حَدِيقَتَانِ وَرَوْضَتَانِ (؟) . أَنْيَقُ : جَمِيلٌ . غَضٌّ : طَرِيٌّ . عَبَقُ (بِفَتْحٍ فَكْسَرٍ) الطَّيِّبُ : انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ . رَاقٌ يَرُوقُ : حَسَنٌ فِي الْعَيْنِ . رَمَقَ : نَظَرَ . لَمَّا (؟) : حِينَ (؟) .
- (٤) يَسْفِرُ : يُظْهِرُ حُسْنَ وَجَاهِهِ . الدَّجْنُ : الْغَيْمُ (النَّهَارُ الَّذِي يَقْلُ فِيهِ النُّورُ لِكثْرَةِ الْغَيْمِ) . السَّنَا : الضَّوُّ السَّاطِعُ . يَسْفِرُ : يَشْرُقُ . لَعَلَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ شَمْعَتَيْنِ .
- (٥) الْمَحْمَلُ (بِالْجَمِّ) : الْجِسْمُ أَوْ الْحِجْمُ . نِيرَتَيْنِ : مَضِيئَتَيْنِ .
- (٦) بَرِّهَا : طَاعَتُهَا (الشُّكْرُ عَلَيْهَا) . يَثْقُلُ : يَزِيدُ فِي الثَّقَلِ عَلَى ثَبِيرٍ (اسْمُ جَبَلٍ) .
- (٧) الْحَلِيُّ : النِّعَمُ . مَا أُولَاهُ : أَسْبَغَ عَلَيْهِ (أَعْطَاهُ) مِنَ النِّعْمَةِ .
- (٨) الْمَرَاةُ (بِفَتْحٍ الْمِيمِ) : الْمَرَأَى ، الْمَنْظَرُ . (وَبِكْسَرِ الْمِيمِ) : صَفْحَةٌ مَصْقُولَةٌ مِنْ مَعْدَنٍ أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ زَجَاجٍ مَقْشَى أَحَدَ وَجْهَيْهَا يَرَى النَّاطِرُ فِيهَا نَفْسَهُ . الْقَنَاءُ : الْقَصْبَةُ ، الرِّمَحُ .
- (٩) مَرْتَقِبَةٌ : مُنْتَظَرَةٌ . مِنَ الْأُذَانِ بِالْعِشَاءِ (قَبْلَ أَذَانِ الْعِشَاءِ !) لِلأَدَاةِ (؟) .
- (١٠) إِذَا أَضَاءَهَا الْإِنْسَانُ كَثِيرًا ذَابَتْ بِسُرْعَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَضُئْهَا كَثِيرًا طَالَتْ حَيَاتُهَا .
- (١١) مُنْهَلَةٌ : يَتَسَاقَطُ مِنْهَا نَقَاطٌ كَالدَّمُوعِ (مِنْ الشَّمْعِ الذَّائِبِ بِحَرَارَةِ نُورِهَا) . مُسْتَقَلَّةٌ : نَاهِضَةٌ ، مُنْتَصِبَةٌ . بِدِعَامَةٍ (عَلَى دِعَامَةٍ : شَمْعَدَانِ) .

بشَّرَ^(١).... وليست من بيت النبوة وإن كان قد أوحى إلى آبائها^(٢).... تُرضعُ
 أبناً لم تلده ذا عقوق، يُسرَّع إلى أذاتها غير فروق^(٣)... تقوم ليلها تهجداً، وتُريك
 ابتساماً دائماً وتجلداً^(٤).....

- وقال سعيد بن حكيم يصفُ عادته في الإحسان إلى الناس:

لا تمنع المعروف يو ماً مُعريضاً ومُعريضاً^(٥).
 فكلاهما من حقِّه فيه له أن يُفرضاً^(٦).
 هذا تنزه فاستحقَّ ق على نراهته الرضا^(٧).
 والآخر استخيا من الت تصرّيح فيه فعرّضاً.
 هذا الذي ما زلتُ أف حل أو أقول مُعرّضاً.

- وله في الحقْد:

الحقْد داء في القلوب، والصنح منه هو الطبيب.
 فاحلّم عن الجاني فقد يدعوه حلمك أن يتوب.
 وأنس الذنوب، فإننا ذكرُ الذنوب من الذنوب.

- وقال في النسيب:

إنني لأكلفُ باسمِها كلفي بها. فانظر، فهذا للعفاف شعار^(٨).

- (١) تهيم بدرر (يسيل من أعلاها نقاط كاللؤلؤ، كأنها نقاط ماء من المطر). ترمي بشرر: يصدر منها نور (يراه ضيف البصر خيوطاً متجهة إلى كل جهة).
- (٢) يصنع الشمع الفاخر من المادة « الشمعية » التي تهيئة النحل أقراصاً ذات سدّات لتخزن فيها العسل. وفي القرآن الكريم: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ (١٦ : ٦٨ سورة النحل).
- (٣) ترضع ابناً (تمدّ أو تزود الفتيال الذي في وسطها بالمادة التي تمكنه من الإضاءة. ذو عقوق (عصيان) لأنّ إضاءته يذيب جسمها (من الشمع) فكانه يقتلها. فروق: خائف.
- (٤) تقوم (تسهر) الليل تهجداً (في العبادة). ابتساماً (من إشراف نورها) وتجلداً على احتفال حرّ الاحتراق.
- (٥) المعرض: الذي يدي إباء لأخذ الصدقة. المعرض (بشديد الراء): الذي يشير من طرف خفي إلى طلب الصدقة.
- (٦) أن يفرض له (نصيب من الزكاة).
- (٧) تنزه: ترفع (عن طلب الصدقة).
- (٨) كلف (بفتح فكسر) بالشئ (تعلقت نفسه به).

وإذا أمرٌ بدارِها فكأنَّها
 غابت فأبكي بعدها شوقاً لها،
 تالله، ما لَمَحَتْ جفوني - مُدْنَاتُ -
 بيضاء تحسبُ أنها من فِضَّة،
 مالت معاطِفُها ولأنَ حَدِيثُها،
 لو لم تُحَلَّ، لكان حَلِيّاً ثَغْرُها.
 تَخْشى البريَّةُ مُقْلَتَيْها غَيْرَها.
 قد دَرَّ فيها الوايلُ المِدرارُ^(١).
 والشمسُ تهملُ بعدها الأمطارُ^(٢).
 نُوراً. وهل بعدَ المِهاةِ نَهارُ^(٣)؟
 في الحَدِّ منها للحياءِ نُضارُ^(٤).
 أَيْكونُ عن خِمرِ الجُفونِ خُمارُ^(٥)؟
 إِنَّ الفِصونَ حُلِيَّها النُّوارُ^(٦).
 أيهابُ سَوْرَةَ نَبْلِهِ الأَسوارُ^(٧)؟

- وقال يصف شمعاً:

وصَفراءُ من غيرِ ما عَلَّيةِ
 تُطيلُ الوقوفَ على واحدٍ
 تَزِيدُ على الشمسِ في نورِها
 تُحاربُ دأباً جيوشَ الظلامِ
 لها أذْمَعُ أبداً سائِلَةٌ.
 مَدَى لَيْلِها قُتِرَى نَاحِلِها.
 إذا ما غَدَتِ للدُّجَى واصلِها^(٨).
 فتُبْصِرُ مَقْتولَةً قاتِلِها.

- (١) دَرَّ: جرى. الوايل: المطر الشديد. المِدرار: الكثير الماء.
- (٢) تهمل (بفتح التاء ثم كسر الميم أو ضمها) تسقط بكثرة. إذا احتجبت الشمس بالغيوم كان ذلك إشارة بسقوط المطر.
- (٣) المِهاة: البقرة الوحشية، الشمس (المعجم الوسيط ٨٩٧). وهل بعد المِهاة (بعد غياب الشمس) يمكن أن يبقى النهار طالماً (أو النور موجوداً).
- (٤) خَدَّها أبيض كالفضَّة ولكنَّ حياءَها (الذي أصبح عادة لها) يكسب وجهها حمرة كلون النضار (الذهب)، مع أن الذهب الخالص أصفر لا أحمر (ومجيء احمرار الذهب المألوف في العملة وفي الحلّي من مزجه بالنحاس).
- (٥) المعطف (بالكسر) والمعطف (بكسر الميم وفتح الطاء): الطرف الأعلى من الجسم. الحار: السكر. - هل يمكن الإنسان أن يسكر من نظرات المرأة الجميلة؟
- (٦) تحلّى: تزيّن بالحلى. لكان ثغرها (أسنانها التي تشبه اللؤلؤ) ... النُّوار: الزهر الأبيض. في الفِصون تورية (فروع الشجرة، والقوام المعتدل).
- (٧) البرية: مجموع البشر. غيرها: غير هذه المرأة (على الاستثناء). أيهاب (أبحاف) سورة (شدة) نبله وسهامه الأَسوار (الفارس).
- (٨) يقصد: أن نور الشمعة يكون أقوى من نور الشمس إذا اقتربت الشمس من مغيبيها.

- قال سعيد بن حكيم في الملوك الذين لا يحكمون حكماً صحيحاً عادلاً:

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ مُلُوكٍ أَصْبَحُوا وَهُمْ مَوَالٍ أَعْبَدَ الشَّهَوَاتِ^(١).
الْأَطْيَبَانِ مَرَادُهُمْ وَمَرَادُهُمْ: أَرْبُ الْفُرُوجِ وَإِرْبَةُ اللَّهَوَاتِ^(٢).
لَوْ وَقَّفُوا وَقَفُّوا اجْتَاعَهُمْ عَلَى نَفْيِ الْهَوَى فَضْلاً عَنِ الْخَلَوَاتِ^(٣).
مَرَّتْ سِنُونَ وَهُمْ مِلَاكٌ لِلْوَرَى. يَا لَيْتَهُمْ مَرَّوَا مَعَ السِّنَوَاتِ^(٤)!

- ومَرَّتْ به في أيام صباه امرأة جميلة، كان زوجها شرطياً، فقال:

وَجَنَّةٍ خَازِنُهَا مَالِكٌ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهَا مَالِكاً^(٥).
أَسْجُدُ فِي مِحْرَابِهَا سَجْدَةً نُسْكَاءَ، وَمِثْلِي لَمْ يَزَلْ نَاسِكاً^(٦).
وَكَيْفَ أَرْجُو الْقُرْبَ مِنْهَا وَقَدْ أَضْحَى حُساماً لَحْظُهَا فَاتِكاً^(٧)!
إِنَّ أَمَانِي الْفَتَى ضَلَّةٌ يُنْسَى بِهَا حَتَّى يُرَى هَالِكاً.
مَنْ لِي بِهَا شَمْسَ الضُّحَى أَطْلَعَتْ جُنَحَ دُجَى مِنْ شَعْرِهَا حَالِكاً^(٨).
سَلَكْتُ سُبُلَ الْغَيِّ فِي حُبِّهَا، وَلَمْ أَكُنْ قَبْلُ لَهَا سَالِكاً.

٤- ★★ المغرب ٢: ٤٦٩؛ القدح العلوي ٢٨-٤١؛ الوافي بالوفيات ١٥: ٢١٢-٢١٣؛

- (١) موال (جمع مولى): تابعون. أعبد جمع قلّة من «عبد».
- (٢) الأطيبان: الطعام والنكاح. الأرب: الحاجة. الإربة: البنية، المطلب. اللهوات جمع «لهة» (يفتح اللام): الهنة التي في أول الحلق. المقصود: الفم.
- (٣) لو كانوا ناجحين في الحكم لجمعوا همهم ترك هوى نفهم (أهواءهم الشخصية) وخصوصاً خلواتهم الصحيحة (كثرة الاهتمام بالنساء).
- (٤) مرّ زمن طويل وهم ملاك (قوام، وهم كلّ شيء في حياة الوري: الناس). يا ليتهم مرّوا كما مرّت السنوات (ماتوا).
- (٥) الجنة خازنها (بوابها) رضوان (بكسر الراء). ومالك خازن جهنم. ولكن هذه المرأة الجميلة، وهي جنة، لها خازن (زوج) هو مالك (لأنه شرطى موكل بعقاب الناس. يا ليتني كنت لها مالكا (زوجاً شرعياً)).
- (٦) أسجد في محرابها.... (الكناية الملموحة واضحة، ولكن يمكن أن تكون قبيحة).
- (٧) ولكن الذي يمني من قربها ليس زوجها الشرطى، ولكن عيونها.....
- (٨) شمس يجوز فيها النصب (تقيزاً) والجرّ (بدلاً من «ها»)، والرفع (خبر لمبتدأ محذوف). الجنح: قسم، مدة من الليل. الدجى: الظلام. الحالك: الشديد السواد. - هي شمس (بلونها الأبيض) تقضي النهار، ولكن شعرها الأسود يجعل من النهار جانباً مظلماً.

الحلّة السراء ٢: ٣١٨ - ٣٢٠؛ الذيل والتكملة ٤: ٢٨ - ٣٣؛ أعلام ٢٧٥ - ٢٧٦؛
 بغية الوعاة ٢٥٥؛ نفع الطيب ٤: ٤٧١ - ٤٧٢؛ راجع أزهار الرياض ٣: ٢١٥ - ٢١٨؛
 الأعلام للزركلي (٣: ٩٣).

ابن معمر الهواري

١- هو أبو علي الحسن بن موسى بن مُعَمَّرِ الهواري الطرابُلُسيُّ وُلِدَ في طرابُلُسَ،
 سَنَةَ ٦٠٩ هـ (١٢١٢ - ١٢١٣ م). قرأ ابنُ مُعَمَّرٍ مدّةَ يسيرةٍ في طرابُلُسَ ثم رَحَلَ إلى
 المَهْدِيَّةِ وقرأ على الفقيه أبي زكريّا يحيى البرقيّ (ت ٦٤٧ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى مدينةِ
 تُونِسَ في أيامِ المُستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وقد تولّى القضاء في باجّة وبجايةِ
 وغيرهما، كما تولّى خُطّةَ العَلّامةِ الكُبرى والنَّظَرَ في خِزانةِ الكُتُبِ. ثمّ وقعتَ بَيْنَهُ وبينَ
 المُستنصر وحشةٌ فنفاه المُستنصرُ إلى المَهْدِيَّةِ (من أواخر ٦٦٧ إلى آخر ٦٦٨ هـ). عادَ
 بعدَ ذلك إلى تُونِسَ وإلى رِئاسةِ خِزانةِ الكُتُبِ. وكانت وفاته في تُونِسَ، في جادى
 الآخرة (*) من سَنَةِ ٦٨٢ هـ (أيلول - سبتمبر ١٢٨٣ م).

٢- كان ابنُ مُعَمَّرِ الهواريّ فقيهاً وخطيباً ومُناظراً، كما كان شاعراً رقيقاً يتوفّرُ
 على الأغراضِ الوجدانية. وشعره سهلٌ واضحٌ صحيحُ التركيب.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ مُعَمَّرِ الهواريّ من قصيدةٍ له في النسيب:

لولا احورارُ جُفونٍ أودَعَتْ سَقْمًا ما أمْطَرَتْ سُحْبٌ أجفاني الدُموعَ دَمًا^(١)
 ولا وَقَفْتُ أَصِيلَانًا بِرَبْعِكُمُ ولا سَقَيْتُ رُبَاهُ مِنْ دَمِي دِيًا^(٢)
 شَمَلُ السُرورِ شَتِيتٌ بَعْدَ بَيْنِكُمُ، وطالما كان قَبْلَ اليَوْمِ مُلْتَمِيًا^(٣).

* في نفعات السرين والريحان (ص ٩٣): في التاسع من جادى الأولى.

(١) الإحورار: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٢) أصيلاناً = أصيلاً: قريباً من غروب الشمس. الديمة: الغامة المطرة.

(٣) البين: البعد، البعاد.

الْبَيْنُ يَقْطَعُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّصِلٍ ، وَالشَّوْقُ يَنْثِرُ مِنْهُ كُلَّ مَا انْتَهَزَ .
 يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى مَا جَلَّ مِنْ أَسْفَى ، هَذَا الْيَسِيرُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كُنِيَ !
 أَنْيَكُمُ أَنْسَى مِنْ يَوْمِ بَيْنِكُمْ مَا زِلْتُ لِلْسَّهْدِ وَالتَّذْكَارِ مُلْتَزِمًا .
 أَرْتَا حُ إِنِّ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابِكُمْ أَوْ لَاحَ بَرَقَ بِذَاكَ الْأَفْقِ وَابْتَسَمًا .
 أَمَّا وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ مُقْتَدِرًا وَحُبُّكُمْ - وَكُفَى بِالْحُبِّ لِي قَسَمًا - (١)
 مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَارًا بَعْدَ بُعْدِكُمْ وَلَا تَأَخَّرَ بِي مِنْ وَجْدِهِ قَدَمًا (٢) !

- وَكَانَ ابْنُ مُعَمَّرٍ مَحْبُوسًا مَعَ صَدِيقِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْفَضِيلِيِّ ثُمَّ أُطْلِقَ سَرَاخُهُ قَبْلَ الْفَضِيلِيِّ ، فَكُتِبَ إِلَى الْفَضِيلِيِّ بَيِّنَتَيْنِ :

لَئِنْ سَرَّنِي فَكُّ الْإِسَارِ مِنَ الْحَبْسِ ، لَقَدْ سَاءَ لِي فَقْدِي لَهَا فِيهِ مِنْ أَنْسَى .
 وَلَوْ أَنَّسَى خَيْرْتُ فِيهَا أُرِيدَهُ ، لِأَثَرْتُ تَقْدِمي سَرَاخَكَ عَنْ نَفْسِي .

٤- ** عنوان الأريب ٧٠-٧٢ ؛ نفحات السرين والريحان ٩٢-٩٦ ؛ رحلة التجاني ٢٧٤-٢٨٠ ؛ أعلام من طرابلس ٧٥-٨٤ .

محمد بن موسى المزالي

١- هو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي عمران موسى بن النعمان المزالي التلمساني الفاسي المراكشي الهنتاقي الإشبيلي ، وُلِدَ فِي تِلْهَسَانَ ، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٤-١٢٠٥ م) أَوْ سَنَةَ ٦٠٧ .

رَحَلَ الْمَزَالِيُّ إِلَى مِصْرَ فَسَمِعَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَّائِيِّ وَأَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْهَيْدِ الصُّفْرَاوِيِّ (٥٤٤-٦٣٦ هـ) وَسَمِعَ بِمِصْرَ (الْقَدِيمَةِ) مِنْ أَبِي

(١) وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ (الْوَاوُ: لِلْقِسْمِ . مَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ : أَيِ اللَّهِ تَعَالَى) . حَبَمَ (مَجْرُورَةٌ عَلَى أَنَّهَا قِسْمٌ ، أَوْ عَلَى أَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى قِسْمٍ) .

(٢) رَامَ: طَلَبَ . مَنْ وَجَدَهُ (مَنْ كَثُرَتْ حَبَّةُ لَمْ) . قَدَمًا: مَقْدَارَ قَدَمٍ .

حسن الصابوني وابن الطفيل وابن المقير. وكانت وفاته في مصر، سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤-١٢٨٥ م).

٢- كان محمد بن موسى المزالي فقيهاً مالكيًا وزاهدًا عابدًا عارفاً (صوفيًا). وله شعرٌ على الطريقة الصوفية سهلٌ حسنٌ. وكان مُصنِّفًا له كتاب «مِصْبَاحُ الظلام في المُستغيثين بغير الأنام في اليَقظة والنام». (يبدو أنه ألفه سنة ٦٣٩ هـ).

٣- مختارات من شعره:

- قال محمد بن موسى المزالي في ليلي (المرّة الإلهية):

أَتَطْمَعُ أَنْ تَرَى لَيْلِي بَعِينَ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى حَسَنِ سِوَاهَا^(١).
سِوَاهَا لَا يَرَوْقُ الطَّرْفَ حُسْنًا. وَأَوْصَافُ الْجَمَالِ لَهَا حِجَاهَا^(٢).
حِجَاهَا مَنْزِلُ الْأَحْبَابِ قَدَمًا، وَإِنْ كَانَ الْجَمَالُ لَهَا حَاهَا^(٣).
أَتَنْظُرُهَا بَعِينَ بَعْدَ عَيْنٍ، فَتَلْكَ الْعَيْنُ تَمْنَعُهَا قَذَاهَا^(٤).
قَذَاهَا إِنْ أَرَدْتَ يَزُولُ عَنْهَا، بَعِينَ الدَّهْرِ غَيْرَكَ لَا تَرَاهَا^(٥).

٤- ★★ الوافي بالوفيات ٥ : ٨٩؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٦٦٥.

-
- (١) - لقد أعجبك في هذه الدنيا أشياء حسنة، ولذلك لن تستطيع أن ترى ليلي (المرّة الإلهية).
(٢) - كل ما رأيته ليس جميلًا في الطرف (العين). وجمال ليلي العظيم (غير المألوف) حى لها (مانع من رؤيتها).
(٣) حياها: منزلها هو منزل المحبوبين القدامى (الذين لا يجوز لأحد أن يحبّ أحداً بعدهم). وجمالها العظيم يحميها (يمنع أعين البشر) من رؤيتها.
(٤) أتنظرها (أي ليلي: المرّة الإلهية) بعين (مادّية، بعين جسمك) بعد عين (عين قلبك؟) فهذه العين الجسمية يجتمع فيها عادة قذى (وسخ) يمنعها أن ترى الألوهية).
(٥) - إذا أردت أن يزول القذى (الوسخ، العمش) من عينيك لتستطيع أن ترى ليلي، فحينئذ لا ترى أحداً غيرك (لا ترى إلّا نفسك).

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي

١ - هو أبو البقاء (أو أبو الطيّب)^(١) صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف^(٢) الرندي الأندلسي من أهل رُنْدَة (في الجزيرة الخضراء، بين مَالَقَة وشَرِيش).

تلقَى أبو البقاء الرندي العلم على أبيه وعلى نفرٍ منهم أبو الحسن الدبّاج وابنُ الفَخَّارِ الشريشي وابنُ قطرَالٍ وأبو الحسن بن زَرْقُونٍ وأبو القاسم بن الجَدِّ التونسي. ويبدو أَنَّهُ كان مُتقطعاً إلى بني الأحمرِ كثيرَ التردّدِ على غَرْنَاطَة، كما أَنَّهُ قد أَقامَ حيناً في مَالَقَة. ولعلَّ وفاته كانت في سَنَةِ ٦٨٤ (١٢٨٥-١٢٨٦ م).

٢ - كان أبو البقاء الرندي حافظاً للحديثِ وفقياً وفَرَضِيّاً ومُشاركاً في الحساب ثم كان بارعاً في منظومِ الكلامِ ومنثوره مجيداً في المدح والغزلِ خاصّة والزُهدِ والوصفِ. ولكنَّ شهرته تَرَجَّعُ إلى قصيدته «لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نُقصانُ» وقد نظَّمَهَا بعد ضياعِ عددٍ من المُدُنِ الأندلسية منها: بَلَنْسِيَة (٦٣٠ هـ) وقُرطُبَة (٦٣٦ هـ) وجِيَّان (٦٤٤ هـ) وشاطِبَة (٦٤٥ هـ) وإشبيلية (٦٤٦ هـ) ومُرْسِيَة (٦٦٨ هـ). هذه القصيدةُ تجمعُ بينَ العاطفةِ المكثومةِ والسَّهولةِ المتناهيةِ والسَّردِ المنطقيِّ.

وكان أبو البقاء الرندي مُصنِّفاً آلفَ في الفرائضِ (تقسيم الإرث) نظماً ونثراً. وله أيضاً مقاماتٌ بديعة. ومن كُتُبِهِ: رُوحَةُ الأُنسِ ونزْهَةُ النُفُسِ - مختصر في الفرائض - الوافي في نظم القوافي (في البلاغة والنقد وطبقات الشعراء وعَمَلِ الشعر وفي فنون الشعر وخصائصها المُستحَبَّة). ولكنَّ يبدو أن الكتابَ قليلُ الابتكارِ وأنَّ غايةَ الرُنديِّ فيه كانت جمعُ الخصائصِ المشهورة من كتب النقد المختلفة. وكان اتِّكاؤُهُ على

(١) في الإحاطة (مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٩ هـ، ٣٠٣: ١)، وفي طبعة محمد عبد الله عنان، مصر - دار المعارف، ١: ٤٨٤): الطيب (بياءين).

(٢) في سِياقة نسبهِ شيء من الخلاف. وقد جمعه محمد رضوان الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس)، ص ٤٣٢: النفري (بنون مكسورة وفاء مشددة مفتوحة) نسبة إلى مدينة نفَر في جنوبي العراق. والصواب النفري (بنون مفتوحة وفاء ساكنة وزاي منقوطة: اسم قبيلة مغربية)، هذا إذا كان، الرندي منسوباً إلى تلك القبيلة.

ابن رشيق واضحاً).

وكتاب « الوافي في نظم القوافي » يجمع بين^(١) النقد والبلاغة وشيء من الأخبار الأدبية الأندلسية وطائفة من شعر المؤلف، وهو أربعة أجزاء. الجزء الأول في فضل الشعر ومن تكلم به وأثاب عليه. ثم في الشعراء وطبقاتهم، ثم في عمل الشعر وآدابه ثم في أغراض الشعر من المديح والتهنئة والرثاء والاعتذار والعتاب والهجاء والوصف. والجزء الثاني في محاسن الشعر وبديعه ومعانيه من الابتداء والانتها والاستطراد والمطابقة وما يُناسِها من المقابلة ثم التشبيه والاستعارة والتجنيس والتضمن والمبالغة والتسيم (التقسيم والترتيب) والتسجيع والتسميط (الشبيه بالتوشيح). والجزء الثالث في عيوب الشعر من الإخلال أو سوء اللفظ وسوء التركيب والترتيب - عيوب السَّرقة - أكان الأخذ من شاعر آخر قصداً أو عفواً - ثم الضرورة (أو الرُّخص في الشعر) مما يدلُّ على ضعف الشاعر في صناعة الشعر). والجزء الرابع في حد الشعر وفي العروض والقوافي وفي بحور الشعر الأصلية (الخمسة عشر) والبحور المهملة.

٣ - مختارات من آثاره

- رثاء الأندلس. قال أبو البقاء الرندي هذه القصيدة يستنصر أهل العدو الإفريقية من بني مرين، لما جعل ابن الأحمر (محمد الغالب بن يوسف أول سلاطين غرناطة) يتنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن استرضاء لهم وأملًا في أن يبقى له حكمه المقلقل على غرناطة:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرِّ بِطَيْبِ الْعِيشِ إِنْسَانُ.
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولُ^(٢)، مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامَانُ.
وَهَذِهِ الدَّارُ^(٣) لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ:

(١) من « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس » لمحمد رضوان الداية (ص ٤٣٥ وما بعد).

(٢) الدولة (بفتح الدال أو بضمها): انقلاب الأمر مرة بعد مرة (مرة لمؤلاء ومرة لأولئك).

(٣) هذه الدار: هذه الدنيا.

يُمَزَّقُ الدهرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِقَةٍ
وَيُنْتَضَى كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ ، ولو
أَيَّنَ الملوكُ ذُوو التَّيْجَانِ من يَمَنِ ،
وَأَيَّنَ ما شَادَهُ شَدَادُ في إِرَمِ ؟
وَأَيَّنَ ما حازَهُ قَارُونُ من ذهبٍ ؟
أَتَيَّ عَلَى الكَلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ ما كَانَ من مُلْكٍ ومن مُلْكٍ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دارَا وَقَاتَلَهُ
إِذَا نَبَتْ مَشْرِيقَاتُ وَخِرْصَانِ (١) ؛
كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنَ وَالْغِمْدُ غَمْدَانِ (٢) .
وَأَيَّنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانِ (٣) ؟
وَأَيَّنَ ما سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانِ (٤) ؟
وَأَيَّنَ عَادُ وَشَدَادُ وَقَحْطَانِ (٥) ؟
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ القَوْمَ ما كَانُوا (٦) .
كَمَا حَكَى عَنِ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانِ (٧) ؛
وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانِ (٨) ؛

- (١) السابقة: الدرع. المشرقي: السيف (من صنع مشارف الشام، كناية عن جودة حديدته وصنعه). الخرص (بالضم أو الكسر أو الفتح): الرمح. والجمع خرصان (بالضم أو الكسر) - إذا لم تتمزق الدرع بالسيف والرمح فإنها تتهراً بمرور الزمن (من لم يقتل في الحرب مات بالدهر، بانقضاء أجله).
- (٢) انتضى الفارس السيف: سحبه من غمده. كل مدخر، مها تحافظ عليه، يدركه البلى (بكسر الباء). سيف بن ذي يزن: ملك من عظماء ملوك اليمن. غمدان قصر في اليمن.
- (٣) أين الملوك...؟ - ذهبوا (ماتوا). الأكليل: التاج الصغير. وأين منهم أكاليل وتيجان: (هذه لم تدفع عنهم الموت).
- (٤) شاد: بنى. شداد بن عاد: ملك يمني قديم فتح فتوحاً كثيرة بعيدة. إرم ذات العماد (الأعمدة): مدينة عظيمة تقول الخرافة إن جدرانها وسقوفها من الذهب والنحاس وأعمدتها من الزبرجد والياقوت. ساسان: مؤسس الدولة الساسانية (الفارسية المتأخرة).
- (٥) حازه: امتلكه. قارون: كان أغنى أغنياء العالم (كانت مفاتيح قصوره كثيرة إلى حد أن الرجل القوي لا يستطيع حملها كلها). عاد وشداد وقحطان من جدود العرب القدماء والأقوياء.
- (٦) أمر لا مرد له (الموت).
- (٧) خيال الطيف: الحلم (بضم الحاء): المنام. الوسنان: الذي أخذه النعاس (أفاق من النوم ولم يزل نسان).
- (٨) دار الزمان: انقلب. دارا (داريوس) الأول فتح الهند وأخضع مقدونية (اليونان) ثم هُزم في ماراثون (باليونان). أم: قصد. كسرى: لقب ملوك الدولة الساسانية. والمقصود هنا كسرى أنوشروان العادل الواسع السلطان والغنى والوجاهة بين الأمم. الإيوان: قصر عظيم لكسرى في المدائن (على عشرين كيلومتراً شرق بغداد). آواه (حماه من الموت).
- اقرأ: وقاتله (فضل ماض) فذلك أحسن من حيث البيان. هذا مع العلم بأن دارا الثالث قد اغتاله بعض أتباعه، سنة ٣٣٠ ق.م. (بعد أن انهزم أمام الاسكندر المقدوني في معركة أربل، جنوب العراق). والملموح أن الرندي قد قصد المجانسة بين «دار» و«دارا»، ولم يلمح الفرق بين دارا الأول (ت ٤٩٠ ق.م.) ودارا الثالث!

كأنَّهَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ،
 فَجَاءَتْ الدَّهْرُ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ،
 وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوكٌ يَهْوُوهُنَّاسُ؛
 دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ
 فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَّةً: مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ؟
 وَأَيْنَ قُرْطُبَةُ دَارِ الْعُلُومِ فِكْمُ
 وَأَيْنَ حِمَصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نَزْوِ
 قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ، فَمَا
 تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبِيضَاءُ مِنْ أَسْفِ،
 عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ؛
 حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
 حَيْثُ الْحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
 يَا غَافِلًا، وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ،
 وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ،
 تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أُنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا،

يوماً، وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ^(١).
 وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ؛
 وَمَا لَهَا حَلٌّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكُ^(٢)؛
 هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ قَهْلَانُ^(٣).
 حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ^(٤):
 وَأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَانُ؟
 مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ؟
 وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضٌ وَمَلَّانُ؟
 عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ^(٥)؛
 كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَافِ هَيَّانُ^(٦)،
 قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ؛
 فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ؛
 حَيْثُ الْمَنَابِرُ تَرْتَنِي وَهِيَ عَيْدَانُ^(٧).
 إِنْ كُنْتُ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ^(٨)؛
 أَبْعَدَ حِمَصٍ تَغْرُ الْمَرْءَ أَوْطَانُ؟
 وَمَا لَهَا مَعَ طَوَالِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ.

- (١)
 (٢) سلوان: شراب يجعل الناس يسون (بفتح السين) مصائبهم.
 (٣) دهى: أصاب بداهية (مصيبة). الجزيرة (الأندلس). أحد (جبل قرب المدينة) نهلان: جبل في بلاد العرب.
 (٤) أصابها (أصابتها) العين (من الحسد). ارتزأ (أصيب برزه: مصيبة كبيرة).
 (٥) القاعدة: العاصمة (مركز الدولة).
 (٦) الحنيفة: الإسلام. الهيان: الحب الشديد الحب.
 (٧) الحراب: تجويف في قبلة المسجد يقف فيه الإمام عند الصلاة (كناية عن المساجد). جامدة (من جاد، ومع ذلك فهي تحس بالمصيبة). العود: غصن الشجرة (الحشب).
 (٨) سينة (بكسر ففتح): النعاس.

يا أيتها الملكُ البيضاءَ رأيتهُ،
يا راكبينَ عِناقَ الخيلِ ضامرةً
وحاملينَ سيوفَ الهندِ مرهفةً
وراعمينَ وراءَ البحرِ في دعةٍ
أعندكم نبأٌ من أهلِ أندلسٍ؟
كم يستغيثُ بنو المُستطعفينَ، وهمُ
ما ذا التقاطعُ في الإسلامِ بينكمُ،
ألا نفوسٌ أبيتَ لها همٌّ!
يا مَنْ لِدلةِ قومٍ، بعدَ عزَّتِهِمْ،
بالأُمسِ كانوا مُلوكةً في منازلِهِمْ،
فلو تراهُمُ حيارى لا دليلَ لهمُ
ولو رأيتَ بُكاها عندَ يَنيعِهِمْ
يا رَبَّ أُمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما
وطِفلةٍ مثلَ حُسنِ الشمسِ إذ بَرَزَتْ،
يَقودُها العِلجُ للمَكروهِ مُكرَهَةً
لمثلِ هذا يَذوبُ القلبُ من كَمَدٍ،

أدركَ سَيْفِكَ أَهلَ الكُفْرِ، لا كانوا^(١).
كأنَّها في مَجَالِ السَّبَقِ عُقبانُ^(٢)،
كأنَّها في ظَلَامِ النَّقْعِ نيرانُ^(٣)،
لَهُمْ بأوطانِهِمْ عِزٌّ وسُلطانُ^(٤)،
فقد سَرى بِحديثِ القومِ رُكبانُ.
أُسرى وقَتلى، فما يَهْتَرُ إنسانُ!
وأنتُم - يا عبادَ الله - إخوانُ!
أما على الخَيرِ أنصارٌ وأعوانُ!
أحالَ حالَهُمْ كُفْرٌ وطُغيانُ.
واليومُ هُمُ في بِلادِ الكُفْرِ عُبدانُ.
عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيابِ الذِّلِّ ألوانُ؛
لهالِكَ الأمرُ واستهَوَّنَكَ أحزانُ.
كما تَفَرَّقُ أرواحُ وأبـُـدانُ؛
كأنَّها هِيَ ياقوتٌ ومَرْجانُ،
والعينُ باكِيةٌ والقلبُ حيرانُ^(٥).
إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ!

- عمل الشعر

قال الرُّنْدِي^(٦): ينبغي لِمَنْ يرومُ عملَ الشعرِ أن يَتَحَرَّى أوقاتَ الفراغِ وأمكنةَ

- (١) البيضاء رأيته (كناية عن المجد والقوة والظفر!).
- (٢) الفرس العتيق: الأصيل. الضامر (النحيل الخصر) ويكون عادة سريعاً. العقاب (بضم العين): طير من الكواسر (كالنسر) تشبّه به الخيل لقوة بدنه وسرعة انقضاضه.
- (٢) مرهف: رقيق الحدّ. النقع: غبار الحرب. - تلمع سيوفهم لشدّة جلائها وصفائها.
- (٤) رقع: عاش في الخصب والنعيم كما يشاء. وراء البحر (في القارّة الإفريقية). الدعة: السعة في العيش مع الاطمئنان.
- (٥) العالج: الكافر من غير العرب. المكروه: (الفعل القبيح).
- (٦) من «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لعمدٍ رضوان الداية» (ص ٤٤٠-٤٤١).

الخلوة و(ألا) يعمل شيئاً من الشعر حتى يشتهي، فإن الشهوة نعم المعين. وإذا سئم فليرخ نفسه ولا يكره طبعه. و(يحسن أن) يطالع من أشعار الناس ما يستجيده في المعنى الذي يريده، فإن من أمثالهم: الكلام من الكلام. وينبغي ألا يقبل كل ما يبعثه هاجسه وتنفض به وساوسه^(١)، بل ينقح ويختار ولا يذهب إلى الاستكثار. وإذا فرغ من شعره تثبت في أمره فتأمله مرتين ورجع البصر فيه كرتين. فكثيراً ما سودت وجوه المبيضات (؟) بالتغيير، وأدى العجل إلى الندم والتحجير. و(كذلك) ينبغي أن يعرض كلامه على من يثق بمعرفته ونصيحته، فإن الإنسان لا يرى عيب نفسه، والمرء - كما قيل - يفتن^(٢) بأبنة وشعره. وقد يعرض للشاعر أن يرتج عليه فيكهم حده ويصلد زنده^(٣) ولا يستطيع أن ينظم شيئاً. وقد يتأتى له (من) حسن البديهة وجودة القرينة ما يعجب منه.

٤- ★★ الذيل والتكملة ٤: ١٣٦-١٣٩ (رقم ٢٦٣)؛ نفح الطيب ٣: ٣٤٧، ٤: ٤٧، ٤٨٦-٤٩٠، أزهار الرياض ١: ٤٧-٤٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٨٦٠، ٢: ٩٢٥؛ نيكل ٣٣٧-٣٣٩؛ مختارات نيكل ٢٠٠-٢٠٢؛ الأعلام للزركلي (٣: ١٩٨)؛ تاريخ النقد الأدبي لمحمد رضوان الداية ٤٣٢-٤٤٠؛ تاريخ النقد العباسي لإحسان عباس ٥٣٨-٥٣٩؛ مجلة العربي (الكويت) ١٩٧٣/٧، ص ١٠٢؛ ١٩٧٤/٤ (لأكرم زعيتر) ص ٧.

حازم القرطاجني

١- هو أبو الحسن حازم بن محمد (سرقسطة ٥٥٤ - قرطاجنة ٦٣٢ هـ) بن حسن بن

- (١) الهاجس: الحاطر (ما يبدو في فكر من غير أن تقصده). نفث: نفخ. الوسواس: ما يحدث الإنسان به نفسه في أوقات فراغه (تألاً فائدة منه أو تأماً فيه خوف). والمقصود هنا حديث النفس عامة.
- (٢) يفتن (في الأصل بشدة على النون): أي يفتن أو يكثر من الفنون (ولا معنى له هنا). والمقصود يفتن (بالبناء للمجهول): أي يدخل عليه شيء من الزهو أو مجانبية الحق. وفي القرآن الكريم: ﴿إنا أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (سورة التغابن، ١٥: ٦٤).
- (٣) أرتج (بالبناء للمجهول) على الشاعر: استغلق (استمضى) عليه الكلام. كهم السيف يكهم (يفتح الماء فيها): كل، ضعف (لم يقطع). صلد يصلد (بضم اللام فيها): صلب (بضم اللام). الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجارة.

محمد بن خلف بن حازم الأوسي الأنصاري القرطاجني، نسبة إلى قرطاجنة التي بشرقي الأندلس، وفيها وُلِدَ سنة ٦٠٨ (١٢١١-١٢١٢ م).

بدأ حازم القرطاجني تلقّي العلم في بلده على والده ثم لقي نفراً من شيوخ عصره. وتنقل في طلب العلم بين مرسية وإشبيلية وغرناطة، ولقي في إشبيلية أبا علي الشلوبين فنصح له أبو علي بدرس الفلسفة القديمة (اليونانية)، فاطلع على أشياء منها.

ولما بدأ الإسبان بالاستيلاء على شرقي الأندلس - على يياسة (٦٣٢ هـ) وبلنسية (٦٣٦ هـ) وشاطبة ودانية (٦٣٨ هـ) - أثر حازم أن يرحل، فانتقل إلى المغرب وقضى في مراكش العاصمة حيناً من الزمن مدح في أثنائه السلطان الموحدي أبا محمد عبد الواحد الرشيد (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ). ثم إنه انتقل إلى تونس الحاضرة وأخذها دار إقامة ومدح ملوكها الحفصيين: أبا زكريا الأول (٦٢٦-٦٤٧ هـ) والمستنصر (٦٤٧-٦٧٥ هـ) والواثق (٦٧٥-٦٧٨ هـ).

وكانت وفاة حازم القرطاجني في تونس في ٢٤ رمضان من سنة ٦٨٤ (١٢٨٥/١١/٢٤ م).

٢- كان حازم القرطاجني رجلاً واسع الدّراية بأوجه كثيرة من فنون المعرفة النظرية: في اللغة والنحو والبلاغة والشعر والفلسفة، ولكنه لم يتعرض لإفادة الناس بما كان يعلم. وكان أديباً ناثراً قديراً وشاعراً مجيداً طويل النفس ينطوي شعره على أغراض كثيرة. ويغلب على شعره استجاء المعاني والتألق البلاغي أيضاً. وكان ناقدًا بارعاً. ثم هو مُصنّف له: سراج البلغاء أو منهاج البلغاء وسراج الأدباء (في البلاغة وفي المناهج الأدبية في النقد ونظم الشعر). ويبدو أنه قد تأثر - في جانب من هذا الكتاب - بالآراء اليونانية كما عرّضها أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م). ومما عرّفه من كتاب الشفاء لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) من الجملة الأولى^(١): الفن الثامن (الخطابة) والفن التاسع (الشعر). ولحازم القرطاجني ديوان شعر - المقصورة (عارض فيها ابن

(١) الجملة الأولى (المجموعة الأولى: المجلد الأول).

دريد) - العروض - القوافي - التجنيس - شدّ الزيار على جحفلة الحمار^(١).

٣- مختارات من آثاره

- قال حازم القرطاجني يمدح المستنصر الحفصي^(٢)

أُحْبِيتَ وَحَدَكِ بِالْجَمَالِ الْمَطْلُوقِ؟ أَمْ قِيلَ إِذْ قُسِمَ الْجَمَالُ - لَكَ: انْتَقِ^(٣)!
فَلَقَدْ جَرَيْتَ مِنَ الْجَمَالِ لَعَايَةً أَصْبَحْتَ فِيهَا سَابِقاً لَمْ تُلْحَقِ.
مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَسْلُ تَمّاً قَدْ جَنَّتْ عَيْنَاكَ؟ بَلْ مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ؟^(٤)
أَخَذَ الْهَوَى عَهْداً عَلَيَّ، فَلَمْ أُطِيقْ تَقْضَاً لَهَا أَخَذَ الْهَوَى مِنْ مَوْثِقِ.
وَبِمُهْجَتِي مِنْهَا الَّتِي - مُذْ مُلِّكْتَ رِقَّ الْقُلُوبِ لِحَاطُهَا - لَمْ تُعْتِيقِ.
عَقَدَ الْجَمَالُ وَشَاحَهُ مِنْهَا عَلَى خَصْرٍ بِالْحَاطِظِ الْعَيُونِ مُنْطَقِ^(٥).
وَأَجَلْتُ فِي إِثْرِ الشَّبَابِ وَإِثْرَهَا - لَمَّا نَأَتْ وَنَأَى - لَوَاحِظَ مُشْفِقِ^(٦).
وَبَكَيْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ كَمَا بَكَى حَسَّانُ أَيَّاماً حَسَنَ مَجْلُوقِ^(٧).
وَرَأَيْتُ أَيَّامَ النِّعَمِ قَدْ انْقَضَتْ لَمَّا انْقَضَى شَرْخُ الشَّبَابِ الْمَوْثِقِ^(٨).

(١) الزيار: شناق (بالكسر: جبل أو سير من جلد) يشدّ به البيطار جحفلة (شفة) الدابة لتنفاد به وتدلّ إذا

استعصت على راعيها أو قائدتها (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٤٨٣ ثم راجع ٤٦٤)

(٢) هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن يحيى الحفصي سلطان تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) كان عمرايياً مشهوراً أرسل إليه أهل الحجاز يبعثهم بالخلافة فسّر بذلك وتلقّب «أمير المؤمنين». وفي أيامه غزا لويس التاسع ملك فرنسا (القديس لويس) تونس، ولكنه هزم وقتل (٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م).

(٣) حبا: أعطى. انتق (من الانتقاء): فعل أمر (اختر، تحيّر).

(٤) سلا يلو: نسي، تسلى (عن مصيبة أو أذى سابق). جنى: أكرم، أذنب.

(٥) بالحافظ العيون منطّق (عليه نطق: زنار): الشناق ينظرون إليه بكثرة حتّى كأنّ عيونهم قد أصبحت كالزنار حول خصمه.

(٦) نظرت إلى شبّاني الماضي وجالها الحاضر لَمَّا نَأَتْ (ابتعدت هي عني) ونأى (شبّاني: مضت أيام شبّاني). لَوَاحِظَ مُشْفِقٍ (نظرات رجل حزين).

(٧) حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤ هـ). حَسَنَ (كنّ حسانا). جَلَّقَ (عاصمة الفاسنة في حوران). ولعلّ الإشارة هنا إلى قول حسان:

لله درّ عِصَابٌ نَادَمْتَهُمْ يَوْمَ مَجْلَقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ!

(٨) شرخ الشباب: عنفوانه وقوّته وفورته. الموثق: الذي يحسّ مرآه في العين.

ثم ينتقل الشاعر إلى المديح:

بَنَدَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَبَجَّسَتْ
كَمْ فَرَّقَتْ مِنْ شَمْلِ مَالٍ فِي النَّدَى
وَلَكَمْ أَثَارَتْ خَيْلُهُ مِنْ عَارِضٍ
سَبَّتِ الْعِدَا حَتَّى غَدَوْا أَيْدِي سَبَا،
قَادَ الْكِبَاةَ إِلَى الْعُدَاةِ، لَبَّوْهُمْ
أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي مَذَّ حَقَّقَتْ
جَلَّيْتَ عَنَّا لَيْلَ كُلِّ ضَلَالَةٍ
أَجْرَى أُمُورَ الْخَلْقِ عَدْلُكُمْ عَلَى
أَذَكَيْتَ مِنْ طَرَفِ السَّنَانِ لِرَعِيهِمْ
مَا زَالَ فِي حِفْظِ الرِّعْيَةِ سَاهِرًا
سُحِبُ الْمَكَارِمِ وَالسَّاحِ الْمُنْدِقُ^(١):
مِنْهُ مَكَارِمُ كَالسَّحَابِ الْغَيْدِقُ^(٢).
صَخْبُ الرُّوَاعِدِ لِلْأَعَادِي مُصْنِقُ^(٣)؛
وَتَمَزَّقُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ مُمَزَّقٍ^(٤).
بَيَضُ تَرَجَّرَجُ فَوْقَهُمْ كَالرُّنْبَقِ^(٥).
أُمُوَالُهُ آمَالُنَا لَمْ تُحَقِّقْ^(٦)،
بِهْدَايَةِ مِثْلِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ^(٧).
شَرَعَ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ الْمُسْتَوْسِقِ^(٨).
طَرَفًا بِهِ سِنَةُ الْكُرَى لَمْ تَعْلَقْ^(٩).
وَمُورَقًا لِيَنِيَمَ كُلَّ مُورَقٍ^(١٠).

- ومن غزلة في مطلع قصيدة في المديح:

- (١) الندى: الكرم. تبجس: تغبر (جرى بكثرة). المندق: الكثير (السحاب المندق: ذو الماء الكثير).
- (٢) الغيدق: الواسع من العيش (المفروض أن يقول في هذا البيت: كالسحاب المندق، وأن يقول في البيت الذي سبق: والساح الغيدق!).
- (٣) العارض: الغيم الكثير الذي يعترض (يسدّ) الأفق. صخب: شديد الصوت. مصق: قاتل.
- (٤) سبي: أسر. أيدي سبا: متفرقين متباعدين في الأرض.
- (٥) الكمي: الشجاع، البطل. لبوسهم (لباسهم، على أبدانهم) بيض (دروع من حديد. بيض: جديدة) ترجرج (ترجرج، تتحرك) أجزاؤها بسهولة لينها، دلالة على جودتها.
- (٦) حققت أمواله آمالنا (كانت عطاياه لنا كثيرة كثيرة بلغنا بها كلّ ما نريد). أخفق: خاب.
- (٧) جليت عنا: كشفت عنا.
- (٨) المستوسق: المجتمع والمنظم.
- (٩) أذكى: أوقد. السنان: حديدة في رأس الرمح. السنة (بكسر السين): الناس، النوم. الطرف: العين. الكرى: النوم. - أنت ترعاهم بطرف (بسكون الراء: بعين) شديدة اليقظة (بفتح القاف) مثل طرف (بفتح الراء) السنان. به سنة الكرى لم تعلق: لم يمت.
- (١٠) المورق (الذي هرب النوم عنه) - مورقًا (بإرادته) ليجمع المورق بمحادث الدهر) ينام (يزيل أسباب أرقه: يسدّ له حاجاته).

يا ظَبِيَّةَ الْعَفْرِ الحَالِي مُوَالِفَةً، من قَلَدَ الْحَلِيِّ أَرَاماً وَغَزَلَانَا^(١) ؟
ويا شَقِيقَةَ بَدْرِ التَّمِّ، لو أَمِنْتَ - كما أَمِنْتَ - بِدَوْرِ التَّمِّ نَقْصَانَا^(٢) !
حَاشَا لِلْحَظِكِ أَنْ يُعْزَى إِلَى رَشَا إِذَا تَلَفَّتْ نَحْوَ السَّرْبِ وَسَنَانَا^(٣) ،
وَلَا بُنْسَامِكِ أَنْ يُعْزَى إِلَى زَهْرٍ إِذَا غَدَا بِسَقِيطِ الطَّلِّ رَيَّانَا^(٤) .
مَا خِلْتُ قَبْلَكَ أَنْ أُرْنُو إِلَى قَمَرٍ مُقْلَدًا أَنْجَمًا زُهْرًا وَشُهَبَانَا^(٥) .
سُلْطَانُ حُسْنِكِ مَذْ دَانَتْ بِطَاعَتِهِ قُلُوبُ أَهْلِ الْهَوَى لَمْ تَنْوَ عِصْيَانَا !
يَا عَاذِلِي فِي الْهَوَى، أَقْصِرْ فَلَسْتُ أَرَى مُقْصَرًّا فِي الْهَوَى عَنْ شَاوِ غِيلَانَا^(٦) .
إِنَّا، بَنِي الْحُبِّ، لَا نَضْفِي إِلَى عَذَلٍ وَلَا نُمِيلُ إِلَى الْعُدَالِ آذَانَا^(٧) .
وَأَعْلَمْتَنِي بِأَنَّ اللَّيْلَ مَوْعِدُنَا، فَظَلِمْتُ مُرْتَقِبًا مِيقَاتَ لُقْيَانَا ؛
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَخْفَى الشَّخْصَ غَيْبُهُ فَلَمْ يَكُنْ يُنْصِرُ الْإِنْسَانَ إِنْسَانَا^(٨) ،
وَافَيْتُ مَنْزِلَهَا وَالنَّجْمُ يَرْمُقُنِي حَتَّى لَكِدْتُ أَظْنَ النَّجْمَ غَيْرَانَا^(٩) .
فَبِتَّ مُجْتَلِيًا لِلْبَدْرِ مُجْتَنِيًا مِنْ رَوْضَةِ الْحُسْنِ تَفَاحًا وَرُمَانَا^(١٠) .
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ أَنْبَأَنَا بِطُلُوعِهِ بَرْدُ السَّوَارِ فَادْكِي الْقَلْبَ نِيرَانَا^(١١) .

- (١) العفر: وجه الأرض، التراب. الحالي: المزين بالحلى (الجمال الطبيعي). الرثم: الغزال الأبيض .
(٢) بدر التَّم: القمر ليلة أربع عشرة. هو ينقص بعد تمامه، وأنت أمنت النقصان (تظلين جميلة كما أنت الآن).
(٣) يعزى: ينسب. رشاً: غزال صغير. السرب: قطيع الغزلان . أنت أجل من جميع الغزلان.
(٤) الطَّل الندى. سقيط الطَّل (الندى الذي يسقط (في الليل). رَيَّان: ندي، طري.
(٥) أَرْنُو (أنظر) إلى قمر (فتاة جميلة). الزهر: اللامعات. الشهبان جمع شهاب: حجر يخرج من مداره حول القمر، فإذا مرَّ في جَوِّ الأرض اشتعل وأضاء
(٦) العاذل: اللام. أقصر: انته، توقّف. مقصر: متأخّر. شَاو: الشوط، الغاية. غيلان مَيَّة ذو الرُّمَّة (ت ١١٧ هـ) شاعر أموي محبّ، قيل إنّه طاف بالمكان الذي تسكن فيه حبيبته مَيَّة عاماً كاملاً ثم رأى جاريتها فعاد مسروراً لأنه رأى من رآها!
(٧) العذل: اللوم.
(٨) الغيب: الظلمة.
(٩) وافى: جاء، وصل. رمق: نظر إلى.
(١٠) مجتلياً: ناظراً. مجتنياً = جانيًا، قاطعاً. التفاح كناية عن الحدود. الرمان كناية عن الشدين.
(١١) - شعر بأنّ الصبح طلع من شمورنا يبرد أجسامنا! أذكى: أشعل.

مالَتْ تُودَّعُنِي والدمْعُ يَغْلِبُهَا عَلَى الْكَلَامِ فَلَا تَسْطِيعُ تَبْيَانًا.
أَذْنَى التَّعَانُقُ شَخْصَيْنَا وَضَمَّهَا لَفَّ النُّوَاعِمِ بِالْأَغْصَانِ أَغْصَانًا^(١).
فِيَا لَهَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَقْصَرَهَا وَقْتًا، وَأَفْسَحَهَا فِي الْحُسْنِ مَيْدَانًا.

- وقال حازم القرطنجي يردُّ على أرسطو^(٢) في رَعْمِهِ أَنَّ الْأَقَاوِيلَ الشِّعْرِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا كَاذِبَةً:

وإِنَّا غَلَطَ فِي هَذَا - فَظَنَّ أَنَّ الْأَقَاوِيلَ الشِّعْرِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا كَاذِبَةً - قَوْمٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ^(٣) لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِالشِّعْرِ، لَا مِنْ جِهَةٍ مَزَاوِلَتِهِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الطَّرْقِ الْمَوْصَلَةِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ.

وَلَا مُعَرَّجَ عَلَى مَا يَقُولُهُ فِي الشَّيْءِ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ وَلَا التَّفَاتُ إِلَى رَأْيِهِ فِيهِ فَإِنَّمَا يُطَلَّبُ الشَّيْءُ مِنْ أَهْلِهِ، وَإِنَّمَا يُقْبَلُ رَأْيُ الْمَرْءِ فِي مَا يَعْرِفُهُ. وَلَيْسَ هَذَا جُرْحَةً لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا قَذْحًا فِي صِنَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ تَكَلُّفَهُمْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا فِي طَرِيقَتِهِمْ مَا لَيْسَ مِنْهَا شَطَطٌ. وَالَّذِي يُورِّطُهُمْ^(٤) فِي هَذَا أَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْكَلَامِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ^(٥) فَيَحْتَاجُونَ إِلَى مَا هِيَ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ لَهُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ، فَيَفْزَعُونَ^(٦) إِلَى مُطَالَعَةِ مَا تَيْسَّرَ لَهُمْ مِنْ كُتُبِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. فَإِذَا فَرَّقَ أَحَدُهُمْ بَيْنَ التَّجْنِيسِ وَالتَّرْدِيدِ، وَمَا زَالِ اسْتِعَارَةٍ مِنَ الْأَوْصَافِ^(٧)، ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي الْفَصَاحَةِ بِمَا هُوَ مَخْضُ الْجَهْلِ.....

- (١) لَفَّ النُّوَاعِمِ.....: كَمَا يَلْتَفُّ بَعْضُ الْأَغْصَانِ النَّاعِمَةِ بَعْضُهَا الْآخَرُ (بسهولة وانطياق تام).
- (٢) أَرِسْطُو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.). فِيلَسُوفُ الْيُونَانِ غَيْرِ مَنَازِعٍ وَأَكْبَرُ فَلَاسِفَةِ الْعَالَمِ بِإِطْلَاقٍ، كَانَ مِثْلَ أَسْتَازِهِ أَفْلَاطُونِ (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م.). يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ مِنْ حَيِّزِ الْخَيَالِ وَالتَّقْلِيدِ بَعِيدًا عَنِ الْوَاقِعِ.
- (٣) الْمُتَكَلِّمُونَ: الَّذِينَ يَدَافِعُونَ عَنِ الْعُقَاوِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ (بِاسْتِخْدَامِ الْفَلَسَفَةِ).
- (٤) الشُّطَطُ: الْجَوْرُ (الظُّلْمُ) فِي الْحُكْمِ. يُورِّطُهُمْ: يَحْمِلُهُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِيهَا لَا يَرِيدُونَهُ.
- (٥) إِعْجَازُ الْقُرْآنِ: مِجْمَعُ الْمَادَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِمَا يَعْجِزُ الْبَشَرَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ.
- (٦) فَزَعَ إِلَى: لَجَأَ.
- (٧) التَّجْنِيسُ: الْإِتْيَانُ بِكَلِمَتَيْنِ مُتَّفَقَتَيْنِ (أَوْ مُتَقَارِبَتَيْنِ) فِي الْلَفْظِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فِي الْمَعْنَى، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ: بِيضُ الصَّفَافِخِ (السُّوْفِ) لَا سَوْدَ الصَّفَافِخِ (الصَّفَفَاتِ الْمَكْتُوبَةِ)..... أَمَّا التَّرْدِيدُ فَهُوَ الْجُمْلَةُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مُسْتَعْمَلَةٍ فِي الْجُمْلَةِ مَرَّتَيْنِ فِي عِلَاقَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، كَقَوْلِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ:
وَمِنْ هَبَابِ أَسْبَابِ الْمَنَاسِبِ يَنْلَنَّهُ، وَإِنْ يَرِقُ أَسْبَابُ السَّهْلِ يَسْلَمُ. =

- المناسبة بين فنون الشعر وأوزان الشعر (من منهاج البلغاء، ص ٢٦٦):

..... ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يُقصد به الجِدُّ والرصانة وما يُقصد به الهزلُ والرشاقة^(١)، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وَجَبَ أَنْ تُحاكى تلك المقاصد بما يُناسبها من الأوزان ويُخيلها للنفوس. فإذا قصدَ الشاعرُ الفخرَ حاكي غرضه بالأوزانِ الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضعٍ قصداً هزلياً أو استخفافياً وقصدَ تحقيراً شيئاً أو العَبَثَ^(٢) به حاكي ذلك بما يُناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كلِّ مقصدٍ. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكلِّ غرضٍ وزناً يليقُ به ولا تتعداه فيه إلى غيره^(٣).

وهذا الذي ذكّرته في تحييل الأغراض بالأوزان قد نبّه عليه ابنُ سينا في غير موضعٍ من كتبه، ومن ذلك قوله في الشفاء^(٤) في تعديد الأمور التي تجعل القول مُخيلاً: منها أمورٌ تتعلّق بزمان القول وعدد زمانه - وهو الوزن - ومنها أمورٌ تتعلّق بالمسموع من القول، ومنها أمورٌ تتعلّق بالمفهوم من القول، ومنها أمورٌ تردّد بين المسموع والمفهوم.

- مكانة الفكر في الشعر (منهاج البلغاء، ص ٣٤١، ٣٤٢):

اعلم أنّ خيرَ الشعر ما صدرَ عن فكرٍ ولعٍ بالفنِّ والغرضِ الذي القول فيه مرتاحٌ

= الأسباب الأولى متعلّقة بالماضي ومعناها (علل)، والأسباب الثانية متعلّقة بالسَّاء ومعناها (الخيال، السلام). والفرق هنا بين الجنس والترديد أنّ الشاعر هو الذي أتى بالكلمة ثم استخدمها في وجهين (مع العلم بأن استعمال السبب في علاقته بالسَّاء قد جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر﴾ (الحج: ١٥: ٢٣). والاستعارة نسبة الفعل إلى غير صاحبه، نحو: وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ « فإنّ امرأ القيس استعار لليل سدولاً وجعل له أيدياً يرخي بها السدول ويرفعها كما يفعل البشر). والوصف (هنا) ما كان قريباً من التشبيه (لأنّ الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه) كقول ابن الرومي مثلاً «ورازقيّ مخطف (بضم فسكون ففتح) الخصور»، فهو يصف نوعاً من الغنم مخصوراً من أوسطه. هذا الوصف قريب من التشبيه ومن الاستعارة ولكن أركان التشبيه والاستعارة فيه غير واضحة.

(١) يقصد بالرشاقة: التظرف والتملّح (ذكر أشياء تسرّ النفس ولكن لا جدّ فيها).

(٢) العبث: التلهي واللعب.

(٣) كان الشعراء اليونانيون (أو شعراء اليونانيين) يناسبون بين الغرض الذي يعالجونه والبحر الذي ينظمون أبيات ذلك الغرض عليه. وكذلك كان العرب أيضاً يفعلون.

(٤) الشفاء كتاب جامع لفلسفة ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م).

للجهة والمنحى الذي وَجَّهَ إليه كلامه لإقباله بكلّيته على ما يقوله وتوفير نشاط الخاطر وحديثه بالانصباب معه حيث مال به هواه^(١). ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن نفس شجيّة وقريحة قريحة^(٢). وكذلك الإخوانيات^(٣) والمراثي وما جرى هذا المجرى.

.... واعلم أنّ المنحى الشعريّ، نسيباً كان أو مدحاً أو غير ذلك، فإنّ نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبة القلادة إلى الجيد^(٤). (ذلك) لأنّ الألفاظ والمعاني كاللآلي، والوزن كالسبك، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له. فكما أنّ الحليّ^(٥) يزداد حسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم إنّما يظهر حسنه في المنحى الحسن. فلذلك وجب أن يكون من له قوة التشبيه^(٦) المذكورة أكمل في هذه الصناعة ممّن ليست له تلك القوة.

- من مقصورة حازم القرطاجني^(٧)

هذه المقصورة ألف وستة أبيات، أورد منها، بعد قليل، مائة وخمسة وثلاثين بيتاً. والأصل في المقصورة أن تكون قوافيها صيغاً مشتقة من أفعال ناقصة (معتلة الآخر بالواو أو بالياء). وكان ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) - صاحب المقصورة التي عارضها حازم القرطاجني - قد لزم هذه القاعدة. وإذا كان ابن دريد قد جاء^(٨) في مقصورته بكلمة

(١) إلى حيث تميل به عاطفته.

(٢) ... ما صدر (خرج) عن نفس شجيّة (حزينة) وقريحة (فكر) قريحة (مقروحة، مجروحة، معدبة).

(٣) الإخوانيات: رسائل يتبادلها الأصدقاء خاصة (ثراً أو شعراً).

(٤) القلادة: العقد. الجيد: العنق.

(٥) كذا منقوطة ومشكولة في الأصل. والمقصود الحلي (بفتح الحاء وسكون اللام وبالياء المنقوطة بنقطتين من تحتها): ما يزين به من مصوغات المعدنيّات والحجارة (القاموس ٤: ٣١٩) وهي مفردة تناسب الضامرات المذكورة في النص. أمّا الحليّ (بضم فكسر وتشديد، كما في الأصل) فهي جمع وتقتضي أن تكون الضامرات بعدها مؤنثة.

(٦) التشبيه (كما في الأصل). المقصود التخيل أو التشبيه.

(٧) حوليات كلية الآداب - جامعة ابراهيم (عين شمس) المجلد الثاني (١٩٥٣ م): مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني - تحقيق النصّ للدكتور مهدي علام، ص ١ - ١١٠.

(٨) شرح مقصورة ابن دريد، مصر (محمد علي صبيح) بلا تاريخ (راجع ص ١٠).

« سوي » (مكان « سواء »)، فإن له عذراً من جواز ذلك في اللغة (راجع القاموس ٤ : ٣٤٥، السطر ١١)، وإن كانت كلمة « سواء » أفصح وأشهر. أمّا حازم القرطاجي فقد تساهل أحياناً فأهمل المهمزة في عددٍ من الألفاظ فقال، مثلاً، الظم، يُبتدا، السماء، الدواء، ابن ذكا، طيبُ الثناء، منشور اللوا، رقا (ص ٢٣، ٢٦، ٥٩، ٧٣، ٨٢، ١٠٤)، مكان الظم، يُبتدا، السماء، الدواء، ابن ذكاء، طيب الثناء، منشور اللواء، رقا. وأبعد من ذلك كله في القافية المقصورة قوله « الهنا » (ص ٤٦) مكان « الهناة »-. وليست هذه الألفاظ التي تُشير إليها هنا من باب القوافي المقصورة.

نظم حازم القرطاجي هذه المقصورة في مديح المستنصر بالله (أي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى) خامس سلاطين الحفصيين في تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وذكر حازم نفسه أنه طوى مقصورته هذه على عددٍ من الفنون والأغراض (ص ١٦) من مدح وغزل وحكمة ومثلي ومن وصف البلدان والرياض والأزهار والأزمان والبحار والصيد والقنص والوعظ والقصص. ثم قال إنها قصيدة من الرجز غير مشطورية (أي تفاعيلها تامة: مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، عارضتُ بها قصيدة أبي بكر بن دريد المقصورة.

ومدح حازم القرطاجي بمقصورته هذه المستنصر بالله الحفصي مدحاً كبيراً (ص ١٥ - ١٧، الخ). ولكن هذه المقصورة متفاوتة في الجودة: فيها أبياتٌ سائرة وأبياتٌ كثيرة الغريب كثيرة التكلف. ثم إن فنونها الكثيرة (مدحاً وغزلاً وخرأً ومجوناً وحكمةً وفخرأً وشكوىً وتاريخاً ووصفاً) جعلت تنظيمها مضطرباً، فهو في كثيرٍ من الأحيان يأتي إلى التاريخ ثم يُغادره إلى فنٍ آخر ثم يعود إلى التاريخ. ومثل ذلك (في الفنون الأخرى) كثير أيضاً.

ولا شك في أن لحازم معرفةً بالغريب (الألفاظ القليلة الدوران على الألسنة) ومعرفةً باستعمالها. ثم إن إشارته إلى الأحداث التاريخية كثيرة. أما أبياته في الوصف والغزل والحكمة ففيها سلاسةٌ وطلاوة.

وفيما يلي نُخبَةٌ من هذه المقصورة:

لله ما قد هجّت، يا يومَ النوى،
 لقد جمعتَ الظلمَ والإظلامَ، إذْ
 فإن يطلُ ليلى، فكم قصّرتُه
 وكم تنعمتُ بوصلِ ناعمٍ
 شفى فؤادي رشقه، من بعدِ ما
 وعزّني وجرّني بجودِ غرّني
 فلو تجودَ قدّرَ ما ضنّتُ حكّتُ
 خليفة الله المسمى المكتنى
 المرتقي من نسبةِ المجد التي
 من نعمةِ أصولها ثابتةٌ
 ذاك أبو حفص الذي إلى علا
 على فؤادي من تباريحِ الجوى^(١)؛
 وارتيتَ شمسَ الحُسْنِ في وقتِ الضحى^(٢).
 بقاصراتِ الطرفِ بيضِ كالدمى^(٣)؛
 وباقتناصِ باغمٍ مثلِ الطلّ^(٤).
 أشفى بقلبي طرّفه على شفا^(٥).
 عطفتُ لها لأنّ بقلبٍ قد قسا^(٦).
 جودَ أميرِ المؤمنين المرتجى^(٧)؛
 خيرَ الأسمي السامياتِ والكُنَى^(٨)،
 تسمو إلى الفاروقِ أعلى مرتقى^(٩).
 وفرّعها إلى السماءِ قد سما^(١٠).
 سميّه الهادي أي حفصَ نما^(١١).

- (١) النوى: البعد، البعاد. يوم النوى: يوم الفراق. التباريح: الشدائد، المصائب. الجوى: ألم الحب.
- (٢) وارتيت: أخفيت. - لعل في الشطر الثاني إشارة إلى أن محبوبه للشاعر أو قرية له ماتت وهي في أول شبها (٢).
- (٣) قاصرات الطرف (البصر) عين (جمع عيناء - بالفتح - الواسعة العينين): النساء العفيفات اللواتي يقصرن (يحسن) أبصارهن على أزواجهن ولا يمددن بصرهن إلى رجال آخرين. راجع القرآن الكريم (٣٧: ٤٨، الصفات): ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾. الدمية: التمثال الصغير (المرأة الجميلة).
- (٤) ناعم (فتاة ناعمة: فتية، صغيرة السن) الباغم: ذو الصوت الجميل (مثل صوت الغزال). الطلى (بالفتح والألف المقصورة): ولد الظبية.
- (٥) رشقه (شرب الريق من فمه). أشفى بقلبي طرّفه (نظره، عينه) على شفا: (كاد لحظه أن يتلف قلبي، أن يقتلني).
- (٦) عزّني (غلبني) وجدي (شدة حيي، ألم الحب) بجود (امرأة جميلة) غرّني (خدعني). العطف: الجانب الأعلى من الجسم. - يتأيل عطفها للينه (فتاتها، جالها).
- (٧) ضن: يحل. أمير المؤمنين (المستنصر الحفصي المدوح بهذه المقصورة).
- (٨) خير الأسمي = محمد. خير الكني = أبو القاسم (كنية الرسول).
- (٩) يصل نسبه إلى الفاروق أبي حفص عمر بن الخطاب.
- (١٠) راجع القرآن الكريم (١٤: ٢٤، إبراهيم): ﴿كنجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾. النعمة: مجتمع جذور النبات (سيلة الفمخ تكون واحدة من مجموع كبير مجتمع).
- (١١) أبو حفص (الأولى): الجد الأعلى للأسرة الحفصية الحاكمة في تونس. أبو حفص (الثانية): عمر بن الخطاب. نما: ارتفع، اتسب.

وزادَ عبدُ الواحدِ الهادي ابنُهُ
ثمَّ أتمَّ اللهُ نورَ هَديهِ
ثمَّ تجلَّتْ آيَةُ اللهِ التي
بنجلِهِم، بل نَجْمِهِم، بل بذرِهِم،
محمَّد سليلِ يحيى بنِ أبي
مُستنصرٍ بالله منصورٍ به،
فرعٌ كريمٌ من أصولِ كَرَمَتِ
إِن أمرَ الدهرَ بِنَفْعٍ يَأْتُرُ،
حَضْرَتُهُ أُمُّ الْبِلَادِ كُلِّهَا
كجَنَّةِ الْخُلْدِ تَسُرُّ مَنْ رَأَى
حُسْنَ الْبِلَادِ كُلِّهَا مُجْتَمِعُ
أُرُوتِ، أميرَ المؤمنين، سَحْبُ
طابَتْ به الأيامُ لي حتى لقد
فيا خيلي، أسقياني أكْثُوساً
بُلغْتَ آرابَ المني في دولةٍ
في بُقعةٍ كجَنَّةِ الْخُلْدِ التي
أَقَمَ الْأيامَ بينَ منظرٍ

معالمَ التوحيدِ والهدْيِ عَلَا^(١).
بنجلِهِ يحيى الإمامَ المرتضى.
بدا بها الحقُّ اليقينُ وجلا.
بل شمسِهِم ذاتِ السَّاءِ والسَّاءِ^(٢).
مُحمَّد نجلِ أبي حفصِ الرضا.
مُؤيَّدٌ بعونه على العدا.
قد اصطفاه مِنْهُمْ مَنِ اصطفى.
وإن نَهَى الدهرَ عنِ الضرِّ أَتَهَى.
وقُطِبُ ما منها دنا وما قصا^(٣).
فيزدري الخلدَ وسرَّ مَنْ رَأَى^(٤).
لها، وكلُّ الصيدِ في جَوْفِ الْفَرَا^(٥).
من جُودِكُم رَوْضَ الْأُماني فَأَرْتَوَى.
ذَكَرْتُ - فيما قد خلا - عَيْشاً خلا.
تُسَكِّرُ من خمر الصِّبَا مَنْ قد صحا.
أولَّتْ يدي أسنى الأيادي واللَّها^(٦).
يرى بها كُلُّ فَوادٍ ما أَشْتَهَى.
ومَنَعَ يَسْني العقولَ والنُّهى،

- (١) زاد (عبد الواحد) هذه المعالم علا (ارتقاعاً) فوق علاها.
(٢) الساء: الرفعة والمكانة العالية. الساء: الضوء. النور. اللعان.
(٣) الحضرة: العاصمة. أم البلاد (أصل كل البلاد، أكبرها). قصا: ابتعد.
(٤) يزدري: يحتقر. الخلد: قصر الخلد في بغداد منذ أيام أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين. سر من رأي: مدينة على أربعين كيلومتراً شمال بغداد كانت عاصمة للخليفة المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين.
(٥) الفرا: حار الوحش. «كل الصيد في جوف الفرا» مثل معناه أن صيد الفرا أفضل من جميع أنواع الصيد.
(٦) الأرب: الحاجة، الغاية. أسنى: أعلى، أثمن. اليد (وجمعها أيدي): العضو المعروف. اليد (وجمعها أيادي): النعمة، العطية. اللها جمع لهوة (بالضم فيها): العطية.

وَمَنْعَمَ بِطَعْمٍ وَمَشْرَبٍ
وَمَرْكَبٍ لِلْأَنْسِ وَمَجْلِسٍ
وَمَلْثَمٍ لِمَرْشَفٍ وَمَهْضَرٍ
فَالْدَهْرُ عَبْدٌ وَالْيَالِي عُرْسٌ،
مَنَازِلٌ لِلْحُسْنِ تُنْسِي جِلْقًا،
ثُمَّ تَنَادَيْنَا بِقَصْدٍ مَنَزِلٍ
وَأَتْرَعْتَ لِلشَّارِبِينَ أَكُوسٌ
فَاجْتَمَعَ الْأَنْسُ بِجَمْعٍ فِتِيَةٍ
حَارَبَتِ الْأَشْجَانَ عَنْهُمْ وَعَتَّتْ
فَلَمْ تَدَعْ هَمًّا عَتَا، حَتَّى لَقَدْ
غَنَيْتُ عَنْهَا بِكُؤُوسِ أَدَبٍ
وَأَثَرْتُ نَفْسِي عَلَيْهَا شَرْبَةً

يُرْضِي الْعُيُونَ وَالْأَنْوَفَ وَاللِّهَامَ (١)،
فِي مَدْرَسٍ وَمَحْضَرٍ فِي مُتَنَدِي،
لِيَغْطِفَ مِنْ أَهْيَفِ طَاوِي الْحَشَا (٢)،
وَالْدَهْرُ أَحْلَامٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى (٣)،
وَنَهْرُهَا السَّلْسَالُ يُنْسِي بَرْدِي (٤)،
جَمَعْنَا فِيهِ السَّرُورَ وَنَدَى (٥)،
مِمَّا حَلَا مَطْعُمُهُ وَمَا حَذَى (٦)،
عَلَى عَجُوزٍ وَسَمُهَا وَسَمُ الْفَقَى (٧)،
- مِنْ طَارِقِ الْهَمِّ - عَلَى مَنْ قَدَعْتَا (٨)،
كَادَتْ تُشَبُّ كُلُّ هُمْ قَدْ عَتَا (٩)،
تُسْقَى فَيُسْتَشْفَى بِهَا وَيُشْتَفَى (١٠)،
مَنْ ضَرَبَ يُجْنَى وَرِسْلِي يُمْتَرَى (١١)

- (١) اللها جمع لهوة (بالفتح فيها): الحلق (أقصى الفم).
- (٢) المرشف: الفم. ومهضر لمطف (أي: ضم الرجل امرأة إلى صدره). الأهيف: النحيف الجسم. طاوي (ضامر، نحيل) الحشا (البطن).
- (٣) ترد كلمة «الدهر» مرتين في هذا البيت. وأفضل أنا أن أجعل «الدهر» الثانية «المر».
- (٤) منازل (في تونس) تنسى جلقاً (بلداً في حوران - بين سورية وفلسطين اليوم - ويطلقها الشعراء عادة على دمشق). ونهر تونس (نهر مجردة) السلسال: الماء العذب الصافي. بردى: نهر دمشق.
- (٥) ندى المطر الأرض «(بللها)». ندا يندو (جاد، سخا): كثر فيه السرور. «ندى» معطوفة على «جمعنا».
- (٦) أترعت: ملئت. هذا الشراب يحدو: قرص اللسان (بشدته أو مرارته).
- (٧) عجوز: خمر. وسماها: صفتها.
- (٨) الشجن (بفتح ففتح): الحزن (بالضم). عتا: ظلم، اشتد. الطارق: الآتي فجأة. يتوهم الشاعر أن شرب الخمر يذهب هموم شاربها.
- (٩) ترد كلمة «عتا» في بيتين متوالين (ص ٥٢، السطران الأولان). عتا (في البيت الثاني): كبر، عظم.
- (١٠) «كادت تشب كل هُم قَدْ عَتَا» (كادت تحمل كل هُم عتي أو كبير هماً شاباً أو صغيراً جديداً - ؟).
- (١١) تركت شرب الخمر واستغضت بأحاديث الرجال. هذه الأحاديث يراد بها أيضاً نسيان الهموم، وهي تنسى الهموم أيضاً.
- (١٢) أثر: فضل. الضرب (بفتح ففتح): الصل. الرسل (بالكسر): اللبن الحليب. يمتري: يحلب (حديثاً).

كم زُرْتُ في تلك المغاني الفُرَّ من
 لما غلا ما أرخصت من وصلها،
 ما حكمت عيني على قلبي لها
 في ذمة الله فؤاد ما رعى
 إن تحدر في وصفه فأنه
 وناظرٌ يمنعُ كُلَّ ناظرٍ
 ومبسمٌ يزدحمُ البرقُ به
 وصحنٌ صدرٍ مُنبتٌ رُماتني
 وفخِذانِ آخِذانِ فوقَ ما
 يكادُ يبدو خصره مُنخِذاً
 تشوانٌ من خمر الصبا يحسبه
 ظنِّي أذالَ الليثَ إذ أدَّى له؛
 غانية تنظرُ من عيني رشا^(١)
 أرخصتُ من دُرِّ الدموع ما غلا^(٢)
 حتَّى أنالَتْها بعينيها الرُشى^(٣)
 ذمته ظنِّي بقلبي قد رعا^(٤)
 بدرٌ على غصنٍ على دِغصٍ نقا^(٥)
 من وردٍ خدٌ ناضرٍ أن يُجتنى^(٦)
 إذا أنبرى ما بين ظلمٍ ولَمى^(٧)
 حُسنٍ، وبطنٌ مُنطَوٍ طيَّ الملا^(٨)
 تما به من النعيم المُتغذى^(٩)
 من ردفه إذا تمشى الحيزلى^(١٠)
 تشوانٌ من خمر الدنان من نجا^(١١)
 يا من رأى ظنياً لليث قد أدى^(١٢)

- (١) المغنى: المكان المكون. الفرّ جمع أغرّ وغراء (أبيض، بيضاء): عظيمة، وجهية. الغانية: المرأة الجميلة (المستغنية بجهاها عن الحلي). الرشا: ولد الظبية.
- (٢) الدر: اللؤلؤ. لما بجلت عليّ بما جادت به على غيري بكيت كثيراً.
- (٣) الرشى جمع رشوة.
- (٤) أحبتها بكل قلبي فلم تحفظ لقلبي تضحيت، فأت قلبي.
- (٥) وجهها كالبدر، وقامت كالغصن، وأردافها كالدهص (القطعة المستديرة من الرمل، الجانب من التلة) من نقا: رمل (أبيض).
- (٦) ألحاطها (القاسية) تمنع كل ناظر إليها (محبّها) أن يقطف ورد خدها (أن يقلبها).
- (٧) المبسم: الفم. البرق (كناية على الأسنان البيض). أنبرى (بدأ، ظهر). الظلم (بالفتح): بريق الأسنان وماؤها (نضارتها وحسن لونها). اللمى (بالفتح): السمة في الثفتين.
- (٨) الملاة (بالضم): ثوب يلف به الجسم (وجمعها ملاء - بالضم).
- (٩) النعيم المتغذى (من التغذي بالأطعمة الطيبة المفيدة).
- (١٠) منخِذل (ليست في القاموس) = مخذول: مقطوع، منقطع (مخافة خصره وعظم ردفه يخيلان إلى الراي أن أحدهما سينفصل عن الآخر). الحيزلى: مشية (بالكسر) فيها تناقل (بطء).
- (١١) الدنّ (بالفتح) وعاء الخمر الكبير. - أن الذي يصره يظنه سكران من الخمر (بينما هو سكران من نشاط الشباب).
- (١٢) أذال (؟) لعلّها أذال (بالدال غير المنقوطة): نصر (شخصاً على آخر) غلب. أدى: ختل (خدع =

يا طيبة حازت فؤادي فعدا
يا ليت شعري، مَنْ سلبت قلبه
لا تظلمي إنسان عيني في الهوى،
ظننت بأن اللوم يُنسي* خاطري
وَأَسْطَرَفْتُ جَرِي بِمِثْدَانِ الصَّبَا،
وَبَيْنَ جَنْبِي فُؤَادٌ لَمْ يَرُغْ
وَأَعْتَاضُ مِمَّا قَدْ أَفَاتَ دَهْرُهُ
ظِلُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهُ
فَإِنْ ذَوَى رَوْضِ الصَّبَا، فَجُودُهُ
فَلَا تَظَنِّي أَنِّي آسَى لَهَا
قَدْ مَارَسْتُ نَفْسِي حَالِي دَهْرَهَا،
وَقَلْبْتُ قَلْبِي اللَّيَالِي بَيْنَ مَا
فَلَمْ يَطِرْ لِمُؤْنَسٍ مَسْرَّةً،
وَلِي فُؤَادٌ مُنْصِفٌ فِي حُكْمِهِ

قَلْبِي مِنْ جَسْمِي بَعِيدَ الْمُنْتَوَى (١)،
هَلْ يَرْجِعُ السَّابِي إِلَيْهِ مَا سَبَى (٢)؟
فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣).
عَنْ صَبْوَةٍ لَسَلَوَةٍ، فَمَا أَتَشْنَى.
لَمَّا رَأَتْ طَرْفَ الشَّبَابِ قَدْ كَبَا (٤).
جَنَابَهُ شَيْبٌ بِقُودَيِّ بَدَا (٥).
بِمَا أَفَادَ مِنْ يَدٍ وَمَا حَبَا (٦).
أَنْعَمُ مِنْ ظِلِّ الشَّبَابِ وَالصَّبَا.
يُعِيدُ غَضًّا نَاعِمًا مَا قَدْ ذَوَى.
قَدْ بَزَّى صَرْفُ الزَّمَانِ وَبَزَا (٧).
فَلَمْ يَدُمُ سُورُورُهَا وَلَا الْأَسَى (٨).
قَدْ لَانَ مِنْ خُطُوبِهَا وَمَا قَسَا.
وَلَمْ يَطِشْ لِمُؤَخَّسٍ وَلَا نَزَا (٩).
مُتَّصِفٌ بِالْعَدْلِ فِيمَا قَدْ قَضَى.

- = الطريدة ليصطادها). - ظي غلب أسداً (امرأة جميلة أسرت بحبها رجلاً قوياً). والعادة أن الأسد يتغلب على الظبي وأن القوي يخدع الضعيف.
- (١) المنتوى: الشيء المقصود. حاز: استولى. - لا أستطيع أن أصل إلى قلبي (لا أستطيع أن أحكم عليه).
- (٢) رجع (بفتح ففتح) يرجع (بفتح فكون فكسر) فعل لازم ومتعد: يرجع (هنا) يرد الشيء إلى صاحبه.
- (٣) معنى الشطر الأول (٤). «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (سورة النجم، ٣٧: ٥٣).
- (*) لعلها: «يشي» (يرد، ينهي) مكان «ينسي».
- (٤) الفود: الشعر النابت في جانب الرأس. - الشيب الذي بدا (ظهر) في شعري لم يرعني (لم يخفني)، فما زلت أحب.
- (٥) الدهر قوت عليه أشياء كثيرة (شبابه) فتعوض منها صحبة أمير المؤمنين (راجع البيت التالي)، بما ناله من
- (٦) العطايا (من السلطان المستنصر). حبا: أعطى.
- (٧) آسى: أحزن. بَزَّى: غلب، سلب. صرف الزمان: شدائده ومصائبه. بزا ييزو: قهر، بطش.
- (٨) الأسى: الحزن.
- (٩) طار (فرح). طاش السهم: انحرف. خَفَّ عقله واضطرب. نزا: وثب (اضطرب؟).

كَمْ دَمَتْ الخُلُقَ لِمَنْ فِي خُلُقِهِ
 قَدْ وَاغْتَنِي أَزْمَنِي وَخَالَفَتْ،
 وَلَمْ تَقْصُرْ مُهْجَتِي فِي الْجَدِّ، بَلْ
 لَمْ يَعْرِفِ الْأَيَّامَ عِرْفَانِي بِهَا
 مَا يَقْظَتُ الْعِيشَ إِلَّا حُلُمٌ،
 وَكَيْفَ تَصْفُو لَأَمْرِي مَعِيشَةً،
 وَإِنَّا الْآمَالُ فِيهَا صَوْرٌ
 وَالْعِيشُ مَحْبُوبٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِي:
 وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِي عِيشَتِهِ
 وَخَيْرُ عِيشِ الْمَرْءِ مَا سُرَّ بِهِ.
 مِنْ أَقْنَعَ الْحِظُّ الْقَلِيلُ نَفْسَهُ،
 وَإِنَّ أَغْنَى النَّاسِ عِنْدِي عَاقِلٌ
 مَنْ أَبْتَغَى مَنْ لَمْ يَقْدَرْ كَوْنُهُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْحَاجَةَ مَنْ لَمْ يَسْغَ فِي
 مَنْ كَانَ سَعْدُ الْجَدِّ مِنْ أَعْوَانِهِ،
 وَمَنْ يُحْنُهُ الْجَدُّ لَمْ يَنْهَضْ بِهِ

دَمَائَةً، وَمَنْ جَسَا لِمَنْ جَسَا^(١).
 وَلَانَ لِي عِطْفُ اللَّيَالِي وَعَسَا^(٢).
 قَصَرَ بِي جَدٌّ إِذَا شِئْتُ أُمِّي^(٣).
 مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ وَعَافَ وَحَزَى^(٤).
 وَلَا مَرَاتِي الدَّهْرَ إِلَّا كَالرُّؤْيَى^(٥).
 وَمُورِدُ الدُّنْيَا مَشُوبٌ بِالْقَدَى^(٦)؟
 تُخْلَعُ أَحْيَانًا وَحِينًا تُكْنَى
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّيْخِ فِيهِ وَالْفَقَى.
 نَفَعَ إِذَا صَبَغَ الصَّبَا عَنْهُ نَضَا^(٧).
 وَمَنْ يَقْلُ قَوْلًا سِوَى هَذَا هَذَى^(٨).
 أَضْحَى عَنِ الْحِظِّ الْكَثِيرِ ذَا غِنَى.
 أَبْدَى اقْتِنَاعًا بِالْقَلِيلِ وَأَكْنَى.
 لَهُ، فَإِنَّ مُسْتَحِيلًا مَا أَبْتَغَى.
 طَلَابِهَا، وَقَدْ تَفَوَّتُ مَنْ سَعَى.
 أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَقْصَى مَا رَجَا^(٩).
 جَدٌّ وَلَمْ يَظْفَرْ بِأَدْنَى مَا نَوَى.

- (١) دَمَتْ: لَينَ. جَسَا: قَسَا، يَس.
- (٢) عطف الزمان: جانب الزمان (الزمان). عسا: غلظ، يس.
- (٣) الجدُّ (بالكسر): السعي، الكد. الجد (بالفتح): الحظ.
- (٤) ... من استطاع الغيب: بزجر الطير (إذا رأى طيراً يطير من اليسار إلى اليمين تغافل، وإذا رآه يطير من اليمين إلى اليسار تغافل) وبالتصايف (التفاؤل أو التشاؤم بأسماء الطيور التي تمرّ بالإنسان أو بالأماكن التي تقع (تحط) عليها تلك الطيور). حرى: (تكهن) (حاول معرفة الغيب).
- (٥) المرأى: المظهر البادي للعين. الرؤى جمع رؤيا: المنام، الحلم.
- (٦) مشوب: مخلوط، ممزوج.
- (٧) صبغ (لون) الصبا (الشباب): سواد الشعر. نضا (فعل لازم ومتعد): نصل (ذهب لونه)، أبيض؛ خلع.
- (٨) هذى يهذي: تكلم بكلام غير مفهوم ولا مقبول (من مرض أو جنون).
- (٩) الجدُّ (بالفتح): الحظ.

وخَيْرُ ما يَدْخِرُ المرءُ، وما
والْبُعْدُ مِمَّا لا يُفِيدُ قُرْبَهُ
وَأَلْفَةُ النَّاسِ يَراها وَحْشَةً
من لم يَكُنْ مُنْتَمِياً لِلْخَيْرِ لم
من صَاحِبِ الْإِنْسَانِ فِي الْمَرْ كَمَا
من يُرْضِ مَخْلُوقاً بما لا يَرْضِي
إِنَّ ثَوَاءَ الْمَرْءِ فِي أَوْطَانِهِ
لا تَعْتَقِدُ أَنَّ لَخَلْقِ قُوَّةً،
فَأَصْغَرُ الْأَشْيَاءِ قَدْ أَثَرَ فِي
قَدْ أَهْلَكَ الْأَحْبُوشَ طَيْرٌ قَدْ رَمَى
وَهَذَا قَدْماً هَذَا نَبأُ
وقَدْ أَعَادَ الْفَارُّ سَدَّ مَأْرَبٍ
وَأَلْقَتِ الثُّرُودَ مِنْ كُرْسِيِّهِ
وَقَلَّ مُدَّ الْمَدَى لِمَنْ غَدَا
وكَيْفَ لا يَخَافُ عُقْبَى الْبَنِيِّ مِنْ
قَدْ حَفِظَ اللَّهُ نِظَامَ الْخَلْقِ فِي

يُبقِيهِ فِي أَعْقَابِهِ، طَيْبُ الثَّنَا.
فَائِدَةٌ حَقِيقَةٌ أَنَّ تَقْنَنِي.
مَنْ أَلْفَ الْوَحْدَةِ عَنْهُمْ وَأَنْزَوَى.
يُكْرَمُ، وَإِنْ كَانَ كَرِيمَ الْمُتَمَيُّ (١).
صَاحِبُهُ فِي يُسْرِهِ فَقَدْ وَفَى.
خَالَقَهُ، فَإِنَّهُ شَرُّ الْوَرَى.
عِزٌّ، وَمَا الْغُرْبَةُ إِلَّا كَالْتَوَى (٢).
إِلَّا إِذَا مَا اللَّهُ أَعْطَاهُ الْقُوَى.
أَعْظَمُهَا بِالْعَوْنِ مِنْ رَبِّ الْعُلَا.
جِيُوشَهُمْ بِمَكَّةٍ بِمَا رَمَى (٣).
مَا كَانَ هَذَا لِبَلْقَيْسَ أَبْنَى (٤).
دَكَّا كَأَنَّ لَمْ يَنْبَهُ مَنْ قَدْ بَنَى (٥).
بِعَوْضَةٍ عَدَّتْ عَلَيْهِ إِذَا عَدَا (٦).
فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ مَمْدُودَ الْمَدَى.
رَأَى عِقَابَ اللَّهِ فِيمَنْ قَدْ بَنَى؟
دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يَدْعَ شَيْئاً سُدَى.

- (١) منتم: تابع، منتسب. كريم المنتمى: شريف الأصل، معروف الأجداد.
(٢) الثواء: المكث، السكون. التوى: الهلاك.
(٣) الأحبوش: الأحباش. الطير المذكورة في سورة الفيل (رقم ١٠٥ في المصحف). جاءت على جيش أبرهة الحبشي أبابيل (جماعات) من الطير وألقت حجارة من سجيل (بالكسر: طين مطبوخ) فأبادت الجيش وما كان معه من الفيلة.
(٤) «نبأ» لعلها: بسأ (في اليمن). هدهاد بن شُرْحَبِيل (أبو بلقيس). هد عرشها أو ملكها (٩). راجع القرآن الكريم (٢٧: ٢٠ وما بعد، سورة النمل).
(٥) دك الرجل البناء: هده. في الأساطير أن فأراً نقر حجارة سد مأرب.
(٦) ثرود من الجبابرة (تاج المروس - الكويت ٩: ٣٤٠)، كان ملكاً ظالماً. وفي الأساطير أن بعوضة دخلت في أنفه فوصلت إلى دماغه فكانت سبب موته. كرسية (عرشه).

فليس يُخلي خَلْقَه من رافعٍ
إِمْأَنِيٍّ مُرْسَلٍ بِوَحْيِهِ
قَدْ بَدَأَ اللهُ الْهُدَى بِآدَمَ
وَأَرْشَدَ الْخَلْقَ بِرُسُلٍ بِعَدِهِ
وَجَعَلَ اللهُ جِيْعَ هَدْيِهِمْ
وَخَلَقْتَهُ فِي الْهُدَى خِلَافٌ
ثُمَّ أَتَمَّتْ كُلُّ رِشَادٍ بِعَدَهُمْ
خَلِيفَةُ أَحْسَنَ لِلنَّاسِ فَقَدْ
نَادَى إِلَى طَاعَتِهِ دَاعِي هُدَى
عَادَ بِهِ الدَّهْرُ رِيْعاً كُلَّهُ،
سَاقَ الْمُلُوكَ بِعَصَا سُلْطَانِهِ،
فَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ خَاقَانَ بِهَا
وَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ كِسْرَى فَارِسَ،
وَلَوْ سَا بِهَا لِضَرْبِ قَيْصَرَ،
وَلَوْ بِهَا أَرَادَ سَوْقَ تُبَّعَ،

لَهَا هَوَى أَوْ رَاقِعٍ لَهَا وَهَى^(١):
هَادٍ وَإِمْأَنِيٍّ مَلِكٍ عَدْلٍ رِضَا.
وَأُظْهِرَ الْخَيْرَ بِهِ حَتَّى بَدَأَ^(٢):
هَدَوْا إِلَى سَبِيلِهِ كَمَا هَدَى^(٣):
وَفَضَّلَهُمْ فِي الْهَاشِمِيِّ الْمُصْطَفَى^(٤):
بِهَدْيِهِمْ بَعْدَ هُدَاةِ يُقْتَدَى^(٥):
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْتَبَى^(٦):
جَزَاءَ بِالْإِحْسَانِ عَنْهُمْ مَنْ جَزَى.
لِصَوْتِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ نَدَى^(٧):
وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ وَأَسْتَوَى
فَكُلُّهُمْ صَيَّرَهُمْ عَبْدَ الْعَصَا.
لِاتِّقَادٍ فِي طَاعَتِهِ وَمَا عَصَى^(٨):
بِهَا ثَنَاءٌ وَهُوَ مَكْسُورُ الْمَطَا^(٩):
لِسَامِهِ قَسْرًا بِهَا ضَرْبَ الْجِزْيِ^(١٠):
لَجَاءَهُ مُتَّبِعًا وَمَا أَبَى^(١١)

- (١) هوى: سقط. وهى: ضعف، استرخى، تشقق.
- (٢) حَتَّى (لَعَلَّهَا: حِينَ).
- (٣) كَمَا هَدَى اللهُ رُسُلَهُ (٤).
- (٤) إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ الْمُصْطَفَى (الْمُخْتَارِ).
- (٥) الْخِلَافَةُ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ.
- (٦) الْمُجْتَبَى: الْقَرِيبُ مِنَ اللهِ، الْمُخْتَارُ. الْمَقْصُودُ هُنَا: الْمُسْتَنْصَرُ الْحَفْصِيُّ.
- (٧) نَدَى الصَّوْتِ (الْقَامُوسُ ٤: ٣٩٤، الْبَطْرِ الْأَخِيرُ): الصَّوْتُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَكُونُ لَهُ صَدَى (أَثَرٌ) بَعِيدٌ.
- (٨) خَاقَانُ: لَقَبُ مُلُوكِ التُّرْكِ.
- (٩) الْمَطَا: الظَّهْرُ. ثَنَاءٌ: رَدُّهُ (عَمَّا يَرِيدُ) مَكْسُورُ الْمَطَا: مَرْغَمٌ. بِهَا (بِعَصَا).
- (١٠) سَامَهُ قَسْرًا: أَذَلَهُ، قَهَرَهُ (وَأَرْغَمَهُ عَلَى الْإِتْقَادِ لِأَمْرِهِ). ضَرْبُ الْجِزْيِ (رَتَّبَ عَلَيْهِ جِزْيَةً): أَخْضَعَهُ لِحُكْمِهِ.
- (١١) تَبَعَ: لَقَبُ مُلُوكِ الْيَمَنِ.

قد فاض في الآفاق نور سَعْدِهِ،
 وجعلتْ جُدودُهُ تُربي على
 من كلّ منصورِ الجنودِ ناشِرٍ
 قَادُوا إلى أُنْدُلُسِ كَائِباً
 وصَبَّحُوا الأَرْكََ بِجَيْشٍ غَطَّ في
 ما زال يُنْلي المَلَوَانِ نصرَهُ،
 طاعَتُهُ من طاعةِ الله، فَمَنْ
 ليس السَّيِّدُ غَيْرَ مَنْ أَسْعَدَهُ
 ولا السَّخِيُّ غَيْرَ مَنْ بذاته
 يا أَيُّهَا الإنسانُ، إني ناصحٌ
 لا تَقْتَرِرَ بِالْعُمُرِ وأَعْلَمُ أَنَّ ما
 وَكُلُّ ما لا بُدَّ من إتيانِهِ
 لا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ المرءُ إلى
 فالعُمُرُ ما بين وُجُودَيْنِ، وَمَنْ

وأَلْبَسَ الأَيَّامَ حُسْناً وَكَسَا.
 ما شَيَّدَتْ جُدودُهُ مِنَ البَنِي (١)
 لِلْعَذَلِ فِي الآفاقِ منشورِ اللُّوَا
 أَمَامَهَا النُّصْرُ العَزِيزُ قد قَدَى (٢).
 أَذْيِهِ أَذْفُنَشَ لَمَّا أَنْ غَطَّا (٣).
 وَسَيْفُهُ يَحْطُطُّ ما يُمْلِي المَلَأَ (٤).
 دَعَا إلى هَذِي، إلى تِلْكَ دَعَا (٥).
 إِلَهُهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ والرُّضَا.
 قد جَادَ في ذاتِ الإِلَهِ وَسَخَا (٦).
 فَاسْتَمِعَ النُّصْحَ وَكُنْ تَمَنِّ وَعَى.
 لَمْ يَنْصُرْ مِنْ أَيَّامِهِ كَمَا مَضَى.
 وَكَوْنُهُ فَإِنَّهُ كَمَا أَتَى.
 ما قَدَّرَ اللهُ عَلَيْهِ وَقَضَى.
 ظَنَّ الوُجُودَ واحِداً فَقَدْ سَهَا (٧).

- (١) جدود جمع جدّ. الجدّ (بالكسر): الجهد والكدّ والعمل. والجد (بالفتح): الخطّ أو أبو الأب. البني جمع بنية (البناء القائم). لقد بنى بعمله هو وحده أكثر مما كان جميع جدوده قد بنوا (بفتح النون).
- (٢) قدى: أسرع.
- (٣) الارك: بلدة في الأندلس بنواحي بَطْلَيْوس (عند منتصف الحدود بين اسبانية والبرتغال اليوم. حدثت عندها معركة (سنة ٥٩١ هـ) فهزم الموحدون الاسبان وردّوا عن المسلمين في الأندلس شيئاً من الأذى. ووجه المدح للحفصيين بالانتصار في هذه المعركة أن الموحدين أسلاف الحفصيين. الأذى: الموج. الأذفنش: لقب ملوك الاسبان. غطا يغطو: (الماء): ارتفع. غطّ: غمس.
- (٤) الملوان: الليل والتهار. يمي (يتلو على الناس). يمي (الثانية): يفرض، يوجب. الملا: رؤساء القوم (إشارة إلى عمله بالثوري، فهو لا يستبد في الحكم).
- (٥) من دعا إلى طاعة المستنصر فإنه يدعو إلى طاعة الله.
- (٦) في ذات الإله: في سبيل الله. سخا: جاد، بذل المال أو النفس، الخ.
- (٧) الوجودان الدنيا والآخرة.

ولا تَحِذْ عن سَنَنِ السُّنَّةِ في
وَحْذْ من الآراءِ بالرأيِ الذي
نظمتُها فريدةً في حُسْنِها
تَحَيَّرَ اللَّفْظَ الفَصِيحَ خاطري
قَلَّدَها من المعاني حليَّةً
نظمتُها ابنَ حازِمٍ، وقد نَمَى
وقد عزا الإحسانَ في أمثالها
بدأتُها باسمِ الذي خَتَمْتُها
فالبَدْءُ باسمِ اللهِ أَوَّلَى ما بهِ
والحمدُ لله أَجَلُّ غايَةٍ
حالٍ، وَكُنْ تَمَنِّ بأهلِها اقتدى^(١)
وافقَ قولَ اللهِ واتركَ ما عدا^(٢).
منظومةً نظمَ الفريدُ المُنتقى^(٣).
لها، ولم يَحْفَلْ بحوشيِّ اللَّغَى^(٤).
وزفَّها إلى المعالي وهَدَى^(٥).
نِسبَتُها إلى ابنِ حِزامٍ من غمَى^(٦).
لأَبْنِ الحَسَنِ أَحَدٍ مَن قد عزا^(٧).
بمحمده، جَلَّ الإِلَهُ وعلا.
عِنْدَ افتتاحِ كُلِّ أمرٍ يُعْتَنَى.
يُلَئِغُ بالقولِ لها وَيُنْتَهَى.

- قال حازمُ القُرطاجيُّ يمدح رسولَ الله ببيعيَّةٍ يُنصِّفُ فيها مُعلَقةَ امرئِ القيسِ
(صُدورُ القصيدة من نظمِ حازمٍ وأعجازُها تضمينُ أعجازِ مُعلَقةِ امرئِ القيسِ).
فمن أبياتِ هذه البديعيَّة:

لَمَينِكَ قُلْ، إن زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ: (قِفَا نَبْكَ من ذِكْرى حبيبٍ ومَنْزَلٍ)^(٨).
وفي طَيِّبَةٍ فَأَنْزِلْ، ولا تَغْشَ مَنْزَلاً (بِسِقْطِ اللَّوى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلٍ)^(٩).

- (١) حاد: مال، انصرف، ابتعد عن الطريق الوي. السن: الطريق. السنة: أفعال رسول الله.
- (٢) ما عدا (ما عداه): غيره.
- (٣) منظومة: مرتبه كأنها في سلك (خيطة أو عقد). الفريد: اللؤلؤ الكبار.
- (٤) الحوشي من الألفاظ: الوحشي (ما كان غريباً في المعنى وقيحاً في اللفظ). اللغى جمع لغة.
- (٥) زفَّ الناس العروس (نقلوها إلى بيت زوجها).
- (٦) ابن حزام شاعر جاهلي قديم، قبل امرئ القيس، قيل هو أول من وقف على الأطلال وبكى الديار.
- (٧) والناس رفعوا هذه الأرجوزة فقالوا هي من الشعر القديم (الجيد). غمى الحديث: رفعه، نسه.
- (٨) أمثالها: الحكم التي فيها. أحد بن الحسين هو المتنبي. عزا: نسب.
- (٩) أفضل مرسل: محمد رسول الله. المنزل: المكان الذي «تنزل» فيه قافلة مدة ثم تتابع سيرها. ويكون المنزل عادة عند الماء.
- (٩) طيبة: المدينة المنورة. غشي الرجل المكان: أتاه، جاء إليه. سقط اللوى والدخول وحومل أسماه أمكنة.

وزُر روضةً قد طالما طاب نشرُها (لِما نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمالٍ) ^(١)
 فيا حادي الآبال، سِرْ بي ولا تَقُلْ: (عَقَرْتَ بعيري، يا أَمراً القيسِ فَأَنزِلِ) ^(٢)
 نَبِيُّ هُدَى قد قال للكُفر نُورُهُ: (ألا أُنْها الليلُ الطويلُ، ألا أَنجِلِ) ^(٣)
 لأمداحِ خيرِ الخَلْقِ قَلْبِي قد صَبَا، (وليسَ فَوادي عن هَواها يَمْسَلِ) ^(٤)
 يُنادي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قد غدا (عَلَيَّ بأنواعِ المَهمومِ لَيَبْتَلِي) ^(٥)
 فَكُنْ لي مُجيراً من شياطينِ شَهْوَةٍ (عَلَيَّ حِراصِ، لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي) ^(٦)
 أيا سامعي مدحِ الرسولِ، تَنَشَّقُوا (نَسِمْ الصَّبَا جاءَتْ بِرِيا القَرَنُفْلِ) ^(٧)
 ويا من أبى الإِصغاءِ، ما أَنْتَ مُهْتَدٍ، (وما إِنْ، أَرى عَنكَ الفَوايَةَ تَنجَلِي) ^(٨)

- وله أيضاً بديعةً على مِثالِ البديعةِ السابقة (يُنصَفُ فيها قصيدةٌ لامرئٍ القيسِ أيضاً):

أقولُ لعزمي أو لصالحِ أعمالي: (ألا عِمَّ صَباحاً، أُنْها الطَلَلُ البالي) ^(٩)
 أما واعظي شَيْبٌ سَما فوقَ لِمَتي (سُمِّو حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ) ^(١٠)

- (١) الروضة: قبر رسول الله في المدينة المنورة. النشر: الرائحة (الطيبة). الجنوب (رياح الجنوب) والشمال (رياح الشمال). نسجتها (هنا): جعلت فيها آثاراً (وهذا غير المعنى المقصود في المعلقة). المعنى هنا: إن الجنوب والشمال قد جاءتا إلى هذه الروضة برائحة طيبة.
- (٢) الآبال جمع إبل (بكسر فكسر): الجبال (بالكسر). الهادي: سائق الإبل يغني ليخفف عن المسافرين في القافلة الملل من طول الطريق. عقر السرج البعير: أحدث فيه جرحاً.
- (٣) انجلى الليل أو الظلام: انجاب، انكشف.
- (٤) صبا: مال، اتجه. انسل (في شرح الزوزني): زال الحب من قلبه (رجع عن حبه).
- (٥) غدا: جاء باكراً. ليبتي: ليختبرني).
- (٦) مجير: منقذ. حراس جميع حريص: شديد الرغبة. لو يسرون مقتلي (لو يستطيعون أن يكتفوا خير قتلي).
- (٧) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد رطبة باردة منعشة). الريا: الرائحة (الطيبة).
- (٨) إن (هنا) زائدة. الفوايئة = الغي: الضلال.
- (٩) «عم صباحاً» (تحية الصباح): الطلل: المكان الذي كان فيه خيمة ثم أزيلت وبقي أثرها في الأرض.
- (١٠) اللمة: الشعر الذي في جانب الرأس. حباب الماء: فقايع (أكر مملوءة هواء) تطفو (توم) على وجه الماء. حالاً على حال (مرة بعد مرة).

أَنَارَ بِهِ لَيْلَ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ
نَهَانِي عَنْ غَيٍّ وَقَالَ مُنَبِّهًا:
أَغَالِطُ دَهْرِي، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي
وَمُؤْنِسُ نَارِ الشَّيْبِ يَقْبَحُ لَهْوُهُ
أَشِيخًا وَتَأْتِي فِعْلَ مَنْ كَانَ عُمُرُهُ
إِلَّا إِنَّهَا الدُّنْيَا، إِذَا مَا أَعْتَبَرْتَهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَقُولُ عَزَائِمِي
فَأَنْزَلَ دَارًا لِلرَّسُولِ، نَزِيلُهُمَا
جَوَارُ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ مُؤْتَلٌّ،
لَأَحَدٍ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ أَنْتَقَيْتُهَا
وإِنَّ رَجَائِي أَنْ أُلَاقِيَهُ غَدًا
فَأُذْرِكَ آمَالِي، وَمَا كُلُّ آمَلٍ

(مصاييحُ رُهبَانٍ تُشَبُّ لِقْفَالٍ) (١).
(أَلَسْتَ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي) (٢)؟
(كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أُمَالِي) (٣).
(بِأَنَسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُ تِمَالٍ) (٤).
(ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ) (٥).
(دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي خَالٍ) (٦).
(لِخَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ) (٧)؟
(قَلِيلُ الْمُهْمومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالٍ) (٨).
(وَقَدْ يُذْرِكُ الْحَمْدَ الْمُؤْتَلَّ أُمَالِي) (٩).
(وَرَضْتُ، فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالَ) (١٠).
(وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخَلَالِ وَلَا قَالَ) (١١)؛
(بِمُذْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلٍ) (١٢).

- (١) تشب: توقد، تشعل. القفال (جمع قافل: راجع)، وهم المسافرون في القافلة سواء أكانوا ذاهبين إلى مكان أو راجعين إلى الوطن.
- (٢) السمار جمع سامر: الساهر.
- (٣) «أن» مصدرية «(ولست ناصبة)... كبرت ولا يحسن اللهو أمالي».
- (٤) مؤنس نار الشيب: الذي شاب شعره. أنس الرجل الشيب في رأسه: رآه. الأنسة (في العصر الجاهلي): المرأة التي يأنس الرجال بها. كأنها خط تمثال (جميلة فتية).
- (٥) ثلاثون شهرًا في ثلاثة أحوال (أعوام: ستة وثلاثون شهرًا؟). لم يتع بما أراد طويلاً (؟).
- (٦) إذا ما اعتبرتها: نظرت في أحوالها، تأملتها. ديار عافية (محوثة الأثر). ذو خال: مكان. الحال: المكان لا أنيس فيه (راجع القاموس ٣: ٣٧٢).
- (٧) كَرَّ يَكُر: هجم. اجفال (المللوح هنا: الجبن، الخوف التباطؤ) - يريد أن يذهب إلى الحج وزيارة قبر الرسول بعد أن طال عليه الزمن ولم يفعل.
- (٨) الوجل: الخوف.
- (٩) مؤتل: أصيل، قديم، شريف.
- (١٠) أحد من أسماء رسول الله. انتقيت هذه القصيدة. ورضتها: مارسها طويلاً فذل (سهل علي) نظمها.
- (١١) القلي: البغض. القالي: المبغض. المقلي: المكروه. الخلال: الصفات.
- (١٢) بمذك (بالغ، وأصل إلى) أطراف الخطوب (أحداث الدهر ومصائبه) ولا آل (بمدة على الألف. وكسرتين على اللام: مقصر، منته): لا يستطيع أن ينال ما يطلبه ولا هو يترك طلب الأمور البعيدة المنال.

- ٤- ديوان حازم القرطاجني (تحقيق عثمان الكفّاك)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة) تونس (دار الكتب الشرقية) ١٩٦٦ م.
- ★★ رفع الحجب المستورة عن المقصورة، تأليف محمد بن أحمد الشريف السبي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٤ هـ.
- القدح العلّی ٢٠-٢١؛ الإحاطة ١: ٢٠٨؛ بغية الوعاة ٢١٤؛ شذرات الذهب ٥: ٣٨٧-٣٨٨؛ أزهار الرياض ٣: ١٧١-١٨٤؛ نفع الطيب ٢: ٢٠٨-٢٠٩، ٥٨٤-٥٨٩، ٣: ٦٠٤، ٤: ١٤٨، ٥: ١٨٩-١٩٠، راجع ١٩٨، ٤٨١، ٥١٩-٥٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٣٧-٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٣١٧، الملحق ١: ٤٧٤؛ حوليات كلية الآداب (القاهرة- عين شمس، جامعة ابراهيم): بحث وتحقيق للدكتور مهدي علام: «تاريخ أبي الحسن حازم القرطاجني الشاعر المنسيّ ونشأة فن المقصورة في الأدب العربي» (المجلد الأول، مايو- أيار- نّوار ١٩٥١ م، ثم «مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني: تحقيق النص»، المجلد الثاني، ص ١- ١١٠)؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٦٣ (١٥٩)؛ معجم المؤلفين ٣: ١٧٧؛ الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس) ٤٧١-٥٣٦.

عليّ بن موسى بن سعيد

- ١- هو نور الدين^(١) أبو الحسن عليّ بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد^(٢) المنسيّ الغرناطيّ الاندلسيّ المغربي، وُلِدَ في ٢٢ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٦١٠ (١٢١٤/٢/٦ م) في الأغلب، في قلعة يَحْصُبَ.
- انتقل عليّ بن موسى إلى اشبيلية فدرس فيها على أبي عليّ الشلوبيني وأبي الحسن الدبّاج وابن عصفور وغيرهم. وفي سَنَةِ ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) رَحَلَ مَعَ أبيه فوصلا إلى الاسكندرية في العام التالي. وفي الثامن من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٤٠ (٦٤٣ م) توفّي والده.
- وبقي عليّ بن موسى بن سعيد في الاسكندرية والقاهرة مدّة. ثم اتفق أن زار مصرَ كمال الدين بن العديم الحلبيّ فتابع عليّ بن موسى سفره مَعَ ابن العديم، سَنَةِ ٦٤٨ هـ،

(١) فوات الوفيات ٢: ١١٢؛ بروكلمن ١: ٤١٠.

(٢) راجع تَمَّةُ النسب وجهود بني سعيد، في تأليف كتاب «المغرب»، فوق، ص.

إلى حَلَبَ. ثم إنه سافر إلى دِمَشقَ فبغدادَ فالبصرةَ فإلى أَرَجَانَ يَدْرُسُ على شيوخ الأدب والفقه.

وعادَ عليُّ بنُ موسى إلى المَغْرِبِ، سَنَةَ ٦٥٢، واطالَ مُكثَهُ في ثُونِسَ، إذ دخل في خِدْمَةِ المُسْتَنْصِرِ الحَفْصِيِّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). ولكنَّ المُسْتَنْصِرَ غَضِبَ عليه. ثم إنه سافر مرَّةً ثانيةً إلى المشرق، سنة ٦٦٦ (١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)، وزارَ هولاكو^(١) في أرمينية ونَزَلَ ضيفاً عليه مُدَّةً من الزمن. بعدئذٍ أَسْتَعَدَّ للعودة إلى المَغْرِبِ، ولكنَّ تُوْفِيَّ في دِمَشقَ في الأَغْلَبِ، سَنَةَ ٦٨٥ للهجرة (١٢٨٦ م).

٢- عليُّ بنُ موسى بن سعيد جُغرافيٌّ ومؤرِّخٌ وأديبٌ ناقدٌ ناثرٌ شاعرٌ. وشعره وَسَطٌ مَعَ أَنَّهُ يَتَسَمَّى بالخصائصِ الاندلسية من التفنُّنِ في الوصف والتأنيق في التعبير. غيرَ أن شهرته راجعة إلى المصنَّفات التي نَعْرِفُ منها: الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد - الغرَّة الطالعة في شعراء المائة السابعة^(٢) - القُدْحُ المُطَلَّى في التاريخ المُحَلَّى - المِرْزَمَةُ - المُرْقَصُ المُطْرَبُ - المُقْتَطَفُ من أزاهر الطُرْفِ - عُدَّةُ المُسْتَنْجِزِ وعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ - رايات المُبْرِزين وغايات المُمَيِّزين - ملوك الشعر - المَشْرِقُ في أخبار المشرق - المَغْرِبُ في أخبار المَغْرِبِ؛ ولعلَّه المَغْرِبُ في حُلَى المَغْرِبِ.

أتمَّ عليُّ بنُ موسى بن سعيد تأليفَ كتاب المَغْرِبِ في حُلَى المَغْرِبِ. ولكتاب المَغْرِبِ منهاجٌ هو الإتيانُ بِنَفَرٍ من الشعراء البارزين من بُلْدَانِ المَغْرِبِ (الأندلس ومِصْرَ والمَغْرِبِ) من طبقات المجتمع المختلفة (الرؤساء والوزراء والعلماء: علماء الفلسفة والتنجيم والموسيقى والطب) والشعراء، إلا أن له في تصنيف الشعراء وترتيبهم طريقةً معقَّدةً جدًّا. ولكن الذي لا ريب فيه أن هذا الكتاب جمع تراجمَ نادرةً وغاذاجَ من الشعر والموشحات رائعةً طريقةً.

٣- المختار من آثاره

- قال عليُّ بنُ موسى بن سعيدٍ في ترجمة «أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملك بن سعيدٍ

(١) هولاكو سلطان التتار، وهو الذي دَمَّرَ بغدادَ وقضى على الخلافة العباسية، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

(٢) هو كتاب «الغصون الياضنة» (راجع القُدْحُ المَطْلَى، ص ١٨٧).

(المغرب ٢ : ١٦٤):

هُوَ عَمَّ وَالِدِي وَأَحَدُ مُصَنِّفِي هَذَا الْكِتَابِ. كَانَ وَالِدِي كَثِيرَ الْإِعْجَابِ بِشَعْرِهِ مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى سَائِرِ أَقَارِبِهِ. وَأَسْتَوَزَرَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكُ (والي) غرناطة.... وأنضاف إلى ذلك أَشْتَرَاكُهَا فِي هَوَى حَفْصَةَ الشَّاعِرَةِ، وَكَانَ عُثْمَانُ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ (١) قَالَ لَهَا: مَا تُحِبِّينَ فِي هَذَا الْأَسْوَدِ وَأَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَشْتَرِيَ لَكَ مِنَ السُّوقِ بَعْشَرِينَ دِينَارًا خَيْرًا مِنْهُ! ثُمَّ إِنَّ أَخَاهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَّ إِلَى مَلِكِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ مَرْدَنِشَ فَوَجَدَ عُثْمَانَ سَبَبًا إِلَى الْإِيقَاعِ بِأَبِي جَعْفَرٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ.

- وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (المغرب ٢ : ١٧٠): لَوْلَا أَنَّهُ وَالِدِي لَأَطْنَبْتُ فِي ذِكْرِهِ وَوَفَّيْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ؛ وَكَانَ أَشْغَفَهُمُ بِالتَّارِيخِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ. وَجَالَ كَثِيرًا إِلَى أَنْ انْتَهَى بِهِ الْعُمُرُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَقَدْ عَاشَ سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يَوْمًا يُخَلِّي مِنْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ أَوْ كُتِبَ مَا يَخْلُو، حَتَّى فِي أَيَّامِ الْأَعْيَادِ.

- وَمِنْ شَعْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى قَوْلُهُ فِي النَّهْرِ الَّذِي يَرَّ عَلَيْهِ النَّسِيمُ وَتَعْمِلُ عَلَيْهِ الْفُصُونُ:

كَأَنَّا النَّهْرُ صَفْحَةٌ كُتِبَتْ أَسْطَرُّهَا وَالنَّسِيمُ مُشْتَهَا.
لَمَّا أَبَانْتَ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ مَالَتْ عَلَيْهَا الْفُصُونُ تَقْرَأُهَا.

- وَلَهُ قَصِيدَةٌ يَتَشَوَّقُ فِيهَا إِلَى الْمَغْرَبِ، فِي مَطْلَعِهَا:

هَذِهِ مِصْرُ، فَأَيْنَ الْمَغْرِبُ؟ مَذُنَايَ عَنِّي دُمُوعِي تَسْكُبُ.
فَارَقْتُهُ النَّفْسُ جَهْلًا؛ إِنَّا يُعْرِفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ.
أَيْنَ حِمَصُ: أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا؟ بَعْدَهَا لَمْ أَلْقَ شَيْئًا يُعْجِبُ (٢).

- وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي التَّخْلِي (تَرْكُ الزَّوْاجِ):

أَنَا شَاعِرٌ أَهْوَى التَّخْلِي دُونَ مَا زَوْجٍ لَكِيَّا تَخْلُصُ الْأَفْكَارُ.

(١) فَبَلَغَ إِلَى سَمْعِ عُثْمَانَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى قَالَ.

(٢) حِمَصٌ = أَشْبِيلِيَّةٌ.

لو كنتُ ذا زوجٍ لَكنتُ منفصلاً في كلِّ حينٍ رِزقُها أمتاراً^(١).
دعني أُرَخِّ، طولَ التفرُّبِ، خاطري حتَّى أعودَ ويستقرَّ قَراراً^(٢).
كم قائلٌ لي: «ضاع شَرخُ شبابه!» ما ضيَّعتهُ بَطالةٌ وعُقاراً^(٣).
إذ لم أزلْ في العلمِ أَجهدُ دائماً حتَّى تأتَتْ هذه الأَبكارُ.
مهما أُرَمَ من دونِ زوجٍ لم أَكُنْ كَلّاً، ورزقي دائماً مِدراراً^(٤).
وإذا خرجتُ لفرجةٍ هُنْتُها؛ لا صَنعةٌ ضاعتُ ولا تَذكاراً^(٥).

- وقال في طلب اللهو بالطرب في الحداثق والجنانن:

باكرِ اللهو؛ ومن شاء عَتَبَ. لا يَلِدُ العيشُ إلَّا بالطربِ.
ما تَوَانِي من رَأَى الزهر زها والصَّبَا تَمَرَحُ في الروض خَبَباً^(٦).
- وقال في مثل ذلك:

وعشِيَّةٌ بَلَّغَتْ بنا أيدي النَّوى منها محاسِنَ جامعاتٍ لِلنُّخبِ^(٧)؛
فحدائقُ ما بينها من جدولٍ وبلايلُ فوق الغصون لها طرب..
والنخلُ أمثالُ العرائسِ لُبْسُها خَزٌّ وحِلْيَتُها قلائدُ من ذهب^(٨).

-
- (١) امتار الرجل لأهله: جلب لهم القوت من مكان بعيد.
(٢) ما دمت مغترباً عن وطني فلا أريد أن أشغل (بفتح الغين) بالي بالاهتمام بامرأة وأولاد. فإذا أنا رجعت إلى الوطن واستقرت فيه، فلكل حادث حديث.
(٣) شرح الشاب: عنفوانه وقوته. العقار: الخمر.
(٤) رام يروم: أراد، طلب. الكل: العاجز.
(٥) الفرجة: التخلص من الهم. والفرجة (في الاستعمال الحاضر): الذهاب «للزهوة» وترويح البال في الأماكن التي فيها جمال للطبيعة أو اجتماع للناس.
(٦) تواني: تكاسل، تأخر. الصبا (بالفتح): ريح بليلة تهب على نجد (في بلاد العرب) من الشرق. خب = خبياً: سير بشيء من السرعة (كما سير الخيل في أول ركضها). يقصد أن الهواء كان منعشاً.
(٧) النوى: البعاد، الفراق (المقصود: أن الشاعر زار أرضاً بعيدة؟). النخبة: الشيء، المختار أو المنتقى (أجود ما في الأشياء).
(٨) الحز: الحرير أو الثياب المنسوجة من حرير. القلادة (بالكسر): حلية (بالكسر) تلبس في العنق.

- ٤- عنوان المطربات المرقصات، القاهرة (مطبعة جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ؛ نشره عبد القادر محداد، الجزائر (كاربونل) ١٩٤٩ م.
- العيون الدعج في حلّ بني طنج (القسم الخاصّ بالأخشيدين- في مصر- من كتاب «المغرب») (نشره تالوكيت)، ليدن ١٨٩٩ م.
- المغرب (قسم صقلية)، ليدن ١٨٩٨ م، بالرمو ١٩١٠ م.
- النجوم الزاهرة في حلّ حضرة القاهرة (القسم الخاصّ بالقاهرة من كتاب «المغرب».... (تحقيق حسين نصّار)، القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٠ م.
- رايات المرزّين وغايات المميزين (نشره أميليو غارثيا غومذ)، مدريد ١٩٤٢ م.
- المغرب في حلّ المغرب (حققه شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣-١٩٥٥ م.
- المغرب: قسم مصر (نشره زكيّ محمد حسن وشوقي ضيف وسيّدة كاشف)، القاهرة (مطبعة فؤاد الأول) ١٩٥٣ م.
- اختصار القدح المملّى (تحقيق ابراهيم الايباري) ١٩٥٩ م.
- الفصوص اللبنة في محاسن شعراء المائة السابعة (بتحقيق ابراهيم الايباري)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٧ م.
- كتاب الجغرافية (حققه اسماعيل العربي)، بيروت (منشورات المكتب التجاري) ١٩٧٠ م.
- مختصر جغرافية ابن سعيد (نشره ج. فيرينيه)، تطوان ١٩٥٨ م.
- ★- ابن سعيد المغربي، تأليف محمد عبد الغني حسن عام ١٩٧٠ م.
- فوات الوفيات ٢: ١١٢-١١٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٤١١ وما بعد؛ القدح المملّى ١-١٢؛ الدياج المذهب ٢٠٨-٢٠٩؛ بغية الوعاة ٣٥٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٦٢-٣٧٤ (يكثّر المقرّي من الكلام على ابن سعيد هذا وعلى نفر من أهله وينقل من «المغرب» كثيراً- راجع فهرس نفح الطيب ٨: ٦٧)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٦؛ نيكل ٣٦١؛ مختارات نيكل ٢٠٥-٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٩ (٢٦-٢٧)؛ سركيس ١١٨-١١٩؛ بالنشيا ١٣٥-١٣٧؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لمحمد رضوان الداية ٣٩١-٣٩٨؛ تاريخ النقد العبّاسي لاحسان عبّاس ٥٣٢-٥٣٥؛ المكتبة العربية الصقلية ١٣٤-١٣٧؛ مجلّة الجمع العربي بدمشق ٣٣: ٣٠٢ (عام)، راجع ٥٢٥.

ابن أبي الربيع القرشيّ

- ١- هو الإمام أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشيّ

الأُمويّ العُثمانيّ الإشبيليّ، وُلِدَ (في إشبيلية) في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٩٩ (ربيع ١٢٠٣ م)، أَخَذَ القِراءاتِ عن مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ التَّيْمِيِّ وَسَمِعَ (الحديث) من القاسم بن بَقِيٍّ وقرأ النحوَ على الثَّلَوِينِ (ت ٦٤٥ هـ) والدَّبَّاجِ (٦٤٦ هـ)، وأُذِنَ لَهُ الثَّلَوِينُ بالتصديّر لإِلقاءِ النحوِ.

ولَمَّا استولى الإِسبانيُّ على إشبيلية، في أوَّلِ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١١/١٩ م) انتقل ابنُ أبي الرِّبيعِ إلى سَبْتَةِ وأقرأ بها النحوَ مُدَّةً. ثمَّ إِنَّه عادَ إلى إشبيلية. وكانت وفاته فيها سَنَةَ ٦٨٨ (١٢٨٩ م).

٢- كان ابنُ أبي الرِّبيعِ إمامَ النحوِ في عصره ومن المؤلِّفين فيه، له: المُلَخَّصُ في النحو- القوانين النحوية- الإِفصاح في شرح الإيضاح (للفارسي المتوفى سَنَةَ ٣٧٧)- شرح الجُمْل (؟) للزَّجَّاجي المتوفى نحو سَنَةِ ٣٣٩، في عَشْرِ مُجلَّداتٍ)- شرح (كتاب؟) سَبَوِيَّة- بَرنامَج (شيوخه).

- **بغية الوعاة ٣١٩؛ بروكلمن ١: ٣٨٢، الملحق ١: ٥٤٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٤٤ (١٩١).

ابراهيم بن أبي بكر التلمساني

١- هو أبو اسحاق ابراهيم بنُ أبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى الأنصاريّ التلمسانيّ، أصله من وقش* ومولده في تَلَمِسانَ، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢-١٢١٣ م). انتقل به أهلُه إلى الأندلس فسكنوا غَرناطَةَ ثلاثَ سَنَواتٍ ثمَّ تَحَوَّلُوا إلى مالَقَةِ وطال سَكَنُهم بها؛ وفيها تلقى ابراهيمُ مُعظَمَ معارفه. ثمَّ إِنَّه انتقل إلى سَبْتَةِ واستقرَّ فيها بقيَّةَ عُمُرِهِ.

وقد تلقى ابراهيمُ ابنُ أبي بكرِ العِلْمَ على كثيرين منهم (الديباج ٩٠): أبو بكر بن مُخَرِّزٍ وأبو الحسن بن طاهر الدَّبَّاجِ (الإحاطة ١: ٣٣٥ الرِّبَاج) وأبو علي الثَّلَوِينِ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو العبَّاسِ عليُّ بنُ عصفورِ الهَوَّاريِّ وأبو المُطَرِّفِ بنُ عَميرة (ت ٦٨٥ هـ) وأبو يعقوبَ يوسف بنُ موسى الحاسني القاري (الإحاطة: الحَسَّاني الفهاري).

(*) وقش (بشديد القاف المفتوحة): مدينة بالاندلس (تاج العروس- الكويت ١٧: ٤٥٥).

وكانت وفاة إبراهيم بن أبي بكر في سَنَةِ ٦٩٠ (١٢٩١ م).

٢- كان إبراهيم الأنصاري التلمساني مُبَرِّزاً في عِلْمِ العَدَد (الحِساب) والفرائض (تقسيم الإرث) وماهراً في كثيرٍ من العلوم والأعمال التي يُحاولُها حاضِرُ الذَّهْنِ ذَكِيّاً. وكذلك كان لُغَوِيّاً وأديباً وشاعراً مُكثِراً ومُطِيلاً. وشعره في المدح (وفي البديعيات: مدح الرسول) والأدب (الحِكْمَة)، كما كان له نظمٌ في عددٍ من فروع العلم. وقد كان مُصنِّفاً له: نتيجة الحَيْرِ ومُزيلَة الضَّرَرِ في نظم المغازي والسَّيْرِ^(١) - الأرجوزة: المنظومة التِّلْمْسانِيَّة في الفرائض (تقسيم الإرث)، نَظَمَها نَحْوَ سَنَةِ ٦٣٥ للهجرة، وقد شَرَحَها كثيرون^(٢) - المُعْشَرَات على أوزان العرب - مقالات في علم غُرُوض الدوبيت.

٣- مختارات من شعره

- بين يدينا من شعر إبراهيم بن أبي بكر التلمساني:

★ ★ الغدر في الناس شِيْمَةٌ سَلَفَتْ قد طال بين الوري تصرُّفُها^(٣).
ما كلُّ من قد سَرَتْ له نِعَمٌ منك يرى قَدَرَهَا وَيَعْرِفُهَا.
بل ربِّها أَعْقَبَ الجزاء بها مَضَرَّةٌ عَزَّ عنك مَضَرُفُها^(٤).
أما ترى الشمسَ تَغْطِيفُ بال نور على البدرِ وهو يَكْشِفُها^(٥)!
★ ★ أَرَأَيْتَ من رَحَلُوا وزَمَوْا العِيسَا ألا يزول على الطلول حَبِيسَا^(٦)؟

(١) المغازي جمع مغزاة (بفتح الميم): الغزوة (حرب يسير إليها المسلمون في أيام الرسول). السيرة: حياة الرسول والصحابة.

(٢) راجع بروكلمن.

(٣) شِيْمَة: خصلة، عادة. سلفت: مضت (هنا: قديمة في الناس). الوري: الناس. تصرُّفُها: تقلُّبُها بين الناس وأفعالها فيهم.

(٤) عَزَّ (صعب) مصرفها (دفعها عنك).

(٥) القمر يستمدُّ نوره من الشمس. وفي بعض الأحيان يعترض القمر بين الشمس والأرض فتتكشف الشمس (يحتجب نورها عن الأرض).

(٦) زَمَ العيس (النفاق): جعل لها زماءً (الجاما)، أي أعدّها للرحيل. - يبدو أن الشطر الثاني تَمَّة لبيت آخر. الملموح أن الذي يمدُّ الرحلة للسفر، لا يبقى محبوباً (واقتناً على بقايا المنازل).

أَحْيَيْتَ سَوْفَ يَعُودُ نَفْسُ تُرَابِهَا بِمَا يَشْفِي لَدَيْكَ نَسِيسًا^(١).
هل مؤنسٌ ناراً بجانب طُورِها لأنيسها أم هل تُحِسُّ حَيسًا^(٢)؟

٤- ** الدياج المذهب ٩٠-٩١؛ الإحاطة ١: ٣٣٤-٣٣٧؛ بروكلمن ١: ٤٨٢، الملحق ١: ٦٦٦؛ معجم أعلام الجزائر ٩-١٠؛ الطمار ٨٣-٨٤ (نقلًا عن الإحاطة).

ابن السمّاط المهدويّ

١- هو أبو يعقوب يوسف بن عليّ بن عبد الملك بن السمّاط البكريّ المهدويّ، وُلِدَ في المَهْدِيَّة (وهي مرفأ في منتصف الشاطئ الشرقي من القطر التونسي) سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦-١٢١٧ م). ويبدو أنه لمّا تقدّمت به السنّ انتقل إلى الاستغراق في التقوى والعبادة واشتدّ الحنين به إلى الحجّ إلى مكّة وإلى الزيارة إلى المدينة، ولكن لم يتيسّر له ذلك. وكانت وفاته في العشر الأوسط من شعبان من سنة ٦٩٠ (أوائل آب-أغسطس ١٢٩١ م).

٢- كان ابن السمّاط المهدويّ فقيهاً وأديباً عارفاً باللغة، وكان شاعراً قصّر شعره (لما تقدّمت به السنّ) على البديعيّات. وشعره فصيحُ الألفاظ صحيحُ التركيب فيه شيءٌ يسيرٌ من الصنّاعة ولكنه أحياناً قليلُ الروتق. والأفكارُ فيه كثيرةٌ والمعاني تعلّبُ فيه على الصيّغة.

(١) النقط تمثّل نقصاً في الأصل. النيس: بقيّة الروح (النفس). الملموح: هل تظنّ أن شَمَ تراب المنازل ينعش الإنسان.

(٢) هل مؤنس ناراً: أهناك من يؤنس (يرى) ناراً: الطور: الجبل. الأنيس: الساكن في المكان. - أتظنّ أنك تنال مراداً من الوقوف في دار خالية أو هل تظنّ أن الدار الخالية تحسّ بأنك واقف فيها؟ - في الأبيات معنى يقرب من أن يكون صوفياً. راجع في رؤية النار عند الطور سورة القصص (٢٨: ٢٩): ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً. قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا، إِنِّي آنَسْتُ نَاراً، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن السَّمَّاطِ المَهْدَوِيُّ من بديعِيَّة (في مدح الرسول):

لعلَّ نُسياتِ الضُّحَى والأصائلِ	تُؤدِّي إلى مَغْنَى الحبيبِ رسائلي ^(١) ،
وتُهدِي، إذا مرَّتْ سُحيراً بِرَبْعِهِ،	سلامي إلى بَدْرِ بَطِينَةِ آفَلِ ^(٢) .
وكلُّ الأمانِي في غُدُوِّ رواسِمِ	إلى رَسْمِهِ أو في رَواحِ رِواحلِ ^(٣) .
وما سَوْفُها بَل شَوْفُها يَسْتَحِثُّها	حيثُ أَخِي الإِملاقُ يُدْعِي لَنائِلِ ^(٤) .
وكم آيَةٍ دَلَّتْ على صِدْقِهِ، فما	أَلَبَّ لها الإنكارُ في لُبِّ عاقلِ ^(٥) .
رسولُ أتى والغَيِّ وارَتْ غيومُهُ	نجومَ الهدى والرشدِ عن كلِّ غافلِ ^(٦) .
ووافى ودينُ الكُفْرِ قامتْ دُعائُهُ	بإبطالِ تحقيقي وتحقيقِ باطلِ.
فلَمَّا بدتْ آيائُهُ وهبائُهُ	بدا النَّقْضُ فيما أُبرِموا في الحافلِ ^(٧) .
وفي كلِّ ما يَتَلو الرسولُ دَلالَةً	على صِدْقِهِ منَ واضحاتِ الدلائلِ.
هو المُصْطَفَى من قَبْلِ تَكْوِينِ آدَمِ	على الخَلْقِ من آبائِهِم والحلائلِ ^(٨) .
له غابَةٌ من صَحْبِهِ هو لَيْثُها؛	لَدَيْهِمْ مَرِيرُ الموتِ عَذْبُ المناهلِ ^(٩) .

- (١) الأصيل: الساعات الثلاث التي تسبق غروب الشمس. مغنى: مسكن. الحبيب (محمد رسول الله).
- (٢) بدر (كناية عن رسول الله). طيبة: المدينة المنورة. الآفل: الذي غرب وراء الأفق (غاب في قبره).
- (٣) الرواسم (رسم بضمّتين جمع رسوم بالفتح: الناقة الشديدة الوطء على الأرض). الرسم (مكان السكنى الذي خلا من ساكنه). الراحلة: ما يرحل (يسافر عليه الإنسان). الغدو: السير في الصباح. الرواح: الرجوع في المساء.
- (٤) الإملاق: الفقر. النائل: العطاء.
- (٥) أَلَبَّ: عرض، تعرّض. أَلَبَّ له الإنكار في لُبِّ عاقل (لم يستطع إنسان عاقل أن يعرض لها بإنكار: أن ينكرها).
- (٦) الغي: الضلال.
- (٧) النقض: الهدم. أبرموا: اتفقوا عليه.
- (٨) الحليلة: (الزوجة). يرى الصوفية أن محمداً (صلى الله عليه وسلّم) هو المخلوق الأول (أي الذي خلق الله العالم من أجله).
- (٩) غابة (عدد وثير). الليث: الأسد (في هذا إشارة إلى دَأْسِ الغابة في معرفة الصحابة) وهو كتاب في تراجم أصحاب رسول الله لعز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ).

صدورُهُمْ تَلْقَى صدورَ العوامل ^(١).
 ذُوو رَحْمَةٍ بِالْبَائِئَاتِ الْأَرَامِلِ.
 وَكَمْ مِنْ غَرِيبٍ صَارَ فِيهِمْ كَأَهْلٍ!
 مَتَى أُمِّلُوا لَمْ يُخْلِفُوا ظَنًّا أَمَلِ.
 سَلَامٌ كَنُورِ الرُّوضِ بَيْنَ الْحَمَائِلِ ^(٢).
 أَمَانٍ وَإِمَهَالٍ كَسَوِيفٍ بَاطِلِ ^(٣).
 مُعَارًّا لِأَوْقَاتٍ تَمُرُّ قَلَائِلِ.
 دَلِيلٌ عَلَى ظِلٍّ مِنَ الْعُمُرِ زَائِلِ ^(٤).
 وَأَصْبَحْتُ مِنْ جَرَائِهَا فِي حَبَائِلِ ^(٥)،
 عَلَى طَوْلِ تَقْرِيطِي، هَوَامٍ هَوَامِلِ ^(٦)،
 لِكَلِّ كَرِيمٍ، مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ.
 بِمِشَارٍ مَا يُحْصَى لَهُ مِنْ فُضَائِلِ.
 وَأَوْصَافِهِ إِلَّا كَتَخْصِيلِ حَاصِلِ؛
 عَنْ الْفَرَضِ فِي تَعْظِيمِهِ وَالنَّوَافِلِ ^(٧).
 وَهَلْ بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ قَوْلٌ لِقَائِلِ ^(٨)!

صدورُ إِذَا حَلَّوْا بِنَادٍ؛ وَفِي الْوَعْيِ
 أَشِدَاءُ وَالْمِهْجَاءُ حَامٍ وَطِيسُهَا،
 فَكَمْ مِنْ عَدِيمٍ صَارَ فِيهِمْ كَمُتَرَفٍ؛
 كَذَا فَلْيَكُنْ حُسْنُ الثَّنَاءِ لِسَادَةِ
 عَلَى مِنْ بِهِ سَادُوا الْوَرَى وَعَلَيْهِمْ
 فَحَتَّى مَتَى أَشْتَأُقُهُمْ وَتَغُرُّنِي
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا ظَاعِنٌ مُتَرَحِّلٌ
 وَإِسْفَارُ صُبْحِ الشَّيْبِ عَنْ لَيْلٍ لَمَتِي
 وَلَمَّا تَقَضَّتْ فِي التَّوَانِي شَبِيبَتِي
 وَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا التَّفَانِي بِأَدْمُعٍ،
 وَكُلٌّ يَرَى أَنَّ الْمَدِيحَ وَسِيلَةٌ،
 مَدَحْتُ الشَّفِيعَ الْمُصْطَفَى غَيْرَ قَائِمٍ
 وَمَا الْمَدْحُ فِيمَنْ يَخْضُنُ الْمَدْحَ بِاسْمِهِ
 وَلَكِنَّهُ جُهْدُ الْمُقَلِّ لِقَاصِرٍ
 أَلَمْ (يَأْتِ) قَوْلُ اللَّهِ فِي رَفْعِ ذِكْرِهِ؟

- (١) صدور (الأولى): وجهاء القوم. الوعى: الحرب. صدور (الثالثة): أعالي الرماح. العالية: النصل يكون في رأس الرمح (في الحرب يردون بصدورهم رماح أعدائهم، دفاعاً عن الدين).
- (٢) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الحميلة: الشجر الكثير الكثيف الملتف (المشابك).
- (٣) أمان جمع أمنية: ما يتمنى الإنسان أن يحصل عليه. الإمهال: ترك الأمر مهلة (بالضم): مدة، فترة. تسويف: تأخير. تسويف باطل (٤).
- (٤) اللمة: شعر الرأس المجاور لشحمة الأذن (وهو أول ما يشيب عادة من شعر الإنسان).
- (٥) التواني: التكاسل (عن عمل الصالحات). في حبائل (من الذنوب).
- (٦) التفاني بأدمع (ذهاب عمري شيئاً بعد شيء بالكاء). الهامي والهامل (المنسكب بكثرة).
- (٧) جهد المقل: الشيء القليل الذي يبذله الفقير أو العاجز. الفرض: ما يجب على الإنسان فعله. النافلة: ما يتطوع الإنسان في فعله.
- (٨) جاء في سورة الضحى (الثالثة والتسعين في المصحف): ﴿ورفنا لك ذكرك﴾.

- وقال من بديعة ثانية:

سَرَيْتُمْ وَطَرَفِي مَنْ كَرَى الْعَزَمَ مَا هَبَا،
وَطَرَفُ انتهاضي فِي مَدَى الْحَزَمَ مَا خَبَا^(١)
ومنها:

فحسبي رجائي أن يَمُنُّوا بِعَظَمِهِمْ. وَأَنْ يُعْقِبُوا لِلْبُعْدِ مِنْ وَصْلِهِمْ قُرْبًا.
وَلَا غَرَوَ أَنْ يَلْقَى الطُّفِيلِيَّ مَاجِدٌ. بُوْجِهٍ بِهِ يَلْقَى الْمَارِفَ وَالصَّخْبَا^(٢).
وَإِنْ هُمْ جَفَوْنِي سَوْفَ أَهْدِي إِلَيْهِمْ. سَلَامِي لَعَلِّي بِالرَّضَا مِنْهُمْ أَحْبَى^(٣).
وَمَنْ صَدَّ عَنْهُ الْحَبُّ فَلْيَفْشِ مَدَحَهُ، فَإِنَّ امْتِدَاحَ الْحَبِّ يَسْتَنْزِلُ الْحَبَّابَا^(٤).
وَمَا الْقَصْدُ وَالْمَغْنَى بِالرَّزْمِ وَالْكُنَى. سَوَى مَنْ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ قَدْ أَرْمَى^(٥).
وَمَنْ شَاهَدَتْ عَيْنَاهُ مِنْ مُلْكٍ رَبِّهِ. وَأَيَّاتِهِ مَا يُعْجِزُ الْكُتُبَ وَالْكِتَابَا^(٦).
أَحَاشِيكَ، يَا كُلَّ الْمُنَى، أَنْ تَذُودَنِي
عَنِ الْخَوْضِ يَوْمَ الْعَرْضِ أَوْ أَمْنَعَ الشُّرْبَا^(٧)
وَرَبُّ كَرِيمٍ غَضٌّ عَنْ وَرْدٍ وَاغْلَلِ
حِيَاءً إِذَا وَافَاهُ إِذْ يَتَبَعُ السُّرْبَا^(٨)

- (١) سري: سار في الليل. الطرف (بالفتح): العين، البصر. الكرى: النوم. الطرف (بالكسر) الحصان. خب: أسرع.
- (٢) الطفيلي: الذي يذهب إلى الولائم من غير دعوة خاصة به. - لا بد من أن يكون هنالك ماجد: شريف خير (بتشديد الياء) يستقبل الطفيلي كما يستقبل أصدقاءه الذين دعاهم إلى وليمته (كناية عن الرسول).
- (٣) جفوني: ابتعدوا عني، كرهوا. مجيئي: حبا: أعطى، منح.
- (٤) الحب (بالكسر): المحبوب، فليفس: فليشر. - إذا مدحت الذي لا يحبك فيمكن أن تجعله محبا لك.
- (٥) المعنى: المقصود. الكنى: الإشارة إلى الشيء بالتلميح لا بالتصريح. أرمي: زاد.
- (٦) الكتب (بالضم) جمع كتاب. الكتب (بالفتح): الكتابة. - ما تضيق عن استيعابه الكتب وما تقصر الكتابة عن أن تحيط به.
- (٧) أحاشيك (أقول: حاشاك): أجلك عن فعل شيء..... زاد: دفع، طرد. الخوض: مجمع ماء يشرب منه المؤمنون يوم تقوم القيامة. يوم المرض: يوم الحشر، يوم القيامة.
- (٨) قد يتفق أن يدعو رجل كريم قوما ثم يرى واعلا (طفيليا) يتبع سرهم (جمعهم) فيفض الطرف عنه (يسمح بحضوره الوليمة).

لَنْ قَصَّرْتُ خَطْوِي إِلَيْكَ خَطِيئَتِي وَذَبَّنِي الْأَوْزَارُ عَنْ بَابِكُمْ ذَبًا (١)،
فَمِنْ شِمَةِ الْعَبْدِ الْفِرَارُ لِرَبِّهِ؛ وَمِنْ شِمِ السَّادَاتِ أَنْ يَغْفِرُوا الذَّنْبَ!

٤- ** رحلة التجاني (تونس ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨)، ص ٣٨٠-٣٩٣؛ عنوان الأريب
٧٧-٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٠٨-٣١٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٩
(٢٤٢: ٨).

ابن عتيق المرسّي

١- هو أبو عليّ الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبيّ الأجداد المرسّيّ
الأصل السبقيّ الاستيطان. يبدو أنه انتقل باكراً من مرسية إلى المغرب ونزل بسبتة
فعمل فيها عدلاً من العدول (عند أبواب المحاكم) ثم دخل في خدمة أمير سبتة وأصبح
كاتباً له.

وفي الإحاطة (١: ٤٨٠) أن ابن عتيق السبقيّ مُنتمٍ إلى صاحب الثورة على
المعتمد (٢). ولعلّ المقصود «المعتضد» الموحدي (٦٤٠-٦٤٦ هـ)، وكان أنصاراً
للمرينيين قد ثاروا عليه ثم قتل هو غيلة في أثناء محاربتهم.

وبدا لابن عتيق السبقيّ أن يعود إلى الأندلس فانتقل إلى المرية فوقع عياله في أسر
القراصنة (الإسبان أو البرتغاليين؟) فنظم قصيدة في مديح والي المرية من قبل سلطان
غرناطة الغالب بالله (٦٢٩-٦٧١ هـ) يتوسّل إليه أن يساعده في استنقاذ عياله. ولا
شك في أنه أقام في غرناطة مدة (ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة»). وفي آخر عمره
استدعاه السلطان المريني يوسف الناصر لدين الله (٦٨٥-٧٠٦ هـ) واستكتبه. ولعلّ
وفاته كانت سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢- كان ابن عتيق السبقيّ مُشاركاً في عددٍ من الفنون: كاللغة والنحو والتاريخ
والأدب والتعاليم (الحساب والهندسة والفلك الخ). وكان بارعاً في لعب الشطرنج

(١) ذب: دفع، طرد. الوزر (بالكسر): الذنب.

اخترع سُفرةً (رُقعة) مستديرةً بَدَلَ الرُقعة المربعة. وله تصانيفُ منها الكتاب الكبير (في التاريخ) وله التلخيصُ المسمَّى «مِيزانَ العمل». وكذلك كان شاعراً مقتدراً وصل إلينا من شعره شيء من النسيب والمديح ثم قصيدةٌ طويلةٌ في الهجاء المُقذع الفاحش في مالك بن المرحّل - وكان بينهما عداوةٌ ومهاجاة.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ عتيقٍ السبتيُّ يهجو مالكَ بنَ المرحّل (ت ٦٩٩ هـ):

لِكِلَابِ سَبْتَةٍ فِي النَّبَاحِ مِدَارِكُ	وَأَشَدُّهَا دَرَكًا لَدُنْكَ مَالِكُ ^(١)
شَيْخٌ تَفَانَى فِي الْبَطَالَةِ عُمْرُهُ،	وَأَحَالُ فَكَيْهِ الْكَلَامُ الْآفَكُ ^(٢)
كَلْبٌ لَهُ فِي كُلِّ عِرْضٍ عَضَّةٌ	وَبِكُلِّ مُحْصَنَةٍ لِسَانٌ فَاتِكُ ^(٣)
أَحْلَى شَائِلِهِ السُّبَابُ الْمُفْتَرَى،	وَأَعْفُ سِيرَتِهِ الْهَجَاءُ الْمَاعِكُ ^(٤)
يَغْشَى مَخَاطِرَهُ اللَّثِيمُ تَفَكُّهًا،	وَيَعَافُ رُؤْيَتَهُ الْحَلِيمُ النَّاسِكُ ^(٥)
فِي شِعْرِهِ مِنْ جَاهِلِيَّةٍ طَبْعُهُ	أَثْقَالُ أَرْضٍ لَمْ يَنْلَهَا فَاتِكُ ^(٦)
إِنَّ سَامَ مَكْرُمَةٍ جَنَّا مُتَنَاقِلًا	يَرْغُو كَمَا يَرْغُو الْبَعِيرُ الْبَارِكُ ^(٧)
وَيَدِبُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ إِلَى الْخَنَا	عَدَوًا كَمَا يَعْدُو الظَّلِيمُ الرَّاتِكُ ^(٨)
وَالدَّهْرُ بَاكِ لَا تَقْلَابِ صُرُوفِهِ	ظَهَرَ لِبَطْنٍ، وَهُوَ لِأَيْ ضَا حَكْ
وَاللُّسْنُ تَصَحَّهَ بِأَفْصَحِ مَنْطِقِي،	لَوْ كَانَ يَنْجُو بِالنَّصِيحَةِ هَالِكْ

- (١) المدرك والدرك: الوصول (اعتداء على الناس). مالك (بن المرحّل).
- (٢) البطالة: الهزل. وأحال (غير شكل) فكّيه الكلام الآفك (الكذب).
- (٣) المحصنة: المرأة العفيفة (ذات الزوج).
- (٤) الماعك! يقصد الشاعر «الملك» (بفتح فكسر): الأحق، الشديد الحصومة.
- (٥) الرجل اللثيم يدرك أن مجالسة ابن المرحّل خطر عليه ومع ذلك فهو يحضر مجالسه لأنّ فيها أسباباً للضحك (عليه: على ابن المرحّل).
- (٦) فاتك (؟). الفاتك هو الكثير الجرأة على الأمور.
- (٧) إن سام (لعلّها: إن سم: إذا طُلب منه). جئا: ركع.
- (٨) دبّ: مشى ببطء واستخفاء. الجنح: الجانب من الليل. الخنا: العمل القبيح. العدو: الركض. الظليم: ذكر النعام. الراتك: الذي يركض بخطى متقاربة.

تُبْ، يَا أَبْنَ تَسْعِينَ، فَقَدْ جُزَّتِ الْمَدَى وَارْتاحَ لِلْقِيَا بِسِنَّكَ مَالِكُ (١).
 يَا ابْنَ الْمُرْحَلِ لَوْ شَهِدْتُ مُرَحَّلًا وَقَدْ أَنْحَنِي بِالرُّحْلِ مِنْهُ الْحَارِكُ (٢)،
 لَرَأَيْتَ لِلْعَيْنِ اللَّثِيمَةَ لَمَحَةً وَعَلَا بِصَفْعِ عَرَكٍ أُذُنَكَ عَارِكُ (٣)،
 وَشُغِلْتَ عَنْ ذِمِّ الْأَنَامِ بِشَاغِلٍ، وَتَنَاقَرَ خَصَمٌ مِنْ أَيْيِكَ مُهَاحِكُ.
 - وله قصيدة يمدح بها والي المَرِيَّةِ وكان قريباً للسلطان الغالب بالله:

مُلْقَى النَوَى مَلَقَ لِبَعْضِ نَوَالِكَا، فَاشْفِ الْمُحِبَّ وَلَوْ بِطَيْفِ خَيَالِكَا (٤).
 لَا تَحْضَبْنِي مِنْ فُلَانٍ أَوْ فُلَا، أَنَا مِنْ رِجَالِ اللَّهِ ثُمَّ رِجَالِكَا (٥).
 نَصَبَ الْعَدُوَّ حَبَائِلًا لِحَبَائِثِي، وَعَلَقْتُ فِي اسْتِخْلَاصِهَا بِجِبَالِكَا (٦).
 وَكَفَاكَ شَرَّ الْعَيْنِ عَيْبٌ وَاحِدٌ، لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى فُلُولٍ نِصَالِكَا (٧).

الإحاطة ١: ٤٨٠ - ٤٨٤؛ بغية الوعاة ٣٥٤؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٣ (٢٤٣).

ابن الغمَّاز البُلَنَسِي

١- هو أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُكْنَفٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْغَمَّازِ الْأَنْصَارِيِّ الْبُلَنَسِيِّ، مِنْ أَهْلِ

- (١) سِيرَ مَالِكُ (خَازِنُ النَّارِ) بَلْقِيَاكَ (فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ) لِأَنَّكَ الْآنَ طَاعِنٌ فِي السَّنِّ. تَسْعِينَ (١).
- (٢) الْمُرْحَلُ: الْجَدُّ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ مَالِكُ هَذَا. يَقُولُ لَهُ: الْمُرْحَلُ لَيْسَ أَتَمَّ الْجَمَلِ الَّذِي كَانَ يَرْحَلُ عَلَيْهِ جَدُّكَ، بَلْ هُوَ اسْمُ جَدِّكَ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ أَشْيَاءَهُمْ فَانْغْنَى حَارَكَةً (أَعْلَى كَفِّهِ) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.
- (٣) لَكُنْتُ رَأَيْتُ فِي جَدِّكَ لَوْمًا يَدُو مِنْ عَيْنَيْهِ ثُمَّ (جَاءَ) مِنْ يَمِينِكَ أُذُنَكَ (يَشْدَاهَا: احْتِقَارًا لَكَ) وَيَصْفَعُكَ أَيْضًا (كَرْهًا لَكَ).
- (٤) مَلَقَى النَوَى (الْآتِي مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) مَلَقَ النَّوَالِ: الْعَطَاءُ ...
- (٥) مِنْ فُلَانٍ أَوْ (فُلَانٍ) فِي «فُلَا» اكْتِفَاءً (ذَكَرَ أَحْرَفَ تَدَلَّى عَلَى الْحَرْفِ الْمَهْذُوفِ).
- (٦) حَبَالَةً (بِالضَّمِّ): الشَّرْكُ (بِقِتْحِ فَتْحٍ). الْحَبَائِثُ جَمْعُ حَبِيبَةٍ. عَلَقْتُ بِجِبَالِكَ: أَحْبَبْتُكَ (الْمَقْصُودُ: أَصْبَحْتُ أَنَا أُسِيرًا لَكَ).
- (٧) النِّصْلُ: حَدُّ السِّيفِ وَغَيْرِهِ. الْفُلُولُ: الشَّقُوقُ التَّقْطِيعُ. عَيْبُكَ الْوَجِيدُ أَنَّ سَيُوفَكَ مَفْلَّةٌ مِنْ قِتَالِكَ الْأَعْدَاءِ (مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ: بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ).

بَلَنْسِيَّةَ، وُلِدَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ سَنَةِ ٦٠٩^(١) وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى كَثِيرِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةَ عَدًّا. وَقَدْ تَنَقَّلَ فِي عَدَدٍ مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ وَمُدُنِ الْعُدُوةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ، وَكَانَ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ فِي الْعَدَالَةِ وَالتَّوْثِيقِ أَوْ يَتَوَلَّى فِيهَا الْقَضَاءَ: تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَجَايَةِ مَعَ الصَّلَاةِ فِي جَامِعِهَا الْأَعْظَمِ؛ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ مِرَاراً فِي تُونِسَ وَأَصْبَحَ فِيهَا قَاضِي الْقَضَاةِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ تَخَلَّى فِي أَوَاخِرِ عُمُرِهِ عَنِ الْعَمَلِ لِلتَّكْسِبِ وَعَنِ الْمَنَاصِبِ ثُمَّ تَفَرَّغَ لِلرَّوَايَةِ وَالْإِفَادَةِ (التَّدْرِيسِ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي تُونِسَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَيْضاً مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ (١١/١٢/١٢٩٣ م).

٢- ابْنُ الْغَمَّازِ الْبَلَنْسِيُّ فِي الْأَصْلِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ. وَكَانَ شَاعِراً مُحْسِناً سَهْلَ الْقَوْلِ وَاضِحَ الْمَعَانِي، وَعَلَى شِعْرِهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ وَدَلَائِلُ مِنَ الْإِخْلَاصِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ الْغَمَّازِ الْبَلَنْسِيُّ فِي رَجَاءٍ عَفْوِ اللَّهِ:

وَقَالُوا: أَمَا تَخْشَى ذُنُوباً أَتَيْتَهَا، وَلَمْ تَكُ ذَا جَهْلٍ فَتَعْذَرَ بِالْجَهْلِ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَبْنِي^(٢) كَمَا قَدْ ذَكَرْتُمْ: تَجَاوَزْتُ فِي قَوْلِي وَأَسْرَفْتُ فِي فِعْلِي؛
أَمَا فِي رِضَا مَوْلَى الْمَوَالِي وَصَفِّحِهِ رَجَاءٌ وَمَسَلَّةٌ لِمُقْتَرِفٍ مِثْلِي^(٣)!

- وَقَالَ فِي مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ:

أَمَا أَنَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَحْشَعَا؟ أَمَا أَنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يُقْلَعَا^(٤)؟
أَلَيْسَ الثَّمَانُونَ قَدْ أَقْبَلْتُ فَلَمْ تُبْقِ فِي لَذَّةٍ مَطْمَعَا؟
تَقْضَى الزَّمَانُ وَلَا مَطْمَعٌ لَهَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا.
تَقْضَى الزَّمَانُ، فَوَاحَسَرْتَا لَهَا فَاتٌ مِنْهُ وَمَا ضِيْعَا.

(١) عَاشُورَاءُ: الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْحَرَمِ (الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ الْأَوَّلِ). هَذَا الْيَوْمُ يَقَعُ (مِنْ سَنَةِ ٦٠٩ هـ) فِي ١٢/٦/١٢٩٢ م.

(٢) هَبْنِي (عَلَى التَّجْرِيدِ: مَخَاطَبَةُ النَّفْسِ): لَا أَفْرُضُ أَنَا أُنِي...

(٣) مَوْلَى الْمَوَالِي: اللَّهُ. الْمَسَلَّةُ: الْمَلَى وَالسَّلْوُ (النِّسْيَانُ وَالتَّمَرُّزُ). الْمُقْتَرِفُ: الْمُرْتَكِبُ (لِلذُنُوبِ الْكَبِيرَةِ).

(٤) أَن: حَانَ، اقْتَرَبَ (أَلَمْ يَأْتِ الْوَقْتُ بَعْدَ). أَقْلَعُ: رَجَعَ (عَنِ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ).

وَيَا وَيْلَتَاهُ لِيَذِي شَيْبَةٍ يُطِيعُ هَوَى النَّفْسِ فِيمَا دَعَا؛
وَبُعْدًا وَسُخْقًا لَهُ إِذْ غَدَا يُسَمِّعُ وَعَظًا وَلَنْ يَسْمَعَا^(١)!
- وقال في التسليم لله في كلِّ شيء:

يَا صَاحِبَ الْهَمِّ، إِنَّ الْهَمَّ مُنْفَرَجٌ؛ كَمْ مِنْ أُمُورٍ شِدَادِ فَرَجِ اللَّهِ!
الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ. لَا تَيَاسَنَّ فَإِنَّ الْفَاتِحَ اللَّهُ.
اللَّهُ حَسْبُكَ فِيمَا عُدْتَ مِنْهُ بِهِ، وَأَيْنَ يَأْمَنُهُمْ مَنْ حَسْبَهُ اللَّهُ^(٢).
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ، مَا لَأَمْرِي حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ.
سَلِّمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا شَاءَ وَأَرْضَ بِهِ، فَالْخَيْرُ أَجْعُ فِيمَا يَصْنَعُ اللَّهُ.

٤- ** عنوان الدرر الـ ١٢٩ - ١٣٠؛ الدياج ٧٦ - ٧٩؛ نفع الطيب ٣٠٦ - ٣١٧،
٣٢١ - ٣٢٢، ٣٣٩ - ٣٤٠؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣٤؛ درة المجال ٧٩ - ٨٠؛
الأعلام للزركلي ١: ٢١٢ - ٢١٣ (٢٢١).

حافي رأسه

١- هو الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي
محمد الزناتي الكملاني^(٣) (نسبة إلى قبيلة من البربر) الإسكندراني (نسبة إلى
إسكندرية مصر) الملقب «حافي رأسه»^(٤).

- (١) الحق: البعد الشديد. بعداً وسحقاً جملة تقال في الدعاء على المذنب.
- (٢) حسبك: يكفيك، كافيك. عذت (التجأت) منه (من الذنب) به (بالله). يأمنهم (كذا في الأصل!).
- (٣) الكملاني (من بنية الوعاة ٥٧).
- (٤) في الوافي بالوفيات (٣: ٣٦٥): «لقب بحافي رأسه لحفرة كانت في دماغه (انخفاض في صدغه). وقيل: كان في رأسه شيء يشبه (حرف) ح. وقيل: لأنه كان في أول أمره مكشوف الرأس، فرآه رئيس في الثغر (الإسكندرية) فأعطاه ثياباً جُددًا. فقال له: هذا لبدي، ورأسي حاف. فأمر له بعمامة. فلزمه ذلك اللقب». من أجل ذلك يحسن أن يلفظ لقبه: حافي (بكسرتين) رأسه (بالرفع: ضم السين) على أن «رأسه» «فاعل» «حاف».

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَافِي رَأْسَهُ فِي تَاهَرْتِ^(١)، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).
ويبدو أَنَّهُ رَحَلَ مُنْذُ مَطْلَعِ شَبَابِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ أَخَذَ فِعْلاً عَنْ عَبْدِ الْمَنَعِمِ بْنِ صَالِحِ
التَّمِيمِيِّ (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْهِجْدِ الصُّفْرَاوِيِّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ)،
وَكِلَاهُمَا حِجَازِيٌّ الْأَصْلُ إِسْكَندَرَانِيٌّ الدَّارِ. وَقَدْ أَخَذَ أَيْضاً عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
مَخْلُوفِ الْإِسْكَندَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَاسْتَقَرَّ حَافِي رَأْسَهُ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ (فَعُرِفَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالْإِسْكَندَرَانِيِّ) وَتَصَدَّرَ
لِلتَّدْرِيسِ فِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ هـ^(٢) (صَيْف ١٢٩٤ م).

٢ - كَانَ حَافِي رَأْسَهُ مِنْ أُمَّةٍ الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ)، قَالَ الصَّفْدِيُّ^(٣):

«هُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُحَمَّدينَ - مِنْ كِبَارِ النَّحَاةِ - فِي عَصْرِ وَاحِدٍ: حَافِي رَأْسَهُ فِي
الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَبِهَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّحَّاسُ (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) فِي مِصْرَ
(الْقَدِيمَةِ: مَدِينَةُ عَمْرُو بِالْفُسْطَاطِ) وَابْنُ مَالِكٍ (ت ٦٧٢ هـ) فِي دِمَشْقَ. وَكَانَ لِحَافِي رَأْسَهُ
شَعْرٌ».

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شَعْرِهِ

- قَالَ حَافِي رَأْسَهُ يَشْكُرُ الْحُبُوبَ الَّذِي عَلَّمَهُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَجْرِ:

أُمُوعِلْمِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ بِهَجْرِهِ فَنَنِي فَوَادَاً عَنْهُ لَمْ يَكُ يَنْتَنِي.
لَا بُدَّ مِنْ أَجْرِ لِكُلِّ مُعَلِّمٍ. وَإِلَى السَّلْوِ ثَوَابُ مَا عَلَّمْتَنِي^(٤).

- وَقَالَ يَهْجُو مُتَكَبِّراً (وَيُجْرِي هَذَا الْهَجَاءُ فِي تَوْرِيَّةٍ نَحْوِيَّةٍ بَيْنَ رُفْعَةِ الْقَدَرِ
وَالرَّفْعِ فِي النَّحْوِ ثَمَّ بَيْنَ جَرِّ طَرَفِ الثَّوْبِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِلتَّكَبُّرِ وَالْحِيلَاءِ وَبَيْنَ الْجَرِّ

(١) فِي الْوَاقِفِ بِالْوَفَايَاتِ (٣: ٣٩٥، السُّطْرُ الثَّانِي): وَلِدَ بِتَلْمَسَانَ... بِظَاهِر. وَفِي بَنِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٥٧، السُّطْرُ
الثَّالِثُ مِنْ أَسْفَل): وَلِدَ بِتَاهَرْتِ بِظَاهِرِ تَلْمَسَانَ.

(٢) مِنْ بَنِيَةِ الْوَعَاةِ: سَنَةُ ٦٩٣ أَوْ ٣٩١ (عَنْ أَثِيرِ الدِّينِ أَبِي حَيَّانَ). وَفِي فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ: سَنَةُ ٦٨٠.

(٣) الْوَاقِفِ بِالْوَفَايَاتِ ٣: ٣٦٥.

(٤) فِي الْأَصُولِ: وَإِلَى السَّلْوِ (وَالْمَعْنَى غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ). اقْرَأْ: وَلِي السَّلْوِ أَوْ وَلَكَ السَّلْوُ (لَكَ مِنِّْي السَّلْوُ: نِيَانُ
الْحُبِّ) أَجْرًا عَلَى تَعْلِيمِكَ إِيَّايَ الصَّبْرَ.

في النحو. ثم هنالك طباق بين «الرفع» و«الجر»:

وَمُعْتَقِدٍ أَنَّ الرِّئَاسَةَ فِي الْكِبَرِ، فَأَصْبَحَ مَقْمُوتًا بِهَا وَهُوَ لَا يَذَرِي:
يَجْرُ ذُبُولَ الْكِبَرِ طَالِبَ رُفْعَةٍ. أَلَا فَاغْجَبُوا مِنْ طَالِبِ الرِّفْعِ بِالْجُرِّ!

- ويبدو أنه افتقر فباع كُتُبَهُ فَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ نَوْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ الصَّوَابِيِّ
يَطْلُبُ مِنْهُ عَوْنًا. فِي الْبَيْتَيْنِ تَوْرِيَّتَانِ: الصَّوَابِ (الْحَقُّ، الْإِصَابَةُ) وَالصَّوَابِي (لَقَبُ الْأَمِيرِ
نَوْرِ الدِّينِ) ثُمَّ «بَلَا كِتَاب» (بَلَا كِتَاب فِي مَكْتَبَتِي - بَلَا كِتَاب مُنْزَل):

شَكَوْتُ إِلَيْكَ، نَوْرَ الدِّينِ، حَالِي، وَحَسَنِي أَنْ أَرَى وَجْهَ الصَّوَابِ.
وَكُنْتِي بِعَثْمَا وَرَهْنَتْ، حَتَّى بَقِيتُ مِنَ الْمَجُوسِ بَلَا كِتَاب!

٤- ★★ فوتات الوفيات ٢: ٢٨٤-٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٤-٣٦٦؛ بغية الوعاة
٥٧-٥٨؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٨-١٥٩.

عبد العزيز الملزوزي

١- هو عبدُ العزيز بن عبد الوَّهاب بن محمد الملزوزي النَّجَّارُ المِكنَاسِيُّ، كان شاعرَ
البَلَّاطِ المَرِينِيِّ أَيَّامَ الْمَنْصُورِ يَعْقُوبَ بن عبدِ الْحَقِّ (٦٦٧-٦٨٤ هـ) وابنه يوسفُ
(٦٨٥-٧٠٦ هـ). وقد رافقَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورَ فِي مُعْظَمِ حَمَلَاتِهِ فِي الْمُدَوَّةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ
وَفِي الْأَنْدَلُسِ. وَكَانَ الْمَنْصُورُ يُكْرِمُهُ، أَجَازَهُ عَلَى قَصِيدَتِهِ «بِحَمْدِ اللَّهِ أَفْتَتِحُ الْخِطَابَا»
بمِثْرَةِ آلاَفِ دِينَارٍ! وَأَجَازَ مُنْشِدَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَبُو زَيْدٍ الْغَرَابِلِيُّ بِأَلْفِ دِينَارٍ!

وكانت وفاة عبد العزيز الملزوزي سنة ٦٩٧ (١٢٩٧-١٢٩٨ م).

٢- عبدُ العزيز الملزوزيُّ شاعرٌ مُكثِّرٌ لَهُ قِصَائِدُ طَوَالٍ وَمُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ فِي الْمَدْحِ
وَالْوَصْفِ وَالنَّسِيبِ. وَقَدْ حَاوَلَ نَظْمَ مَلَا حَمَّ تَوَفَّرَ لَهُ فِيهَا عُنْصُرَا الْإِطَالَةِ وَالسَّرْدِ
التَّارِيخِيِّ لَسِيرِ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَوَفَّرْ لَهُ فِيهَا عُنْصُرَا الْخَيَالِ وَالْقَصَصِ الْمُحْكَمِ. ثُمَّ هُوَ
مُؤَلِّفٌ لَهُ كِتَابٌ فِي تَارِيخِ الْمَغْرِبِ (لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عُنْوَانًا). وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ «نَظْمُ السُّلُوكِ فِي مَنْ
نَزَلَ الْمَغْرِبَ مِنَ الْمُلُوكِ».

٣- مختارات من شعره

- قال عبد العزيز المزلوذي:

لَمَرَّاكْشِ فَضْلَ عَلَى كُلِّ بَلَدَةٍ، وما أَبْصَرْتُ عَيْنٌ لَهَا مِنْ مُشَابِهِ.
وما هِيَ إِلَّا جَنَّةٌ قَدْ تَزَخَّرَتْ، وَلَكِنَّهَا حُفَّتْ لَنَا بِالْمَكَارِهِ^(١).

- وقال في النسيب:

أَعْلِمْتَ بَعْدَكَ زَفَرْتِي وَأُنِي وصَبَّابِي يَوْمَ النَّوَى وَشُجُونِي^(٢)؟
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ مَا رَكَنْتُ لِرَاحَةٍ يوماً، وَلَا غَاضَتْ عَلَيْكَ شُؤُونِي^(٣).
قَدْ كُنْتُ أَبْكِي الدَّمْعَ أَيْضًا نَاصِعاً، فَالْيَوْمَ تَبْكِي بِالْدِّمَاءِ جُفُونِي.
قُلْ لِلَّذِينَ قَدْ ادَّعَوْا قَرْطَ الْهَوَى: إِنْ شِئْتُمْ عَلِمَ الْهَوَى فَسَلُونِي.
إِنِّي أَخَذْتُ كَثِيرَهُ عَنْ عُرْوَةٍ وَرَوَيْتُ سَائِرَهُ عَنِ الْمَجْنُونِ^(٤).

- وقال يرفعُ نَسَبَ بني مرِّين - وهم فَخِذٌ مِنْ زَنَاتَةٍ - إِلَى قَيْسِ عَيْلَانَ مِنْ عَرَبِ الشَّالِ:

قَدْ جَاوَرْتُ زَنَاتَةَ الْبَرَابِرَا فَصَيَّرُوا كَلَامَهُمْ كَمَا تَرَى^(٥).
مَا بَدَّلَ الدَّهْرُ سِوَى أَقْوَالِهِمْ وَلَمْ يُبَدِّلْ مُنْتَهَى أَحْوَالِهِمْ^(٦).
بَلْ فَعَلَهُمْ أَرْبَى عَلَى فِعْلِ الْعَرَبِ فِي الْحَالِ وَالْإِيثَارِ ثُمَّ فِي الْأَدَبِ^(٧).

(١) تزخرفت: تزينت. في الحديث الشريف: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارَةِ» (أي أن استحقاق الدخول إلى الجنة يقتضي القيام ببعد من الأعمال - الواجبات وأوجه الإحسان - . وهذه ثقيلة في العادة على النفس الإنسانية).

(٢) الصبابة: الحب. النوى: البعاد (الفراق). الشجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٣) الشأن: مجرى الدمع من العين.

(٤) عروة بن حزام (بكسر الحاء) ومجنون بني عامر (قيس بن الملوّح: بفتح الواو المشددة) من الثمراء المحبين المذريين في العصر الأموي.

(٥) - أصبح كلام بني زناة الآن قريباً من البربرية لأنهم بربر، بل لأنهم جاوروا البربر!

(٦) - لغتهم أصبحت بربرية، ولكن أفعالهم لا تزال عربية!

(٧) أرى: زاد. الإيثار: تفضيل الآخرين على النفس. حَتَّى أَنَّ النَّتَاجَ الْأَدْبِيَّ فِي زَنَاتَةٍ (في النثر والثر) أَحْسَنَ مِنْهُ عِنْدَ الْعَرَبِ الْأَقْعَاجِ.

فَانْظُرْ كَلَامَ الْعَرَبِ قَدْ تَبَدَّلَا وَحَالُهُمْ عَنْ حَالِهِ تَحَوَّلَا^(١)؛
 لَا يَعْرِفُونَ الْيَوْمَ مَا الْكَلَامُ، وَمَا لَهُمْ نُطْقٌ وَلَا إِفْهَامُ^(٢).
 كَذَاكَ كَانَتْ قَبْلَهُمْ مَرِينُ كَلَامُهُمْ كَالدُّرِّ إِذْ يَبِينُ^(٣).
 فَاتَّخَذُوا سِوَاهُمْ خَلِيلًا فَبَدَّلُوا كَلَامَهُمْ تَبْدِيلًا

٤ - ** الاستقصاء ٢ : ٣١ ؛ الأدب المغربي ٢٢٦ - ٢٣٠ ؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ (ترجمته)،
 ٩١٢ إلخ.

بدر الدين بن هود

١ - هو بدر الدين أبو علي الحسن بن علي بن يوسف بن هود الجذامي المُرسي، قيل
 هو أخو المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود المستبد ببقية الأندلس في أيامه
 (٦٢١ - ٦٣٥ هـ)^(١).

وُلِدَ بدر الدين بن هود في مُرْسِيَّة، سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م).
 وَاشْتَغَلَ حِينًا بِالطَّبِّ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ صَحِبَ الْمُتَصَوِّفَ أَبْنَ سَبْعِينَ (ت ٦٦٩ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ
 حَجَّ وَدَخَلَ الْيَمْنَ وَقَدِمَ إِلَى الشَّامِ وَأَسْتَقَرَّ فِي دِمَشْقَ حَيْثُ تُوُفِّيَ فِي ٢٦ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ
 ٦٩٩ (١٣٠٠/٦/١٦ م).

٢ - يبدو أن بدر الدين بن هود كان ذا اضطراب عصبي فاتَّجَع مُنْذُ مُطْلَعِ حَيَاتِهِ إِلَى
 سُلُوكِ الْأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ عَادَةً أَوْ دَعَايَ وَنَشَأَ عِنْدَهُ قِلَّةٌ مُبَالَاةٍ بِالْعُرْفِ الْأَجْتَامَعِيِّ

(١) - حتَّى الْعَرَبِ الطَّارِثُونَ عَلَى الْمَغْرِبِ تَبَدَّلَتْ لَهْجَتُهُمْ لِأَنَّهُمْ هُمْ أَيْضًا جَاوَرُوا الْبَرَبِرَ.

(٢-٣) الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ مَلُوحٌ مِنْ أَسْتِقْرَاءِ الْأَيَّاتِ السَّابِقَةِ.

(٤) يسوق الصفدي (الوافي بالوفيات ١٢ : ١٥٦) نسب بدر الدين بن هود على الصورة التالية: الحسن بن علي
 أبو علي بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥) أبي عبد الله
 أبني يوسف بن هود. ويسوقه الصلاح الكشي (فوات الوفيات ١ : ١٦٣) : الحسن بن عضد الدولة أبي
 الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس بن يوسف بن هود الجذامي. والنسبان غير واضحين. غير أن
 مراجعة تاريخ الوفاة لبدر الدين هذا ولملك الأندلس يمكن أن يدلَّ على أنَّ ابن هود ملك الأندلس عمَّ
 بدر الدين صاحب هذه الترجمة (راجع - مثلاً - زامباور ٩٣).

والديني. حَدَّثَ لَهُ زُهْدٌ مُفْرَطٌ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَصَحِبَ ذَلِكَ غَفْلَةً شَدِيدَةً فَكَانَ يُرَى كَأَنَّهُ غَارِقٌ فِي التَّفَكِيرِ مُتَّصِلُ الْحُزْنِ كَثِيرُ الْإِتْقَابِضِ عَنِ النَّاسِ، وَشَرِبَ مَرَّةً الْخَمْرَ عَلَنًا وَلَمْ يُيَالِ بَلْوَمِ النَّاسِ فَكَانَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «وَمَا جَرَى؟ أَبْنُ هُوْدٍ شَرِبَ خَمْرًا». وَكَثُرَ الشُّطْحُ^(١) فِي كَلَامِهِ وَفِي أَعْمَالِهِ، فَكَانَ، مَثَلًا، إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَسْتَقْبَلَهَا وَصَلَّبَ عَلَى وَجْهِهِ. فَعَدَّ نَفَرٌ كَثِيرُونَ ذَلِكَ مِنْهُ خُرُوجًا عَنِ الْإِسْلَامِ. فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَمَاعَةَ (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ).

وبدُرُ الدين بن هودٍ شاعرٌ مُكْتَبِرٌ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، فِي بَعْضِ شِعْرِهِ تَلْمِيحٌ وَفِي بَعْضِهِ تَصْرِيحٌ. وَبَعْضُ شِعْرِهِ مَتِنٌ السَّبْكِ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ. وَكَانَ يَمِيلُ فِي تَصَوُّفِهِ إِلَى وَحْدَةِ الْوُجُودِ أَوْ الْإِتِّحَادِ^(٢)، وَهُوَ - فِي ذَلِكَ - كَثِيرُ الشَّبَهِ بِعَمَرَ بْنِ الْفَارُضِ.

٣- مختارات من شعره

- قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ هُوْدٍ الْمَرْسِيُّ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ:

فَوَادِي مِنْ مَحْبُوبٍ قَلْبِي لَا يَخْلُو،	وَسِرِّي عَلَى فِكْرِي مَحَاسِنَهُ يَخْلُو ^(٣) .
أَلَا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ: يَا مَنْ بَذَكَرَهُ	عَلَى ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي شَاهِدُهُ عَدْلُ ^(٤) ،
تَجَلَّيْتُ لِي مَنِّي عَلَيَّ فَأَصْبَحْتُ	صِيفَاقِي تُنَادِي: مَا لِمَحْبُوبِنَا مِثْلُ ^(٥) !
أُورِّي بِذِكْرِ الْجَزَعِ عَنِّي وَبَانِهِ؛	وَلَا الْبَانُ مَطْلُوبِي وَلَا قَصْدِي الرَّمْلُ ^(٦) .
وَأَذْكُرُ سَعْدِي فِي الْحَدِيثِ مُغَالِطًا	وَلَيْلِي؛ وَلَا لَيْلِي مُرَادِي وَلَا جُمْل.

(١) الشطح: كلام عليه رعونة (خفة وحق وخروج عن المؤلف).

(٢) مذهب الوحدة (وحدة الوجود) أو الإِتِّحَاد (في التصوف): أن يفقد المتصوف شخصيته ثم تتحقق ذاته في الله فيفقد الإنسان ويتقى الله.

(٣) سِرِّي مجلو (يظهر) محاسن محبوبي لفكري.

(٤) على ظاهري من باطني (راجع الحاشية السابقة): سلوكي الظاهر المخالف لاعتقاد الناس تسوغه (تجيزه) معرفتي الباطنة.

(٥) تجلّيت لي مني عليّ (راجع الحاشيتين السابقتين): المتصوف لا يستدل بالمنطق وبالبراهين الخارجية، بل بما يقع في قلبه (في نفسه) من الاقتناع الذاتي (أو الوهم).

(٦) ورى: ذكر شيئاً وهو يريد غيره. الجزع: منعطف الرمل. البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة سمراء.

ولم أرَ في المُشاقِّ مثلي، لأنَّني
سِوَى معشرٍ حلَّوا النِّظامَ ومزَّقوا الثِّـ
مَجانين، إلَّا أنَّ ذلَّ جُنُونهم
تَلَدُّ لي البَلوى ويحلُّو لي العَدْلُ^(١)،
سياب؛ فلا فَرَضٌ عليهم ولا نَفْلُ^(٢)؛
عزير؛ على أعتابهم يسجدُ العقل^(٣)!

- وله في مثل ذلك (في العزة الإلهية):

خُضْتُ الدُّجَنَةَ حتَّى لاحَ لي قَبَسٌ
وبانَ بَانَ الحِمى من ذلك القَبَسِ^(٤).
قُلتُ للقوم: هذا الرِّبْعُ رَبِّعُهُمْ؛
وقلتُ للعين: غُضِّي عن محاسِنه؛
وقلتُ للنُّطق: هذا موضعُ الحَرَسِ!
- وقال بدر الدين بن هود أيضاً:

عَلِمَ قومي بِي جَهْلُ
أنا عبْدٌ، أنا ربُّ؛
أنا دُنْيَا، أنا أُخْرَى،
أنا مَشُوقٌ لـذَاقِي،
فوقَ عَشْرِ دُونَ تِسْعِ
إِنَّ شأني لأَجَلُ^(٥).
أنا عِزٌّ، أنا ذُلٌّ^(*).
أنا بَعْضٌ، أنا كُلُّ.
لستُ عَنِّي الدَّهْرَ أُسْلُو.
بَيْنَ خَمْسِ لي مَحَلُّ^(٧).

٤- ** الوافي بالوفيات ١٢: ١٥٦-١٥٩؛ فوات الوفيات ١: ١٦٢-١٦٣؛ المعبر للذهبي
٥: ٣٩٧؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٢١ (٢٠٣).

- (١) البلوى: المحنة (المصيبة الكبيرة). العذل: اللوم (بلا سوغ).
- (٢) حلَّوا النظام: تركوا التقيّد بالغرف السائد. مزَّقوا الثياب: تركوا مظاهر الأمور وعملوا بحقائقها (في ظنهم أو وهمهم). الفرض (الواجب في الدين). النفل (ما يقوم به الإنسان متطوعاً): صوم رمضان فرض على المسلم البالغ العاقل الصحيح (غير المريض). أمّا صوم غيره من الأيام فهو نفل.
- (٣) عزير: قوي (نفس، نادر، مرغوب فيه).
- (٤) الدجّة: الظلام. قبس: (شيء يؤخذ من النار) العرّة الإلهية. بان: ظهر. البان: نبات أغصانه مستقيمة. الحمى: المكان الحصين. بان الحمى (مدرك الألوهية).
- (٥) الربع: المسكن.. الحدس (يسكون الدال): الظن، التوهم.
- (٦) أجل: أرفع، أعلى قدرًا. * كلمة «أنا» تُرسم «أنا» ولكن تُلفظ «أن» (بإسقاط «الألف»).
- (٧) البيت غير واضح (لعل المقصود: لي وجود في كل مكان).

ابن فرح^(١) الإشبيليُّ

١- هو شهابُ الدين أبو العباسِ أحمدُ بنُ فرح بنِ أحمد بنِ محمد بنِ فرح اللّخميّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م). وفي سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) استولى فرديناندُ الثالثُ مَلِكُ قُشتالة على إشبيلية فكان ابن فرح في الذين وقعوا في الأسر (وهو في مطلع شبابه) فاستطاع الهرب. ثمّ إنّه رَحَلَ إلى مِصرَ في أوائلِ عَشْرِ الخسین (بُعيد ٦٥٠ هـ) وتَفَقَّه فيها على العِزِّ (عِزُّ الدين عبد العزيز) بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠ هـ) وسَمِعَ من شرف الدين الأنصاري الحمويّ وأحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزّوزٍ والنجيب بن الصيقل وابن علاّق. ثمّ إنّه انتقل (بعد مُدّة) إلى دِمَشقَ فَسَمِعَ من ابن عبد الدائم (٥٧٥-٦٦٨ هـ). ثمّ كانت له في الجامع الأمويّ حَلَقَةٌ مشهودة.

وكانت وفاة ابن فرح الإشبيليّ في دِمَشقَ في تاسعِ جُمادى الثانية من سنة ٦٩٩ (١٣٠٠/٣/٢ م).

٢- كان ابن فرح الإشبيليّ من علماء الحديث ورواته ومن الفقهاء. وهو ناظمٌ مقتدر، اشتهر بقصيدته (القصيد الغرامية) وهي منظومة غزلية (ظاهرها غزل) في ألقاب الحديث. هذه القصيدة عشرون بيتاً جمَعَ فيها ابن فرح عدداً من أسماء الحديث. وقد كان لها شهرةٌ، رواها عنه كثيرون وشرحها كثيرون آخرون^(٢). وله أيضاً: شرح الأربعين (حديثاً) للتّوّي.

٣- مختارات من شعره

من قصيدة ابن فرح الإشبيليّ في ألقاب الحديث^(٣).

-
- (١) فرح بسكون الراء، وقد نصّ المقرئ على ذلك (نفع الطيب ٢: ٥٣١).
(٢) في نفع الطيب (٢: ٥٣١): وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم. (راجع ما طبع من هذه الشروح (بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٥).
(٣) جعلت كلّ لقب من ألقاب الحديث مطبوعاً بحرف غليظ. ولم أقصر هذه الألقاب لأنّها ترد هنا في =

غرامي صحيحٌ والرجافيك مُفضِّلٌ^(١)،
 وصَبْرِي عنكم يشهدُ العقلُ أَنَّهُ
 ولا حَنٌّ إِلَّا سَمَاعُ حَدِيثِكُمْ
 وأَمْرِي موقوفٌ عليك، وليس لي
 ولو كان مرفوعاً إليك لَكُنْتُ لي
 وعَذْلٌ عَذُولِي مُنْكَرٌ لَا أُسِغُهُ
 أَقْضِي زَمَانِي فِيكَ مُتَّصِلَ الْأَسَى
 خُذِ الْوَجْدَ عَنِّي مُسْنِداً وَمُعْنِئاً
 غَرِيبٌ يُقَاسِي الْبُعْدَ عَنْكَ، وما له
 فَرَقْتاً بِمَقْطُوعِ الْوَسَائِلِ مَا لَهُ
 أَوْرِي بِسُعْدَى وَالرَّبَابِ وَزَيْنَبِ،^(٢)

وَحُزْنِي وَدَمِي مُطْلَقٌ وَمُسْلَلٌ.
 ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ، وَذَلِّي أَجْمَلٌ.
 مُشَافَهَةٌ يُمَلِي عَلَيَّ فَأَتَّقُلُ.
 عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُؤَلَّ.
 - عَلَى رُغْمِ عُدَالِي - تَرَقُّ وَتَعْدِلُ.
 وَزُورٌ وَتَدْلِيسٌ!! يُرَدُّ وَيُهْمَلُ.
 وَمَنْقَطَعاً عَمَّا بِهِ أَتَوَصَّلُ.
 فَغَيْرِي مَوْضُوعُ الْهَوَى يَتَحَيَّلُ.
 وَحَقُّ الْهَوَى عَنْ دَارِهِ مُتَحَوَّلُ.
 إِلَيْكَ سَبِيلٌ لَا وَلَا عَنْكَ مَعْدِلُ.
 وَأَنْتَ الَّذِي تُغْنِي وَأَنْتَ الْمُؤَمَّلُ.

٤- ** الوافي بالوفيات ٢: ١٤٢؛ درة المجال ١: ٣٦-٣٧؛ نفح الطيب ٢
 ٥٢٨-٥٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٣-٤٤٤؛ بروكلمان ١: ٤٥٩، الملحق ١
 ٦٣٥؛ الأعلام للزركلي ١: ١٨٦ (١٩٤-١٩٥)؛ نيكل ٣٦٠.

مالك بن المرحّل

١- هو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج
 المعروف بابن المرحّل، وُلِدَ فِي مَالَقَةَ سَنَةِ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧-١٢٠٨ م). أَخَذَ عَنْ أَبِي
 عَلِيٍّ الشُّلُوبِيِّ (ت ٦٤٥ هـ) وَابْنِ الدَّبَّاجِ وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْأَمَاكِنَ بَعْضُهَا
 فِي نَوَاحِي غَرْنَاطَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَسَكَنَ سَبْتَةَ وَتَعَاطَى فِيهَا صِنَاعَةَ التَّوْثِيقِ،

= «توريات» (المعنى اللفظي اللغوي في مقابل المعنى الفني). يطول شرحها، مع أن المقصود ليس غامضاً.
 أما ألقاب الحديث: صحيح سلسل موقوف مرفوع ضعيف إلخ فهي موجودة في معظم القواميس.
 (١) المضل: المرض الذي عجز الأطباء عن مداواته.
 (٢) أوري (أوهم) بمعدي إلخ (إن تغزلي بهؤلاء النسوة....).

وقد آجازه في ذلك أبو القاسم بن بقي.

تقرَّب مالك بن المرحَّل من المنصور المُرَيْني (٦٥٦-٦٨٥ هـ) وخصَّه بمدايحِهِ. وكانت وفاة مالك بن المرحَّل سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩-١٣٠٠ م) في سَبْتَةٍ.

٢- كان مالك بن المرحَّل السبتي مُشاركاً في عددٍ من العلوم كاللِّغة واللُّغة والنَّحو، كما كان من مشاهير الأدباء (نفح الطيب ٢: ٥٥١) كاتباً ومُترسِّلاً وشاعراً. وفنونُ شعرهِ مديحٌ وبديعياتٌ^(١) ووصفٌ وتحليلٌ مع شيءٍ من المَرَح أحياناً ومن التَّهكُّم في نثرهِ وشعرهِ. وكان له عددٌ من الآثار: ديوان شعرهِ - كتاب دوبيت^(٢) - أرجوزة نظَّم بها «فصبح ثعلب»^(٣) - الواضحة (نظم في الفرائض: تقسيم الإرث) - أرجوزة في النحو - الموطَّاة - التَّبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير (عارض به الشاطبية)^(٤) - العَروض - الرمي بالحِصا والضرب بالعِصا - الوسيلة الكبرى المَرْجُو نفعُها في الدنيا والأخرى (رتَّبها على حروف المعجم والتزَم افتتاح أبياتها بحروف الروي)^(٥) - المُصنَّات النبويَّة (على نسق «الوسيلة الكبرى»، ولكنَّ عددَ الأبيات في كلِّ مقطوعة أقلَّ) - العشریات الزهدية (لآثار الثلاثة الأخيرة في مدح الرسول).

٣- مختارات من آثاره

- وقَعَ في كلام ابن المرحَّل تعبيرٌ هو «كان ماذا» فخطَّاه ابن أبي الربيع النحوي وقال: الصوابُ «ماذا كان». فجَرَتْ بين الاثنين مُناظراتٌ لم يَصِلْ إلينا ممَّا قاله فيها ابنُ أبي الربيع شيءٌ، ولكنَّ وَصَلَ إلينا بعضُ ما قاله ابنُ المرحَّل. من ذلك:

عابَ قومٌ «كان ماذا» لِيَتَ شِعْري لِمَ هَذَا.

(١) البديعية: قصيدة في مدح الرسول.

(٢) مثاني (مزدوجات: بيتان بيتان من الشعر) من الوزن الفارسي وعلى تقفية معينة.

(٣) هو أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) من أئمَّة اللغة والنحو ومن رواة الشعر.

(٤) أرجوزة في القراءات للقاسم بن فيرِّه الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ).

(٥) راجع موشحته في «مختارات من آثاره». على حروف المعجم (على جميع أحرف الهجاء، من الألف إلى الياء. وكلَّ بيت في الموشحة - مجموع أسطر - يبدأ في مطلعهِ بحرف ثم يكون هذا الحرف قافية ذلك البيت في الموشحة).

وإذا كان عابوه جهلاً دون علم، كان ماذا؟
 (ثم قال مالك بن النضر: يُخاطب ابن أبي الربيع: «يا أبا عبد الله، ما لك أن تُصيح من تحت طبقٍ على طبقٍ ليرى (١)؟» «كان ماذا؟» «ونادوا: يا مالک، ليَقْضِ علينا ربُّك! قال: إنَّكم ما كنون. لقد جئناكم بالحق، ولكن أكثركم للحقِّ كارهون» (٢).

إلى كم تُقيدُ في «كان ماذا» تقييداً بعد تقييدٍ، لقد حصلتَ منها في أمرٍ شديد. إلى كم تُعيدُ فيها وتُبدى وتُنظِّم وتُنشئ، أغركَ احتمالُ لِقْدْحِكَ وِجْوَاحِكَ وصنري على أَلَمِ جَرْحِكَ، حتَّى قلتَ: «ما جُرحٌ يَمِيتُ إلاَّ أُمَّ» (٣).

انتَهزتَ الفرصةَ في إِذَايَةِ صَبُورٍ، ودَلَّكَ حِلْعَةُ في غُرُورٍ (٤) حتَّى قلتَ: كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ احْتِمَالٍ حُبْلَةٌ لِأَجْسِي وإليها اللِّثَامُ (٥)!
 تالله، لو تُهِيتَ الأولى لَأَنْتَهتِ الآخِرَةُ (٦) ولم تكنِ الفاقرةُ تَنْبَعُها الفاقرةُ (٧). ولكنْ أغضيتُ على القذى وصبرتُ على الأذى حتَّى قيل: لو قَدَّرَ لا تَنْصَرَّ! واتَّصلَ الأمرُ فصارَ دَيْدناً (٨)، فلا جَرَمَ أَنْ أَعْقَبَ كَلَامَكَ وَأَقْبَتَ عَلَيْكَ لَأَمَّاكَ فَأَقُولُ؛ وَإِنَّا أَخاطِبُ من سَمِعَ خطايي ونظر في كتابي.

- (١) الطبق (هنا): الحال. طبقاً عن طبق: خلافاً بطح جال، أي إذا أنت ميت (بكسر الميم) فستدخل النار (راجع القرآن الكريم ٨٤: ١٩، سورة الإشراق).
- (٢) مالك: خازن جهنم (راجع القرآن الكريم ٤٣: ٧٧-٧٨ سورة الزخرف). ليقض علينا ربك: يطلبون من الله أن يميتهم (حتَّى يتخلصوا من العقاب في جهنم). ماكنون: باقون (إلى الأبد).
- (٣) شطر للمتنبي: البيت للمتنبي. البيت للمتنبي: البيت للمتنبي.
- (٤) دلى الرجل شيئاً في مكان عميق (أنزله، أغرقه).
- (٥) البيت للمتنبي. والرواية: بغير اقتدار.
- (٦) لو أنك وجدت من نهاك (نصح لك) حيناً أخطأت في المرة الأولى لَأَنْتَهتِ في الآخرة (لا أخطأت مرة ثانية ولا عوفت مرة بعد مرة).
- (٧) الفاقرة (القرآن الكريم ٧٥: ٢٥ سورة القيامة): المصيبة الكبيرة التي تكسر قنار (جمع قنارة، بالفتح فيها): عظام سلسلة الظهر.

- (٨) الديدن: العادة.
- (٩) اللام: الهول، الأمر الشديد (لا بُدَّ من أن أتابع أقوالك وأودَّ عليك الأذى الذي تريد أن تلحقه بي).

- لابن المرحّل السبّقي مَوْشَحَةٌ بديعية (في مدح الرسول) « من غرر القصائد، وفيها لزومٌ ما لا يلزم من ترتبها على حروف المعجم يجعلها (أي يجعل حروف المعجم) بدأً وروياً على اصطلاح المغرب » (نفع الطيب ٧: ٤٥٣ وما بعد): من هذه البديعية:

ألف: أَجَلُ الأنبياءِ نبيُّ
بضياؤه شمسُ النهار تُضيُّ
وبه يُؤمَلُ مُحِيزٌ ومُسيءُ
فضلاً من الله العظيم عظيمًا. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً
باء: بدأ في أفقِ مَكَّةَ كَوَكَبًا،
ثم اعتلى فَجَلًا سَنَاهُ الغَيْبَا
حتى أنارَ الدهرَ منه وأخصبا،
إذ كان فيضُ الخيرِ منه عَمِيمًا. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.
ثاء: ثَوَى في الأرضِ منه حديثُ
في كلِّ أفقٍ طيبُهُ مَبْنُوثُ.
داع بأنواعِ الهدى مَبْنُوثُ
يتلو نُجُومًا أو يَهْزُ نُجُومًا. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.
نون: نَبِيٌّ جاءنا بَيَّانُ
وبِمُعْجَزَاتٍ أُبرِزَتْ لِبَيَّانِ.
وبَحْسِهِ أن جاء بالقرآنِ
يشفي قلوباً تَشْتَكِي وجُومًا. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.
- وقال يَصِفُ قِصَرَ الليل:

وعَشِيَّةِ سَبَقَ الصَّبَاحُ عِشاءَها قِصْرًا، فما أَمْسَيْتُ حَتَّى أَسْفَرَا^(١).
مِسْكِيَّةٌ لَبَسَتْ حُلِيَّ ذَهَبِيَّةَ، وَجَلَا تَبَسُّمُهَا نِقَابًا أَحْمَرَا^(٢)؛

(١) أسفر (الصبح): بدأ، ظهر.

(٢) مسكية: كلون المسك (في السواد). لبست حلى ذهبية (تلمع من كثرة النجوم) وجلّا تبسمها (أول ظهور =

وَكأنَّ شُهَبَ الرَّجَمِ بَعْضُ حُلِيِّهَا عَثَرَتْ بِهِ مِنْ سُرْعَةٍ فَتَكَسَّرَا^(١).
 - وقال في الشعراء الذين يَفْتَتِحُونَ قصائِدَهُمْ بالغزل (مُسْتَحْسِنًا طَرِيقَتَهُمْ):
 ضَلَّ الْمُحِبُّونَ إِلَّا شَاعِرًا غَزَلًا يُطَارِحُ الْمَدْحَ بِالتَّشْبِيبِ أَوْ طَارًا^(٢)،
 لَا يَشْتَكِي الْحُبَّ إِلَّا فِي مَدَائِحِهِ - دَعَوَى - لِيُصْنِفَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا^(٣).
 كضاربِ المودِ وَشَى فِيهِ تَوْشِيَةً، وَبَعْدَ ذَلِكَ غَنَى فِيهِ أَشْعَارًا^(٤)!
 - وقال في النسيب (وقد جَانَسَ بَيْنَ عَيْنٍ حُرٍّ وَسَاقٍ حُرٍّ - وَسَاقُ حُرٍّ ذَكَرُ الْقَهَّارِي:
 الْحَمَامِ، وَهُوَ يُخَدِّثُ صَوْتًا عَذْبًا لَا يُدْرَى أَبْكَاءُ هُوَ أَمْ غَنَاءُ):
 رَبِّ رَبْعٍ وَقَفْتُ فِيهِ وَعَهْدٍ لَمْ أَجَاوِزُهُ وَالرَّكَائِبُ تَسْرِي
 أَسْأَلُ الدَّارَ - وَهِيَ قَفْرٌ خَلَاءٌ - عَنْ حَبِيبٍ قَدْ حَلَّهَا مِنْذُ دَهْرٍ،
 حَيْثُ لَا مُسْعِدٌ عَلَى الْوَجْدِ إِلَّا عَيْنُ حُرٍّ تَجُودُ أَوْ سَاقُ حُرٍّ^(٥)!

٤ - ** بغية الوعاة ٣٨٤؛ نفح الطيب ٤: ١٤٥ (مسألة «كان ماذا») ٧: ٤٥٣ - ٤٥٩؛
 أزهار الرياض، راجع ١: ٣٢؛ الأدب المغربي لتاويت ٢٢١ - ٢٢٥؛ النبوغ المغربي
 لكتّون ٢٢٥ - ٢٢٦، ٣٩٩ - ٤١٥، ٧٢٥ - ٧٢٧، ٩١٢ - ٩١٧؛ بروكلمن ١:
 ٣٢٣ - ٣٢٤، الملحق ١: ٤٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٦: ١٣٨ (٥: ٢٦٣، ٧:
 ٢٠١ - ٢٠٢).

- = (الفجر) نقاباً أحمر (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس).
 (١) شهب (نجوم الرجم): النيازك: (قطع من الحجارة تنفلت من مدارات الكواكب فتجذب نحو الأرض،
 فإذا مرّت في جو الأرض اشتعلت من احتكاكها بالهواء).
 (٢) التشبيب: الغزل. أوطار جمع وطر: غاية، مقصد (بكسر الصاد). - يطارح المدح (يجعل المدح):
 يبدأ قصائده بالغزل.
 (٣) - هو غير محبّ، ولكنّه يشكو الحبّ في شعره ليستميل الأسماع لسامع مديحه التالي.
 (٤) من عادة المودّ (ضارب المود) أن يبدأ بتقسيم (عزف يسير، قليل) قبل أن يبدأ هو بالغناء. الركايب جمع
 ركوبة (بالفتح): دابة معدّة للركوب. تسري: تسير في الليل.
 (٥) المسعد (المعين، المشارك). الوجد (ألم الحبّ). عين حرّ (رجل حرّ يكي معك فيخفف شيئاً من
 مصيبتك) أو ساق حرّ (طير يمتني فينسيك غناؤه العذب بعض أملك).

يحيى بن عليّ اليفرنّي

١- هو أبو زكريّا يحيى بن عليّ بن سلطان اليفرنّي، يبدو أنّ أصله من المغرب الأقصى^(١). وُلِدَ يحيى بن عليّ سنّة ٦٤١ للهجرة (١٢٤٣-١٢٤٤ م). وكان يُقرىء العربية (النحو) في تونس فتخرّج به نخبة من نجباء تونس حتّى أصبح له فيها صيت عظيم. وكانت وفاته سنّة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠-١٣٠١ م).

٢- كان يحيى بن عليّ اليفرنّي عالماً بالقراءة والتفسير والفقه والنحو والأدب، ولكن براعته كانت في النحو وحده فكان يُلقَّب في المشرق «جَلَّ النحو». واليفرنّي هذا يمدُّ نفسه من المجتهدين في الفقه فلا يُجيزُ مثلاً نكاح الكنايات^(٢). وهو أيضاً شاعر رقيق مُحسن.

٣- مختارات من شعره

- قال يحيى بن عليّ اليفرنّي في الغزل:

ماذا على الغصن الميَّاس لو عطفاً على صباية صبّ حالف الدنفا^(٣)؟
يا رَحمة لفؤادي من مُعذِّبه، كم ذا يُحمِّله أن يَحْمِلَ الكلفا^(٤)!
ويا رعى الله داراً ظلَّ يَجْمَعُنا في ظلِّ عيشِ صفا من صنيبه وصفا^(٥).
مودّة يَبْنِنا في الحبِّ كاملةً ونحن لا نَعْرِفُ الإعراضَ والصلفا^(٦).

٤- ★★ بغية الوعاة ٤١٢؛ نفع الطيب ٤: ١٤٦-١٤٧.

- (١) يفرن، يفران، ايفران في المغرب الأقصى. (عالمات الأدب والشعر في تونس، ص ١٠٠). (البيان، ص ١٠٠). (البيان، ص ١٠٠).
- (٢) الكناية: المرأة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى. وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، ولكن معظم فقهاء المسلمين يجيزون ذلك.
- (٣) الصباية (بضم الصاد): بقية الحياة. الصب: الحب. الدنف: اشتداد المرض والإشراف منه على الموت.
- (٤) الكلف: الولوج بالشيء، احتمال الأمر بشقّة. (البيان، ص ١٠٠). (البيان، ص ١٠٠).
- (٥) دار مؤنّثة، وقد تذكر (القاموس ٢: ٣١). الصب: ما يصيب الإنسان من نهم أو نحوه. صفا من صبيبه (لم يكن فيه ما يسيء). صفا: فاض. (البيان، ص ١٠٠). (البيان، ص ١٠٠).
- (٦) الصلف: التكبر. وفي رواية: صفا من طيبه وصفا (وهو أقرب إلى المعنى المراد). (البيان، ص ١٠٠).

ابن عبد النور الملقبي

١- هو أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد الملقبي، وُلِدَ في مالقة في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (مطلع الصيف عام ١٢٣٣ م).

يبدو أن ابن عبد النور قد آستفاد أكثر علومه من المطالعة، إذ لم يكن له اعتناء بقاء الشيوخ، ولكن أخذ في بلده القراءة عن الخطيب أبي الحسن الحجّاج بن أبي ربحانة المربلي (ت ٦٧٢ هـ) وقرأ أشياء من الجزولية في النحو^(١) على محمد بن يحيى بن مفرّج الملقبي (ت ٦٥٧ هـ).

وَرَحَلَ ابنُ عبدِ النورِ الملقبيُّ إلى المغرب ونَزَلَ في سَنَةِ حِينَا. ثم إنه عاد إلى الأندلس وجلس لإقراء القرآن الكريم في وادي آش والمرية وبرجة وغرناطة. وقد تولى القضاء حيناً آخر نيابة لا أصالة.

وكانت وفاة ابن عبد النور الملقبي في ٢٧ من ربيع الثاني من سَنَةِ ٧٠٢ (١٣٠٣/١٢/١٦ م) في المرية.

٢- كان ابن عبد النور الملقبي قياً على العربية (النحو) - إذ كانت العربية جُلِّ بضاعته - كما كانت له مشاركة في المنطق والعروض وقرض الشعر وفي فروع الفقه. وشعره وسط، ولم يكن يقصد قول الشعر، بل كان يقول ما يخطر في باله حيناً بعد حين.

وكان له تصانيف منها كتاب رصف المعاني ثم كتاب البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم) والتبصيرة (الصلاة على الرسول). وله كتاب في شرح «الكوامل» لأبي موسى الجزولي^(٢)، وله كتاب شرح فيه «مغرب» أبي عبد الله بن هشام الفهري الشواش (لم يُتمّه). ثم له جزء (كتاب صغير) في العروض وجزء في شواذ العروض. ثم شرح على كتاب الجمل الكبرى لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٢٧ هـ) وإملاء على كتاب المقرّب

(١) راجع الحاشية التالية.

(٢) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) من علماء العربية (راجع ٥:

لَا بِنِ عَصْفُورٍ، وَسَوَى ذَلِكَ قَلِيلٌ.

وكتاب «رصف المباني في حروف المعاني»، وهي (في هذا الكتاب) خمسة وتسعون حرفاً منها ثلاثة عشر مُفْرَدَةً (حرفٌ واحدٌ، نحو: الهمزة، الباء والتاء والكاف واللام والميم والسين والواو، الخ) ثمّ اثنتانِ وثمانون مركبةً (أكثر من حرفٍ واحد، نحو: كي، لا، لم، لّا، ليس، كأنّ، لوما، منذ، مع، نعم، على، في، هل، الخ). ثمّ إنّ هذه الأحرف - سوائها ما كان مُفْرَدًا أو كان مركّباً - تنقسم قسمين: عاملة (تؤثّر في الكلمات التي تدخل عليها فتجرّها أو تنصّبها إلخ) أو غير عاملة (لا تؤثّر فيما يليها: لا تُبدّل إعرابه).

٣ - مختارات من آثاره

- من شعر ابن عبد النور أبياتٌ في الغزل (لعلّ فيها اتّجاهاً صوفيّاً):

محاسنٌ مَنْ أهوى يَضِيقُ لها الشرحُ،	له الهمة العلياء والخلقُ السَّمْعُ.
له بهجةٌ يَغشى البصائرَ نورُها،	وتغشى بها الأبصارُ إنْ غلس الصُّبحُ ^(١) .
إذا ما رنا فاللَّحْظُ سَهْمٌ مُفَوِّقٌ،	وفي كلّ عضوٍ من إصابته جُرحُ ^(٢) .
إذا ما آتشتى زهواً وولّى تَبَخَّرَا	يغارُ لذاك القَدُّ من لينه الرُّمَحُ ^(٣) .
وإنْ نَفَحَتْ أزهاره عند رَوْضَةٍ	فيُخْجِلُ رِيّاً زَهْرُها ذلك النَّفْحُ ^(٤) .
هو الزمنُ المأمولُ عند ابتهاجه:	فَلَمَّتْهُ ليلٌ وغرَّتْهُ صُبحُ ^(٥) .

- (١) بهجة: حسن ونضارة. يغشى: يغطي. البصائر جمع بصيرة: قوّة الإدراك والفتنة. تغشى: تضيف، تعجز (بكسر الجيم) عن النظر. غلس (ليست في القاموس)، المقصود «غس» (يفتح فكسر): أظلم.
- (١) رنا: أدام النظر. مفوّق: له فوق (بالضمّ): شبه زاوية حادّة في أسفلها ليشت في وتر القوس عند الرمي. والشاعر يقصد «سهماً سدّداً» (يصيب الهدف).
- (٣) الزهو: العجب (بالضمّ) بالنفس. التبخّر: المشي بحال حسنة فيها هدوء واختيال (إعجاب بالنفس). - الرمح الجيّد يكون فيه لين (ينحني ولا ينكسر).
- (٤) نفح الزهر: انتشرت رائحته.
- (٥) عند ابتهاجه (عند ابتهاج الزمن): أزدهاره وأمنه وصفائه. اللمّة (بالكسر): شعر الرأس المجاور للأذن. لمّتْهُ ليل (شديدة الواد): كناية عن الشباب. وغرته (جهته، أعلى وجهه) صبح (بيضاء): كناية عن الوجاهة في الناس.

لقد خامرت نفسي مُدَامَةً حُبِّهِ، فَقَلْبِي مِنْ سُكْرِ الْمُدَامَةِ لَا يَضْحُو^(١).
وقد هام قلبي في هواهُ، فَبَرَّحْتُ بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ لِمَدَمْعِهَا سَحٌّ^(٢).

- من مقدّمة كتاب «رصف المباني في حروف المعاني»:
الحمد لله مُدَبِّرِ الْأَشْيَاءِ وَمُحْكِمِهَا وَمُقَدِّرِ الْمَنَحِ وَمُقَسِّمِهَا....^(٣)، ومُعَلِّمِهَا،
وْمُخَصِّصِ عَرِيَّتِهَا بِأَفْضَلِ الْأَمْرِ وَأَكْرَمِهَا، الَّذِي جَعَلَ الْكَلَامَ خَصِيصَةً الْبَشَرِ،
وَأَظْهَرَ بِهَا نَظَرَ النَّاطِرِ وَغَيْرَ الْمُتَعَبِّرِ (ثمَّ) ضَمَّنَهُ مِنَ الْمَعَانِي الْجَمَّةِ وَفَضَائِلِ الْحِكْمَةِ مَا لَا
يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمُ أُمَّةٍ وَلَا يُنْتَدَى إِلَى بَعْضِهِ إِلَّا بَعْدَ أُمَّةٍ^(٤).....

وبعدُ، فَإِنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ لَمَّا كَانَ أَشْرَفَ الْأَلْسِنَةِ وَشَنَشْنَةً^(٥) اتِّبَاعِ (؟) فَهْمِهِ أَحْسَنَ
شَنَشْنَةٍ، إِذْ مِنْهُ يُتَوَصَّلُ إِلَى مَقَاصِدِ الشَّرْعِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَغْرَاضِ قَوَاعِدِ الْعِلْمِ وَأَعْلَامِهِ،
وَكَانَ مُقَسِّمًا إِلَى تَقْسِيمِهِ الْمَعْرُوفِ - مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ - وَكَانَتْ الْحُرُوفُ
أَكْثَرَ دَوْرًا، وَمَعَانِي مُعْظَمِهَا أَشَدَّ غَوْرًا^(٦)، وَتَرْكِيبُ أَكْثَرِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا وَرُجُوعُهُ فِي
قَوَاعِدِهِ إِلَيْهَا، أَقْتَضَى مَا خَطَرَ مِنَ النَّظَرِ أَنْ أُبْحَثَ عَنْ مَعَانِيهَا وَأُطَالَعَ غَرَضَ
الْوَاضِعِينَ فِيهَا. فَوَحَّدْتُ مِنْهُمْ مَنْ أَغْفَلَ بَعْضُهَا وَأَهْمَلَ، وَمَنْ تَسَامَحَ فِي الشَّرْحِ وَتَسَهَّلَ،
وَمَنْ آخَتَصَرَ مِنْهَا (أَوْ) أَسْهَبَ، وَمَنْ رَكَّبَ الْبَسِيطَ وَبَسَطَ الْمُرَكَّبَ، وَمَنْ شَتَّتَ أَلْفَاظَهَا
وَعَدَّدَ، وَأَطَالَ الْكَلَامَ لَغَيْرِ فَائِدَةٍ وَرَدَّدَ.

فَدَعَانِي الْغَرَضُ الْخَاطِرُ وَالرَّفِيقُ الْعَابِرُ^(٧) (إِلَى) أَنْ أُؤَلِّفَ فِيهَا كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى

- (١) خامر: خالط. المدامة: الخمر المطبوخة بالنار (وتكون شديدة الإسكار).
- (٢) هام: سار على غير هدى. برح به الحب: آذاه وأضر به، وجعله عاجزاً (عن كتمان سره). السح: الكثير السيلان.
- (٣) المحكم: المتقن. المنحة (بالكسر): العطية.
- (٤) يصل إليه فهم أمة (عدد كبير من الناس). بعد أمة (بعد مدة طويلة من الزمن).
- (٥) الشنشنه: العادة الغالبة على الإنسان. اللهجة النازلة عن اللغة الفصحى (؟).
- (٦) أكثر دوراً (دوراً ناعاً على الألسنة): أكثر استعمالاً في الكلام. أشدَّ (أبعد) غوراً (عمقاً): غير واضحة المعاني (في استعمال الناس).
- (٧) الخاطر: الذي يبدو فجأة. العابر: المارّ اتفاقاً (هو يقصد أن تأليف كتابه لم يكن عن قصد).

شرحها وإيضاح ما خفي من مخرجها^(١) ليشتمل صدر الناظر فيه على المأمول ويُفهمه - إن شاء الله - إن أخذه بالقبول.

وسمّيته «رصف الماني في شرح حروف المعاني» ليكون اسمه وفق معناه ولفظه مُترجماً عن فقواه ونظمته على ترتيب حروف المعجم ليكون في التأليف أنبل وعلى تفهمه أسهل. وذكرت... منها على ما هو عليه في النطق من حرف واحد وأزید حتى انتهت إلى آخر حرف فيه. وعلى الترتيب المذكور اتبعت أول حرف منه - إذا كان مركباً - ما يليه من ذلك الترتيب. وما كان ناقصاً (من حروف المعجم وما كان مركباً.....^(٢))

وبيّنت ذلك كله مجملًا ومفصلاً على ما.....^(٣) الجهد وحمل على بسطه وتقصي موارده الجد. وأنهت في ذلك.....^(٤) لتكون للكتاب المزية على ما سواه. وإنما الأعمال بالنيات، ولكل أمرئ ما نواه^(٥). والله عز وجل أسترشد إلى ما يُرشد، وأستعصِدُ فما أقصِد. فما المَفْرَعُ^(٦) إلا إليه، وما التوكّل إلا عليه: إليه أفرع وعليه أتوكّل، هو حسبي ونعم الوكيل.

- من متن كتاب «رصف الماني في شرح حروف المعاني» (ص ٣١٠ - ٣١١):
أَعْلَمُ أَنَّ «ما»، في كلام العرب، لفظٌ مُشْتَرَكٌ يَقَعُ تَارَةً أَسْمًا وَتَارَةً حَرْفًا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ وَعَدَمِ عَوْدِهِ (بِحَسَبِ) قَرِينَةِ الْكَلَامِ. وَحِظْنَا مِنَ الْقَسَمَيْنِ الْحَرْفِيَّةِ^(٧) وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ مَعْنَاهَا فِي غَيْرِهَا. وَلَهَا فِي الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ:

الموضع الأول أن تكون حرفَ نَفْيٍ. وتنقسم لهذا المعنى قسمين: قسم^(٨) يدخل

(١) البرج: الثعب والأذى.

(٢) (٣ و ٤) بياض في الأصل (اقرأ: وسعي - السعي، العمل (أي حاولت الوصول إلى نهاية وقامه).

(٥) تضمين من حديث لرسول الله «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى. فمن كانت هجرته لله ورسوله (في سبيل الله وطاعة لرسول الله)، فهجرته لله ورسوله...».

(٦) المَفْرَعُ: اللجأ.

(٧) وقصدنا من البحث في «ما» على أنه حرف (حرف نفي، حرف استفهام) لا على أنها اسم موصول بمعنى الذي.

(٨) الأصح أن يقال «قسمًا» (بدل من قسم).

على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخلُ عليهما. فالحال الذي يدخل على المبتدأ والخبر للعرب فيه مذهبان: مذهب أهل الحجاز ونجد (وذلك) أن يُجروها مجرى «ليس» فيرفعوا بها المبتدأ أسماً لها وينصبوا خبره خبراً لها، فيقولوا: «ما زيد قائماً، وما عبد الله ركباً». وذلك تشبيهاً لها بـ «ليس»، إذ «ليس» هي للنفي مثلها، ودخلة على المبتدأ والخبر مثلها ونفي الحال^(١). وزاد بعضهم: وتدخل الباء في الخبر كما تدخل في خبر «ليس»، فتقول: «ما زيد بقاءم» كما تقول: «ليس زيد بقاءم».

إلا أنهم لا يفعلونها عملها إلا بثلاثة شروط: الأول ألا يدخل على الخبر «إلا» فيصير موجباً فينقض النفي من جهة النفي^(٢) إذا دخلت، فيرتفع ما بعدها على المبتدأ والخبر. والثاني ألا يتقدم الخبر على الاسم، فإن تقدم ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر لأنها حرف ضعيف لا يقوى قوة «ليس»، إذ هي فعل على ما ذكر في بابها. وعمل «ما» بحق الشيء، كما ذكر^(٣). والثالث ألا تدخل عليها «إن» الزائدة لشبهها بالنافية^(٤)، فكأنه دخل نفي على نفي فصار إيجاباً، فتقول: «ما زيد إلا قائم، وما قائم إلا أنت، وما إن زيد قائم». قال الله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾^(٥)، فهذا آجتمعت فيه الشروط. وقال تعالى: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾^(٦). وقال الشاعر:

فما إن طيننا جبن، ولكن مناينا ودولة آخرينا^(٧).

- (١) نفي الحال (إذا قلنا: ليس زيد مريضاً، فمعنى ذلك أنه الآن ليس مريضاً).
- (٢) ينتقض (يُطْل) النفي من جهة النفي (إن النفي الثاني يبطل النفي الأول، فتصبح الجملة مثبتة).
- (٣) يقال «ما» المشبهة بـ «ليس».
- (٤) «إن» «بكر فكون»: حرف نفي يشبه «ما» (إن أنت إلا تلميذ = ما أنت إلا تلميذ = أنت تلميذ).

- (٥) القرآن الكريم (٣٦: ١٢)، سورة يوسف.
- (٦) القرآن الكريم (٣٦: ١٥)، سورة يس.
- (٧) الشعر لفروة من سبيك، وهو شاعر من الصحابة، توفي ٣٠ هـ. والطب (بالكسر): الشأن، العادة المعروفة عتاً. يقول فروة هذا البيت من مقطوعة يعتذر فيها عن انهزام قومه في إحدى المعارك (راجع تاج العروس - الكويت ٣: ٢٥٩؛ ابن الأثير ٢: ٢٩٥ - ٢٩٧).

٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني (تحقيق أحمد محمد الخراط)، دمشق (منشورات مجمع اللغة العربي بدمشق) ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
** الإحاطة ١: ٢٠٣-٢٠٩؛ بغية الوعاة ١٤٣-١٤٤.

ابن عبد الملك المراكشي

١- هو الشيخ (نفع الطيب ٥: ٦٠٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد (المرقبة العليا ١٣٠) بن عبد الملك الأوسى الأنصاري المراكشي، من أهل مراكش، ولد في رابع عشر ذي الحجة من سنة ٦٣٤ (١٢٣٧/٧/٩ م) في الأغلب.

روى عن أبي الحسن علي بن محمد الرعيني وأبي عبد الله محمد بن علي بن هشام وأبي الوليد بن عفير. وأجاز له ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) صاحب صلة الصلة.

وكان في أيام شبابه قد أراد أن يرحل إلى الأندلس فلما وصل إلى جنوبيها تجول فيه ثلاثة أيام ثم عاد إلى المغرب. وقد تولى قضاء مراكش مدة ثم أخرج عنه بوشاية من رجل كان ابن عبد الملك عفيفاً في معاملته. أمّا وفاته فكانت في أواخر المحرم من سنة ٧٠٣ (أواسط تموز - يوليو ١٣٠٣ م) في تلمسان.

٢- كان ابن عبد الملك المراكشي عارفاً بعدد من فنون المعرفة: في الحديث والفقه والتاريخ واللغة والنحو والشعر، كما كان ناثراً وناظماً. وشعره عادي جداً. ثم إنه كان مصنفاً له: كتاب (في الأحكام)^(١) جمع فيه بين كتاب أبي الحسن علي بن محمد بن القطان الفاسي (ت ٦٢٨ هـ) وكتاب ابن المواق المراكشي. أمّا شهرته فترجع إلى كتابه «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»^(٢)، وهو (أي الذيل والتكملة) قاموس عام لرجالات الأندلس منذ الفتح إلى آخر القرن السابع للهجرة (ولم يتمه لاتساع نطاقه).

(١) لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠-٥٨١ هـ) كتاب في «الأحكام، الأحكام الشرعية المستقاة من الحديث» صنع منه ثلاث نسخ: كبرى ووسطى وصغرى. وقد ألف ابن القطان في الرد على عبد الحق كتاباً عنوانه: كتاب الوهم والايهام الواقفين في كتاب الأحكام (لعبد الحق الإشبيلي).

(٢) الموصول في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ). والصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ).

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة « الذيل والتكملة »:

.... قال عبدُ الله^(١) المؤمِّلُ رُحماهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ أَمَدَهُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ وجعله من طائفةِ الحقِّ وفريقِهِ: الحمدُ لله الذي أَعْلَى مَعَالِمِ الْعِلْمِ بِأَعْلَامِهِ، وَأَحْلَى مَوَارِدِ الْفَهْمِ لِأَوَّلِي أَحْلَامِهِ^(٢)، وَيَسَّرَ كُلًّا مِنْهُمْ بِهِ لِمَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ أَقْسَامِهِ، وَأَلْهَمَهُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِ سَعَادَتِهِ فَسَعِدَ بِإِلْهَامِهِ، وَأَتَّسَمَ بِمَا بِهِ ارْتَسَمَ مِنَ الْإِتِّظَامِ فِي سَبِيلِكَ حَزْبُهُ فَأَفْلَحَ بِاتِّسَامِهِ وَارْتِسَامِهِ وَاتِّظَامِهِ^(٣)، وَصَرَفَ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ شَفَفِهِ بِهِ وَغَرَامِهِ، وَوَقَّفَ عَلَيْهِ مُتَوَالِي أَهْتِبَالِهِ وَأَهْتَامِهِ^(٤)، فَمِنْهُمْ مَنْ أَلْتَمَسَهُ بِمُسْتَقَرِّهِ مُغْمِلًا صِدْقَ جِدِّهِ وَتَصَمِيمَ اعْتِزَامِهِ^(٥).....

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَصَدْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى تَذْيِيلِ صِلَةٍ لِرَاوِيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكَوَالٍ تَارِيخِ الْحَافِظِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْفَرَضِيِّ^(٦)، رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فِي عِلْمَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالطَّارِئِينَ^(٧) عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِهِمْ، بِذِكْرِ مَنْ أَتَى بَعْدَهُ مِنْهُمْ، وَتَكْمِيلِهَا بِمَنْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَذْكُرَاهُ فَأَغْفَلَاهُ. وَقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي إِبْرَادِ مَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ مُقَدِّمَةٍ تُطْلِعُ عَلَى وَجْهِ الْعَمَلِ الَّذِي اعْتَمَدْتُهُ، وَتُرْشِدُ إِلَى الْمَسْلَكِ الَّذِي فِيهِ سَلَكَهُ سَائِلًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ) وَالصُّوَابَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَإِنْجَادًا عَلَى مَا يَعْصِمُ مِنْ مُوَاقِعَةِ الْخَطَأِ وَالْخَطَلِ^(٨) (فَإِنَّهُ لَا) مَأْمُولَ إِلَّا خَيْرُهُ، فَأَقُولُ:

(١) عبد الله، هنا، صفة وليس اسماً، إذ نقول: قال عبد الله محمد بن مالك، أو هذا كتاب من عبد الله عبد الملك بن مروان...

(٢) المراكشي مولع هنا بالجناناس: أعلى معالم العلم بأعلامه - أحلى موارد.... بأعلامه. المورد: المكان يشرب منه الناس. الأعلام جمع حلم (بالكسر): العقل والتروى في الأمور.

(٣) الأتسام (الانصاف) والارتسام (العمل بمقتضى منهج معين) والانتظام (الاتساق إلى فريق معلوم يعمل بعملهم).

(٤) الشغف: شدة الحب. متوال: متتابع، مستمر. الأهتبال: انتهاز الفرصة.

(٥) صم: عزم على الأمر ومضى فيه بثبات.

(٦) في ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) راجع ٥: ٤٥٦ و ٤: ٣٣٧.

(٧) الطارئ: الآتي إلى المكان من خارجه للزيارة أو الاستقرار.

(٨) أنجد فلان فلاناً: ساعده، أعانه. عصم: حمى (أبعد عنه الأخطاء). الخطل: فساد العقل وسوء الحكم على الأمور.

إِنَّ الحَافِظَ أَبَا الوَلِيدِ، رَحِمَهُ اللهُ رَتَّبَ أَبْوَابَ كِتَابِهِ عَلَى تَوَالِي حُرُوفِ الْمُنْجَمِ المعروفِ ببلادِ المَشْرِقِ، فَعَلَّ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ^(١)..... (هنا أسماءُ مؤلِّفين) وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ التَّرْتِيبِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ شَكُوَالٍ فِي صِلَتِهِ تَارِيخَهُ، وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ كِتَابَيْهِمَا حَرْفُ الطَّاءِ^(٢). وَخَالَفَهُمْ فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْأَبَّارِ^(٣) - وَهُوَ أَنْبَلُ تَابِعِيهِ^(٤) - وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ فَرْتُونٍ^(٥) (الوافي ١٣٥: ٧ - وَكِتَابُهُ الذِّيلُ عَلَى الصَّلَةِ لِابْنِ شَكُوَالٍ مَفْقُودٌ) وَمُصْلِحُ كِتَابِهِ وَمُكَمِّلُهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الرَّزِيرِ^(٦) فَرَتَّبُوا أَبْوَابَ كُتُبِهِمْ عَلَى نَسَقِ الْحُرُوفِ الْمَعْرُوفِ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَهُوَ مُتَّفِقٌ (مَعَ) التَّرْتِيبِ الْمَشْرِقِيِّ إِلَى الْإِزَارِيِّ، وَبَعْدَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ط ط ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي.

وَجَعَلَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ وَأَبْنُ شَكُوَالٍ الْأَسْمَاءَ فِي الْأَبْوَابِ عَلَى طَبَقَاتِ الْمَذْكُورِينَ فِيهَا فَقَدَّمَا الْأَسْبَقَ فِي الْوُجُودِ فَالْأَسْبَقَ، وَعَقَّبَا كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْدَلِيسِيِّينَ بِمَنْ وَجَدُوهُ مِنْ مُوَافِقِهِ مِنَ الْغُرَبَاءِ - وَهُمْ فِي مُصْطَلَحِهَا الطَّارِقُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِهَا، سِوَاكَ أَمَا أَنْبَلُهُمْ مِنْهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا - إِنْ وَجَدَا لَهُ فِي الْغُرَبَاءِ سَمِيًّا، وَجَعَلَا الْأَسْمَاءَ فِي كُلِّ بَابٍ عَلَى حَسَبِ الْأَكْثَرِ وَالْأَشْهَرِ فَالْأَشْهَرُ^(٧)، وَخَتَمَا كُلَّ حَرْفٍ بِذِكْرِ مَفَارِيدِ (آخِرُ ص ٩)

(١) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) له «الجامع الصحيح» في أحاديث رسول الله، وله «التاريخ الصغير» في رجال الحديث ثم «الضعفاء الصغير» في رواية الحديث... فعل... البخاري (أي كما فعل البخاري في ترتيب أسماء الرجال في كتابيه الأخيرين).

(٢) فرغ من كتابيه حرف الطاء (لم يرد في كتابيهما ذكر رجل يبدأ اسمه بالطاء المعجمة).

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) له كتاب «التكملة لكتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومشاهيرهم» لابن شكوال.

(٤) أنبل: أبرز، أشهر (أفضل) تابعيه (الذين فعلوا في التأليف كما فعل ابن شكوال في سورة تراجم الرجال).

(٥) أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) من المؤرخين، له كتاب الذيل على الصلة (على كتاب الصلة لابن شكوال).

(٦) أحمد بن إبراهيم بن الرزير (ت ٧٠٨ هـ)، له حلة الصلة (كتاب الصلة لابن شكوال).

(٧) الأسبق فالأسبق والأشهر فالأشهر... لا يعطون ورود الأسماء في كتبهم على ترتيب حروف الهجاء، بل على مقدار الشهرة عند الناس. مثال ذلك: يأتي اسم «حسن ثم حسين» قبل اسم حاتم (بفتح التاء) أو حباب (بالضمة)، وإن كانت الألف والباء تأتيان في حروف الهجاء قبل السين. ثم يأتي عندهم من اسمه =

الأسماء الموجودة فيه^(١) بتقديم الأندلسيين وتأخير الغرباء إن وجداهم، وكذلك فعل أبو عبد الله بن الأتار وأبو جعفر بن الزبير - فيما وقفت عليه من تاريخهما - فأثرت ترتيب كتابي هذا بأن وضفت أبوابه على ترتيب حروف المعجم المشرقي لصحة اعتباره^(٢)....

وبدأت في حرف الهمة بمن أسمه أحمد، وفي حرف الميم بمن أسمه محمد، تبركاً بموافقة اسمي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم البخاري إلى تصدير تاريخه بذكر من أسمه محمد، لما ذكر أوله سيّد البشر نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. إن كان أشهر أسمائه - وجعل - بعد الفراغ من ذكر من أسفه محمد - حرف الهمة مُبتدئاً فيه بمن أسفه أحمد، فسعد بتوالي الأسمين المباركين في صدر كتابه من غير فصل بينهما، وجعل سائر المُستَلَمين باسم أوله ميم في حرفه الميم. وقدمت في باب العين من أسفه عبد الله وعبد الرحمن لأنها أحب الأسماء إلى الله. ووسّطت بينهما من أسفه عبيد الله لشرف الإضافة^(٣) (آخر ص ١٨) وأتليت^(٤) من أسفه عبد الرحمن من أسفه عبد الرحيم لاشتراكهما في الاشتقاق من الرحمة وتلازمهما في تنمية التبرك وأي من كتاب الله العزيز^(٥)... وأتبعت ذلك سائر المُعَبِّدين مُعتبراً^(٦) في ترتيبهم حروف

- = علي من الأندلسيين قبل الذي اسمه علي من الطائفتين على الأندلس. يجب أن يقال: الأشهر فلاقل شهرة... (كلما كان الاسم أشهر عند الناس قدم في السرد على غيره).
- (١) المقاريد: الأسماء المفردة النادرة (التي يكون منها في الرجال المذكورين في كتب هؤلاء الواحد أو الاثنان، فتأتي كلها مجموعة بعد استيفاء أسماء المشهورين. فبعد الحسن والحسين... (في باب الجلاء المهملة) يأتي حاطب وحجاج وحيش وحجر (بالكسر) مجموعة على غير ترتيب مخصوص.
- (٢) لصحة اعتباره... لأن ترتيب اللفظ عند المشاركة: (زاي، سين، شين، صاد) أقرب إلى المنطق من ترتيب هذه الحروف عند المغالطة: (زاي، طه، ظه، كه، لم، ن، ع... سين، شين، هاء).
- (٣) لشرف الإضافة إلى اسم الجلالة: عبد الله، عبد الرزاق، عبد السميع، عبد الظاهر....
- (٤) أتليت: جعلته تالياً (بعد غيره).
- (٥) اورود أسمي: الجلالة (الرحمن والرحيم) مقرونين في عدد من آيات القرآن الكريم، نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله... الرحمن الرحيم (١: ١-٢، سورة الفاتحة) - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (٢: ١٦٣، سورة البقرة)، الخ.
- (٦) معتبراً: ناظراً، مقدراً... (في كتابي هذا...)

أوائل أسماء الله على حَسَبِ ما أَلْفِيه منها^(١). وما لم أَلْفِيه منها تَخَطَّيْتُه إلى أَوَّلِ ما أَلْفِيه بعده منها. وذكرتُ سائرَ الأسماءِ في سائرِ الأبوابِ والتراجمِ على ترتيبِ الحروفِ المذكورة..... ولكنني لاحظتُ صورةَ الحرفِ في الهجاءِ لا أصله، كمؤمِّلٍ أذكره فيمن بعدَ الميمِ مِنَ أسمه واوٌ، وإنْ كانتِ (آلواو) صورةً للهمزة^(٢)..... ولا عِبرةَ بأداةِ التعريفِ^(٣). وهنا ذَكَرْتُ الكُنَى التي هي أسماءُ لها كُنَى، وأضفتُ إليها الكُنَى التي لعلها أسماءُ جُهِلَتْ كُنَاهَا^(٤)، أو كُنَى جُهِلَتْ أَسْمَاؤها..... (ص ٢٣).

وجمعتُ هذا الكتابَ تَمَّ افترق - فيما لا أحصيه عدداً - من برامجِ رَوَايَاتِ الشُّيوخِ الجِلَّةِ^(٥) أُمِّمَ هذا الشَّانُ كُلُّها وافيةً بالشروطِ المُعتبرةِ في توثيقِ النقلِ منها، إذ مُعْظَمُها مَخْطُوطٌ جامعياً، وسائرُها^(٦) مَخْطُوطٌ مُعْتَمَدٌ عليهم من رجالِ هذا الفنِّ ومُقابَلَتِهِم وتصحيحِهِم، إلى ما نقلتُهُ من مُقَيَّدَاتِ ذَوِي العِنايةِ بهذه الطريقةِ من موالِدٍ ووَفَيَّاتٍ ورفَعِ أنسابِ^(٧) وتَبَيَّنَ أحوالُ الرُّواةِ وشَبَّهَ ذلكَ من الفوائدِ، مع ما تَلَقَّيْتُه من مشايخي الذين أخذتُ عنهم شِفَاهاً، وما أَلْتَقَطْتُه من طَبَقَاتِ القِرَاءَاتِ والأُسْمَعَةِ^(٨) على الشُّيوخِ أو منهم والتواريخِ على تفاريقِ مقاصدها، وكل ذلكَ تَمَّ أنسجبتُ عليه رِوَايَتِي بين سَمَاعٍ

(١) أَلْفِي: وجد.

(٢) يَجْمَلُ، عند الترتيب، مَنْ أَسَمَهُ شَأْسٌ قَبْلَ مُؤَمِّلٍ (وإنْ كانَ لفظُ الهمزتين بالفتح) لأنَّ صورةَ الكتابةِ في الأولى ألفٌ وفي الثانيةِ واوٌ.

(٣) ولا عِبرةَ بأداةِ التعريفِ (لا تحسبُ أداةَ التعريفِ عندَ سردِ الأسماءِ وترتيبها). من أجل ذلكَ يأتي اسمُ ثابتٍ قبلَ اسمِ الحسنِ، لأنَّ التَّاءَ (المثلثة) تأتي قبلَ الحاءِ (ولا قيمةَ في الترتيبِ للألفِ في أولِ اسمِ الحسن).

(٤) «أبو بكر» (في الأصل) كنيةُ الخليفةِ الأوَّلِ في الإسلامِ، وكانَ اسمُهُ عبدَ اللهِ. ثمَّ إنَّ نَفَرًا من المسلمينَ جعلوا يسمُّونَ أبناءَهُم «أبا بكر» (فأصبحتْ الكنيةُ اسماً). ثمَّ اتَّخَذَ هؤلاءُ كُنَى فصاروا يُقالُ فيهم: أبو عبدِ اللهِ (كنيته) أبو بكر (اسمه) بنُ سَعِيدٍ بنِ عَلِيٍّ.....

(٥) الجِلَّةُ (بالكسر): العُظَمَاءُ والسَّادَةُ.

(٦) سائرُها: باقيها (في البستانِ عشرُ شجراتٍ، ثلاثٌ منها شجراتُ تَفَّاحٍ، وسائرُها - أي السبعُ الباقية - من البرتقال).

(٧) رَفَعِ النِّسَبِ: سردهُ إلى أقدمِ ما يُمْكِنُ.

(٨) الأُسْمَعَةُ (يقصدُ بها هنا جَمْعُ سَمَاعٍ - بالفتح)، وهي المَقَالَاتُ التي يسمُّها الطَّالِبُ من شيوخه (أُسَاتذته).

وقراءة ومناولة وإجازة^(١) وغير ذلك من ضروب التحمل^(٢). وقد جرى عمل
 الأسيّاح على تقديم إسنادهم إلى من تقدّمهم من المؤرّخين لينسبوا إليهم ما
 ينقلونه عنهم إلى كتبهم هذه، ثم يُعقبون ذكر من يذكرون من الرواة أو بعضهم بتعيين
 من ذكره. وذلك رأي رشيد وعمل صالح سديد أجلّ مُثمّراته تبرؤ الناقل من عهدة ما
 نقل والإحالة^(٣) به على ذاكره الأول تقوية^(٤) للاحتجاج به وتصحيحاً للأستناد إليه.
 لكنني وجدتهم لا يقومون بمقتضى ذلك العمل على التّمام، فإنهم يأتون بمن يريدون
 ذكره فيرفعون في نسبه ويذكرون كتبه وشهرته إن كانتا له، ويعزونه^(٥) إلى قبيلته
 وبلده أو إليها ويعرفون من أمره ما يستحسنون إيراده، ثم يُعقبون ذلك بقولهم: كان
 من أمره كيت وكيت. فكل ما بدأوا به ذكره إنّما هو من قبيلهم غير معزو إلى أحد
 ممن قدّموا ذكره في صدور كتبهم^(٦). وهذا العمل منهم ليس في القليل ممّا يذكرونه،
 ولا في النُدرة، بل يكاد يكون مُعظّم من يذكرون على هذا الأسلوب^(٧). فصارت
 العهدة فيه عليهم فيما لم ينسبوه إلى غيرهم^(٨). وأيضاً فإنّ الذي ينقلونه عن غيرهم إنّما
 ينقلونه عن الاختيار والانتخاب لا على التّوالي والاستيعاب^(٩). فعزوت تلك الأقوال،

- (١) من طرق تلقّي العلم في الإسلام: السماع (سماع المحاضرات من الأساتذة) والقراءة (تلاوة النصوص بين
 يدي الأستاذ) والمناولة (نقل الرواية من الأستاذ إلى التلميذ؟) والإجازة (الشهادة: كتابة الأستاذ
 للطالب ورقة فيها أن الطالب أصبح قادراً ومأذوناً له بأن يعلم الناس ما تعلمه).
 (٢) وغير ذلك من ضروب التحمل: ما يحمله التلميذ من أستاذه (ما يأخذه التلميذ عن أستاذه).
 (٣) الإحالة: أن يشير المؤلّف للقارىء إلى المكان الذي استقى المؤلّف منه أخباره. العهدة (بالضم): التبعة
 (بفتح فكسر).

- (٤) تقوية للاحتجاج: تبييناً لصحة النقل عن الآخرين.
 (٥) عزوت هذا العمل إلى فلان: نسبته إليه.
 (٦) يقول نفر من المؤلّفين إنهم سيأخذون عن فلان وفلان أو من الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني. ولكنهم
 كثيراً ما يذكرون أشياء من عند أنفسهم.
 (٧) وأكثر ما يذكره أولئك المؤلّفين يقولونه هم (ويتوهم القارىء أحياناً أنّه مروى عن العلماء السابقين).
 (٨) فكل قول لا يذكرون أنه مأخوذ عن عالم ما، فإنّ تبعة ما فيه (من الصواب أو الخطأ) ملقى على
 عاتقهم هم.
 (٩) هم يتخيرون (يذكرون ما يريدون ذكره فقط)... لا على التّوالي (لا يذكرون تسلسل الرواية) ولا على
 الاستيعاب (لا يذكرون كلّ شيء).

بعد اقتضاها، إلى قائلها مُستوفاة مُسامحة^(١). ولو فرضنا استيفاء تلك الأقوال كما وقع في بعضها مما اختصر - أو لا يمكن اختصاره - لكانت عهدة نقلها عليهم. إذ لو رام أحد من.....^(٢)

- قال ابن عبد الملك المراكشي في مدينة مراكش:

لله مراكشُ الغراء من بلد، وجبدا أهلها السادات من سكن.

إن حلها نازح الأوطان مغترب أسلوه بالأس عن أهل وعن وطن^(٣).

- ومن كتاب التكملة والصلّة (بقية السفر الرابع، رقم ١٢٢، ص ٤٩ وما بعد):

وقد تعاطى جماعة من الشعراء تذييل بيتي الحريري^(٤) المذكورين بما كان سُكوتهم

عنه أضون ولا فتضاحهم أستر؛ وإخلاذهم إلى حضيض العجز عن مساماته في أوج^(٥)

إجاده أولى بهم وأجدر. فمن مُطيل غير مُطيب ومُحيل فِكْرُهُ في استدعاء ما ليس له

بُجيب، ومن مُقصر لو أبصر لأقصر، ولو أنصف لآ تكلف. وقد أثبت هنا من ذلك

بعض ما وقع إليّ منه، وإن كان من حقّه الإضراب عنه. واستودعته هذا الموضع ثقة

عليه من الضياع ورجاء إفادة مُستشرف^(٦) للاستفادة به والارتفاع... وهذه

(١) مستوفاة: كاملة قدر الإمكان. سامحة (مع شيء قليل من التجاوز؟).

(٢) هنا ينقطع الكلام في الأصل المطبوع (والخطوط).

(٣) أسلوه: سلوه (بفتح السين وتشديد الدال) أسوه.

(٤) تذييل: تكميل، زيادة (أبيات على بيتي الحريري). للحريري صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ) بيتان:

سم سمّة تحن آثارها، واشكر لمن أعطاني ولو سمّيه.

والمر بها أسطمت لا تأته لتقيني النؤد والمكرمه.

لاحظ أن أول كل بيت مثل آخره: سم سمّة، سمسمّة. وقد اعتقد الحريري أن الإتيان بأبيات على

مثالها غير ممكن. وقد حاول نفر ذلك فجاءوا بعدد من الأبيات. وابن عبد الملك المراكشي يرى أبيات

هؤلاء النفر نازلة عن بيتي الحريري.

(٥) الإخلاذ: السكون والاطمئنان. الحضيض أدنى (أقرب) ما يصل إليه كوكب من الأرض، والأوج أبعد ما يصل إليه كوكب عن الأرض (وهما كناية على أسفل الأشياء وأعلاها). المسامة: مجبولة النسمو

(الارتفاع) إلى مستوى شيء آخر أو مكانة شخص آخر.

(٦) ثقة: خوفاً. المستشرف: الذي يحاول رؤية الأشياء من بعيد.

القطعة - كما ترى^(١) - أسبك من غيرها وأسلس نظماً، وأبين معاني وأمتن مباني. غير أنها منحة عن بيتي الحريري.... فقد وضح بهذا كله أن الحريري هو الذي دان له الاختراع للبدايع والإنشاء، وأن براعة معلمه معلمة أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء^(٢). والله هو! فلقد نصحت إشارته وزجرت مناهضيه، ونصت عبارته فنهرت - إذ بهرت - معارضيه^(٣)....

٤ - كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (حققه إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م (عدد من أجزائه).

★ المرقبة العليا ١٣٠ - ١٣٢؛ النبوغ المغربي ٢٠٦؛ الأدب المغربي ٢٦٢ - ٢٦٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦١ (٣٢)؛ دعوة الحق ٣/ ٥٩ ص ٢٤.

الغبريني صاحب الدراية

١ - هو أبو العباس أحمد بن أحمد (وقيل محمد) بن عبد الله بن محمد الغبريني، أصله من قبيلة بني غبرين في بلاد القبائل (المنطقة الجبلية)، ولد في الأغلب في مدينة بجاية (القطر الجزائري) سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ - ١٢٤٧ م).

درس أبو العباس الغبريني قسطاً صالحاً من علوم الدراية (أصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف) وشيئاً كثيراً من علوم الرواية (التفسير والحديث والفقه والنحو) وسمع من نفرٍ كثيرين منهم: أحمد بن خالد المالقي (ت نحو ٦٦٠ هـ) وعبد الله ابن محمد بن عمر القلمي (ت ٦٦٩ هـ) وأحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت ٦٧٠ هـ).

(١) إشارة إلى أبيات على مثال بيتي الحريري.

(٢) المعلم: العلامة الظاهرة تصب على الطرق السلطانية (الدولية) ليستدل بها الناس على البلدان والمسافات بين البلدان (كناية عن أن بيتي الحريري شيء بارز في بابه).
معلمة اسم فاعل من «أعلم»، والجملة بعدها في محل مفعول به. «إن الفضل الخ» تضمين (٣: ٧٣، سورة آل عمران).

(٣) المناهض: المقاوم. المعارض: المباري، الذي يحاول أن يجري معك أو أن يجاريك في عمل شيء. نهر: زجر. بهر: أدهش.

ومحمد بن الحسين بن ميمون التيمي القلمي (ت ٦٧٣) ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرسى الطيب (ت ٦٧٤ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الصدقي الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) وعبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي (ت ٦٧٥ هـ) وعبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدقي الطرابلسي (ت ٦٨٠ هـ) وعبد المنعم بن محمد الغساني الجزائري (ت بعيد ٦٨٠ هـ) وأحمد بن عيسى الغماري (ت ٦٨٢ هـ) وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت ٦٨٦ هـ) وأبو القاسم ابن أبي بكر اليمني بن زيتون (ت ٦٩١ هـ) وعبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد الأزدي (ت ٦٩١) وأحمد بن محمد بن الغمار البلنسي (ت ٦٩٣ هـ) وغيرهم.

واشتغل أبو العباس الغبريني بالتدريس زمناً، درّس في جامع الزيتونة في تونس ثم تولى القضاء في بلدان عديدة كان آخرها بجاية، من غير أن ينقطع عن التدريس في تونس وبجاية وغيرها. ثم ترقى إلى منصب قاضي القضاة في بجاية وبقي في منصبه حتى وقعت وخشة بينه وبين أمير بجاية أبي البقاء خالد الذي جاء إلى حكم بجاية سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

لما سار أبو البقاء لتأديب واليه على قسنطينة (الجزائر) محمد بن يوسف الهمداني الأندلسي، سنة ٧٠٤ هـ اصطحب أبا العباس الغبريني. ثم إن أبا البقاء أرسل الغبريني في سفارة إلى صاحب تونس محمد الواثق أبي عصيدة. ووشى جماعة إلى أبي البقاء بأن الغبريني قد حرّض أبا عصيدة على الثورة فغضب أبو البقاء ثم ألقى الغبريني في السجن ثم أمر بقتله، سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م).

٢- كان أبو العباس الغبريني رجلاً، قبل أن يلي القضاء، يحب الاختلاط بالناس فيكثر من حضور الولائم ويدخل إلى الحمامات العامة. فلما ولي القضاء ترك ذلك كله ومال إلى الجدة فأصبح مهيباً وقوراً شديداً في أحكامه. وكان للمتصوفين المعتدلين أثر كبير في نفسه يؤمن بكراماتهم.

والغبريني مؤلف له: «عنوان الدراية فيمن عرفت من العلماء في المائة السابعة ببجاية» وقد ذكر له بروكلمن (الملحق ٢: ٣٣٧) مصنفاً هو «البرنامج» (فهرست بأسماء شيوخه).

وكتاب «عنوان الدراية» مجموع تراجم لعلماء وأدباء من القرن الهجري السابع، سواء أكانوا من أهل بجاية أو من الوافدين عليها والزائرين لها (من أنحاء القطر الجزائري ومن الأندلس ومن المشرق). وترى شيئاً من غاية الكتاب ومنهج تأليفه في النص المختار.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة عنوان «الدراية»:

.... إِنَّهُ لَمَّا كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ^(١) فَرَضًا عَلَى الْكَفَايَةِ حِينَئِذٍ وَمُتَعَيِّنًا فِي الْحَالِ^(٢)، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ - فِي تَحْصِيلِهِ - مِنْ تَلْقَايِهِ عَنِ الرِّجَالِ... فَلِذَلِكَ اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ بِذِكْرِ الرِّجَالِ وَاسْتَعْمَلُوا فِي تَمْيِيزِ أَحْوَالِهِمُ الْفِكْرَ وَالْبَالِ..... وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فِي ذَلِكَ مَصَادِرُهُمْ وَمَوَارِدُهُمْ^(٣)، وَإِنْ اتَّفَقَتْ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ مَقَاصِدُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ التَّجْرِيعَ وَالتَّعْدِيلَ فِي الْمُحَدِّثِينَ^(٤)، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ مِنْ يُعْرِفُ بِالْحِفْظِ وَالِإِتْقَانِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُجْتَهِدِينَ.... (و) كُلٌّ ذَلِكَ يُحْصَلُ الْإِفَادَةُ وَيُسَهِّلُ لِلطَّالِبِ مُرَادَهُ. وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَضَ فِي هَذَا عَلَى^(٥) سَبِيلِ الْمُكَاثَرَةِ وَطَرِيقِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، كَمَا قَصَدَهُ بَعْضُ مَنْ قَصَرَتْ مَعْرِفَتُهُ وَلَمْ تَرُقْ إِلَى دَرَجَةِ أُولَى النُّهْيِ دَرَجَتُهُ، (بَلْ) يَكُونُ الْقَصْدُ فِي هَذَا إِنَّمَا هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيُوصِلُ إِلَى

(١) العلم الدِّينِيّ: العلم الذي هو من لدن (بفتح فضم فسكون: عند) الله، من قوله تعالى (١٨: ٦٥، سورة الكهف): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِيمًا﴾.

(٢) فرض الكفاية هو العمل الذي إذا قام به بعض المسلمين سقط عن بعضهم الآخر (كشبيع الجنازة وتولي القضاء). متعين (فرض عين: واجب على كلّ مسلم يجد في نفسه القدرة على شيء، كالجهاد إذا خيف على الإيمان). في الحال: الآن (في زمن المؤلف).

(٣) تلقّيه عن الرجال: بالرواية (بأن ينقل المتأخر الخبر عن متقدم عليه بالزمن). مصادرهم: الأمور التي اعتمدوها واستندوا إليها. مواردهم: غاياتهم والنتائج التي وصلوا إليها.

(٤) المحدّثين (رواة الحديث عن رسول الله). الجرح والتعديل: نقد رجال السند (الذين يروون الحديث سلسلاً واحداً عن واحد) بالجرّح (الكشف عن ضعفهم أو جهلهم أو كذبهم أو انقطاعهم بأن يكون بين أحدهم والذي سبقه في سلسلة السند زمن طويل، الخ) والتعديل (معرفة ما في الراوي من العدل أو العدالة: كالعلم والتقوى والأمانة والخلق الكريم، الخ).

(٥) كذا في الأصل (ولعلّ الصواب: ينبغي أن لا يعرض هذا على...).

السبيل المرصية، وذلك بحيث يعلّم طالب العلم (أولئك) الأئمة الذين بهم يقتدى
وبسلوك سننهم السوي يهتدى.

وإنّي قد رأيتُ أن أذكر في هذا التقييد مَنْ عُرِفَ من العلماء ببجاية في هذه المائة
السابعة^(١).... أذكرُ منهم مَنْ اشتهرَ ذِكْرُهُ ونَبَلَ قدرُهُ وظهرتْ جلالتهُ وعُرِفَتْ مرتبتهُ
في العلم ومكانتهُ. وقد رأيتُ أن أصلَ بذكر علماء هذه المائة ذكرَ الشيخ أبي مدينٍ
والشيخ أبي عليّ المسيليّ والفقير أبي محمد عبد الحقّ الإشبيليّ، رَحِمَهُمُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُمُ،
لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بهذه المائة - لأنّهم كانوا في أعقاب المائة السادسة - للتبرُّكِ بذكرهم
ولانتشارِ فخرهم. و (أنا) أبدأ بهم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثمّ أتلوهم بذكر مشيختي وأعلام
إفادتي، ثمّ أتلو^(٢) (هؤلاء) بِمَنْ سواهم إلى أن يَقَعَ الإتيانُ على جميعهم، رَحِمَهُمُ اللهُ.
وسَمَّيتُ هذا المجموع: عنوان الدراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السابعة
ببجاية.....

- وقال أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (المرتبة العليا ١٣٢):

لا تُنْكِحَنَّ سِرَّكَ المكنونَ خاطِبُهُ وأجعلْ لِمِيتِهِ بينَ الحشا جَدًّا.
ولا تَقُلْ: نَفْسُهُ المصدورِ راحَتُهُ. كم نافسَ روحَهُ من صَدْرِهِ نفثًا.

- ٤- عنوان الدراية.... (عني بنشره محمد بن شنب، الجزائر ()
١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م)؛ (نشره عادل نويهض)، بيروت () ١٩٦٩ م؛
(تحقيق رايح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.
* الديباج المذهب ٧٩ - ٨٠؛ نيل الابتهاج ٧٣ س؛ تعريف الخلف ٢١ : ٢٧؛ وفيات
ابن قنفذ ٣٣٨ - ٣٣٩؛ درة المجال ١٠ : ١١؛ المرقبة العليا للنباهي ١٣٢؛ شجرة
النور الزكية ٢١٥؛ بروكلمن ٢ : ٣١٠ - ٣١١، الملحق ٢ : ٣٣٧؛ الأعلام للزركلي ١ : ٨٧
(٩٠)؛ سركيس ١٤٠٧؛ أعلام الجزائر لنويهض ١٥.

(١) المائة السابعة: من ٦٠١ إلى ٧٠٠ للهجرة (بواقفا: ١٢٠٤ - ١٣٠٠ للميلاد).

(٢) أتلو: اتبع.

؛ أبو العباس العزفي

١- هو أبو العباس أحمد بن أبي طالب اللخمي العزفي، كان أهله ذوي رئاسة في سبنة، في أواخر أيام الموحدين (نحو ٦٢٥-٦٦٥ هـ)، فنقلهم ابن الأحمر إلى غرناطة.

سمع أبو العباس العزفي من أبي علي بن خيسر. ثم كانت وفاته في ٢٨ من ذي الحجة ٧٠٧ (١٣٠٨/٦/١٨ م). وفي الأدب المغربي (ص ٢٣١) سنة ٧١٧ هـ.

٢- أبو العباس العزفي شاعر حسن السبك على شعره شيء من الرقة والطلاوة، وهو يقلد المشاركة. وفنونه وجدانية من الشكوى والخمر والنسيب في الأكثر.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس العزفي في الخمر والنسيب:

هذا الصباح، فغادني بصبح؛ وانفض براحك ففهي راحة روعي^(١).
لا تكثرث بخطوب دهرك واسقني كأساً تحسن منه كل قبيح.
ما لي وللأطلال أسأل صامتاً منها وأعول في مهامه فيح^(٢)!
في الراح والريحان شغل شاغل لي عن عيافة بارح وسنيح^(٣).
وأهيم في وزد الحدود وآسها، لا في عرار بالفلاة وشيح^(٤).
كم عرضوا لي بالملام وصرحوا، فعصيت في التعريض والتصريح.

(١) غادني (قدم لي باكراً) بصبح (بمجر في الصباح). الراح: الخمر.

(٢) الطلل: مكان بناء الخيمة (وهنا): الديار الخربة. أعول: رفع صوته بالبكاء. المهمة: الصحراء الواسعة. الأفيح: الواسع.

(٣) البارح: الطير إذا مر من بين الراي إلى يساره (وكان عند العرب دليل شؤم). والسانيح أو السنيح ضد البارح. العيافة: الاستدلال بطيران الطيور على المستقبل.

(٤) الآس: نبات أوراقه خضر. آس الحدود (أوائل الشعر النابتة في الوجه). العرار والشيح من نبات البادية.

عَجَبَا لَهُمْ يَلْقَوْنِي بِمَا مِهِمْ
 إِنَّ صَوْحَ الرُّوضِ النَّضِيرُ، فَخَذَهُ
 قَلْبِي بِعَذْلِهِمْ يَزِيدُ تَوَقُّدًا؛
 - وله في النسيب والعتاب:

مُلَكَّتْ رَقِّي بِالْجَمَالِ فَأَجْمِلِ،
 أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَى الْمَلَاكِ، (وَمَنْ يَجْزُ
 إِنْ قِيلَ: أَنْتَ الْبَدْرُ، فَالْفَضْلُ الَّذِي
 لَوْلَا الْحُظُوظُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ،
 مَا زِلْتُ أُعَذِّلُ فِي هَوَاكَ، وَلَمْ يَزَلْ
 أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِحُبِّكَ شَاغِلِ
 لَمْ أَهْمِلِ الْكِتَانَ، لَكِنْ أَدْمَعِي
 إِنْ كُنْتُ بَعْدِي حُلْتُ عَمَّا لَمْ أَحُلْ
 أَوْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ فَاسْتَبَدَّلْتُ بِي؛

وَحَكَمْتُ قَلْبِي بِاعْتِدَالِكَ فَاعْدِلِ (٣).
 فِي حُكْمِهِ، إِلَّا جُفُونَكَ، يُعْزَلِ (٤).
 لَكَ بِالْكَمَالِ؛ وَنَقَضَهُ لَمْ يُجْهَلِ.
 وَلَكَ دُونَكَ فِي الْحُضِيِّضِ الْأَسْفَلِ!
 سَمِعِي عَنِ الْعُذَالِ فِيكَ بِمَعْزَلِ.
 عَنْ أَنْ أُصِيخَ إِلَى كَلَامِ الْعُذَلِ (٥).
 هَمَلْتُ. وَلَوْ لَمْ تَقْصِي لَمْ تَهْمَلِ (٦).
 عَنْهُ، وَقَدْ أَهْمَلْتُ مَا لَمْ أَهْمَلِ،
 فَأَنَا بِحُبِّي فِيكَ لَمْ أُسْتَبْدَلِ.

٤- ** نفع الطيب ٢: ٣٦؛ النبوغ المغربي ٢٢٦-٢٢٧، ٧٣٢-٧٣٥، ٧٦٤-٧٦٥؛
 الأدب المغربي ٢٣١-٢٣٥.

أبو جعفر بن الزبير

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن

- (١) إذا رأوه قالوا: «سبحان الله» (الجماله الخارق).
- (٢) صوح: يس.
- (٣) أجل: عاملني بإحسان ولفظ.
- (٤) «ومن يجز.... يعزل» راجع موشحة عبادة بن ماء السله (٤: ٤٤٩-٤٥٠ من هذه السلسلة،....
- (٥) أصاخ: استمع.
- (٦) - أنا كمت حبي، ولكن دموعي التي انهمرت بكثرة دلت الناس على حبي لك.

عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي الجبائي، وُلِدَ في ذي القعدة من سنة ٦٢٧ (خريف عام ١٢٣٠ م) في أسرة غنيّة معروفة في جَبَّانَ.

تلا أبو جعفر بن الزبير القرآن بالقراءات السبع على أبي الحسن الشاري وغيره. وخرج به أبوه من جَبَّانَ، سنة ٦٤٣ هـ، لما استولى عليها العدو. وفي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) كان في فاس فلقِيَ أبا العباس أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) مؤرِّخ أهل فاس وتعلَّمَدَ عليه.

وتصدَّرَ أبو جعفر بن الزبير لإقراء كتاب الله وإسماع الحديث وتدريس الفقه وتعليم العربية (النحو) في جَبَّانَ ثم في مالقة، فيما يبدو. وظهرَ في مالقة مُشعوذٌ يُدعى إبراهيم الفزاريّ فقاومه ابنُ الزبير. ولكنَّ ذلك المشعوذ استعان عليه بالمتغلب على تلك المدينة - أحد بني أشقيلولة التحييين - فأوذِيَّ ثم اضطرَّ إلى مُبارحة مالقة فجاء إلى غرناطة. واتفق أن جاء إبراهيم الفزاريُّ رسولاً من أمير مالقة إلى غرناطة فانتَهز ابنُ الزبير الفرصة وشرحَ للسلطان أمرَ هذا المشعوذ. وثبَّتَ على المشعوذ شموذته وأنه ادَّعى النبوة أيضاً فقتلَ.

وكانت وفاة أبي جعفر بن الزبير في غرناطة، من ثامن ربيع الأول من سنة ٧٠٨ (١٣٠٨/٨/٢٦ م).

٢ - كان أبو جعفر بن الزبير مُصنِّفاً له من الكتب: مِلاك التأويل في التشابه اللفظي في التنزيل (القرآن) - الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام - صِلة الصِلة (وصل به صِلة ابن بشكوال) - معجم شيوخه - برنامج رواياته (٢).

وأسلوبه في الكتابة موجز واضح وربما تأتق في الكتابة حيناً (كما نرى في النّص - في «مختارات من آثاره»).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن الزبير في الأنصراف عن أمور الدنيا (بغية الوعاة ١٢٧):

مَا لِي وَلِلتَّسَالِ؟ لَا أُمُّ لِي، إِنْ سَلْتُ: مَنْ يُعْزَلُ أَوْ مَنْ يَلِي (١)؟
حَسْبِي ذُنُوبِي أَثْقَلَتْ كَاهِلِي، مَا إِنْ أَرَى غَمَاءَهَا تَنْجَلِي (٢).

- وقال (صلة الصلة، ص ٢٨ - ٣٠، رقم ٤١):

عبدُ الوهَّاب بنُ عليِّ بنِ محمَّد القَيْسِيُّ من أهلِ المنشأة من حُصُونِ مَالِقَةَ بَغْرِيَّيْهَا (٣)،
يُكْنَى أبا محمَّدٍ..... كان ورعاً زاهداً أديباً حافلاً (٤) بالغِ الأدبِ، لا يُشَقُّ غُبَارُهُ إِذَا
نَظَّمَ أَوْ كَتَبَ: رَشَاقَةٌ جُبِلَ عَلَيْهَا، وَحَلَاوَةٌ أَغْرَاضٍ جَرَتْ طِبَاعُهُ عَلَى عِنَانِهِ (٥) إِلَيْهَا.
وَأَمَّا الْوَرَعُ وَالزُّهْدُ فَهِيَ لِبَاسُهُ وَشِعَارُهُ (٦)، وَإِنْ أَتَهَمْتَ أَوْ أَنْجَدْتَ فَيُحْكَمُ مَأْذُونِيَّةُ
الْأَدَبِ وَلَوْذَعِيَّتِهِ مَقَامَاتُهُ وَأَشْعَارُهُ (٧). كان، رحمه الله، يرى تفضيلَ سُكْنَى الْبُوَادِي
عَلَى الْأُمْصَارِ (٨)، وَإِنْ أَسَاءَ لِنَفْسِهِ - كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ - الْاِخْتِيَارَ. (ولكنه فعل ذلك)
إِثَاراً لِلخُمُولِ وَرَجَاءً لِإِعْدَادِ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ الْمَقْبُولِ (٩).... وقد قَيَّدْتُ مِنْ نَظْمِهِ
وَشِعْرِهِ.... مَا يَشْهَدُ بِسَبْقِهِ فِي الْآدَابِ وَإِحْرَازِهِ الْغَايَةَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ... وَكَانَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْأَدِيبِ الْفَاضِلِ الْوَرَعِ الْجَلِيلِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ الشَّيْخِ خَلَّةً (١٠) مُتَأَكِّدَةً، وَكَانَا
يَتَرَاوَانِ نَظْمًا وَنَثْرًا بِمَا يَمِلُّ الْأَرْجَاءَ طَبِيبًا وَنَثْرًا (١١)، إِلَى أَنْبَاطٍ وَدُعَابَةٍ مَا شَانَ مِثْلَهُ

- (١) لَا أُمُّ لِي، لَا أُمُّ لَكَ تَعْبِيرٌ يَسْتَعْمَلُ لِلذَّمِّ وَالسَّبِّ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ. وَالْأُمُّ، فِي الْأَصْلِ، الْوَالِدَةُ، وَهِيَ أَيْضاً الثَّانُ وَالْأَمْرُ وَالْقَصْدُ. لَا أُمُّ لِي (هنا): ثَكَلْتَنِي أُمِّي (يدعو على نفسه بالموت) أَوْ لَا شَأْنَ لِي بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ (٢). سَلْتُ = سَأَلْتُ. مَنْ يُعْزَلُ (عَنِ الْحُكْمِ) وَمَنْ يَلِي (يَتَوَلَّى الْحُكْمَ).
- (٢) الْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ الْكَتْفَيْنِ. الْغَمَاءُ: الشَّدَّةُ (الْمُصِيبَةُ) الَّتِي تَغْمُ (تَغْطِي) عَلَى مَا سِوَاهَا). تَنْجَلِي: تَنْكَشِفُ.
- (٣) الْمُنشَأَةُ: مَوْضِعُ النِّشْأَةِ (مَكَانٌ فِيهِ أَشْجَارٌ وَأَزْهَارٌ)؟
- (٤) حَافِلٌ: كَثِيرُ لَبَنَةٍ (الْقَامُوسُ ٣: ٣٥٨) - أَدِيبٌ حَافِلٌ: أَدِيبٌ بَارِعٌ فِي عِدَدٍ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ (٢).
- (٥) جَرَى عَلَى عِنَانِهِ (رَسَنَهُ، لِحَامَهُ): سَهْلٌ عَلَيْهِ الْجَرَى (الْبَرَاعَةُ فِي الْأَعْمَالِ).
- (٦) الشَّعَارُ: ثَوْبٌ يَلْبَسُ تَمَامُ بِلْيِ الْبَدَنِ. هَذَا الْأَمْرُ لِبَاسِي وَشِعَارِي (يَسْتَفْرِقُ كُلَّ اهْتِمَامِي وَجَمِيعَ أَعْمَالِي).
- (٧) الْوُذْعِيَّةُ: الذِّكْوِيُّ الْفَصِيحُ. فَيُحْكَمُ مَأْذُونِيَّةُ الْأَدَبِ وَلَوْذَعِيَّتِهِ (٢). الْمَقَامَةُ: فَنٌ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ.
- (٨) الْبَادِيَّةُ: الْمَكَانُ الْبَادِي (الْبَعِيدُ عَنِ الْعِمْرَانِ). الْمَصْرُ (بِالْكَسْرِ): الْمَدِينَةُ الْكَبِيرَةُ.
- (٩) إِثَاراً (تَفْضِيلاً) لِلخُمُولِ (قَلَّةُ الشُّهُورَةِ). الْعَمَلُ الْمَقْبُولُ: الْمَسْلُوكُ الدِّينِيُّ الَّذِي يُوَدِّي إِلَى رِضَا اللَّهِ وَاسْتِحْقَاقِ الْجَنَّةِ.
- (١٠) الْخَلَّةُ (بِالضَّمِّ): الصَّدَاقَةُ.
- (١١) النَّثْرُ: الرِّيحُ (أَوْ الرَّاحَةُ) الطَّيِّبَةُ.

أمثالها، ولا عابه. وكانا في الفضل والدين والأدب المتين كَفَرَسَي رَهان^(١). وقد قَلَدَ بعضُ الجِلَّةِ أخبارَها لِيَقْتَنِيَّ من وفق آثارها^(٢). وقد تُوفِّيَ الشيخُ الفاضلُ أبو مُحَمَّدٍ عبد الوهَّاب سنة ٥٩٨....

٤- صلة الصلة (تحقيق إتيان ليثي بروفسال) الرباط ١٩٣٧م؛ بيروت (مكتبة خياط - بالتصوير) بلا تاريخ (؟ ١٩٦٦م).
الوافي بالوفيات ٦: ٢٢٢؛ الدياج المذهب ٤٢ (فاس ٥٧)؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ١: ٨٤-٨٦؛ الإحاطة ١: ١٩٥-٢٠٠؛ البدر الطالع ١: ٣٣-٣٥؛ بغية الوعاة ١٢٧-١٢٦؛ شذرات الذهب ٦: ١٦؛ نفح الطيب ٢: ٢٩-٣٠، ٦١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٦؛ نيكل ٣٦٢؛ الاعلام للزركلي ١: ٨٣-٨٤ (٨٦).

ابن خَميسِ التِّلْمَسَانِيُّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَميسِ الحَمِيرِيِّ الحِجْرِيِّ الرُّعَيْنِيِّ التِّلْمَسَانِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى حِجْرِ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ حَمِيرٍ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْيَمَنِ.

وُلِدَ ابْنُ خَميسِ التِّلْمَسَانِيُّ سَنَةَ ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) أَوْ قُبَيْلَ ذَلِكَ، وَلَا نَكَادَ نَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ حَيَاتِهِ الْأُولَى سِوَى أَنَّهُ آثَرَ الْحَيَاةَ فِي عَزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ. وَقَدْ عَاصَرَ ابْنُ خَميسِ جِلَّةً مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تِلْمَسَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَخْلَفَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ التَّنَسِيِّ (الجزائري) المَطْطَاطِي التِّلْمَسَانِيُّ (ت ٦٧٠ هـ) وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَرْزُوقِ الْعُجَيْسِيِّ التِّلْمَسَانِيُّ (٦٢٠-٦٧١ هـ) وَالْأَدِيبُ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُودَ بْنِ خَطَّابِ الْغَافِقِيِّ (ت ٦٧٠ هـ)؛ وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُ إِذَا كَانَ قَدْ أَخَذَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ.

- (١) ما شان (عاب) مثله (رجلاً مثله) أمثالها (أمثال هذه الدعابة وذلك الانبساط). الانبساط: ترك النفس (أحياناً) على سجيته: ترك الجِدَّ (بالكسر) والتقيدَ بالعرف القاسي. فرسا رهان (قادران على الجري، ولا يكاد أحدهما يسبق الآخر).
(٢) يقتني (يتبع) من وفق (٤). آثاره: خطواته (طريقته في الحياة).

في سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) التقى الرَّحالة المَغْرِبِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ ابْنَ مَسْعُودِ الْعَبْدَرِيِّ بِابْنِ خَمِيسٍ فِي تَلَمْسَانَ، وَكَانَ ابْنُ خَمِيسٍ لَا يَزَالُ يُحِبُّ الْعِزْلَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِزْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ وَتَوَلَّى مَنْصَباً فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنِ يَغْمَرِاسَنَ بْنِ زِيَّانٍ (٦٨١ - ٧٠٣ هـ) فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ مَدَّتِهِ. وَفِي سَنَةِ ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) لَقِيَ جَفْوَةً فِي بَلَاطِ تَلَمْسَانَ فَخَرَجَ غَاضِباً وَجَاءَ إِلَى سَبْتَةَ وَمَدَحَ أَبَا طَالِبٍ الْعِزْفِيَّ الْمُسْتَبَدَّ بِمُلْكِهِ سَبْتَةَ يَوْمَئِذٍ؛ ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي سَبْتَةَ لِلإِقْرَاءِ. غَيْرَ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الطُّلَّابِ أَسَاءُوا إِلَيْهِ فَانْتَقَلَ وَشِيكَاً إِلَى مَالَقَةِ ثُمَّ إِلَى غَرْنَاطَةِ، قِيلَ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ سَنَةُ ٧٠٣ هـ.

وَلَمَّا قُتِلَ الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكِيمِ، فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م)، قُتِلَ ابْنُ خَمِيسٍ مَعَهُ ظُلْماً.

٢- كَانَ لابْنُ خَمِيسٍ التَّلْمَسَانِيُّ عنايةً بَفَنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ: بِالْفِقْهِ وَالْمَذَاهِبِ، وَبِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ)، وَبِالتَّارِيخِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَحْوَالِهِمْ، مُلِعاً بِشَيْءٍ مِنَ عُلُومِ الْحِكْمَةِ كَالْمَنْطِقِ وَالطَّبِّ؛ كَمَا كَانَ أَدِيباً كَاتِباً مُتَرَسِّلاً وَشَاعِراً فَخَلاً عَلَى الْمَنْهَجِ الْمَشْرِقِيِّ. وَكَانَتْ عَلَى شَعْرِهِ نَفْحَةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ نَفْسِ الْمَعْرِيِّ. وَابْنُ خَمِيسٍ شَاعِرٌ مُحْسِنٌ سَرِيعُ الْخَاطِرِ طَوِيلُ النَّفْسِ رَاقٍ الْمَعَانِي وَاضِحُ الْمَقَاصِدِ يَغْلِبُ عَلَى شَعْرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقَصَصِ الْمُلْحَمِيِّ مِنَ جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ. وَفِي بَعْضِ شَعْرِهِ فُكَاهَةٌ وَدُعَابَةٌ؛ وَفِي بَعْضِ شَعْرِهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ التَّصَوُّفِ.

وَمَعَ أَنَّ ابْنَ خَمِيسٍ التَّلْمَسَانِيَّ مَيَّالٌ إِلَى اسْتِجْمَاعِ الْغَرِيبِ فِي شَعْرِهِ وَإِلَى تَصْيِيدِ وَجْهِهِ الْبَلَاغَةِ، وَالبَدِيعِ مِنْهَا خَاصَّةً، فِي التَّرَكِيبِ الْمُتَيْنِ، فَإِنَّ لَشَعْرِهِ دِيْبَاجَةً رَاقِيَةً بِاللُّغَةِ فِي الْوُضُوحِ وَالسَّلَاسَةِ وَالْعُدُوبَةِ.

وَمِنْ فَنُونِ شَعْرِ ابْنِ خَمِيسٍ فِي الْقَصَائِدِ الْبَاقِيَةِ لَنَا الْمَدْحُ وَالْفَخْرُ وَالشُّكْوَى وَالْحَنِينُ وَالغَزَلُ وَالنَّسِيبُ وَالْخُمَرِيَّاتُ (وَهُوَ يَفْضَلُ الْحَشِيشَةَ عَلَى الْخَمْرِ).

وَلِابْنِ خَمِيسٍ شَيْءٌ مِنَ التَّرَسُّلِ لَا يَلْحَقُ بِشَعْرِهِ.

٣- المختار من شعره

- قال ابن خيسر التلمساني يفتخر ويشكو الشيخوخة بعد انقضاء الشباب:
 إِنَّ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنَّنِي لَا أَرْقُدُ، فَاسْأَلْ يُخْبِرُكَ السَّهَاءُ وَالْفَرْقَدُ^(١).
 وَإِنْ أَتَمَّهَتْهَا لِبَعْضِ تَشَابُهِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا - فَطَيْفُكَ يَشْهَدُ^(٢).
 وَلَقَدْ أَيْتُ اللَّيْلَ لَا أَدْرِي بِهِ سَهْرًا، كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ الْأَرْمَدُ^(٣)،
 أَرَعَى كَوَاكِبَهُ وَأَرْقُدُ صُبْحَهُ، وَالصُّبْحُ أَغَى مِنْ هَوَايَ وَأَبْعَدُ^(٤).
 بَانَ الْخَلِيطُ، وَبَانَ قَلْبِي إِثْرَهُ سَحَرًا، كَمَا زَعَمَ الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ،
 وَتَبَايَنْتَ أَغْرَاضُنَا وَجُسُومُنَا: فَالْجِسْمُ يُتِمُّ وَالْعَرِيْمَةُ تُنْجِدُ^(٥).
 وَنَهَضْتُ لَوْ وَافَى نُهْوضِي قُوَّةً مِنِّي وَسَاعَدَنِي الشَّبَابُ الْمُسْعِدُ^(٦).
 لَا تَعْجَبَنَّ لِعَزَمَاتِي وَتَثْبُطِي: فَالشَّوْقُ يَنْهَضُ وَالزَّمَانَةُ تُقْعِدُ^(٧).
 أَوْدَى صِيَايَ وَغَاضَ مَاءَ مَعِينِهِ، وَذَوَى قَضِيبُ قَوَامِي الْمَتَاوَدُ^(٨)،

- (١) السها: نجم خفي في بنات نعش الصغرى. الفرقد أو الفرقدان: نجم القطب الشمالي (لأنه في الحقيقة نجم مزدوج). - السها والفرقد يشهدان أنني لا أرقد (لا أنام) لأنني أراقبها طول الليل (في تذكرك). ثم إن السها والفرقد في كوكبة (أو عنقود نجوم) لا تغيب (فهل كان الشاعر يعرف ذلك؟). راجع البيت التالي.
- (٢) - وإذا لم تقبل شهادتهما لأنني شبههما (في السناء: الرفعة) فاسأل طيفك (خيالك) فهو يزورني طوال الليل (لأنني أحلم بك طوال الليل).
- (٣) الأرمد: الذي به مرض في جفونه. السليم: العليل (سلياً تفاقماً بسلامته: شفائه).
- (٤) - أساهر الكواكب ثم أقول سأنام إذا جاء الصبح. ولكن الصبح لا يأتي (فأظل يقظاً ليل نهار).
- (٥) تباينت اختلفت. أغراضنا: أهدافنا، غاياتنا، أمانينا. يتهم: يأتي تمامة (وهي منخفضة). يُنجد: يأتي نجداً (الأرض المرتفعة). - أهدافنا سامية، ولكن أجسامنا لا تستطيع تحقيق تلك الأهداف.
- (٦) - كنت أنفض (أسمو لتحقيق أهدافي) لو أن جسدي وهبني قوة على ذلك ولو كان لا يزال في بقية من شباب تساعد على ذلك.
- (٧) - لا تعجب من رغبتني (في السمو) وتثبطني وتباطئي (عجزي عن السير إلى رغبتني). الزمانة: المرض الدائم. يقعد: يجعل الإنسان مقعداً (عاجزاً، لا يستطيع الحركة).
- (٨) أودى: هلك، ذهب. غاض ماء معينه: جف نبع الماء، انقطع عن النبع. ذوى القضيب: ييس الفصن، جف ماؤه وذهبت نضارته. المتأود: المتعطف، المتأيل (لأنه لين، نضير أخضر).

وَأَتَى الْمَشِيبُ يَزُورُنِي مُتَقَدِّدًا؛ وَالشَّيْبُ أَبْغَضُ زَائِرٍ يَتَقَدَّدُ^(١).
وَلَى الشَّبَابُ وَشَرُّهُ: لَمْ يَنْقُ لِي بَعْدَ الشَّبَابِ وَشَرِّهِ مَا أَفْقَدُ^(٢)!

- وقال في النسيب والشكوى والفخر بنفسه وبشعره:

عَجَبًا لَهَا! أَيْذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا مِنْ لَيْسَ يَأْمَلُ أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا؟
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلَّةٍ سَاعَةٍ مِنْهَا؛ وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَاهِهَا^(٣).
يَعْتَادُنِي فِي اللَّيْلِ طَيْفُ خَيَالِهَا فَتُصِيبُنِي الْحَاطُّهَا بِبِنَالِهَا^(٤).
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَقِمَ بِلَدَةٍ يَوْمًا، وَأَسْلَمَ مِنْ أَذَى جُهَاهَا.
شُغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ! أَمَا شَغَلْتَهُمْ عَنِّي؟ فَكَمْ ضَيَّعْتُ مِنْ أَشْغَالِهَا^(٥)!
حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ، فَإِنْ لَاحَتْ لَهُمْ شَمْسُ الْهُدَى عَبَثُوا بِضَوْءِ دُبَالِهَا^(٦).
وَإِنْ انْتَسَبْتُ فَإِنِّي مِنْ دَوْحَةٍ تَتَقَيَّلُ الْأَنْسَابُ بَرْدَ ظِلَالِهَا^(٧).
مِنْ حِمِيرٍ مِنْ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ ذُرَا حَجَرٍ مِنَ الْعُظْمَاءِ مِنْ أَقْيَالِهَا^(٨).
خُذْهَا، أَبَا الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، تُخْفَةً جَاءَتْكَ لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مَنَوَالِهَا:
مَا جَالَ فِي مِضَارِهَا شِعْرٌ، وَلَا سَمَحَتْ قَرِيحَةُ شَاعِرٍ بِمِثَالِهَا!

(١) تَقَدَّدَ الرَّجُلُ الْأَمْرَ: بَحَثَ عَنْهُ أَوْ عَنْ حَالِهِ.

(٢) الشَّرْحُ = شَرَحَ الصَّبَا: عَنَفَوَانَهُ، ذُرْوَتَهُ.

(٣) تَعَلَّةٌ: مَا يَتَعَلَّلُ (يَلْهُو) بِهِ الْإِنْسَانُ. زَكَاةُ جَاهِهَا: مَا تَتَصَدَّقُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ التَّمَتَّةِ بِجَاهِهَا.

(٤) اعْتَادَ الْمَكَانَ: جَاءَ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ - حَتَّى فِي الْمَنَامِ تَقْتَكِ فِي لِحْظَاتِهَا.

(٥) شُغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ (دَعْوَةٌ عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَشْغَلَهُمُ الدُّنْيَا عَنْ مَصَالِحِ أَنْفُسِهِمْ). - فَكَمْ ضَيَّعْتُ (مَصَالِحَ كَثِيرَةٍ لِي) مِنْ أَشْغَالِهَا (بِسَبَبِ الْأُمُورِ الَّتِي شَغَلْتَنِي بِهَا).

(٦) حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ: حُجِبَتْ عَنْهُمْ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأُمُورِ. فَإِنْ لَاحَتْ لَهُمْ شَمْسُ الْهُدَى (الْحَقُّ، الْمَعْرِفَةُ الرَّبَّانِيَّةُ) عَبَثُوا (لَعَبُوا، التَّهَوَّأَ) بِضَوْءِ دُبَالِهَا (الدُّبَالُ جَمْعُ دُبَالَةٍ: الْقَتِيلَةُ الَّتِي تُضَيءُ فِي السَّرَاجِ) = هُمْ يَلْتَهِنُونَ بِمُظَاهَرِ الْأَشْيَاءِ وَبِصْفَارِ الْأَشْيَاءِ عَنْ حَقَائِقِهَا (الْمَعْنَى صَوْفِي).

(٧) انْتَسَبْتُ: ذَكَرْتُ نَسَبِي. مِنْ دَوْحَةٍ (شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ): مِنْ أَسْرَةٍ عَظِيمَةٍ. تَتَقَيَّلُ: تَنَامُ بَعْدَ الظُّهْرِ (تَسْتَعْمَلُ). بَرْدَ ظِلَالِهَا: فِي ظِلَالِهَا (فِي ظِلِّهَا الْعَلِيلِ الْبَارِدِ) = تَتَمَنَّى الْأَنْسَابُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَسَبِي.

(٨) حِمِيرٌ (ابْنُ سَبَأٍ بَنُ يَشْجَبٍ - بَضْمُ الْجَمِيمِ): أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ عَرَبِ الْمَجْنُوبِ. رُعَيْنٌ: حِصْنٌ فِي الْيَمَنِ. ذُو حَجَرٍ رُعَيْنٌ: أَبُو قَبِيلَةٍ فِي الْيَمَنِ. - يَقْصِدُ الشَّاعِرُ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ مُلُوكِ الْيَمَنِ.

٤- المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خنيس (عمل عبد الوهاب بن منصور)، فاس (مطبعة ابن خلدون) ١٣٦٥ هـ.

★★ تعريف الخلف ٢: ٣٦٦؛ ابن قنفذ ٣٤١؛ أعيال الأعلام ٢٥٤-٢٥٥؛ نفاضة الجراب ٢١؛ الكتيبة الكامنة ٣١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ المرقبة العليا للنباهي ١١٤؛ نفح الطيب ٥: ٣٥٦-٣٧٨، ٧: ١٣١-١٣٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٣-٨٣٤؛ الاعلام للزركلي ٧: ٢٠٤ (٦: ٣١٤)؛ معجم أعلام الجزائر لنويهض ١٧٠-١٧١؛ الطمار ١٢٤-١٤٢؛ مجلة الأصالة ١٩٧٥/٧، ص ١٢٨ وما بعد، راجع ١٤٩-١٥٠.

ابن الحكيم الرندي

١- هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى الحكيم. وقد عُرفَ بِحَيٍّ بلقب «الحكيم» لطبته (لأنه كان يعمل في الطب). كان أسلاف ابن الحكيم من إشبيلية ثم انتقلوا إلى رُنْدَة في دولة بني عبّاد (القرن الخامس الهجري)، وفي رُنْدَة كانوا يُعرفون ببني فتوح.

وُلِدَ ابنُ الحكيم الرندي في رُنْدَة في ربيع الأول ٦٦٠ وفيها نشأ وأخذ قراءة القرآن بالقراءات السبع وأخذ العربية عن أبي الحسن علي بن يوسف العبدي السفاح النحوي وأبي القاسم بن الأيسر وغيرها. ثم إنّه رحل، سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤-١٢٨٥ م) - وكان لا يزال ذا فتاء - إلى المشرق فزار مصر ثم حجّ، سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٦ م). وبعد انتهاء موسم الحجّ جاء إلى الشام، وزار العراق (نفح الطيب ٢: ٦١٩).

وعاد أبو عبد الله بن الحكيم إلى رُنْدَة سنة ٦٨٦ هـ. وفي آخر السنة التالية انتقل إلى غرناطة واتصل بثاني ملوكها أبي عبد الله محمد (الثاني) الفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) فأثبتته في خواص دولته ثم رقاّه إلى كتابة الإنشاء. ولما جاء ثالث ملوك بني نصر أبو عبد الله محمد (الثالث) المعروف بالملحوع ارتقت منزلة ابن الحكيم الرندي فجمعت له الكتابة والوزارة ولقبَ ذا الوزارتين. وقد كان ابن الحكيم مُدَحّاً مدحه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي (٧٤٩ هـ) وأبو الحسن علي بن محمد بن الجيّاب (ت ٧٤٩ هـ).

ولم يَصِفْ الدهرُ لابنَ الحكيمِ الرُّنْدِيَّ فَقُتِلَ يَوْمَ خُلِعَ مُحَمَّدُ الثَّالِثُ النَّصْرِيُّ، فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣/٣/١٣٠٩ م) وَمُثِّلَ بِهِ.

٢- كان ابنُ الحكيمِ الرُّنْدِيُّ رجلاً عَالِيَّ الهِمَّةِ كَرِيمَ النفسِ جَمِيلَ الأخلاقِ وكان عالماً ذا عنايةٍ بالروايةِ (للحديث) وأديباً خطيباً وكاتباً بليغاً وعالماً بِنَقْدِ الشعرِ، وكان له نَظْمٌ كثير. ونَثَرَهُ أَعْلَى رُتَبَةٍ مِنْ شِعْرِهِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٦٢٤). وفنونه المدح، وله شيء من الغزل الذي يميل إلى المَجُون. وكان يكتب أنواعاً من الخطِّ الجميل.

٣- مختارات من آثاره

- لابن الحكيم الرُّنْدِيَّ مَقْطَعَاتٌ قِصَارٌ مِنْهَا:

إِنِّي لِأَعِيرُ أَحْيَاناً فَيَلْحَقُنِي يُسْرٌ مِنْ اللَّهِ؛ إِنَّ الْعُسْرَ قَدْ زَالَا^(١).
يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سُنَّةٍ ثَبَّتَتْ: «أَنْفِقُوا وَلَا تَخْشَوْا مِنَ الْعَرْشِ إِقْلَالاً»^(٢).
* مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَأَثَارَهُ، لَوْ لَازَمَ الْإِنْسَانُ إِثَارَهُ^(٣).
يَصُونُ بِالْعَقْلِ الْفَتَى نَفْسَهُ كَمَا يَصُونُ الْحُرُّ أَسْرَارَهُ،
لَا سِيماً إِنْ كَانَ فِي غُرْبَةٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ مِقْدَارَهُ!
* مَا زِلْتُ أَسْمَعُ عَنْ عَلَيْكَ كُلَّ سَنَاءٍ أَنْبَى مِنَ الشَّمْسِ أَوْ أَجْلَى مِنَ الْقَمَرِ^(٤).
حَتَّى رَأَى بَصْرِي فَوْقَ الَّذِي سَمِعْتُ أَذُنِي، فَوْقَ بَيْنِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ!

- وَقَالَ فِي صِبَاهٍ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا السُّلْطَانُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا (الثَّانِي) الْفَقِيهَ لَمَّا جَاءَ السُّلْطَانُ إِلَى رُنْدَةَ:

هَلْ إِلَى رَدِّ عَشِيَّاتِ الْوَصَالِ سَبَبٌ، أَمْ ذَاكَ مِنْ ضَرْبِ الْمُحَالِ؟
وَلَيْسَ مَا تَبَقَّى بَعْدَهَا غَيْرُ أَشْوَاقِي إِلَى تِلْكَ اللَّيَالِي.

(١) أعسر الرجل: افتقر. اليسر: الغنى.

(٢) خير الورى: محمد رسول الله. في سنة (في حديث عن رسول الله أو في عمل من أعماله).

(٣) إثاره (تفضيل العقل في أعماله على العاطفة).

(٤) السنا (بالقصر، بلا مد): الضوء الصيت الحسن. أبهى: أجمل.

وغزالٍ قد بدا لي وجهه
من تسلى عن هواه فأننا
فلئن اتعبني حبي له،
إذ لآلي جیده من قبلي
فقد اوى بلماء ظمأي
أهها المولى الذي نفاؤه
.....

- وله من رسالة طويلة كتبها عن السلطان:

..... وقد تقرّر عند الخاصّ والعامّ من أهل الإسلام، واشتهر في آفاق الأفطار
اشتهار الصبح في سواد الظلام، أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي
العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثواب الله لا لمرض الدنيا^(٣).

وإنّا ما قصرنا في الاستنفار والاستنصار^(٤)، ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكلّ من
أملنا معاملته والاستظهار^(٥)، ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الأفكار حتّى
اقتحمنا بأنفسنا لجج البحار فسمحنّا بالطارف من أموالنا والتلاد^(٦) وأعطينا رجاء
نصرة الإسلام موفور الأموال والبلاد، واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على
كافة أهل الإسلام من الجهاد.....

٤-★★ الإحاطة ٢: ٢٧٨-٣٠٣؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٠-٣٤٧؛ نفح الطيب ٢:

(١) اللآلي (جمع لؤلؤة). الجيد (بالكسر): أعلى الصدر. من قبلي (بكسر ففتح): في اعجائي. الوشاح: نسج
عريض تلف المرأة به أعلى جسمها. يميني وشمالي (يدي اليمنى ويدي اليسرى). يصف الشاعر هنا
اعتناق الرجل والمرأة....

(٢) اللمي: السرة في الثفتين (كناية عن التقييل). الصهباء: الخمر. الزلال: الماء الصافي البارد.

(٣) العرض (بفتح ففتح): السلعة (بالكسر): البضائع المعروضة في السوق.

(٤) الاستنفار: أن يطلب الحاكم أو القائد من الناس أن ينفروا (بكسر الفاء) معه لمساعدته ونصرته.
الاستنصار: طلب المعونة.

(٥) أقصر الرجل عن أمر: تأخر عنه وهو قادر عليه. الاعتضاد: الاستعانة (بآخري) ليزداد هو قوة.
الاستظهار: الاستعانة.

(٦) الطارف والطريف: المال الذي يكسبه المرء نفسه. التلاد (التالد والتلید): المال الذي يرثه الشخص
عمن كان قبله.

٦١٦ - ٦٢٦ ، ٥ : ٤٩٧ - ٥٠٧ : درة الحجال ٢ : ٩٣ - ٩٦ : الأعلام للزركلي ٧ :
٦٥ (٦ : ١٩٢).

أبو عبد الله محمد الغالب بالله

(ثالث ملوك بني نصر)

١ - هو أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد
ابن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي، وُلِدَ في الثالث من شعبان من سنة ٦٥٥
(١٢٥٧/٨/١٩ م) وجاء إلى الحكم سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٢ م).

استولى أبو عبد الله، في السنة الأولى من حكمه، على مدينة المنظر (وكانت قرب
وادي آش أو قرب جيان) وغنم منها غنائم كثيرة وأسر صاحبها الإسباني. وفي سنة
٧٠٣ هـ نَقِمَ على قريبه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالي بمدينة آش فعزله؛ وكاد
هذا العزل يؤدي إلى فتنة وثورة. ولكن أبا عبد الله استطاع أن يقضي على الفتنة في
مهدّها وأن يدبر اغتيال الوالي أبي الحجاج. وفي شوال من سنة ٧٠٥ هـ غزا سبتة
واستطاع أن يستولي عليها في المحرم من سنة ٧٠٦ (صيف ١٣٠٦ م). ولقد أثر عنه في
أحوال كثيرة كثير من القسوة والفظاظة.

وفي عيد الفطر من سنة ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م) خلَعَ أبو عبد الله، ولكن لم يعيش
بعد ذلك طويلاً فقد أصيب بالسُّكْنَة في أواخر جمادى الثانية من سنة ٧١٠ (تشرين
الثاني - نوفمبر ١٣١٠ م) ثم توفي في أوائل شوال من تلك السنة (أواخر
شباط - فبراير ١٣١١ م). وقيل بل قُتِلَ غيلةً.

٢ - كان أبو عبد الله صاحبَ نادرةٍ ظريفةٍ وشاعراً رقيقاً فوق أنداده من الملوك.
وكان له مجموعٌ من الشعر فيه قصائدٌ مطوّلاتٌ ومقطعاتٌ قصارٌ. ويبدو أنه كان مُكثِّراً
من الغزل والفخر.

٣ - المختار من شعره

- قال أبو عبد الله بن نصر ثالث ملوك بني الأحمر:

واعَدَنِي وَغَدَاً وَقَدْ أَخْلَفَا؛
وَحَالَ عَنْ عَهْدِي وَلَمْ يَرْعَهُ،
مَا بِالْهَامَا لَمْ تَتَّعَطَفْ عَلَى
يَسْتَطْلِعُ الْأَنْبَاءُ مِنْ نَحْوِهَا
مَلَكْتُكَ الْقَلْبَ، وَإِنِّي أَمْرُو
يُرْهَفُ سِنِي فِي الْوَعَى مُصَلَّتَا،
وَتَرْتَجِي يُنَايَ يَوْمَ النَّدَى:
يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَالْمَنَى جَمَّةً،
هَلْ يَرْتَجِي الْعَبْدُ تَدَانِيكُمْ
أَقْلُ شَيْءٍ فِي الْمَلِيحِ الْوَفَا.
مَا ضَرَّهُ لَوْ أَنَّهُ أَنْصَفَا^(١).
صَبَّبَ بِهَا مَا زَالَ مُسْتَعْطِفَا.
وَيَرْقُبُ الْبَرْقَ إِذَا مَا هَفَا^(٢).
عَلَيَّ مُلْكُ الْأَرْضِ قَدْ وَقَفَا^(٣).
وَيُتَمَسَّى عَزَمِي إِذَا أَرْهَفَا^(٤)؛
تَخَالُهَا السُّحُبُ غَدَتَ وَكُفَا^(٥).
وَالدَّهْرُ يَوْمًا هَلْ يُرَى مُنْصِفَا:
أَوْ يُصْنِحُ الدَّهْرُ لَهُ مُنْعَفَا^(٦)؟

٤- روضة السرين (نشرها بوالي ومارسيه)، باريس ١٩١٧ م.

- نثر (نثر) الجمان في شعر من نظمنا وأيامهم الزمان.

★ الإحاطة ١: ٥٥٢-٥٦٤؛ اللوحة البدرية ٤٧-٥٦؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢:

٣٤٠، راجع ٣٧٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩-٣٣٠).

ابن منظور

١- هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (وقيل: رضوان) بن أحمد بن أبي القاسم.... الأنصاري الرويفي^(٧) الخزرجي الإفريقي المصري - المعروف بابن

(١) حال: تغير. لم يرعه: لم يحفظ (عهدي).

(٢) هنا: أسرع. هنا الطائر بجناحيه: حركهما. هنا البرق (لمع).

(٣) قد وقف: جعل وقفاً عليّ (لا يجوز لأحد غيري ولا يليق به).

(٤) رهف وأرهف (السيف): شحذه ورققه. مصلت: مشهور (محبوب من غمده).

(٥) الندى: الكرم. تخالها: تظنها، تحسبها. وكف: كثيرة الوكف (المطول، غزيرة المياه).

(٦) منعف: مساعد (على نيل الأمان).

(٧) الرويفي: نسبة إلى رويغ بن ثابت الأنصاري، أمره معاوية على طرابلس الغرب، سنة ٤٦ هـ.

(٦٦٦-٦٦٧ م)، فززا إفريقية وتوفي في برقة وهو أمير عليها. وقبره مشهور في الجبل الأخضر في

برقة.

مكرم - وُلِدَ^(١) في ٢٢ من المحرم من سنة ٦٣٠ (١٢٣٢/١١/٨ م).

قيل إن ابن منظور سمع من ابن المقير (علي بن الحسين البغدادي) المحدث بالديار المصرية (ت ٦٤٣ هـ) وروى عن جماعة منهم: مرتضى بن حاتم وعبد الرحمن بن الطفيل ويوسف الخيلي ثم حدث هو في مصر ودمشق.

وخدم ابن منظور في ديوان الإنشاء - قيل معظم حياته^(٢) - ثم إنه تولى القضاء مدة في طرابلس (ليبيا) ثم عاد إلى مصر وبقي فيها إلى أن توفي، في شعبان من سنة ٧١١ (كانون الأول - ديسمبر ١٣١١ م) بعد أن عمي.

٢- كان ابن منظور محدثاً تفرّد بالعوالي^(٣) و مترسلاً مليح الإنشاء وعارفاً باللغة والنحو والتاريخ، كما كان شاعراً مقللاً محسناً (ينظم المقطعات). ثم كان مفرماً باختصار الكتب له اختصارات للكتب التالية^(٤): الحيوان للجاحظ - درة القواص للحري - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - ذيل ابن النجار على تاريخ بغداد - تاريخ بغداد للسمعاني - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر - الأغاني (ورثه على الحروف) - نوار الحاضرة لأبي عبد الله محمد بن محمد التنوخي - فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب لأحمد بن يوسف التيفاشي - صفوة الصفوة لابن الجوزي

(١) ليس في المصادر التي بين يدي ذكر للبلد الذي ولد فيه ابن منظور. ولكن إذا كان ابن منظور قد ولد سنة ٦٣٠ هـ ثم سمع من ابن المقير الذي توفي في ٦٤٣ هـ، فالمفروض أن يكون قد ولد في مصر. ولكن طاهر الزواوي يستنتج من نسبة « الطرابلسي » وهي ترد في المصادر أنه وليد في طرابلس (أعلام ليبيا ٣٠١). ويرى علي الفقيه حسن (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - راجع رقم ٤) أن ابن منظور ليبي بثلاثة أسباب: إن جدّه رويغاً (راجع الحاشية ص ٣٦٩) مدفون في طرابلس، وأن ابن منظور نفسه كان قاضياً في طرابلس، وأن أسلافه وأعقابهم (ويعرفون بآل ابن مكرم) كانوا بطرابلس وبتاجوراء التابعة لها (ص ٣٦١).

(٢) لعل المقصود بمحمد بن مكرم الذي قضى حياته في ديوان الإنشاء في مصر شخص آخر كان من كتاب الإنشاء في أيام قلاوون (٦٧٨-٦٨٩ هـ) في القاهرة (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤- في ترجمة ابن منظور صاحب لسان العرب). وهناك عالم بالحساب هو أيضاً أبو منصور محمد بن مكرم بن شعبان الكرماني (بروكلمن، الملحق ٢: ١٠٢٣).

(٣) الأحاديث العوالي هي الأحاديث التي دونت في زمن متقدم.

(٤) ذكرت فيما يلي الأسماء الأصلية للكتب المختصرة لا العناوين التي جعلها ابن منظور لها.

(ت ٥٩٧ هـ) - العبد لابن عبد ربّه - يتيمة الدهر للثعالبي - زهر الآداب للحصريّ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام - جامع المفردات (الأدوية) لابن البيطار، الخ.

ومن تأليفه «لسان العرب» (اتّهى من وضعه سنة ٨٦٩ هـ)، وهو قاموسٌ شاملٌ للألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية والشخصية ولعددٍ من الحقائق التاريخية، بناء ابن منظور على خمسة كتب هي: «الجمهرة» لابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ) و «تهذيب اللغة» للأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) و «الصّحاح» ^(١) للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) و «حواشي» عبد الله بن برّيّ (ت ٥٨٢ هـ) و «المُحكّم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) و «النهاية في غريب الحديث والاثّر» لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). وله أيضاً: نثار الأزهار في الليل والنهار وأطاييب أوقات الأصائل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك الدّوّار - أخبار أبي نّواس.

٣- مختارات من آثاره

- من مقطّعات ابن منظور:

ضِمْ قَلْبِهِ فِي يَدَيْكَ لِيَا ^(٢) ؛	ضَغَ كِتَابِي، إِذَا أَتَاكَ، إِلَى الْأَر
قُبْلٌ قَدْ وَضَعْتَهُنَّ تُوَامَا ^(٣) .	فَعَلَى خَتْمِهِ وَفِي جَانِبَيْهِ
ضِمْ وَكَفَيْكَ بِالنِّشَامِي، إِذَا مَا ^(٤) ...	كَانَ قَصْدِي بِهَا مُبَاشَرَةُ الْأَر
وَصَدَّقُوا بِالَّذِي أَذْرِي وَتَذْرِينَا ^(٥) .	★ النَّاسُ قَدْ أَثِمُوا فِينَا بِظَنِّهِمْ
بَأَنَّ نُحَقِّقَ مَا فِينَا يَظُنُّونَا ^(٦) ؟	مَاذَا يَضُرُّكَ فِي تَصْدِيقِ قَوْلِهِمْ

(١) العنوان الكامل هو: تاج اللغة وصحاح العربية. والحواشي عليه كثيرة (راجع بروكلمان ١: ١٣٣-١٣٤، الملحق ١: ١٩٦-١٩٧).

(٢) لأمّا: قليلاً، ولكن مرّة بعد مرّة.

(٣) تُوَامَا: ثنتين ثنتين (قبلتين قبلتين).

(٤) إذا ما.... (في البلاغة: اكفاء، بمعنى أن الكلمات التي لم تذكر مفهومة: إذا ما وصل إليك كتابي).

(٥) أَذْنَبُوا لِأَنَّهُمْ أَثَمُونَا بَلَا لَيْسَ فِينَا.

(٦) ماذا يضرنا أن نرتكب الذنب الذي يَتهَمُونَا بِهِ الْآنَ ظَلَمًا؟

حَمَلِي وَحَمَلِكِ ذَنْبًا وَاحِدًا، ثِقَّةً بِالْعَفْوِ، أَجَلٌ مِنْ إِيْمٍ الْوَرَى فِينَا^(١).
 ★ بِاللَّهِ، إِنْ جُزْتَ بِوَادِي الْأَرَاكِ وَقَبَلْتُ أَغْصَانَهُ الْحَضْرُ فَاكِ^(٢)،
 ابْعَثْ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهِ؛ فَأَتْنِي، وَاللَّهِ، مَا لِي سِوَاكَ^(٣)!

- من مقدّمة «لسان العرب»:

.... أما بعدُ، فإن الله سبحانه قد كرّم الإنسانَ وفضّله بالنطق على سائر الحيوان، وشرف هذا اللسانَ العربيّ بالبيان على كلّ إنسان، وكفاه شرفاً أنه به نزل القرآنُ وأنه لغةُ أهلِ الجنان^(٤).... وإني لم أزل مشغولاً بمطالعاتِ كتب اللغاتِ والاطّلاع على تصانيفها وعللِ تصاريفها. ورأيتُ علماءها بين رَجُلَيْنِ: أمّا من أحسنَ جَمْعَهُ فإنه لم يُحْسِنَ وَضْعَهُ، وأمّا من أجادَ وضعه فإنه لم يُجِدْ جَمْعَهُ، فلم يُفِضْ حُسْنَ الجمعِ معَ إساءةِ الوضعِ، ولا نَفَعَتْ إجادَةُ الوضعِ معَ رداءَةِ الجمعِ. ولم أجِدْ في كتب اللغةِ أجلَ من تهذيبِ اللغةِ لأبي منصورٍ محمد بنِ أحمدَ الأزهرِيّ ولا أكملَ من المُحَكِّمِ لأبي الحسنِ عليّ ابنِ إسماعيلَ بنِ سيّدهِ الأندلسيّ رَحِمَهُمَا اللهُ، وهما من أمّهاتِ كتب اللغةِ على التحقيق وما عداها بالنسبةِ إليهما ثَنِيَّاتٌ للطريق^(٥). غير أن كلاًّ منها مطلبٌ عسيرُ المَهْلِكِ ومنهَلٌ وعَرُّ المسَلِّكِ.... ووجدتُ أبا نصرٍ إسماعيلَ بنِ حمادٍ الجوهريّ قد احسنَ ترتيبَ مُختَصَرِهِ وشَهَرَهُ بسهولةِ وضعه.... غير أنه في جَوِّ اللغةِ كالذَرَّةِ وفي بحرِها كالقَطْرَةِ وإن كان في نَحْرِها كالذَرَّةِ. وهو معَ ذلك قد صَحَّفَ وحرَّفَ وجزَّفَ فيما صرف^(٦). فأُتِيحَ له

(١) لأن يكون لنا معاً ذنب واحد (فيكونوا هم صادقين بتهمتنا) خير (في النظرة الإنسانية) من أن نكون نحن (ونحن اثنان فقط) بريئين ويكون الناس كلّهم مذنبين.

(٢) إن جزت (قطعت، مرتت به) وادي الأراك (مكان في الحجاز ينبت فيه شجر الأراك الذي تجمل منه المساويك (أداة لتنظيف الإنسان). قبّلت أغصانه فاك (فمك): مرتت بالمساويك على أسنانك.

(٣) فأرسل إلى المملوك (العبد الرقيق، يكتي الشاعر بذلك عن نفسه) شيئاً منها. فأتني ما لي سواك (تورية: ليس عندي مساويك - ليس لي من أطلب منه هذا الطلب سواك (غيرك)).

(٤) المروي أن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة.

(٥) ثنيت الطريق: الطرق الفرعية الضيقة. الثنية (بفتح فكسر ثم ياء مشددة): الطريق في الجبل.

(٦) صَحَّفَ: أبدل في الكلمة حرفاً بحرف (فرح تصبغ: فرج، فرخ، قرح، قرح الخ). حرَّفَ: صرف الكلام عن المعنى المقصود. قرأ الأب لؤيس شيخو جملة هي: وكانت الكعبة لا «سقف» عليها، فأثبتها في بعض كتبه: وكانت الكعبة «لأسقف»، عليها. وقرأ أحد تلاميذه جملة البلاذري: وفتح العرب =

الشيخ أبو محمد بن برّي فتّح ما فيه وأملى عليه أماليه مُخرجاً لِسَقَطَاتِهِ مَوْرخاً لِفَلَطَاتِهِ .
 فاستخرتُ الله سبحانه وتعالى في جمعِ هذا الكتابِ المبارك^(١) الذي لا يُساهمُ في سَعَةِ
 فضله ولا يُشاركُ، ولم أخرجُ فيه عما في هذه الأصول . ورتبته ترتيبَ الصّحاح في
 الأبواب والفصول^(٢) . وقصدتُ توشيحهُ^(٣) بجليل الأخبارِ وجليل الآثارِ مُضافاً إلى ما
 فيه من آياتِ القرآنِ الكريمِ والكلامِ على مُعْجَزَاتِ الذِّكْرِ الحكيمِ^(٤) لِيَتَحَلَّى بِتَرْصِيعِ
 دُرَرِهَا عِقْدُهُ وَيَكُونَ عَلَى مَدَارِ الآيَاتِ والأخبارِ والآثارِ والأمثالِ والأشعارِ حُلَّهُ
 وَعَقْدُهُ . فرأيتُ أبا السعاداتِ المباركِ بنَ محمدِ بنِ الأثيرِ الجَزْرِيّ قد جاءَ في ذلك
 بالنهاية^(٥) وجاوزَ في الجودة حدَّ الغاية . غيرَ أنه لم يضعِ الكَلِمَاتِ في محلِّها ولا راعى
 زائد حروفها من أصلها . فوضعتُ كُلَّاً منها بمكانه ... فجاء هذا الكتابُ بحمدِ الله
 واضح المنهج سهل السلوك وليس لي في هذا الكتابِ فضيلةٌ أُمْتُ بها^(٦) ولا وسيلةٌ
 أتمسكُ بسببها سوى أني جمعتُ ما تفرّق في تلك الكُتُب من العلوم وبسطتُ القولَ
 فيها فَلْيَعْتَدْ^(٧) من ينقلُ عن كتابي هذا أنه ينقلُ عن هذه الأصولِ الخمسة ... فإنني
 لم أقصِدُ سوى حفظِ أصولِ هذه اللغةِ النبوية وضبطِ فضلها إذ عليها مدارُ أحكامِ
 الكتابِ العزيزِ والسُّنة النبوية وذلك لِمَا رأيتهُ قد غلبَ في هذا الأوانِ مِن
 اختلافِ الأَلْسِنَةِ والألوانِ . حتّى لقد أصبحَ اللّحنُ في الكلامِ يُعدُّ لَحْناً مردوداً^(٨) وصار
 التُّنطُقُ بالعربية من المعاييبِ معدوداً . وتنافسَ الناسُ في تصانيفِ التَّرْجُمَاتِ في اللغةِ
 الأعجمية وتفاصحوها في غير اللغة العربية . فجمعتُ هذا الكتابَ في زمنِ أهلِهِ بغيرِ

= الشام فتحاً سيراً (أي سهلاً هيناً) فجعلها « قليلاً » . جَرَفَ (أكثر بلا قاعدة) فيما صَرَفَ (ذكر للجذر صيفاً

أكثر مما يحتمل!)

(١) أي كتابه: لسان العرب .

(٢) مثال ذلك: « علم » تبحث عنها في باب الميم فصل العين كأنها « ممل » .

(٣) تزينه .

(٤) الذكر الحكيم: كلام الله تعالى، القرآن الكريم .

(٥) بالنهاية: بأقصى (بأوسع) ما يمكن . و« النهاية في غريب الحديث والأثر » كتاب لجهد الدين بن الأثير .

(٦) متّ: انتسب .

(٧) اعتدّ: حسب (أيقن) .

(٨) اللحن (الأولى): الخطأ في القول . اللحن (الثانية): النغم . مردود (مكرّر، مألوف) .

لُغْتَهُ يَفْخُرُونَ... وَسَمَّيْتُهُ «لِسَانُ الْعَرَبِ».....

- ٤- نثار الأزهار.....، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.
- لسان العرب.....، بولاق ١٢٩٩، ١٣٠٠-١٣٠٨، ١٣٤٨ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٢ هـ=١٩١٣ م.
- أخبار أبي نواس.....، القاهرة ١٩٢٤ م (١٣٤٣ هـ)؛ نشره محمد عبد الرسول وشكري محمود أحمد)، بغداد (المعارف).....
- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني (تحقيق حسين نصار)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٥ هـ.
- ★★ تصحيح لسان العرب، تأليف أحمد تيمور، القاهرة ١٣٣٤، ١٣٤٣ هـ.
- فهرس لسان العرب (فهرست الشعراء، صنعه عبد القيوم محمد)، لاهور ١٩٣٨ م (١٣٥٧ هـ).
- فوات الوفيات: ٢: ٣٣١-٣٣٢؛ الوافي بالوفيات ٥: ٥٤-٥٧؛ درة المجال ٢: ٣١٥-٣١٦؛ نكت الهميان ٢٧٥-٢٧٦؛ بغية الوعاة ١٠٦-١٠٧؛ شذرات الذهب ٢٦: ٢٦-٢٧؛ بروكلمن ٢: ٢٥، الملحق ٢: ١٤-١٥؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣: ٣٢ (١٩٥٧/٧/١ م) ص ٤٦٦-٦٦٩ (تحقيق تاريخه، بقلم علي الفقيه حسن)؛ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٩-٣٣٠ (١٠٨)؛ أعلام ليبيا ٢٩٩-٣٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤؛ الدرر الكامنة: ٢٦٢-٢٦٤ (رقم ٧٢٥)؛ المنهل العذب ١: ١٥٧؛ نفحات السرين والريحان ١٤٦-١٤٨.

أبو العباس الملياني

- هو أبو العباس أحمد بن علي الملياني، ومن أهل مليانة (جنوب مدينة الجزائر). كان عمه أبو علي أحمد قد ثار على الحفصيين فلم ينجح ففرّ إلى المغرب ولجأ إلى السلطان يعقوب المريني (٦٦٧-٦٨٤ هـ) فأقطعهُ السلطان يعقوب بلدة أغمات (قرب مدينة مراكش). وكان أبو العباس أحمد في صحبة عمه.

أكمل أبو العباس الملياني دراسته في أغمات ومراكش. ولما جاء يوسف بن يعقوب إلى عرش المرينيين، سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) جعل أبا علي أحمد على جباية الأموال،

ثم بدا من أبي عليٍّ ما حملَ السلطان يوسفَ على قتله. ثم علّت منزلة أبي العباس فجعله السلطان يوسف «كاتبَ العلامة» (صاحب التوقيع على المراسلات والمراسيم السلطانية). ثم استطاع أبو العباس أن يدبرَ مقتلَ الذين كانوا سببَ مقتلِ عمِّه وأن يفرَّ إلى تلمسان (الجزائر اليوم). وفي سنة ٧٠٣ هـ غادرَ تلمسانَ إلى غرناطة واستقرَّ فيها إلى حين وفاته، في تاسع ربيع الثاني من سنة ٧١٥ (١٣١٥/٧/١٣ م).

٢- كان أبو العباس الملباني كاتباً وشاعراً، وكانت له مشاركة في الطب. وفي المصادر والمراجع مقطوعة واحدة من شعره تُنبئ عن نفسٍ ومقدرة في معارضة الشعر المشرقي، في الحماسة خاصة.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس الملباني يفتخرُ بفعلته إلى أدّت إلى مقتلِ خصومِ عمِّه وبغيرها:

العزَّ ما ضربتُ عليه قبائي، والفضلُ ما اشتمكتُ عليه ثيائي^(١).
والزَّهرُ ما أهداه غُصْنُ بَراعتي، والمِسْكُ ما أبداه نَقْشُ كِتائي^(٢).
والجُدُّ يَنعُ أن يُزاحمَ مَوْردي، والعزُّ يَأبى أن يُسامَ جَنائي^(٣).
فإذا بَلَوْتُ صَنِيعَةَ جَارِئَتِهَا، بجميلِ شكري أو جَزِيلِ ثَوائي^(٤).
وإذا عَقَدْتُ مودَّةَ أَجْرِيئَتِهَا، مجرى طعامي في دَمي وشراي.
وإذا طلبتُ من الفراقِدِ والسُّهى ثأراً، فأوشِكُ أن أنالَ طِلَائي^(٥)!

٤- ** الإحاطة ١: ٢٩٢-٢٩٤؛ نفح الطيب ٦: ٢٦٦-٢٦٨؛ الاستقصا ٢: ٣٧-٣٨؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٤-١٩٥؛ معجم أعلام الجزائر ٣١؛ الطمار ١٩٦-١٩٧؛ النبوغ المغربي ٦٩٧.

- (١) القبة: خيمة من جلد (تكون للملوك). - العزَّ موجود في بيتي فقط، والفضل من صفاتي وحدي.
- (٢) نقش: تلوين (النقش هنا: الخبر الذي أكتب به رسائلي) أنا وحدي أحسن الكتابة.
- (٣) الناس يرهبون (لسمو مكانتي) أن يقتربوا من حوض الماء الذي هو لي (وإذا لم يكن عليه أحد). - وعزمي (شجاعتي، قوتي) تأبى (ترفض) أن يسام (يذل ظم) جاني (في بيتي، ي).
- (٤) إذا صنع أحد بي معروفاً أثبتته بشكري الجميل أو بعطائي الكثير.
- (٥) الفراقِد والسُّهى: نجوم معروفة (ولكن الشعر يأتي بها هنا كناية عن البعد). أوشك: اقترب.

التجانيّ صاحب الرحلة

١ - ينتسب آل التجانيّ في تونسَ إلى قبيلةِ تِجَانٍ من قبائل المغرب (الأقصى)، ولعلّ أحدهم أبا القاسم (ت نحو ٥٥٥ هـ) كان قد جاء في جيش السلطان الموحّدي عبد المؤمن بن علي^(١)، في أواسط القرن السادس للهجرة. ويبدو أن أبا القاسم هذا دخل في خدمة الدولة ثم خلفه فيها ابنه محمد.

ولما استقلّ بنو أبي حفص الهنتاتي^(٢) - وأبو حفص في الأصل من رجال عبد المؤمن الموحّدي - دخل إبراهيم وأحمد^(٣) ابنا محمد بن أبي القاسم التجاني في خدمة الدولة الحفصية الجديدة.

وقد نبغ من أسرة التجاني نفرٌ من العلماء والأدباء نعدُّ منهم عليّ بن إبراهيم^(٤) وأخته زينب^(٥) وأخاه عمر ثم محمد بن علي^(٦). وكان منهم أيضاً محمد بن أحمد والد صاحب الرحلة.

وُلد التجانيّ صاحبُ الرحلة - واسمه في الأغلب أبو محمد عبد الله بن محمد في تونسَ بين سنة ٣٧٠ و ٣٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) فبدأ تلقّي القراءة والكتابة على أبيه ثم أقبل على حضور دروس الشيوخ في التفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ وغيرها. وقد كان من شيوخه أبو بكر عبد الكريم العوفي (ت ٦٩٨ هـ) قرأ عليه الفقه

(١) عبد المؤمن بن عليّ (راجع، فوق، ص .)

(٢) أبو حفص الهنتاتي (راجع، فوق، ص .)

(٣) كان إبراهيم وأحمد هذان في بلاط أبي زكريّا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة الحفصية باستقلاله عن الموحّدين (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ). وكانا من أهل الأدب والبلاغة.

(٤) أبو الحسن عليّ بن إبراهيم التجاني (ت ٧٠٨ هـ) أخذ عن ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) والشاعر حازم القرطاجنيّ (ت ٦٨٤ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) والكلاعي (ت) وخاصة عن قاضي تونس ومحدثها الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن الفخار البلنسي الأندلسي (٦٠٩ - ٦٩٣ هـ)، وكان فقهياً شاعراً.

(٥) زينب بنت إبراهيم التجاني (التجانية) من شهيرات الأدبيات التونسيّات في العصر الحفصيّ.

(٦) عمر بن إبراهيم التجاني كان من العلماء والكتاب والنحاة ثم يقولون الشعر. أمّا أبو الفضل محمد بن عليّ ابن إبراهيم التجاني (٧١٨ هـ) فهو من أعلام العلم والأدب في العصر الحفصيّ، خدم مدّة طويلة في ديوان الرسائل. وكان شاعراً ناثراً محسناً (راجع مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٠).

(سنة ٦٩٣ أو ٦٩٤ هـ) وأبو القاسم بن عبد الوهاب بن قائد الكلاعي (ت) وأبو علي عمر بن محمد بن علوان التونسي (ت ٧١٠ هـ) أخذ عنه سنة ٧٠٢ هـ. ثم إنه كان ينتهز الفرص في أثناء رحلته للقاء الشيوخ والأخذ عنهم.

سلك التجاني سبيل أسلافه في الدخول في خدمة الدولة في ديوان الإنشاء، ويبدو أنه دخل هذا الديوان في أيام أبي عَصيدة (٦٩٤ - ٧٠٩ هـ) محمد بن يحيى الواتق.

في هذه الأثناء كان الاضطراب شديداً في السلطنة الحفصية الشرقية (المملكة التونسية) والنزاع بينها وبين السلطنة الحفصية الغربية (مملكة الجزائر) عنيفاً. وكان من شيوخ الموحدين وكبار رجال الدولة الحفصية في تونس الأمير أبو يحيى زكريا بن محمد اللحياني طامعاً في الملك، فعزّم على مُفادرة تونس لترتيب الأمور في خارجها^(١)، وكان قد اتخذ التجاني كاتباً خاصاً به. فلما غادر تونس (منتصف ٧٠٦ هـ = أواخر ١٣٠٦ م) اصطحب التجاني. ثم إن التجاني عاد إلى تونس في صفر من سنة ٧٠٨ (صيف ١٣٠٨ م)، لأسباب صحيّة.

واستطاع أبو يحيى زكريا اللحياني أن يزحف على العاصمة (حاضرة تونس) وأن يأخذ البيعة^(٢) لنفسه، سنة ٧١١ هـ، في حديث طويل. ولم ينس أبو يحيى كاتبه القديم فجعله رئيساً لدواوين رسائله - صاحب خطّة العلامة الكبرى - . ولكن أبا يحيى أدرك وشيكاً - وقد تقدّمت به السن - أنه عاجز عن الكفاح في سبيل استقرار الأمر له فتخلّى عن الملك ثم انسحب، سنة ٧١٧ هـ إلى طرابلس. واجتمع أنصار أبي يحيى وولّوا ابنه محمداً أبا ضربة مكانه.

عند هذا التاريخ انقطعت أخبار التجاني صاحب الرحلة، ولملّه قتل بعيد ذلك في من قتل من أنصار أبيه، في النزاع بين أبي ضربة وأبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة (الجزائر اليوم)، سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م).

٢ - اشتهر أبو محمد عبد الله التجاني برحلة قام بها بصحبة الأمير أبي يحيى زكريا

(١) ليعدّ العدة للاستيلاء على الملك.

(٢) أن يحمل الناس على اختياره حاكماً.

أبن محمد اللّحياني. ولكن هذه الرحلة كانت قصيرة (٧٠٦-٧٠٨ هـ) ولم يتجاوز بها صاحبها القطر التونسي وجانباً من غربي ليبيا اليوم. وإذا نحن نظرنا إلى هذه الرحلة من حيث وصف المناطق التي مرّ بها التجاني حكمنا بأنها رحلة قاصرة جداً لم تصف من معالم تلك البلاد إلا شيئاً قليلاً. غير أنّ هذه الرحلة غنيّة بأوجه الاستطراد إلى التاريخ والأدب والعلم وإلى إيراد المراسلات بين صاحبها ونفر من رجال عصره، فهو يورد تلك المراسلات بشيء كثير من التفصيل كما يورد نماذج كثيرة من آثار الأدباء المعاصرين له. ولكن من غير المؤلف في «الرحلات» أن يُكثّر صاحب الرحلة من الاستشهاد بكتب الجغرافية والتاريخ كما فعل التجاني. ولا شك في أن هذه الرحلة تصف جانباً كبيراً من حياة تونس في مطلع القرن الثامن للهجرة (وهو جانب غامض في تاريخ تونس).

وأسلوب التجاني في رحلته أسلوب سليم فيه شيء من الصناعة. والرحلة تدلّ على ثقافة لغوية وعلمية واسعة. أمّا شعر التجاني فهو عادي جداً.

٣- مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

.... هذا تقييدٌ يشتمل على وصف ما شاهدته في هذه السّفرة المباركة من البلاد مضمّن ذكر^(١) أحوالها وصفاتها وبيان طرقها ومسافاتها، والإشارة إلى مُفتّحيها وبناتها^(٢)، وأحوال من اشتملت عليه من أصناف العوالم وما يميّز به كلّ بلد من الآثار والمعالِم، وما يُتَشَوّف إليه ويتشوّق^(٣) إلى الاطلاع عليه. وقد أليس ذلك من حلة النظم والنثر ممّا وردّ في هذه السّفرة إلّى أو صدر عني استفتاح خطاب أو ردّ جواب ممّا تحسّن المحاضرة^(٤) به وتحصل الإفادة...

-
- (١) مضمّن نعت «تقييد» (تدوين). ذكر مفعول به من «مضمّن».
- (٢) مفتّحها: الذي استولى عليها بالقوة. بناء جمع بان (الذي بنى البلدة).
- (٣) تشوّق: تطلع ليرى شيئاً عن بعد. تشوّق: مال برغبته إلى شيء ما.
- (٤) صدر عني: أرسلته (أرسلت رسالة). استفتاح (مطلع، مقدّمة) خطاب (كتاب، رسالة). المحاضرة: (في =

فكان خُرُوجِي من تونسَ المحروسةِ صُحْبَةَ الرِّكابي العالِي المَخْدومي اللِيُمومي^(١) أعلى الله مقامه وأطالَ في العِزِّ دَوامه، في آخرِ جُهادي الأولى من عامِ سِتِّة وسَبْعِمِائَةٍ. وكان مُرادُه منها إنَّها هو التوجُّهُ لأداءِ فريضةِ الحجِّ التي لا يَسَعُ تركُها بعدَ الاستِطاعةِ عليها أحداً من الأنام. بهذا تعلَّقت آمالُه وعليه كان عن (دار) الخِلافة انفصالُه. إلَّا أنَّ أمرَ الحجِّ طَوِي عن الناسِ في هذه الحركةِ ذِكرُهم وأُخْفِيَ عنهم أمرُه. وسَبَبُ ذلك أنَّه لِمَا عَلِمَ في تديرِ الرِّعيَّةِ من حُسْنِ غَنائِه^(٢) وما اجتمعت عليه قلوبُ الجمهورِ واستمَّت من مَحَبَّتِه وثَنائِه، لو يَبِينُ لَهُمُ انطلاَقُه لأبْدَى كُلُّ مُنْهَم بِهِ اعتلاقَه فصدَّوه عن حَجِّه وردَّوه عَمَّا يَمَمُ من نَهْجِه^(٣). فرأى أنَّ كَنَمَ الحجِّ أَصْلَحُ، وأنَّه الأكْدُ في طريقِ السياسةِ والأَرْجَحُ^(٤) فجعلَ أمرَ جَرَبَةٍ سَبَباً إلى نَيْلِ ذلك المرامِ ورجا مَعَ ذلك أن يكونَ على يَدِه استرجاعُها إلى الإسلامِ.....

- جزيرة جربة (ص ١٢١):

وَجَزِيرَةُ جَرَبَةٍ من أعظمِ الجزائرِ خطراً وأشهرُها في سالفِ الزمنِ عبارةً وذكراً^(٥).... وَهِيَ أرضٌ كريمةُ المزارعِ عَذْبَةُ المِشارِعِ^(٦). وأكثرُ شَجَرِها النخيلُ والزيتونُ والعِنَبُ والتين. وبها أصنافٌ كثيرةٌ من سائرِ الفواكه، إلَّا أن هذه أكثرُ ثَمَرِها وعليها مدارُ غلاتِها، وغيرها من كرائمِ الأرضين لا يُقَارِبُها على الجُملةِ في ثِمارِها أو يُساوِيها. وتَفَاحُها لا يُوجَدُ في جَمِيعِ بقاعِ الأرضِ له نَظِيرٌ لِمَا يوجَدُ بها منه صفاءٌ وجفافاً وطيبٌ مذاقٍ وعطارةٌ استنشاقٍ^(٧)، ورائحتُه توجَدُ من المسافةِ المديدةِ والأُميالِ

= (الأصل) المبالدة (القتال) والركض (السباق) ثم استعملت في تبادل الآراء في موضوع أو إلقاء فصول من العلم على جماعة.

- (١) في رحلة التجاني (ص ٤) يقول حسن حسني عبد الوهاب: «هكذا (وردت) في جميع النسخ التي بأيدينا.
- (٢) الفناء (بفتح الغين): النفع والكفاية (حسن تصريف الأمور وحمل التبعة).
- (٣) الاعتلاق: التعلُّق، التمسُّك. يَم: قصد. النهج: الطريق، الخطة.
- (٤) أكد: أكثر تأكيداً وتثبيتاً. الأرجح: الأتقل (أقرب إلى العقل وأحسن حجة).
- (٥) الخطر (بفتح فتح): الرفعة والشرف. سالف: ماضي. العمار: العمران، اتساع البناء. الذكر (بكسر فسكون): الصيت والشهرة (إنَّ التجنيس لم يَم بين خطراً وذكراً).
- (٦) كريمة المزارع (خصبة تنبت غللاً كثيرة). عذبة: حلوة. المِشارِع جمع مشرع: مكان استقاء الماء.
- (٧) جفاً (٤). عطارة ليست في القاموس (يقصد: طيب رائحة).

العديدة. وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل ذلك كثير ثم قل الآن بسبب أن النصارى يُتَحِفُونَ به ملوكهم وكيبارهم دون تعويض لأربابهم^(١) عنه. فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود^(٢) بالفائدة عليهم فقطعوا أكثره.... وأكثر مساكن أهلها أخصاص^(٣) من النخيل يجعل كل واحد منهم في أرضه واحداً أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله. وليس بها بناء قائم إلا دور قليلة. وهم ينقسمون إلى فرقتين: فرقة تُعرف بالوهمية ورئاستهم في بني سمون، وأرض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية وما والاها من جهة الشمال؛ وفرقة تُعرف بالنكارة ورئاستهم في بني عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من جهة الجنوب. وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم. وكلا^(٤) الطائفتين خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج..... والمتصلحون^(٥) منهم لا يُأسحون بثيابهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم ولا يُؤاكلونه في آنيته. وإن استسقى عابر سبيل ماء من بعض أنبارهم استخرجوا ماء البئر كله فاحود^(٦).

- توزر:

وتوزر هي قاعدة بلاد الجريد^(٧)، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياهاً. وأصل مياهها من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد في وادٍ مُتسع. وتشعب منه جداول كثيرة. وتتفرغ عن كل جدول مذائب^(٨) يقيمونها بينهم على أملاك لهم مقررة مقاسم من المياه معروفة. ولهم على قسمتها أمناء من ذوي الصلاح

- (١) النصارى (الإسبان أو البرتغاليون) الذين كانوا يحتلون جربة، كانوا يهدون من هذا التفاح إلى ملوكهم ورؤسائهم. ولكنهم كانوا يأخذون هذا التفاح من أصحابه بلا ثمن.
- (٢) أعود: أنفع. أعود فائدة: أكثر جلباً للفائدة (للربح).
- (٣) بيت (كوخ) من غصون الشجر أو من القصب.
- (٤) يجب أن يقال: وكلتا الطائفتين.
- (٥) المتصلحون (غير موجودة في القاموس): الصالحون (الذين يسرون في الحياة على النهج القويم ويتشدّدون في السلوك).
- (٦) الأنبار (يقصد الآبار جمع بئر). ماح البئر ييحها: نزع ماءها (أفرغها).
- (٧) بلاد الجريد: جنوبي تونس حيث يكثر النخيل.
- (٨) المذنب (بكسر الميم): سبيل الماء.

فِيهِمْ يَقْسِمُونَهَا عَلَى السَّاعَاتِ مِنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ بِحَسَابٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٍ وَأَمْرٍ مُقَرَّرٍ مَأْلُوفٍ. وَعَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ أَرْحَاءٌ^(١) كَثِيرَةٌ مَنْصُوبَةٌ. وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ هَذَا الْوَادِيَّ يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ مِنْ غُثَاءٍ^(٢) أَوْ غَيْرِهِ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَقَسَمِ افْتَرَقَ هُنَاكَ أَجْزَاءٌ بِالسَّوِيَّةِ عَلَى عَدَدِ الْمَسَارِبِ^(٣) فَمَضَى كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا إِلَى مَسْرَبٍ مِنْهَا. وَهَذَا مِمَّا شَاهَدْتُهُ فِيهَا عَيْنَانًا. وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّمَا يَسْكُنُونَ بِغَابِيَتِهَا، وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ مَبَانِي الْغَابَةِ وَمَبَانِي دَاخِلِ الْبَلَدِ، فَإِنَّ مَبَانِي الْغَابَةِ أَضْحَمُّ وَأَحْسَنُ. وَبِدَاخِلِ الْبَلَدِ جَامِعَانِ لِلْخُطْبَةِ^(٤) وَحَمَامٌ وَاحِدٌ. وَمُتَفَرِّجُهُمْ^(٥) بِمَوْضِعٍ يَعْرِفُونَهُ بِيَابِ الْمُنْشَرِ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُتَفَرِّجَاتِ لِأَنَّ مَجْتَمَعَ الْمَاءِ هُنَاكَ... وَيَجْتَمِعُ بِهِ الْقَصَّارُونَ فَيَنْشُرُونَ هُنَاكَ مِنَ الثِّيَابِ الْمَلَوْنَةِ وَالْأَمْتَعَةِ الْمَوْشِيَّةِ^(٦) مَا يِعْمَهُ عَلَى كِبَرِهِ فَيُخَيَّلُ لِلنَّازِلِ أَنَّهُ رَوْضٌ تَقْتَحُّ أَزْهَارُهُ وَاطَّرَدَتْ أَنْهَارُهُ^(٧).....

٤-★★ رحلة التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب - نشرتها كتابة الدولة للترقية القومية والرياضة)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م؛ ونشر منها قطع مختلفة (راجع بروكلمن).

- تحفة المروس ونزهة النفوس، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٧ هـ؛ الفصول الأول والسابع والثامن نشرها دوزي في باريس والجزائر ١٨٤٨ م (١٢٦٦ هـ).

نفع الطيب ٤: ١٢٠-١٢١، ٥: ١٨٢-١٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٤٥، بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٧٥-٤٠٣؛ عنوان الأريب ٨٢-٨٤ (راجع ص ٨٠، السطر الأول)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٢-٢١٤؛ سركيس ٦٥٠.

- (١) الرّحا والرّحى: الطاحون (حجران يدور أحدهما على الآخر).
- (٢) الوادي: النهر. الغثاء: ما يحمل على السيل من الوسخ وفتات (بضمّ الفاء) الأشياء.
- (٣) المسرب: (مخرج الماء).
- (٤) جامع الخطبة: مسجد الجمعة (الجامع الذي يصلي فيه الإمام أو الحاكم).
- (٥) المتفرّج: المتنزه.
- (٦) القصّار: الذي يبيّض الثياب. يكون الحام أسمر اللون فيقصرونه (بضمّ الصاد؟ بتشديدها أيضاً): يعالجونه بمواد كيماوية حتّى يبيّض. الموشى: الملون أو ذو النقوش.
- (٧) اطّرد النهر: تابع جريان مائه.

ابن رُشيد السبتيّ

١ - هو محبّ الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهريّ، من أهل سبّته، ويُعرفُ بأبن رُشيد (تصغير «رُشد»).

وُلِدَ أبنُ رُشيدٍ في سبّته، وفي سَنَةِ ٦٥٧ للهجرة، في الأغلب. وجعلَ المقرّي (أزهار الرياض ٢: ٣٥٦) مولده في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٥٧ أو ٦٥٩. وفي سبّته بدأ أبنُ رُشيدٍ دراسةَ الحديث والنحو، ثمّ انتقل إلى فاسَ فتابعَ فيها الدِّراسةَ. ففي سبّته قرأ أبنُ رُشيدٍ القرآنَ العزيزَ بالقراءاتِ السَّبعَ على أبي الحسن بن أبي الربيع وعلى أبي الحسن عليّ بن محمّد الكتاميّ المعروف بأبن الخضار، كما دَرَسَ على أبن أبي الربيع أيضاً أشياء من النحو ومن غير النحو.

وفي سَنَةِ ٦٨٣ للهجرة (١٢٨٤ م) عزَمَ أبنُ رُشيدٍ على الحجّ. واتفقَ أنَّ مركبَهُ مرَّ في طريقه إلى المشرق بشُرقِ المَرِّيَّة (في جنوبيّ الأندلس)، فلَقِيَ هنالك الوزيرَ أبا عبد الله أبنَ الحكيم الرُنديّ متوجّهاً إلى الحجّ أيضاً، فأصطحبها. وآنهزَ الرفيقانِ فُرصةَ الرِّحلةِ إلى المشرق فلَقيا نفراً من الشيوخ وأخذوا عنهم عدداً من فنون المعرفة. وفي أثناء الطريق أخذَ أبنُ رُشيدٍ عن نفرٍ كثيرين من الشيوخ في المَرِّيَّة وفي بجاية (في الجزائر اليوم) وفي تونسَ ثمّ في الإسكندريّة والقاهرة ودمشقَ وفي مَكَّةَ والمدينة (راجع أزهار الرياض ٢: ٤٣٩). وكان أبنُ رُشيدٍ وأبنُ الحكيم الرُنديّ يتدبَّجانِ (يأخذُ كُلُّ واحدٍ منهما عن الآخرِ ما عنده من الأحاديث: أحاديث رسول الله).

وبعدَ ثلاثِ سَنَواتٍ من التَّطَوُّافِ في المشرق عادَ أبنُ رُشيدٍ إلى سبّته. ولكنّه عاش فيها بضَعِ سَنَواتٍ في عزلةٍ أو في إهمالٍ من الدولة ومن الناس. ولكن في سَنَةِ ٦٩٢ للهجرة (١٢٩٣ م) دعاه صديقه ورَفِيقُه في الرِّحلةِ ذو الوزارتين أبنُ الحكيم الرُنديّ إلى الأندلس، في أيام أبي عبد الله محمّد الثاني، ثاني سلاطين بني الأحمر في غرناطة (٦٧١ - ٧٠١ هـ). وفي غرناطة تولّى أبنُ رُشيدٍ الخطبةَ والإمامةَ (يومَ الجُمُعَةِ) في الجامع الأعظم. ولقد أقامَ ابنُ رُشيدٍ في غرناطةَ مُدَّةَ (٦٩٢ - ٧٠٨ هـ) يُقرئُ فنوناً من

العلم، كما كان في أثناء هذه المدة كلها يُدرّس كل يوم صحيح البخاري. ثم لما توفّي أبو جعفر بن الزبير (في ربيع الأول من سنة ٧٠٨ = مطلع الحريف من عام ١٣٠٨ م) - وكان على قضاء المناكح (عُقود الزواج) - خلفه ابن رشيد في هذا المنصب.

وفي شوال من سنة ٧٠٨ (آذار - مارس ١٣٠٩ م) خلع السلطان أبو عبد الله محمد الثالث بن محمد الثاني، ثالث سلاطين غرناطة، وقتل الوزير ابن الحكيم الرندي، فعاد ابن رشيد إلى المغرب ونزل في فاس. وجعل له السلطان المريني أبو الربيع سليمان بن عامر الخيار في السكنى حيث شاء في المغرب، فأختار أن يتنقل إلى مراكش - لأنه كان قد سكنها مرة واستحسنها - فولاه السلطان الصلاة والخطبة فيها في الجامع العتيق. وقد أقام في مراكش سنتين لا يشغله سوى التدريس والتحقيق (الانصراف إلى التوسع في فنون المعرفة).

ثم إن السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب المريني (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) استدعاه، فيما يبدو، إلى فاس (وكانت فاس في ذلك الحين عاصمة المغرب) فجاء ابن رشيد إليها وأستقر فيها يُدرّس الحديث (نفع الطيب ٥ : ٣٨٩) في حلقة له في جامع القرويين (نفع الطيب ٥ : ٢٧٠).

وبقي ابن رشيد في فاس إلى أن أذكرته المنون، في الثالث والعشرين من المحرم (في الأغلب) من سنة ٧٢١ (١٣٢١/٢/٢٢ م).

٢ - كان ابن رشيد السبقي كريم النفس حسن العشرة براً بأصدقائه. وكانت له معرفة بالقراءات، ولكن معظم عنايته كان مُنصرفاً إلى علم الحديث، فلقد كان واسع المعرفة بالحديث: بصحة متنه وضبط أسانيده وعدالة رجاله (أي مراتب رواته في الثقة بما يروون). وكان هو في كل ذلك ثقة عدلاً. وكذلك كانت له معرفة باللغة والنحو (نفع الطيب ٥ : ٢٧٤) وبالأدب وتاريخ الأدب. ثم كان له علم بالنقد أيضاً (نفع الطيب ٤ : ١٢٤ و ٤٧٥ س). وكذلك كان هو أديباً وخطيباً بليغاً (نفع الطيب ٥ : ٣٣٧ و ٥١٤). وكان في شعره تكلف وميل إلى التجنيس (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٣ - ٣٥٤) مع المعرفة بالعروض والقوافي، ولكن نثره كان جيداً.

وكان ابنُ رُشيدِ السبقي مُصنِّفاً. وأشهرُ ما له في هذا الباب «رحلته»: مَلْنَةُ العَيْبَةِ^(١) بطول الغيبة في الوجْهَتَيْنِ الكريمَتين مكة وطَيْبَةَ^(٢) (ذكر فيها نفرًا كثيرين من العلماء والأدباء الذين لَقِيَهُمْ، كما ذكر فيها أشياء من أرائهم وغازجٍ من أشعارهم، بالإضافة إلى عدد من الملاحظات الجغرافية والتاريخية). وله أيضاً من الكتب^(٣): إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح^(٤) - السَّنن الأبين والمورد الأيمن في السند المُعْنَن^(٥) - ترجان التراجم (في أشياء تتعلق بتراجم الرواة الواردة أسماؤهم في صحيح البخاري) - المقدمة المُعرفَة لعلو المسافة والصفة^(٦) - تقييد على كتاب سيوييه - إحكام التأسيس في أحكام التجنيس - الإضاءات والإشارات في البديع (وهو المسمى: المرتع المربع لرائد التسجيع والترصيع)^(٧) - وصل القوائد بالخوافي^(٨) (شرح لكتاب القوافي لشيخه حازم القرطاجني) - جزء مختصر في العروض.

مختارات من آثاره

- قال ابن رُشيد السبقي في الرحلة والاعتراب (النبوغ المغربي ٨٠٩):

- (١) العيبة: زيل (حقيبة أو كيس) من جلد توضع فيه الثياب.
- (٢) في الوجْهَتَيْنِ (ورد مكانها أيضاً: في الرحلة إلى). طيبة (بالتفتح): المدينة المنورة.
- (٣) راجع أزهار الرياض ٢: ٣٥٠.
- (٤) الجامع الصحيح للبخاري.
- (٥) السنن: الطريق. الأبين اسم تفضيل من بين (بتشديد الياء): واضح. المورد: مكان شرب الماء. الأيمن صيغة تفضيل من «اليمين» (وهي صفة معناها: الكثير والقليل، والطويل والقصير. المورد الأيمن: المشرب الكثير الماء (٤). المعنن: السند الطويل (روى فلان عن فلان عن فلان.... الخ).
- (٦) علو - المسافة والصلة.... (٤).
- (٧) المرتع: المرعى. المربع: الخصب (الكثير الشب والماء). الرائد: الطالب. التسجيع (السجع): تقفية الفواصل (أواخر الجمل) في النثر. الترصيع (من أنواع البديع): أن تكون الألفاظ في الجملة الواحدة متفقة في الوزن وفي الأعجاز (يفتح الهزمة: الأواخر)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَهِكُمْ﴾ «إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» (المعجم الوسيط ٣٤٩) - لاحظ: إيلنا وعلينا، إياهم وحسابهم.
- (٨) القادمة: الريشة الطويلة في مقدمة جناح الطائر، والخافية: الريشة الصغيرة الناعمة في باطن جناح الطائر.

تَقَرَّبَ وَلَا تَخْفِلْ لِفُرْقَةِ مَوْطِنٍ تَقَرَّزْ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنْ حَاجٍ (١).
فَلَوْلَا آغْتِرَابُ الْمِسْكِ مَا حُلَّ مَفَرِّقًا، وَلَوْلَا آغْتِرَابُ الدَّرِّ لَمْ يَحْظَ بِالنَّجَاحِ (٢).

- قام ابن رُشيد للخطبة يوم الجمعة بعد فراغ المؤذن الثاني وكان (ابن رشيد) قد ظنَّ (الأذان) الثالث. فكثُرَ (٣) لفظُ الناس (٤). فقال ابنُ رُشيدٍ بديهة:

إِنَّ الْوَاجِبَ لَا يُبْطِلُهُ الْمُنْدُوبُ (٥)، وَإِنَّ الْأَذَانَ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعِ الْوَجُوبِ. فَتَأَهَّبُوا لَطَلَبِ الْعِلْمِ وَاتَّبِعُوا. وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٦). وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مِنْ قَالَ لِأَخِيهِ - وَالْإِمَامُ يُخْطَبُ - : « أَنْصِتْ »، فَقَدْ لَعْنَا (٧). جَمَلَنِي اللَّهُ وَإِلَّا كُمْ مِمَّنْ عَلِمَ فَعَمِلَ، وَعَمِلَ فَقُبِلَ، وَأَخْلَصَ فَتَخَلَّصَ (٨).

- وقال ابن رُشيدٍ يصف سطح البحر وقد أنبسطت عليه أشعة البدر (أزهار الرياض ٢: ٣٥٣):

انْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مَدَّتْ أَشِعَّتُهُ عَلَى خُضَارَةٍ حَتَّى آيِضَ أَرْزَقُهُ (٩).
وَالرِّيحُ قَدْ صَنَعَتْ دِرْعًا مَسَامِيرُهَا حَبَابَ مَلِكٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْنَقُهُ (١٠).

- (١) لا تخفل: لا تهتم، لا تبال: الحاج (جمع حاجة).
- (٢) المفرق: مكان فرق الشعر في الرأس (الرأس). الدرّة. اللؤلؤة. حظي بالأمر: ظفر (بفتح فكسر) به. - لم يحظ بالنجاح (لم ترصع به تيجان الملوك).
- (٣) من عادة المؤذنين أن يؤذّنوا لصلاة الجمعة (صلاة الظهر يوم الجمعة) مرتين أو ثلاثاً (واحدة منها، أو منها، بين يدي الخطيب، حيناً يصعد المنبر). والمشروع في الدين أذان واحد.
- (٤) لفظ الناس: اختلاط أصواتهم فتصبح مبهم (لا تفهم). - استغرب الناس أن يبدأ ابن رشيد بالخطبة يوم الجمعة قبل الأذان الثالث المألوف عندهم.
- (٥) الواجب: الفرض. المندوب: ما يستحسن فعله في العبادة (ولكنه ليس فرضاً).
- (٦) القرآن الكريم (٥٩: ٧، سورة الحشر).
- (٧) لعنا، يلغوا: تكلم (فعل فعلاً يبطل صلاته). - إذا صعد الخطيب المنبر يوم الجمعة، وجب على جميع المصلين أن يستمعوا إلى أقوال الخطيب، ولا يجوز لأحد أن يتكلم ولا أن يصلي.
- (٨) وعمل قبيل (منه عمله). أخلص الرجل في عمله: ترك فيه الرياء (قلعه من أجل الله أو من أجل المبدأ، لا ليراه الناس). تخلص: صفا (قلب الرجل: أصبحت جميع أعماله موضوعة مواضعها).
- (٩) خضارة: اسم للبحر.
- (١٠) مسامر: مسامر (جمع مسامر). الحباب: فقاقيع من الماء تكون مملوءة هواء. الروتق (الجهال، الحسن الذي =

- وقال ابنُ رُشيدٍ يرثي أبناً له (الأدب المغربي ٢٣٦ - ٢٣٧):

فإن ألتفت فالشخصُ للعين مائلٌ، وإن أستمع فالصوتُ للأذن طارقٌ^(١).
وإن أذعُ شخصاً بأسمه لِضُرورةٍ، فإنَّ أسمه المحبوبُ للنطق سابقٌ^(٢).
وإن تفرَّع الأبوابُ راحةً قارعٍ، يطرُ عنها قلبٌ لِذِكراه خافقٌ^(٣).
رأتكَ المنايا سابقاً فأغرَّتْها، فجُدَّ طلاباً إنَّهنَّ لواحقٌ^(٤).
لئن سلَّبتُ مِنِّي نفيسَ ذخائري، فإنِّي بمذخورِ الأجورِ لوائقٌ^(٥).
وقد كان ظنِّي أنِّي لك سابقٌ، فقد صارَ علمي أنِّي بك لاحقٌ^(٦).
غريبتُ كُنّا، فرقَ الدهرُ بيننا بأبرح ما يلقَى الغريبُ المفارقُ^(٧).

- من رحلة ابن رشيد: في رابع (النبوغ المغربي ٦١٧ - ٦١٨):

.... ذكر غريبة عنت لنا في رابعٍ وما عنت^(٧)، بل أغنت في معنى الآية الكريمة وأقنت^(٩). وهي قوله تعالى^(١٠): ﴿يا أيها الذين آمنوا، لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بَشْيءٍ من الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾.

صَحَنِي في الطريق من المدينة - على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام - إلى البيت

- = يسرَّ العين). راق المنظر العين: وجدته العين حسناً. الصورة البلاغية هنا خطأ، فالريح لا تجعل على ماء البحر (أو ما النهر) حباباً بل تعاريج.
- (١) كيفما التفت أتحيل أنه واقف أمام عيني. وكل صوت أسمعه يحيل إلي أنه صوته.
- (٢) وإذا أنا أحتجت إلى أن أنادي أحداً بأسمه، يسبق إلى لساني أسم ابني الميت. اقرأ: في النطق.
- (٣) طار القلب يطير (من الفرح أو من الخوف).
- (٤) رآك الموت سابقاً (للناس في معالي الأمور). فأركض ما شئت فإن الموت يلحق بك.
- (٥) بمذخور الأجر (بالأجر المذخور - الخبأ لي ليوم القيامة).
- (٦) كنت أظن أني سابق لك (سأموت قبلك، لأنني أكبر منك سناً).
- (٧) أبرح: أشد، أكثر شدة، أكثر ألماً. - كل فراق بأمر من أمور الدنيا أهون على النفس من الفراق بالموت.
- (٨) عنت (من «عن»: ظهر). رابع (هنا): وادٍ بين مكة والمدينة قريب من البحر. عنت (من «عن»): أتعب، أهم.
- (٩) أقنى فلان فلاناً: أعطاه (مالاً أو شيئاً غنياً).
- (١٠) القرآن الكريم (٥: ٩٤، سورة المائدة). يخافه بالغيب: يتقيد بأمر الله، ولو لم يكن أحد من أولي الأمر (رجال الدولة) يراقبه. يبلو: يختبر. تناله أيديكم ورماحكم: يسهل صيده.

الحرام^(١) أحدُ الشيوخ من سُرفاء المدينة. فلَمَّا وافَيْنَا^(٢) رابعَ رأيتُ أمراً عَجَباً من تَخَلَّلِ الوحشِ (من) الغزال والأرنب، بينَ الجمال والرحال^(٣)، بحيث يناله الناس بأيديهم، والناسُ يُنادون: حَرَامٌ، حَرَامٌ! والجوارحُ قد سُلِّسَتْ خِيفَةً تَعْدِي جاهل يتصَفَّ الجاهل^(٤). فقال لي ذلك الشيخ الشريف: «تأملْ تَرَّ عَجَباً. هكذا جرت عادتنا في هذه الطريق؛ إذا مَرَرْنَا به ونحن محرمون^(٥) نَجِدُ به من الوحش ما ترى. فإذا عُدْنَا مُحَلِّين^(٦)، لم نَجِدْ به شيئاً». فلما عُدْنَا كان (الأمر) كما قال. فبان لي من معنى الآية ما لم يكن عِنْدِي بِالمُشَاهَدَةِ^(٧).

٤- رحلة ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه)*.

★ الوافي بالوفيات ٤: ٢٨٤-٢٨٦ (رقم ١٨٠٥)؛ أوصاف الناس ١٠٠-١٠٢؛ الديباج المذهب ٣١٠-٣١١؛ الدرر الكامنة حيدر آباد ٤: ١١١-١١٣ (رقم ٣٠٨)، مصر ٤: ٢٢٩-٢٣١ (رقم ٤١٧٢)؛ بغية الوعاة ٨٥-٨٦؛ دُرَّةُ الجبال ٢: ٩٦-١٠٠؛ شذرات الذهب ٦: ٥٦؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٧-٣٥٦؛ نفح الطيب ١: ٦٠٦-٦١٥، ٢: ١٩٥-١٩٦، ٥٨٢-٥٨٣، ٥٨٩، ٦٢٣-٦٢٤، ٣: ٥٢٣، ٤: ١٢١، ١٢٢، ٣١١-٣١٣، ٤٩٦، ٥: ٢٧٤، ٤٨٠-٤٨١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٩؛ بروكلمن ٢: ٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤)؛ معجم المؤلفين ١١: ٩٣-٩٤؛ الأدب المغربي ٢٣٦-٢٣٨؛ النبوغ المغربي ٢٠٦، ٣٨١ (في الترقيم الأول)، ٦١٧-٦١٨، ٨٠٩.

- (١) البيت الحرام: الكعبة (مكة).
- (٢) وافينا: وصلنا إلى...
- (٣) تخلَّل الوحش بين الجمال والرحال: مرور الوحش (الحيوانات غير الأليفة) بين الجمال والرحال (الأحمال) - سواء أكان المسافرون سائرين (يتابعون سفرهم) أو كانوا نازلين (مستريحين، وقت التوقف عن متابعة السفر).
- (٤) الجوارح: الطيور الكاسرة كالنسر وغيره. سُلِّسَتْ: رُبِطَتْ بالسلاسل - كأن الجوارح قد ربطت فلا تنقُصَ على أحد أو على شاة مع أحد لئلا يضطر محرم (حاج) إلى قتلها (إلى سفك دم لا يجوز سفكه في أثناء الإحرام بالحج). تصَفَّ: سلك الطريق على غير علم بها (هجم على أمر لا يعرف عواقبه). الجهل: الأرض لا علامات فيها (جبال أو أشجار الخ).
- (٥) الحرم: الذي نوى الحجَّ وجعل يقوم بالمناسك (بأعمال الحج).
- (٦) الحلَّ (بتشديد اللام): الذي انتهى من القيام بمناسك الحجَّ ثم نوى الخروج من الإحرام.
- (٧) بان: ظهر. بالمشاهدة (بالملاحظة الشخصية).
- (*) راجع مجلة «قافلة الزيت» (جداى الأولى من سنة ١٣٩٢).

ابن البناء العددي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء (لأن والده كان بناءً) العددي (لبراعته في علم العدد: العلم الرياضي) المراكشي.

وُلدَ ابنُ البناءِ العدديُّ في مراكش، سنة ٦٤٧ للهجرة على الأصح (نيل الابتهاج ٦٧)، وتلقى علومه في مراكش وفي فاس. وقد كان له شيوخ (أساتذة) كثيرون (نيل الابتهاج ٦٦) منهم القاضي الشريف محمد بن علي بن يحيى قرأ عليه كثيراً من الكتب وذاكره في كتاب «الأصول» أو «الأركان» لأقليدس (في الهندسة المستوية). ومنهم ابن حجلة الرياضي قرأ عليه أشياء من الطب والفلك، كما قرأ الفلك على أبي عبد الله ابن مخلوف السلجاسي. ومن شيوخه أيضاً أبو عبد الله بن يسر قرأ عليه القرآن في مراكش. ومنهم قاضي الجماعة أبو الحجاج يوسف التيجيسي المكناسي ثم أبو الوليد بن الحجاج قرأ عليه كتاب المِيعَار وكتاب المُستَصْفَى (وكلاهما لأبي حامد الغزالي). ومن شيوخه أبو عمران موسى الرناتي قرأ عليه شرحه على كتاب الموطأ (للملك بن أنس) وتفقّه عليه. وكذلك قرأ كتاب سيبويه (في النحو) على أبي إسحاق الصنهاجي المطّار.

وتصدّر ابنُ البناءِ المراكشي في مراكش للتدريس، ويبدو أنه كان يُدرّس موضوعات مختلفة باختلاف الموضوعات التي تلقّاها عن شيوخه.

وكانت وفاة أبي العباس بن البناء في سادس رجب من سنة ٧٢١ (١٣٢٢/٨/٢ م) في مراكش.

٢- كان أبو العباس بن البناء رجلاً وقوراً فاضلاً حسن السيرة وافر العقل مهذباً حسن التحديث، ولكن قليل الكلام، لا يكاد يتكلم إلا في العلم الذي يريد أن يفيد به الطلاب. وكذلك كان إماماً معظماً عند الملوك، وبلغ عندهم مكانة اجتماعية سامية. وكان له ميل إلى التصوف.

ومع أن ابن البناء كان مشهوراً بالرياضيات، فإنه برع أيضاً في فنون كثيرة. فبالإضافة إلى الحساب والهندسة والفلك، وإلى جانب معرفته بأشياء من التنجيم والسحر وما يتعلق بها، فإنه قد برع في قراءة القرآن وبمعرفة الحديث والفقه والنحو

والمنطق والأدب والبلاغة والشعر.

ولأبي العباس بن البناء تصانيف كثيرة العدد مُتَنَوِّعةُ الموضوعات، منها: تلخيصُ أعمال الحساب. هذا الكتاب موجزٌ جداً. من أجل ذلك شرحه علماء كثيرون. وفي كتاب «التلخيص» هذا أشياء من علم العدد (خواصُّ الأعداد، من تقسيمها أفراداً وأزواجاً وجعلها متوالياتٍ حسابيةً وهندسيةً) ومن الحساب (الأرقام ثم تدوين الأعداد في مراتب) ثم أشياء من الجبر ومن الأعمال الأربعة فيما يتعلق بالأعداد الصحيحة والكُسور (راجع الحواشي على النص المختار لابن البناء). ويقول قذري طوقان (تراث العرب العلمي ٧٤-٧٥، ٤٣٠): بحثَ ابنُ البناء في «قاعدة الخطّائين لحلّ المعادلات ذات الدرّجة الأولى... وأدخل بعضَ التعديل على الطريقة المعروفة بطريق الخطأ الواحد، ووضع ذلك بشكل قانون....»

ولابن البناء أيضاً كتابٌ اسمه «رَفَعُ الحِجاب عن وجوه أعمال الحساب» شرح فيه ابنُ البناء نفسه كتابه «تلخيص أعمال الحساب». يقول ابنُ خلدون (المقدمة- دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٨٩٧): وهو مُستَفْلِقٌ على المُبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة الملباني. (ثم) هو كتابٌ جليلٌ أذكرُنا الشَّيْخَةَ (كِبَارَ الأساتذة) تُعَظِّمُهُ.

وله أيضاً: مقالاتٌ في الحساب (فيه كلامٌ على الأعداد الصحيحة والكسور والجذور والتناسب)- كتاب الأصول والمُقَدِّمات (في الجبر والمُقابلة)- تنبيه الألباب على مسائل الحساب- مسائل في العدد التامّ والناقص- جزء في العمل بالرومي (بتدوين مسائل الحساب بالأحرف لا بالأرقام)- التمهيدُ واليسير في قواعد التفسير- رسالة في علم المساحة (الهندسة المستوية)- مقدّمة في أقليدس والمقالات الأربع- منهاج الطالب في تعديل الكواكب- اليسارة في تعديل الكواكب السيّارة- تسهيل العبارة في تكميل ما نَقَضَ من اليسارة (وهو مُلْحَقٌ مُتَمِّمٌ للكتاب السابق) قانونٌ لترحيل الشمس والقمر في المنازل ومعرفة أوقات الليل والنهار- كتابُ تحديد القبلة^(١)- رسالة في الأنواء

(١) يتَّجه المسلمون في صلاتهم - حيث كانوا من الأرض - نحو الكعبة المشرفة في مكّة المكرمة. ومعرفة القبلة (الاتّجاه نحو الكعبة) يحتاج إلى دقّة في حساب الجهات.

(أحوال الجو) - (رسائله) في المناخ - كتاب في التنجيم والأنواء .

ولابن البناء كُتِبَ في تفسير القرآن وفي الفقه منها: عنوان الدليل مرسوم خطّ التأويل - منحه ملك التأويل - حاشية على الكشاف (للزمخشري؟) - جزء صغير على سورة «إنا أعطيناك»، و«العصر»^(١) - تفسير الباء في السملة^(٢) - بداية التعريف (في الاعتقاد) - الأقتضاب والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين - منتهى السؤل في علم الأصول - رسالة الفرق بين الخوارق الثلاث: المعجزة والكرامة والسحر - مراسم الطريقة في علم (فن) الحقيقة (في التصوّف).

ثمّ له في الأدب: الروض المريع في صناعة البديع^(٣) - قانون في معرفة الشعر - مقالة في عيوب الشعر - قانون في الفرق بين الحكمة والشعر - شرح الأرجوزة^(٤) - موشح كافل للمطلّب^(٥).

٣ - مختارات من آثاره:

- مختارات من «تلخيص أعمال الحساب» لابن البناء:

الغرض من هذا الكتاب تلخيص أعمال الحساب وتقريب أبوابه ومبانيه. وهو يشتمل على جزئين: الأول (منها) في أعمال العدّ المعلوم^(٦) والثاني في القوانين التي يمكن بها الوصول إلى معرفة «المجهول المطلوب» من «المعلوم المفروض»، إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك^(٥). ومن الله أسأل العون والتوفيق والإرشاد إلى سواء السبيل. العدّد ما تألّف من الآحاد^(٦). وهو ينقسم بحسب مأخذه قسمين: صحيحاً

(١) سورة الكوثر وسورة العصر (السورتان ١٠٨ ثم ١٠٣ في المصحف).

(٢) السملة: بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) المريع: المخصب. البديع (الجناس والطباق) من المحسنات اللفظية في البلاغة.

(٤) العدد المعلوم: المقدار المعروف (٥، ١٧، ٢٣، ١٠٨، إلخ) - إن كلّ عدد من هذه يدلّ على مقدار معين.

(٥) هذا تعريف علم الجبر، فإذا نحن قلنا في المتطابقة: س + ٤ = ١١، قلنا: س (المجهول المطلوب) إذا جمع إلى ٤، يكون المجموع ١١. إذن ١١ - ٤ = ٧ (وهو المجهول المطلوب).

(٦) كلّ عدد يتألّف من آحاد، ٥ = ١ + ١ + ١ + ١ + ١، إلخ.

وَكسراً. والصحيحُ على ضربين (نوعين): زوجٌ وفردٌ^(١). والزوجُ على ثلاثة أنواع: زوجُ الزوج، وزوجُ الفرد، وزوجُ الزوج والفرد^(٢). والفردُ على نوعين: أولٌ وفردُ الفرد^(٣). ولما كان العددُ يتزايدُ إلى غيرِ نهايةٍ^(٤)، جعلَ له ثلاثَ مراتبٍ^(٥)، وتُسمى أيضاً منازلَ - وتدورُ عليها منازلُ العددِ - في كلِّ مرتبةٍ منها تسعةُ أعدادٍ.

فالمرتبةُ الأولى من واحدٍ إلى تسعةٍ، وتُسمى مرتبةَ الآحاد. والثانيةُ من عشرةٍ إلى تسعين، وتُسمى مرتبةَ العشرات. والثالثةُ من مائةٍ إلى تسعمائةٍ، وتُسمى مرتبةَ المئين.

وللعددِ اثنا عشرَ اسماً بسيطاً يترکَّب منها جميعُ أسمائه. فالتسعةُ الأولى منها هي الآحاد، والعاشرُ للعشرات، والحادي عشرُ للمئين، والثاني عشرُ للآلاف - وهي بمنزلةِ الآحاد^(٥) - ومن هنا يعودُ الدور^(٦).

الجبرُ هو الإصلاح^(٧). والمقابلةُ طَرَحُ كُلِّ نوعٍ من نظيره حتى لا يكونَ في الجهتينِ

- (١) شفع ووتر، أو مجوز (٢، ٤، ٦، ٨، إلخ) ومُفرد (٣، ٥، ٧، ٩، إلخ).
 (٢) زوج الزوج، زوج الفرد، زوج الزوج والفرد: اصطلاحات تطلق على المتوالية الهندسية (حينما يكون كلُّ حدٍ في المتوالية يساوي نصف الحد الذي يليه. فزوج الزوج هو المتوالية التي تبدأ بعدد شفع: ٢، ٤، ٨، ١٦، إلخ. وزوج الفرد هو المتوالية التي تبدأ بعدد فرد: ٣، ٦، ١٢، ٢٤، إلخ. وزوج الزوج والفرد يجب أن يكون «زوج زوج الفرد» أو هو تجريد الحدود المفردة، نحو ٣، ٥، ٧، ٩، ١١، (وهذه سلسلة حياية: يزيد كلُّ حد فيها على الحد الذي قبله بفرق معلوم، بعد أن تبدأ السلسلة بعدد مفرد). وإذا قبلنا التسمية «زوج الزوج والفرد»، فيكون معنى ذلك $2 + 3 = 5$ ، ثم نستمرُّ في التضيف: ٥، ١٠، ٢٠، ٤٠، إلخ.

- (٣) فرد أولٌ هو العدد الذي لا يقسم إلا على نفسه (وعلى واحد): ١، ١٧، ٥٩، إلخ. وفرد الفرد.....
 (٤) الواضح هنا أن الأعداد لا تنتهي: لا تقف عند عدد معين.
 (٥) الأعداد التسعة الأولى هي آحاد: العشرة تمثل مرتبةَ العشرات (لأنها في الترتيب تمثل مرتبةَ زائدة إلى اليسار: «١٠»، والأحد عشر «١١» تمثل (في الترتيب) مرتبةَ ثالثة. والاثنا عشر (في الترتيب) تمثل مرتبةَ ثالثة إلى اليسار «١١٠» (يحسن إذا نحن أردنا أن ندرك هذا التنظيم أن نعلم أن الفيشاغوريين لما تكلموا في علم العدد - أو خواصَّ الأعداد - لم يكن عندهم أرقام، بل كانوا يعدُّون مجموعات من الحصى يرتبون بعضها خلف بعض).
 (٦) ومن هنا يعود الدور: بعد أن تنتهي من المراتب: آحاد، عشرات، مئون (مئات) نصل إلى الألوف (آحاد الألوف) ثم نستمرُّ على النمط السابق فنقول: عشرات الألوف، مئات الألوف، ألوف الألوف. ثم نقول: آحاد ألوف الألوف، عشرات ألوف الألوف، مئات ألوف الألوف، ألوف ألوف الألوف، إلخ.
 (٧) الجبر (بالمعنى اللغوي): الإصلاح (إذا كسر عظم في إنسان، فإنه يُجبر). (والجبر هنا) جمل الكسور =

نوعان من جنس واحد. والمعادلة هي أن يُجَبَّرَ الناقصُ إلى الزائدِ ويُطَرَحَ الزائدُ من الزائدِ و(يطرح) الناقصُ من الناقصِ من الأشياء المتجانسة^(١).

ومدارُ (علم) الجبر على ثلاثة أنواع: العدد والأشياء والأموال. فالأشياء هي الجذور، والمال ما يجتمع من ضرب الجذر في نفسه. والعدد ما لم يُنسَب إلى جذر ولا مال^(٢)...

واعلم أنَّ أسَّ الأشياء واحد^(٣)، وأسَّ الأموال آثنان، وأسَّ الكُوب ثلاثة^(٤).... فإذا ضربت هذه الأنواع فأجمع (أسَّ المضروب إلى) أسَّ المضروب فيه فيكون مجموع الأسين أسًا للخارج^(٥). وإذا ضربت عدداً في أحد هذه الأنواع، فالخارجُ ذلك النوع بعينه^(٦).

- وقال ابن البناء العددي في الحكمة (النبوغ المغربي ٨٠٧):

قصدتُ إلى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار^(٧)
ولم أخذرُ فهوأً دونَ فهمي ولكن خفتُ إزراء الكبار^(٨)
فشأنُ فحولة العلماء شأني، وشأن البسط تعليم الصغار^(٩).

= أعداداً صحيحة: $\frac{1}{2}$ ب + ٣ ح - س = ١٠٠، تجعل بالجبر: ب + ١٢ ح - ٤ س = ٤٠٠ (بأن ضرب المعادلة كلها بأربعة لتتخلص من الربع، فيصبح حل المسألة أهن). المقابلة أن تجمع الحدود المتجانسة وأن تفرق الحدود المختلفة في طرفي المعادلة: ٣ س + ١٢ = س + ٢٢ فتصبح ٣ س - س = ٢٢ - ١٢، تساوي ٢ س = ١٠، أو س = ٥.

(١) الشيء أو الجذر: س، ص، ب إلخ (عدد مجهول). المال: الشيء المضروب بنفسه: س × س = س².

العدد (الملفوظ، المعلوم) ١٨، ٥٢، ٢١٨ إلخ (ليس معه جذر ولا مال).

(٢) هنالك أساس وأس. في ب² (ب = أساس، والعدد ٢ فوقها هو الأس). ومعنى ذلك أن «ب» مضروبة بنفسها (ب × ب). وب² تعني أن «ب» مضروبة بنفسها مرتين (ب × ب × ب) إلخ. وحينما يكون الأس واحداً فنحن لا نثبتته: نحن لا نكتب ب¹، بل «ب» فقط.

(٣) س² تدعى مالاً (أو س تربيعاً)، س³ تدعى كمياً (أو س مكعبة).

(٤) حينما نضرب س² في س³ يصبح لدينا س⁵ (نجمع الأساس - بالكسر جمع أس بالضم - فقط).

(٥) إذا ضربنا س في س في س في س³، يبقى الأساس كما هو (س)، ثم نجمع الأساس (بالكسر: جمع أس).

(٦) الوجازة: الإيجاز، الاختصار. - الكلام الكثير الفصل يكون أكثر مدعاة إلى الخطأ.

(٧) أزرى الجهل بالإنسان: عابه، جملة محترفاً.

(٨) الإيجاز شأن العلماء في مخاطبة بعضهم بعضاً. أمّا البسط (الشرح والتفصيل) فيكون في تعليم الصغار (الجهال).

- ٤- منهاج الطلب في تعديل الكواكب (.....)، (الطبعة المغربية) ١٩٥٢ م.
 - تلخيص أعمال الحساب (حققه محمود سويبي)، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.
 ** نيل الابتهاج ٦٥-٦٨؛ البدر الطالع ١: ١٠٨؛ الإعلام بمن حلّ مراكش من الأعلام ١:
 ٣٧٥-٣٨٤؛ ابن قنفذ ٣٤٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣١؛ بروكلمن ٢:
 ٣٣-٣٣١، الملحق ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ تراث العرب العلمي لطوقان ٤٢٩-٤٣٢؛
 الأعلام للزركلي ١: ٢١٣-٢١٤ (٢٢٢)؛ النبوغ المغربي ٢١٣، ٨٠٧.

ابن آجروم

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي المعروف بأبن آجروم (ومعنى آجروم أو أكروم - بالكاف المعقودة، بلغة البربر - «الفقير الصوفي»). وُلِدَ في فاس، في سنة ٦٧٢ للهجرة (١٢٧٣-١٢٧٤).

تلقّى أبو عبد الله بن آجروم علومه في فاس ثم ذهب إلى الحج - وقد استوفى علمه، فيما يبدو - فقد ألف «مُقدّمته» الجرومية (أو «الأجرومية») تجاه الكعبة. و«المقدّمة» هذه هي أشهرُ كُتُبِ ابنِ آجروم وأبعدها أثراً. وجلس ابنُ آجروم للتدريس في فاس يعلم النحو والقراءات.

وكانت وفاة ابنِ آجروم في فاس في صفر من سنة ٧٢٣ (شباط - فبراير ١٣٢٣ م).

٢- كان أبو عبد الله بن آجروم بارعاً في النحو وفي القراءات وعارفاً بفنون أخرى من العلم كالفرائض والحساب والأدب. وكانت له أراجيزٌ ومصنّفاتٌ، له: فرائدُ المعاني في شرحِ حرزِ الأمان^(١) - المقدّمةُ الأجرومية.

ومَعَ أن السيوطي قد قال (بغية الوعاة ١٠٢، السطر ٤ من أسفل): وله معلوماتٌ

(١) للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) - راجع الجزء الخامس.

من فرائض (تقسيم الإرث) وحساب وأدب بارع»، فليس من الواضح أن البيتين اللذين نسبهما المقرئ (نفع الطيب ٥ : ٩٥-٩٦) إلى ابن أجروم، وهما:

يا غائباً كان أنسي رهن طلعته، كيف أصطباري، وقد كابدت بينهما
دعواي أنك في قلبي يُعارضها شوقي إليك، فكيف الجمع بينهما؟

أنها لأبي عبد الله بن أجروم، كما توهم الحاشية التي علّقها إحسان عباس (ص ٩٥) وقال فيها: «المشهور بهذا الاسم هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت ٧٢٣)، وهو نحوي، وله في النحو مؤلف سمي الأجرومية». ولعل هذين البيتين لنديل بن أجروم ابن صاحب الأجرومية، فهو شاعر غير مُقل. ولقد روى له المقرئ بيتين آخرين أكثر طلاوة (نفع الطيب ٥ : ٤١٨) ثم أورد له أيضاً قصيدة (نفع الطيب ٧ : ١٢٣-١٢٥). ولنديل هذا (ت ٧٧٣ هـ) ترجمة في هذا الجزء.

أما في النحو خاصة، فإن أبا عبد الله محمد بن أجروم من أتباع المذهب الكوفي، فقد قال السيوطي (بغية الوعاة ١٠٢): «..... إنا استفدنا من مُقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنه عبّر بالخفض^(٢) - وهو عبارتهم. وقال الأمر مجزوم^(٣)، وهو ظاهر في أنه مُعرب^(٤)، وهو رأيهم. وذكر في الجوازم «كيفما»، والجزم بها رأيهم: وأنكره البصريون».

وقد كان للأجرومية على إيجازها، شهرة كبيرة في المشرق والمغرب، فقد صنع النحاة عليها نحو ستين شرحاً، كما أنها قد عُرِفَت في الغرب (في أوروبا) منذ القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ونُقِلَت إلى معظم اللغات الأوروبية، ولها في اللاتينية وحدها ثلاثة نقول^(٥).

(١) بينها = شئ «بين» (فراق، بعاد). هما (في «بينها») ضمير يرجع إلى «طلعته» وإلى «اصطباري».

(٢) عبّر بالخفض (كما يقول الكوفيون) بدل الجر.

(٣) وقال في فعل الأمر إنه مجزوم (وهو قول الكوفيين)، بينما هو عند غيرهم «مبني على السكون».

(٤) ... ولأن ابن أجروم قال في فعل الأمر إنه «مجزوم»، فقد دلّ ذلك على أن ابن أجروم يقول في فعل الأمر إنه معرب (كما يقول الكوفيون).

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٩٧، أعلى العمود الأيمن.

٣- مختارات من آثاره

- من متن الأجروميّة:

★ الكلام ★ الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع^(١)، وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى^(٢). فالاسم يُعرف بالخفض والتنوين ودخول الألف واللام وحروف الخفض، وهي: من وإلى وعن وعلى وفي وربّ والباء والكاف واللام؛ وحروف القسم، وهي: الواو والباء والتاء. والفعل يُعرف بقَدْ والسين وسوف وتاء التأنيث الساكنة. والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل^(٣).

★ الأعراب ★ هو تغيير أو آخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً^(٤). وأقسامه أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم. فلأسماء من ذلك الرفع والنصب والخفض، ولا جزم فيها. وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم، ولا خفض فيها.....

(١) اللفظ هو الصوت المشتمل على عدد من الحروف. المركب (المؤلف، المجموع إلى غيره) فلا يكون اللفظ كلاماً (جمله تامّة) إلا إذا كان مؤلفاً من كلمتين فأكثر (إلا إذا كان في الفعل ضمير مستتر وجوباً، نحو «قم»). ويجب أن يكون الكلام مفيداً (يؤدي معنى مألوفاً) بالوضع (بحسب ما تواضع - أي اتفق - عليه العرب: يجب أن تكون الجملة التامة مركبة من ألفاظ معروفة في اللغة العربية).

(٢) ... وحرف جاء لمعنى. الاسم والفعل يدلان على معاني في نفسيهما (بيت، شجرة، اجتماع)، والحرف يدل على معنى في غيره (لا يثبت معناه إلا إذا قرُنَ بغيره: هذان سعيد وسليم - جاء سعيد والسماء تمطر - ما شأنك والآخرين: قالوا في الجملة الأولى للمطف، وفي الجملة الثانية للحال، وفي الجملة الثالثة للمعية).

(٣) قوله: «الاسم يعرف بالخفض والتنوين ودخول اللام... والفعل يعرف بقَدْ... والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل» إشارات ظاهرة يدركها العربي. أمّا غير العربي فلا ينتفع بها. إنّ كلمة «أحمد» مثلاً هي - في الأصل فعل مضارع للمتكلم المفرد - من أجل ذلك تدخل عليها قد والسين وسوف. ثم نقلت كلمة «أحمد» إلى اسم العلم فأصبح يدخل عليها الخفض، وتقبل التنوين (في ضرورة الشعر)، إلخ.

(٤) - إذا قلنا: لن يذهب سعيد إلى المدرسة، فإنّ «يذهب» و«سعيد» و«المدرسة» معربة لفظاً بالفتحة والضمة والكسرة على التوالي. أمّا إذا قلنا: يرجى من القاضي أن ينهى عن الظلم، فإنّ الفعل «يرجى» والاسم «القاضي» والفعل «ينهى» معربة تقديراً بالضمة المقدرة على الألف في «يرجى» (منع من ظهورها التعمد: لفظ فتحتين في وقت واحد). والاسم «القاضي» معرب بالضمة تقديراً (منع من ظهورها التثقل: لاستئثار لفظ الضمة الطارئة على الياء المسبوقة بكسرة أصلية).

المُعْرَبَاتُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ، وقِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ. فالذي يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ أربعة أنواع: الأسمُ المفردُ وجمعُ التكسير وجمعُ المؤنثِ السالمِ والفعلُ المضارعُ الذي لم يتصل بآخره شيء؛ وكلُّها تُرْفَعُ بالضمة وتُنْصَبُ بالفتحة وتُخَفَّضُ بالكسرة وتُجْزَمُ بالسكون. وخرَجَ عن ذلك ثلاثة أشياء: جمعُ المؤنثِ السالمِ يُنْصَبُ بالكسرة والأسمُ الذي لا يَنْصَرِفُ يُخَفَّضُ بالفتحة، والفعلُ المضارعُ المعتلُّ الآخرُ يُجْزَمُ بِحَذْفِ آخره. والذي يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ أربعة أنواع: التثنية وجمعُ المذكرِ السالمِ والأسماءُ الخمسة والأفعالُ الخمسة وهي يَفْعَلانِ وتَفْعَلانِ ويفْعَلونَ وتَفْعَلونَ وتَفْعَلينِ. فأما التثنيةُ فترْفَعُ بالالف وتُنْصَبُ وتُخَفَّضُ بالياء. وأما جمعُ المذكرِ السالمِ فيُرفَعُ بالواو ويُنْصَبُ ويُخَفَّضُ بالياء. وأما الأسماءُ الخمسة فترْفَعُ بالواو وتُنْصَبُ بالالف وتُخَفَّضُ بالياء. وأما الأفعالُ الخمسة فترْفَعُ بالنون وتُنْصَبُ وتُجْزَمُ بِحَذْفِها.

★ باب لا ★ اعلم أنَّ «لا» تَنْصِبُ النِّكَرَاتِ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، إذا باشرتِ النِّكَرَةَ ولم تَتَكَرَّرْ «لا»، نحو: «لا رَجُلٌ في الدار»^(١). فإن لم تُبَاشِرْها، وَجَبَ الرُّفْعُ وَوَجَبَ تَكَرُّرُ «لا»، نحو: «لا في الدار رجلٌ ولا امرأة». فإذا تَكَرَّرَتْ جازَ إعمالُها وإلغاؤها. فإن شِئْتَ قُلْتَ: «لا رجلٌ في الدار ولا امرأة»، وإن شِئْتَ قُلْتَ: «لا رجلٌ في الدار ولا امرأة»^(٢).

٤ - المقدمة (الأجرومية):

إنَّ قَصَرَ هذه الرسالة (المقدمة الأجرومية) قد سهَّلَ شرحَها وطبعَها. فالتَّطَبُّعات التالية هي أمثلة من الطَّبعات الكثيرة المختلفة الأماكن والسنين:

(١) لا: نافية للجنس. رجل: اسم «لا النافية للجنس» مبني على ما يُنْصَبُ به (هنا، على الفتحة). ومعنى الجملة: لا يوجد في الدار رجلٌ ولا أكثر من رجلٍ (لكن يمكن أن يوجد فيها نساء أو أطفال أو حجارة). أما إذا قلنا: لا رجلٌ (بضمَّين) في الدار، تكون لا هنا نافية للوحدة، فيكون المعنى هنا، إذن: ليس في الدار رجلٌ واحدٌ، بل فيها رجلان أو ثلاثة رجال أو أكثر (و«لا»، هنا، تعمل عمل «ليس»: لا كاذبٌ محموداً عند الله ولا عند الناس).

(٢) في الجملة: «لا رجلٌ في الدار ولا امرأة» (الواو: حرف عطف، امرأة: معطوفة على رجل، فهي أيضاً اسم للحرف «لا» النافية للجنس). أما إذا قلنا: «لا رجلٌ في الدار ولا امرأة» (بضمَّين على «امرأة»، كانت الواو حرف عطف، وكانت «لا» حرف نفي عادي، وكانت «امرأة» مبتدأ، وكان خبر امرأة مقدراً يفسره ما قبله: لا رجلٌ في الدار، ولا امرأة في الدار).

- ليدن ١٦١٧ م (١٠٢٦ هـ)؛ روما ١٥٩٢ م (١١٠٢ هـ)، ١٦٣١ م؛ بولاق ١٢٣٩، ١٢٥٢، ١٢٩٣ هـ؛ كامبردج (بريطانية) ١٨٣٢ م (١٢٤٨ هـ)، ١٨٥٢ م؛ بيروت ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)، ١٨٥٧، ١٨٧٤، ١٨٨٦ م؛ باريس ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ)؛ الجزائر ١٨٤٦ م (١٢٦٤ هـ)، ١٨٦٠ هـ؛ الجزائر ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (حجر) مراراً؛ القاهرة ١٢٧٣، ١٢٩٣، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (في مجموع) ١٢٧٦، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦ هـ؛ جونية (لبنان) ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)؛ الهند ١٨٥٣ م (١٢٧٠ هـ)؛ منش (ألمانية) ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ القدس ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ دمشق ١٣٠١ هـ؛ في مجموع: الرسائل العلمية التسع، دمشق (مطابع الفكر الإسلامي) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م؛ مكة المكرمة ١٣١٤ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٣ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣٤٥ هـ؛ مختارات برونو وفيشر (بألمانية) (ص ١٧١ - ١٨٣)؛ متن الأجرومية في علم العربية، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.
- ★★ شروح وحواش على متن الأجرومية:
- شرح الأجرومية، لشارح مجهول، بولاق ١٢٤٢ هـ.
- شرح المكوذي، أبو زيد عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٠١ هـ)، تونس ١٢٩٢؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرازق) ١٣٠٩ هـ.
- شرح الأزهرى، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٩، ١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٨٤، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٨١ هـ؛ بهامش حاشية أبي النجا، ١٣٠٤ هـ؛ ثم ١٣١٢، ١٣١٩ هـ. فاس ١٣١٥ هـ.
- شرح الخطّاب الرعيني، جمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤ هـ)، بولاق ١٢٩٥ هـ؛ القاهرة ١٢٩٨، ١٣٠٢ هـ.
- شرح ابن جبريل، زين الدين (ت نحو ١٠٥٤ هـ)، (تحرير دلفين)، باريس ١٨٨٥ م (١٣٠٢ هـ)، الطبعة الثانية ١٨٨٦ م.
- شرح الكفراوي، حسن بن عليّ (ت ١٢٠٢ هـ)، بولاق ١٢٤٢، ١٢٤٨، ١٢٤٩ (؟)، ١٢٥٢، ١٢٥٧، ١٢٦٢، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة المعارف المصرية) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٢٩٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٣٠٦، ١٣١٤ هـ.
- حاشية أبي النجا الطنّداغي، محمد مجاهد (الْفَتْ نَحْو ١٢٣٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٤، ١٢٩٩، ١٣٠١، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٤٢ هـ؛ تونس ١٢٨٤ هـ.
- شرح الباجي (البيحي) المسودي، أبو عبد الله محمد (ت ١٢٩٧ هـ)، راجع سركيس (معجم =

- = المطبوعات العربية) ص ١٧٤٤ .
- شرح أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٧، ١٣١١، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٤ هـ، مكة ١٣١٤ هـ .
- شرح العجيمي، عبد الله بن عثمان (أتمها سنة ١٣٠٧ هـ)، مكة ١٣١٣ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- عوائد الصلة الربانية لعبد الرحيم السيوطي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣٣٥ هـ .
- شرح (متن) الأجرومية لهاشم بن الشحات الشرقاوي، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ .
- شرح المشاوي، عبد الله بن فاضل، بولاق ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة ١٢٩١، ١٢٩٨، ١٣٠٢، ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠، ١٣٤٤ هـ؛ راجع أيضاً سركيس (معجم المطبوعات العربية)، ص ١٣٢٩ .
- شرح النووي: «كشف المروطية عن ستار الأجرومية»، لمحمد عمر النووي، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة ١٣٢٦، ١٣٤٢ هـ .
- شرح القادر (؟) القاسي علي مقدمة الأجرومية....
- ★★ شروحٌ وحواشٍ على شروحٍ وحواشٍ :
- (أ) على شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ):
- حاشية أبي النجا محمد الطنتداعي (فرغ من تأليفها سنة ١٢٢٣ هـ)، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ (تحرير كارلتي)، تونس ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠ هـ، ثم طبعات أخرى .
- حاشية حسن المطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ أيضاً؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ .
- (ب) على شرح حسن بن علي الكفراوي (ت ١٢٠٢ هـ):
- حاشية إسماعيل بن موسى الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، بولاق ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٨٣ (؟)، ١٢٩٨ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ .
- فوائد الطريف والتالد، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاوي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣١٨ هـ .
- حاشية أحمد بن محمد الحاج، فاس ١٣١٥ هـ (؟) .
- منحة الكريم الوهاب وفتح باب النحول للطلاب = حاشية لأحمد بن أحمد النجاري الديماطي (ت بعد ١٣٠٩ هـ)، بولاق (بهاشم شرح الكفراوي) ١٢٤٨ هـ؛ ١٢٨٢، ١٢٩١ هـ، ١٢٩٢ هـ (؟) .
- (ج) متفرقات:

- الكواكب الدرية في شرح منمنمة الأجرومية للخطّاب (؟)، تأليف محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت ١٢٩٨ هـ)، بولاق ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٢.
 - حاشية على شرح النووي (؟) للأجرومية، لمحمد معصوم بن سليم السمراني، القاهرة ١٣٢٦ هـ، ١٣٤٢ هـ.
 - شرح (متن) الأجرومية، لهاشم بن الشّحات الشّرقاوي، وعليه تقييدات وجيزة وشروح لما يجب التنبيه عليه عزيزة، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ.
 - حاشية على شرح أبي العباس أحمد بن محمد السوداني على مقدّمة ابن آجرّوم، تأليف محمد المهدي بن محمد الوزّاني، فاس ١٢٩٨ هـ.
 - تقريرات على حاشية أبي النجا على شرح الأزهرى على الأجرومية، تأليف محمد بن محمد الأنباري (ت ١٣١٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٣٠٢، ١٣١٩ هـ.
 - الدّرة البهية في نظم الأجرومية ليحيى بن نور الدين العمريطي (ت بعد ٩٨٩ هـ)، لكنهو (الهند) ١٢٦٠ هـ؛ كاونبور (الهند، «في مجموع» طبع حجر) ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٨٧ هـ، ١٣٠٢، ١٣٠٩، ١٣٤٤ هـ؛ مع حاشية الباجوري ١٢٩٧ هـ.
 - المنظومة السّنية لما يُسمّى متن الأجرومية، لملي بن عبد الله المسرّاتي الطرابلسي (الليبي)، مصر (مطبعة شرف - طبع حجر) ١٣٠٧ هـ.
- بغية الوعاة ١٠٢-١٠٣؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦؛ نفع الطيب ٧: ١٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٧؛ بروكلمن ٢: ٣٠٨-٣١٠، الملحق ٢: ٣٣٢-٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٣ (٣٢)؛ سركيس ٢٥-٢٦؛ النبوغ المغربي ٢١٠.

ابن الفخّار الجذامي النحوي

١- هو أبو بكر (أو أبو عبد الله) محمد بن علي بن محمد البيري (الإلبيري) النحويّ الجذامي المألقيّ الشريفيّ، وُلِدَ في أركُشَ (بليدة قُربَ شَريشَ على وادي لَكُه)، نحو سَنَةِ ٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وفيها نشأ. وقد تَطَوَّفَ في بُلدانٍ كثيرة وتلقّى العِلْمَ عن رجالها^(١): استولى الإسبانُ على أركُشَ سَنَةِ ٦٤٨ (١٢٥٠ م) فانتقل إلى شَريشَ.

(١) لم أذكر الأشخاص الذين أخذ عنهم ابن الفخّار لأنّ السيوطي (ت ٩١١) ذكر في بغية الوعاة أن من شيوخ ابن الفخّار (ت ٧٢٣) علي بن إبراهيم السكوني وأبا عبد الله بن خيس (٦٢٥-٧٠٨ هـ) وأبا الحسين بن أبي الربيع (ت ٦٨٨) والأبدي وابن الصائغ (٧١٠-٧٦٦ هـ) وأبا عمر بن حوط الله أو حوطه (٥٤٣-٦١٢ هـ). وعدد من هؤلاء، كما يتضح من تاريخ وفياتهم لا يمكن أن تسق حياتهم مع حياة ابن الفخّار.

واستولى الإسبان على شريش، سنة ٦٦٣ (١٢٦٤ م) فانتقل إلى الجزيرة الخضراء .
وحُصِرَت الجزيرة الخضراء ، سنة ٦٧٧ (١٢٧٨ م)، ولكنَّ الأندلسيين وأحلافهم
المرينيين استطاعوا إبادة الأسطول الإسباني. وزارَ سَبْتَةَ في العُدْوَة الإفريقية، ثُمَّ
استوطن مَالَقَة وتصدَّرَ فيها للإقراء، وظلَّ يُقرىء فيها إلى وفاته، سنة ٧٢٣
(١٣٢٣ م).

٢- كان ابنُ الفَخَّارِ الجُذاميُّ عالماً بالقراءاتِ والتفسيرِ وبالْفقهِ والحديثِ والأدبِ،
وكان الآيةَ الكُبرى والإمامَ المُجمَع على إمامته في فنِّ العربية (النحو) المفتوحَ عليه من
الله حِفْظاً واطِّلاعاً ونَقْلاً وتَوْجِيهاً بما لا مطمَع فيه لِسِواه (نفع الطيب ٥ : ٦٠٤، ٧ :
١٦٥)، وكان شيخَ النُحويِّين لمهده وسيبويه زمانه (نفع الطيب ٥ : ٧٥، ٣٨٣). وله
شِعرٌ عليه جفافُ شِعْرِ العُلَماء . وله من التَّأليفِ : تفسير (سورة) الفاتحة - شرح الرسالة (في
الفقه المالكي) - شرح مشكلات سيبويه - الردُّ على مَنْ نسب رفع الخبر بـ «لا» إلى
سيبويه - تحريم الشُّطرنج، وغيرها.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفخَّار الجذامي النحوي في الوصف :

انظُرْ إلى وَرْدِ الرِّياضِ كأنه ديباجُ خدٍّ في بَنانِ زَبَرَجَدٍ^(١).
قد قَتَحَتْه نَضارةٌ فبدا له في القلبِ رَوْنُقُ صُفْرةٍ كالصَّنجدِ.
حَكَتِ الجِوانِبُ خَدَّ حَبٍّ ناعمٍ، والقلبُ يَحْكِي قلبَ صَبٍّ مُكَمَدٍ^(٢).

- ولابن الفخَّار نص نحوي (نفع الطيب ٥ : ٣٥٥-٣٥٦):

وَرَنُ «إجازة» في الأصل إجازة فَأَعْلَتْ بِنَقْلِ حَرَكَةِ الواوِ إلى الجيم حَمَلاً على
الفعل الماضي أَسْتَحْلَا^(٣). فتحرَّكَتِ الواوُ في الأصل وانفتَحَ ما في اللفظ فصارت

(١) البنان جمع بنانة: إصبع (او عقدة الإصبع) . زبرجد: حجر كريم أخضر. بنان زبرجد: أطراف

الكأس (في الزهرة) الغلاف الأخضر الذي يلف الزهرة قبل تفتحها.

(٢) الحبّ (بالكسر): المحبوب. الصبّ: الحبّ.

(٣) جذر هذا الفعل «جوز»، استنقل العرب لفظه فقالوا: جاز. وكذلك صيغة إفعالة يجب أن تكون: =

« إجازة - بِالْفَيْن - فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ الثَّانِيَّةُ عِنْدَ سِيَّوِيهِ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَالزَّائِدُ أَوْلَى بِالْحَذْفِ مِنَ الْأَصْلِيِّ ^(١). وَحُذِفَتِ (الْأَلْفُ) الْأُولَى عِنْدَ الْأَخْفَشِ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، وَهُوَ الْمَدُّ. وَقَوْلُ سِيَّوِيهِ أَوْلَى لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِيَّوُصُ اللَّتَاءِ مِنَ الْمَحْذُوفِ فِي نَحْوِ « زَنَادِقَةُ » ^(٢)، وَتَعْوِيضُ الزَّائِدِ مِنَ الزَّائِدِ أَوْلَى مِنْ تَعْوِيضِ الزَّائِدِ مِنَ الْأَصْلِيِّ لِلتَّنَاسُبِ. وَوَزَنُهَا فِي اللَّفْظِ عِنْدَ سِيَّوِيهِ إِفْعَلَةٌ، وَعِنْدَ الْأَخْفَشِ إِفَالَةٌ، لِأَنَّ الْعَيْنَ مَحْذُوفَةٌ ^(٣). »

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٧٠-٧١؛ بغية الوعاة ٨٠؛ درة البحال ٢: ٨٣-٨٦؛ نفح الطيب ٥: ٧٥، ٣٥٥-٣٥٦، ٣٧٨-٣٨١، ٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٥ (٦: ٢٨٤).

العبدري صاحب الرحلة

١- هو أبو محمد محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (أو سعود) البنسقي الشهير بابن المعلم؛ لا نعرف من أحداث حياته إلا ما أشار إليه هو في ثنايا « رحلته » التي كان قد بدأها من بلاد قبيلة حاحة (في المغرب) في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة ٦٦٨ (١٢/١١/١٢٨٩ م). وقد سمع في أثناء رحلته من نفر من العلماء منهم في تونس الحاضرة عبد الله بن هرون الطائي، كما تسلّم فيها الخريقة من الشيخ أبي محمد عبد

- = « إجازة »، وقد وجدها العرب ثقيلة على اللفظ أيضاً فعاملوها معاملة الفعل الماضي وقالوا « إجازة ».
- (١) في فقه اللغة (فلسفة النحو): إجازة تصبح بقلب الواو ألفاً (للمناسبة حركة الجيم في الفعل جوز): « إجازة (الألف الأولى مقلوبة عن واو إجازة، والألف الثانية من أصل الصيغة أفعالة). وكان سيويه (ت ١٨٠ هـ) يرى أننا حذفنا الألف الأولى المقلوبة عن الواو (لأن هذه الألف زائدة: ليست من أصل الصيغة). أما الأخفش (الأصغر؟: أبو الحسن المتوفى ٣١٥ هـ) فيرى أن الحذف يجب أن يتناول الألف الثانية (وإن كانت أصلية في بناء صيغة إفعالة) لا الألف الأولى (وإن كانت غير أصلية) ذلك لأن هذه الألف الأولى الزائدة ضرورية لأنها تقرر حركة الجيم.
- (٢) زنديق تجمع على زناديق (مثل: تلميذ: تلاميذ، وأستاذ: أساتيد) وقد تحذف الياء الزائدة في المفرد « زنديق »، ويجعل مكانها تاء زائدة (في الجمع) فتصبح زنادقة مثل تلامذة وأساتذة ومصادلة إلخ.
- (٣) عين الفعل هي الحرف الثاني في جذر الفعل الثلاثي: فعل. ففي جاز (وأصلها جوز) تكون عين الفعل هي الواو.

الله بن يوسف الأندلسي. وسمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن الأشدي. ثم سمع (في مصر) من شرف الدين الدُمياطي وابن دقيق العيد وزين الدين بن المنير. ولا ينبغي أن تكون وفاته نحو سنة ٧٢٥ (١٣٢٥ م). ويبدو أنه قد قضى جانباً كبيراً من حياته في المغرب حتى عُرف أيضاً باسم «الحيجي» (نسبة إلى حاحة) وحتى كان ميله إلى المرينيين أصحاب المغرب الأقصى أكثر منه إلى بني عبد الواد أصحاب المغرب الأوسط.

٢ - للعبدري «رحلة» عنوانها «ملء العينة فيما آجتماع بطول الغيبة في الرحلة الى مكة وطيبة «أو» ما سما إليه الناظر المطرق إلى بلاد المشرق. وتعرف عادة باسم «الرحلة المغربية».

هذه «الرحلة» قليلة الابتكار قليلة الفوائد الجغرافية فقد أخذ العبدري كثيراً من أوصاف البلدان عن الجغرافيين المتقدمين، إلا أنه يصف البلدان التي مر بها من النواحي العمرانية والاقتصادية والعلمية ثم يعرف عدداً من علماء القرن السابع ومن أدبائه ويورد أشياء من نتاجهم مع شيء من النقد. وكان جُلُّ اهتمامه بحال الثقافة والتدريس وخصوصاً في المغرب.

٣ - مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

..... وبعد: فإنني قاصدٌ، بعد استخارة الله سبحانه، تقييداً ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده ممّا سَمَا إليه الناظر المطرق في خبر (٢) الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان وأحوال من بها من القُطّان حسباً أدركه الحس والعيان وقام عليه بالمُشاهدة شاهد البرهان من غير تورية ولا تلويح، ولا تقييح حسن ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يُخجّم مفرداً ولا يجمع فيتعدى المدى، مُسْطَراً لما رأيته بالعيان ومُقرراً له بأوضح بيان حتى يكون السامع لذلك كالمُبصر وتلحق فيه السبابة بالخنصر فتشفي به نفس المتطلع المُتَشَوِّف ويَقِفَ منه على بُغيته السائل المُتَعَرِّف. وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر وأنشدته من دُرر..... وأثبت في خلال ذلك من نظمي

ما يُغْلَقُ إليه الكلامُ وأضيف إلى ذلك ما يَضْطَرُّ إليه التبيانُ فيها قَصَرَ فيه العيانُ مِنْ بُدَيِّ مذكورةٍ وتُتَفِّ مشهورةٍ ونُكِّتِ مرسومةٍ في الكُتُبِ مسطورةٍ تَمِيماً لِمَرْغُصِ التقييدِ وتعميماً لأَرْبِ المُستفيدِ حَتَّى يكونَ التأليفُ في بابِهِ مُغْنِياً وَعَنِ الافتقارِ إلى غَيْرِهِ مُستغنياً، مُثَبِّتاً في كُلِّ رَسْمٍ بعضَ الأحاديثِ التي رَوَيْتُهَا والآثارِ التي وَعَيْتُهَا

كَانَ سَفَرُنَا - تَقَبَّلَهُ اللهُ - في الخامسِ والعشرينَ من ذي القَعْدَةِ عامَ ثمانيةٍ وثمانينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَمَبْدَأُهُ من حَاحَةِ صَانِهَا اللهُ

- من طرابلس إلى تونس (ص ٦٩):

ثُمَّ وَصَلْنَا إلى مدينةِ إِطْرَابُلُسَ، وهي للجهلِ مَاتَمٌ وما فيها للعلمِ غَرَسٌ: أَقْفَرَتْ ظاهراً وباطناً وَذَمَّهَا الخبيرُ بها سائراً وقاطناً^(١). تَلَمَّعَ لِقَاصِدِهَا لَمَعَانُ البرقِ الحَلَبِ وَثَرِيهِ ظاهراً مُشْرِقاً والباطنُ قد قَطَبَ، اِكْتَنَفَهَا البحرُ والقَفَرُ، واستَوَلَى عليها - من عُربانِ^(٢) البَرِّ ونصارى البحر - النِّفَاقُ والكُفْرُ لا ترى فيها شجراً ولا ثمراً، ولا تحوُّضَ في أرجائها حَوْضاً ولا نَهْراً. ليس على ناشئٍ منهم فضلٌ لذي شَيْبَةٍ ولا لذي الفَضْلِ بَيْنَهُمْ هَيْبَةٌ: ترى أجساماً حَاضِرَةً والعقلُ في عَقْلٍ^(٣) .. غِيَابَاتِ الغَيْبَةِ وأهلُ تُونِسَ في طَرَفِي نَقِيضٍ: أولئك في الأَوْجِ وأولاءُ في الحَضِيضِ. ولم أرَ بها ما يروقُ العيونَ وسَمَا عن أن يُقَوِّمَ بالدونِ، سوى جامعِها ومدرستِها، فإنَّ لهما من حُسْنِ الصورةِ نصيباً ومن إتقانِ الصَّنْعَةِ سهماً مُصِيباً.. وما رأيتُ في الغَرْبِ مثلَ مدرستِها المذكورةِ لولا أنَّ محاسنَها مقصورةٌ على الصورةِ، فما يَشِبُّ بها للعلمِ طِفْلٌ ولا يَحْجُ صَرُورَةٌ^(٤) وقد حَضَرَتْ بها تَدْرِيسُ الشَّيْخِ المُسَيِّدِ القَاضِي الخَطِيبِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّيِّدِ^(٥) - وهو بيتُ قَصِيدِهِمْ وَكَبْشُ كَتِيبَتِهِمْ^(٦) ووَاسِطَةُ قِلَادَتِهِمْ

(١) سائراً (مارّاً، مسافراً) وقاطناً (ساكناً في البلد).

(٢) العُربانُ: العُربون (ما يدفعه المشتري مقدماً لحفظ حقّه في السلعة المطلوبة) - راجع تاج العروس (الكويت) ٣: ٣٢٧، العمود الثاني، السطر الثامن ثم ٣٥٠ في أسفل العمود الأول، ثم ٣٥١، العمود الأول، السطر ١٣. والناس يقولون: عُربان (بمعنى الأعراب، البدو).

(٣) العقل: القيد، الرباط. الغيبة (بالفتح): القمر.

(٤) الصرورة: الذي لم يتزوج ولم يحج.

(٥) ابن عبد السيد

(٦) كبش الكتبية الخ: أكبر الرجال في قومه وأشهرهم وأقواهم الخ.

وَأَنْفُ سَيَادَتِهِمْ، ذُو سَمْتٍ وَوَقَارٍ، وَقَدْ أَثَّرَ الْكِبَرُ فِي جَسَمِهِ، كَثِيرُ الْمَوَاطِبَةِ لِلْمَسْجِدِ وَالذِّكْرِ، خَيْرٌ فِي دِينِهِ - وَمَا كُنْتُ آتِيهِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِقَصْدِ الدُّعَاءِ لِأَنَّهُ ضَيِّقُ الْخُلُقِ لَيِّنُ النَّظَرِ فِي لِسَانِهِ حَبْسَةٌ لَا يَكَادُ يُفْهَمُ مَعَهَا. وَقَدْ اسْتَفْرَغْتُ جُهْدِي وَقْتَ إِقْرَائِهِ وَفِي تَفْهَمٍ مَا يَقُولُ فَمَا فَهِمْتُهُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ. وَأُظَنُّهُ لَا رِوَايَةَ لَهُ. فَإِنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَبْنَمَ جَوَابَهُ وَتَمَرَّرَ. وَحَاوَلْتُ مُدَاخَلَتَهُ فَصَدَّنِي عَنْ ذَلِكَ بِشَكَاسَتِهِ وَجَهَامَةِ لِقَائِهِ....

٤- الرحلة المغربية (حققها محمد الفاسي)؛ الناشر: جامعة محمد الخامس (الرباط)
١٩٦٤ م؛ (حققها ابن جدو.....).
** جذوة الاقتباس (فاس) ١٩٩؛ درة المجال ١: ١٢٤؛ تاج العروس (الكويت) ٣: ٣٧٩؛
نفع الطيب ٢: ٤٨٣، ٥٨٩؛ العربي (أكتوبر ٦٩) ص ١٤٢؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ بروكلمن
١: ٦٣٤، الملحق ١: ٨٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٦.

ابن عذارى المراكشي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، أصله من الأندلس وسكن مراكش وكان قائد فاس (حاكمها)، تُوُفِّيَ نَحْوَ ٧٢٠ هـ (١٣٢٥ م).

٢- ابن عذارى المراكشي مؤرخ حكيم دقيق مُحِبٌّ للإيجاز والتنسيق المنطقي مع تقييد كامل للحوادث في كتابه بتواريخها. له البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب^(١)، كان لا يزال يعمل فيه في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م). وله تاريخ المشرق، ولكن لم يصل إلينا.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة «البيان المغرب»:
..... وبعد - جعلنا الله ثَمَنَ نَظَرٍ فاعتبر ووَعِظَ فَازْدَجَرَ^(٢) - فَإِنَّ خَيْرَ مَا شِغِلْتَ

(١) هذا هو العنوان المذكور في مقدمة الكتاب.

(٢) ازْدَجَرَ: رجع عن اقتراف الذنب.

به الأذكارُ والأفكارُ وتحدثتُ مَعَهُ بالليلِ والنهارِ^(١) حَفِظْتُ ما أَفَادَ من العلوم والأخبار . وإنَّ خيرَ ما رَیْضُنَا^(٢) به النفوسَ البشريةَ مُجالسةُ العلماء والأخبارِ ومذاكرةُ الأدباءِ ذَوِي الهِمَمِ وَعُلُوُّ المِقْدَارِ ، ففي مُجالستهم ومُذاكرتهم ما یَسَحِّرُ الذَّهْنَ ویُنَوِّرُ الأفكارَ . فإنْ فُقِدَتْ مُجالستُهم فلا عِوَضَ منها غیرُ کتابٍ یَتَّخِذه (الإنسان) جلیسَه ویَجِدُه في كُلِّ وقتٍ أَنیسَه وطلبُ بعضُهم إِلَیَّ - مَن یَجِبُ إكرامُه عَلَیَّ - أنْ أَجْعَ له کتاباً مُفَرِّداً في أخبارِ البلادِ الغَریبَةِ على سبیلِ الإيجازِ والاختصارِ ... فلم یُمْكِنِی التَّوَقُّفُ في ذلك ولا الاعتذارُ ... فجمعتُ له في هذا الكتابِ نُبْداً ولُعمَاً من عیونِ التَّواریخِ والأخبارِ ممَّا أَجْرَى اللهُ به تصاریفَ الأقدارِ فیما مرَّ من الأزمنة والأعصارِ ، في بلادِ المَغْرِبِ وما والاها من الأقطارِ : جمعتُ ذلك من الكتبِ الجلیلةِ مُقتَضِباً من غیرِ إسهابٍ ولا إكثارٍ^(٣) . فاقطعتُ عیونَها واقتَضَبْتُ فنونها . ووصلتُ الحديثَ بالقديمِ ، والقديمَ بالحديثِ ، لأنَّه إذا اتَّصَلَ یُسْتَنْظَرُ ویُسْتَحْلَى ، كما قال بعضهم :

وَسَمِيتُ كُلَّ مَآرِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ ،
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ عِنْدَ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ^(٤)

.... ولَمَّا كَمُلَ ما قَيَّدْتُهُ وَجَرَّدْتُهُ جَزَيْتُهُ على ثلاثةِ أَجزاء ، كُلُّ جزءٍ منها قائمٌ بنفسه لِيكونَ لِمطالعِهِ أَوْضَحَ بَيانٍ وَأَسْهَلَ مَرَامٍ لَدَى العِيانِ . وَسَمِيتُهُ بالبيانِ المَغْرِبِ في اختصارِ أخبارِ ملوكِ الأندلسِ والمَغْرِبِ . أمَّا الجزءُ الأوَّلُ فاختصرتُ فيه أخبارَ إفريقيةَ من حينِ الفتحِ الأوَّلِ إلى خِلافةِ أميرِ المؤمنينِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ثُمَّ أخبارَ أمراءِها من وُلاةِ الخلفاءِ الأمويِّينَ وَمَن دَخَلَ الغَرْبَ منهم وَمَن قامَ بِإفريقيةَ إلى حينِ ابتداءِ الدولةِ اللَّمْتُونِيَةِ المُرَابِطِيَةِ^(٥) . والجزءُ الثاني اختصرتُ فيه أخبارَ جزيرةِ

(١) «تحدثتُ مَعَهُ » قلقه هنا .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب : رَوْضُنَا (بالواو) ، أي ذلَّلناها ، عَوَّدناها ، مَرَّناها على ...

(٣) البلاد الغريبة: المغربية (بالإضافة إلى الشرقية).

(٤) اقتضب الكلام: قطعه . والمقصود هنا: اختصره . الإسهاب: الزيادة في الألفاظ من غير زيادة في المعاني .

(٥)

(٦) الغرب (إفريقية والأندلس) . قام بإفريقية (حكمها) . الدولة المرابطية (من بني لمتونة) قامت نحو سنة

٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) .

الأندلس وأملاكها الغابرين الدُّرسَ من حينِ الفتحِ الأوَّلِ ثمَّ منَ وَلِيَّهَا مِنَ الأُمَرَاءِ للخُلَفَاءِ الأُمَوِيِّينَ بالْمَشْرِقِ ثمَّ مَنْ قَامَ بِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْفَهْرِيِّينَ إِلَى حِينَ دُخُولِ الخُلَفَاءِ الأُمَوِيِّينَ^(١) وَمَنْ قَامَ عَلَيْهِمْ مِنَ الثَّوَارِ الأَنْدَلُسِيِّينَ... وَذَكَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ بَعْدَ انْقِضَاءِ دُولِ الخُلَائِفِ... وَغَيْرَهُمْ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الأَنْدَلُسِيِّينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ إِلَى حِينَ دُخُولِ لَمْتُونَةَ إِلَى الأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٤٧٨. وَالْجُزْءُ الثَّالِثُ اخْتَصَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ (مُلُوكِ) الدَّوْلَةِ المُوَحَّدِيَّةِ... وَاسْتِيْلَاءَهُمْ عَلَى (مَمَالِكِ) أُمَرَاءِ المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ... وَذَلِكَ إِلَى حِينَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّةِ وَابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ المُوَحَّدِيَّةِ ثُمَّ مَا تَخَلَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُوَحَّدِينَ... وَذَكَرْتُ الدَّوْلَةَ الحَفْصِيَّةَ... فِي الْبِلَادِ الإِفْرِيقِيَّةِ وَالدَّوْلَةَ الهُوْدِيَّةَ (وَالدَّوْلَةَ) النَّصْرِيَّةَ فِي الْبِلَادِ الأَنْدَلُسِيَّةِ، وَالدَّوْلَةَ السَّعِيدَةَ المَرِينِيَّةَ فِي الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ، اخْتَصَرْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَأُمَكَّنَنِي ذِكْرُهُ... وَذَلِكَ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّوْلَةِ المُوَحَّدِيَّةِ وَاسْتِيْلَاءِ الإِمَارَةِ الْيُوسُفِيَّةِ المَرِينِيَّةِ عَلَى حَضَرَتِهِمِ المَرَاكُشِيَّةِ، وَذَلِكَ عَلَى مُرُورِ السَّنِينَ إِلَى عَامِ ٦٦٧....

٤- البيان المغرب: الجزء الأوَّل والجزء الثاني (دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨-١٨٥١ م؛ (كولان وليفي بروفسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨-١٩٥١ م؛ بيروت الجزء الثالث^(٢) (أ. ليفي بروفسال)، باريز (بولس كنسرالكتي) ١٩٣٠ م؛ القسم الخاص بتاريخ الموحدين (تحقيق أمبروسي هويسبي ميراندا ومساهمة محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكناني)، تطوان ١٩٦٠ م؛ قطعة من تاريخ المرابطين ١٩٦٧ م.

★★ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٥-٨٠٦؛ بروكلمن ١: ٤١١-٤١٢، الملحق ١: ٥٧٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٤ (٩٥)؛ سركيس ١٧٢.

ابن أبي زرع

١- هو، في الأغلب، أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّد بنِ أَحْمَد بنِ عُمَرَ بنِ أَبِي زَرَعٍ، كَانَ مِنْ أَهْلِ فَاسَ يَحْتَرِفُ التَّوْثِيقَ فِيهَا، وَفِيهَا تُوفِّيَ بَعْدَ ٧٢٦ (١٣٢٦ م).

- (١) الفهريون: الفهرستيون. يشير إلى النزاع في أيام يوسف الفهري (راجع فوق ٤: ٤٤-٤٥، ٤٨-٤٩) دخول الخلفاء الأمويين، ابتداء من عبد الرحمن الداخل، سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م).
(٢) حوادث هذا الجزء المطبوع تمتد من سنة ٣٩٢ إلى سنة ٤٥٧ هـ (١٠٠٢-١٠٦٥ م).

٢- كان ابنُ أبي زرعٍ عدلاً في التوثيق كما كان مؤرخاً نزيهاً وصلَّ إلينا منه «الأنيسُ المطربُ» بروضِ القرطاس في أخبارِ ملوكِ المغرب وتاريخِ مدينته فاس، وهو يتناولُ تاريخَ المغرب من قيام الدولة الإدريسية (سنة ١٧٢ هـ) إلى سنة ٧٢٦ هـ وقد آلفه للسلطان أبي سعيد عثمان المُريني (٧١٠ - ٧٣١ هـ)، وكان أبو سعيد هذا من أهل العلم والمعرفة. ويبدو أن ابنَ أبي زرعٍ قد غرَفَ كثيراً من «البيان المغرب» لابنِ عذاري^(١). وكذلك وصلَّ إلينا اسمُ كتابِ آخر لابنِ أبي زرعٍ هو «زهرةُ البستان في أخبار الزمان».

٣- مختارات من آثاره

الحمدُ لله مُصَرِّفِ الأمور بمشيئته وتديره ومُسَهِّلِ العسير بتوفيقه وتيسيره، ومُبْدِعِ الأشياء بحكمته وتصويره^(٢)، خالقِ الخلقِ بقدرته وباسِطِ الرِزْقِ بتقديره^(٣)...

أما بعدُ- أطالَ الله بقاءَ مولانا الخليفة الإمامِ مُعَلِّي الإسلامِ ورافعه ومُدَلِّلِ الكُفْرِ وقامعه^(٤)... أبي سعيدِ عثمان بنِ مولانا... أميرِ المسلمين أبي يوسف يعقوب بنِ عبدِ الحق^(٥)... إني لما رأيتُ مكارمَ دولته السعيدة مقامَ سعادة^(٦) أطالها الله وخلدها وأعلى كلمتها وأيدها تُنظَّمُ نظمَ الجُبان^(٧) وصوَّره إحصانها تُتلى بكلِّ لسان... أردتُ خدمةَ جلالها والتقربَ إلى كمالها والتفنيَ بظلالها والورودَ من عذبِ زلالها^(٨) بتأليفِ كتابِ

(١) راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٣٩، السطر السادس من أسفل - ليس بين يدي «روض القرطاس» لأقارن مادته بمادة «البيان المغرب».

(٢) مبدع الأشياء: خالقها (من العدم). تصويره: اعطائه لها شكلاً مخصوصاً.

(٣) بسط الرزق (وسمه) بتقديره (على ما أراد مما يجب).

(٤) قمع: ضرب بالمقعة (بكسر أوله): عصا من خشب أو حديدة رأسها معوج يضرب بها الحيوان ليسرع أو ليهدأ.

(٥) أبو عثمان سعيد بن يغمراسن بن زيان سلطان من سلاطين بني عبد الواد في تلمسان (٦٨١-٧٠٣ هـ) وأبو يوسف يعقوب المنصور سلطان الموحدين (٥٥٨-٥٨٠ هـ).

(٦) مقام سعادة (مكان يسعد من يكون فيه أو يأتي إليه).

(٧) أيدها: ساعدها وجعلها قوية. الجبانة (بالضم) اللؤلة الكبيرة.

(٨) الورد (المجيء إلى الماء): الشرب. العذب: الحلو. الزلال: الصافي العذب.

جامع لطيف الأخبار^(١) وملح الآداب يحتوي على غرر من التاريخ وعجائبه ونوادر الآثار وغرائبه يُخبرُ بِبُذَي من أخبار ملوك المغرب المتقدمين وأمرائه الماضين وأمه السالفين وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم وغزواتهم وأحوالهم في دولتهم وما رَسَموه بالمغرب من المراسم وصنَعوه من المصانع والمعالِم وفتحوه من البلاد والأقالِم^(٢) وبنَوْه من الحصون والمدُن والمكارم... من أول دولة الأمير إدريس بن عبد الله الحسني إلى هذا الأوان^(٣)....

فألَفْتُ هذا المجموعَ المُقتَضِبَ انتَقَيْتُ جواهرَه من كُتُبِ التاريخ المُتَمَدِّ عليها وجمَعْتُ شوارِدَها عن مهَادِ المَعُولِ على مُحْتَمَا^(٤) والمرجوع إليها سوى ما رَوَيْتُهُ عن أشياخِ الحُفَاطِ والكَتَّابِ وقَيَّدتُهُ عن الرواة الثقات الأنجَاب. وحَذَفْتُ فيه الأسانيدَ خِيفَةَ الإِكْثَارِ والامْتِدَادِ^(٥). وترَكْتُ التَّسْهِيبَ^(٦) والتطويل، وتَجَنَّبْتُ الاختصارَ والتقليل.

٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس.... (تورنبرغ)، أبسالاً ١٨٤٣-١٨٤٦ م؛ فاس (طبع حجر) مراراً؛ فاس ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٣ هـ؛ (نشره محمد الهاشمي الفيلاي)، الرباط ١٣٥٥ هـ= ١٩٣٦ م.

★ ابن أبي زرع، تأليف عبد الله كنون، بيروت (دار الكتاب اللبناني)....
المكتبة العربية الصقلية ٤٠٣-٤٠٤؛ النبوغ المغربي ٢١٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤-٦٩٥؛ بروكلمن ٣١٢: ٢، الملحق ٣٣٩؛ ٢: ١٢١: ٥ (٣٠٥: ٤)؛ سركيس ٣٢.

- (١) لطيف مفعول به من «جامع».
- (٢) المراسم: المراسيم (جمع مرسوم: طريقة الإدارة أو الحياة، الخطة). المصنع: المكان يبنى لجمع الماء. المعلم: العلامة الواضحة (إشارة على الطريق والأبنية المشهورة). الأقالِم: الأقاليم (مناطق الأرض).
- (٣) إدريس بن عبد الله (الأول) أول ملوك الدولة الإدريسية في وِليي في المغرب الأقصى (١٧٢-١٧٧ هـ). الأوان: الزمان، الوقت.
- (٤) مهَادِ المَعُولِ على مُحْتَمَا (كذا في الأصل). المَحْ: خاص كل شيء (النفيس منه): المادَّة الصفرَاء في البيضة.
- (٥) الأسانيد..... الامتداد (كذا في الأصل). اقرأ: الإسناد... الامتداد أو: الأسانيد والتمديد.
- (٦) التسهيب: التطويل فيما لا حاجة إليه.

ابن الزيات الكلاعي

١ - هو أبو جعفر أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي المعروف بابن الزيات، وُلِدَ في بَلَشْ مَالَقَة، في حدود سَنَةِ ٦٤٩ للهجرة (١٢٥١ م).

تلقَى ابنُ الزيات الكلاعيُّ العلمَ على نفرٍ كثيرين منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي، ومنهم عياض بن محمد بن عياض بن موسى، قرأ عليه ببَلَشْ وأجازَ عياضُ له. وكذلك كان منهم أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن الصائغ النحوي وأبو الحسن بن أبي الربيع. وأخذَ ابنُ الزيات طريقةَ التصوّف عن أبي الحسن فضل بن فضيلة وتأدّبَ به.

ودخل ابنُ الزيات الكلاعيُّ غرناطةَ مراراً لطلب العلم في أوّل أمره ثم للقيام بأموِرٍ مختلفة عامّةٍ وخاصّةٍ، فقد استدعاه السلطان مرّةً^(١).

وكانت وفاةُ ابنِ الزيات الكلاعيِّ في بَلَدِهِ بَلَشْ سَحَرَ يومِ الأربعاء في السابعِ عشرِ من شَوّالٍ من سَنَةِ ٧٢٨ (١٣٢٨/٨/٢٥ م).

٢ - كان ابنُ الزيات الكلاعيُّ كريمَ الأخلاق معُ مُروءةٍ وتواضعٍ، كما كان كثيرَ العبادة مُتصوّفاً. وقد كان أيضاً خطيباً وبارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كالتفسير والحديث واللغة والنحو والشعر. وكان له كتبٌ كثيرة منها: لَذَّةُ (لذات) السَّمْعِ من (في) القراءات السَّبْع - قُرّة عين السائل وبُغية نفس الآمل (أرجوزة في اختصار السيرة النبويّة) - رَضْفُ نفايس اللّآلي في وصفِ عرائسِ المعالي (في النحو) - قاعدةُ البيان وضابطةُ اللّسان (في النحو) - شرف المهارق في اختصار المشارق^(٢) - المقام المخزون في الكلام الموزون.

(١) كان في وفد حل رسالة من سلطان غرناطة إلى ملك الإشبان (راجع نفع الطيب ٤: ٥١١، السطر الأوّل).

(٢) المهارق جمع مهرق (بضمّ فسكون ففتح) صحيفة بيضاء. المشارق: كتاب المشارق أو مشارق الأنوار للقاظم عياض بن موسى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (راجع نفع الطيب ٢: ٢٣٢، ٦٦٥ على الأخص)، ٥: ٥٣٥، ٥٣٧. ثم ارجع إلى بروكلمن ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٣٢)، وفيه: المشارق أو مطالع الأنوار على صحيح =

٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفر ابن الزيات الكلاعي في مذهب أهل التصوف (الإحاطة ١: ٣٠٢،
الكتيبة الكامنة ٣٦):

دَغْنِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى أَتَضَرَّعُ، فَعَسَى يَلِينُ لِي الْحَبِيبُ وَيَجْشَعُ^(١).
إِنِّي وَجَدْتُ أَخَا التَضَرُّعِ فَائِزاً بُرَادِهِ، وَمِنَ الدُّعَا مَا يُسْمَعُ.
فَأَمَحُ أَسْمَ نَفْسِكَ طَالِباً إِثْبَاتِهِ، وَأَقْنَعُ بِتَفْرِيقِي لَعَلَّكَ تُجْمَعُ^(٢).
وَأَخْضَعُ، فَمِنْ أَدَبِ الْمُحِبِّ خُضُوعُهُ. وَلَرَبِّهَا نَالُ الْمُنَى مَنْ يَخْضَعُ.

- وقال في توحيد الله، يَجْمَعُ بَيْنَ أَشْيَاءَ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ وَأَشْيَاءَ مِنَ التَّصَوُّفِ، ثُمَّ
جَمَلَ ذَلِكَ فِي خُطْبَةٍ أَلْفَى مِنْهَا حَرْفَ الْأَلِفِ، عَلَى كَثْرَةِ دَوْرَانِ حَرْفِ الْأَلِفِ فِي الْكَلَامِ
(الإحاطة ١: ٢٩٨ - ٢٩٢):

حَدِثُ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ مَحْمُودٍ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَوْجُودٍ... كَرِيمٌ لَوْ تَقَوَّمَ
فِي فَهْمٍ لِحَدِّ^(٣)،... لَوْ فَهِمْتَ لَهُ كَيْفِيَّةَ لَبْطَلٍ قَدَمُهُ^(٤)، وَلَوْ عَلِمْتَ لَهُ كَيْفِيَّةَ لَحَصَلٍ
عَدَمُهُ^(٥). وَلَوْ حَصَرَهُ طَرْفٌ لَقُطِعَ بِتَجَسُّمِهِ^(٦)... عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكُبٍ قَطْرِ^(٧)، عَلِيمٌ
مِنْ غَيْرِ تَرْكُبٍ فِكْرِ^(٨). مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُفْسِكُهُ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذْرِكُهُ....

= (صحاح) الآثار (وهو كتاب للفاضل عياض في الألفاظ الغريبة في الحديث مما جاء في الموطأ لمالك بن
أنس وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم).

- (١) الحبيب (هنا) هو الله تعالى (في المدرك الصوفي)، ويمكن أن تعني عندهم «الرسول».
- (٢) في التصوف: امح أَسْمَكَ (شخصيتك في العالم البشري) طالباً لإثباته (تحقيق نفسك في ذات الله). ثم اقنع
بأن تدرك أنك مفترق (لست إياه) لعلك تجمع معه (تصبح أنت وإياه واحداً: بزوال شخصيتك
الإنسانية وبقاء الله وحده في الوجود).
- (٣) لو استطاع الإنسان أن يفهم الله لكان الله محدوداً (يحيط به فهم الإنسان).
- (٤) لو عرفنا كيف وجدَّ الله لَمَا كَانَ قَدِيمًا (بل لكان حادثاً مثل جميع الأشياء في الدنيا المادية).
- (٥) ولو علم الناس الله كيفية (شكلاً) لأنعدم (كما تنعدم جميع الأشياء التي لها أشكال - لأنَّ العدم في الفلسفة
هو تبدل الصور المختلفة على المادة الواحدة).
- (٦) طرف: بصر، عين. (لو كان الله يرى لكان جسماً، بلا شك).
- (٧) أنَّ الله عظيم، كبير ولكن ليس له قُطْر (حدود: طول وعرض وعمق).
- (٨) الله عليم بكل شيء (ولكن من غير منهج فكري، كما يعرف الناس الأشياء).

٤-★★ الإحاطة ١: ٢٩٥-٣٠٥؛ الكتيبة الكامنة ٣٤-٣٧؛ بغية الوعاة ١٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٠٦-١٠٧ (١١١).

القَيْجَاطِيّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيم بن عبدِ الله الكِنَانِيّ القَيْجَاطِيّ، نِسْبَةً إلى بلدةٍ قَيْجَاطَة (أو قَيْشَاطَة) من أعمالِ جَيَّانَ (إلى الشرق من قُرْطَبَة).
وُلِدَ القَيْجَاطِيّ سَنَةَ ٦٥٠ للهجرة (١٢٥٢ م) وتلقّى العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم: عبدُ الله بنُ مُسَاعِدِ الغَسَّائِيّ وأبو جعفرِ بنِ الصَّبَّاحِ وابن الصَّائغِ^(١) والأُبْدِيّ وأبو عليٍّ ابنُ الأحوص.

وفي سَنَةِ ٧١٢ للهجرة (١٣١٢ م) دُعِيَ القَيْجَاطِيّ إلى غَرْنَاطَة فأقرأ بالجامعِ الأعظمِ فيها القِراءاتِ والنحوَ والأدبَ، وَوَلِيَ فيها الخُطابةَ أيضاً. وقد نابَ عن بعضِ القضاةِ مُدَّةً وأدركته الوفاةُ، في ٢٧ من ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٧٣٠ (١١/١٠/١٣٣٠ م)، وهو على القضاء.

٢- كان أبو الحسن القَيْجَاطِيّ متواضعاً حَسَنَ الخُلُقِ فَكِهَا حُلُوَ الحديث. وكذلك كان ذَكِيّاً بارِعاً في عددٍ من العلوم كالقِراءاتِ والنحوِ والأدبِ، وكان خَطيباً وشاعراً وناثراً وأستاذاً تكثرُ الاستفادةُ منه. وقد كانت له تصانيفٌ، كما كان له شعرٌ ونثرٌ.

مختارات من شعره

- قال أبو الحسن القَيْجَاطِيّ في تذكُّرِ الشبابِ:
والعُمُرُ مثلَ البدرِ يبدو حُسْنُهُ حيناً، ويعقبُ بعدَ ذاكِ سرارُهُ^(٢).

(١) لم اُفتد إلى شيء من تراجم الأشخاص المذكورين في هذه الجملة. ولعلَّ «ابن الصائغ» هو الذي ستأتي ترجمته (ص ٤٥٢).
(٢) السرار (بالفتح أو بالكسر): آخر ليلة من الشهر القمري (فيها يستسر القمر: لا يظهر في سماء البلد ليلاً). يعقب: يتبع.

ما للإخاء تقلّصت أفيأؤه! ما للصفاء تكدّرت آثاره!
ولأنت تعلم أنّي - رَمَن الصِّبا - ما زلتُ مِمَّنْ عَفَّ فيه إزاره^(١).

- وله من قصيدة في الرثاء:

أرى أرجلَ الأرزاء تشدُّ نحونا وأيديها تسعى إلينا فتمتدُّ^(٢).
ونحنُ أولو سهوٍ عن الأمر، ما لنا سوى أملٍ إيجابنا عنده جحدُ^(٣).
فإنْ خطرَت للمرء ذكري بخاطرٍ، فتسبيحه الساهي إذا سُمِع الرعد^(٤).
مُصابٌ به قُدَّت قلوبٌ وأنفسٌ لدنّا، إذا في غيره قُطعت بُردُ^(٥).
تلينُ له الصمُّ الصلابُ، وتنهمي عيونٌ، ويكي عنده الحجرُ الصلدُ^(٦).
وقد كان يبدو الصبرُ منّا تجلّداً، وهذا مُصابٌ صبرنا فيه ما يبدو^(٧).

٤-★★ أعمال الأعلام ٢٩٩س؛ الدياج المذهب ٢٠٧؛ بغية الوعاة ٣٤٤؛ نفح الطيب ٥:
٧٥، ٣٨٤، ٥٠٧-٥٠٩، ٦٠٣-٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ١٣٢:٥ (٤:٣١٦).

ابن هاني السبتي

١- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن هاني اللّخميّ السبتي^(٨)، أصله من إشبيلية.

- (١) الإزار: ثوب يلف على القسم الأدنى من الجسم. عَفَّ إزاره (لم يقرب امرأة ليست زوجاً له).
- (٢) اشتدّ: ركض، أسرع. الرزء: المصيبة.
- (٣) الجحد: النكران. - نحن لا نلقي بالاً إلى الأحداث التي تمرّ بنا إلّا بعد أن تقع (راجع البيت التالي).
- (٤) يسهو (يفعل - بضمّ الفاء -) الإنسان عن تسبيح الله، فإذا سمع رعداً خاف من انقضاء الصواعق عليه، فسبح الله.
- (٥) المصاب (هنا) موت الرجل الذي يرثيه القبحاطي. قُدَّت (شقّت) قلوب وأنفس (حزنت حزناً شديداً) لدينا (لأنّ الميت منّا). إذا في غيره (اقرأ: في غيرنا) قُطعت برد (البرد: ثوب من حرير) كناية على الفرح. - يتفق أحياناً، إذا مات رجل أن يحزن لموته قوم ويفرح بموته قوم آخرون.
- (٦) هذا المصاب تلين له الصمُّ الصلاب (الحجارة القاسية). أنهى ينهمي (ليست في القاموس). همى المطر يهيم: سال بكثرة. الصلد: القاسي، اليابس.
- (٧) في أحوال سابقة من المصائب، كنّا تتجلّد: تتظاهر بأننا لسنا محزونين أو حزناء (جمع حزين). أما في هذا المصاب فلا يبدو منّا صبر، بل يظهر حزنا واضحاً شديداً.
- (٨) في بروكلمن محمد بن عبد الله (!) بن خاتمة السبتي.

قرأ على أبي إسحاق الغافقي وأبي بكر بن عبيد النحوي وأبي عبد الله بن حريث. وقد استشهد في حصار جبل طارق، أصابه حجر منجنيق، في أواخر ذي القعدة من سنة ٧٣٣ (١١/٨/١٣٣٣ م).

٢- كان ابن هاني السبتي من كبار علماء العربية (النحو)، أديباً ناظماً وناثراً مترسلاً، وله مشاركة في التاريخ. شعره عادي قليل الطلاوة. ونثره أكثر براعة. وكان مُصنِّفاً له: شرح التسهيل (لابن مالك النحوي)- الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة- انشاد^(١) الضوال وإرشاد السؤال (في لحن العامة)- قوت المقيم. وقد دوّن ترسل أبي المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هاني السبتي:

لولا مشيبٌ بفودي للفؤادِ عصى أنضيتُ في مهمّة التشيبِ لي قُلصاً^(٢).
وكنْتُ جاريتُ فيه من جرى طلقاً من الإجادة لم يجمع ولا نكصاً^(٣).
ومن أعدّ مكان النبل نبل حجى لم يرص إلا بأبكار التهي قنصاً^(٤).

- وله في الجواب على رسالة وردت إليه من أبي القاسم الشريف (وكان شاباً أديباً):

-
- (١) أنشد الضالّة (البيمة النائمة من صاحبها): عرفها ودلّ عليها. - يبدو أن هذا الكتاب قد عرف بعنوانين مختلفة: لحن العامة- تثقيف اللسان وتلقيح (الأذهان)- المدخل إلى تقويم اللسان (وهذا العنوان نشره كولان في مجلة «هيسريس»، المجلد ١٢، ص ١-٣٢). راجع بروكلن، الملحق ٢: ٣٧١.
- (٢) الفود: شعر الرأس السائل على جانب الأذن. عصى الفؤاد (لم يستطع أن يلهو كما يلهو الشبان). أنضى: أتمب وأتلف. المهمه: الغلاة الواسعة. القلوص (بالفتح): الناقه. لولا أنني كبرت في السن جداً للأت الدنيا بالفز!
- (٣) جرى الفرس طلقاً: خارجاً من قيده (سريعاً). لم يجمع (يشرد) ولا نكص (جبن: رجع)- أي لقلت غزلاً عيفاً جيداً!
- (٤) النبل جمع نبلة (بالفتح): السهم. الحجى: العقل. القنص: الصيد.

هذا، بُني، ما سَنَحَ بِهِ الذَّهْنُ الْكَلِيلُ وَاللِّسَانُ الْفَلِيلُ^(١) في مُرَاجَعَةِ قَصِيدَتِكَ
 الْفَرَاءِ الْجَالِبَةِ السَّرَّاءِ، الْآخِذَةِ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ الْمُؤَفِّقَةِ بِمَجَامِعِ الْمَطْلُوبِ الْحَسَنَةِ الْمُنْهَعِ
 وَالْأُسْلُوبِ^(٢).... أَتَيْنَزِعُ غَيْرِي هَذَا الْمُنَزَّعَ أَوْ الْمَرْءَ بِنَفْسِهِ وَابْنَهُ مُوَلَّعٌ؟ حَيَّا اللَّهَ الْأَدَبَ
 وَبَنِيهِ وَأَعَادَ عَلَيْنَا أَيَّامَهُ وَسِنِيهِ.... غَيْرَ أَنَّ الْإِحْسَانَ فِيهِ قَلِيلٌ، وَلَطَرِيقُ الْإِصَابَةِ فِيهِ
 عِلْمٌ وَدَلِيلٌ... فَلْيُهْنِكْ، أَيُّهَا الْابْنُ الذَّكِيُّ، الْبَرُّ الزَّكِيُّ، الْحَبِيبُ الْحَفِيُّ^(٣). الصَّفِيُّ
 الْوَفِيُّ، أَنَّكَ حَامِلٌ رَايَتَهُ وَوَاوَصَلٌ غَايَتَهُ^(٤)، لَيْسَ أَوْلَاؤُهُ وَآخِرُوهُ لَكَ بِمُنْكَرِينَ
 (لَكِنْ) لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^(٥). وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ وَيَنْحَرِفَ الشُّعْرَاءُ
 وَالْكَتَّابُ^(٦) لَفَاضَتْ يَنَابِيعُ هَذَا الْفَضْلِ فَيَضًا، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْبَلَاغَةِ
 أَيْضًا. قَرَّتْ عَيُونُ أَوْدَاءِكَ، وَمُلِثْتُ غَيْظًا صَدُورُ أَعْدَائِكَ، وَرَقِيتَ دَرَجَ الْأَمَالِ
 وَوَقِيتَ عَيْنَ الْكَمَالِ^(٧)....

٤-★★ أوصاف الناس ١٠٣-١٠٤؛ بغية الوعاة ٨٢؛ نفح الطيب ٦: ٢٤٥-٢٥٣؛
 النبوغ المغربي ٢١٠-٢١١، ٣٨٧-٣٩١ (الترقيم الثاني)، ٧٣٥-٧٣٦،
 ٨٧١-٨٧٢؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٦ (٦: ٢٨٤).

ابن القُوبِيعِ^(٨) التُّونِسِيّ

١- هو ركنُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَوْسُفَ^(٩) الْجَعْفَرِيِّ
 الْمَالِكِيِّ التُّونِسِيِّ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْقُوبِيعِ. وُلِدَ فِي تُونِسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٦٤ (١٢٦٦ م).

- (١) الكليل: الضعيف، الكال (السيف الذي لا يقطع). الفليل (يقصد: الأفل) السيف الذي تثلّم (تقطع) حذّه.
- (٢) المهيح: الطريق الواضح.
- (٣) الذكي: ذو الفهم والحدق (بكسر الحاء). البر: المطيع لقومه. الزكي: الطاهر. الحفي: العارف (الرفيق في معاملة الآخرين).
- (٤) الذي تمّ الكمال فيه.
- (٥) ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾. تضمنين من القرآن الكريم (١٧: ٧ سورة الأعراف).
- (٦) وينحرف.... يستطردون إلى موضوعات متشعبة.
- (٧) الأوداء: الأصدقاء المحبون. وقيت عين الكمال: حفظك الله من الحسد (لأن الكامل في صفاته محسود).
- (٨) القوبيع (بفتح القاف كجوهر): طائر صغير أحر الرجلين... (راجع القاموس ٣: ٦٤).
- (٩) في بغية الوعاة (ص ٩٧):.... يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل.

وقرأ النحْو على يحيى بن الفرج بن زيتون^(١)، وقرأ الأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس. ثم إنه رحل فجاء إلى مصر سنة ٦٩٠. ويبدو أنه تنقل بين القاهرة ودمشق مراراً. وقد سمع في دمشق من تقي الدين بن الواسطي وابن القواس وأبي الفضل بن عساكر، كما سمع في حماة من ابن المزنر المحدث.

وكان ابن القوبع يتصدّر للتدريس في فنون مختلفة ويقوم بتدريس الطب في المارستان المنصوري في القاهرة والإعادة^(٢) في المدرسة الناصرية. وتولّى نيابة الحكم (القضاء) للقاضي المالكي في القاهرة مدة ثم تركها تدنياً لأنه لم يضمن أن يتجنب فيها مجازاة الحكام. وكانت وفاته في تاسع^(٣) ذي الحجة من سنة ٧٣٨ (١٣٣٨/٦/٢٨ م)، في القاهرة.

٢- كان ابن القوبع التونسي رجلاً ذكياً واسع المعرفة كثير الحفظ لعدد من فنون العلم. وقد كان ضيق الصدر كثير الملل من كل شيء إلى جانب أنه كان حسن الصُحبة حسن المعاملة للناس، وعلى شيء من اليسار أغناه عن التملق. وله نثر سائغ وشعر جيد في الغزل والأدب خاصة. ومن فنونه الحديث والأصول والفقه والتاريخ والبراعة في معرفة الخطوط (والخطوط بالقلم المغربي خاصة)، مع أنه لم يكن حسن الخط. وكانت له معرفة بالأدب والنقد^(٤) وباللغة والنحو وبالطب يُكثر من مطالعة كتاب القانون لابن سينا، كما كان كثير الاهتمام بالحكمة (الفلسفة) مُكبّاً على مطالعة كتاب الشفاء لابن سينا

(١) هنالك في عنوان الدراية (ص ١١٤): الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي بكر اليميني الشهير بابن زيتون من أهل تونس (ت ٦٩١ هـ).

(٢) المارستان: المستشفى (وكان فيه في العادة مدرسة لتعليم الطب). المعيد (من الإعادة) مدرّس «يعيد» شرح ما غمض من دروس الأستاذ (نائب أستاذ).. المدرسة الصلاحية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي) كانت في القدس (راجع وفيات الأعيان ٣: ٢٤٤).

(٣) في بغية الوعاة (ص ٩٨): في سابع عشري الحجة (٢٧).

(٤) كان ابن القوبع يقرأ مطلع قصيدة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ):

فتكات لحظك أم سيوف أبيك

بالنصب (في فتكات، سيوف الخ) على أنها مفعول به لفعل تقديره أعاني. وكان ذلك عنده أبلغ من القراءة المشهورة بالرفع.

وكتاب المباحث المشرقية لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). ثم هو مُصنّف له تفسيرُ سورة ق (السورة الخمسين في المصحف) وتعليق (أو شرح، راجع بغية الوعاة ٩٨) على ديوان المتنبي.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن القويّح التّونسيّ في النسيب:

جَوَى يَتَلَطَّى فِي الْفُؤَادِ آسْتَارُهُ، وَدَمَعٌ هَتُونٌ لَا يَكِفُّ انْهَارُهُ^(١)،
وُلُوعاً بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَحَازَ الْفُؤَادَ الْمُسْتَهَامَ إِسَارُهُ^(٢).
غَزَالَ لَهُ صَدْرِي كِنَاسٌ وَمَرْتَعٌ، وَمِنْ حَبِّ قَلْبِي شَيْحُهُ وَعَرَارُهُ^(٣).
جَرَى سَابِجاً مَاءُ الشَّبَابِ بِرَوْضِهِ فَأَزْهَرَ فِيهِ وَرْدُهُ وَبَهَارُهُ^(٤).
يَعِلُّ بِعَذْبٍ مِنْ بَرُودِ رُضَابِهِ تَقَاوَحَ فِيهِ مِسْكُهُ وَعُقَارُهُ^(٥).
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ حُسْنٍ مُفَرَّقٍ فَصَارَ لَهُ قُطْباً عَلَيْهِ مَدَارُهُ.
زُلَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي وَرُودُهُ، وَلَذَنٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي اهْتِصَارُهُ^(٦)..
وَسَلْسَالُ رَاحٍ صَدَّ عَنِّي كَأْسُهُ، وَغُودِرَ عِنْدِي سُكْرُهُ وَخَمَارُهُ^(٧).

- (١) الجوى اشتداد المرض والحزن من أثر العشق. تَلَطَّتْ النار: تَلَهَّتْ (ارتفع لهيبها واشتد). الاستعار: توقّد النار (اشتداد حرارتها). الهتون: الكثير القطر (سيلان الماء والدمع الخ).
- (٢) جماله استولى على فؤاد الحبّ جملة.
- (٣) الكناس: البيت (المكان) الذي يأوي إليه الغزال. المرتع: المكان الذي ترتع (ترعى فيه) الماشية. حبّ القلب (يفتح الحياء) جمع حبة القلب: مهجته وسويداؤه (داخله ودمه). الشيح نبت طيّب الرائحة ترعاه الماشية. العرار: نبات له زهر طيّب الرائحة. - هذا الغزال (المحبوب) يسكن في قلبي ويتغنّى من دم قلبي (ولذلك نزل بي السقام والهزال).
- (٤) ورده كناية عن خديّه الآخرين. وبهارة (كناية عن وجهه الأبيض).
- (٥) علّ الرجل يعلّ (بكسر العين): شرب شيئاً فشيئاً ومرةً بعد مرة. العذب: الحلوى. البرود: البارد. الرضاب: الريق ما دام في الفم. تفاوح = فاح (انتشرت منه رائحة طيبة). العقار: الخمر.
- (٦) ريقه حلوا سائغ في الحلق ولكن لا أستطيع وروده (الشرب منه). وقوامه لدن (طري، ناعم) ولكن لا أستطيع هصره (ضمّه إليّ).
- (٧) السلسال: العذب الصافي الذي يجري بسهولة في الحلق. الراح: الخمر. صدّ عني كأسه (منعت من شربه اللذيذ). غودر: ترك (بالبناء للمجهول)، بقي. السكر والخمار: الصداق والألم من أثر شرب الخمر.

دنا ونأى فالدارُ غيرُ بعيدة، ولكنَّ بُعْداً صَدَّهُ ونِصاره^(١).
 كتمتُ الهوى لكنْ بدَمعي وزَفَرتي؛ وسُقْمِي تَسَاوَى سِرّه وجِهارة^(٢).
 أراحةَ نفسي، كيف صِرْتَ عذابها؟ وجَنَّةَ قلبي، كيف منك استِعاره^(٣)؟

- وكتبَ إجازةً لِصلاح الدين خليل بن أَيْبِكَ الصَّفدي^(٤) جاءَ فيها:
 يقولُ العبدُ الفقيرُ إلى رحمةِ رَبِّهِ وعَفْوِهِ عَمَّا تعاظَمَ من ذنبِهِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ
 الرحمنِ القُرشيِّ الجَعفريِّ المعروفِ بابنِ القَوْبِجِ: بعدَ حَمْدِ اللهِ ذِي المَجدِ والثَّناءِ، والعَظَمَةِ
 والكِبَرِياءِ، الأوَّلِ بلا ابتداءٍ والآخِرِ بلا انتهاءٍ، خالقِ الأرضِ والسَّماءِ وجاعِلِ
 الإصباحِ والإمساءِ؛ والشُّكرِ^(٥) له على ما مَنَّ به من تعاظَمِ الآلاءِ وترادُفِ النِّعماءِ^(٦).
 نَحْمَدُهُ ونُذَكِّرُهُ ونُعْبُدُهُ ونُشْكِرُهُ لِتَفَرُّدِهِ بِاستِحْقادِ ذلكَ وتوفُّرِ ما خَصَّنَا به مِنَ العِلْمِ
 هنالكَ وأُضَاءَ به بضِيائِها من نورِ الفَهمِ. ونُصَلِّي على نبيِّهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ العَرَبِ والعُجَمِ^(٧)
 وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين فازوا من كُلِّ فَضْلٍ بِعَظَمِ الحَظِّ ووُفُورِ القَسَمِ. أَجَزْتُ
 لِفَلاَنٍ^(٨).... جَمِيعَ ما يَجُوزُ لي أنْ أَرْوِيَهُ تَمَّ رَوَيْتُهُ من أَصْنَافِ المَرْوِيَّاتِ أو قُلْتُهُ نظماً أو
 نَثْراً أو اخْتَرَعْتُهُ مِنْ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُفْتَتِحاً، أو اخْتَرَعْتُهُ من أقوالِ العُلَماءِ واسْتَنْبَطْتُ
 الدَّلِيلَ عليه مُرْجِحاً تَمَّ لَمْ أَصْنَعُهُ في تَصْنِيفٍ ولا أَجْمَعُهُ في تَأْلِيفٍ، على شَرَطِ ذلكَ عِنْدِ
 أَهْلِ الأَثَرِ^(٩).

وَقَفَّه اللهُ لِمَا يَرْضَى في القَوْلِ والفِعْلِ وما يَدْرِي*.

- (١) ... نَفَرْتُهُ مَنِّي تَجْمَلُهُ بِمِبدَأٍ عَنِّي (وإن كان ساكناً بقري).
- (٢) أنا لا أبكي ولا أَتَنَدُّ (من أثر تعذيبه لي بحبِّه)، وَلَكِنْ سَقَمِي (مَحْوِي) يَدُلُّ على ذلك.
- (٣) أراحةَ نفسي (المهمزة للنداء).
- (٤) خليل بن أَيْبِكَ الصَّفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) اشتهر بكتب التراجم، له الوافي بالوفيات كبير جداً، قد طبع منه إلى الآن خمسة عشر جزءاً (عام ١٩٧٩ م) فاستوفى أسماء المحدثين ووصل إلى حرف السين.
- (٥) والشكر (وبعد الشكر). * أَدْرَى فَلَانٌ فَلَاناً (داراه؟).
- (٦) ترادف: تتابع، توالي. النماء: الحفض والدعة (العيش في رفاهية وأمن).
- (٧) كذا في الأصل. (بضِيائِها).
- (٨) العرب والعجم (غير العرب) كلتا الكلمتين بضم فسكون. القسم (بفتح فسكون): النصيب، الحصة.
- (٩) صلاح الدين خليل بن أَيْبِكَ (راجع الحاشية ٤).
- (٩) بحسب القواعد التي أقرها علماء الحديث للثبوت من أمانة الراوي ومن صحَّة الحديث المروي.

وزادَه فضلاً إلى فضله
فهذه الدارُ بما تحتوي
دَلَّتْ بَنِيها في غرورٍ، فهم
تُرِيهمُ بِشْراً. ويا وَيَحْمُهمُ!
يَنَنا تُرى مُتَهَجِجاً ناعماً
أَمَنَ ما كان وأقصى مُنى-
فَعَدَّ عنها واشتغلَ بالذي
فإنَّها الخَيْرُ خَصىصٌ بما
- وله (بغية الوعاة ٩٨):

تأملُ صَحيفاتِ الوجودِ فإنَّها
وقد خُطَّ فيها - إن تأملتَ خطَّها:
من الجانبِ السامي إليك رسائلُ^(٧)
«ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل»^(٨).

٤-★★ الوافي بالوفيات ١: ٢٣٨ - ٢٤٧؛ الدياج المذهب ٣٢٩، بغية الوعاة ٩٧ - ٩٨؛
درّة الحجال ٢: ٣٠٠ وما بعد؛ نفح الطيب ٢: ٢٢٥ - ٢٢٦؛ الأعلام للزركلي ٧:
٢٦٤ (٣٥).

- (١) الحشر: يوم القيامة.
 - (٢) دَلَّى الرجل الحبل في البئر: مدّه نزولاً. بني الدنيا: الناس. العمى: منذ الولادة.
 - (٣) البشر: طلاقة الوجه، إظهار السرور.
 - (٤) في اطمئنان تامٍّ محققاً جميع أمانيه. فاجأه: أتاه بغتة. قاصمة الظهر: المصيبة العظيمة التي تشل المصاب بها عن التفكير والتصرف.
 - (٥) آخر الدهر (منذ ساعتك هذه إلى آخر حياتك).
 - (٦) النشر والنشور: القيامة في الآخرة.
 - (٧) من الجانب السامي (الإلهي).
 - (٨) هذا من قول لبيد بن ربيعة الجاهلي:
- «ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل. وكلُّ نعيمٍ - لا محالة - زائل!»

ابن عمر المليكشي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم المليكشي البجائي (نسبة إلى بجاية في الجزائر) الجزائري التونسي. نشأ في بلاد الجزائر وبدأ تلقى علومه فيها. وقد رحل إلى المشرق وحج وتلقى أشياء من العلم في الحجاز والقاهرة والإسكندرية.

ويدو أن شيئاً من الاضطراب وقع في الجزائر - مقتل أبي حمو الأول موسى بن عثمان (٧١٨هـ) - فآثر المليكشي الانتقال إلى الأندلس، في السنة نفسها، ومدح نقرأ من الكبراء، وقد أقام حيناً في مالقة. ثم إنه عاد إلى العدو الإفريقية وتقلد في تونس خطة الكتابة. وفي تونس كانت وفاته في غرة المحرم من سنة ٧٤٠ (١٣٣٩/٧/٩ م).

٢- كان ابن عمر المليكشي فقيهاً وذا ميل إلى التصوف، كما كان أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً ينظم رويةً وارجحاً. وفي شعره سهولةٌ وشيء من الرقة. وفنه الغزل والنسيب.

٣- مختارات من شعره

قال ابن عمر المليكشي في النسيب:

★ ★ رضا! نلت ما ترضين من كل ما يهوى
وصفحاً عن الجاني المنيء لنفسه؛
بما بيننا من خلوة معنوية
قفي أشكى لوعة البين ساعة،
قفي ساعة في عرصة الدار وانظري
فلا توقفيني موقف الذل والشكوى.
كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى.
أرق من النجوى وأحلى من السلوى^(١).
ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى.
إلى عاشق ما يستفيق من البلوى^(٢).

(١) بما بيننا: استحلفك بالذي بيننا. خلوة معنوية: عفيفة (بالفكر لا بالاجتماع). السلوى (في القاموس) طائر لذيذ اللحم. و (في العرف) المن والسلوى: نوع من الصمغ الحلو يتكوّن على نوع من الأشجار في فارس والعراق.

(٢) العرصة: أرض خلاء أمام البيت. البلوى (مكررة).

وَمَ قَد سَأَلْتُ الرِّيحَ شَوْقًا إِلَيْكُمْ فَمَا حَنَّ مَسْرَاهَا عَلَيَّ وَلَا أَلْوَى (١).
 فَيَا رِيحُ، حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَارُ بِي؟ وَيَا نَجْدُ، حَتَّى أَنْتِ تَهْوِي كَمَا أَهْوَى.
 خُلِقْتُ وَلِي قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّوَى، وَلَكِنْ عَلَى قَفْدِ الْأَحِبَّةِ لَا يَقْوَى (٢).
 ** أَرَى لَكَ، يَا قَلْبِي، بِقَلْبِي مَحَبَّةً بَعَثْتُ بِهَا سِرِّي إِلَيْكَ رَسُولًا.
 فَقَابِلُهُ بِالْبُشْرَى وَأَقْبِلْ عَشِيَّةً، فَقَدْ هَبَّ مِسْكِي النِّسِيمَ عَلِيلًا.
 وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْقَطْرِ أَوْ بَلَلِ النَّدى، فَأَحْسَنُ مَا يَأْتِي النِّسِيمُ بَلِيلًا!

٤- ** نيل الابتهاج ٢٣٩-٢٤٠؛ تعريف الخلف ١: ١٧٣-١٧٦؛ نفع الطيب ٦: ٢٤٠-٢٤٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١١١-١١٢؛ معجم أعلام الجزائر ١٧١-١٧٢؛ الطمار ١٩١-١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤).

محمد بن أحمد بن جزي

١- هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلي الأندلسي، وُلِدَ في تاسع ربيع الثاني من سنة ٦٩٣ (١٠/٣/١٢٦٤ م) في غرناطة.

قرأ أبو القاسم بن جزي القرآن والحديث والفقه والنحو على أبي جعفر بن الزبير الغرناطي (٦٢٧-٧٠٨ هـ)؛ ثم كان من شيوخه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن داوود ابن الكماد اللخمي (ت ٧١٢ هـ) وأبو علي بن برطال وأبو عامر بن ربيع الأشعري والشيخ البركة الولي الخطيب أبو عبد الله الطنجالي الهاشمي وقاسم بن عبد الله بن الشاط.

تصدّر ابن جزي للتدريس ثم أصبح منذ مطلع حياته خطيباً في الجامع الأعظم في غرناطة. وكانت وفاته يوم الاثنين شهيداً في وقعة طريف (معركة نهر سالادو) - وهو

(١) ألوى (مال وعطف).

(٢) النوى: البعاد.

يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى جِهَادِ الْمُعْتَدِينَ الْإِسْبَانِ، فِي سَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٤١
(٣٠/١٠/٧٤١ م).

٢- كان أبو القاسم بن جُزَيٍّ مُشَارِكًا فِي عَدَدٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ: فِي الْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ
وَالْحَدِيثِ، وَفِي الْفِقْهِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ، وَفِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ. وَلَهُ شَعْرٌ يَدُورُ عَلَى
الْمَعَانِي الدِّينِيَّةِ مِنَ التَّقْوَى وَمَدْحِ الرُّسُولِ وَالتَّصَوُّفِ. وَشَعْرُهُ هَذَا قَرِيبُ الْمَعَانِي سَهْلُ
الْتَّرَكِيبِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَمِنَ التَّكَلُّفِ أَيْضًا. وَكَانَ لَهُ فِي فنِّ الْبَدِيعِ نَوْعٌ أَسَمُهُ
«التَّخْيِيرُ» (وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لِلبَيْتِ قَافِيَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَلَكِنْ عَلَى رَوِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ).
رَاجِعْ مِثْلًا نَفَحَ الطَّيِّبِ (٥: ٥١٧):

أَيَا مَنْ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ تَعَفُّفًا، وَفِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ لَهَيْبٌ (غَرَامُ)،
أَلَا إِنَّا صَبْرِي كَصَبْرِ ————— وَإِنَّا
عَلَى النَّفْسِ مِنْ تَقْوَى الْإِلَهِ رَقِيبٌ (لِجَامُ) ^(١).

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جُزَيٍّ مُؤَلِّفًا، لَهُ: التَّسْهِيلُ فِي عُلُومِ التَّنْزِيلِ (فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ،
وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ النِّقْدِ) - الْمُخْتَصَرُ الْبَارِعُ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ - وَسِيلَةُ الْمُسْلِمِ فِي تَهْذِيبِ صَحِيحِ
مُسْلِمٍ - الدَّعَوَاتُ وَالْأَذْكَارُ الْمُخْرَجَةُ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ (أَسْتَعْرَضَ فِيهِ مَا وَرَدَ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالدَّعَوَاتِ فِي الْكُتُبِ الْخَمْسَةِ) ^(٢) - تَقْرِيبُ الْوُصُولِ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ
(أَصُولُ الْفِقْهِ) - النُّورُ الْمُبِينُ فِي شَرْحِ عَقَائِدِ الدِّينِ - الْأَنْوَارُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِيَّةِ
(وَيُقَالُ: الْأَقْوَالُ السَّنِيَّةُ) فِي الْمَذَاهِبِ السَّنِيَّةِ (أَلْفُهُ لَابْنُهُ أَحَدٌ) - الْقَوَانِينُ الْفَقْهِيَّةُ فِي
تَلْخِصِ مَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ - قَوَانِينُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ (انْتَهَى
مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، سَنَةِ ٧٣٥ ١٠/٩/١٣٣٤ م) - الْفَوَائِدُ الْعَامَّةُ فِي لَحْنِ
الْعَامَّةِ - فَهْرَسٌ أَشْتَمَلَ عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ (مِنْ شَيْخُوهِ؟) مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

(١) الصَّبْرُ (يَفْتَحُ فَكْسَرُ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّرِّ): عَصَاةٌ (بِالضَّمِّ) شَجَرٌ مَرَّ (الْقَامُوسُ ٢: ٦٧).
(٢) الْمَشْهُورُ أَنَّهُ يُقَالُ كَتَبَ الْحَدِيثَ السَّنَةَ، وَهِيَ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ ثُمَّ كَتَبَ السَّنَنَ الْأَرْبَعَةَ لِأَبِي
دَاوُدَ وَالنَّسَائِي (بِالْفَتْحِ) وَالتِّرْمِذِي (بِالْكَسْرِ) وَابْنُ مَاجَةَ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة «قوانين الأحكام الشرعية»:

الحمد لله ذي الجلال الذي عَجَزَتْ عن إدراك كُنْهِه عقولُ العارفين^(١)، و(ذي) الكمال الذي قَصُرَتْ عن إحصاء ثَنائِهِ أَلْسِنَةُ الوَاصِفِينَ.... و(ذي) العظمة الذي عَنَتْ لِعِزَّتِهَا وجوه الطائِفين والعاكِفين^(٢)..... سُبْحَانَهُ من مَلِكٍ لم يَخْلُقْ عِبَادَهُ عِثًّا ولم يتركهم سُدىً، بل أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَدَاعِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى. ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالرَّسَالَةِ الْعَامَّةِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، و(صاحب) الْمِلَّةِ النَّاسِخَةِ لِمَجْمِيعِ الْأَدْيَانِ^(٣) وَالشَّرِيعَةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى آخِرِ الْأَزْمَانِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ وَالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ السَّاطِعَةِ الْبُرْهَانِ^(٤). وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٥)، وَجَعَلَهُ مُعْجِزَةً ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ مُتَجَدِّدَةً مَا اخْتَلَفَ الْمَلَوَانِ^(٦) وَتَعَاقَبَتِ الْأَزْمَانُ.....

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا كِتَابٌ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ الْمَدِينَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ بَلَدِنَا بِالْأَنْدَلُسِ وَسَائِرِ الْمَغْرِبِ اقْتِدَاءً بِدَارِ الْهِجْرَةِ^(٧) وَتَوْفِيقًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَتَصَدِيقًا لِقَوْلِ

(١) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته. العارف (في التصوف): الذي يعرف الأمور بما منحه الله من الكشف عن بعض أمور الغيب.

(٢) عنى: خضع، ذلّ. العزّة: القوّة. الطائف (في الأصل): الذي يقوم بالطواف (الدوران) حول الكعبة (ويكون ذلك في وقت معلوم). العاكف: المنقطع للعبادة في مسجد لمدة هو يعيها ثم لا يخرج عن اعتكافه في أثناء تلك المدة (وليس للاعتكاف وقت معيّن). للطائِفين والعاكِفين (في كلّ وقت وزمن).

(٣) المِلَّة (بالكسر): الدين. نسخ: أبطّل. الأديان (المقصود: الشرائع). الأديان السماوية لا تُنسخ لأنها كلّها من عند الله. ولكن الشرائع (القواعد التي يسير عليها الناس في شكل عباداتهم وفي سلوكهم الاجتماعيّ) تتبدّل بتبدّل الأزمان.

(٤) الآية: الحقيقة الغالبة، المعجزة. البيّنة: الظاهرة، الواضحة. القاطعة: الباتّة، الحازمة (التي تقطع الخصم عن مواصلة الجدل). الساطع: المنير (الظاهر لكل إنسان). البرهان: الدليل الحاسم (من «برهانا» - في الحشية -: النور).

(٥) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ.....﴾ (٢: ١٨٥، سورة البقرة).

(٦) الملوان (مثنى): الليل والنهار.

(٧) دار الهجرة: المدينة المنورة.

الصادق المصدق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ». ثم زدنا إلى ذلك التنبيه على كثير من (وجوه) الاتفاق والاختلاف الذي بين الإمام المسمى^(٢) وبين الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة الثَّعْمَان بن ثابت والإمام أبي عبد الله أَحْمَد بن حنبل^(٣) لتكْمُل الفائدة ويعظم الانتفاع، فإن هؤلاء هم قُدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشباع^(٤).

وربما نَهَتْ على مذهب غيرهم من أئمة المسلمين كُفَيان الثَّوْرِي والحسن البصري وعبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وأبي ثور والنخعي وداوود بن علي إمام الظاهرية^(٥) - وقد أكثرنا من نقل مذهب^(٦) - والليث بن سعيد وسعيد بن المسيب والأوزاعي^(٧) وغيرهم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فإنَّ كُلَّ واحدٍ منهم مُجتهدٌ في دين الله، ومذاهبهم طُرُقٌ مُوصِلَةٌ إلى الله.

(١) كذا في الأصل. يجب أن تكون «تما».

(٢) المسمى (أي مالك بن أنس).

(٣) مالك والشافعي وأبو حنيفة (وكان في فقهه واجتهاده يأخذ بالرأي) وأحمد بن حنبل (كان يعتمد النصوص في الأكثر - حتى عدّه نفر من المؤرخين في الحديث لا في الفقهاء) هم أصحاب المذاهب الأربعة المعمول بها إلى الآن عند أهل السنة والجماعة.

(٤) الأتباع (الذين يتبعون المذهب الذي ولدوا عليه) والأشباع (الذين يتبعون مذهباً ثم يخالفون من ليس على مذهبهم).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١ هـ) من كبار زمانه في روايه الحديث وعلوم الدين والتقوى. الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) زعيم علم الكلام والاعتزال وتحكيم العقل في الأمور. وكان صالحاً تقياً. عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) من حفاظ الحديث. إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) من كبار حفاظ الحديث. أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ) من الفقهاء الكبار الذين كانوا يتكلمون بالرأي. النخعي: إبراهيم بن يزيد (ت ٩٦ هـ) من أكابر التابعين ومن كبار الحفاظ ورواة الحديث - ثم حفص بن غياث (ت ١٩٤ هـ) من حفاظ الحديث. وداوود بن علي الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ) صاحب المذهب الظاهري (وهو مذهب باند: بطل العمل به) يعتمد النص الوارد في القرآن وفي الحديث ولا يأخذ بشيء آخر إلا عند الضرورة القصوى (إذا سمحت قواعد اللغة والبلاغة بذلك).

(٦) اقرأ: من النقل من مذهب.

(٧) الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) إمام أهل مصر - في زمانه - في الحديث والفقه. سعيد بن المسيب =

واعلم أن هذا الكتاب يُنِيف^(١) على سائر الكتب بثلاث فوائد.

★ الفائدة الأولى: أنه جَمَعَ بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالي^(٢)، بخلاف غيره من الكتب فإنها في المذهب خاصة أو في الخلاف العالي خاصة.

★ الفائدة الثانية: أُنِي جَمَعْتُهُ بحسن التقسيم والترتيب وسهّلته بالتهذيب والتقريب. فكم فيه من تقسيم قسيم^(٣) وتفصيل أصيل يُقَرِّبُ البعيدَ ويُلَيِّنُ الشريد^(٤).

★ الفائدة الثالثة: أَنَا قَصَدْنَا الجمعَ فيه بين الإيجاز والبيان، على أَنَّها قلما يجتمعان.

فجاء - محمد الله - سهّل العبارة لطيف الإشارة تامّ المعاني مُختَصَرَ الألفاظ. وإلى الله نرغبُ (في) أن يجعله مُوجِباً لغفرانه ومُوصِلاً لِرِضوانه وفاقحاً لخزائن إحسانه وأَمْنِيَّاتِهِ، إنه ذو فضل عظيم.....

- قال محمد بنُ أحمدَ بنِ جُزَيٍّ من بَدِيعِيَّة (في مَدَحِ الرسول):

أرومُ امتداحِ المُصطفى فيرُدُّني قصوري عن إدراك تلك المناقب^(٥)
ومن لي بحضُر البحر، والبحرُ زاخرٌ؛ ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب!^(٦)

= (ت ٩٤ هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. والمسيب اسم (بضم الميم وفتح السين ثم ياء مشددة مكسورة: اسم فاعل). ويجوز أن يكون بفتح الياء (ولكن الكسر أفصح). أما المسيب بن حزن بن أبي وهب الخزومي (والد سعيد بن المسيب) فهو بالكسر. جاء في تاج العروس (الكويت ٣: ٩٠) أن سعيد بن المسيب هذا كان يقول (وقد سمع أناساً يلفظون اسم المسيب بالفتح): «لئن الله من سيّب أبي» (أي لفظ اسمه بالياء المشددة المفتوحة). أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) فقيه أهل الشام، كان له مذهب في الفقه قائم على الحديث، انتشر مدة في الأندلس - في الغالب - ثم باد.

(١) أناف العدد على كذا: ارتفع، زاد.

(٢) العالي: المتقدم في الزمن (القريب من زمن الرسول).

(٣) قسيم: جيل.

(٤) أصيل: جيد (واضح). لئن الماء النسيج (جعله مطاوعاً للعمل به). الشريد: النافر، الذي يصعب إمساكه.

(٥) المصطفى = محمد رسول الله. قصوري = قصيري. المناقب جمع منقبة: الفعل الكريم.

(٦) الحصر: الإحاطة بالشيء. زاخر: ممتلئ (كثير المياه).

ولو أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ تَأَلَّفُوا
فَأَمْسَكَتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَاهِبًا
وَرُبَّ سُكُوتٍ كَانَ فِيهِ بَلَاغَةٌ،
على مَذْحِهِ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْضَ وَاجِبٍ.^(١)
وَخَوْفًا وَإِعْظَامًا لَأَرْفَعِ جَانِبَ^(٢).
وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عِتَبٌ لِعَاتِبٍ.

- وقال في الابتهاال إلى الله:

يَا رَبِّ، إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ،
فَانظُرْ، أَلْهِي، إِلَى ضَعْفِي وَمُسْكِنِي،
فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَدًا^(٣).
وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلْدًا^(٤).
وَلَا تَذِيقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا.

- وقال في مُرَادِهِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (وَهُوَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يِلْزَمُ):

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصِدٌ؛
لَأَبْلُغَ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا
وَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيُنَافِسْ أَوَّلُو النَّهْيِ.
وَأَنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَبَلَاغٌ^(٥)
يَكُونُ بِهِ لِي فِي الْجِنَانِ بِلَاغٌ^(٦).
وَحَسْبِي مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ بِلَاغٌ^(٧).

- وقال يَفْتَخِرُ بِالْعِفَّةِ وَالتَّقْوَى:

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو
غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا
فَيُسَلِّيَ حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ^(٨)!
مُحَافَظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي^(٩).

-
- (١) تألفوا: استقال بعضهم بعضاً (اجتمعوا وتعاونوا).
(٢) أمسك عن الأمر: كفّ وتوقّف. الهيبة: الخوف (من ألاّ ينجح الإنسان في محاولة أمر). التاهّب (في القاموس) الاستعداد.
(٣) أطاق: استطاع.
(٤) قبل (بكسر ففتح) الطاقة، الاستطاعة (الاحتمال). الجلد: تكلف الأمر ومحاولة (القيام) به.
(٥) بلاغ: ما يبرجو الإنسان أن يصل إليه في الحياة، الغاية من الحياة.
(٦) بلاغ: وصول، نيل (الدخول إلى الجنة).
(٧) أولي (أصحاب) النهي (العقل). بلاغ: الضروري من أسباب المعاش (ما يتبلّغ الإنسان به: ما يكتفي به)
(٨) صَفْحَةٌ: خَدٌّ، وَجْه. كالشمس: مشرقة (جميلة). يسلي من أسلى (أدخل السلو أو التسلي أو النسيان على النفوس).
(٩) غَضَّ الرجل طرفه (بصره): كَفَّه، خَفَضَهُ (منعه من أن يرى ما لا تجوز رؤيته).

- ٤ - القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ = قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، بيروت (دار العلم للملايين) بلا تاريخ^(١).
- التسهيل لعلوم التنزيل، مصر (مصطفى محمد) ١٣٥٥ هـ؛ بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
- ★ الديباج المذهب ٢٩٥ - ٢٩٦ (٢٦٤)؛ نيل الابتهاج ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الدرر الكامنة ٣ : ٣٠٣؛ درة المجال ٢ : ١١٧ - ١١٨؛ الكتيبة الكامنة ٤٦؛ نفح الطيب ٥ : ٥١٤ - ٥١٧؛ أزهار الرياض ٣ : ١٨٤ وما بعد؛ الداية ٥٢٩ - ٥٣٣ (أوجز محمد رضوان الداية رؤوس موضوعات البلاغة في كتاب «التسهيل»؛ بروكلمن ٢ : ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٢٥ (٦ : ٢٢١).

أبو حيّان الغرناطي

١ - هو أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النّفزيّ الجيّانيّ الغرناطي، أصلُ أهلِهِ من قبيلة نَفْزَة البربرية من المغرب الأقصى جاءوا إلى الأندلس وسكنوا جيّانَ.

وُلِدَ أبو حيّانَ في قرية قُرْبَ غرناطة في أواخر شَوال من سَنَةِ ٦٥٤ (أواسط تشرين الثاني - نوفمبر ١٢٥٧ م). وقد تلقّى في غرناطة شيئاً من علوم القرآن والحديث واللغة على عدد من الأئمة القليلين الذين كانوا آنذاك في غرناطة. كان من هؤلاء ابن الطّبّاع فلم يُسرَّ منه أبو حيّانَ فكشف عن عيوبه في كتاب له سمّاه «الإلماع في فساد إجازة ابن الطّبّاع»^(٢). ويبدو أن سلطان غرناطة - أبا عبد الله محمد بن محمد المعروف بالفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) - غضب من أجل ذلك على أبي حيّانَ فانتقل أبو حيّانَ إلى مالقة (وكانت مالقة آنذاك تحت حكم المرينيين) وسمع شيئاً من علوم القرآن واللغة من أبي جعفر بن الزبير^(٣). ثم إنّه غادر الأندلس إلى سبتة (المغرب الأقصى) سنة ٦٧٩ هـ.

- (١) كتب عبد العزيز سيّد الأهل (توفي نحو ١٩٨٠ م) تعريفاً قصيراً لهذا الكتاب (ص ٥ - ١١).
- (٢) الإجازة: شهادة من عالم في فنّ من الفنون بأنّ الذي يحمل منه هذه الإجازة قد سمع منه الفنّ الذي يليق به.
- (٣) يذكر بروكلمن (٢ : ١٣٣) أن أبا حيّانَ الغرناطي كان يدرس في مالقة منذ سنة ٦٧٠ هـ. وهذا يعني أنه غادر غرناطة قبل أن يجيء محمد بن محمد الفقيه إلى عرش غرناطة.

وسمع من أبي الحكم مالك بن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ) ومن أبي القاسم العزّبيّ (٧١٧ هـ).
وتطوّف مدة في المغرب.

ولا نعلم متى بارح أبو حيّان سبتة إلى المشرق، ولكنّا نعلم أنه تطوّف كثيراً في مصر والسودان والحبشة والحجاز والعراق والشام. وقد أخذ أبو حيّان في أثناء ذلك كلّ أوجهاً من فنون العلم عن أئمة البلدان التي زارها. وقد سمع في القاهرة من بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النّحاس (ت ٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م).

ودرّس أبو حيّان الغرناطي التفسير والحديث والنحو في الجامع الأقمر في القاهرة وخلف أستاذه ابن النّحاس في تدريس هذه الفنون في المدرسة المنصورية في القاهرة. وكذلك درّس في المدرسة الصالحية في دمشق (٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م).

في أول الأمر كان أبو حيّان على المذهب الظاهريّ، وكان في الوقت نفسه مائلاً إلى التشيع. في هذه الأثناء كان مُعجباً بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). ثم إن أبا حيّان انتقل إلى مذهب الشافعي فجعل يحمل على ابن تيمية ويتّهمه بالقول بالتجسيم.

وكفّ بصّر أبي حيّان في أواخر أيامه. وكانت وفاته في ٢٨ صفر ٧٤٥
(١١/٧/١٣٤٤ م).

٢- كان أبو حيّان الغرناطي عارفاً باللغة وإماماً في الصرف والنحو وبارعاً في التفسير والحديث والفقه. وكان شاعراً مكثراً وفي ديوانه قصائد ومقطعات وموشحات، وفنون شعره كثيرة منها المدح والوصف والخمر والفرل والمجون. وكان يقول الشعر رويةً وأرتجالاً. وعلى شعره شيء من الضعف وفيه كثير من الصناعة وشيء من الفكاهة. وله أيضاً رسائل أدبية.

وعرّف من اللغات الأجنبية الفارسية والتركية والحبشية. وكانت مؤلفاته نحو خمسين منها: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم - إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب - التذيل والتكميل في شرح التسهيل (في اللغة) - منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك - نهاية الاعراب في علم التصريف والاعراب - رجز مجاني القصر في

شعراء العصر - نوافث السحر في دماثة الشعر - تحفة النُدُس في نحاة الأندلس -
الإدراك للسان الأتراك - الأفعال في لسان الترك - منطق الخرس في لسان الفرس -
نور الغبش في لسان الحبش - الخبور في لسان اليعفور .

٣ - المختار من آثاره

- لأبي حيانَ الغرناطيَّ أبياتٌ مشهورة من الحكمة البارة في الأصدقاء والأعداء :

عِداتي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ ، فلا أَذْهَبَ الرَحْمَنُ عَنِّي الأعدايا .
هُمُ بَحَثُوا عَن زَلَّتِي فَأَجْتَنَّبْتُهَا ، وهم نَافِسُونِي فَأَكْسَبْتُ المَعَالِيَا .
- وله في التَهَكُّمِ بالمُتَصَوِّفِينَ :

أَيَا كَاسِيًا مِنْ جَيِّدِ الصُّوفِ نَفْسُهُ وَيَا عَارِيًا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ وَمِنْ كَيْسٍ (١) .
أَتَزْهِي بِصُوفٍ ، وَهُوَ بِالْأَسْرِ مُضْبِحٌ عَلَى نَعْجَةٍ وَالْيَوْمَ أَمْسَى عَلَى تَيْسٍ !

- وله في الوداع ، وفيه توريةٌ بين ابنِ مُقْلَةٍ (خطَّاط عبَّاسي بارع مجيد) وبين ابنِ
قُلَّةٍ (ابن العين : الدمع) :

سَبَقَ الدَّمْعُ بِالْمَسِيلِ المَطَايَا إِذْ نَوَى مَنْ أَحْبَبُ عَنِّي مُقْلَةً ؛
وَأَجَادَ السُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الدِّ خَدٍّ ؛ وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ ابْنُ مُقْلَةٍ ؟
- وقال في الدفاع عن البخل :

رَجَاؤُكَ فَلْسًا قَدْ غَدَا فِي حَبَائِلِي قَنِيصًا ، رَجَاءٌ لِلنَّتَاجِ مِنَ العُقْمِ .
أَتَتَعَبُ فِي تَحْصِيلِهِ وَأُضْيِعَهُ ؟ إِذَا كُنْتُ مُعْتَاضًا عَنِ البُرْءِ بِالسُّقْمِ !

- وقال في فضل المال :

أَتَى بِشَفِيعٍ لَيْسَ يُمَكِّنُ رَدُّهُ ؛ دَرَاهِمُ بِيضٌ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ ؛
تُصَيِّرُ صَعْبَ الأَمْرِ أَهْوَنَ مَا يُرَى ، وَتَقْضِي لُبَانَاتِ الفَقْرِ وَهُوَ نَائِمُ .

(١) الكيس (بالفتح) : العقل ، الفطنة (بالفتح : حسن الإدراك للأمور) ، الذكاء .

- وقال في إباء النفس وعزتها:

وقَصَّرَ آمالي مآلي إلى الردى وأني، وإن طال المدى، سوف أهلكُ
فضننت بماء الوجه نفسُ أَيْتةً، وجادت يميني بالذي كنتُ أملك.

- من موشحه لأبي حيّان الغرناطيّ في الخمر):

إن كان ليلٌ داخٌ. وخانتا الإصباح فنورها الوهاج يُغني عن الإصباح

سُلافةٌ تبدو كالكوكب الأزهر؛
مِراجُها شُهدُ وريحُها عَنبرُ،
يا حَبْدًا الورْدُ منه وإن أسكر^(١).
قلبي بها قد هاج، فما يراي صاح عن ذلك المنهاج وعن هوى، يا صاح^(٢)

وبي رثًا أهيف قد لَجَّ في بُعدي^(٣)؛
بدرٌ فلا يُخَفِّف منه سَنَا الخد؛
بلحظه المَرْهَف يسطو على الأسد
كسوة الحجاج في الناس والسَّاح. فما ترى من ناج من لحظة السَّاح^(٤)

٤- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، القاهرة ١٣٢٨ هـ.

- هداية النحو (بلا تاريخ).

- (١) داج: مظلم. خانتا الإصباح: لم يطلع الصباح في ميعاده.
- (٢) السُلافة: الخمر. الشهد (بفتح الشين وكسرهما وضمتها): الصل. فما يراي صاح: فما يراي قلبي صاحياً مفيقاً (من الحب والسكر). الورْد (بكسر الواو): الشرب.
- (٣) يا صاح: يا صاحي.
- (٤) وبى (أحب) رثا (غزال) أهيف (نحيل القد). قد لَجَّ في بعدي (أصر على الابتعاد عني). المَرْهَف: القاطع.
- (٥) الحجاج بن يوسف والي العراق في أيام عبد الملك بن مروان كان مشهوراً بالقسوة والبطش. السَّاح (الأولى): أبو العبّاس السَّاح الخليفة العبّاسي الأول (قتل خلقاً كثيراً من أهل البيت الأموي بقسوة وغدر. السَّاح (الثانية): الذي يصفح (يسفك) الدم. ما ترى من ناج: لا ينجو منه أحد.

- الإدراك للسان الأتراك، استانبول ١٣٠٩ هـ؛ (جعفر أوغلو)، استانبول ١٩٣١ هـ.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، حاة (مطبعة الإخلاص) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م؛ دمشق ١٩٣٢ م.
- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء (بتحقيق محمد حسن آل ياسين)، - مطبوع مع « الفرق بين الضاد والظاء » لمحمد بن نشوان الحميري، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- ديوان أبي حيّان الأندلسي (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.
- ★ أبو حيّان النحوي، تأليف خديجة الحديثي، بغداد (مطبعة النهضة)، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
- فوات الوفيات ٢: ٣٥٢-٣٥٦؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٦٧-٢٨٣؛ ابن قنفذ ٣٤٩؛ نكت الهميان ٢٨٠-٢٨٦؛ بغية الوعاة ١٢١-١٢٣؛ البدر الطالع ٢: ٢٨٨-٢٩١؛ شذرات الذهب ٦: ١٤٥-١٤٧؛ نفح الطيب ٢: ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩-٢٣٠، ٥٣٥-٥٨٤، ٦٥٥-٦٥٦، ٥: ١٩٢، ٢٦٢، ٢٦٦، ٣٥٢، ٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٦؛ بروكلمن ٢: ١٣٣-١٣٤، الملحق ٢: ١٣٥-١٣٦؛ الأعلام للزركلي ٢٦: (٧: ١٥٢)؛ البحث العلمي-، سنبر-دجنبر (أيلول-كانون الأول) ١٩٦٤، ص ٢٤١-٢٤٧ (بيقلم سعيد غراب)؛ سر كيس ٣٠٦-٣٠٧.

الطويجن الساحلي

- ١- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (نسبة إلى جدّه لأمه) المشهور بطويجن من أهل غرناطة. كان أبوه أمين العطّارين في غرناطة وعالماً فقيهاً قديراً في حساب الفرائض (تقسيم الإرث)، وكان ربّ أسرة معروفة بالصلاح والتقوى وعلى قدر من الثروة.
- نشأ إبراهيم في غرناطة وتلقّى العلم فيها ثم أصبح مؤثّقاً (كاتباً عدلاً) بسيّاط شهود غرناطة.

وكان إبراهيم كثير الرحلة جاء إلى الشرق فزار مصر والشام والعراق واليمن والحجاز فحجّ وزار المدينة. ويبدو أنّه، بعد ذلك، في سنة ٧٢٤ هـ، دخل بلاد السودان (الغربي) ثم عاد وشيكا في العام نفسه. ولكن يبدو أنه تردّد إلى السودان مراراً

وَاتَّصَلَ بِمُلْكِهِ ثُمَّ عَادَ مَرَّةً وَأَهْدَى إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ هَدِيَّةً طَرِيفَةً فَأَثَابَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ عَلَيْهَا مَالًا كَثِيرًا.

وعاد في اواخر أيامه إلى السودان ونَزَلَ في تَنْبُكُو (مالي اليوم) فأدركته فيها الوفاة، يوم الإثنين في السابع والعشرين من جُمَادَى الآخِرَةِ من سَنَةِ ٧٤٧ (١٣٤٦/١٠/١٦ م).

٢- كان الطويجِيُّ الساحليَّ ناظرًا وناثرًا قديرًا يَجْمَعُ الْجَزَالَهَ والمُتَانَةَ وربِّها رَأَيْتَ على شعره شيئاً من الرِّقَّةِ. ثُمَّ هو كَثِيرُ الْغَرِيبِ يَتَكَلَّفُ الصَّنَاعَةَ وَيُكْثِرُ فِي نَثَرِهِ خَاصَّةً من الإشارات التاريخية والأدبية حتَّى لَيَقْرُبُ أَنْ يُصْبِحَ شِعْرُهُ وَنَثَرُهُ الْغَازَاً. ولا شكَّ في أَنَّهُ كَانَ مُلَمَّاً بِعَدِيدٍ من العلوم. والمادَّةُ في أدبه تَغْلِبُ على الأسلوب. وشِعْرُهُ مَقْسَمٌ بَيْنَ المدحِ والرَّثَاءِ والنسيبِ والخمرِ، وله أَشْيَاءٌ على طريقة القوم (الصوفية).

٣- مختارات من آثاره

- لَمَّا وَصَلَ الطويجِيُّ الساحليُّ في بعض أسفاره إلى مدينة مَرَّاكُشَ خَاطَبَ أَهْلَ غِرْنَاطَةِ بِرِسَالَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا:

سَلامٌ لَيْسَ دَارِينُ شِعَارُهُ وَحَلَقَ الرُّوضِ وَالنُّضِيرِ بِهِ صِدَارُهُ^(١)، وَأَنْسَى نُجْدَا شَمَّةَ الزَّكِيِّ وَعَرَارَهُ^(٢). جَرَّ ذَيْلَهُ عَلَى الشَّجَرِ فَتَمَطَّرَ وَنَاجَى غُصْنُ الْبَانِ فَاهْتَزَّ لَحْدَيْهِ وَتَأَطَّرَ^(٣). وَارْتَشَفَ النَّدى مِنْ ثُغُورِ الشَّقَائِقِ وَحَيًّا خُدُودِ الْوَرْدِ تَحْتَ أُرْدِيَةِ الْحَدَائِقِ. طَرِبَتْ لَهُ النُّجْدِيَّةُ الْمُسْتَهَامَةُ فَهَجَرَتْ صَبَاها بِيْطُنَ تِهَامَةٍ^(٤). وَحَنَّ ابْنُ دَهَانَ لَصَبَاهِ

(١) دارين: مكان مشهور (في الشام وفي البحرين) بنباتاته ذات الرائحة الطيبة. الشعار: الطراز، العلامة. الصدر ثوب نصفي يغطي الصدر. والجملة: «سلام.... صداره» غير مفهومة. اقرأ: «سلام لبست دارين شعاره، وحلّى الروض النضير به صداره» (سلام أخذت دارين منه عطرها، واتخذ الروض النضير - الزاهر - منه صداره، أي ثوبه الجميل الألوان).

(٢) شمة (اقرأ: شيمه). المرار نبات زكيّ الرائحة (إشارة إلى قول الشاعر: تمتّع من شميم عرار نجد).

(٣) سلام جرّ ذيله (مع).... تأطّر: تتنّى، تمايل (من السرور والطرب).

(٤) النجدية (؟) المستهامة، الهائمة: المشغوفة، العاشقة (الهامة ؟). هجرت صباها (بالفتح: ؟ بالفتح: الريح الباردة). تهامة: ساحل الحجاز (المنخفض عند شاطئ البحر).

وسلا به التميمي عن ربابه^(١) وأنسي النُميري^(٢) ما تَضَوَّعَ بِزَيْنَبَ من بطن نعمانه^(٣)...
 حتى إذا راقَتْ أنفاسُ تحيَّاته ورَقَّتْ ومَلَكَتْ نفائسَ النفوسِ واستشرقت^(٤). ولَبَسَتْ
 دارينَ في مِلَائها ونظمتِ الجَوَازِ في عَقْدِ ثِائِها^(٥) واشتغل بها الأعشى عن رَوْضِهِ
 ولهى ، وشهدَ ابنُ بُرْدٍ شَهادَةَ أطرافِ المَساويك لها^(٦) خِيَمَتْ في رُبْعِ الجودِ
 بفرناطة ورَقَّتْ ومَلَأَتْ دَلُوها إلى عَقْدِ ركبهِ^(٧)، وأقبلت منابتُ شرقِها عن غَرْبِهِ لا عن
 عَرَفِهِ^(٨). هنالك تُتَرى لها صدورُ الجالسِ تُحْمِلُ صُدُوراً^(٩) وترائبُ المعالي تُحَلِّي
 عقوداً نَفسيةً وجذورا^(١٠)، ومحاسنُ الشرفِ تُحَاسِنُ البُرُوجَ في زُهرِها^(١١) والأفنية في
 إيوانِها والأندية في شِعبِ بَوَّانِها^(١٢). لو رآها النُعمانُ لَهَجَرَ سَدِيرُهُ^(١٣) أو كَسَرى لَنَبْدَ

(١) «وحنَّ ابن دهمان لصباه (٩). سلا: نسي. التميمي (٩) ربابه (اقرأ: ربابه، لموازنة نعمانه الآتية).

(٢) النُميري هو محمد بن عبد الله بن غير (ت نحو ٩٠ هـ) شاعر أموي له قصيدة مطلعها:

تَضَوَّعَ سَكا بطنَ نَعمانٍ إذ مَشَتْ بـه زَيْنَبُ في نِوَةِ عَظِرَاتِ.

نعمان: وادٍ في الحجاز (نعمان الإراك).

(٣) اقرأ: واسترقت.

(٤) الجوزاء مجموع من النجوم.

(٥) اقرأ: ولها (من لها يلهو) يشير إلى الأعشى ميمون بن قيس الذي يقول في معلقته اللامية: ما روضة من

الحزن (بفتح الحاء) معشبة....

(٦) يقول بن بشر بن برد:

يا أطيِّبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبرٍ إلّا بِقِيَّةِ أطرافِ الماويك!

(٧) اقرأ: إلى عقد كربه. الكرب (بفتح ففتح): الحبل يشدُّ فوق خَشَبَةِ الدلو.... خِيَمَتْ في ربع الجودِ

(يقصد وصلت رسالتي إلى قومي الكرام). رَقَّتْ (٩). ملأت دلوها إلى عقد كربه (ملأته تماماً). (المقصود غير واضح لي).

(٨) الغرب: ماء يسيل أو ينقط من الدلو عند نقله الماء به. العرف: الرائحة الطيبة. (المعنى العام غير واضح).

(٩) اقرأ: الترائب (عظام في أعالي الصدر).... وقرأ: شذوراً (قطع صغيرة من ذهب توضع بين حبات اللؤلؤ في العقد).

(١٠) تحاسن: تباهي غيرها بحسنها هي. الزهر: الكواكب. البروج: مناطق في السماء تتنقل الكواكب فيها (بحسب المدرك القديم في الفلك).

(١١) الأفنية جمع فناء (بكسر الفاء): باحة فيحة أمام الدار. الإيوان: القاعة المظيمة الواسعة تحاسن الأفنية في إيوانها (٩).

الأندية جمع ندى: نقاط الماء التي تتجمع في أثناء الليل على الأغصان والشب إلخ. شب بَوَّانٍ تمر =

إِيوَانَهُ وَسَرِيرَهُ^(١) أَوْ سَيْفٌ^(٢) لَقَصَرَ عَنْ غُمْدَانِهِ أَوْ حَسَّانٌ لَتَرَكَ جَلَّقَ لِفَسَّانَهُ^(٣)
 لك إبليس! أفلا أشفقت من عذاي وسمحت ولو بسلام من أحبابي^(٤): أسلمتني إلى
 ذَرَعِ البِيدِ ومخالفة الذميل والوخيد^(٥)، والتنقّل في المشارق والمغارب، والتمطّي في
 الصهوات والغوارب^(٦)

- وقال في النسيب والخمر:

زارتُ وفي كلِّ لحظٍ طرفٌ مُخْتَرِسٌ وحولَ كلِّ كِنَاسٍ كَفٌّ مُفْتَرِسٌ^(٧)
 يشكو لها الجيدُ ما بالحلّي من هَدَرٍ ويشتكى الزُّند ما بالقلب من خرس^(٨)
 في لحظها سِحْرٌ فِرْعَوْنٍ، ورِقَّتْهَا آياتُ موسى، وقلبي موضعُ القبس^(٩).

= مشهور في غربي بلاد فارس فيه خصب كثير وفواكه متنوعة.
 هذا من قول المتنبي

يقول بشعب بَوَّانٍ حصاني: أعن هذا يُبار إلى الطمان؟
 أبوكم آدم سنّ المعاصي علّمكم مفارقة الجنان.

- (١٢) النعمان بن المنذر ملك الحيرة. السدير: قصر للنعمان.
 (١) إيوان كسرى: بناء فخم عظيم على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد كان العاصمة الصيفية للفرس.
 (٢) سيف بن ذي يزن: ملك في اليمن. غمدان قصر.
 (٣) حسان بن ثابت. غسان: بنو غسان ملوك الشام في جلق قرب بصرى في سهل حوران (وربما أطلقها بعضهم على دمشق). إشارة إلى قول حسان:
 لله درّ عصابة نادمهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّل.
 (٤) لك إبليس: لا بارك الله فيك. أشفق: خاف، هاب.
 (٥) ذرع: قياس. البِيد جمع يبداء: الأرض الواسعة (السفر الكثير). الذميل: سير سريع لينّ: الوخيد: سير سريع بخطى واسعة: مخالفة الذميل والوخيد: الاستمرار في الأسفار.
 (٦) الصهوة: ظهر الحصان. الغارب: كتف البعير. التمطي: طول السفر.
 (٧) الطرف: العين. الكناس: مأوى الظهي. زارت وهي خائفة من الذين وجدتهم حولها، وكلّ من كان حولها كان يريد الوصول إليها (!).
 (٨) الجيد: العنق. الحلّي ما تترجئ به المرأة. الهدر: صوت البعير والفلان (عليها حلي كثير يسمع له صوت عند تحركها ومشيا). القلب (بضمّ القاف): سوار من قطعة واحدة. والشاعر يقصد بالقلب (الجمع: عدد من الأسورة أو الأساور) وهذه الأساور خرساء لأنّ زند الفتاة متلىء (كثير اللحم)، فالأساور لا تحرك في زندها.
 (٩) القبس: النار (قلبي مشتعل بحبّها).

أشكو إليهما فؤاداً واجلاً، أبداً

في « النازعات » ، وما تنفك في « عبس » .^(١)
يا شقة النفس ، إن النفس قد تلفت
هذا فؤادي وجفني فيك قد جمعا
إلا بقيّة رجع الصوت والنفس^(٢) .
ضدين فاعتبري إن شئت واقتبسي^(٣) !
شبا العوالي وخيف الأخنف الشرس^(٤) ،
بنّا نعطى بها ممزوجة مزجت
حلّو الفكاهة بين اللين والشرس^(٥) .
أنكحتها من أيها وهي آيسة
فشار أباؤها في ساعة العرس^(٦) .
نور و نار أضاءا في رُجّاجتها:
فذاك خذك ، يا ليلي ، وذا نفسي!
حتى إذا آب نور الفجر في وضع
من معرك جال بين الفجر والغلس^(٧) ،
قامت تجرُ فضول الرّيط آيسة
كريمة الذيل لم تجنح إلى دّس^(٨) .
تلوث فوق كتيب الرمل مطرفها
وتمسح النوم عن أجفانها النّفس^(٩) .
فطلّ قلبي يَفقوها بملتهب
طوراً ، ودمني يتلوها مُنبجس^(١٠) :

- (١) واجلاً: خائفاً (من أن تهجره). النازعات وعبس: السورتان ٧٩ و ٨٠ في المصحف. من معاني النزوع: الحنين والاشتياق. العبس (بفتح فسكون والمبوس): تجمع جلدة الوجه دلالة على النفور والزرجر. الشقة: (بفتح الشين): الجزء من الشيء و(بضم الشين): نصفه.
- (٢) الضدان: الماء (البكاء) في عيني، والنار في قلبي: اعتبري: تعجّبي. وإن لم تصدقي فاعتبسي (قرّبي شيئاً من قلبي فإنه يحترق).
- (٣) السحر (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الزمن عند الفجر. أجوس: أدور، أتجول. الشبا: حدّ السيف أو السكين. العوالي جمع عالية: أعلى الرمح. الخيف جمع خيفة (بفتح الخاء): عرين الأسد. الأخنف (٤).
- (٤) بنّا (قضيئاً الليل) نعطى: نسقى مرّة بعد مرّة. بها (في تلك الليلة). ممزوجة (خراً ممزوجة بماء) لعلها يقصد: شمولاً (خراً مرّت عليها ريح الشمال - بفتح الشين - فأصبحت باردة).
- (٥) أنكحتها: زوّجتها من أيها (الماء): مزجتها بماء. وهي آيسة (امرأة فارقتها الحيض) كناية عن قدمها. فشار (تطأير). أباؤها: فقاقيع الماء التي تجول على وجه الخمر عند مزجها بالماء. في ساعة العرس (عند امتزاج الخمر بالماء).
- (٦) آب: رجع. الوضع: الوضوح، البياض. الغلس الظلام. « من معرك جال » (٧).
- (٧) الريط: قطعة واحدة من نسيج نفيس تلبس فوق الرداء، فضول الريط: أطراف الريطه القريبة من الأرض (قامت تجرّ إلخ: انصرفت بأمان). آيسة: فتاة صغيرة السن. كريمة الذيل طاهرة، نقيّة (محفوطة كرامتها). جنح: مال.
- (٨) تلوث: تلف. كتيب: الرمل: تلة (كناية عن امتلاء جسمها في وسطه). المطرف: ثوب ثمين.
- (٩) قفا: تبع. يتلوها: يرافقها، يتبعها. منبجس: سائل فائض (من الدمع).
- (١٠)

دهرٌ يُلوّنُ لَوْنِيهِ كَمَا دَتِهِ: فالصبحُ في مَآثِمِ وَاللَّيْلُ فِي عُرْسٍ !

- وقال وفي قوله لَمَحَاتٌ مِنَ التَّصَوُّفِ:

دَعِ الْعَيْنَ تُذْهِبِ الدَّمْعَ فِي طَلَلِ الرَّبْعِ فليس حراماً أن أُرِيقَ بِهَا دَمْعِي (١).
وَحَدَّثَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ: أَحَلُّوا بِنَجْدٍ أَمْ أَقَامُوا عَلَى سَلْعٍ (٢)؟
وإن لم يكن قد فاز طَرْفِي بِنَظَرَةٍ إِلَيْهِمْ، فَحَسْبِي أَنْ يَفُوزَ بِهِمْ سَمْعِي.
ذَكَرْتُكَ، يَا نَجْدٌ، ففَاضَتْ مَدَامِعِي. وَأَيُّ نَصِيرٍ لِلْمُحِبِّ سِوَى الدَّمْعِ!
وإن تَقَنْ، يَا نَفْسُ، الْعِزَاءَ تَجَمُّلاً، فَإِنَّكَ مَكْلُومٌ الْحَسَا دَائِمُ الصَّدْعِ (٣).
أَحِنُّ، كَمَا حَنَّتْ رِكَابِي، إِلَى مَنِي؛ وَمَا دَارُهَا دَارِي وَلَا رَبِيعُهَا رَبِيعِي (٤).
وَقَالُوا: غَدَاً تُقْضَى بِجَمْعٍ دِيُونُنَا. وَحَسْبِي بِجَمْعٍ أَنْ أَرَى لَيْلَةَ الْجَمْعِ (٥).
لِعَيْنِكَ قَلْبِي، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ، طَائِعٌ صَبُورٌ عَلَى الشُّكْوَى (شُكُور) عَلَى الْمَنَعِ!
تَجَلَّى لَطَرْفِي فِي مُحْيَاكِ رَوْضِهِ وَوَرَدَتْهُ الْمُخَمَّرَةُ اللَّوْنِ مِنْ زَرْعِي (٦).
وَتَفَرَّكَ مِنْ دَمْعِي وَخَدَّكَ مِنْ دَمِي،

وَحَصْرُكَ مِنْ فِكْرِي وَحَلْيُكَ مِنْ سَجْعِي (٧).

قَصَرْتُ قُودَايَ فِي رِضَاكِ عَلَى الْجَوَى وَحَرَمْتُ عَذْلِي فِي هَوَاكِ عَلَى سَمْعِي (٨).

(١) أذرى: فرّق، أسال. الربع: المسكن. أراق: سكب على الأرض.

(٢) الذين عهدتهم: الذين أعرفهم. أحلّوا.... إلخ: أين هم اليوم؟

(٣) أن تقن العزاء: (أن تحفظه): تصبري. التجمّل: التشدّد واحتمال المصيبة (خوفاً من شاة العدو). مكلوم: مجروح. الحسا: داخل الجسم (القلب). الصدع: الانكسار. كان يخاطب النفس، ثم التفّت إلى مخاطبة نفسه: فَإِنَّكَ (بفتح الكاف).

(٤) الركاب: ما يركبه المسافر (الناقة). منى: مكان قرب مكّة فيه منسك للحجّاج (كناية عن الشوق إلى الله).

(٥) جمع: مزدلفة، قرب منى حيث يبيت الحجّاج بعد نزولهم من عرفات. تقضي جميع ديوننا: تتحقّق جميع آمالي. أن أرى ليلة الجمع: أن أكون وإياها في مكان واحد (كناية عن العزّة الإلهية).

(٦) - احترّ خدّاها لآ نظرت أنا إليها فاستحييت.

(٧) - ريقك الصافي من دموعي، ولون خديك من دمي، وخصرك ناهل كحول فكري من كثرة التفكير فيك (؟) ونغم ما تنزّنين به من الحلّى جيل كشمري فيك (!).

(٨) قصرت قُوداي: جعلته يكتفي. الجوى: ألم الحبّ. العذل: اللوم. رضيت أن أتألم لصدودك عني ولم أرض أن ألوّمك أو أن أسمع لوماً فيك.

أبو بكر بن شبرين

١- هو الشيخ الكاتب القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شبرين الجذامي، أصله من إشبيلية، من حصن شلب^(١)، انتقل أبوه - سنة ٦٤٦ هـ - من إشبيلية إلى رندة ثم سكن غرناطة ثم انتقل إلى سبتة (في المغرب).

وُلد أبو بكر بن شبرين في سبتة، في أواخر سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م). بدأ تعلمه بالقراءة على جده لأمه أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقي. ثم إنه رحل إلى تونس ولقي نفراً من علمائها.

وفي أواخر سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥-١٣٠٦ م) جاء إلى غرناطة وتولى الكتابة للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الخلوع (٧٠١-٧٠٨ هـ). وتولى القضاء أيضاً. وقد رثى الوزير ابن الحكيم الرندي (قتل ٧٠٨ هـ) ثم رثى السلطان محمد بن إسماعيل (٧٢٥-٧٣٣ هـ) المقتول.

وكانت وفاة أبي بكر بن شبرين في ثالث شعبان من سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦/١١/١٩ م).

٢- كان أبو بكر بن شبرين من أهل الدين والفضل والعدالة ومن شيوخ الكتاب حسن الخط. وكان فصيحاً مقتدرًا في نظم الشعر بارعاً في النثر. وفنون شعره الرثاء والفخر. وقصائده طوالت وعليها شيء من الرونق والنفس الصوفي. غير أنه أحياناً كثير التكلف.

(١) حصن شلب (?). هنالك بلدة معروفة باسم « شلب » تبعد مائتي كيلومتر إلى الغرب من إشبيلية، وتقع قرب الساحل الجنوبي في البرتغال اليوم.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن شبرين الجذامي في القائد بكرون بن الأشقر الحضرمي (ت ٧١٤ هـ):
« كان له في الخدمة مكان كبير وجاءه عريض. ثم صرّفه الأمر عن اسمه * وأنزله الدهر
على حكمه. تغمّده الله برحمته (الإحاطة ١: ٤٥١-٤٥٢).

- وقال في التذکر والاعتبار والابتهاال:

ظَنَ الصَّبَا، وَمِنْ الْمَحَالِ قُفُولُهُ. إِنْ كُنْتَ بَاكِئُهُ قَتَلَكَ طُلُوعُهُ^(١).
رَعِيًّا لَجِيرَانِي وَلِلظِّلِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَجْمَعُنَا هُنَاكَ ظِلُّهُ.
هَذَا دِيَارُهُمْ فَتَلَّهْمْ بِهَا، إِنَّ الْمَتِيمَ شَأْنُهُ تَمِيلُهُ^(٢).
عَهْدٌ أُحِيلَتْ حَالُهُ، فَالْيَوْمَ لَا مَعْقُولُهُ مِنَّا وَلَا مَنَقُولُهُ^(٣).
أَشْجَاكَ مَجْتَمَعَ عَفَتْ آيَاتُهُ وَتَعَاوَرَتْهُ شِمَالُهُ وَقَبُولُهُ^(٤).
قَدْ كُنْتَ تَصْفُرُ عَنْ سِنِي قِتْيَانِهِ، فَالْيَوْمَ تَصْفُرُ عَنْ سِنِيكَ كَهُولُهُ^(٥).
مَا كَانَ مَاضِي الْعَيْشِ إِلَّا خَطَرُهُ خَطَرْتُ، وَوَقْتُ قَدْ تَتَابَعَ جِيلُهُ^(٦).
ضَيَّعْتَ فِي طَلَبِ الْفُضُولِ بُكُورَهُ، لَكِنْ نَدِمْتَ وَقَدْ أَتَاكَ أَصِيلُهُ^(٧).
دَغَّ عَنْكَ تَذْكَارُ الصَّبَا، إِنَّ الصَّبَا رَسْمٌ يَهِيْجُ لَكَ الْغَرَامَ مَحِيلُهُ^(٨).

- (١) ظمن الصبا (رحل الشباب). القفول: الرجوع. الطلل: مكان البيت بعد أن يتهدّم. (يشبه الجسم بعد أن يفارقه الشباب بالطلل). * رسمه (٩).
- (٢) المتيم: الذي أمرضه الحبّ (لأنّه لا يستطيع أن يصل إلى محبوبه) يتخيّل محبوبه تحيلاً.
- (٣) أحيلت: تبدّلت. في ألفاظ الفلاسفة: المعقول (المعروف بالبرهان) والمنقول (المروي، الواصل إلينا عن أسلافنا). لم يبق من شبابي حقيقة ولا مظهر.
- (٤) شجا، يشجو: حزن (فعل متعدّ) وأحزن. عفا ينفو: امحى. الآية: العلامة (مظاهر العمران)؟. تعاوَرته (الرياح) تداوَرته: تهبّ عليه من جهة مرّة ثم من جهة ثانية مرّة أخرى. الشمال: الريح الشمالية. والقبول: ريح الصبا (القاموس ٤: ٣٤) وتهبّ من المغرب.
- (٥) الكهل من جاوز الأربعين. كنت أصغر أصحابي (في أيامهم) فصرت أكبرهم سناً (في أيامي).
- (٦) خطرة: مدّة يسيرة. تتابع جيله: ماتوا واحداً بعد واحد.
- (٧) بكوره: أوّلُه (زمن الشباب). أصيله (الأصيل: ما بين الظهر والمصر): آخره (عصر الشيخوخة).
- (٨) الهيل: التغيّر المحو.

يا مَفْرَقًا نَزَلَ المَشِيبُ به، ائْتَدُ؛
 لم يعتمدْ شَيْبٌ مَحَلَّةَ لَمَّةٍ
 قد كان أنسي في الشباب فَصَدَنِي
 حسي إذا رُمْتُ الأنيسَ مُؤَنِّسٌ
 يَنَلِي الزمانُ ولا يزال مُجَدِّدًا،
 يا حاضراً عِنْدِي، وليس بجائزٍ
 يا غائِباً عَن ناظريِّ ولم يَغِبْ
 يا واحداً حقًّا، وليس بمُمكنٍ
 أنا ذلك العبدُ الظَّلومُ لنفسِه
 فالْحُرَّ لا يُؤْذِي لَدَيْهِ نَزِيلُه (١).
 سوداءٌ إِلَّا والحِجَامُ زَمِيلُه (٢).
 وأبى عليَّ وِصَالُه ووُصُولُه (٣).
 - من رَبَّنَا سُبْحانَه - تَنزِيلُه (٤).
 لا نَصَّه يَنَلِي ولا تَأويلُه (٥).
 إدراكُه؛ إِنَّ العُقُولَ تُحِيلُه (٦).
 إحسانُه عَنِّي ولا تَنوِيلُه (٧)،
 تَشْبِيهُه - كَلَّا - ولا تَخْيِيلُه،
 زَلْتُ به قَدَمٌ وَأنت مُقِيلُه.

٤-★★ الإحاطة ١: ١٠٤، ٤٥١-٤٥٢، ٥٥١-٥٥٢، ٥٥٧، ٢: ١٧٤-١٨٢؛
 الكنية الكامنة ١٦٦-١٧٢؛ اللمة البدرية ٩٨-١٠٢؛ أوصاف الناس ٣٧-
 ٣٩؛ أعمال الأعلام ٢٩٨، ٣٠١-٣٠٤؛ المرقبة العليا ١٥٣؛ نفح الطيب ١:
 ١٧٧-١٧٨؛ ٥: ٥٤١-٥٤٣؛ ٦: ٢٥١-٢٥٣؛ النبوغ المغربي ٤١٣-٤١٥،
 ٧٣٧-٧٣٨، ٩٣٣-٩٣٦.

ابن الجيّاب الفَرناطِيّ

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحَمَّد بنِ سُلَيْمان بنِ عليٍّ بنِ سُلَيْمان بنِ حَسَن الأنصاريُّ
 المعروفُ بابنِ الجيّاب، وُلِدَ في غَرناطَة في جُبادى الأولى من سَنَة ٦٧٣ (خريف
 ١٢٧٤م).

- (١) الفرق: نصف الرأس أو جانبه (مكان فرق الشعر) ائتد: سر على مهل. النزيل: الضيف (كناية عن الشيب).
- (٢) اللمة: شعر مقدّم الرأس. الحجام: الموت.
- (٣) قد كان (الصبا: هو الشباب) أنسي... وأبى عليَّ وصاله ووُصوله (لا أنا الآن أصلح له ولا هو يصلح لي).
- (٤) الآن تبدلت باللغو قراءة القرآن (تنزيله).
- (٥) النصّ (ظاهر اللفظ) وتأويله (النظر في باطن المعنى).
- (٦) يا حاضراً (خطاب لله تعالى).. العقل يمنع أن يدرك الإنسان حقيقة الله.
- (٧) يا غائِباً (لأنَّ الله لا يُرى). التَّوِيل: العطاء.

أخذ أبو الحسن بن الجيّاب أشياء من العلم عن آبن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨ هـ) صاحب «صلة الصلة» وعن آبن رشيد السبقي (ت ٧٢١ هـ) صاحب الرحلة. دَخَلَ ابنُ الجيّاب إلى الديوان السلطاني كاتباً سنة ٧٠٨. ثم إنه وَزَرَ لأبي الحجاج يوسف النيار سابع سلاطين بني نصر في غرناطة (٧٣٧ - ٧٥٥ هـ). ويبدو أنه استمر في خدمة الدولة النصرية منذ تولّى الكتابة إلى حين وفاته بالطاعون، في ٢٣ شوال ٧٤٩ (١٣٤٩/١/١٥ م).

٢- كان أبو الحسن بن الجيّاب مُتَفَنّاً في العلوم مُقَدِّماً فيها: في القراءات والحديث والفقه والفرائض وفي اللغة والنحو والبلاغة والأدب وفي الحساب والتاريخ، كما كان مشاركاً في علم التصوّف. ثم إنه كان ناثراً وشاعراً مُكثِراً في عددٍ من فنون الشعر: في الغزل (الصوفي على الأرجح) والمدح والرياء والادب (الحكمة) وفي الألغاز. ومع أن شعره سهلٌ واضحٌ صحيحُ المباني، فإن رَوْنَقَهُ قليلٌ. وله مُعْشَرَات في الشعر.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة لابن الجيّاب الغرناطي على لسان سلطان غرناطة^(١) إلى السلطان أبي سعيد المرينيّ صاحب فاس (٧١٠ - ٧٣٢ هـ):

المَقَامُ - لدى المَلِك المنصور الأعلام والفضل الثابت الأحكام، والمجد الذي أشرقت به وجوه الأيام والفخر الذي تُتَدَارَسُ أخباره بين الركن والمقام^(٢) والعز الذي تعلو به كلمة الإسلام - مَقَامُ^(٣) محلّ الأب الواجب الإكبار والإعظام..... أما بعدَ حمْدِ الله الذي أوْلَاكُمْ مُلْكاً منصوراً وفخراً مشهوراً، وأحيا بدولتكم العليّة لمكارم الأخلاق ذِكْراً منشوراً، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد رسول الله الذي اختاره (الله)

(١) في هذه المدة (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) كان في غرناطة ثلاثة سلاطين: أبو الجيوش نصر بن محمد

(٧٠٨ - ٧١٣ هـ) وأبو الوليد إسماعيل بن فرج ومحمد بن إسماعيل (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ).

(٢) الركن الباني ومقام إبراهيم عند الكعبة المشرفة.

(٣) مقام: خبر «المقام» (في أوّل الرسالة).

بشيراً ونذيراً^(١)، وشرح بهدايته صدوراً،..... وأما الذي عند معظم أمركم من الإعظام لمقامكم والإكبار^(٢)، والثناء المردّد المجدّد على توالي الأعصار^(٣).... والعلم بما لكم من المكارم التي سار ذكرها في الأقطار أشهر من المثل السيّار، والاعتداد^(٤) بسُلطانكم العليّ في الإعلان والإسرار، والاستناد إلى جنابكم الكريم في الأقوال والأفعال والأخبار... وإلى هذا - أيد الله تعالى سُلطانكم ومهد^(٥) أوطانكم - فقد تقدّمت مطالعة مقامكم، أسأله الله، أن ملك قشتالة دسّ من يتحدّث في عقد صلح يعود بالهدنة على البلاد ويرتفع به عنها مكابדתه من جهة الأعداء^(٦). وقدّرنا أولاً أن ذلك ليس على ظاهر الحال فيه وأنه يُبدي فيه غير ما يخفيه. ولكن جرّنا معه في ذلك المضار قصداً للتشوّف على الأخبار^(٧). فلما دار الحديث في هذا الحكم ظهر منه أنه قد جنح للسلم. وكان خديماً نقروز^(٨)، بحكم الاتفاق، قد ورد إشبيلية لبعض أشغاله، فاستحضره وأخذ معه في أمر الصلح وشرح أحواله.... فأعيد إليه بأنه إن أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الديار النُصْرية من غير زيادة على شروط تلك القضية، ولا يعرض لاسترجاع معقل من المعقل التي أُخْلِصَتْ من يد النُصْرائية، وأن يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورندة وغيرها من البلاد الأندلسية، فلا بدّ من مطالعة محلّ والدنا السلطان أمير المؤمنين أبي سعيد - أيدّه الله - واستطلاع ما يراه.....

-
- (١) البشير: الآتي بالخير المفرح (للطائعين) والنذير: الآتي بالخير السيئ (للعاصين).
(٢) وأما الذي عند معظم (بضمّ ففتح فطاء مشدّدة مكسورة) أمركم... أي سلطان غرناطة.
(٣) الأعصار جمع عصر (بالفتح): الدهر، المدة من الدهر.
(٤) لم أهتد إلى «أعداد» في القاموس. المقصود: الاعتماد والآتكال وانتظار المساعدة عند الحاجة إلى المساعدة.
(٥) مهد الأوطان: سكّنها، جعلتها مطمئنة آمنة هادئة.
(٦) كابد الرجل الأمر مكابدة: عاناه، قاسي في عمله. الأعداء = الأعادي، الأعداء.
(٧) المضار (الثوب الذي تركضه الخيل): السبيل. التشوّف: محاولة الإنسان أن يرى الأشياء البعيدة.
(٨) الخديم: الخادم، الذي نهّد إليه بتصرف الأمور، الذي نجعله وسيطاً بيننا وبين غيرنا. نقروز (٩): اسم الخديم.

- وقال ابن الجيّاب في الدَّهْر:

أرى الدَّهْرَ في أطواره مُتَقَلِّباً، فلا تَأْمَنَنَّ الدهرَ يوماً فتُخدعاً.
فما هوَ إلَّا مثل ما قالَ قائلٌ: (مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعاً) ^(١)

- وقال في الهمِّ والهمِّ:

وقائلة: لِمَ عَرَاكَ الشَّيْبُ؟ وما إنْ بعهدِ الصِّبَا من قِدَمٍ ^(٢)؛
قللتُ لها: لم أشِبْ كِبَرَةً، ولكنَّه الهمُّ نِصْفُ الهمِّ.

- وقال في مطلع قصيدة (وهو غزلٌ صوفيٌّ في الأكثر):

زارتُ تجرُّ نَخْوَةً أَذْيَالَهَا هيفاءُ تَخْلِطُ بالنِّفَارِ دَلَالَهَا ^(٣).
واقْتَلَكَ تَمَرُجٌ لِينَهَا بِقَاوَةٍ قد أذْرَجَتْ طَيَّ العِتَابِ نَوَالَهَا ^(٤).
كَمْ رُمْتَ كَنَمَ مَزَارِهَا، لَكِنَّهُ صَحَّتْ دَلَائِلُ لَمْ تُطِيقْ إِعْلَالَهَا ^(٥).
تركتُ على الأرجاءِ عِنْدَ مَسِيرِهَا أَرْجَاءً كَأَنَّ الْمِسْكَ فُتَّ خِلَالَهَا ^(٦).
يا حُسْنَ لَيْلَةٍ وَصَلَهَا، مَا ضَرَّهَا لو أَتْبَعْتَ من بعديها أُمَثَالَهَا؟
هذا الرِّيحُ أَتَاكَ يَنْشُرُ حُسْنَهُ فافْسَحْ لِنَفْسِكَ فِي مَدَاهِ مَجَالَهَا.
واخْلَعْ عِذَارَكَ فِي الْبَطَالَةِ جَامِحاً وَأَقْرُنْ بِأَسْحَارِهَا أَصَالَهَا ^(٧).

٤-★★ الدياج المذهب ٢٠٧-٢٠٨؛ الكنية الكامنة ١٨٣-١٩٢؛ اللوحة البدرية

(١) هذا الشطر من معلّقة امرئ القيس. المكر: المهاجم. المفر: الهارب (الراجع). - هذا الحصان يرى لسرعته وكأنه يروح ويحيى في وقت واحد: لا تكاد تراه ذاهباً حتى تراه عائداً. و (هنا) هو كناية عن خداع الدهر لنا.

(٢) عرا الدهر الناس: أصابهم بأحداثه. «إن» زائدة.

(٣) النخوة: الحفاة، التكبر.

(٤) وافى: جاء، وصل. أدرج فلان شيئاً في شيء: أدخله. النوال: العطاء (الوصال).

(٥) رام يروم: طلب. إعلاها (كذا في الأصل). ولعل المقصود «كتناها».

(٦) أرجاء جمع رجا: ناحية. الأرج: الرائحة الطيبة. فت الرجل المسك: طحنه (وإذا طحن المسك زادت رائحته، إذ تكثر سطوحه التي تلامس الهواء، ثم يخفّ حل دقايقه على الهواء).

(٧) العذار (بالكسر): الشعر النابت على جانبي الوجه. والعدار: القسم من رسن الدابة والذي يوضع في رأسها. خلع الرجل عذاره: انغمس في الشهوات وترك الحياء ولم يبال بما يقول الناس فيه.

٥٨-٦٠؛ الإحاطة ١: ١٢٤، ١٩٩، ٣٩٧، ٤٠٣-٤٠٤، ٥٤٥،
 ٥٥٠-٥٥١، ٥٧٠، ٢ (القاهرة ١٣١٩ هـ) راجع ٢٨٥-٢٨٧؛ درة المجال ٢:
 ٤٣٥؛ بغية الوعاة ٣٤٨؛ ثير فرائد الجمان ٢٣٩-٢٤٢؛ نفح الطيب ٤: ٣٢٦،
 ٥: ٢٢، ٤٣٤-٤٦٤، ٤٩٩-٥٠١، ٦٠٤، ٦٠: ٦، ١٢٤-١٢٨،
 ٢٦٠-٢٦١، ٧: ١٠١؛ أزهار الرياض ١: ١١٥، ٢: ٣٤٢-٣٤٤، ٣: ١٩٦،
 بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٩؛ الأعلام للزركلي (٦: ٥).

ابن جابر الوادي آشي

١- هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي الوادي آشي^(١)، وُلِدَ في تُونِسَ سنة ٦٧٣ (١٢٧٤ م) ونشأ فيها أيضاً.

قرأ ابن جابر الوادي آشي هذا على شيوخ كثيرين في الأندلس وإفريقية ومصر والشام والحجاز، رجالاً ونساءً، ثم خصَّهم ببرنامجٍ ذكَّروهم فيه فكانوا نحو ثلاثمائة. وكان ابن جابر قد رحلَ إلى المشرق مرتين (نحو سنة ٧٢٠ ونحو سنة ٧٣٤) - وقد كان في أثناء ذلك كله يسمَعُ من الشيوخ ويُقرئُ الذين يجتمعون إليه.

وكانت وفاة ابن جابر في تُونِسَ، في الطاعون العام، سنة ٧٤٩ (١٣٣٨ م).

٢- كان ابن جابر الوادي آشي قارئاً ضابطاً للقراءة^(٢) ومُحدِّثاً واسع الرواية ثقةً مقصوداً يرحلُ إليه الطلابُ. ثم كان أيضاً لغويًّا ونحويًّا وأديباً يزوي الشعرَ، وربَّما نظم شيئاً منه بين الحين والحين، كما كان مشاركاً في الفقه. وكان وقوراً ديناً حسن الخلق عفيفاً لطيف المعشر ظريفاً. ثم إنه كان يُقرئُ الطلابَ ويُسَمِّعُهم احتساباً (بلا أجر)، أما عيشه فكان يَكْسِبُه من العمل في التجارة.

ولابن جابر الوادي آشي تصانيفُ: الأربعون البلدانية (في الحديث) - أسانيدُ

(١) هو غير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠) - راجع ترجمته، تحت.
 (٢) لقراءة القرآن الكريم.

كُتِبَ المالكية - الإشارات البلدانية - ترجمة القاضي عياض (لعله أول تأليفه) - تقييد القصيدة العروضية المسماة المقصيد الجليل إلى علم الخليل (للإمام أبي عمرو بن الحاجب) - زاد المسافر وأنس المسامر (رحلة تكلم فيها على بلدان زارها وعلى شيوخ أخذ عنهم) - مسلسلات (من مرويات شيخه قاضي مصر عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي، قرأها عليه) مع أناشيد - برناجه.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة برنامج الوادي آشي (ص ٣٧ - ٣٨):
 أما بعدُ فإنَّ بعض أرباب الرواية^(١) ذا الشَّغَف بها والعناية أحبَّ أن أُقَيَّد له أسماء مَنْ لَقِيْتُهُ من شيوخِي الجِلَّة^(٢)، زَمَنَ مُقامي بَتُونِس وفي زَمَنِي الرحلة، وأنَّ أُسَمِّيَ له ما أخذته عنهم كائناً ما كان على حَسَبِ الوُسْع والإمكان، ومن أجازني مِمَّنْ لَقِيْتُهُ وأخذتُ عنه أو مِمَّنْ لم آخذْ عنه سواء^(٣) أو كَتَبَ لي بها من المشرق والمغرب، وأفصحَ له عن جُمْلَةٍ ذلك وأعرب^(٤). فأجَبْتُهُ لِمَا سأل وجعلته في جُزءٍ من كما أَمَل: في أحدها أسماء الشيوخ وأنسائهم وكُنَاهم وما أَمَكَنَ من ذِكر مواليدهم ووفياتهم وأناشيدهم^(٥)؛ وفي الآخر ذِكرُ المأخوذ عنهم مُضافاً لهم ما فيه من علوِّ سَنَدٍ^(٦) لكن بالإجازة، مُتَعَمِّداً في ذلك طريقَ ذوي الاستجازة إذ * فَاتَ الحصولُ المأمولُ منهم في ذلك اللاتق^(٧)، لَتَعَرَّضَ الشواغلُ عن «السَّن» المطابق، راجياً في ذلك علوُّ السَنَدِ. واللهُ سُبْحانَه الهادي للرُّشد، وأنَّ يجعلَه ذُخْراً تَقْدِمةً * * بين يَدَيْنَا ولا يجعلَه وبالاً^(٨)

(١) الراوية: رواية (نقل) العلم عن شيوخ متقدمين.

(٢) رجل جليل من جلة (بكسر الجيم): عظيم (القاموس ٣: ٣٤٩).

(٣) سواء (كذا في الأصل): لعلها «سواء» (بالحمزة: سواء أكنْتُ قد أخذتُ عنهم أو لم آخذ عنهم).

(٤) ... افصح (أكشف) له عن جملة (مجموع) ذلك وأعرب (ابن).

(٥) وأناشيدهم (٩). لعلها «وأناشيدهم» (ما يروونه عن شيوخهم).

(٦) السند العالي (في الحديث) ما كان رواه قريبين من عصر رسول الله.

* لعلها «إن».

(٧) أطلبُ الإجازة منهم عن بُعد إذا لم أستطع الأخذ عنهم شخصياً. اللاتق (٩).

* * لعلها «تقدمة».

(٨) الوبال: الهلاك.

وَحَسْرَةً عَلَيْنَا. إِنَّهُ تَعَالَى مَوْلَى التَّوْفِيقِ الْهَادِي لِأَحْسَنِ طَرِيقٍ بِمَنْهُ وَكَرَّمَهُ.

- ترجمة لأحد شيوخه (رقم ١٣، ص ٥١-٥٢):

أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي القرطبي، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. مَوْلَدُهُ بِهَا (١) عَامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ. أَخَذَ عَنْ جَدِّهِ لِلَّامِ الْمُقْرِي الْقَيِّمِ (٢) بِجَامِعِ قُرْطُبَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ قَادِمِ الْمُعَاوِيَّ (عَنْ) وَالِدِهِ (٣). وَمِنْ جِلَّةِ أَشْيَاخِهِ: الْقَاضِي بِحَضْرَةِ مَرَّاكُشٍ (٤) أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَقِيٍّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَارِثِيِّ، وَأَخُوهُ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدَ، وَأَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ فِي بَرْنَامَجِ شَيْخِهِ. قَرَأَتْ عَلَيْهِ وَسَمِعَتْ (مِنْهُ) وَأَجَازَنِي إِجَازَةً عَامَةً وَكَتَبَ خَطَّهُ بِهَا. وَعُمِّرَ حَتَّى أَلْحَقَ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكْبَارِ (٥). وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ (٦). وَكَانَ مَشْكُورَ الْقَلَمِ نَظْمًا وَنَثْرًا. وَمِمَّا وَجَّهَ لِي - بِحِطِّ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَيَّانَ - مَرَثِيَّةٌ فِي وَالِدِي، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، يَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ حُضُورِهِ الْجَنَازَةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ (بِهَا) حَتَّى سَمِعَ. وَهِيَ:

عَزَاؤُكَ فِي أَبٍ لَكَ أَوْ آخَرَ لِي عَزَاءُ مُحَبَّبٍ مُحَبَّبٍ وَخِلٍ.

.....(٦)

وَتُوفِّيَ - عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ لِيَذِي قَعْدَةَ عَامِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَدُفِنَ بِالزَّلَاجِ (٧).

٤- برنامج الوادي آشي (تحقيق محمد محفوظ)، أثينا-بيروت (دار الغرب الإسلامي) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

(١) بها (في قرطبة).

(٢) القَيِّمُ: المشرف (على الجامع)؟.

(٣) حضرة مراکش (العاصمة).

(٤) عمر (بالبناء للمجهول مع تشديد الميم): طال عمره. ألقى الأصاغر بالأكابر (روى عنه الأبناء بعد أن كان قد روى عنه آباؤهم).

(٥) أقرأ: واختلط عقله....

(٦) بعد البيت السابق ثلاثة أبيات عادية ومضطربة.

(٧) الزَّلَاج: مقبرة كبيرة مشهورة في مدينة تونس العاصمة.

★ ★ الوافي بالوفيات ٢: ١٨٣؛ الدياج المذهب ٣١١-٣١٣؛ نفع الطيب (يبدو أن هنالك شيئاً من الخلط بين ابن جابر هذا المتوفى سنة ٧٤٩ وابن جابر الضرير المتوفى سنة ٧٠٨- راجع فهرس «نفع الطيب»؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٣ (٦٨)؛ ثم راجع المصادر والمراجع في ترجمته التي صنعها محمد محفوظ في التوطئة لبرنامج الوادي آشي.

عبد المهيمن الحضرمي السبق

١- هو أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي، وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٦ هـ (١٢٧٧-١٢٧٨ م) في سَنَةِ وَشَأَ فِيهَا. قَالُوا إِنَّ مِنْ أَشْيَاخِهِ عبيدَ اللَّهِ بنَ أَحَدَ بنِ أَبِي الرَّبِيعِ الْأَشْبِيلِيِّ (٥٩٩-٦٨٨ هـ) وَأَحَدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ الْغَمَّازِ (ت ٦٩٣ هـ) وَأَبَا الْقَاسِمِ بنَ الشَّاطِطِ الْأَشْبِيلِيِّ (ت ٧٢٥ هـ) وَغَيْرَهُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَعُدَّ ابْنَ أَبِي الرَّبِيعِ وَابْنَ الْغَمَّازِ مِنْ شُيُوخِهِ لِلْفَرْقِ فِي الزَّمَنِ. كَانَ عَبْدُ الْمُهَيْمَنِ الْحَضْرَمِيُّ صَاحِبَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى فِي الْمَغْرِبِ كَتَبَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ عَثْمَانَ الْمُرِينِيَّ (٧١٠-٧٣١) وَلابْنِهِ وَخَلَفَهُ عَلِيٌّ (٧٣١-٧٥٢ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي تُونِسَ بِالطَّاعُونِ فِي ١٢ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٤٩ (١٣٤٩/٢/٣ م).

٢- كَانَ عَبْدُ الْمُهَيْمَنِ الْحَضْرَمِيُّ إِمَامَ الْحَدِيثِ وَالنَّحْوِ فِي الْمَغْرِبِ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ كَاتِبًا مَتَرَسِّلًا وَصَاحِبَ مَقَامَاتٍ وَشَاعِرًا مِنْ فَنُونِهِ الْمَدْحُ وَالْغَزَلُ وَالْوَصْفُ وَالْحَمَاسَةُ. وَعَلَى لُغَتِهِ عُمُومًا، فِي النَّثْرِ خَاصَّةً وَفِي الشَّعْرِ، شَيْءٌ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ مِنَ الضَّعْفِ. وَقَدْ يَحْتَدِي فِي شَعْرِهِ أَغْرَاضَ نَفَرٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ الْمَشْهُورِينَ وَمِنْ أَسْلُوبِهِمْ فَيَأْتِي بِالشَّعْرِ الْمَتِينِ الْجَيِّدِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ مَقَامَةِ الْاِقْتِخَارِ لِعَبْدِ الْمُهَيْمَنِ الْحَضْرَمِيِّ:
بَرَزْتُ يَوْمًا لِحَارِجِ بَلَدِ فَاسَ الْأَشْهُرِ^(١) وَأَتَتْهَيْتُ إِلَى وَادِيهَا الْمَعْرُوفِ بِوَادِي

(١) الْأَشْهُرُ (نَعْتُ «بَلَد»).

الجوهر. فلم يكن غير بعيد وإذا أنا بمَحْفَلٍ بالغيد^(١)، وقد دار بينهما عِتَابٌ بِالْفَاظِ
تَعَجَّرُ عنها أَلْسِنَةُ الْكُتَّابِ: يَبْضَاءُ وَسَمْرَاءُ فِي مُفَاتِنَةٍ كَبْرَى، وَكَامِلَةٌ وَقَصِيرَةٌ فِي مُعَاطَاةٍ
كَثِيرَةٍ، وَسَمِينَةٌ وَرَقِيقَةٌ فِي مُعَاتَبَةِ حَقِيقَةٍ، وَعَرَبِيَّةٌ وَحَضْرِيَّةٌ^(٢) فِي مُجَادَلَةِ قُوَّةٍ، وَعَجُوزٌ
وَصَبِيَّةٌ فِي مُخَاصَمَةِ بَذِيَّةٍ^(٣). فَبَيْنَمَا أَنَا أَنْظُرُ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ الْمُرَوَّنَةِ^(٤)، إِذَا بِمَجَارِيَةٍ
يَغْلِبُ ضِيَاءُ وَجْهِهَا عَلَى ضِيَاءِ الشَّمْسِ؛ فَوَقَفْتُ بَيْنَ الصَّفُوفِ وَسَلَّمْتُ بَيْنَانِهَا الْخَمْسَ. ثُمَّ
تَقَدَّمْتُ وَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيَاضَ طِرَازَ كُلِّ جَمَالٍ، وَشَرَّفَ أَهْلَهُ بِالْحَيَاءِ
وَالْكَهَالِ، وَأَعْطَاهُمْ عِزَّةً لَا تَبِيدُ وَصَيَّرَ الشَّمْرَ لَهُمْ عَيْدًا^(٥). أَلَا وَإِنَّ عَلَى قَلْبِي جَمْرَةً مِنْ
مُعَاتِبَتِكَ، يَا ذَاتَ الشَّمْرِ. أَعِنْدَكَ، يَا سَمْرَاءُ، مَا عِنْدِي؛ وَلَيْسَ قَدُّكَ كَقَدِّي وَلَا خَدُّكَ
كَخَدِّي: جَبِينِي ذُو انْتِهَاجٍ، وَذَوَائِي كَقَطْعِ الزَّاجِ^(٦). وَتَغْرِي أَقْحُونَ، وَدِيْبَاجُ
وَجْهِهِ أَرْجُونَ^(٧). وَإِنْ أُرْسَلْتُ شَعْرِي الْمَضْفُورَ فَظْلَامٌ لَيْلٍ عَلَى بَيَاضِ كَافُورٍ.....
قال الكاتب: وَكَانَتْ الْعَجُوزُ مَخْضُوبَةً الْبَنَانِ، مَسْوَكَةً^(٨) الْفَمِ وَلَيْسَ لَهَا أَسْنَانٌ،
مَصْبُوغَةً الْحَاجِبِ وَالسَّالِفِ تَدْبُ مَا فَاتَهَا فِي الزَّمَنِ السَّالِفِ^(٩). ثُمَّ أَشَدَّتْ وَأَجَادَتْ فِيمَا
قَصَدَتْ:

إِذَا جَفَّ لَيْنُ التَّيْنِ يَحْلُو مَذَاقُهُ؛ وَأَحْلَى مَذَاقًا فِي الثَّمَارِ الْمَجَازُ.

- (١) اقرأ: فلم يكن غير قليل فإذا. محفل: اجتماع (محلّ الاجتماع)، جماعة. يرتج: يضطرب، يوج (يكثُر فيه).
- الفيداء: الجميلة.
- (٢) عربية (بدوية).
- (٣) بذية = بذينة: فاحشة الكلام.
- (٤) الرونق (جمال الوجه ونضارته).
- (٥) اختار عبد المهيمن الحضرمي أن يقف على «عبيد» بالسكون. وهذا خطأ. يجب أن تلحق بكلمة «عبيد» ألف الإطلاق «عبيدا» فإنَّ الكلمة منصوبة (مفعول به ثان من «صير»).
الدُّوَابَّة: الشعر المضفور (المجدول كالحبال). الزاج: من الأملاح (في تصنيف المواد في الكيمياء). وفي «المعجم الوسيط» (ص ٤٠٧): الزاج الأبيض، والأزرق والأخضر. والمقصود هنا «السواد».
- (٦) الأقحوان: زهر برّي قلبه أصفر، وبتلاته بيضاء منتظمة تُشَبُّهُ أَسْنَانُهَا. الديباج: نسيج كلّه من الحرير، ويكون ملوّناً ألواناً (يظهر له إذا تحرّك في الشمس ألوان مختلفة؟). الأرجوان: لون آخر فيه شيء من الزرقة (يسمى «لون الملوك»).
- (٨) سوك الرجل أسنانه: دلّكها، مسحها بالمواك. والمقصود هنا أن تلك العجوز كانت بلا أسنان.
- (٩) السالف الأولى (الشعر في جانب الرأس متديلاً أمام الأذن)، والسالف الثانية: الماضي.

فَطَعَمِي ذِكِّي طَيِّبُ النَّشْرِ عَاطِرٌ وَإِنْسَانٌ عَيْنِي لِلْمُحِبِّينَ غَامِرٌ!
ثم قالت: وإن أردت- يا هذه- المَجُونِ والِرَّقَاعَةَ (١)، فأنا- والله- رَبَّةُ الصَّنَاعَةِ
وأستاذة الجماعة.

وإذا بالصَّبِيَّةِ قد أَتَتْ تَذْرُجُ دَرْجِ الْقَطَا (٢) على الأقدامِ، وتبدت فأقبلت إقبالَ
العام وَوَرَدَتْ وَرُودَ الْغِنَى على أَهْلِ الإِعْدَامِ (٣).... تَرْمُقُ بِلَحْظٍ نَائِمٍ وتَفْعَلُ بِأَشْفَارِهَا
في قلوب الماشقين ما تفعلُ الصَّوَارِمُ (٤). ثم نادت: أَيُّهَا الْعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ يا مَنْ كَشَفَتْ
بَعِيْنَهَا عن نفسها الْغِطَاءَ. هِيَّاتِ، يا عَجُوزُ،.... أَنْ يَكُونَ لَكَ بَعْدَ الْهَرَمِ طَلْقٌ، أَوْ
يَكُونَ الْجَدِيدُ مِثْلَ الْخَلْقِ (٥)! أما رَأَيْتِ شَعْرِي الْفَاحِمَ وَثَغْرِي الْبَاسِمَ وَغُصْنِي
النَّاعِمَ؟.....

- ولعبد المهيمن الحضرمي في الفقر والغنى:

يُجْنِي الْفَقِيرُ، وَيَغْنَى النَّاسُ قَاطِبَةً بَيْتَ الْغِنَى. كَذَا حُكْمُ الْمَقَادِيرِ (٦).
وإِنَّا النَّاسُ أَمْثَالُ الْفَرَاشِ، فَهُمْ يُلْفَوْنَ حَيْثُ مَصَابِيحُ الدَّنَانِيرِ.

- وقال يمدح ذا الوزارتين ابنَ الْحَكِيمِ الرَّنْدِي (٦٦٠-٧٠٨ هـ):

وَعَاذِلَةٍ بَاتَتْ تَلُومٌ عَلَى السُّرَى وَتُكْثِرُ مِنْ تَعَذُّلِهَا وَتُطِيلُ (٧).
ذَرِينِي أَسْعَى لِلتِّي تُكْسِبُ الْعُلَا سَاءً، وَتُبْقِي الذِّكْرَ وَهُوَ جَيْلٌ (٨).

(١) الرقاعة: الحماقة، والواقحة أيضاً.

(٢) درج (مشى وهو ينقل رجلاً بعد رجل على مهل). القطاة: طائر (يشي بخطوات قصيرة متقاربة).

(٣) إقبال العام (٩). الإعدام: الفقر.

(٤) الأشعار جمع شفر (بالفتح): طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر. الصارم: السيف.

(٥) الطلق: الشوط (بالفتح): المسافة التي يركضها الإنسان (سريعاً) في مدة محدودة. الخلق (بفتح ففتح):
المتهرئ من الثياب.

(٦) جفا فلان فلاناً: جانبه، ابتعد عنه. غشي (بفتح فكسر ففتح) الرجل مكاناً يشاء: جاء إليه. المقادير
جمع مقدار (ما حكم به على الإنسان أن يفعله).

(٧) العاذلة: التي تلوم الناس بلا سبب (أو بلا معرفة للسبب الصحيح في أعمال الناس). السرى: السير في
الليل (للذهاب إلى المدوح).

(٨) الساء: بالعلو، الرفة.

فإِذَا تَرَنَّنِي مِنْ مُهَارَسَةِ الْهَوَى
ولولا اغترابُ المرءِ في طَلَبِ الْعُلَا
ولولا نوالُ ابنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ
وزيراً سما فوقَ السَّامِكِ جَلَالَةَ،
من القومِ: أَمَا فِي النَّدَى فَإِنَّهُمْ
وَأَبْلَجُ وَقَادُ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا
تَهَيَّمُ بِهِ الْعَلِيَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا
سَرَى ذِكْرُهُ فِي الْخَافِقِينَ فَأَصْبَحْتُ
فَلَيْتُ إِلَى لُقْيَاكَ نَاصِيَةَ الْفَلَا
وقد كُنْتُ ذَا نَفْسٍ عَزُوفٍ وَهَمَّةٍ
وتأبَى لِي الْإِيَّامُ إِلَّا إِدَالَةَ.

نَحِيلًا، فَحَدُّ الْمَشْرِفِيِّ نَحِيلٌ^(١).
لَمْ يَكُنْ نَحْوَ الْمَجْدِ مِنْهُ وَصُولُ
لَأَصْبَحَ رَنْجُ الْمَجْدِ وَهُوَ مَحِيلٌ^(٢).
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا النُّجُومُ قَبِيلٌ^(٣)؛
هَضَابٌ، وَأَمَّا فِي النَّدَى فَيُؤِيلُ^(٤).
عَلَى وَجَنَّتِيهِ لِلنُّضَارِ مَسِيلٌ^(٥).
بُشَيْنَتُهُ فِي الْحُبِّ وَهُوَ جَمِيلٌ^(٦).
إِلَيْهِ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَمِيلُ^(٧).
بِأَيْدِي زُكَاةٍ سَيْرُهُنَّ ذَمِيلٌ^(٨).
عَلَيْهَا لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ دُحُولٌ^(٩).
فَصَوْنَكَ لِي! إِنَّ الزَّمَانَ مُدِيلٌ^(١٠).

٤- ** أوصاف الناس ٩٩؛ بغية الوعاة ٣١٥؛ نفع الطيب ٥: ٢٤٠، ٤٦٤-٤٧١،
٥٣٧؛ النبوغ المغربي ٤١٩ (التسلسل الثاني)- ٤٣١، ٧٢٨-٧٢٩، ٧٦٧؛ الأدب
المغربي ٤٣٥-٤٣٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٨ (١٦٩).

- (١) المشرفي: السيف المصنوع في «شرف» (يفتح ففتح)، وهو مكان في الشام: سورية.
- (٢) النوال: المطاء. الربع: المكان المسكون. محيل (بالفتح): ما تحول وتبدل. الربع المحيل: الذي تركه سكَّانه (فخرب).
- (٣) السامك: أحد نجمين أحدهما السامك الرامح وثانيهما السامك الأعزل. القبيل: القوم، الأهل.
- (٤) الندى (بتشديد الياء): مجلس القوم. الندى (يفتح ففتح): الكرم.
- (٥) الأبلج: الواضح، الأبيض (البشوش الوجه). النضار: الذهب.
- (٦) هام (تعتق، أحب). جميل بن معمر وبشينة بنت جبا عاشقان من العصر الأموي.
- (٧) الخافق: الأفق. الخافقان: المشرق والمغرب (في جميع البلاد).
- (٨) فلا الرجل شيئاً عن شيء: عزله ومنعه. وأقلى الرجل: أفلا (الأرض الواسعة، البدياء): دخلها، سار فيها. ناصية الفلا (جمع فلاة): رأس الفلاة: المكان الصعب منها. الذميل: السير السريع. ركاب جمع ركوبة (الدابة) التي يركبها الإنسان للسفر..
- (٩) عزوف: مائلة (عن أعراض الدنيا وكارهة لها). دحول جمع ذحل (بالضم): تأثر.
- (١٠) أدال فلان فلاناً (من خصمه): أنصفه، أخذ له بحقه. التركيب في الشطر الثاني غير واضح.

الجزنائي الفاسي الكرياني

١- هو أبو العباس أحمد بن (محمد بن) شبيب الجزنائي الكرياني^(١) التازي الدار ونزيل فاس.

قرأ الجزنائي في بلدِه فاسَ على شيوخٍ منهم أبو عبد الله بن آجروم (ت ٧٢٣ هـ) وأبو عبد الله بن رُشيد (ت ٧٢١ هـ)، وقرأ في تونسَ على يعقوب بن الدارس، أخذَ عنه علم الطبِّ والهيئة (الفلك).

ورأس الجزنائي ديوانَ الكتابة في فاس في عهدِ عثمان المريني (٧١٠-٧٣١ هـ) ثم بضعَ سنواتٍ من عهدِ أبْنه علي (٧٣١-٧٥٢ هـ). وقد دخلَ غرناطةَ على عهدِ السابع من ملوكها الأمير محمد^(٢) لقربٍ من ولايته، واشتغل هنالك في الكيمياء وفي أمرِ الأدوية المفردة (راجع الإحاطة، ص ٢٨٥). ولا نعرفُ شيئاً من أحداثِ حياته التالية إلا أن وفاته كانت في تونسَ بالطاعون يومَ عيدِ الأضحى من سنة ٧٤٩ (١٣٤٩/٤/١ م).

٢- كان الجزنائي الفاسي فقيهاً وحاسباً وطبيباً وأديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً. وهو يجيد تقليدَ المشاركة في الشعر والنثر، وفي نثره تكلفٌ أكثرُ مما في شعره. وشعره الآخرُ

(١) «ابن محمد» زيادة من الإحاطة (١: ٢٨٠).

(٢) في النبوغ المغربي (الجزنائي) «بشدة على النون (ص ٢٢٧) ولا حركة أخرى على الكلمة. ومثل ذلك فعل محمد بن تاويت الطنجي (التحريف بابن خلدون، ص ٤٨، الحاشية ١). أما محمد رضوان الداية فلم يحرّكها (تثير فرائد الجمان، ص ٣٣٥). وأما بروكلمن (الملحق ٢: ٣٣٩) فاختر أن يجعلها «الجزنائي» (بفتح فسكون). - والكرياني (الإحاطة ١: ٢٨٠)، نسبة إلى قبيلة من قبائل الريف العربي (كذا). وفي الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٣٩): الغربي (بالعين المعجمة).

(٣) في الإحاطة (١: ٢٨٥): «دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد». ولكن السابع من ملوك غرناطة، عند لسان الدين بن الخطيب نفسه (اللمحة البدرية ١٠٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج (مولده سنة ٧١٨ للهجرة، وجاء إلى العرش ٧٣٣ هـ، وتوفي ٧٥٥ هـ). أمّا السلطان محمد ملك غرناطة فيجب أن يكون السادس من ملوكها: محمد بن إسماعيل بن فرج، (٧٢٥-٧٣٣ هـ). كما في اللوحة البدرية (ص ٩٠) لسان الدين بن الخطيب نفسه. وقد ذكر عبد الله كُتُون (النبوغ المغربي ٢٢٧) أن الجزنائي «كان كاتباً في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني»، وأبو الحسن هذا هو علي بن عثمان سلطان فاس (٧٣٢-٧٤٩ هـ). فليوفق القاريه بين هذه التواريخ.

عاديٌّ. غير أن أسلوبه متينٌ ومعانيه جَزَلَةٌ.

وكان للجزنائيّ الفاسيّ عناية بالعلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية وبالصّنعَة (الكيمياء القديمة: الخرافية)، له في الصّنعَة: كتاب الأصداف المنفضّة عن أحكام علم صِناعة دينار الذهب من الفضة.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن شعيب الجزنائيّ يرثي جاريةً له روميّة أسماها صُبْحُ (الإحاطة ١ :

:٢٨٥)

يا مُحشي، والبُعد دونَ لقاءه، أدعوك عن شَحَطٍ وإن لم تسمع^(١).
يُدينِكَ مِنِّي الشوقُ حتّى إنّني لأراكَ رَأْيَ العين لولا أدمعي^(٢).
وأحِنُّ شوقاً للنسيم إذا سرى بجديثكم وأصيحُ كالمتطلع:
كان اللقاء فكانَ حظّي ناظري، وسَطاً الفراقُ فصار حظّي مَسَمي^(٣).
فأبعثُ خيالك تُهدِه نارَ الحشا إن كان يجهلُ من مُقامي مَوْضِعي^(٤).

- قال الجزنائيّ الفاسيّ في الحِماسة وحال الدنيا والناس:

عَجِبْتُ من الأيامِ أنّي ألفتُها! مُسالمةُ الأيامِ إحدى العجائب^(٥).
ولابَسْتُ حاليها من الكُرهِ والرّضا، وقد شابَ رأسي وهي سَوْدُ الذّوائِبِ.
ومارَسْتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجِدْ أختاً ثِقَةً، يا حارِ، غيرَ التجاربِ^(٦).

(١) الشحط: البعد.

(٢) كثرة أدمعي تحول بيني وبين رؤيتك (لو كنتَ حاضراً أمامي).

(٣) كان لقاءنا حينما كنتَ أنتَ حيّاً. سطا يسطو: بطش أعتدى، ظلم. صار حظّي ما أسمعه عنك.

(٤) أرسلُ خيالك (في المنام) لتهدأ لوعتي قليلاً. وإذا كان خيالك لا يعرف مقامي (بضم الميم: مكان وجودي) فيكني أن تشعر نفسي به.

(٥) - عجبت (من نفسي) أنّي (كيف) استطعت أن آلفَ الأيامَ، فإنّ مسالمة الأيام (العيش معها بأمان) أمر عجيب في ذاته.

(٦) يا حار= يا حارث (أنتها الإنسان). لا أتق إلا بما عرفته عن تجربة.

مَلِيُونَ بِالْبَغْضَاءِ إِلَّا تَمَلُّقًا،
وَسِغْتُ اللَّيَالِي عِفَّةً وَقَنَاعَةً،
وَقَضَيْتُهَا خَسًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً
فَمَا لِي لِلْأَوْطَانِ! هَلْ يُطَلَّبُ الْجَدَا
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أُقِيمَ بِذِلَّةٍ،
سَتَأْلَفُ مِنِّي الْبَيْدُ طَلَّاعَ أَنْجَدٍ
حَلِيفَ سُرَى لَا يَسَامُ الْبَيْدَ وَالسُّرَى،
أَزْجِي بِهَا مِنْ عَزَمَتِي مُتَوَقِّدًا

- وله من رسالة:

قد كان حَنِينِي إِلَى سَيِّدِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَسَنَى لِقَاءَهُ - مُوَصَّلاً مَعَ الْإِتِّصَالِ،
وَدَائِمًا مَعَ الْبُكْرِ وَالْأَصَالِ^(٧). لَا تَلَحُّقُهُ فِتْرَةٌ فَأُضِلَّ فِيهَا عَنْ هَذِهِ الْوَاضِحِ الْأَمَمِ^(٨)،
وَأُظْلَلَّ فِيهَا مِنْ سَوَاءٍ عَاكِفًا بِأَعْلَى صَمٍّ^(٩)؛ وَمَنْظَرُ الْعَيْشِ أَنْيَقُ، وَغُصْنُ الشَّيْبَةِ
وَرِيقُ^(١٠)، وَالْدَهْرُ جَمَعَ وَلَمْ يُحْسِنِ التَّفْرِيقَ.... وَالِدَارُ حَرِيَّةً بِمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ، وَالْيَدُ

- (١) مَلِيٌّ = مَلُوءٌ. الْإِبْسَاسُ: التَّلَطُّفُ وَالْمَدَارَاةُ. وَلَعَلَّهَا هُنَا: الْمَرَى (بِفَتْحٍ فَكُونَ): ذَلِكَ ضَرْعُ الْبَقَرَةِ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِنْ حَلِيبِهَا لَتَنْدَرَّ.
- (٢) تَسَنَّى: سَافَى (أَحْسَنَ الْمَعَاشِرَةَ). وَالتَّاعَرُ يَقْصِدُ: حَصُولَ، تَحْقِيقَ.
- (٣) الْجَدَا: الْعَطَاءُ. الْقَطَرُ: الْمَطَرُ.
- (٤) أَنْجَدُ جَمْعُ نَجْدٍ (أَرْضٌ عَالِيَةٌ، صَعْبَةٌ الْمُرْتَقَى).
- (٥) الْبَيْدُ جَمْعُ بَيْدَاءٍ (الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ). السُّرَى: السَّيْرُ لَيْلًا. السَّبَبُ: الْمَغَازَةُ (الصَّحْرَاءُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي يَتِيهِ فِيهَا السَّائِرُ).
- (٦) أَزْجِي: أَرْسَلْتُ، أَبْعَثْتُ. مُتَوَقِّدًا: مُشْتَمَلًا (رَجُلًا شَيْطَانًا). ثَاقِبٌ: شَدِيدُ اللَّحْمَانِ (كَأَنَّهُ يَثْقُبُ اللَّيْلَ).
- (٧) سَنَى لِقَاءَهُ: أَحْسَنَ مَعَامَلَتَهُ (٩) يَقْصِدُ: قَرَّبَ). الْبِكْرَةُ (بِالضَّمِّ): وَقْتُ الصَّبَاحِ. الْأَصَالُ جَمْعُ أَصِيلٍ: الْوَقْتُ عِنْدَ الْعَصْرِ (مُنْتَصَفُ الزَّمَنِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْمَغْرَبِ).
- (٨) قِتْرَةٌ: هُدُوءٌ، كَلَلٌ. أَمَمٌ: قَرِيبٌ.
- (٩) بِأَعْلَى (يَجِبُ أَنْ تَكُونَ «عَلَى»). عَاكِفٌ عَلَى صَمٍّ: جَامِدٌ لَا يَتَصَرَّفُ فِي أَمْرٍ.
- (١٠) أَنْيَقُ: جَمِيلٌ، يَحْسُنُ فِي الْعَيْنِ. الْغَضُّ: الْجَدِيدُ، الطَّرِيقُ. وَرِيقٌ: عَلَيْهِ وَرَقُهُ (الْأَخْضَرُ)، فِي مَطْلَعِ الشَّبَابِ.

مليئة بنضار العقار تصرفه في لجين الأكوس^(١)، وشملنا المنتظم عقد على لبة^(٢) الزمان، وليالينا في مقلته كحل وفي وخته خيلان^(٣). فكيف وقد عاد الدهر بجوره وسطاه، فشتت عقد شملنا وأذهب وسطا^(٤)، وأرانا من حدثانه عجبا؟....

٤- ** نثر فرائد الجمان ٣٣٥-٣٤٣؛ الإحاطة ١: ٢٨٠-٢٨٥؛ أوصاف الناس ١٠٦-١٠٧؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ النبوغ المغربي ٢٢٧، ٧٣٠-٧٣٢، ٩٣٣؛ الأدب المغربي ٢٤٣-٢٤٩.

ابن الصائغ المغربي

١- هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن لب بن الصائغ الأموي القرشي المغربي، قرأ على أبي الحسن بن أبي العيش وعلي الخطيب بن علي الغنجاوي (بغية الوعاة ٦٠).

جاء ابن الصائغ المغربي إلى مصر فلقني فيها، سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧-١٣٢٨ م) ابن أئيك الصفدي صاحب كتاب الوافي بالوفيات وقرأ معه صحيح البخاري على شهاب الدين أحمد بن الرحل النحوي وعلى فتح الله بن سيد الناس وعلى أبي القاسم أخي أبي الفتح. وكان في مصر ملازماً لأثير الدين أبي حيّان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ). وحج ابن الصائغ المغربي ومدح قاضي مكة نجم الدين محمد بن محمد الطبري (ت ٧٣١ هـ).

عاش ابن الصائغ المغربي في فقر شديد، ثم كانت وفاته في مصر بالطاعون، سنة ٧٤٩ هـ، (١٣٤٨ م).

-
- (١) الدار: المسكن، البلد، الوطن. حريّة: مستحقة. النضار: الذهب. العقار: الخمر. الأكوس جمع كأس. في لجين (فضة) الأكوس: في كؤوس من الزجاج الأبيض كالفضة.
- (٢) اللبة: الصدر.
- (٣) خيلان: تكبر.
- (٤) الجور: الظلم. سطاه (يقصد سطوته وبطشه). سطاه (؟) - يستقيم المعنى إذا حذفنا الماء من الكلمتين. سطا (فعل ماض): بطش. وسط (يفتح ففتح): الاعتدال.

٢- كان ابنُ الصائغِ المغربيُّ عارفاً بالنحوِ والعروضِ واسعَ المعرفةِ باللغةِ. وكان يَنْظِمُ الشعرَ ويأتي أحياناً بالقوافي النادرةِ معَ لزومِ ما لا يلزم. وكان بارعاً في الضَّرْبِ على العود.

٣- مختارات من شعره

- لما كان ابنُ الصائغِ المغربيُّ في مكَّةَ أنشدَهُ قاضيا نَجْمُ الدينِ الطبريُّ قصيدةً كافيةً من لزومِ ما لا يلزمَ مَطْلَعُهَا (راجع الوافي بالوفيات ١ : ٢٢٩):

أشبهتَ البدرَ التَّامَ إذا بدا حُسنًا، وليس البدرُ من أشباهكِ!
فأستهوَت هذه القصيدةُ ابنَ الصائغِ فعارضها بقصيدةٍ مدَحَ بها نَجْمَ الدين. من هذه القصيدة:

رَقِي لِحْجِمِ رَقٍّ مِنْ دَنَفِ الهوى؛	وشِفاء ما تحويه حُوَّ شِفاءكِ ^(١) .
وَسَنَ نَفَى وَسَنِي فَنَمْتُ وَلَمْ أَنْمَ،	ما ليلةُ الساهي كَلِيلِ الساهكِ ^(٢) !
إِنِّي شِمَمْتُ الزَّهَرَ بَلَّ عَيُونِهِ	طُلُّ فَأَنْبَهُ لَدَى إِنْبَاهِكِ ^(٣) ،
زَمَنًا أَرَدَدُ آهَةَ الْمَشْغُوفِ مِنْ	حُرْقِي، فَتَحْكِنِي تَرْجُعَ آهَكِ ^(٤) .
أَنْضَارِي، أَشْتَعَلَ الشَّيْبُ فَأَنْضَبْتُ	شُعَلَ الْحَسَا مَا رَاقَ مِنْ أَمْوَاهِكِ ^(٥) .
حَلَكُ الْمَفَارِقِ قَدْ تَنْفَسَ صُبْحُهُ؛	يا نفسُ، هُبِّي مِنْ كَرَى اسْتِغْمَاهِكِ ^(٦) ،

(١) رَقِي (من الرقة: الحنو، العطف). رق: أصبح رقيقاً (نحيل الجسم). الدنف: الهلاك (الموت). شفاء = شفاؤه. الحوة (بالضم): السرة (في الشفاء).

(٢) الوسن: النوم. وسن (وسنك = نومك مطمئنة غافلة عني) نفى (منع) وسني (نومي أنا، لأنني معذب بمحبك) الساهي (الغافل) كليل (مثل ليل) الساهك: الرمد (يفتح فكسر)، الذي أصابه مرض في عينيه.

(٣) الطل: المطر الخفيف، قطرات من الماء تتجمع في الليل على ورق الشجر. - لما انتبهت أنت من النوم، تفتحت الأزهار.

(٤) المشغوف: المحب الذي وصل الحب إلى شغاف (غلاف) قلبه فأمرضه. أردد التأوه من هجره منذ زمن طويل. تحكيني (تشبهي، تقلدني) ترجع (ترديد، تكرار) آهك (قولك: آه). - ؟.

(٥) أنضاري = يا نصاري (زهو شباهي) التي كانت لي قديماً. أنضب: جفف. اشتعل الشيب: عمّ الشيب رأسي. - راق: صفا. أمواه جمع ماء. - ؟.

(٦) حلك (ظلام). المفارق جمع مفرق: مكان فرق الشعر في الرأس. قد تنفس صبحه (ظهر فيه الشيب). الكرى: النوم. استمهاه = العمه (يفتح ففتح): العمى: الغفلة.

يستبد هونك للنسيب، فشرقي
قاضي الشريعة والمقيم منارها
يا نفس، إني قد نَقَهْتُ من الغنى،
هذا الجواد بما حوى أمناه في
يسخو بما يُوعى، ويظني ما يمي،
دارت رَحَى الأزمات تَبْغِي جَارَهُ
أُمُّ الْقُرَى، قد جَارَ مَنْ أُمُّ الْقُرَى
نَاسَبْتُ غُرَّتَهُ وَبَيْتَ نَسِيبِهِ
يا فِكْرَةً بَدَهَتْ بِأَبْدَعِ مُلْحَةٍ،
بشريف مكة مُنْتَجَ اسْتِبْدَاهِك (١)،
حيثُ الْمَقَامُ وَحَيْثُ يَنْتُ إِلاهِك (٢).
ولقد غَنَيْتُ الْيَوْمَ بِاسْتِنْقَاهِك (٣).
إِفْقَارِ كَيْسِ الْمَالِ أَوْ إِزْهَافِك (٤).
كَمْ بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِي وَنِفَاهِك (٥).
فَأَجَارُهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ دَاهِك (٦).
بِفَنَاءِ بُذْنِكِ كُلِّهَا وَبِشَاهِك (٧).
فَأَعَدْتُ «لَيْسَ الْبَدْرُ مِنْ أَشْبَاهِك» (٨).
ما أَقْرَبَ الْإِبْدَاعَ مِنْ إِبْدَاهِك (٩)!

- (١) يستبد هونك للنسيب (يطلبون منك أن تقولي بديهة - بغير استعداد - نسيباً)، فلا تضيعي وقتك وجهودك بقول النسيب، بل امدحي بهذه البديهة شريف مكة.... شريف مكة: حاكمها، الوالي عليها. المنتج (مبنياً للمفعول: المنتج، المولود).
- (٢) منارها: مفعول به من «المقيم». المقام: مقام إبراهيم (قرب الكعبة). بيت الله: الكعبة.
- (٣) نقه الرجل من المرض (شفي منه). نقه من الغنى (اقتقر). استنقاهك، يا نفسي أنا.... (.... الذي يريد أن يشفي من الفقر).
- (٤) أمناه (يقصد: أمنيته، مراده) أرفاهك (أن يجعل لك، يا نفسي، رفاهية: سعة من العيش الناعم).
- (٥) يسخو: يجود. أوعى الشيء يوعيه (وضعه في وعاء، حفظه) - يجود بكل ما يملك. يظني (٤). يعي: يحفظ، يجمع (من المال). - يرى أن جمع المال من غير انفاقه على المستحقين ظلم (٤). كَمْ بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِي وَنِفَاهِك: كل مال (مها يَقل) يجعلك، يا نفسي، ناقصة من فرك (غنى).
- (٦) الأزمة: الشدة، الضيقة (الفقر). الرَحَى (بالألف الطويلة أو بالألف المقصورة): الطاحون. دارت الرَحَى (اشتدت أحوال على الإنسان).
- (٧) الداهك: الطاحن (الغني، الشديد).
- (٨) أُمُّ الْقُرَى (منادى): يا أُمُّ الْقُرَى (مكة). جار: استجار. من «أُم» (قصد) الْقُرَى (بالكسر): الضيافة. الفناء (بالكسر): الباحة. البدن (بالضم) جمع بدنة (بفتح ففتح): الحيوان الذي يساق ليذبح في موسم الحج في مكة. الشاء = الشاء جمع شاة. - من استجار بك (يا مكة) استحق كل عطية (٤).
- (٩) أردت أن أمدح وضاعة وجهه في شعر. فأعدت: رجعت، عجزت (٤) فرددت الكلام الذي قلته أنت في مطلع قصيدتك: «ليس البدر من أشباهك» - لم أقبل أن أشبهه بالبدر، لأن البدر لا يشبهه (٤).
- (٩) فأجأتني فكرة معارضة قصيدة نجم الدين الطبري، بأبدع ملحّة (تطرفاً). في الأصل: الإبداع بعد «ما» التمجية. لعلّ جمل «ما» حرف نفي والإبداع فاعلاً أصبح. لم يصل إبداع (مقدر في الشعر) إلى مستوى الفكرة التي خطرت لي (وهذا ملموح في البيت التالي).

عَرَضَتْهَا لِمَعَارِضٍ لَمْ يَحْكُمَا . أَنِّي ، وَقَدْ لَزِمْتُ قَوَائِمَهَا « هك » (١) .

٤-★★ الوافي بالوفيات ٣: ٣٧٥-٣٧٨ ، راجع ١: ٢٢٩ ؛ الكنية الكامنة ٨٨-٩٠ ؛ بغية الوعاة ٦٠ ، شذرات ٦: ٢٦٥ ؛ درة المجال ٢: ٣٠٣-٣٠٥ ؛ نفح الطيب ٤: ٣٣٦-٣٣٧ .

أبو العلاء بن سماك (٢)

١- هو أبو العلاء محمد بن محمد بن سماك بن عبد الحق بن سماك العامليُّ الغرناطيُّ ، سَمِعَ من أبي الحسن بن أبي العيش وأبي عبد الله بن الفَخَّار وأبي عبد الله بن بكرٍ وأبي القاسم بن جُزَيٍّ ، وكتب في الدار السلطانية (في غرناطة) . ثمَّ كانت وفاته في المُحرَّم من سَنَةِ ٧٥٠ (مطلع الربيع من عام ١٣٤٩ م) .

٢- كان أبو العلاء بن سماكٍ بارعاً في الأدب شاعراً مُكثرًا ، فيما يبدو ، يَغْلِبُ على شعره المَدَحُ ووصفُ الحربِ وأشياء من التأملِ والحِكْمَةِ مَعَ نفحةٍ صوفيةٍ . وبرَّع في علم العروض . ثمَّ كانت له مشاركةٌ في علم السياسة . وكذلك كان مُصنِّفاً له : الزَّهْرَاتُ المنشورة في نَكْتِ الأخبارِ المأثورة - الدرُّ الثمين في مناهج الملوك والسلاطين - رَوِّقَ التحبير في حُكْمِ السياسة والتدبير .

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العلاء بن سماكٍ في الوَحْدَةِ والأنصِرافِ إلى العِلْمِ والإفَادَةِ بالعلم :

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا كِتَابٌ وَخُلُوءٌ أَكُونُ بِهَا بِاللَّهِ ثُمَّ مَعَ اللَّهِ (٣) ؛

(١) لم يحكما : لم يستطع أن يأتي بما يحكما (يشهما) . أَنِّي ؟ : كيف ؟ إِنَّ القافية « هك » أمر صعب .

(٢) سماك (غير محلاة باللام وغير مضبوطة بالشكل فيما لدي من الكتب) . وأبو العلاء بن سماك هذا هو غير أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحياتي المعروف بابن السماك (ت ٦٤٠ هـ) وكان أيضاً شاعراً (القدح الملقى ١٣٤ ؛ نفح الطيب ٣: ٣١٤-٣١٥) .

(٣) الخلوة (بالنفس) : الوَحْدَةُ (بالكسر) . بالله ومع الله (هنا) من تعابير الصوفية : في حال أسبغها الله عليَّ ثم متصلاً بالله (شيئاً واحداً مع الله) .

وأشهر من ذاك الكتاب معارفاً لكل مُنيب للمُهين أَوَاهُ^(١).
- وقال أبو العلاء بن سماك يمدح السلطان ويذكر أَسْتَرْدَادَ حِصْنِ كان الإسبان قد
أَسْتَوْلَوْا عليه (الكتيبة الكامنة ١٩٩):

فَتَحْ تَلَقَّى النَّصْرُ مِنْهُ تَحِيَّةً مِنْ لَفْظِهَا مَاءُ الْبَاشَةِ يَقْطُرُ
فَتَحَتْ سُيُوفُكَ كَرِيكُولَ، وَإِنَّهُ فِي الْفَتْحِ عُنَوَانٌ لَمَّا هُوَ أَكْبَرُ
ثَغْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ طَلِيعَةٌ، فَلَهُ عَلَى كُلِّ الْبَسِيطَةِ مَظْهَرٌ^(٢).
يَرْنُو إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ كَأَنَّهُ لَحْظٌ يُضْمُّ عَلَيْهِ مِنْهَا مَخْجَرٌ^(٣).
مَا أَنْ يَشُنَّ الْكُفْرُ يَوْمًا غَارَةً إِلَّا وَبِالْمَغْوَارِ مِنْهُ مَنَذَرٌ^(٤).
صَعِدَ الْعُدَاةُ عَلَيْهِ أَمْنَعُ مَغْقِلٍ مُمَثِّلِينَ بِأَنَّهُ لَا يُخْصَرُ^(٥).
فَسَمَتْ جُيُوشُكَ مِنْهُ أَعْلَى شَاهِقٍ يَرْتَدُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَهُوَ مُحِيرٌ^(٦).
فِي رَأْسِ سَنٍ لَا تُغَامُ سَمَاوُهُ، مِنْ دُونِهِ قَطْرُ الْغَمَامِ الْمُنْطَرُ^(٧).
فَكَأَنَّ هَرْمِسَ بَثَّ حِكْمَتَهُ بِهِ، وَأَدَقَّ فِيهِ فِكْرُهُ الْإِسْكَندَرُ^(٨).

- (١) أَوَاهُ: كثير التضرع والدعاء. المنيب (الراجع إلى الله: النائب). المهين من أسماء الله الحسنى.
- (٢) الثغر: المكان يخشى منه مجيء العدو. الأرض الفضاء: الواسعة. طليعة: مقدمة من الجيش تراقب تحرك العدو. البسيطة: الأرض (الكرة الأرضية). مظهر: إشراف أو نظر من مكان مرتفع (ظهر فلان البيت: صعد إلى ظهره أو سطحه).
- (٣) يرنو: ينظر. المحجر: التجويف الذي تستقر فيه العين.
- (٤) المغوار: المقاتل الكثير الغارات على أعدائه. منذر (بالبناء للمجهول؟): يأتي العدو بالنبا السيئ. كلما شن الإسبان غارة وقعت عليهم (من هذا المغوار) هزيمة.
- (٥) المغقل (الحصن) النيع (الذي يعجز المهاجم عن الوصول إليه). متمثلين (أو متخيلين). يحصر (يمكن إقامة طوق من الحصار حوله).
- (٦) الطرف: البصر.
- (٧) السن: المكان المرتفع (؟) كسن الرمح (؟). في الحاشية (شق). لا تغام سماؤه: لا يصل الغيم إلى أعلاه. المطر (بالبناء للمعلوم؟) - الغيوم التي تَطْرُ تَطْرُ تكون تحته.
- (٨) هرمس اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين. هرمس هنا هو هرمس الأول الذي استخرج بفكره جميع علوم الأقدمين. بَثَّ: نشر. به (؟). الإسكندر (الافروديسي) فيلوف قديم كان بارعاً في العلوم الحكيمية، وقد فسر أكثر كتب أرسطوطاليس

فَضَفَا مِنْ النَّعَقِ الْمَارِ عَلَيْهِمْ بُرْدٌ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ مُجَبَّرٌ^(١).
فَاسْتَنْزَلُوا مُسْتَسْلِمِينَ، وَرُبَّمَا أَعْيَا الْحِمَاةَ حُلُولُ مَا لَا يُقَدَّرُ^(٢).
أَلْقَوْا يَدَ الْإِذْعَانِ خِيْفَةً هُلْكَهَمْ، وَضُلُوعُهُمْ تَنْدَقُ أَوْ تَنْفَطِرُ^(٣).

٤-★★ الكتيبة الكامنة ١٩٨-٢٠٠؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٧٨ (رقم ٤٨٢)-(القاهرة) ٤: ٤٩٥-٢٩٦ (رقم ٤٣٤)؛ الأعلام للزركلي (٧: ٣٦).

ابن ليون التجيبي

١- هو أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي^(٤) أصله من لورقة ومولده سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في المرية، وفيها قضى حياته كلها لم يغادرها قط. وتصدّر فيها للتدريس. وكانت وفاته بالطاعون، في رابع عشر جمادى الآخرة من سنة ٧٥٠ (١٣٤٦/٨/٤١ م).

٢- كان ابن ليون التجيبي مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الطب (وكان طبيباً ماهراً) وفي الحكمة (الفلسفة) والفقه والفرائض (تقسيم الإرث) والمساحة (الهندسة المستوية) والعروض. وقد كانت له قدرة على النظم يتناول الآراء المختلفة فينظمها في مقطعات (من البيتين والثلاثة): يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن شعر الشعراء ومن الأقوال الشائعة. وشعره واضح المعاني سهل التركيب ينوء أحياناً كثيرة

(١) ضفا: امتدّ (فوق رؤوس الأعداء). النعق (بالفتح): غبار الحرب. بُرد: ثوب من حرير. مجبر: مزين، منمق.

(٢) استنزل الخصم خصمه من الحصن (أجبره على النزول). أعياء الحماة (مفعول به مقدم) ما لا يقدر (بالبناء للمجهول) المعنى الملموح: إن حماة الحصن (من الإسبان) قد أعياهم (أتمبهم، أعجزهم) حلول (البقاء في الحصن) لأن الله لم يقدر (لم يشأ) لهم ذلك.

(٣) الإذعان: الخضوع. ألقوا (بفتح القاف) يد الإذعان: استسلموا وخضعوا. الهلك (بالضم): الهلاك. اندق (أصبح دقيقاً أو طعناً). تنطق: تنطق، تقطع (من الخوف؟).

(٤) هو غير سعد بن أحمد التجيبي الجوندي الجبائي (نحو ٦٦٢- ربيع شعبان ٧٢٢) أحد شيوخ الثوري والفتيا (نيل الابتهاج ١٢٤-١٢٥).

بأشياء من الضَّعْف (في النَّحو وفي الوزن)، ولا تكادُ تَلَمَّحُ له ابتكاراً، وكثيرٌ من معانيه مُكرَّرٌ في مقطَّعاتٍ عديدةٍ. ثم هو مُكثِّرٌ اختارَ له المقرئُ ما ملأ به أكثرَ من خمسين صفحةً من «نفح الطيب».

وابنُ ليونَ التَّجِيبيُّ مُصَنِّفٌ مُكثِّرٌ له ثلاثون كتاباً (وقيل: مائةُ كتابٍ)، منها: أُنْدَاءُ الدَّيْمِ في الوصايا والمواعظ والحكم (انتهى من تأليفه في منتصفِ شَعبانَ من سَنَةِ ٧٣١) - الأبياتُ المهدبة في المعاني المقرَّبة - نُصح (نصائح؟) الأحباب وصحائح الآداب - العُمدة في علوم الإسناد (الحديث الشريف) - إبداء الملاحه وإنهاء الرَّجاجة في أصولِ صِناعةِ الفِلاحة (رجز) - كتابُ في الهندسة - كتاب في الفِلاحة - كمالُ الحافظ وجَمالُ الالفاظ في الحكم والوصايا والمواعظ.

واختصر ابنُ ليونَ التَّجِيبيُّ عدداً من الكتب منها: لَمَحُ السَّحَرِ في رُوحِ الشَّعَرِ (لحمَّد بن أحمد بن الجَلَّاب الفهريّ - أتمَّ اختصارَه سَنَةَ ٧٣٩ هـ) - بُغْيَةُ المَوائِسِ من «بهجة المَجالسِ وأُنس المَجالسِ» (لابن عبد البر) - المَرتَبَةُ العُلَيَّا (لابن رشاد القفصيّ) - النُّخْبَةُ العُلَيَّا من «أدب الدين والدنيا» (لأبي الحسن الماوردي) - الإِنالَةُ العِلْمِيَّةُ «من رسالة في أحوال فقراء الصوفية المتجرِّدين» (لعليّ بن عبد الله الششتري).

٣ - مختارات من شعره

- من مقطَّعاته في الأدب (الحكمة):

★ شرُّ إخوانك من لا	تَهْدِي فِيهِ سَبِيلاً:
يُظْهِرُ الْوُدَّ وَيُخْفِي	مَكْرُهُ دَاءٌ دَخِيلاً؛
يَتَّقِي مِنْكَ اتِّقَاءً	وَهُوَ يُؤَلِّيكَ الْجَمِيلاً!
★ لَنْ لِمَنْ تَخْشَى أَذَاهُ	وَالْقَهْ فِي بَابِ دَارِهِ.
إِذَا الدُّنْيَا مُدَارَا	عُ؛ فَمَنْ تَخْشَاهُ دَارِهِ!
★ إِذَا كَانَتْ عُيُوبُكَ عِنْدَ نَقْدٍ	تَعَدُّ، فَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالْكَامِلِ.
مَتَى سَلِمْتَ مِنَ النَّقْدِ الْبَرَايَا؟	وَحَسْبُكَ مَا تُشَاهِدُ فِي الْهِلَالِ!

* سَكُرَ الْوَلَايَةِ مَا لَهُ صَحْوٌ،
 يَهْذِي الْفَقَى أَيَّامَ عِزِّهَا،
 فَحَذَارٍ، لَا تَفَرُّكَ صَوْلَتُهَا
 * خَلَّ رَأْيُ الْجُهَالِ مَا اسْتَطَمَتْ وَاتَّبَعِ
 رَأْيُ أَهْلِ الصَّلَاحِ نَوْرٌ يُجَلِّي
 * زَمَنُ الْفَضَائِلِ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ،
 رَكَدَتْ رِيَّاحُ الْجِدِّ بَعْدَ هُبُوبِهَا،
 هَيْهَاتَ، مَا زَمَنُ الْكِرَامِ وَمَا هُمْ؟
 * لَا تَقْبَلِ الْحُكْمَ عَلَى بَلَدٍ
 رِيَاسَةُ الْمَرْءِ عَلَى الْأَهْلِ وَالِ
 * تَغَافَلْ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُنَاقِشْ
 مُنَاقِشَةُ الْفَقَى تَجْنِي عَلَيْهِ
 * جَرَّبَ النَّاسَ مَا اسْتَطَمَتْ تَجِدُهُمْ
 فَالْسَّعِيدُ السَّعِيدُ مِنْ أَخَذَ الْعَفْ
 * أَرْحَ النَّفْسَ تَنْتَفِعَ بِحَيَاتِكَ
 وَاطْرَحْ عَيْنَ مَنْ سِوَاكَ، وَسَلِّمْ
 وَاعْتَبِرْ بِالَّذِينَ بَادَوْا، وَبَادِرْ

وَكَلَامُهَا وَجِرَافُهَا زَهْوٌ.
 فَإِذَا تَقَضَّتْ نَابَهُ شَجْوٌ^(١).
 وَزَمَانُهَا، فَثُبُوتُهَا مَخْوٌ^(٢)!
 رَأْيَ أَهْلِ الْحُلُومِ وَالتَّجْرِبِ.
 ظُلْمَةُ الْكَرْبِ فِي لَيَالِي الْخُطُوبِ.
 وَلَوَى بِطَيْبِ الْعَيْشِ وَشَكُّ رَحِيلِهِ^(٣).
 وَعَلَا فَرِيقُ الْمَزَلِ بَعْدَ خُمُولِهِ^(٤).
 ذَهَبُوا؛ وَجَدَّ الدَّهْرُ فِي تَحْوِيلِهِ.
 نَشَأَتْ فِيهَا؛ إِنَّهُ يُخَيِّدُ!
 جِيرَانِ وَالْحِلَّانِ لَا تُخَمِّدُ.
 فَيَقْطَعُكَ الْقَرِيبُ وَذُو الْمَوَدَّةِ.
 وَتُبْدِلُهُ مِنَ الرَّاحَاتِ شِدَّةِ.
 لَا يَرَى الشَّخْصُ مِنْهُمْ غَيْرَ نَفْسِهِ.
 وَوَدَارَى جَمِيعَ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ^(٥).
 وَأَغْنَمَ الْعَيْشَ قَبْلَ يَوْمِ وَفَاتِكَ.
 جُمْلَةُ النَّاسِ يَفْقُلُوا عَنْ أَذَاتِكَ^(٦).
 مَا يُدَانِيكَ مِنْ سَبِيلِ نَجَاتِكَ .

- (١) نابه: أصابه. شجو: حزن.
- (٢) ... لا يفرّك (يفتح الراء) ما تعطيه الدنيا من صولة (سلطة). الثبوت والهو (من اصطلاحات الصوفية). الثبوت (هنا - في المعنى اللغوي): وجود السلطة في يدك (في الدنيا). محو: ذهاب لشخصيتك (الهو - عند الصوفية - أن يتلاشى وجود الإنسان ويبقى وجود الله).
- (٣) وشك: قرب.
- (٤) ركد: هدأ، سكن.
- (٥) العفو (هنا): ما يفضل عن الناس (لا تراحم أحداً على مغف من مغفام الدنيا، واقع بما يتركه تماماً لا يحتاجون إليه).
- (٦) «من» (زائدة، زادها الشاعر لإقامة الوزن). أطرح: ترك، أراح عن عاقته.

- ٤-★★ الكتيبة الكامنة ٨٦-٨٧؛ نيل الابتهاج ١٢٣-١٢٤؛ درة المجال ٢:
٤٦٧-٤٧٠؛ نفع الطيب ٥: ٥٤٣-٦٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة
الأولى) ٤: ٨٥٥؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٨٠، الأعلام للزركلي ٣: ١٣٢
(٨٣-٨٤).

محمد البدرى

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد البدرى الأندلسي، قرأ على أبي جعفر بن الزيات
وعلى ابن الكماد، وأخذ أصول الدين وأصول الفقه (٩) والنحو عن أبي عمر بن منظور
ولازمه. وقد حج، ويبدو أنه - وهو في طريق ذهابه أو إيابه - قد أخذ الفقه عن أبي
عبد الله بن عبد السلام في تونس. ثم إنه عاد إلى الأندلس وأقرأ في بلده بلش. وكانت
وفاته سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٤٩ م).

٢- كان أبو عبد الله محمد البدرى حسن التلاوة للقرآن الكريم، جيد المعرفة بالفقه
وبأصول الدين وخطيباً بليغاً حسن الوعظ. وكذلك كان شاعراً مجيداً رقيقاً غزلاً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله محمد البدرى في النسيب (نيل الابتهاج ٢٤٩):
خالٌ على خدك أم عنبُرٌ ولؤلؤٌ نفرك أم جوهر^(١)؟
أوريت نار الحبّ (بي) في الحشا، فصارت النار به تسمر^(٢).
لو جدت لي متك برشف اللّمي، لقلّت: خرّ عسل سكر^(٣).
دغني في الحبّ أذب لوعة، سفك دم العاشق لا ينكر.

- ٤-★★ نيل الابتهاج ٢٤٨-٢٤٩؛ عنوان الأريب ١: ١٠٢-١٠٣.

(١) العنبر: طيب أسود اللون. الجواهر (هنا): اللؤلؤ أيضاً.
(٢) البيت في الأصل: نار الحبّ في الحشا فصارت الناس.... تسمر (بالبناء للمجهول): تُوقد، تُشعل.
(٣) اللّمي: سُمرة الثفاه (كناية عن الريق).

ابن المراجع

١ - هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزديّ الغرناطيّ، وُلد في بَلَشَ قربَ مالقة، قضى حياته يتطوَّف في الأندلس وفي المغرب يتقرَّب من الحكام بُغْيَةً التَّكسُّبَ منهم. ولكنه لم ينل حُظوة ولا شهرة - لا في المغرب ولا في الأندلس نفسها. وكانت وفاته في بَلَشَ بالطاعون، سنة ٧٥٠ (١٣٥٠ م).

٢ - كان ابن المراجع من طبقة متوسطة في النادرين والشعراء كثير الهجاء، وهو ممثِّل الطريقة الساسانية في الأندلس (الاستجداء بالأدب). وليس في شعره براعة خاصة إلا في رثائه للديك. وقد رثى والدَ آين الخطيب وأخاه بعد استشهادهما في وقعة طريف (سنة ٧٤١) ثم مدح ابن الخطيب نفسه (سنة ٧٤٩). وأبرز آثاره «مقامة العيد» (عبد الأضحى).

٣ - مختارات من آثاره

- من مقامة العيد لأبي محمد الأزديّ بن المراجع:
يقولُ شاكِرُ الأيادي وذاكِرُ فخرِ كل ناد وناثر غُررِ الغُررِ للعاكفِ والبادي والرائحِ والغادي^(١): اسمعوا مِنِّي حديثاً تَلدُّهُ الأسماعُ ويستطرفه الاستماعُ ويشهدُ بحُسنِهِ الإجماعُ، وهو من الأحاديث التي لم تَتَفَقَ إِلَّا لِثَلَاثِي ولا ذُكِرَتْ عن أحدٍ قبلي. وذلك - يا معشرَ الألفاء والخُلصاء والأحياء - أُنِي دخلت في هذه الأيام داري في بعض أدواري لأقضيَ من أخذَ الغذاءَ أو طاري على حسب أطواري. فقالت لي رَبَّةُ البيت: لِمَ جِئْتَ وَلِمَ أَتَيْتَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لكذا وكذا، فما الغذاء؟ قالت: لا غذا عندي اليومَ ولو أودى بك^(٢) الصومُ، حتى تسَلِ الاستخارةَ وتَفْعَلُ كما فَعَلَ زَوْجُ الجارة طيِّبَ الله نَجارَه

(١) شاكِرُ الأيادي (المُتَنِي على الذين أنعموا عليه)، والمقصود به هنا «الراوي» الذي يروي المقامة عن المجلس الذي يرد ذكرها فيه. الغرة: البياض في الجبهة، العمل الجميل. ناثر غرر الغرر: ناشر ذكر الأعمال الجميلة. العاكف: القائم في بلده (المدينة). البادي (الساكن في البادية). الرائح: الراجع في المساء. الغادي: المبحر (في الصباح).

(٢) أودى بك: أهلكك. الصوم: (هنا) الجوع. الاستخارة: طلب خير ما في الأشياء. تسَلِ الاستخاره (٢).

وملاً بالأرزاق وجاره^(١). قلت: وما فعل؟... قالت: إنه قد فكّر في العيد ونظر في أسباب التعييد وفعل في ذلك ما يَسْتَحْسِنُهُ القريب والبعيد. وأنت قد نَسِيتَ ذِكْرَهُ ومَوْتَهُ من بالك ولم تنظرْ إليه نظرةً بعينِ اهتبالك. وعيد الأضحى في اليد^(٢) والنظر في شراء الأضحية (اليوم) أوفق من الغد.....

فلم يَسْغني إلّا أن عَدَوْتُ أطوفُ السُّكَّ والشوارع وأبادر لِمَا غَدَوْتُ بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق وأسأل الرفاق، واخترق الأسواق واقتحم زريبةً بعد زريبة واختبر منها البعيدة والقريبة. فما استرخصته استنقصته، وما استغليته استعليته^(٣)..... حتى انقضى ثلثا يومي وقد عَيَّيتُ بدَوْراني وصومي.... فأومأت^(٤) للإياب وأنا أجدُّ من خوفها^(٥) ما يجبد صفار الغنم من الذئب، إلى أن مرّرتُ بقصّاب في مَجْزرةٍ وقد شدَّ في وسطه مِثْرَه..... وبين يديه عنزٌ قد شدَّ يَدَيْهِ في رَوْقِهِ^(٦)، وهو يَجْذِبُهُ فيبرُك، ويجرّه فلا يتحرّك، ويرومُ سيرَه فيَرْجِعُ القَهْقري ويعود إلى ورا، وهو يقول: آه له من جانٍ باغٍ وشيطان طاغٍ^(٧).....

فقلت للقصّاب: كم طلبك فيه على أن تُمهّلَ الثمن حتى أوفيه. قال: ابغني أجيراً وكُنْ له الآن من الذبيح مُجيراً^(٨). وخذْه بما يُرضي لأولي التقضي.... ابتعهُ مني نسيئةً وخذْه هديةً^(٩).... وقال: تضمنُ لي فيه عشرين كباراً أقبضُها منك لا نقضاء الحول

-
- (١) النَّجَار: الأصل. الوجار: بيت الثعلب، (هنا) البيت عموماً.
(٢) الاهتبال: انتهاز الفرصة، التمسك بالشئ. في اليد: قريب.
(٣) ما وجدته رخيص الثمن كان ناقصاً في عيني (لا يليق، لا يكفي) وما كان غالياً الثمن كان عالياً (جيداً أو فوق طاقتي).
(٤) عَيَّ: تمب. أوماً: أشار.
(٥) الإياب: الرجوع (إلى البيت). من خوفها (من الخوف من ربة الدار: من أمرأتي).
(٦) المَجْزرة: مكان الجَزَر (ذبح الغنم الخ). المِثْرَة - والمِثْرَة: ثوب قصير يشدُّ على وسط البدن. العنز: الأنثى من المِز (المقصود هنا: تيس) ذكر المِز، أو الماعز (وتقال للذكر وللأنثى). الروق: القرن. شد يديه إلى رَوْقِهِ: قيده ليمنعه من الهرب.
(٧) المجاني: المذنب. الباغي: الظالم. الطاغى: الذي جاوز الحدَّ في كل شيء.
(٨) (الملوح): استأجر رجلاً يذبحه الآن.
(٩) التقضي: الفناء والانتقطاع - المقصود: أولي التقاضي: أصحاب الديون، الدائنون. خذ بما يرضى أولي =

ديناراً ديناراً^(١).....

فجلبني للابتياح منه الإنشاء في الأمد^(٢).... فقال: قد بعته لك فاقبض متاعك
وها هو في قبضك فاشدّد وثاقه وهلمّ لتعقد عليه الوثاقة^(٣). فاحدثت معه إلى دكان
التوثيق وابتدرت من السعة إلى الضيق^(٤). وأوثقني بالشهادة تحت عقد وثيق وحلني
من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تيسك فشأنك وإياه وما
أظنك إلا تنهياه^(٥). وآت بجمّالين أربعة فإنك لا تقدّر أن ترفعه، ولا يتأتى لك أن
يتبعك ولا أن تتبّعه.....

[وأفلت التيس من الحمال وغاب عن النظر فجعل شاكر الأيادي يطلبه فلقبه
رجل غاضب يقول]:

إن عنزك حين شرد خرج مثل الأسد وأوقع الرّهج^(٦) في البلد، وأضرّ بكل
أحد. ودخل دهليز الفخّارة فقام فيه وقعد. وكان العمل فيه مطبوخاً ونيئاً^(٧) فلم
يترك منه شيئاً. ومنه كانت معيشتي، وبه استقامت عيشتي، فأنت ضامن مالي، فارتفع
معي للوالي.... ورجلٌ (آخر) يقول (هلمّ إلى المحتسب^(٨))، و (أنا) أعرف ما نكتسبُ

-
- = التقاضي (بشن أعلى من الثمن المدفوع نقداً). نسبة (بشن مؤجل). خذه هدية (خذه الآن من غير أن
تدفع مالا فكانه هدية) - هذا التعبير موجود بشقيه في المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمداني.
- (١) كباراً: (دنابير) كبيرة، وافية، راجحة. الحول: العام. لانتضاء الحول (بعد عام واحد).
- (٢) الإنشاء: التأجيل. الأمد: مدة الدفع.
- (٣) الوثاق: الرباط. الوثاقة: التسجيل عند الكاتب العدل.
- (٤) ابتدرت من السعة إلى الضيق: أسرع من السعة (أخذ عنز بلا مال) إلى الضيق (كثرة التضيق علي
بالشروط).
- (٥) الشين: العيب = اللجوء إلى الدين (يفتح الدال). الوعر: المكان الصلب الخفيف (الطريق التي يصعب
سلوكها). تنهياه = تنهياً له: تستطيع السيطرة عليه.
- (٦) الرهج (يفتح الهاء أو بسكونها): الشغب.
- (٧) العمل: (يقصد) المصنوعات (من الفخار) - ما طبخ طينه فأصبح فخّاراً قاسياً، وما زال نيئاً لم يطبخ
بعد.
- (٨) ارتفع معي للوالي: أذهب معي إلى الحاكم. المحتسب: مفتش متبرع أو موظف ينظر في أحوال السوق وما
يقع فيها من الضرر أو الاساءة الخ.

وإلى مَنْ تنتسبُ وقد كُثِرَ عنده ^(١) بكَ التشكي، وصاحب الدهليز قبالة بيكي. وقد أمر بإحضارك، وهو بانتظارك.... ثم أمسكني باليمين حتى أوصلي إلى الأمين. وقال لي: أرسلتَ التيسَ للفساد كأنك في نعم الله من الحساد ^(٢). قلتُ: إنه شرد، ولم أذِرَ حيث ورد ^(٣). قال: قد أمنتَ إن ضمنتَ، وعليك الثقاف.... حتى يقع الإنصاف أو ضامن كافٍ ^(٤). فابتدر أحدُ إخواني وبعضَ جيراني فأدّى عني ما ظهر بالتقدير، وآلت الحال للتكدير ^(٥).....

وتوجَّهتُ لداري وقد تقدَّمتُ أخباري. وقَدِمتُ بغباري وتغير ^(٦) صغاري وكباري. والتيسُ على كاهل الحمَّال يرغو كالبعير ويزأر كأسد إذا فصلتِ العير ^(٧). فقلتُ للحمَّال: أنزله على مهل فالتعبيد قد استهلَّ. فحينَ طرحه في الأسطوان ^(٨) كَرَّ إلى العدوان وصرخ كالشيطان. وهَمَّ أن يَقْفِرَ الحيطان. وعلا فوق الجدار وأقام الرحمة في الدار ^(٩). ولم تَبَقْ في الزقاق عجوز إلا وصلتَ لتراه وتساءل عما اعتراه وتقول بكم اشتراه. والأولاد قد أرهقهم لهفُهُ ^(١٠) ودخل قلوبهم خوفُهُ.

فابتدرتُ ربَّةَ الدار وقالت: كَيْتَ وكَيْتَ، لا خَلَّ ولا زيتَ، ولا حيَّ ولا مَيْتَ. ولا مؤسَمَ ولا عيدَ، ولا قريبَ ولا بعيدَ. سُنَّتَ العِفريتَ إلى المنزل.... ومتى تفرح

-
- (١) اعرف ما تكسب (اعرف مقدار دخلك) وإلى من تنتسب (ومكانتك في البلد) - أي أنت قادر على الدفع وتحاف أن يشيع عنك التمتع عن الدفع. عنده (عند الوالي).
 - (٢) كانت في نعم الله من الحساد: كأنك تحسد أصحاب الأموال فتريد إتلاف ما يملكون.
 - (٣) ورد: (هنا) ذهب.
 - (٤) عليك الثقاف إلى أن يقع الإنصاف: ستقيد يداك بالحديد حتى تدفع ما يرضي الخصم. أو ضامن كاف: أو تأتي بضامن قادر على الدفع الآن.
 - (٥) آل: رجع. التكدير: الكدر والحزن.
 - (٦) تغير (كذا بالأصل).
 - (٧) العير: القافلة فيها الجمال والحيل والحمير الخ. فصلت: خرجت من البلد (داخل السور) وأصبحت في الطريق (في البادية - قرية من الوحوش الضاربة المفترسة).
 - (٨) العيد قد استهل: ثبتت رؤية هلاله (هنا: أعلن وقته). الأسطوان: دهليز قائم سقفه على أعمدة (٩).
 - (٩) الرحمة (٩): الصباح والفتنة.
 - (١٠) أرهقهم (حملهم فوق ما يطيقون) لهفه: الخوف منه - كثر خوفهم منه.

زوجتك والعنزُ أضحيتك. ومتى تطبخ القدور وولَدك مغدور^(١)؟ ... والله، لو كان العنزُ يُخرجُ الكنزَ، ما عمَرَ لي داراً ولا قَرَبَ لي جواراً. أخرجُ عني، يا لُكعُ: فعل الله بك وصنع! وما حبَّسَكَ عن الكِباشِ السَّنان والضَّان^(٢) الرفيعة الأثمان؟ يا قليلَ التحصيل، يا مَنْ لا يعرفُ الحِياطةَ ولا التفصيل.....

٤-★★ (ذهبت مِنِّي المصادر التي أخذت منها هذه الترجمة). دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٩١.

ابن هذيل الغرناطيّ

١- هو أبو زكريّا يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التُّجيبِيّ الغرناطيّ، كان كثيرَ الاعتماد على الناس لاشتغاله بعلوم الأوائل^(٣) وليلِه إلى الاعتزال^(٤)، ثمّ كان مكروهاً جدّاً في المغرب والأندلس. ولعلّه اعتُقلَ مُدَّةً من أجل ذلك (راجع نفع الطيب ٥: ٤٩٣). وفي أواخر أيامه خَدَمَ السلطان^(٥) بطبِّه وقام بإقراء الأصول والفرائض والطب. وفي آخر عمره فُلجَ ثم تُوُفِيَ في ٢٥ من ذي القعدة من سنة ٧٥٣ (١٣٥٣/١/٢م).

٢- كان ابنُ هذيل الغرناطيّ عارفاً بعلومِ التعاليم^(٦) وبعلومِ القدماء كما كان

(١) العنز أضحيتك! تضحي عزراً والأفضل أن تضحي ضاناً (خروفاً). ولدك مغدور: مصاب بأذى من التيس (١).

(٢) اللكع: اللثيم، الأحق. الكبش: الذكر من الضأن.

(٣) علوم الأوائل أو علوم القدماء هي العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم ما وراء الطبيعة (البحث في الأسباب والوجود والنفس والآخر).

(٤) الاعتزال، في تاريخ الفكر الإسلامي، حركة ترمي إلى تفسير مظاهر الوجود الماديّة والمدارك الروحية تفسيراً عقلياً وإلى تحكيم العقل حتّى في ما لم يجر تحكيم العقل فيه (كالمقائد الدينية مثلاً).

(٥) المفروض أنّه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (٧٣٣-٧٥٥ هـ).

(٦) علوم التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد: الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى ثمّ الطبيعيات (الفيزياء) والكيمياء.

مُعْتَزِلِيًّا يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِ الْمُمْكِنَاتِ وَلَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ ^(١). وَكَانَ فَقِيهًا كَبِيرًا وَطَبِيبًا مَشْهُورًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا لَهُ مَذْحُوحٌ وَغَزَلٌ وَشَكْوَى وَعِتَابٌ، وَقَدْ جَمَعَ جَانِبًا مِنْ شِعْرِهِ فِي دِيْوَانٍ وَسَمَّاهُ «السُّلَيْمَانِيَّاتِ وَالْعَزْفِيَّاتِ» ^(٢).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هذيل الغرناطي في النسيب:

نَامَ طِفْلُ النَّبْتِ فِي حَجَرِ النَّعَامِي	لَا هَتَّازَ الظَّلِّ فِي مَهْدِ الْخَزَامِي ^(٣)
وَسَقَى الْوَسْمِيَّ أَغْصَانِ النَّقَا	فَهَوَتْ تَلْتُمُ أَفْوَاهَ النَّدَامِي ^(٤)
كَحَلَ الْفَجْرُ لَهَا جَفْنَ الدُّجَى	وَعَدَا فِي وَجْنَةِ الصُّبْحِ لثَامَا ^(٥)
تَحَسَّبُ الْبَدْرَ مُحِيًّا ثَمَلِ	قَدْ سَقَتْهُ رَاحَةُ الصُّبْحِ مُدَامَا ^(٦)
يَا عَلِيلَ الرُّوحِ، رِفْقًا: عَلَنِي	أَشْفِ، بِالسُّقْمِ الَّذِي حَزَّتْ، سَقَامَا ^(٧)
أَبْلَغْنِ عَنِّي عُرْيَا بِالْحِمَى	هَمْتُ فِي أَرْضٍ بِهَا حَلَّوْا غَرَامَا ^(٨)
كُنْتُ أَشْفِي غَلَّةً مِنْ طَيْفِكُمْ	لَوْ أَذِنْتُمْ لِحُفُونِي أَنْ تَنَامَا ^(٩)

- وَقَالَ يَمْدَحُ السُّلْطَانَ أَبَا الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ فَرَجٍ لَمَّا هَاجَمَ حُصْنَ أَشْكَرَ، سَنَةَ

(١) في المعترلة نفر يقولون إنّ الله لا يقدر على المستحيلات (على مخالفة القوانين التي وضعا هو في الوجود: لا يستطيع عمل الشرّ، ولا جعل الصخر يطفو على وجه الماء، أي أنّهم ينكرون المعجزات). وكذلك هنالك نفر منهم (ومن الفلاسفة) يقولون إنّ الله يعلم الكلّيات (أي قوانين الوجود وما يحدث من جريان تلك القوانين)، ولكنّه لا يعرف الحوادث الجزئية التي تجري في العالم.

(٢) السليمانيات: نسبة إلى سليمان (غلام كان الشاعر يشبّه به). والعزفيات (نفع الطيب ٥: ٤٨٨) أو المربيات (الكتيبة الكامنة ٧٤) والعرفيات (الاعلام للزركلي ٩: ١٦٣) - لم أعتز على تفسير لها.

(٣) الحجر (بالكسر): القراية، الكنف، الوقاية. النعامي: ريح الجنوب. الخزامي: نبت طيب الرائحة.

(٤) الوسمي: مطر الربيع. النقا: الرمل الأبيض.

(٥)

(٦) محيا: وجه. ثمل: شوان سكران. المدام: الخمر. تحسب البدر إلخ (تسبّع فيه حمرة من فعل الخمر!).

(٧) عليّ: اسقي (من ريتك) قليلاً بعد قليل. السقم الطبيعي (في المحبوب): الرقة والنحول من علامات الجبال. - سقامك يشفي مرضي من حبك (؟).

(٨) العريب: تصغير للتحبيب. الحمى: مسكن العرب (الأصلي).

(٩) الغلة: العطش. الطيف: المنام.

٧٢٤ هـ، ورماء بالنفطِ فنَزَلَ أَهْلُ ذَلِكَ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِهِ (أطاعوه):

بِحَيْثُ الْبُودُ الْحُمْرُ وَالْأَسَدُ الْوَرْدُ كَنَائِبُ سُكَّانِ السَّمَاءِ لَهَا جُنْدٌ^(١).
 عَاكِرُ مَلِكٍ شَرَفَ اللَّهُ قَدْرَهُ، فَيَبَّانِ فِي إِقْدَامِهَا السَّهْلُ وَالنَّجْدُ^(٢).
 وَتَحَسَّبُ نَوْرَ الصِّدْقِ وَالْعَزْمِ دَائِمًا سِرَاجًا مِنَ التَّقْوَى بِأُزْرِهِمْ يَبْدُو^(٣).
 هُمْ الْقَوْمُ رُهْبَانٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّجَى، وَإِنْ لَبَسُوا حَرَّ الْهِيَاجِ فَهُمْ أَسَدٌ^(٤).
 حَدَّوْا حَذَّوْ سُلْطَانٍ عَلَى الشَّرْعِ عَاطِفٍ رَفِيقٍ بِهِمْ حَانٍ، إِذَا عَظُمَ الْجَهْدُ^(٥).
 وَتَحْتَ لَوَاءِ الشَّرْعِ مَلِكٌ هُوَ الْهُدَى تَضِيقُ بِهِ الدُّنْيَا إِذَا رَاحَ أَوْ يَغْدُو.
 فَلَوْ رَأَى إِدْرَاكَ النُّجُومِ لَنَالَهَا لَوْ هُمْ لَا نَقَادَتَ لَهُ السُّنْدُ وَالْهِنْدُ.
 وَمِنْهَا يَصِفُ فِعْلَ آلَةِ النَّفْطِ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى أَهْلِ الْحِصْنِ:

وظَنُّوا بِأَنَّ الرَّعْدَ وَالصَّعْقَ فِي السَّمَاءِ فَحَاقَ بِهِمْ مِنْ دُونِهَا الصَّعْقُ وَالرَّعْدُ^(٦).
 عَجَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَا هَرَمِسٌ بِهَا مُهَنْدَسَةٌ تَأْتِي الْجِبَالَ فَتَنْهَدُ^(٧).
 أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تُرِيكَ عَجَائِبًا؛ وَمَا فِي الْقُوَى مِنْهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدُو^(٨).

- حَدَّثَ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ هُذَيْلٍ فَقَالَ (الإحاطة ١: ٢٨٦):

- (١) سُكَّانُ السَّمَاءِ: الملائكة. جند (هنا): مساعدون.
- (٢) النجد: المرتفع من الأرض (يقصد: الصعبة المرتقى).
- (٣) الأزر جمع إزار: ثوب للقسم الأسفل من الجسم (هم أتقياء بطبيعتهم).
- (٤) فِي اللَّيْلِ يَصْلُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي حَرِّ الْهِيَاجِ (الحرب) يَحَارِبُونَ بِشَجَاعَةٍ.
- (٥) حَذَا حَدَوهُ: صنع مثل صنيعه. حان: ذو حنو. الجهد: التعب، المشقة، شدة الزمان.
- (٦) الصعق: نزول الصواعق. حاق: أحاط. من دونها (من تحت السماء: من الأرض).
- (٧) هَرَمِس (في الخرافات اليونانية): رسول الآلهة و(في الفلك): عطارد (أقرب الكواكب إلى الشمس) وهرمس المثلث العظيمة أو المثلث بالحكمة ابن زفس (زوس أو جوبيتر أو المشتري) كبير آلهة اليونان. وكان هرمس هذا حكيماً في بابل ثم انتقل إلى مصر وعرف صنعة الكيمياء وغيرها.
- (٨) «وما في القوى إلخ» مدرك فلسفي: كل نشاط يكون أولاً بالقوة (كامناً) ثم يصير بالفعل (ظاهراً): النار في الحطب والفحم وعود الثقاب (الكبريت) موجودة في هذه الأشياء بالقوة، فإذا نحن أوقدنا هذه الأشياء صارت النار التي كانت كامنة من قبل في هذه الأشياء ظاهرة فعلاً.

حَضَرَتْ بِمَجْلِسِ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ^(١) - وَأَبُو الْعَبَّاسِ بَذَرُ هَالْتِهِ^(٢) وَقُطِبُ جَلَالَتِهِ^(٣) - فَلَمْ يُجَرَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَكَضَ فِيهِ وَتَكَلَّمَ بِمَلْءِ فِيهِ^(٤). ثُمَّ قُمْنَا إِلَى زَبَّارَيْنِ^(٥) يُصْلِحُونَ شَجَرَةَ عَنَبٍ، فَقَالَ لِمَرِيْفِهِمْ: حَقٌّ هَذَا أَنْ يُقْصَرَ (ثُمَّ) يُطَالَ هَذَا، وَيُعْمَلَ كَذَا. فَقَالَ الْوَزِيرُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، مَا تَرَكْتَ هَؤُلَاءِ أَيْضاً حِطّاً مِنْ صِنَاعَتِهِمْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ أَجْراً. فَعَجَبْنَا مِنْ آسِخْصَارِهِ وَوَسَاعَةِ ذَرْعِهِ وَامْتِدَادِ حِطِّ كِفَايَتِهِ.

٤-★★ الدرر الكامنة ٤: ٤١٢؛ الكتيبة الكامنة ٧٣-٨٠؛ نثر فرائد الجمان ٣٢٠-٣٢٣؛ الإحاطة، راجع ١: ٣٥، ٥٣، ٢١٢-٢١٣، ٢٨٦، ٣٩٩؛ نفع الطيب ٣: ٥١٣٥٧؛ ٥: ٩٧، ١٢٧، ٤٨٧-٤٩٧، ٦٠٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٦٣ (٨: ١٣٦): معجم المؤلفين للكحالة ١٣: ١٨٢-١٨٣.

أبو عبد الله بن جُزَيِّ الكلبي

١- آل جُزَيِّ بَيْتٌ شَهُورٌ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ بَرَزَ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. مِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْكَلْبِيِّ الْغَرْنَاطِي، وُلِدَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٢١ (خريف ١٣٢١ م) فِي غَرْنَاطَةِ. نَبَغَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جُزَيِّ بَاكراً وَبَرَعَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَاتَّخَذَهُ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةِ أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ الْأَحْمَرِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ) كَاتِباً ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَرَحَلَ، نَحْوَ سَنَةِ

- (١) أبو عبد الله بن الحكيم الرندي (ت ٧٠٨ هـ)، راجع ترجمته في هذا الجزء.
- (٢) هو أبو العباس أحمد بن عرفة اللخمي (ت ٧٠٧ هـ). الحالة دائرة منيرة تحيط بالقمر (وبغيره). بدر هالته: أعظم أهل دولته المحيطين به. القطب: محور تدور عليه الأشياء (كالأرض والرحا: الطاحون، الخ).
- (٣) لم يجر (يبحث) في شيء إلا ركض فيه (بحث فيه أحسن من جميع الحاضرين) وتكلم بملء فيه (بملء فمه، وبالتفصيل وثقة بالنفس).
- (٤) الزَّبَارُون: جماعة من المعتنقين بأمر البساتين يأتون إليها في أواخر الشتاء فيزيرون (بضم الباء) أطراف الأغصان (أي يقطعون أشياء من رؤوس الأغصان) مما يكون قد يبس في أثناء الشتاء.
- (٥) الذرع (هنا): القدرة (في المعرفة بالأمر المختلفة).

٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م)، إلى المغرب وسكن فاس^(١) ونال حظوة عند السلطان أبي عنان فارس. وكانت وفاته في الأغلب في ٢٩ من شوال سنة ٧٥٧ (١٣٥٦/١٠/٢٥ م) شاباً بعد مرض، في فاس.

٢- كان أبو عبد الله بن جزيّ ملماً بفنون كثيرة من الحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ والحساب، كما كان كاتباً مجيداً وشاعراً بارعاً مولعاً بالصناعة وخصوصاً التورية. وأكثر شعره المديح والغزل على الأسلوب القديم في المعاني العذرية خاصة. ثم هو مصنف كتب ترجمته لنفسه، وله كتاب «الأنوار في نسب النبي المختار». وعليه أملى ابن بطوطة رحلته (تحفة النظار). ومن المقول أن يكون قد أسبغ على هذا «الإملاء» شيئاً من أسلوبه وبراعته. وله باع طويلة في الصناعة، كتب رسالة سينية (في كل كلمة من كلماتها سين).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو عبد الله بن جزيّ في النسيب:

مَتَى يَتَلَقَى شَائِقٌ وَمَشُوقٌ وَيُضِيحُ عَانِي الْحُبِّ وَهُوَ طَلِيقُ^(٢)؟
أَمَّا إِنَّهَا أُمْنِيَّةٌ عَزَّ نَيْلُهَا

وَمَرَمَى - لَعَمْرِي - فِي الرَّجَالِ سَحِيقُ^(٣)!

وقد يُرْزَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ يَأْسِهِ؛ وَرَوْضُ الرَّبِيِّ بَعْدَ الدُّبُولِ يَرُوقُ^(٤).
تَبَاعَدْتُ لَمَّا زَادَنِي الْقُرْبُ لَوْعَةً، لَعَلَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ^(٥)،
وَرُمْتُ شِفَاءَ الدَّاءِ بِالْدَّاءِ مِثْلَهُ؛ فَإِنِّي بَالَا أَسْتَفِي لَحَقِيقُ !

(١) في الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، ص ١٩٤-١٩٥): «اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً في أوائل (سنة) ثمان وخمسين وسبعمائة، ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام».

(٢) الشائق: الذي يدعو الآخرين إلى حبه. المشوق: الحب. العاني: الأسير.

(٣) عز نيلها: صعب الحصول عليها. مرمى: هدف. سحيق: بعيد.

(٤) يروق: يصبح منظره جيلاً.

(٥) اللوعة: حرقه في القلب من حب أو مرض. الجوى: شدة الحب وحرقة.

- وقال في التورية:

يقولون لي: أصبحت بالآس مُولعاً! فقلتُ: وهل في حُبِّي الآسِ مِن باسٍ (١)
ألم تعلموا أَنَّ الهوى قد أعلّني؛ وكيف ترى شوقَ العليلِ إلى الآسِ (٢)؟
★ وغزالٍ لـه جُفونٌ مِراضٌ تَبَعْتُ الوَجْدَ في قلوبِ الصُّحاحِ (٣).
غرّني لحظُّه، وقد قيل: شاكٍ! فإذا هُم يَغنون شاكي السِّلَاحِ

- وكتب أبو عبد الله بن جُزَيٍّ إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عِنانٍ فارسٍ
يُهَنِّئُهُ بشفاء ولده أبي زِيَّانَ مُحَمَّدٍ وَضَمَّنَ هذه التهنئةَ عدداً كبيراً من أسماء الكتب (أسماء
الكتب محصورة بين أهلة):

ماذا عسى (أدبُ الكتاب) يُوضِّح من (٤)

خِصَالِ مَجْدِكَ وهي (الزاهر) (الزاهي).
وما الفصيح بـ (كليات) (مُوعِبِ) لها (كاف) فيأتي بـ (أنباء) و (إنباء).

أبقى الله تعالى مولانا الخليفةَ ولِسعادته (القِدْحُ المُعلَى)، و (لِزاهِر) (كمال) (التاج

(١) المولع: المفرم. الآس نبات مستقيم المروق قاسي الورق طيب الرائحة.

(٢) أعلّني: أمرضني. الآسي: الطبيب.

(٣) الوجد: الحب. شاكٍ: مريض. شاكي السلاح: متقلّد جميع سلاحه (استعداداً للقتال).

(٤) هنالك عدد من هذه الكتب لم أهتمد إليها (الزاهي، الموعب، الميقات)، ثم هنالك كتب في أسمائها «أشترك» والإشارة إليها في هذا النص تدلّ على عدد من الكتب (الزاهر، الأنباء، الكمال، نزّه الناظر، القصد والأسم، الايضاح، الإرشاد، شفاء الصدور، الملخص). أمّا سائر هذه الكتب فمعروف: ادب الكتاب (لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى نحو ٣٣٦ هـ)، فصيح اللغة (لثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (لعلّي بن يوسف القفطي المتوفى ٦٤٦ هـ)، التاج المُعلّى في ساجلة القدح المُعلّى (للسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦ هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (لأبي الفتح بن الأثير المتوفى ٦٣٧ هـ)، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام (لأبي محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكتّاني المتوفى ٧٦٧ هـ)، إحياء علوم الدين (لأبي حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ)، منهاج العابدين (للفزالي أيضاً)، تنبيه الغافلين (لأبي الليث السمرقندي المتوفى ٣٧٥ هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأسّس في ملح أهل الأندلس (للفتح بن خاقان الأندلسي المتوفى ٥٢٩ هـ)، بغية المتنصّس في تاريخ رجال أهل الاندلس (لابن عميرة الضبي المتوفى ٥٩٩ هـ)، أدب الدنيا والدين (لأبي الحسن المارودي المتوفى ٤٥٠ هـ)، سراج الملوك (لأبي بكر الطرطوشي المتوفى ٥٢٠ هـ). والكتب التي لم تذكر هنا معروفة لمؤلفين متأخرين في الزمن.

المحلّي). تجلّى من حلاه (نزهة الناظر) ويسير بعلاه (المثل السائر)، ويتّسق من سناه (العقد المنظّم) ويتّضح بها (القصد الأمّ)^(١). ولا زالت (هدايت) هـ مُتَكَفِّلَةً بـ (إحياء علوم الدين) و(إيضاح) (منهاج العابدين) و(إرشاد) هـ يتولّى (تنبيه الغافلين) ويأتي من (شفاء الصدور) بـ (النور المبين) و(ميقات) الخدمة ببابه (مطمح الأنفس) و(ملخص) الجود من كفه (بغية الملتمس). قد حكم (أدب الدنيا والدين) بأنك (سراج الملوك).....

٤-★★ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٦٥؛ الكتيبة الكامنة ٢٢٣-٢٢٨؛ الإحاطة ٢: ١٨٦-١٩٥؛ أزهار الرياض ٣: ١٨٩-٢٠٤؛ نفح الطيب ٢: ١٧٠-١٧١، ٥: ٥٢٦-٥٣٦، ٥٣٨-٥٣٩، ٧: ١٠٧-١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٦؛ بروكلن (في ترجمة ابن بطّوطة) ٢: ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦ (٣٧).

المَقْرِيّ الجَدّ★

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي الأصل التليسماني المولد، ثم اشتهر فيما بعد بالمَقْرِيّ، نسبةً إلى مقرّة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة (نفح الطيب ٥: ٢٠٥، السطر الثالث)، إحدى قرى زاب بإفريقية أو الزاب (وفيات الأعيان ١: ٣٦٠)- مزاب أو ميزاب، في جنوبي القطر الجزائري.

وُلِدَ المَقْرِيّ الجَدُّ في أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمّاسن بن زيّان (٧٠٧-٧١٨ هـ)، ولم يشأ أن يُعيّن السّنة التي وُلِدَ فيها (نفح الطيب ٥: ٢٠٦-٢٠٧).

عَدَّ المَقْرِيّ الحفيدُ لجدّه خلقاً كثيراً من الشيوخ منهم أبو زيد عبد الرحمن

(١) ليس في بروكلن (راجع فهرست الكتب) كتاب باسم «القصد الأمّ» (بفتح الهمزة والميم)، بل فيه: القصد والأمّ- القصد الجليل...- القصد إلى الله إلخ- الأمّ في آليات الظلم- الأمّ لإيقاظ المهم.

(★) جدّ المَقْرِيّ أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفح الطيب»..

(ت ٧٤١ هـ) بن محمد بن عبد الله بن الإمام وأخوه أبو موسى عيسى (ت نحو ٧٥٠ هـ) وأبو موسى عمران بن يوسف المشدالي ثم أبو إسحاق إبراهيم بن حَكَم السَّلَوِي (قتل ٧٣٧ هـ) وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي (ت ٧٤١ هـ).

عَمِلَ المَقْرِيُّ في التجارة بين المغرب والصَّحراء والسودان الغربي (جَنُوبَ المغرب) يُتاجر بالبضائع الثمينة، وقد وَرِثَ ذلكَ عن أَهله. ثم إِنَّه حجَّ في سَنَةِ ٧٤٤ هـ (١٣٤٤ م) وزارَ القُدْسَ.

ولَمَّا عادَ المَقْرِيُّ إلى المغرب اتَّصل بأبي عِنانٍ فارسٍ بنِ عليٍّ في أولِ سَنَةٍ من حُكمِهِ، سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) فولَّاهُ أبو عِنانٍ قضاءَ فاسَ ثم أصبحَ قاضي الجماعة (قاضي القضاة) فيها وخطيبَ جامعِها (جامع القرويين). ولكن يبدو أنَّ شيئاً من الفُتورِ نشأ بين أبي عِنانٍ والمَقْرِيِّ فعُزِلَ المَقْرِيُّ عن القضاء وبقيَ مدَّةً بعيداً عن مناصب الدولة.

وفي أوائلِ شَهْرِ جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٧٥٧ (حزيران - يونيه ١٣٥٦ م) كان أبو عِنانٍ قد رَضِيَ عن المَقْرِيِّ فأرسله في سِفارةٍ إلى الأندلس (لإزالةِ شيءٍ من الخلافِ بين بني مرينٍ في المغرب وبني الأحمرِ في غرناطة). ولكنَّ المَقْرِيَّ - ويبدو أَنَّهُ كانَ قد بدأ يهرُمُ في نَفْسِهِ وفي جِسْمِهِ - أهملَ السِّفارةَ ومكثَ في مالقةَ منقطعاً إلى التأملِ والعبادة. وبلغَ الخبرُ إلى أبي عِنانٍ فغضب وأرسل إلى الأندلس جماعةً لِيَتَشَبَّتُوا من حالِ المَقْرِيِّ. وانتقلَ المَقْرِيُّ إلى غرناطةَ وعادَ بِجامعِها. ثم صلَحَ ما بين أبي عِنانٍ والمَقْرِيِّ قليلاً. وفي السَّنةِ التاليةِ عادَ المَقْرِيُّ إلى فاس، ولكن لم يُعَمَّرْ بعدَ ذلكَ طويلاً، فقد تُوُفِّيَ سَنَةَ ٧٥٩ للهجرة (١٣٥٨ م)، كما جاء في نفع الطيب (٥ : ٢٨٠)، في فاس، وتُقِلَّتْ جُثَّتُهُ إلى تِلْسانَ.

٢- المَقْرِيُّ الجَدُّ فقيهٌ عالِمٌ وأديبٌ ومُتَصَوِّفٌ. وأسلوبُهُ مُرْسَلٌ لا تكلَّفَ فيه قائمٌ على التفكيرِ والمنطقي. وللمَقْرِيِّ الجَدُّ نثرٌ صوفيٌّ وشعرٌ صوفيٌّ كثيران. غيرَ أنَّ الغالبَ على شعرِهِ جفافُ شعرِ العلماءِ وقِلَّةُ الرُّونقِ. وله قصيدةٌ تائيَّةٌ جَمَلُها تيمَّةٌ، في زعمه

لتأثية ابن الفارض^(١). والواقع أنها محاكاة قاصرة لتأثية ابن الفارض وترديدٌ لعددٍ من المدارك البسيطة في ألفاظٍ مختلفة. وليس فيها من عمقٍ مقاصد ابن الفارض شيء. والمقريّ الجدُّ مُصنّفٌ له من الكتب:

الحقائق والرقائق (أقوالٌ جامعة في التصوّف؛ راجع المختارات) - القواعد (وهو كتاب يشتمل على ألفٍ ومائتي قاعدةٍ فقهية) - كتاب يشتمل على أكثر من مائة مسألةٍ فقهية (وهو غير الكتاب السابق) - عملٌ من طبِّ لِمَنْ حَبَّ^(٢) (وهو كتاب مختلف الموضوعات فيه أحاديث حكمية ثم كليات، أي قواعد عامة، من الفقه) ثم قواعد وأصول (في الاعتقاد) ثم اصطلاحات وألفاظ - الطُرفُ والتَّحَفُ (أو التحف والطرف) - المحاضرات (وفيه فوائد وحكايات وإشارات تتعلق بالتصوّف وبالتصوّفين) - اختصارُ المحصّل^(٣) - شرح الجمل للخونجوي^(٤).

٣ - مختارات من آثاره

- في نفح الطيب (٥ : ٣٢٨) عن المقريّ الجدّ أنّه قال في وصفٍ تأثيةٍ له: « هذه لَمَحَةُ العَارِضِ لِتَكْمِلَةِ أَلْفِيَةِ ابنِ الفارض^(٥)، سَلَبَ الدهرُ من فرائدها مائةً وَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ، فَاسْتَعْنَتْ عَلَى رَدِّهَا بِجَوْلِ اللَّهِ الْمُعِينِ ». من هذه الأبيات:

وَشَأْنُ الْهَوَى مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَلَا تَسَلْ؛ وَحَسْبُكَ - إِنْ لَمْ يُخْبِرِ الْحُبُّ - رُؤْيِي؛
سَقَامٌ بَلَا بُرْءٍ، ضَلَالٌ بَلَا هُدًى، أَوَامٌ بَلَا رِيٍّ، دَمٌّ لَا بَقِيْمَةَ^(٦).
أَلَا أَيُّهَا اللّوَامُ عَنِّي قَوَّضُوا رِكَابَ مَلَامِي فَهُوَ أَوَّلُ مِخْنَقِي^(٧)،

(١) راجع ٣ : ٥٢٠ من هذه السلسلة.

(٢) طبّ: داوى، وتأثي أيضاً بمعنى الرفق (بالكسر) والحر.

(٣) « المحصّل » لفخر الدين الرازي (٤).

(٤) محمد بن أناماور الخونجوي (ت ٦٤٦ هـ)، له كتاب « الجمل » (في) .

(٥) العارض: المقبل على الشيء، المتصدّي له. التأثية الكبرى لابن الفارض (راجع ٣ : ٥٢٠).

(٦) أوام: عطش. دم لا بقيمة (إذا قتل، فليس لدمه قيمة: لا يطالب أحد بديته - بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد).

(٧) قوَّض الركب (٤) - يقصد ارتحل (اتركوا لومي).

ولا تَعْدِلُونِي فِي الْبُكَاءِ وَلَا الْبُكَى ،
وَكَمْ مَوْقِفٍ لِي فِي الْهُوَى خُضْتُ دُونَهُ
سَلِّ السَّلْسِيلَ الْعَذْبَ عَنْ طَعْمِ رِيقِهِ
لَقَدْ عَزَّ عَنْكَ الصَّبْرُ حَتَّى كَأَنَّهُ
وَأَنْتَ - وَإِنْ لَمْ تُبْقِ مِنِّي صَبَابَةً -
وَكُلُّ فَصِيحٍ مِنْكَ يَسْرِي لِمَسْمَعِي ،
تَهَوَّنُ عَلَيَّ النَّفْسُ فَيْكَ ، وَإِنَّهَا
وَتُخْبِرُ أَصْوَاتُ الْبَلَابِلِ أَنَّهَا
وَفِي كُلِّ خَلْقٍ مِنْهُ كُلُّ عَجِيبَةٍ ،

- وَلِلْمَقْرِيِّ الْجَدِّ أَيْبَاتٌ فِي الْفَخْرِ رَشِيقَةُ الْأَلْفَاظِ (وَلَكِنْ فِي مَعَانِيهَا شَيْئًا مِنَ
الْفُغْمُوسِ - لِقَلْبَةِ الْخَيَالِ الصَّوْفِيِّ عِنْدَهُ):

نَحْنُ - إِنْ تَسْأَلُ بِنَاسٍ - مَعْشَرٌ
عَرَبٌ مِنْ بِيضِهِمْ أَرْزَاقُهُمْ ،
عَرَضَتْ أَحْسَابُهُمْ أَرْوَاحُهُمْ
أَوْرَثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى إِنَّنَا
أَهْلُ مَاءٍ فَجَرَّتْهُ الْهَمَمُ .
وَمِنَ السَّمْرِ الطِّوَالِ الْخَيْمُ^(٧) .
دُونَ نَيْلِ الْعِرْضِ ، وَهُوَ الْكِرْمُ^(٨) .
نَرْتَضِي الْمَوْتَ وَلَا نَزْدَحِمُ^(٩) .

- (١) العذل: اللوم. البكاء معروف. والبكى: البكاء والغناء (من الأضداد).
- (٢) الطبقى جمع طبة (بضم ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. السنان (بالكسر): نصل الرمح.
- (٣) - الماء العذب السائغ في الحلق أخذ عذوبته وحلاوته من ريق الم محبوب.
- (٤) السراقة (٢). سارقة النظر: النظرة الخاطفة، السريعة.
- (٥) الصبابة: بقية الشيء (بقية الروح).
- (٦) أنا أكرم نفسي (أرفع مقامها) عن أن تنظر إلى غيرك. سواك (سوى الله).
- (٧) البيض: السيوف. السمر: الرماح. الخيم: الصفات، الأخلاق. - يحصلون عيشهم بجدهم (بالكسر) وكدهم وأخلاقهم مستقيمة كالرماح.
- (٨) الحسب: العمل الكريم. نيل العرض: اعتداء أحد على أعراضهم. - نسبهم الشريف يحملهم على أن يدافعوا عنه (عن عرضهم)، ولو أن ذلك أدّى إلى موتهم (وهذا هو الكرم الصحيح).
- (٩) - نفصل أن نموت على أن نزاحم الناس على أعراض الدنيا (راجع البيت التالي).

ما لنا في الناس من ذنبٍ سوى أننا نلوي إذا ما اقتحموا^(١)!

- للمقريّ الجدّ أقوالٌ صوفية في كتابه «الحقائق والرقائق» منها:

حقيقة: عَمِلَ قَوْمٌ عَلَى السَّوَابِقِ، وَعَمِلَ قَوْمٌ عَلَى اللُّوَاحِقِ^(٢). والصوفيُّ من لا ماضِي له ولا مُسْتَقْبَلٍ؛ فَإِنْ كَانَ زُجَاجِيًّا فَبَخِرْ - رقيقة: من لم يَجِدْ أَلَمَ الْبُعْدِ لم يَجِدْ لَذَّةَ الْقُرْبِ. فَإِنَّ اللَّذَّةَ هِيَ التَّخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ - حقيقة: العمل دواءُ القلب. وإذا كان الدواء لا يَصْلُحُ إِلَّا إذا كان على حِمِيَةِ الْبَدَنِ، فكذلك العملُ لا يَنْجَحُ إِلَّا بعد صَوْمِ النَّفْسِ: فَارِقِ نَفْسَكَ وَتَعَالَ - رقيقة: الزادُ لك، وهو مكتوبٌ. والزائدُ عليك، وهو مسلوب^(٣). فَأَجِلْ في طلبِ الْمَضْمُونِ، ولا تُلْزِمُ نَفْسَكَ صَفْقَةَ الْمَغْبُونِ^(٤) - رقيقة: قُمْتُ ببعضِ الْأَسْحَارِ على قَدَمٍ للاستغفار، وقدِ اسْتَشْعَرْتُ الصَّبَابَةَ واستَدَثَّرْتُ بِالْكَأَبَةِ^(٥). فأملِ الْجَنَانَ على اللِّسَانِ بما نَفَثَ في رُوعِهِ رُوحَ الْإِحْسَانِ:

مُنْكَسِرُ الْقَلْبِ بِالْجَنَائِيَا يدعوك، يَا مَانِحَ الْعَطَايَا^(٦).

أَقْعَدُهُ الذَّنْبُ عَنْ (رِفَاقٍ) حَتَّوْا لِرِضْوَانِكَ الْمَطَايَا^(٧).

ومنه، أُنْثِرُ حَقِيقَةَ فِي شَأْنِ الْحَلَّاجِ، ثُمَّ قُلْتُ:

وَكَرَبًا دَاعٍ لِلْجَهْلِ أَطْعَمُهُ وَأَبِي الْجَلَالِ عَلَيَّ أَنْ أَتَقَدَّمَ^(٨).

فَأَطْعَمْتُ بِالْعِصْيَانِ أَمْرَهَا مَعَا وَجَنَحْتُ لِلتَّسْلِيمِ (حَقِي) أَسْلَمَا^(٩).

(١) - إذا اقتحم الناس: هجموا (على غرض من أغراض الدنيا) فنحن نلوي (نلتفت، نتصرف) عنه. وهذا ذنبنا عند الناس (أننا جننا).

(٢) - نصف الناس يقتخرون بأعمالهم الماضية، ونصفهم الآخر يمدون بأن يعملوا في المستقبل أعمالاً عظيمة.

(٣) الزائد عما تحتاج إليه من الطعام أو من غير الطعام «مسلوب» (أأخذ منك)، ما دمت لا تستخدمه (تستهلكه)، فهو لفيرك.

(٤) حينما يتم البيع بين اثنين يقومان بصفقة (يضرب أحدهما بكفه كف الآخر). المغبون: الذي يدفع في سلعة أكثر من ثمنها (أو يأخذ أقل من ثمنها).

(٥) استشعر: لبس الثمار (ثوباً يلبس ملاصقاً للبدن). استدثر: لبس الدثار (ثوباً يلبس فوق سائر الثياب).

(٦) الجنايا جمع جناية. مانح العطايا هو الله.

(٧) رفاقي الطامعون يطلبون رضاك. وأنا مذنب أخجل من أن أطلب رضاك.

(٨) - جماله يفريني بحبه، وجلاله (عظمته وهيبته) يمنعني من أن أصرّح بحبي إياه.

(٩) فأطعمت بالعصيان أمرها (لم أطع داعي الجاهل): لم أحبه، ولم أطع هيبته: لم أدع (بفتح ودال) شدة =

- إِنَّ عَمَلَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ لَيْسَ حُجَّةً فِي الْقَضَاءِ وَالْفَتْيَا^(١):

جاء في نفع الطيب (١: ٥٥٦-٥٥٧): واعلم أنه، لعظم أمر قرطبة، كان عملها حجة بالمغرب، حتى إنهم يقولون في الأحكام: «هذا مما جرى به عمل قرطبة». وكان المقرئ الجد لا يرى صحة ذلك، فقال في كتابه «القواعد»:

وعلى هذا الشرط ترتب إيجاب عمل القضاة بالأندلس، ثم انتقل إلى المغرب. فبينما نحن تنازع الناس في عمل أهل المدينة ونصيح بأهل الكوفة^(٢)، مع كثرة ما نزل بها من علماء الأمة كعلي وابن مسعود^(٣) ومن كان معها: «ليس التكحل في العينين كالكحل^(٤)»، سنع لنا (بغض المجهود ومودة التقليد):

الله آخر مُـدَّتِي فتأخرت حتى رأيت من الزمان عجائباً!
يا لله وللمسلمين. ذهبت قرطبة وأهلها، ولم يبرح من الناس جهلها. ما ذاك إلا لأن الشيطان يسمى في محو الحق فينسيه، والباطل لا زال يلقنه ويُلقيه^(٥). ألا نرى

= مفتوحة) أنني أحبه، وسلمت أمري إليه (يفعل في ما يشاء) حتى أسلم أنا: حتى أنجو (فربما ادعت حبه فلم أستطع الوصول فأندم أنا أو أكون عنده عاجزاً أو ملوماً).
(١) كان الفقهاء يمدون أعمال أهل المدينة قواعد فقهية، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في المدينة، ولأن كبار الصحابة كانوا من أهل المدينة، ولأن المدينة كانت عاصمة الخلافة الإسلامية. وبما أن قرطبة كانت عظمة الشأن في السياسة والحضارة، فقد كان جماعة من فقهاء المغرب يمدون ما جرت العادة به في قرطبة قاعدة صحيحة في فقه (المعاملات: البيع والشراء إلخ). وكان المقرئ الجد لا يرى هذا الرأي.

- (٢) على هذا الشرط: صحة اتخاذ عمل أهل قرطبة حجة في الفقه (في المعاملات).
(٣) نحن تنازع أهل المدينة في ذلك (المقرئ الجد لا يريد أن يقبل عمل أهل المدينة مصدراً من مصادر التشريع). نصيح بأهل الكوفة (نعنف أهل الكوفة لأنهم أرادوا أن يكون عمل أهل بلدهم مصدراً للتشريع) مع كثرة الفقهاء والعلماء فيها، من أمثال علي بن أبي طالب ثم عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ): من السابقين إلى الإسلام، ومن أكابر صحابة رسول الله، كان خادماً للرسول ورفيقاً له في الحضر والسفر.
(٤) الشطر من بيت للمتنبى من القصيدة التي مطلعها: أجاب دمي، وما الداعي سوى طلل. التكحل: وضع الكحل في جفون العينين. الكحل: الجبال الطبيعي في العينين.
(٥) يلقن: يعلم. يُلقي: يُملي، يحمل الناس على قبول الآراء.

خِصَالُ الجَاهِلِيَّةِ كَالنِّيَاحَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ^(١) وَالطَّعْنِ وَالتَّفْضِيلِ وَالكِهَانَةِ وَالنَّجْمِ وَالخَطِّ وَالتَّشَاوُمِ^(٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَأَسْمَاءُهَا كَالْعَتَمَةِ وَيَثْرِبُ^(٣). وَكَذَلِكَ التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ^(٤) وَغَيْرُهُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ وَحُذِّرَ مِنْهُ؛ كَيْفَ لَمْ تَزَلْ مِنْ أَهْلِهَا وَأَنْتَقَلْتَ إِلَى غَيْرِهِمْ^(٥) مَعَ أَيْسَرِ أَمْرِهَا، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالَّذِينَ رَأَسَا بَلْ يَجْعَلُونَ الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةَ أَسَاءً^(٦). وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ الشَّعْرِ وَالتَّلْحِينِ وَالنَّسَبِ* وَمَا أَنْخَرَطَ فِي هَذَا السَّلَكِ ثَابِتَةُ الْمَوْقِعِ فِي الْقُلُوبِ^(٧). وَالشَّرْعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعٍ وَسِتِينَ سَنَةً لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلًّا^(٨)!

٤- ** الإحاطة ٢: ١٣٦-١٦٥؛ المرقبة العليا ١٦٩-١٧٠؛ نيل الابتهاج ٢٤٩-٢٥٤؛ شذرات الذهب ٦: ١٩٦ (في وفيات سنة ٧٦١ هـ)؛ نفع الطيب ١: ٥٥٦-٥٥٨، ٢٠٣-٢٣٤، ٢٥٤-٣٥٠ م م ع د ٤١: ٣١٣ (١٩٦٦ م) ثم (كانون الثاني-يناير ١٩٧١ م)، ص ٩٩-١٠٤ (مقالان بقلم عبد القادر زمامة)؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦، ٢٧٠، (٣٧)؛ مجلة الأصالة (الجزائر) ٤: ٢٦، ص ١٤١، ١٨٧.

أبو القاسم السبتي الغرناطي

١- هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالشريف الحسني السبتي مولداً ونشأة الغرناطي داراً (لطول سكناه في غرناطة).
وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ السَّبْتِيُّ فِي سَبْتَةِ فِي سَادِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٦٩٧

- (١) التكاثر: الفخر بكثرة الأولاد أو بكثرة الأموال.
- (٢) الخطّ (في الرمل ٤): التنجيم (٤).
- (٣) العتمة (٤) ويثرب من أسماء المدينة المنورة في الجاهلية.
- (٤) التنابز بالألقاب: دعوة الإنسان خصومه بالألقاب قبيحة.
- (٥) تلك العادات السيئة لم تزل (بضم الزاي: تذهب) عن العرب، بل أنتقلت منهم إلى غيرهم (البربر).
- (٦) الأس: الأساس. * لعلها «النسب».
- (٧) ثابتة الموقع في القلوب (محبوبة).
- (٨) منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة.... (يبدو أن المقرئ الجد قد قال هذه الجملة في أواخر حياته) سنة ٧٥٤ للهجرة: ١٣-٧٦٧ قضاها الرسول في مكة قبل الهجرة = ٧٥٤ (تاريخ وفاة المقرئ الجد) الكلّ (بالتفتح) الثقل (هو يلوم المسلمين في الأندلس في زمانه).

(٢٢/١/١٢٩٨ م). بدأ أخذ العلم عن أبيه وعن نَفَرٍ منهم: أبو إسحاق إبراهيم النافقي (ت ٧١٦ هـ) وأبو عبد الله محمد بن رُشيد السبتي (ت ٧٢١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن هاني السبتي (ت ٧٣٣ هـ) وغيرهم.

رحل أبو القاسم السبتي إلى الأندلس في مطلع حياته وتصدّر للإقراء في مالقة واتّصل، في أثناء ذلك، برئيس الكتاب أبي الحسن الجيّاب^(١) فكانت بينهما مراسلات ومخاطبات فصدّاقةً. ويبدو أنّ ابن الجيّاب أشار بانتقاله من مالقة إلى غرناطة وأنه أدخله في ديوان الإنشاء. ثم إنّ أبا العباس السبتي تولّى الخطابة والقضاء في غرناطة. غير أنّه صُرفَ عن قضاء غرناطة، في شعبان من سنة ٧٤٧ لغير زلة. وقد تولّى القضاء في وادي آش^(٢) ثم أُعيدَ وشيكاً إلى قضاء غرناطة وظلّ في هذا المنصب إلى حين وفاته، في ٢١ شعبان من سنة ٧٦٠^(٣) (١٨/٦/١٣٥٩ م).

٢- كان أبو القاسم السبتي مُقدِّماً في عددٍ من فنون العلم والأدب: في التفسير والحديث والفقه والأحكام واللغة والنحو والبلاغة والعروض والتاريخ. وهو مُصنّفٌ له: رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة (شرح مقصورة ابن حازم القرطاجني)- رياضة الأبي في شرح قصيدة الخزرجي (أرجوزة: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية أو القصيدة الخزرجية لأبي عبد الله محمد بن عثمان الخزرجي من أحياء النصف الأوّل من القرن السابع للهجرة)- شرح تسهيل الفوائد (لابن مالك الطائي الجيّاني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ)- جُهدُ المقلّ (ديوان شعره)- وغير ذلك من الشروح. ثم هو ناثِرٌ مترسِّلٌ شاعرٌ من فنونه الوصف والغزل خاصّة والمدح.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو القاسم السبتي الغرناطي يَصِفُ ساقيةً (ناعورة):

(١) انظر فوق، ص ٤٣٨.

(٢) وادي آش قرب غرناطة.

(٣) في نفع الطيب (٥: ١٩٧): وفاته سنة ٧٦١ هـ.

وَذَاتِ حَينٍ تَسْتَهْلُ دُمُوعُهَا
تَعَجَّبْتُ أَنْ لَيْسَتْ تَرِيْمُ مَكَانَهَا،
وَأَرْضَدْتُهَا فِي الرَّوْضِ آيَةً عُدَّةً،
تَخَالَفَ مَاءُ الْمَزنِ حُكْمًا وَمَاؤُهَا؛
فِيُنْجِدُ هَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتْنَهَا،
لَنْ قَذَفْتُ ذَوْبَ اللَّجِينِ عَلَى الثَّرَى
سِجَامًا إِذَا يَحْدُو رَكَائِبُهَا الْحَادِي^(١).
وَلَمْ تَخُلْ مِنْ تَأْوِيْبِ سَيْرٍ وَإِسَادٍ^(٢).
فَكَانَتْ لِدَفْعِ الْمَحَلِّ عَنْهُ بِمِرْصَادٍ^(٣).
وَكُلٌّ عَلَى رَوْضِ الرَّبِّي رَائِحٌ غَادِي^(٤).
وَذَاكَ تَرَاهُ مُتْنَهَا بَعْدَ إِنْجَادٍ^(٥).
لَقَدْ خَلَصَتْهُ الْقُضْبُ حَلِيًّا لِأَجْيَادٍ^(٦)!

- وأهدى نسخة من ديوان شعره لتلميذه لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وكتب عليه: هذه أوراق ضممتها جملة من بنات فكري وقطعا مما يجيش به في بعض الأحيان صدري. ولو حزمت لأضربت عن كتبها كل الإضراب ولزمت في دفنها وإخفائها دين الأعراب^(٧). ولكنني آثرت على المحو الإثبات^(٨) وتمثلت بقولهم: إن أحسن ما أوتيته العرب الأبيات^(٩). وإذا هي عرضت على ذلك المجدي وسألها كيف نجت من الواد^(١٠)، فقد آويتها من حرمكم إلى ظل ظليل وأحلتها من فنائكم في

(١) دولاب الناعورة يحدث صوتاً وهو يدور. تستهل: تسكب. سجاما: بكثرة ودوام. يحدو: يسوق. الركائب: الحيوانات المعدة للركوب (يشبه القواديس الصناديق المركبة على محيط دولاب الناعورة بالركائب).

(٢) تريم: ترح، ترك. التأويب: سير النهار كله. الإساد: المشي في الليل.

(٣) أرضدتها: أعددتها. آية عدة: عدة عظيمة (وسيلة). المحل: القحط، قلة نتاج الأرض.

(٤) المزن: المطر. رائح وغاد (يأتي في المساء وفي الصباح).

(٥) أنجد (ارتفع). أنهم (انخفض). ذوب اللجين (الفضة): الماء الناصع البياض الصافي.

(٦) لقد خلصته... إلخ: أخرجت منه قضبان النبات أزهاراً تضعها النساء الجميلات في أجسادهن (أعناقهن، أعلى صدورهن).

(٧) الكتب (بفتح فسكون): الكتابة، التدوين. أضرب: امتنع. الأعراب (البدو). دينهم (عادتهم) دفن النبات.

(٨) المحو والإثبات من ألفاظ الصوفية. المحو ضياع شخصية المتصوف في الله (بقاء شعره في صدره). الإثبات ثبوت شخصية المتصوف في الله (درجة فوق المحو)، ظهور شعره الذي يمثله.

(٩) الأبيات: أبيات الشعر، الشعر.

(١٠) ذلك المجدي، كناية عن مكانه لسان الدين بن الخطيب الذي أهدى الشاعر إليه ديوانه. الواد: دفن الإنسان حياً.

مُعَرَّسٍ وَمَقِيلٍ^(١). وَأَهْدَيْتَهَا عَلِيًّا بَأْنَ كَرَمَكُم بِالْأَغْضَاءِ عَنْ عُيُوبِهَا كَفِيلٍ. فَاعْتَنِمَ قَلِيلٌ
الْهَدِيَّةِ مِنِّي: إِنَّ جُهْدَ الْمَقْلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ^(٢).....

- ومن قوله في الغزل:

ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا فَبَدَا اخْمرَارٌ بَوَجْنَتِهَا يَزِيدُ الْقَلْبَ وَجْدًا^(٣).
فَأَغْرَاهَا بِيَّ الْوَاشِي، فَظَلَّلْتُ تَلُومُ. وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ تَمَدَّى.
وَمَا كَانَتْ سِوَى قُبُلٍ، فَفِيهَا جَنِينَ أَقَاحِيًّا وَغَرَسَنَ وَرْدًا^(٤)!

٤- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (راجع، فوق، ص ٤٧٨): فيها ترجمة
لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ).

★★ قضاة الأندلس ١٧١-١٧٧؛ الدياج المذهب ٢٩٠-٢٩١؛ بغية الوعاة ١٦؛ نفع
الطيب ٥: ١٨٩-١٩٩، ٦: ٢٤٨-٢٥١؛ النبوغ المغربي ٢١١-٢١٢، ٧٣٦،
٧٦٥-٧٦٨؛ الأدب المغربي ٢٣٩-٢٤٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٤ (٥: ٣٢٧):
معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٥٢ و ٣١٧ (مكررة).

أبو جعفر بن صفوان

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، وُلِدَ في مَالَقَةَ، سَنَةَ
٦٧٥ هـ^(٥). أَخَذَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ، وَ(فِي مَرَاكِش) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
الْمُورَخِ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْبَنَاءِ^(٦). وَتَوَلَّى أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ صَفْوَانَ الْكِتَابَةَ فِي غَرْنَاطَةِ

(١) أَوَيْتَهَا (أَسْكَنْتَهَا) مِنْ حَرَمِكُمْ (فِي جَنِبِكُمْ الَّذِي لَا يَجْرُو أَحَدٌ عَلَى أَرْتِكَابٍ ظَلَمَ فِيهِ). الْفَنَاءُ (بِكسر الفاء):

بَاحَةُ الدَّارِ. الْمُرْسُ: مَكَانُ النَّوْمِ لَيْلًا. الْمَقِيلُ: مَكَانُ النَّوْمِ نَهَارًا.

(٢) جَهْدُ الْمَقْلِّ: مَا يَبْذُلُهُ الْفَقِيرُ أَوْ الضَّعِيفُ مِنْ مَالِهِ أَوْ طَاقَتِهِ. وَ«جَهْدُ الْمَقْلِّ» عُنْوَانُ دِيْوَانِ أَبِي الْقَاسِمِ
السَّبْغِيِّ.

(٣) الْوَجْدُ: الشُّوقُ وَالْحُبُّ.

(٤) الْأَقَاحِيُّ جَمْعُ أَقْعَوَانَ (بِضْمِّ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ): أَزْهَارُ بَيْضَ ذَاتِ أَوْسَاطٍ صَفْرِ. - قَبْلْتُ خَدَّهَا الْأَبْيَضَ
فَأَحْمَرُ خَجَلًا (كَأَنَّهُ نَبَتَ فِيهِ وَرْدٌ = زَادَ جَمَالَهُ).

(٥) مِنَ الدِّيَاغِ الْمَذْهَبِ ص ٤٣؛ ٧٦٣ هـ = ١٢٧٦-١٢٧٧ م.

(٦) كَذَا فِي الدِّيَاغِ الْمَذْهَبِ. وَالْمَلْمُوحُ أَنَّ ابْنَ الْبَنَاءِ هَذَا هُوَ ابْنُ الْبَنَاءِ الْمَرَاكِشِيِّ (ت ٧٢١ هـ) الْعَالِمُ
بِالْحِسَابِ.

في زمن السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف المعروف بالفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) ثم استمعى من منصبه وعاد إلى مالقة وفيها توفي في آخر جمادى الآخرة من سنة ٧٦٣ (٢٥ / ٤ / ١٣٦٢ م).

٢- كان أبو جعفر بن صفوان صدرًا من صدور الكتاب وشاعرًا أكثر شعره في الشكوى، وبعضه في التصوف. وكان أيضاً بارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كاللغة والأدب والتاريخ والحساب والفرائض والتوثيق والفلسفة والتصوف. وكان مصنفًا له: مطلع هلال الأنوار الإلهية - بُغية المستفيد - شرح كتاب القرشي في الفرائض، وغيرها.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن صفوان في عددٍ من المعاني الصوفية^(١):

بَانَ الحَمِيمُ، فَمَا الحِمَى والبَانُ	بشفاء مَنْ عَنْهُ الأَحَبَّةُ بانُوا ^(٢) ؟
لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ، وَلَا	أَنْسَاهُمْ مِيثَاقَكَ الحَدَثَانُ ^(٣) .
لَكِنْ جَنَحْتَ لِغَيْرِهِمْ، فَأَزَالَهُمْ	عَنْ أَنْسِهِمْ بِكَ مُوحِشٌ غَيْرَانُ ^(٤) .
لَوْ صَحَّ حُبُّكَ مَا فَقَدْتَهُمْ، وَلَا	سَارَتْ بِهِمْ عَنْ حَيْكَ الأَظْعَانُ ^(٥) .
لَا يَشْتَكِي أَلَمَ البُعَادِ مُتَيِّمٌ	أَحْبَابُهُ فِي قَلْبِهِ سُكَّانُ.
شَفَلْتِكَ بِالْأَغْيَارِ عَنْهُمْ مُقَلَّةٌ	إِنْسَانُهَا عَنْ لَمَجِهِمْ وَسَنَانُ ^(٦) .
غَمَضَ جُفُونَكَ عَنْ سَوَاهُمْ مُعْرَضًا؛	إِنَّ الصَّوَارِمَ حُجْبُهَا الأَجْفَانُ ^(٧) .

- (١) سأشرح هذه الأبيات شرحاً لغوياً أدبياً وسأترك الصور الصوفية بلا شرح.
- (٢) بان: ابتعد، سافر. الحميم: الصديق المخلص - فما أثر الحمى (المسكن) والبان (نوع من الشجر) في شفاء (تعزية) من أبتعد عنه أحبته؟
- (٣) البين: البعد. الميثاق: العهد. الحدثنان: أحداث الزمان (المصائب).
- (٤) جنح: مال، انصرف.
- (٥) الظنن (بالفتح): الراحلة عليها هودج للنساء.
- (٦) الأغيار (في التصوف): الموجدات في عالم المشاهدة، الأشياء الموجودة في عالمنا: البحر، الشجرة، البيت، الإنسان (كل ما هو غير الله في الأمور المشاهدة). وسنان: نعان.
- (٧) الصارم: السيف. الجفن (الأولى): جفن العين، (والثانية): جفن السيف، قرابه، بيته. - ما دام السيف في قرابه فليس سيفاً (لأنه في هذه الحال لا يفعل فعل السيوف).

واصْرِفْ إِلَيْهِمْ لَحْظَ فِكْرِكَ شَاخِصًا
يَا لَاهِجًا سِرَّ الوجودِ بَعَيْنِهِ،
أَنْتَ الْحِجَابُ لَهَا تُؤَمِّلُ مِنْهُمْ؛
- وقال في الموت وهلاك الأعداء :

وقالوا: قضاء الموت حَتْمٌ على الورى
فلا تَتَسَيَّم رِيحَ ارْتِيَاكِ لَفَقْدِهِ،
فقلتُ: بلى، حُكْمُ الْمَنِيَّةِ شَامِلٌ؛
ولكن لِتَقْدِيرِ الأعادي إلى الرَّدَى
وأمنٌ ينام المرء في بَرْدِ ظِلِّهِ،
وحَسْبِي بَيْتٌ قاله شاعرٌ مَضَى
وإنَّ بقاء المرء بعدَ عَدُوِّهِ
يُديرُ صَفِيرٌ كَأَسِه وَكَبِيرٌ^(٢)،
فإنَّكَ عن قَصْدِ السَّيْلِ تَحُورُ^(٣).
وكلُّ إلى ربِّ العبادِ يَصِيرُ.
نَشاطٌ يعود القلبَ منه سرورُ^(٤)
ولا حَيَّةٌ لِلْحَقْدِ ثُمَّ تَتُورُ.
غداً مثلاً في العالمين يَسِيرُ:
- ولو ساعةً من عُمره - لكثير!

- كان سُلطانُ غرناطة أبو الحجاج يوسف الرابع متوجّهاً إلى الجزيرة الخضراء
لنَجْدَتِها على الإسبان، سنة ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م). وكان في صُحبَتِهِ لسانُ الدين بنُ
الخطيب. فتمهَّلَ السلطانُ قليلاً في مَالَقَةٍ، فانتَهَزَ لسانُ الدين الفرصةَ وجمعَ شعرَ ابنِ
صفوانَ وسمّاه « الدُرُرُ الفاخرة واللُّجَجُ الزاخرة » وطلبَ من ابنِ صفوان أن يُجيزَ له
ولابنِهِ عبدِ اللهِ رِوايةَ هذا الديوان، فكتب ابنُ صفوانَ في الإجازة ما يلي:

الحمدُ لله مُسْتَحَقُّ الحَمْدِ. أَجَبْتُ سُؤَالَ الفقيهِ الأجلِّ الأفضَلِ السَّريِّ المَاجِدِ
الأوحدِ.... الحائِزِ في فَنِّي النَظْمِ والنَثرِ وأُسلُوبِي المَکاتِبِ والشعرِ رُتَبَةَ الرِئاسة...
أبي عبدِ اللهِ بنِ الخطيب - وَصَلَ اللهُ سَعادَتَهُ وَمَجادَتَهُ، وَأَسْنَى^(٥) من الحَخيرِ الأوفَرِ
والصُّنْعِ الجميلِ الأبهَرِ مَقْصِدَهُ وإِرادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ في نَجلِهِ الأُسَعدِ وابنِهِ الرَاقِي بِمَحْتَدِهِ

- (١) - ما دمت تدرك نفسك مستقلاً متحيزاً في مكانك فإدراك العزّة الآلهية محبوب بك (مستحيل عليك).
- (٢) يدير كأسه: يشرب منه (يموت).
- (٣) أتسم صيغة غير قاموسية. المقصود تسم: تنفس. الأرتياح: السرور. تحور: تميل، تضل.
- (٤) - لموت أحد الخصمين سرور يدخل على قلب الخصم الآخر مرّة بعد مرّة.
- (٥) أسنى: رفع (زاد).

الفاضل وَمَنْشَاهُ الْأَطْهَرِ مَحَلَّ الْفَرْقِدِ، أَفْضَلَ مَا يُؤْمَلُ نَحْلَتَهُ إِيَّاهُ^(١) فِي الْمَكْرُمَاتِ وَإِفَادَتَهُ، وَأَجَزْتُ لَهُ وَلابْنِهِ عَبْدَ اللَّهِ الْمَذْكُورَ - أَبْقَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عِزِّهِ سَنِيَةِ الْخِلَالِ وَعَاقِبَةِ مُمْتَدَّةِ الْأَفْيَاءِ وَارِفَةِ الظُّلَالِ^(٢) - رِوَايَةً جَمِيعَ مَا تَقَيَّدَ فِي الْأَوْرَاقِ الْمَكْتُوبِ عَلَى ظَهْرِ أَوَّلِ وَرَقَةٍ مِنْهَا مِنْ نَظْمِي وَتَثْرِي وَمَا تَوَلَّيْتُ إِنْشَاءَهُ وَاعْتَمَدْتُ بِالْأَرْجَالِ وَالرِّوَايَةِ اخْتِيَارَهُ وَاتِّقَاءَهُ، أَيَّامَ عُمْرِي، وَجَمِيعَ مَا لِي مِنْ تَصْنِيفٍ وَتَقْيِيدٍ وَمَقْطُوعَةٍ وَقَصِيدٍ، وَجَمِيعَ مَا أَحْمِلُهُ عَنْ أَشْيَاخِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنَ الْعُلُومِ وَفُنُونِ الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ، بِأَيِّ وَجْهِ تَأْتَى ذَلِكَ وَصَحَّ حَمْلِي لَهُ وَثَبَتَ إِسْنَادُهُ لِي، إِجَازَةً تَامَّةً فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَامَّةً عَلَى سُنَنِ الْإِجَازَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَشَرْطِهَا الْمَأْثُورِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ الْمَرْعِيِّ^(٣). وَاللَّهُ يَنْفَعُنِي وَإِيَّاهُمَا بِالْعِلْمِ وَحَمْلِهِ وَيَنْظِمُنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَأَهْلَهُ وَيُفِيضُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ بَرَكَتِهِ وَفَضْلِهِ. قَالَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ بِحَظِّ يَدِهِ الْفَانِيَةِ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَفْوَانَ - خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِخَيْرٍ - حَامِداً لِلَّهِ تَعَالَى وَمُصَلِّياً وَسَلِّماً عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ذَوِي الْمَنْصِبِ الْعَظِيمِ وَصَحْبِهِ الْبَرَّةِ أُولَى الْمَنْصِبِ وَالْأَثَرَةِ^(٤) وَالتَّقْدِيمِ، فِي سَادِسِ رَبِيعِ الْآخِرِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٥). وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

٤-★★ الدياج المذهب ٤٤٣؛ نيل الابتهاج ٧٢؛ الإحاطة ١: ٢٢٩-٢٤٠؛ الكتيبة
الكامنة ٢١٦-٢٢٣؛ درة البحال ١: ٧٨-٧٩؛ معجم المؤلفين لكحالة ١:
١٣٣-١٣٤.

ابن الحاج النميري الغرناطي

١- هو الشيخ برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن

- (١) المحدث: كرم الأصل والشرف. الفرقد (النجم القطبي، وغيره)، المقصود: المكان العالي. النحلة (بالكسر): ما ينتحله (يتمنه) الإنسان أو يعتقده.
- (٢) الوارف: الممتد.
- (٣) المرعي: المعمول به (نعت لكلمة «شرطها»).
- (٤) الأثرة: المنزلة، وتقدم الإنسان في المنزلة على غيره.
- (٥) ١٣٤٣/٨/٢٨ م.

موسى النُمَيْرِيُّ الغَرْنَاطِيُّ، وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةِ سَنَةِ ٧١٣ هـ (١٣١٣-١٣١٤ م). دَخَلَ ابْنُ الْحَاجِّ دِيوَانَ الْإِنشَاء سَنَةِ ٧٣٤ هـ. وَفِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٧٣٧ هـ (آخِرُ صَيْفِ ١٣٣٦ م) تَطَوَّفَ قَلِيلاً بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَحَجَّ. وَكَثُرَ ذَهَابُهُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَحَجَّه، وَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَعُودُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَيَعُودُ أحياناً إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٧: ١٠٧) أَنَّ رِحْلَتَهُ وَصَلَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ. وَقَدْ لَقِيَ فِي الشَّامِ نَفَرًا مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ. مِنْ هَؤُلَاءِ: عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ (ت ٧٣٩ هـ) وَالْحَافِظُ الْمِزِّيَّ (ت ٧٤٢ هـ) وَالْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (ت ٧٤٨ هـ).

وَمَلَ ابْنُ الْحَاجِّ الْخِدْمَةَ فِي دَوَاوِينِ الدَّوَلِ (فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْمَغْرِبِ) فَاتَّزِلَ الْإِنْسِحَابَ مِنَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ وَاعْتَزَلَ (رَمَضَانَ ٧٥٧ = مَطْلَعُ الْخَرِيفِ مِنْ عَامِ ١٣٥٦ م). وَلَكِنَّ السُّلْطَانَ أَبَا عِنَانَ الْمَرْيَنِيَّ أَجْبَرَهُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْخِدْمَةِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو عِنَانَ (٧٥٩ هـ) عَادَ ابْنُ الْحَاجِّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَلَعَلَّهُ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ تَوَلَّى الْقَضَاءَ حِينًا فِي غَرْنَاطَةِ.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْحَاجِّ تَوَجَّهَ رَسُولًا مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْخَامِسِ صَاحِبِ غَرْنَاطَةِ إِلَى السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الزَّيَّاتِيِّ صَاحِبِ تِلْغَسَانَ. فَلَمَّا وَصَلَتْ سَفِينَتُهُ إِلَى مَقَرِّيَّةٍ مِنْ وَهْرَانَ (شَاطِئِ الْجَزَائِرِ) تَعَرَّضَ لَهَا أَسْطُولٌ لِلْمَدُونِ^(١)، وَذَلِكَ فِي سَادِسِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٧٦٨ (١١/١/١٣٣٧ م). وَلَكِنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ الْخَامِسَ أَقْنَدَهُ^(٢) بَعْدَ أَنْ لَبِثَ فِي الْأَسْرِ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَعَادَ ابْنُ الْحَاجِّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ^(٣).

٢- كَانَ ابْنُ الْحَاجِّ النُّمَيْرِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ مُحَدِّثًا وَفَقِيهًا، كَمَا كَانَ نَاقِثًا وَشَاعِرًا. قَالَ فِيهِ الْمُقَرِّي «الشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ لَهُ النِّظْمُ الرَّائِقُ الْعَذْبُ الْجَامِعُ بَيْنَ جَزَالَةِ الْمَغَارِبَةِ وَرِقَّةِ

(١) كَانَ ذَلِكَ فِي عَصْرِ الْقَرَصَةِ حِينَ كَانَ الْأُورُوبِيُّونَ مِنْ إِسْبَانَ وَبِرْتَالِيَّينَ وَهَوْلَنْدِيِّينَ وَانْكَلِيزِينَ وَفَرَنْسِيِّينَ يَقْطَعُونَ الْبَحْرَ عَلَى مَرَاكِبِ الْمُسْلِمِينَ.

(٢) قِيلَ أَقْنَدَهُ بِبَلْغِ جَسَمٍ، وَقِيلَ أُرْسِلَ أَسْطُولًا كَبِيرًا حَارِبَ الْقَرَصَةِ.

(٣) لَمْ يَرِدْ ذِكْرُ وَفَاةِ ابْنِ الْحَاجِّ النُّمَيْرِيِّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ وَلَا فِي نِيلِ الْإِبْتِهَاجِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ بَلَا رَيْبٍ حَيًّا فِي ٧٦٤ هـ (لَمَّا كَتَبَ رَسَالَتَهُ إِلَى لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ). وَلَكِنْ خَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلِيُّ (الْأَعْلَامُ ١: ٤٢) ذَكَرَ أَنَّ وَفَاةَ كَانَتْ سَنَةَ ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م). وَفِي الْمَنْهَلِ الصَّافِي (١: ٦٦-٦٨) وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ: نَحْوُ ٧٨٥ هـ.

المشاركة^(١). ويبدو أن مُعْظَمَ شِعْرِهِ مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ تَغْلِبُ فِيهَا التَّوْرِيَّاتُ. وأبرزُ فُنُونِهِ المَدْحُ والغَزَلُ. ولابنُ الحاجِّ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ مِنْهَا: رِحْلَةٌ - فيضُ العُبابِ وإِجَالَةٌ قِدَاحُ الآدَابِ فِي الحَرَكَةِ إِلَى قُسْطَنْطِينَةِ وَالزَّابِ^(٢) - المِساهِلَةُ والمِساهِمَةُ فِي تَبْيِينِ طُرُقِ المِداغَةِ والمِمازِحَةِ - إِيْقَاضُ الكِرَامِ بِأَخْبَارِ المِنامِ - تَعْيِيمُ الْأَشْبَاحِ بِمِحادِثَةِ الْأَرْوَاحِ - كِتَابُ الوِصَالِ وَنُزْهَةُ النَوَاطِرِ وَالْحَمَائِلِ - الزَّهْرَاتُ وإِجَالَةُ النِّظَرَاتِ - كِتَابُ فِي التَّوْرِيَّةِ (عَلَى حُرُوفِ المُعْجَمِ) - مِثَالِيَةُ القَوَانِينِ فِي التَّوْرِيَّةِ وَالِاسْتِخْدَامِ وَالتَّضْمِينِ^(٣) (وَهُوَ كُلُّهُ مِنْ نِظْمِهِ) - بَيَانُ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ^(٤) - اللِّبَاسُ وَالصُّحْبَةُ (جَمَعَ فِيهِ طُرُقَ الْمُتَصَوِّفَةِ) - نُزْهَةُ الْحَدَقِ فِي ذِكْرِ الْفِرَقِ - الْفُصُولُ الْمُقْتَضِبَةُ فِي الْأَحْكَامِ الْمُتَخَبِّةِ (رَجَزٌ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ) - رَجَزٌ فِي الْجَدَلِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ النُّمَيْرِيُّ لَمَّا نَوَى (قَصِدَ) عِلْمَ الدِّينِ الْبِرْزَالِيَّ مُغَادِرَةَ دِمَشْقَ:
- نَوَى النَّوَى عِلْمُ الدِّينِ الرِّضَا فَأَنَا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ بِالشَّامِ ذُو أَلَمٍ^(٥).
- فَلَا تَلْمَنِي عَلَى حُبِّي دِمَشْقَ فَقَدْ أَصْبَحْتُ فِيهَا زَمَانًا صَاحِبَ الْعِلْمِ^(٦).
- وَقَالَ يَذْكُرُ الْآثَارَ (آثَارُ الْبِلَادِ - الْأَحَادِيثُ) وَكَيْفَ تُرَوَّى (تُسْقَى - يَنْقَلِبُهَا وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ) بِسُلْسُلَةٍ (حَلَقَاتٍ مُجْمُوعٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ تُدَارُ بِهَا النَّاعُورَةُ - نَسَقٌ مِنْ

- (١) نَفْحُ الطَّيِّبِ ٧: ١٠٧. لَوْ قَالَ: جِزَالَةُ الْمَشَارِقَةِ وَرَقَّةُ الْمَغَارِبَةِ لَكَانَ أَوْلَى!
- (٢) ارْتِفَاعُ الْمَوْجِ، وَكَثْرَةُ الْمَاءِ فِي السَّبِيلِ. الْإِجَالَةُ: الْمَزْجُ وَالْخِلْطُ. الْقِدَاحُ جَمْعُ قَدَحٍ (بِالْكَسْرِ): سَهَامٌ تَسْتَعْمَلُ فِي الْمَيْسَرِ أَوْ لَعِبِ الْقَمَارِ. (يَبْدُو أَنَّهُ قَامَ بِرِحْلَةٍ لِلتَّكْسَبِ: يَرَى فِيهَا حَظَّهُ فِي النِّجَاحِ، كَأَنَّمَا كَانَ يَقَامِرُ). الْحَرَكَةُ: السَّفَرُ. قُسْطَنْطِينَةُ (كَذَا تَلْفِظُ الْيَوْمَ) هِيَ قُسْطَنْطِينَةُ، نَسَبَةٌ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ (الْأَمْبَرُطُورُ الْبِيزَنْطِي) قُسْطَنْطِينَ الْكَبِيرِ الَّذِي بَنَاهَا فِي شَهْدِ مَدِينَةٍ سَابِقَةٍ كَانَتْ قَدْ خَرِبَتْ فِي أَثْنَاءِ ثَوْرَةٍ عَامَ ٣١١ م. بِلَادُ الزَّابِ تَقَعُ فِي جَنُوبِ الْجَزَائِرِ قَرِيبَةً مِنَ الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى (مِزَابٍ، مِيزَابٍ).
- (٣) التَّوْرِيَّةُ وَالِاسْتِخْدَامُ وَالتَّضْمِينُ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ.
- (٤) الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ: الْأَسْمُ الْمُتَمِّمُ لِلْمِائَةِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى (وَالْمَعْرُوفُ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ أَسْمَاءً)، وَيَرَى الْمُتَصَوِّفَةُ أَنَّ مِنْ عَرَفَ هَذَا الْأَسْمِ ثُمَّ دَعَا بِهِ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ كُلُّ دَعْوَةٍ.
- (٥) النَّوَى: الْبَعَادُ، الْغُرْبَةُ.
- (٦) صَاحِبُ الْعِلْمِ: الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ ذُو النِّفُوذِ - وَصَاحِبُ الْعِلْمِ: صَدِيقُ عِلْمِ الدِّينِ الْبِرْزَالِيِّ.

الرجال الذين يَرُوْنَ الحديث) من الذهب (المَعْدِنِ المعروف - الحافظُ شمسُ الدين الذهبي):

رَحَلْتُ نَحْوَ دِمَشْقِ الشَّامِ مُبْتَغِيًا رَوَايَةً عَنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَدَبِ (١).
فَفُزْتُ فِي كُتُبِ الْأَثَارِ حِينَ غَدَتِ تُرَوَّى بِسِلْسِلَةِ عُظْمَى مِنَ الذَّهَبِ!
- وقالَ لَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ سُلْطَانُ تُونِسَ فَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ (٧٤٨ هـ) بَعْدَ أَنْ قَتَلَ إِخْوَتَهُ (أَبُو بَكْرٍ سُلْطَانُ تُونِسَ - أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ثُمَّ عُمَرُ سُلْطَانُ تُونِسَ بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي بَكْرٍ - عُمَرُ الْفَارُوقُ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي):

وَقَالُوا: أَبُو حَفْصٍ حَوَى الْمُلْكَ غَاصِبًا، وَإِخْوَتُهُ أَوْلَى، وَقَدْ جَاءَ بِالْشُّكْرِ.
فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا، فَمَا رَضِيَ الْوَرَى سِوَى عُمَرَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ (٢)!

- وقالَ فِي النِّسَبِ (خَفِيفٌ: مُحْتَمَلٌ، مَرْغُوبٌ فِيهِ):
أَتَوْنِي فَمَا بَوَا مِنْ أَحِبِّ جَمَالِهِ. وَذَاكَ عَلَى سَمْعِ الْمُحِبِّ خَفِيفٌ (٣).
فَمَا فِيهِ عَيْبٌ، غَيْرَ أَنْ جُفُونَهُ مِرَاضٌ وَأَنْ الْحَصَرَ مِنْهُ ضَعِيفٌ (٤)!

- وقالَ أَيْضًا (الهِجَاءُ: ضِدُّ الْمَدْحِ، تَهْجُةُ الْكَلِمَاتِ):
لِي الْمَدْحُ يُرَوَّى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّمَا تَصَوَّرْتُ مَدْحًا لِلْوَرَى وَتَنَاءً (٥).
وَمَا لِي هِجَاءٌ. فَاعْجَبَنِي لِشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ سِرٌّ لَا يُقِيمُ هِجَاءً.
وقالَ فِي الْغَزْلِ الصَّرِيحِ وَفِيهِ تَوْرِيَّاتٌ بِكُنَايَاتٍ قَبِيحَةٍ وَلَكِنْ بَارِعَةٌ:

وَمَهَاةٌ تَقُولُ، إِنَّ هِيَ كَلَّتْ وَدَعَا لِلْمُزَاجِ خِلٌ مُزَاجٌ (٦).
وَأَزِرِ الرَّدْفَ، إِنَّ فِي الْأُزْرِ مِنِّي رَمْلٌ يَبْرِينُ، يَا طَبِيبُ، وَعَالِجُ (٧)!

-
- (١) الْأَحْلَامُ جَمْعُ حِلْمٍ (بِالْكَسْرِ) الْعَقْلُ. (٢) الْوَرَى: النَّاسُ.
(٣) الْأَشْيَاءُ الَّتِي ظَنُّوْهَا عَيُوبًا فِي مَحْبُوبٍ هِيَ حَسَنَاتُ فِي الْمَحْبُوبِ.
(٤) مِرَاضٌ: نَاعَاتٌ (وَهُمْ يَعْنُونَ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ، سَقِيمَةٌ). ضَعِيفٌ: نَحِيفٌ (وَهُمْ يَعْنُونَ أَنَّهُ نَاقِصُ التَّكْوِينِ).
(٥) تَصَوَّرْتُ (كَأَنِّي كَلَّتِي - كُلَّ عَمَلِي - مَدَحَ جَمِيعِ النَّاسِ وَالتَّناء عَلَيْهِمْ).
(٦) الْمَهَاةُ: الْغَزَالَةُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ). كَلَّتْ: تَمَبَّتْ (مِنْ الْغَزْلِ....).
(٧) الْمَزَاجُ: الْمَدَاعِبَةُ (دَعْبٌ: جَامِعٌ). خِلٌ: صَدِيقٌ. مُزَاجٌ: مَفَاخِرُ (بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْمَدَاعِبَةِ). الرَّدْفُ: مُؤَخَّرٌ =

- وقال :

هذه الشمس بالحجاب توارث بعد نور لها ورخب وبشر^(١).
وأتى الليل بالنسيم عيلاً فهو يمشي من أفضه لابن زهر!

(عليلاً: لطيفاً، بارداً- عيلاً: مريضاً ثم ابن زهر: النجوم؟ - ابن زهر: طبيب أندلسي مشهور كان قبل عصر ابن الحاج).

- وردت رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى الحاج الثميري (جواب رسالة سابقة لابن الحاج) فردّ ابن الحاج برسالة جاء فيها:

..... قَسَمَ بِبِرَاعَتِكَ الَّتِي هِيَ الْوَاسِي الْمَطَاعُ وَطَرَسِكَ^(٢) الَّذِي أَنْهَجَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْأَسْمَاعُ، لَقَدْ عَادَ لِي بِكِتَابِكَ عِيدُ الشُّوقِ وَجَادَ لِي بِخِطَابِكَ جِدُّ التَّوَقُّ^(٣). وَلَعَهْدِي
بِنَفْسِي - رَهْنُ أَشْجَانِي غَيْرَ مَحْلُولَةٍ عُقْدَةٌ لِسَانِي - أَشَدُّ مِنْ الصَّخْرَةِ جَلْدًا وَأَغْلَظُ مِنْ
الْإِبِلِ كِبْدًا^(٤). حَتَّى إِذَا بَدَتْ حَرِيقَةُ الْقَلْبِ وَهَبَ نَسِيمُهُ الرُّطْبَ وَأَفِيحَ مَوْرَدِهِ
الْعَذْبُ^(٥) وَأَضَاءَ بَنُورِهِ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ وَلَمْ يَبْقَ لِي بَثٌّ وَلَا شَجَنٌ^(٦) وَلَا شَاقِنِي أَهْلُ

= البدن. وازر الردف (ساعدي على حمله). الأزّر جمع إزار (ثوب للنصف الأسفل من الجسم). يرين وعالج مكانان في بادية العرب كثيرا الرمال. في الأزرمي رمل يرين وعالج (أشياء كثيرة، طاقة كبيرة). عالج (فعل أمر من عالجه يعالجه: داواه). عالج الشيء: مارسه. وفي حديث: «عالجت امرأة فأصبت منها» (تاج العروس - الكويت ٦: ١٠٩).

(١) توارث الشمس بالحجاب: غابت. رجب: مكان واسع (في السماء الظاهرة لأعيننا). البشر: طلاقة الوجه والبشاشة. الفرح.

(٢) الواسي (كذا في الأصل) لعلها الواشي. الطرس: الورقة. (سأكتفي هنا بشرح الألفاظ المفردة لأن القطعة المذكورة قائمة على التلاعب بالألفاظ مما يطول أمر الكشف عن مقاصد ذلك التلاعب).

(٣) عيد: عودة (في موشحة لسان الدين بن الخطيب: عاده عيد من الشوق جديد). جدّ التوق (النزوع، الميل، الشوق) الجدي، الحقيقي.

(٤) الجلد: الاحتمال (في موشحة لسان الدين أيضاً: ليس لي صبر ولا لي جلد). أغلظ من الإبل كبدًا: أقدر على الاحتمال، وأشدّ بعداً في السفر وأكثر صبراً على البعد عن الوطن.

(٥) أفيح؟ (بمعنى فاح من «فيح» اتسع، كثر) مورده (مكان الاستقاء منه). العذب: الحلو.

(٦) البث والشجن: الحزن.

ولا وطنٌ ومضى سيفُ اللسان بعد النبؤ ونَهَضَ طِرْفُ الفِكر بعد الكُبو^(١) وهَزَنِي
الطربُ المُثِيرُ للأفراح ومشى الجَذَلُ في أطرافي وأعطاني^(٢) شَمِيَّ الراح^(٣).... قُلْتُ:
من لي^(٤) بِشَرِبَةٍ من كأسِ بَيَانِهِ وَقَطْرَةٍ من بُحورِ إِحْسَانِهِ حَتَّى أُودِّيَ ولو بعضَ
حَقِّهِ.... فَأَمَّا وقد نَفَقْتُ عِنْدَكَ بِضَاعَتِي المُرْجَاةَ^(٥) وَشَمِلَنِي من لَدُنْكَ الحِلْمُ والأَنَاةُ
وَشَرَفْتَنِي بِالخِطَابِ الكَرِيمِ والرسالة التي عَرَفْتُ في وَجْهِها نُصْرَةَ النِّعَمِ^(٦)، فما أَبْغِي إِلَّا
إِبْرَادَهَا عَلَيْكَ وَكَلَّهَا خُرَاجٌ وَلِبْرَدُهَا في الإِجَادَةِ إِنْهَاجٌ^(٧). وَلَمَّا تَرْضَى التَّخْرِيجَ من
مُدَوَّنَةِ الأَخْبَارِ والمبسوطة والواضحة، لكن من الأعذار^(٨).....

وإذا كان المرء على دين خليله، ومن شأنه سلوك نهجه وسبيله، فالأليق أن أزهّد
في الصفراء والبيضاء وأقابل زُخْرَفَ الدُّنْيَا^(٩) بالبغضاء، وأزجُو على يَدِكَ حُسْنَ
التَّخْلِي والتَّخْلَافِ على أسرارِ التَّجَلِّي^(١٠) حَتَّى أَسْعَدَ بِكَ في آخِرَتِي ودُنْيَايَ وأَجِدَ بَرَكَتَهُ
خَاطِرِكَ في مَآتِي وَمَحْيَايَ. أَبْقَاكَ اللهُ بقاءً يُسِرُّ وأُمَتَّعَ بِمَنَاقِيكَ التي يَحْصُدُهَا الياقوتُ

(١) مضى السيف: قطع، مرّ في الشيء الذي ضُربَ به. النبؤ: رجوع السيف عن الضربة. - في الأصل:
ونَهَضَ طرف (بفتح فسكون) الفكر بعد الفكر (بضم الباء) - والصواب ما أثبتته في المتن. الطرف
(بكسر الطاء) الحصان. والكُبو: العثرة. (في أصل هذا النص قراءات خاطئة).

(٢) الجَذَل: الفرح.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) في الأصل: مالي. الصواب من لي: من يعطيني.

(٥) المُرْجَاة (من «أزجي»): المفضوشة، الرديئة.

(٦) نُصْرَةُ النِّعَمِ: وِضَاءٌ وَلِمَانٌ في الوجه من الرفاهية والنعمة. في القرآن الكريم (٨٣: ٢٤، سورة
المطففين): ﴿تَعْرِفُ في وجوههم نُصْرَةَ النِّعَمِ﴾.

(٧) إِبْرَادُهَا (؟). الخراج بضم الخاء أو بفتحها دَمَلٌ يخرج في البدن (شيء رديء). البرد: الثوب (من
الحرير). نهج الثوب وأنهج: بلى وتهرأ.

(٨) التَّخْرِيجُ (هنا): التعليل. المدوّنَة كتاب في الفقه، والواضحة كتاب في التجويد (تجويد القرآن - مقصور
على الفاتحة). ولم أعرف المبسوطة (وناشر الكتاب لم يذكرها في فهرست الكتب التي ورد ذكرها في
الكتاب). من المعروف أن المبسوط كتاب في الفقه. - يقصد يريد أن يدوّن عذره مبسوطاً (بتفصيل)
وواضحاً.

(٩) الصفراء (العملة من الذهب) والبيضاء (العملة من الفضة). الزخرف: الزينة.

(١٠) التَّخْلِي: ترك الاختلاط بالناس. وترك الزواج أيضاً. التَّجَلِّي: وضوح الأشياء للإنسان، عطف الله
عليه بإفادته علوماً من عنده (من عند الله).

والدَّر. ولا زِلْتَ في سيادة تَرَوْقُ نَعْتاً وسعادة لا تَرى فيها عَوْجاً ولا أَمْتاً^(١). وأقرأ
عليك سلاماً عاطر العَرَفِ^(٢) كريم التَّأَكِيدِ والعطف..... كَتَبَهُ أَخوكَ وَمَمْلُوكُكَ
وَشِيعَةُ مَجْدِكَ في الرابع والعشرين من جُمادى الأولى عام أربعة وستين وَسَبْعِمِائَةٍ.

٤-★★ نيل الابتهاج ٤٤-٤٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٤٠؛ الإحاطة ١: ٣٥٠، ٣٧١؛
الكتيبة الكامنة ٢٦٠-٢٦٩؛ نثر فرائد الجمان ٣٠٣-٣١٨؛ نفع الطيب ٢:
٥٣٤-٥٣٥، ٥٣١: ٧، ١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٠؛ بروكلمان،
الملحق ٢: ٣٦٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٢-٤٣ (٤٩)؛ مجلة «البحث
العلمي» ١/ ١٩٦٥ م، ص ٧١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ٥١.

ابن خاتمة الأنصاري

١- هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري^(٣)، وُلِدَ
في أَلْمَرِيَّة، في مطلع القرن الثامن للهجرة فيما يبدو^(٤). وتلقَّى ابنُ خاتمة العلمَ على
نفر^(٥) منهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المرِّي قرأ عليه ابنُ خاتمة ولازمه،
وأبو إسحاق إبراهيم بن العاصي التَّنُوخي ومُحمَّد بن جابر بن محمد بن حسان الوادي
آشي، وهو راوية مُحدِّث (بأحاديث رسول الله) رَحَّالٌ (صاحب رحلات)، وأبو البركات
أَبْنُ الْحَاجِّ وأبو القاسم عبد الرحمن بن شُعَيْب القيسي من أهل المَرِيَّة، وأبو جعفر
القرشي المعروف بابن فركون وأبو القاسم محمد بن سهل بن مالك وأبو جعفر بن الأغر

(١) الأمت: الاختلاف في الأرض ارتفاعاً وانخفاضاً. «لا ترى فيها الخ» تضمين من القرآن الكريم (٢٠):
١٠٧، سورة طه).

(٢) العرف: الرائحة الطيبة.

(٣) الأنصاري: نسبة إلى «الأنصار» الذين نصروا رسول الله لما هاجر إلى المدينة (أهل المدينة). ويزيد
محمد رضوان الداية (محقق ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٩ م، السطر الأخير) «المريني» (نسبة إلى
بني مرين حكام المغرب)!

(٤) في مقدِّمة الديوان (ص ١٧ م) ترجيح أنه عاش نحو سبعين سنة.

(٥) راجع في ذيل وفيات الأعيان (ص ٨٦) أسماء نفر آخرين من شيوخه. وفي مجلَّة «دعوة الحق» (الرباط،
صفر ١٣٩٢ هـ = أبريل - نيسان ١٩٧٢ م، ص ١٤٦) أن مولده كان سنة ٧٣٤ هـ.

(الإحاطة ٢٤٩، وقد صُعب عليّ تَبَعُ أنسابهم وأحوالهم).

وقعد ابن خاتمة للإقراء في الجامع الأعظم في المَرِيَّة فأقرأ اللغة والنحو والبلاغة والأدب، وكان في الوقتِ نفسه يقومُ بعقدِ الشروط. ثم درّس في المدرسة اليوسفية التي أنشأها في غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول بن الأحمر (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) ^(١).

وكانت صلة ابن خاتمة ببني الأحمر حسنة، زار غرناطة مراراً إحداها في شعبان من سنة ٧٥١ (خريف ١٣٥٠ م). وكان لا يزال حياً في ثاني عشر شعبان من سنة ٧٧٠ ^(٢) (٢١ / ٣ / ١٣٦٩ م)، كما في الإحاطة (١ : ٢٦٧). ولعلّ وفاته كانت بعيداً ذلك بقليل.

٢ - ابن خاتمة الأنصاري نازح له رسائل إخوانية ودويانية، وهو ناظمٌ مُكثّرٌ متعدّدُ الفنون والأغراض له مديحٌ دينيٌّ في الله ونعمه وسببٌ وغزلٌ مؤنثٌ ومذكرٌ ومُجونٌ ثم له أوصافٌ في الطبيعة والخمر وله حكَمٌ وملحٌ وفكاهاتٌ. وشعره عاديٌّ في الأكثر تغلبٌ عليه الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية. وله موشحاتٌ كثيرة. ويغلبُ على شعر ابن خاتمة التقليد، فترى فيه آثار الشعراء ظاهرة من مثل أبي نواس وأبي تمام والبُحتري والمتنبي وابن هاني الأندلسي وابن الفارض وسواهم. غير أنه سليمُ العبارة متينُ السبك. وابن خاتمة الأنصاري مؤلفٌ له: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (في وصف الطاعون الجارف الذي اجتاحت العالم في آسية وأوربة وإفريقية، سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - مزيّة المَرِيَّة على غيرها من البلاد الأندلسية (فيه شيء من جغرافية تلك المدينة وتاريخها وتراجم رجالها وزوارها) - إلحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس (٣) - إيراد اللال من إنشاد الضوال (وهو استدراك على «إنشاد الضوال وإرشاد السؤال» لمحمد بن هاني اللخمي السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ في لحن العامة) - رائق التحلية في فائق التورية (مجموع شعر).

(١) يقوم بعقد الشروط (بتنظيم عقود البيع والزواج وغيرها، ولملّه شبه الكاتب العدل في أيامنا)!

(٢) راجع التعليق على دقة هذا التاريخ (الدويان، ص ١٦ م - ١٧ م).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة ديوانه:

وبعدُ، فَإِنَّ بعضَ خُلصائي^(١) - وَهُوَ مَنْ لَا يَسَعُ، لجميلِ ودّه، غيرُ تكميلِ قصده - قد خَطَبَ إِلَيَّ بُنَيَاتٍ فِكْرِي وَأُبياتَ شِعْرِي جُمْلَةً يَسْهُلُ اسْتَظْهَارُهَا وَيَجْمَلُ فِي مِئْصَةِ الْمُحَاضِرَةِ اسْتِحْضَارُهَا^(٢)، تَأْخُذُ مِنَ الْأَدَابِ بِأَطْوَارِهَا وَفُنُونِهَا وَتَشْتَمِلُ مِنَ الْمَعَانِي عَلَى أَبْكَارِهَا وَعُيُونِهَا^(٣)..... وَعِنْدَمَا كَمَلَ إِبْدَارُهَا وَتَمَّ اغْتِيَامُهَا وَاخْتِيَارُهَا زَفَقْتُهَا إِلَيْهِ سَادِلَةً^(٤) ثَوَّبَ الْحَيَاءَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتَوَخَّرُ أُخْرَى مِنَ الْاسْتَحْيَاءِ، رِيحَانَةٌ مِنْ أَدْوَاحٍ وَنَسَمَةٌ مِنْ أُرُوحٍ^(٥). وَقَدْ قَسَمْتُهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ قَصْدَ التَّنْشِيطِ وَالْإِجْهَامِ^(٦): الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي الْمَدْحِ وَالْتِثْنِ - الْقِسْمَ الثَّانِي فِي النِّسَبِ وَالْفَزْلِ - الْقِسْمَ الثَّلَاثَ فِي الْمُلْحِ وَالْفُكَاهَاتِ - الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي الْوَصَايَا وَالْحِكَمِ. وَخَتَمْتُهَا بِنُبْدَةٍ مِنَ التَّوْشِيحِ الَّذِي لَهُ فِي مِضْمَارِ^(٧) الْأَدَبِ الْمَجَالُ الْفَسِيحِ.....

- قال ابن خاتمة في ذكر لُطْفِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ:

أَمَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ لِلْحَقِّ مُرْشِدًا؟ أَمَا سَمِعْتَ أَذْنَاكَ لِلَّهِ دَاعِيَا؟
أَبْعَدَ مَشِيبٍ تَسْتَجِدُّ شَيْبَةً؟ وَبَعْدَ هَوًى تَبْغِي عَمًى أَوْ تَعَامِيَا^(٨)؟

- (١) الخُلصاء جمع خلص (بكسر الخاء): الخدن (بكسر الخاء): الصديق الخالص.
- (٢) بُنَيَات جمع بنية (مؤنث بفتح الباء تصغير «ابن»). بنات الأفكار: الآراء، الأقوال. جملة: مقداراً سيراً. استظهارها: حفظها غيباً. منصة: منبر. المحاضرة: السابقة، المناظرة. استحضارها: تذكّرها عند الحاجة.
- (٣) البكر: (الأشياء) التي لم يعرفها أحد من قبل. العُون جمع عوان: المرأة التي كان لها زوج، والحرب التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة، الشيء الذي عرف من قبل.
- (٤) الابدار: الاكتمال (أصبحت كالبدرة تامة). الاعتيام: أخذ الشيء. زفّها: أهداها، أرسلها. سادلة: مرخية.
- (٥) ريجانة (نبته لها رائحة طيبة) من أدواح: أشجار كبيرة (يقصد: شيئاً مختصراً من شيء مفصل، واسع). نسمة من أرواح: هواء قليل من رياح كثيرة.
- (٦) الاجام: ردّ الجسم المتعب إلى الراحة.
- (٧) المضمار: الشوط، المجال الذي يركض فيه المتسابقون.
- (٨) تستجدّ شيبية: تطلب العودة إلى أفعال الشبان.

وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضرَ ناصعاً؟
 فما خُطبَاءُ العُربِ أنفصحُ واعظاً
 ولا صَفَحَاتُ الهِنْدِ أَرَدَعُ زاجراً
 وسائلةٌ: ما بالُ جَفْنِكَ والبُكا؟
 إليك، فما في خاطري فَضْلٌ وَسُعةٌ
 - وله من موشحه:

يا مصباح قد أخجلَ الإصباحُ،
 هل تلتاح، يا بدرُ، أو ترتاح
 لذي ودٍّ (٥)؟

★ ★ ★

مرآكا البدرُ بالسَّعْدِ.
 لهاكا الخمرُ بالشَّهْدِ.
 رباكا القطرُ بالندِّ.
 لا تَفَاح كريقك النَّفَاحُ
 الفَوَاح يروِّحُ الأرواحُ
 مِنَ الْوَجْدِ (٦).

★ ★ ★

- (١) الصدغ: جانب الرأس. الآس: نبات له أوراق تشبه بأذان الخيل شديدة الخضرة. ما الذي جعل لون الآس أخضر وجعل لون الورد أحمر. قان أو خان (من الفارسية: دم): شديد الحمرة.
 (٢) صفحات الهند: السيوف من صنع الهند: أردع زاجراً: أقوى أثراً في المنع (عن عمل الشر والأذى). من البرق (لأن البرق يدل على الزاجر الآلهي).
 (٣) لماذا يكون البكاء ملازماً لجفئك (لمينك، لك)؟ ساليا: ناسياً، متسلياً عن، غافلاً عن.
 (٤) اليك: اتركيني، أذهبي عني. - أنا مشغول (بمحبتي) عن أن أذكر لك خاطراً (فكرة في خاطري) فكيف يكون عندي وسعة من وقت لأسرد على سمعك حديث حبي (الطويل).
 (٥) الإصباح: طلوع الصبح. - هل تلتاح (تتغير) يا (شبيه) البدر (عن عهدك في المحبة) أو ترتاح (تسكن تطمئن، تستقر على حب) ذي ودٍّ (ذي محبة لك).
 (٦) في السعد: في أعلى مكان من فلك البروج (في أتم أحواله). اللمي: سُمرَة الشفتين (كناية عن التقبيل).
 الشهد (بفتح الشين وكسرهما وضمتها) المصل قبل أن يؤخذ من أقراص شمع. الريا: طيب الرائحة. =

يا جَنَّةَ قد ذَلَّ جانِبُها ،
وَفِتْنَةً قد ضَلَّ رائيها
بَوَخَنَةً قد جَلَّ بارِها
كَمْ أَمْدَاخٍ يَحُوكُهَا المَدَاخُ
في إِيضَاحٍ جَمَالَكَ الوَضَاحُ

ولا تُجْدِي^(١)!

- وقال في الغزل العفيف:

زارتُ على حَذَرٍ مِنَ الرُّقْبَاءِ والليلُ مَلْتَفٌ بِفَضْلِ رِداءٍ^(٢) .
تَصِلُ الدُّجَا بِسَوَادٍ قَرَعٍ فَاحِمٍ لِتَزِيدَ ظِلْمَاءَ إِلَى ظِلْمَاءٍ^(٣) .
فَوَشَى بِهَا مِنْ وَجْهِهَا وَحُلِيِّهَا بَذَرُ الدُّجَى وَكَوَاكِبُ الجُوزاءِ^(٤) .
أَهْلًا بِزَائِرَةٍ عَلَى خَطَرِ السُّرَى ما كُنْتُ أَرْجُوهَا لِيَوْمٍ لِقَاءٍ^(٥) .
أَقْسَمْتُ لَوْلا عِفَّةٌ عُذْرِيَّةٌ وَتَقَى عَلَيَّ لَهُ رَقِيبٌ رَائِي^(٦) ،
لَنَقَعْتُ غُلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضَائِهَا وَنَضَحْتُ وَرَدَ خُدُودِهَا بِبُكَائِي^(٧) !

- = القطر: ماء المطر (النقي، الصافي، الطاهر) الند: نبات له رائحة زكية. النفاح: الذي ينفع (يبعث، يرسل، يفوح منه) رائحة طيبة. يروح (يسكن، يهدى، يدخل الاطمئنان على الإنسان). الوجد: الحب وألم الحب.
- (١) الجاني (هنا): المذنب: ذلَّ جانبها: خسر من لم يتمتع بما فيها بالحق. الوجنة: صفحة الخد. بارها: خالقها. حاك: نسج. إيضاح: تبيان، توضيح. الوضاح: المشرق، اللامع. تجدي: تنفع (مها) يكثر الكلام لا يف بوصف جمالك).
- (٢) الرقيب: الجاسوس على المحبين. ملتف بفضل (ببقية) رداء: لم يبق منه إلا قليل.
- (٣) الفرع: الشعر. الفاحم: الشديد السواد (كالفحم). - إن شعرها جعل سواد الليل (الذي كان قد بدأ يحف بأقتراب الصبح) أشد سواداً.
- (٤) الذي أعلمني أنها قادمة لزيارتي (في ذلك الليل) أن ضاء الليل (بنور وجهها) وسمعت صوت الحلى التي كانت تتزين بها. (بدر: فاعل وشئ). وجهها كاليد (بظهور نوره) وحليها تشبه كواكب الجوزاء (عنقود نجوم) لضعف نورها في رأي العين بالإضافة إلى البدر في رأي العين.
- (٥) السرى: السير في الليل. اقتحمت سواد الليل (على ما في ذلك من الخوف والمخاطر) في وقت ما كنت أظن أنها تحمي إلى زيارتي.
- (٦) عذرية: نسبة إلى بني عذرة (كان عشاقها مشهورين بعفتهم في الحب). الرقيب: الجاسوس على المحبين. رائي = راء (ناظر)!
- (٧) الرضاب: الريق ما دام في الفم. نعت: بللت، رويت وأرويت. الغلة: العطش. نضح: رش.

- وقال يَصِفُ الربيعَ وَيَدُلُّ في أَثناء ذلك على نِعَمِ الله :

أَهْلًا بِأَيَّامِ الربيعِ وطيبها : أنس الخَلِيعَ ونُزْهَةً المُتَبَتِّلِ (١).
زَمَنٌ أَرَقُّ مِنَ الْوِدَادِ شَمَائِلًا : وألذُّ من عَصْرِ الشَّبابِ الْأَوَّلِ (٢).
أَعْجَبَ بِهِ مِنْ مَهْرَجَانٍ قَائِمٍ : بَيْنَ البَسِيطَةِ والحَيَا المُتَهَلِّلِ (٣) ؛
فَالطَّيْرُ تَشْدُو والغَدِيرُ مُصَفَّقٌ : والقُضْبُ تَرْقُصُ والأَزَاهِرُ تُتَجَلَّى (٤).
فَاعْطِفْ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ وَحَيِّهِ : وانظُرْ إِلَى حُسْنِ الربيعِ المُقْبِلِ (٥).
وَأَجِلْ لِحَاطَظِكَ فِي صِفَاحِ كِتَابِهِ : حَتَّى تَبَيَّنَ وَاضِحًا مِنْ مُشْكِـلِ (٦).
مَا قَتَحَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ ثُغُورَهُ : إِلَّا لِيَرُشِفَ طَيِّبَ ذَاكَ السَّلْسَلِ (٧) !

- وقال في الوصف والخمر :

إِلَى كَمْ يُنَادِيكَ دَاعِي الْوَتَرِ ؟ فَلَـبَّ النِّدَاءِ وَدِنْ بِالسَّهْرِ (٨) !
وَنَبَّهَ جُفُونَكَ مِنْ غَمَضِهَا ، فَقَدْ نَبَّهَ الرُّوضَ قَطْرُ الْمَطَرِ (٩).
أَمَا تُبْصِرُ الشُّهْبَ مِثْلَ الْعُقُورِ : دِ قَدْ نَهَبَ الصَّبْحُ مِنْهَا دُرَرَ (١٠) ؛

- (١) يَسَّرَ بِهَا الخَلِيعَ (الذي لا يبالي بقانون الأخلاق) والمتبتِّل (الزاهد).
- (٢) الشَّمَائِلُ جمع شَمَالٍ (بكسر الشين): الخلق (بضمّ فضمّ)، الخصلة.
- (٣) المَهْرَجَانِ: العيد العظيم (يكون للملوك). البَسِيطَةُ: وجه الأرض. الحَيَا: المطر. تَهَلَّلَ المطر: انسكب وسال. - أزهار الربيع بألوانها وزوائرها ثم الزكية الرائحة تلاما بين الأرض والسحاب.
- (٤) القُضْبُ جمع قضيب: غصن. الأزَاهِرُ (الأزهار) تتجلى: تظهر وتتفتح!
- (٥) وجه الزمان (؟). حَيِّهِ: ألقى عليه التحية.
- (٦) صِفَاحٌ يقال لوجوه نصال السيوف، وهي هنا: صفحات أو صحاف. - إذا جلست بنظرك في وجه الأرض المملوءة بالنبات والأزهار استطمت أن تعرف كثيراً من أسرار الوجود (١).
- (٧) الجنى: الطري. السَّلْسَلُ: الماء العذب الصافي (الذي يسهل مروره في الخلق).
- (٨) داعي الوتر: صوت الموسيقى. لَبَّ: أجب. دن (فعل أمر من دان) خضع، جعل الأمر له عادة.
- (٩) قطرات المطر جعلت الأزهار تتفتح (فكأنَّ الرّوض كُله يستفيق من نومه بعد ليل الشتاء).
- (١٠) الشُّهْبُ جمع شهاب: الحجر الصغير المنفلت من -اره حول الأرض والساقط إلى الأرض يشتعل فيضيء حيناً يدخل جوَّ الأرض. - والشاعر يقصد بالشهب، النجوم. مثل العقول: تبدو للمعين كأنها مجاميع يرتبط بعض نجوم كل مجموع سها ببعضها الآخر. قد نهب الصبح منها درر: لَمَّا اقترَب الصُّباح خفي عدد من النجوم الضئيلة النور (فكأنَّ الصبح قد نهبها أو سرقها).

وَضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ خَيْفَةً عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ لَمَّا انْفَجَرَ^(١).
 وَرَوَّضْتُهَا تُجْتَلَى كَالْعُرُوسِ كَسَاهَا سَنَا الصُّبْحِ مِثْلَ الْخَفَرِ^(٢).
 وَقَدْ نَظَّمْتُ مَائِلَاتُ الْفُصُوفِ لَأَلَىءَ طَلٍّ عَلَيْهَا انْتَشَرَ^(٣)!
 وَقَامَتْ سَمَاءٌ لَنَا دَوْحَةٌ تَطْلُعُ كَالزُّهْرِ فِيهَا الزَّهَرُ^(٤).
 فَحُتَّ الْمُدَامَ وَسَقَّ النَّدَامَى وَسَلَّ الْغَرَامَ وَخَلَّ الْفِكْرَ^(٥).
 وَخَالِسَ زَمَانِكَ غَفْلَاتِهِ، فَقَدْ فَازَ بِالْعَيْشِ مَنْ قَدْ جَسَرَ^(٦).

- ٤- ديوان ابن خاتمة الأنصاري.... (حقّقه الدكتور محمد رضوان الداية) دمشق (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
 - إيراد (؟) اللال من انشاد الضوأل^(١) (طبع في أوروپة ثم صوّر في بغداد).
 ★★ تشير فرائد الجمان ٣٣١-٣٣٢؛ الإحاطة ١: ٢٤٧-٢٦٧؛ الكيبيّة الكامنة ٢٣٩-٢٤٥؛ نيل الابتهاج ٧٢؛ نفع الطيب ١: ٢٤، ١٧٥ (نصّ من مزية المزية)، ٤: ٣٤٦-٣٤٨، ٥: ٣٦٠-٣٦١ (نصّ من مزية المزية)، ٦: ٢٨-٣٨ (رسائل منه وإليه)، راجع ٢٣٠-٢٣١؛ أزهار الرياض ١: ٢٦٥-٢٦٧، ٣: ٥٤-٥٥، ٢٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٥-٣٣٦، الملحق ٢: ٣٦٩؛ ٢٢٢ع ١٧: ٣٥٨؛ الأعلام للزركلي ١: ١٧١-١٧٢ (١٧٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٩: ٢.

- (١) ضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ: تَقَلَّصَ مِنْ جَوَانِبِ السَّلَاةِ. - خَافَ اللَّيْلُ مِنْ هِيَاجِ الْبَحْرِ فَأَرَادَ أَنْ يَهْرَبَ!!
 (٢) يَجْتَلَى النَّاسُ الشَّيْءَ: لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ (لِجَمَالِهِ). الْخَفَرُ: الْحَيَاءُ. - الرُّوضَةُ لَمْ تَبْرُزْ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ (لِاسْتِمْرَارِ اللَّيْلِ) فَكَأَنَّهَا خَجَلَةٌ لَا تَبْدِي كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ.
 (٣) الْمَائِلُ ضِدُّ الْمُسْتَقِيمِ (لَمَلَّهَا: مَائِلَاتُ: الْمُتَحَرِّكَةُ بَيْنًا وَشَأَلًا). الطَّلُّ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ. إِنَّ حَبَاتَ مَاءِ الْمَطَرِ الْجَامِدَةِ عَلَى الْأَغْصَانِ (مَنْ أَثَرُ اللَّيْلِ الْبَارِدِ) تُشَبِّهُ اللَّوْلُو.
 (٤) كَانَ فَوْقَنَا دَوْحَةٌ (شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ) وَكَانَتْ الزَّهْرُ (بِضَمِّ الزَّايِ: النُّجُومِ) تَبْدُو مِنْ خِلَالِ أَغْصَانِهَا وَأَوْرَاقِهَا كَالْأَزْهَارِ.
 (٥) حَتَّ الْمُدَامَ (الْخَمْرَ) أَسْرَعَ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ. سَقَّ (أَكْثَرَ مِنْ إِسْقَاءِ) النَّدَامَى (الَّذِينَ يَشْتَرِكُونَ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ). سَلَّ: فَعَلَ أَمْرًا مِنْ «سَلَّى» (طَلَبَ التَّرْوِيجَ عَنِ النَّفْسِ). خَلَّ الْفِكْرَ: دَعَا التَّفَكُّيرَ فِي مَوْجِدِ الْحَيَاةِ.
 (٦) خَالِسَ: خَذَ خُلْسَةً (عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ غَيْرِكَ). خَالِسَ زَمَانِكَ غَفْلَاتِهِ (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَالَ مَرُورًا مِنْ دَهْرِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ غَافِلًا عَنْكَ). قَدْ فَازَ بِالْعَيْشِ (الطَّيِّبِ) مَنْ جَسَرَ (مَنْ كَانَ جَرِيئًا).

منديل بن أجروم

١- هو أبو المكارم منديل، وأسمه محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي، وهو ابن النحوي المشهور أبي عبد الله محمد بن محمد بن أجروم (ت ٧٢٣ هـ).

تلقى منديل بن أجروم العلم على نفر كثيرين منهم أثير الدين أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) والشيخ الخطيب أبو عبد الله القطان الأسفر (ت ٧٤٣ هـ) وقاضي الجماعة في تونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المستيري (ت ٧٥٠ هـ)، كما كان قد أخذ قراءة القرآن عن المكّتب بن برال التونسي.

وحجّ منديل بن أجروم سنة ٧٤١ للهجرة ثم كانت وفاته في ربيع جُمادى الأولى من سنة ٧٧٣ (١٣٧١/١١/١٤ م).

٢- كان منديل بن أجروم مُقرئاً للقرآن الكريم ولغوياً ونحوياً وفقياً، كما كان أديباً وشاعراً مجيداً مُكثرأ، وكانت له براعة خاصة في اللغة والأدب، فكان يُقرئ مقامات الحريري كأحسن ما يكون إقراؤها.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو المكارم منديل بن أجروم في مدينة فاس (نفع الطيب ٧: ١٢٣-١٢٥):

أُثِمّا العارفون قَدَرَ الصُّبُوحُ ، جَدُّدُوا أُنْسًا بِيَابِ الْفُتُوحِ (١).
 حيثُ شابتُ مفارقُ اللُّوزِ نَوْرًا ، وَتَساقَطْنَ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ (٢).
 وكانَ الذي تساقطَ منه شَفَقًا مَرَّقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ .
 ثمَّ حُطُّوا رِحَالَهُمْ فَوْقَ نَهْرٍ كَلَّ فِي وَصْفِهِ لِسَانُ الْفَصِيحِ (٣)؛

(١) الصُّبُوحُ: شرب الخمر صباحاً. باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس، ويبدو أنه قد كان عنده جنائن يقصدها الناس للزَّهْمَة واللَّهْوِ.

(٢) النور: الزهر الأبيض. اللجين: الفضة.

(٣) كل: تعب، عجز.

فوق حافاتِه حدائقُ خُضْرَ
وكانَ الطيورَ فيها قِيانٌ
وهيَ تدعوكمُ إلى قَبْلةِ الجَوِّ
فيه ما تشتهون من كلِّ نورٍ
وغصونٍ تهبُّ رقصاً إذا ما
فأجيبوا دُعاءها، أُنْها السرَّ
واجنحوا للمُجنونِ فهوَ جديرٌ
واخلعوا ثمَّ للتصايي عِذاراً،
تَنيرُ الشمسُ ثمَّ كُلُّ غُدُوٍّ
فانهضوا، أُنْها المُحبِّونَ، مثلي
هكذا يُرَبِّحُ الزمانُ، وإلاَّ

ليس عنها لعاشقٍ من نُزوح.
هتفتُ بين أعجمٍ وفصيح^(١)،
ز: هَلِّمُوا إلى مكانٍ مليح^(٢).
مُغَلِّقٍ في الكِيامِ أو مفتوح^(٣)،
سَمِعْتُ صوتَ كلِّ طيرٍ صَدوح^(٤).
بُ، واخلَوْا مَقالَ كلِّ نصيح^(٥).
وخليقٌ من مثلكمُ بالجنوح^(٦).
إنَّ خلعَ العِذارِ غيرَ قبيح^(٧).
رَغفراناً مُبَلَّلاً بنُضوح^(٨).
لنرى ذاتَ حُسنِها الملموح.
كُلُّ عيشٍ سواه غيرُ رَبيح^(٩).

- قال أبو المكارم مَنديلُ بنُ آجروم (نفع الطيب ٢: ١٩٤ - ١٩٥):
حدَّثني مَنْ يُوثَقُ بقوله أنَّ أبا اسحاق الطُويجِيْنَ كانت وفاته يومَ الاثنين ٢٧ جُمادى
الأخيرة سنة ٧٤٧ بتنبُّكْتو موضعٍ بالصحراء من عُمالَةِ مالي، رَحِمَهُ اللهُ. ثمَّ ضَبَطَ
الطُويجِيْنَ بكسر الجيم. قال: وبذلك ضَبَطَهُ بِحَظِّ يَدِهِ، رَحِمَهُ اللهُ. قال: وَمَنْ نَسَبَهُ
للساحليِّ، فَإِنَّهُ نَسَبَهُ لِجَدِّهِ لِلأَمِّ. انتهى.

٤-★★ نيل الابتهاج ٣٤٧؛ نفع الطيب ٢: ١٩٤ - ١٩٥، ٥: ٤١٨، ٧: ١٢٣ - ١٢٥.

- (١) القينة (بالفتح): المرأة الجميلة المغنية. هتف: رفع صوته. الأعجم الذي لا يفهم العرب كلامه.
- (٢) قبة الجوز...
- (٣) الكيام: الكأس (الأوراق الخضراء) التي تحيط بالزهرة قبل أن تفتح الزهرة.
- (٤) الصدوح: ذو الصوت المطرب.
- (٥) السرب: الجماعة السائرون معاً.
- (٦) الهون: قلة المبالاة بالعرف الاجتماعي مع الانغماس في اللهو أحياناً. جنح: مال.
- (٧) الغدو: التبكير في السعي (في الصباح). النضوح: رش الماء على الأشياء.
- (٨) العذار: الرن، اللجام. خلع العذار كناية عن ترك الحياء في أتيان المحارم.
- (٩) يربح الزمان: تحصل منه استفادة للإنسان. الريح: ما فيه ربح (يقال: تجارة ريحة).

أبو البركات بن الحاجّ البلفيقيّ*

١- هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الشيخ الوليّ أبي إسحاق^(١) بن الحاجّ السّلمي^(٢) البلفيقي^(٣)، وُلِدَ في المَرِيّة سَنَة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ - ١٢٨٢ م)، وَبَدَأَ تَعَلَّمَهُ فيها وفي إشبيلية. ثُمَّ إِنَّهُ انتَقَلَ إلى المَغْرِبِ وقرأ في بِجَايَة على قاضي الجماعة أبي منصور أحمد بن عبد الحقّ المشدّاليّ (ت ٧٣١ هـ) ثُمَّ ذهب إلى مَرَاكُش وبعْدَئِذٍ استقرّ في سَبْتَة. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إلى الأندلس ونَزَلَ في مالقَة وأخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجاليّ.

وفي سَنَة ٧٣٥ هـ تَوَلَّى أبو البركات البلفيقيّ القضاء في مالقَة، ثُمَّ تَوَلَّى القضاء والخُطْبَة في المَرِيّة ثُمَّ قضاء الجماعة في غرناطَة ثُمَّ في المَرِيّة ثانية. ثُمَّ أُعيدَ إلى قضاء غرناطَة. وفي هذه الأثناء كان يقومُ بالسّفارة بين الملوك (في الأندلس والمغرب). وفي أواخر أيامه استغنى من جميع المناصب. وكانت وفاته في المَرِيّة، في رَمَضَانَ^(٤) من سَنَة ٧٧٣ (صيف ١٣٧٢ م).

٢- كان أبو البركات بن الحاجّ البلفيقيّ رجلاً صالحاً يُراعي الخلقَ الكريم في أقواله وأفعاله (كما سنرى في قصيدته الحاثية). وقد عَمِلَ في بناء الآبار وبنى فيها بنفسه وبماله، وكان يقول (في شعره) إِنَّ الناسَ لا يَعْرِفون ما في ذلك من اللذّة الصحيحة ومن الشعور بالخير في النفس. وكان له شعرٌ ونثرٌ، وأغراضه وجدانية أبرزها العُنُصُرُ الصوفي. غير أنّه كان لا يقبلُ الخرافات التي تُروى عن نفَرٍ من رجال التصوّف (خرقَ القوانين الطبيعيّة والتوسّطَ بين الله وعباده). وكان مُصَنِّفاً له من الكتب: أسماء

(*) هو غير أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاجّ العبدري الفاسي الفقيه المتصوّف المتوفى سنة ٧٣٧ للهجرة (الدياج المذهب ٣٢٧-٣٢٨).

(١) كان أبو إسحاق هذا من كبار المتصوّفة، وكان قبره في مَرَاكُش مشهوراً بزار (نفع الطيب ٥: ٤٧٤).

(٢) نسبة إلى بني سليم (بضمّ السين). وقيل إنّهُ من نسل العبّاس بن مرداس الصحابي الشاعر (ت ١٨ هـ).

(٣) بلفيق حصن قرب المَرِيّة. وهي بفتح الباء وسكون اللام (المرقبة العليا ٢٣٦).

(٤) في المرقبة العليا، رمضان سنة ٧٧٣ (ص ١٦٦). وفي نفع الطيب (٥: ٤٨٧) أنّ وفاته كانت في شوال، سنة ٧٧١.

الكتب والتعريف بمؤلفيها (على حروف المعجم) - الإفصاح فيمن عُرِفَ بالأندلس بالصِّلَاح (في عدد من رجال التصوّف) - مُشْتَبِهَاتُ مُصْطَلَحَاتِ الْعُلُوم - الْمُؤْتَمَنُ فِي أَنْبَاءِ مَنْ لَقِيَتْهُ مِنْ أَنْبَاءِ الزَّمَن - الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ (ديوان شعره) - وقد يكبو الجوادُ في غلطة أربعين من النقاد^(٥) - تاريخ المريّة - العلن في أنباء أنباء الزمن - سلوة الخاطر - شِعْرُ مَنْ لَا شِعْرَ لَهُ (أي من لم يشتهر بالشعر) الخ .

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو البركات بن الحاجّ البليغي:

يَأْبَى شُجُونَ حَدِيثِي الْإِفْصَاحُ إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِهِ الْأُلُوحُ^(١) .
 قَالَتْ صَفِيَّةٌ، عِنْدَمَا مَرَّتْ بِهَا إِبْلِي: أَتَنْزِلُ سَاعَةً ثَرَاتِحَ^(٢)؟
 فَأَجَبْتُهَا: لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ لِي مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغَدَوِّ رَوَاحُ^(٣)!
 قَالَتْ: وَهَلْ فِي الْحَيِّ حَيٌّ غَيْرُنَا؟ فَاسْمَحْ - فَدَيْتُكَ - فَالْسَاحُ رَبَّاحُ .
 فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الرَّقِيبَ هَوَالِكُ يَبْدِيهِ - مِنَّا - هَذِهِ الْأُرُوحُ^(٤)،
 وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى مَوَارِدِ عَبْدِهِ، سَيَّانٍ مَا الْإِخْفَاءُ وَالْإِفْصَاحُ^(٥) .
 قَالَتْ: وَأَيْنَ يَكُونُ جُودُ اللَّهِ إِذْ يُخْشَى؟ وَمِنْهُ هَذِهِ الْأَفْرَاحُ .
 فَافْرَحَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَّالُهُ، وَاشْطَحْ فَتَشْوَانُ الْهُوَى شَطَّاحُ^(٥) .
 وَارْهَجْ عَلَى ذِمِّهِ الرِّجَالُ وَلَا تَخَفْ، فَالْحِلْمُ رَحْبٌ وَالتَّوَالُ مُبَاحُ^(٦) .

- (١) الشجون (بفتح ففتح): الفصن . الحديث شجون (مشتب، وله أصول غامضة).
- (٢) صَفِيَّةُ اسم فتاة، كناية عن محبوبة مثالية (في هذه الأبيات قرائن صوفية).
- (٣) تبغني (خطأ) صوابه: تبغين . بعد الغدوّ (الجمي في الصباح) رواح (رجوع في المساء).
- (٤) الرقيب (راجع البيت الثالث أيضاً هو (هنا) الله!
- (٥) الشهيد: الشاهد، الحاضر . المورد: مكان الشرب (كناية عما يفعله الإنسان).
- (٥) الشطح كلمة عليها رعونة (لفظ قبيح ومعنى سليم). قتل محبي الدين بن عربي لأنه شطح أمام الناس فقال: أنتم وما تعبدون تحت قدمي (يقصد أنكم تعبدون «المال»).
- (٦) في القاموس: أرهج بالهمزة: أثار غبار الحرب، طرب للحرب، أثار الفتنة . الذمة: العهد
- (٤). النوال: العطاء .

وانزِلَ على حُكْمِ السُّرُورِ ولا تُبَلِّ،
واخْلَعْ عِذارَكَ في الخِلاعة، يا أخِي،
وانظُرْ إلى هذا النهارِ، فِئْتُهُ
لا تَعْذُلِ الدُّنْيَا على تَلَوِينِها،
فأَجَبْتُها: لو كُنْتَ عالِمةَ الَّذِي
مِنْ كُلِّ مَعْنَى غامِضٍ مِنْ أَجَلِهِ
حَتَّى لَقَدْ سَكِرُوا مِنَ الأَمْرِ الَّذِي
لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي طالِبٌ
فاتركَ صَفِيَّكَ قارِعاً بابَ الرِّضا،
يا أُختُ، حَيٌّ على الفلاحِ وَخَلِّي،

فالوقتُ صافٍ ما عليك جُنَاحٌ^(١).
باسمِ الَّذِي دارَتْ به الأقداحُ^(٢).
ضَحِكْتَ ونورُ جَبِينِهِ وضَّاح.
فَلَلَيْلِها بَعْدَ المِساءِ صِباح.
يبدو لِتارِكِها وما يَلْتاحُ^(٣)
قد سَاحَ قومٌ في الجبالِ وناحوا^(٤)،
هاموا به عِنْدَ العِيانِ فباحوا
ما الزهدُ في الدُّنْيَا لَهُ مِفْتاحُ^(٥).
واللهُ جَلَّ جلالُهُ القَتَّاحُ *
فجِئنا عِتي حَتَّوا المَطِيَّ وراحوا *!

- وللبلقيتي مقطعاتٌ في الشكوى من كلِّ شيءٍ. من هذه المقطعات:

★ قالوا: تَغَرَّبْتَ عن أَهْلِ وعَن وَطَنِ.
مضى الأَجِيَّةُ والأَهْلونَ كُلُّهُمُ،
أَفَرِغْتُ حُزْني وَدَمَعِي بَعْدَهُمُ، فأنا
★ قد كُنْتُ مَغْروراً بِوَعْظِي وما
من حَيْثُ قد أَمَلْتُ إِصْلاحَهُمُ
فَلَمْ أَجِدْ لِلنَّاسِ أَوْعَظَ من

فَقُلْتُ: لِمَ يَبْقَى لي أَهْلٌ ولا وَطَنُ؟
وليس بَعْدَهُمُ سُكْنى ولا سَكَنُ^(٦).
من بَعْدِ ذلك لا دَمْعٌ ولا حَزَنُ!
أَبُثُّ من عِلْمِي بَيْنَ البَشَرِ،
بالوعْظِ والعِلْمِ، فحانَ النَظَرُ.
أَصواتِ وَعَظِ جلودِ البَقَرِ^(٧)!

(١) لا تبلى (غلطة مشهورة في «لا تبلى»): لا تهتم. الجناح: الذنب.

(٢) باسم الذي.....: باسم الله (٩).

(٣) يلتاح: يعطش، يتغير (٩).

(٤) ناح: بكى (٩).

(٥) ما: ذلك الذي (مفعول به من «طالب»).

(*) «فاترك» (في البيت الأول) ثم «حي» و«خلّي» (في البيت الثاني) أفعال أمر للمفرد المذكور على

التجريد (مخاطبة الشاعر نفسه)، برغم وجود «يا أخت» (في البيت الثاني).

(٦) السكنى: المسكن (المأوى). السكن: الزوجة.

(٧) وعَظِ جلود البَقَرِ (٩).

★★ يا مَنْ إِذَا مَا رُمْتُ تَوَدِّعَهُ ، وَدَّعْتُ قَلْبِي قَبْلَ ذَاكَ الْوَدَاعِ .
 فَأَتْرُكُ التَّوَدِّيعَ عَمْدًا لِكَيْ أُغْلَلَ النَّفْسَ بِيَعْضِ الْخَدَاعِ ^(١) .
 يَا مِحْنَةَ النَّفْسِ بِمُلُوفِهَا ، مِنْ أَجْلِهَا قَدْ جَاءَ هَذَا الصَّرَاعُ ^(٢) .
 ★★ رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ الْخِيَانَةِ إِنَّهُمْ كَفَوْنَا مَوُونَاتِ الْبَقَاءِ عَلَى الْعَهْدِ .
 وَلَوْ قَدْ وَفَوْا كُنَّا أَسَارَى حُقُوقِهِمْ نُرَاوِحُ مَا بَيْنَ النِّسِيَةِ وَالْحَقْدِ ^(٣) .

- وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) اتَّفَقَ أَنَّ أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنَ الْحَاجِّ الْبَلْفَيْقِيَّ رَأَى تَطْلِيقَ امْرَأَتِهِ - لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ^(٤) - فَأَوْقَعَ عَلَيْهَا طَلَقَةً وَاحِدَةً ^(٥) وَكُتِبَ ذَلِكَ فِي نُسْخَةٍ ^(٦) نَصُّهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ . يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ^(٧) الرَّاجِي رَحْمَتَهُ مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ بِأَبِي الْبَرَكَاتِ ابْنِ الْحَاجِّ خَارَ اللَّهُ لَهُ ^(٨) وَلَطَفَ بِهِ :
 إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَمَّا أَنْشَأَ خَلْقَهُ عَلَى طِبَائِعَ مُخْتَلِفَةٍ وَغَرَائِرَ شَتَّى - فَفِيهِمُ السَّخِيُّ
 وَالبَخِيلُ ، وَالشُّجَاعُ وَالجَبَانُ ، وَالنَّبِيُّ وَالْفَطْنُ ، وَالكَيْسُ وَالعَاجِزُ ، وَالمُسَامِحُ وَالمُنَاقِشُ ،
 وَالمُتَكَبِّرُ وَالمُتَوَاضِعُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَعْرُوفَةِ مِنَ الْخَلْقِ - كَانَتْ الْعُشْرَةُ لَا

- (١) بيعض الخداع: بأنهم لم يسافروا، لم يرحلوا.
- (٢) الصراع في نفس الإنسان قائم لأنه لا يستطيع تغيير شيء قد ألفه. النسيئة: الدين لأجل (تستدين مبلغاً وتعد وفائه بعد مدة).
- (٣) لو وفوا (يفتح الغاء) لوجب علينا لهم حق بأن نجازيهم على وفائهم في المستقبل. فإذا لم نفعل فقدوا (بفتح القاف) علينا.
- (٤) لا بد في الطلاق في الإسلام من سبب شرعي. وقد ذكر أبو البركات هذا السبب في الصك الذي سجله على نفسه ونسب العيب في ذلك إلى نفسه لا إلى امرأته.
- (٥) في الإسلام يحق للمسلم أن يطلق امرأته ثلاث مرّات وأن يستردها مرّتين، ولا يجوز استردادها بعد الطلقة الثالثة (بعد المرّة الثالثة). قال الله تعالى (٢: ٢٢٩ سورة البقرة): ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ، فَمَا سَكَ (بعدها) بمعروف أو تسريح بإحسان﴾.
- (٦) الطلاق يجب أن يكون بصك مكتوب (أو يشهد من القاضي). ويحسن الإشهاد على هذا الصك عند أهل السنة، ويجب الإشهاد عليه عند الشيعة والدروز.
- (٧) كلّ مسلم هو عبد الله. قال عبد الله الحجاج بن يوسف ... قال عبد الله عبد الملك بن مروان ... قال عبد الله عبد الله بن الزبير الخ.
- (٨) أراد له الخير.

تستمرّ بينهم إلّا بأحد أمرين: إمّا بالاشتراك بالصفات أو في بعضها وإمّا بصبر أحدها على صاحبه إذا عُدِمَ الاشتراك. ولما علِمَ الشارع^(١) أنّ بني آدم على هذا الوضع شرعَ لهم الطلاق ليُسْتَرِجَ إليه من عِيَلِ صبره^(٢) على صاحبه تَوْسِعةً وإحساناً منه إليهم^(٣). فلأجل العمل على هذا طَلَّقَ كاتبُ هذا عبدُ الله محمدَ المذكورَ زَوْجَهُ الحرةَ المربيةَ المصونةَ عائشةَ ابنةَ الشيخ الوزير الحبيب النزيه الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المُقدَّسِ المرحوم أبي عبدِ الله محمدَ المغيلي طَلَقَةً واحدةً - مَلَكَتْ بِهَا أَمْرَهَا دُونَهُ^(٤) - عارفاً قَدْرَهُ. قَصَدَ بِذَلِكَ إِرَاحَتَهَا مِنْ عُسْرَتِهِ^(٥)، طَالِباً مِنَ اللَّهِ أَنْ يُغْنِيَ كُلَّاهُ مِنْ سَعَتِهِ^(٦)، مُشْهِداً بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ^(٧) فِي صِحَّتِهِ وَجَوَازِ أَمْرِهِ^(٨)، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ الثَّانِي عَامِ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٩).

- وَقَالَ يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ الرِّجَالُ الصَّالِحُونَ تَمَّنْ يَأْوِي إِلَى الْجِبَالِ هَرَبًا مِنَ النَّاسِ زَعَمًا بِأَنَّهُمْ مَتَصَوِّفُونَ):

زَعَمُوا أَنْ فِي الْجِبَالِ رِجَالًا صَالِحِينَ - قَالُوا - مِنَ الْأَبْدَالِ^(١٠).
وَأَدَّعَوْا أَنْ كُلَّ مَنْ سَاحَ فِيهَا فَسَيَلْقَاهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

- (١) الشارع هو الله تعالى.
- (٢) يباح الطلاق في الإسلام إذا استحال على الزوجين أن يستمرا في بناء أسرة سليمة سعيدة ثم خيف استمرار شقاقها ونزاعها. قال الله تعالى (٤: ٣٤ سورة النساء): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَثُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمُهُمَا مِنْ أَهْلِهَا، إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (وإلا فيكون الطلاق مباحاً).
- (٣) تَوْسِعةً مِنَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ (حَتَّى لَا يَمِيشَ الزَّوْجَانِ وَالْأُسْرَةُ مَعَهُمَا فِي نَكْدٍ مُسْتَمِرٍّ).
- (٤) أَي أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ زَوَاجُهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِرِضَاهَا.
- (٥) نَسَبَ هُنَا سُوءَ الْعَثْرَةِ إِلَى نَفْسِهِ هُوَ (وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْإِحْسَانِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ).
- (٦) هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (٤: ١٢٩ سورة النساء): ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- (٧) الْإِشْهَادُ عَلَى هَذَا الطَّلَاقِ (الْحَاشِيَةُ ٦، ص ٥٠١).
- (٨) لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ تَطْلِيقَ امْرَأَتِهِ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ أَوْ فِي مَرَضٍ يَضِيقُ مِنْهُ الْخُلُقُ أَوْ فِي ثَوْرَةٍ مِنَ الْغَضَبِ أَوْ فِي حَالِ السُّكْرِ (وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَا يَقَعُ طَلَاقُهُ: لَا يَصِحُّ).
- (٩) ١٣٥٠/٦/٨ م.
- (١٠) الْأَبْدَالُ جَمْعُ بَدَلٍ (يَفْتَحُ فَتْحُ أَوْ بِكْسَرٍ فَسُكُونٍ) وَبَدِيلٌ: وَالْأَبْدَالُ (فِي الصُّوفِيَّةِ) طَبَقَةٌ تَلِي طَبَقَةَ الْأَقْطَابِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَا يَخْلُو: الْعَالَمُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (لَأَنَّهُمْ الصَّلَاةُ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ).

فاخترقنا تلك الجبال مراراً
ما رأينا بها خلافَ الأفاعي
وسباع يَجْرُونَ بالليل عَدَواً؛
ولو أننا كُنَّا لدى العُدوة الأخ
وإذا أظلم الدُجى جاء إبلي
هو كان الأنيسَ فيها، ولولا
خلَّ عنكَ المُحال، يا مَنْ تَعْنَى.
يَنعَالِ طَوَّراً ودونَ نَعَالٍ،
وشبّا عَقْرِبَ كِمِثْلِ النَّبَالِ^(١)،
لا تَسَلْنِي عَنْهُمْ بتلك الليالي^(٢).
رى رأينا نَوَاجِذَ الرُّبَالِ^(٣).
سُ إلينا يَزُورُ طَيْفَ خِيَالِ^(٤).
هُ أُصِيبَتْ عَقُولُنَا بالخَبَالِ^(٥).
ليس يلقى الرجالُ غيرَ الرجالِ^(٦)!

٤-★★ المرقبة العليا ١٦٤-١٦٧؛ الإحاطة ٢: ١٠١-١٢١؛ الكتيبة الكامنة ١٢٧-١٣٤؛ الدياج المذهب ٢٩١-٢٩٥ (٣٢٣-٣٢٨)؛ نفح الطيب ٤: ١٥٣، ٤٧١-٤٨٧، ٦: ٣٨، ٨٨، ٢٦٦، ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٩ (٣٩).

لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ

١- هُوَ لِسَانُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّلْمَانِيِّ، نِسْبَةً إِلَى سَلْمَانَ وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي الْيَمَنِ؛ وَقَدْ جَاءَ أَهْلُهُ عَقِبَ الْفَتْحِ وَاسْتَقَرُّوا فِي قُرْبَةِ ثَمَّ انْتَقَلُوا، بَعْدَ وَقْعَةِ الرَّبَضِ (رَاجِعِ فَوْقَ، ص ٨٩: ٤) إِلَى طَلَيْطَلَةَ. وَلَمَّا اشْتَدَّ خَطَرُ النَّصَارَى عَلَى طَلَيْطَلَةَ، فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ

- (١) الشبا جمع شاة: إبرة العقرب التي تلسع العقرب بها.
- (٢) السبع (بفتح فـضـم): كلّ حيوان يأكل اللحم.
- (٣) العُدوة: أرض إفريقية. النواجذ جمع ناجذ: الضرس. الرُّبَال: الأسد.
- (٤) كَأَنَّهُ طَيْفُ خِيَالٍ (منام).
- (٥) الخبال: الجنون.
- (٦) الحال: المستحيل (الذي لا يَتَّفَقُ فِي الْوَاقِعِ). تَعْنَى: أَتَعَبَ نَفْسَهُ (يَطْلُبُ الْمُسْتَحِيلَاتِ). لَيْسَ يَلْقَى الرِّجَالُ... إِنَّ الرِّجَالَ مِنَ النَّاسِ لَا يَرُونَ إِلَّا رِجَالًا آخَرِينَ مِنَ النَّاسِ (وَلَا يَبْصُرُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ).

الهَجْرِيَّ الخامس ، انتقلوا (في أيام جَدَّة سعيد) إلى لُوشَة ، وكانت مدينةً كبيرة على نحوِ تسعين كيلومتراً غربَ غَرْنَاطَة . وكان سعيدٌ هذا عالماً ورعاً فجعل يُلقِي دُرُوسَه ومَواعِظَه في لُوشَة عند بُرجٍ لهم على مَقَرَبَةٍ من أُمَلاكِهِم فَعُرِفَتِ الأُسْرَة بِاسمِ آلِ الخطيب بعد أن كانت تُعرَفُ بِآلِ الوزير . وكان والدُ ابنِ الخطيبِ في خِدْمَةِ بني نَصْرٍ في ديوان الإنشاء .

وُلِدَ لِسَانُ الدين بنُ الخطيبِ في ٢٥ من رَجَبٍ من سَنَةِ ٧١٣ (١٣١٣/١١/١٦ م) في مدينة لُوشَة ونشأ فيها وفي غَرْنَاطَة . ولقد تَلَقَّى علومَه في غَرْنَاطَة على نَفَرٍ منهم: الوزيرُ أبو الحسن عليُّ بن الجِيَّاب (ت ٧٤٩ هـ) ، وأبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ الفَخَّارِ الإلبيريُّ النحوي (ت ٧٥٤ هـ) ، والمحدِّثُ أبو القاسم مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ الحسنيُّ السبكي التلمساني (ت ٧٦٠ هـ) ، والقاضي أبو البركاتِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ الحاجِّ البُلْفِيقي (ت ٧٧١ هـ) ، والمحدِّثُ الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ مرزوقِ التلمساني (ت ٧٨١ هـ) وكان قد وَقَدَ على غَرْنَاطَة ، سنة ٧٥٣ هـ ، وعيِّنَ خطيباً لمسجدِ الحَمراء فتصدَّر فيه للتدريس . وكان من شيوخِهِ أيضاً شمسُ الدين بنُ جابرِ الوادي آشي والطبيبُ الفيلسوفُ أبو زكريَّا يحيى بن هذيل .

وفي سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ - ١٣٤١ م) تَوَفَّى والدُ ابنِ الخطيبِ فحلَّ هُوَ مكانَه في ديوان الإنشاء كاتباً لأستاذه أبي الحسن بن الجِيَّاب وزيرِ السلطانِ أبي الحَجَّاجِ يوسفَ الأولِ النِّيَّارِ (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) . وفي سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) تَوَفَّى ابنُ الجِيَّابِ في الطاعونِ الجارفِ فَخَلَفَهُ لِسَانُ الدين في الوزارة ورئاسة ديوان الإنشاء (وكان رئيسُ الوزارة أو الحاجبُ أبو نعيمِ رِضْوَانُ) . ولما قُتِلَ أبو الحَجَّاجِ وخَلَفَهُ ابنُه مُحَمَّدُ (الخامس) الغنيُّ بالله ، سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) استمرَّ رِضْوَانُ في الحِجَابَةِ وَلِسَانُ الدين في الوزارة .

وسَفَرَ لِسَانُ الدين للغنيِّ بالله إلى السلطانِ المريني أبي عِنانِ فارسِ المتوَكِّلِ على الله (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) تأكيداً للمودَّة واستنجاداً على الطاغية مَلِكِ قَسْطَالَة . وعَظُمَتِ ثَقَّةُ الغنيِّ بالله في لِسَانِ الدين فَلَقَّبَهُ « ذا الوزارتين » .

وفي ٢٨ من رَمَضانَ من سنة ٧٦٠ خُلِعَ الغنيُّ بالله وَقُتِلَ الحاجبُ رِضْوَانُ ففَرَّ

الغني بالله إلى فاس ونَزَلَ على السلطان أبي سالم إبراهيم بن علي. ومع أن لسان الدين جعل يُصانع السلطان الجديد إسماعيل (الثاني) بن يوسف (٧٦٠-٧٦١ هـ) فإن السلطان الجديد لم يطمئن إليه فما عتَم، بتحريض ممن حوله، أن نكبه وصادر أمواله وأملاكه. غير أن لسان الدين استطاع الهرب فلبأ إلى فاس أيضاً والتقى في بلاط فاس المريني بـابن خلدون.

وفي مُنتَصَفِ سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) استطاع الغني بالله أن يعود إلى غرناطة ويستردَّ ملكه فاستدعى لسان الدين من فاس وردّه إلى الوزارة فعلت مكاتته من جديد وعظم نفوذه.

وغاظ ذلك الخصوم والحساد كالوزير الشاعر ابن زمرك تلميذ لسان الدين وكقاضي الجماعة في غرناطة أبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي (٧١٣-٧٩٨ هـ) فجعلوا يُحرِّضون الغني بالله عليه يتهمونه بالانحراف في ولائه وبالإلحاد. وأدرك لسان الدين أن من الأسلم مبارحة الأندلس قبل فوات الأوان فاستأذن بالذهاب إلى الحج ثم ذهب إلى فاس.

وزاد الخصوم والحساد في تحريض الغني بالله على لسان الدين فأحرقت كُتُبُ لسان الدين في غرناطة، في منتصف سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) ثم كَتَبَ الغني بالله إلى السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز المستنصر بن علي بأن يقبض على لسان الدين ويعدمه. فلم يلتفت عبد العزيز لهذا الطلب.

وفي ربيع الثاني من سنة ٧٧٤ (١٣٧٣ م) تُوُفِّيَ عبد العزيز وخلفه ابنه أبو زيان محمد السعيد، وكان طفلاً صغيراً. فساءت الأحوال بين بني الأحمر وبين بني مرين فقام بنو الأحمر بقتنة في المغرب ذهبت بمحمد السعيد وجاءت بأبي العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم، في السادس من المحرم من ٧٧٦ (١٣٧٤/٦/١٧ م). وعلى الأثر جاء ابن زمرك * إلى فاس يطالب أبا العباس أحمد بضمن الوصول إلى العرش على ما كان قد جرى الاتفاق بشأن لسان الدين. فحوكم لسان الدين محاكمة صورية وألقي في السجن. ودخل عليه قوم من الرُعاة فقتلوه في سجنه، (أوائل ٧٧٦ هـ = أواسط ١٣٧٤ م).

* زمرك (بفتح الزاي والميم أو بضمها).

٢- كان لسان الدين ابن الخطيب رجلاً مُتعدّد نواحي الشخصية واسع الثقافة مُحيطاً بوجوه كثيرة من فنون عصره بارع التعبير عن كلّ موضوع يتناوله حتّى إنّه كسّف أنوار كثيرين من الذين عاصروه. وبرّع في الفلسفة والسياسة والطب، وأمّا في التاريخ فكان مؤرّخ عصره بلا منازع.

ثمّ هو أديبٌ ناثرٌ ومُترسِّلٌ وشاعرٌ مقتدرٌ، وهو مُكثّرٌ مِنَ النتاج في النثر وفي الشعر. غير أنّه كثيرُ التكلّف في النثر والشعر معاً ممّا يدلّ على مقدرة في الفنون تجعل أسلوبه فيها قوياً مُرصّعاً فخماً، ولكنّ تسلّبه كثيراً من الطلاوة. وعلى كلّ فإنّ أدبه أعظمُ قيمة في مادّته وفي خصائصه المعنوية. ونستطيع أن نرفع شأنَ النتاج الأدبيّ لسان الدين إذا نحنُ نظرنا إليه على أنّه صورةٌ صحيحةٌ أُمينةٌ للعصر الذي عاش فيه. فَمِنْ شعره الجميلِ ذي العاطفةِ والأثرِ في النفوسِ قوله لما جاء سفيراً إلى أبي عَنانٍ يستنجدُه على الطاغية ملك قشتالة (نفع الطيب ٥ : ٩٨-٩٩):

خليفة الله، ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجى قمر؛
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه البشر.
وجهمك في النائبات بدر دجى	لنا، وفي المحل كُفك المطر ^(١) .
والناس طراً بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا ^(٢) .
وجملة الأمر أنه وطن	في غير عليك ما له وطر.
ومن به - مذ وصلت جبلهم -	ما جحدوا نعمة ولا كفروا.
وقد أهمتهم بأنفسهم	فوجهوني إليك وانتظروا!

ولسان الدين بن الخطيب مُصنّفٌ خصبٌ له كُتبٌ قيّمة منها: الحُلل المرقومة (= رقم الحلل في نظم الدول): تاريخ منظومٌ شعراً للملك المشرق والمغرب والأندلس يتخلّله

(١) الحِل: القحط، الجفاف (حين لا تثبت الأرض شيئاً).

(٢) طراً: جيعاً. أوطن الرجل المكان: اتّخذهُ وطناً. عمر الرجل الأرض: سكنها، وعمر الرجل الدار: بناها.

شروحٌ نثراً - اللوحة البدرية في الدولة النصرية (مختصر لتاريخ بني نصرٍ في غرناطة حتى سنة ٧٦٥ هـ) - الإحاطة في أخبار غرناطة - أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - التاج المحلى في مساجلة القذح الملقى (تاريخ مملكة بني نصر) - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (أخباره ووصف أحواله في أثناء منفاه بالمغرب) - خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف (رحلة في مدن الأندلس) - مقنعة السائل عن المرض الهائل (وصف الطاعون الجارف الذي كان سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - ربحانة الكتاب ونجعة الكتاب (ملخصات من عدد من كتبه ثم من عدد من الرسائل) - مغيار الاختيار في ذكر المشاهد والديار (.... المعاهد والآثار) - السحر والشعر (مختارات من شعر شعراء المشرق وشعراء الأندلس) - الكنية الكامنة في من لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة - كناسة الدكان بعد انتقال السكان (رسائل متبادلة بين السلطان أبي الحجاج يوسف ملك غرناطة والسلطان أبي عنان المريني) - مفاضلة (مفاخرة) بين مألقة وسلا - طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر (مختصر للوحة البدرية) - الإكليل الزاهر في من فصل (؟) عند نظم التاج والجواهر (وهو تكملة لكتاب المحلى) - كتاب عمل من طب لمن حب (في الطب) - الوصول لحفظ الصحة في الفصول (في الطب والحمية، إلخ) - بستان الدول (كتاب في السياسة والحرب والقضاء وطبقات المجتمع، لم يتم) - درة التنزيل وغرة التأويل - المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية (ترجمة حياته) - الدرر الفاخرة واللُجج الزاخرة (مجموع شعر أستاذه أبي جعفر بن صفوان) - مجموع من شعر ابن الجيآب - مجموعة من مؤشحات أئمة التوشيح بالأندلس - عائد الصلة (تتمة لكتاب الصلة لابن الزبير) - ديوان شعره .

٣ - مختارات من آثاره :

- موشحة لسان الدين بن الخطيب المشهورة، وهي معارضة لموشحة ابن سهل الأندلسي راجع ص ١٧٤ ؛ ثم راجع آخر هذه الموشحة) :
جاءك الغيثُ، إذا الغيثُ همى ، يا زمان الوصل بالأندلس .

لم يكن وصلوك إلا حُلماً في الكرى أو خلسة المختلس!

إذ يقود الدهر أشتات المنى زُمرّاً بين فرادى وتُنا،
والحيا قد جَلَل الروض سناً؛ وروى النعمانُ عن ماء السماء.
فكساه الحسنُ ثوباً مُعلماً يَزدهي منه بأهى ملبس^(٥).
- يَنْقُلُ الخطو على ما نَرَسِمُ^(١).
مثلاً يدعو الوفودَ الموسِمُ^(٢).
فتغورُ الروضَ عنه تبسّمُ^(٣).
كيفَ يزوي مالكٌ عن أنسٍ! أثر^(٤) فينا عيونُ التّرجسِ^(٨).
في الدّجى لولا شمسُ الغررِ^(٦).
مُسْتَقِيمَ السّيرِ سَعَدَ الأثرُ^(٧).
أنه مرّ كلمح البصرِ.
هجم الصبحُ هجومَ الحرسِ.
أثرتُ فينا عيونُ التّرجسِ^(٨).

أي شيءٍ لامرئٍ قد خلّصاً تنهبُ الأزهارُ فيه الفرصاً
فيكونَ الروضُ قد مُكِّنَ فيه^(٩)؟
أمنتُ من مكرِهِ ما تَتَّقِيهِ^(١٠).

(١) يفعل ما نشتهي نحن.

(٢) الموسم: العيد، المناسبة التي يجتمع فيها الناس.

(٣) الحيا: المطر. سنا: ضياء، بهاء، جمال.

(٤) النعمان: شقائق النعمان (زهر بري أحمر). النعمان: أحد ملوك الحيرة. ماء السماء: المطر. ماء السماء: ماوية أم المنذر الثالث ملك الحيرة أحد أسلاف النعمان المذكور. مالك فقيه عظيم مشهور هو صاحب المذهب المالكي. أنس: والد مالك، وكان خادماً لرسول الله ولم يكن له شيء من علم ابنه مالك.

(٥) مزين، مزخرف.

(٦) الغرر جمع غرة بضم الغين: القصة (بضم القاف): الشعر في مقدمة الجبهة.

(٧) نجم الكأس: الحبيب الذي يطفو على كأس الخمر. مال نجم الكأس: انحدرت الخمر في حلوقنا، شربناها.

(٨) غارت الشهب بنا: انحدر حباب الخمر (أو الخمر) في حلوقنا. عيون الترجس (زهر أبيض وفي وسطه شيء أصفر): عيون النساء الحسان. - سكرنا من الخمر ومن عيون الحسان

(٩) أي الناس صَفَّتْ له الحياة وعاش مطمئناً حتى يكون الروض دائماً أخضر مزدهراً؟.

(١٠) - من أجل ذلك تتفتح الأزهار ثم تذبل من تلقاء نفسها حتى تأمن أن يفدّر بها الزمن ويقضي عليها وهي =

وإذا الماء تناجى والحصى،
تُبصرُ الوردَ غيوراً برماً
وترى الآسَ لبيباً فيها

يا أهيلَ الحيّ من وادي الفضا،
ضاق عن وجدي بكم رخبُ الفضا؛
فأعيدوا عهدَ أنسٍ قد مضى
واتقوا الله وأخيوا مُغرماً
حبس القلبَ عليكم كرمًا،

وبقلبي منكم مُقتربُ
قمرٌ أطلعَ منه المغربُ
قد تساوى مُحين أو مُذنبُ
أحورُ المقلّة مَعسولُ اللّمي
سدّد السهمَ فأضْمى إذ رمى

وبقلبي منكم مُقتربُ
قمرٌ أطلعَ منه المغربُ
قد تساوى مُحين أو مُذنبُ
أحورُ المقلّة مَعسولُ اللّمي
سدّد السهمَ فأضْمى إذ رمى

وَبَقْلِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ^(١)،
لستُ أدري شرقه من غربه.
تُنقِدُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ^(٢)،
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ؛
أَقْتَرَضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ؟

بأحاديثِ النّسى وهو بعيدُ:
شَقْوَةُ الْمُضْنَى وهو سعيذُ.
في هواه بين وعدٍ ووعدٍ.
جالَ في النّفسِ مَجَالُ النّفسِ^(٣)؛
بفؤادي نَبْلَةَ الْمُفْتَرَسِ.

بأحاديثِ النّسى وهو بعيدُ:
شَقْوَةُ الْمُضْنَى وهو سعيذُ.
في هواه بين وعدٍ ووعدٍ.
جالَ في النّفسِ مَجَالُ النّفسِ^(٣)؛
بفؤادي نَبْلَةَ الْمُفْتَرَسِ.

إِنْ يَكُنْ جَارَ، وَخَابَ الْأَمَلُ
فَهَوَ لِلنَّفْسِ حَيِّبٌ أَوَّلُ؛

- وفؤاد الصّبّ بالشوق يدوب -
ليس في الحبِّ لَهْجوبِ ذُنُوبُ.

- = غافلة (للأزهار مددٌ معيّنة قصيرة تتوفيها الأزهار كلّ عام، بخلاف الإنسان الذي لا يعلم متى يدركه الموت، وقد يدركه الموت قبل أن يحقق شيئاً من الغاية من الوجود).
- (١) الماء يناجي الحصى (٢): يكلمه سراً، يوسوس له (كناية عن الصوت الذي يحدّثه ماء النهر عند مروره على الحجارة).
- (٢) ورقة الآس تشبه أذن الحصان الفقيّ. - كأن الآس بانتصاب أوراقه يحاول أن يحتلّ السمع ويعرف ما تحدث به.
- (٣) وادي الفضا قرب مكة.
- (٤) العاني: الأسير، أسير حِكَم.
- (٥) الحبس (في المشرق): الحبوس، (في المغرب): الوقف (الأوقاف)، الموقف (قلي الموقف على حِكَم).
- (٦) الحور: شدة بياض العين وشدة سواد سوادها. اللّمي: السمرة في الثفة.

أمره مُعْتَمَلٌ مُتَشَلِّلٌ في ضلوعٍ قد بَرَّاهَا وقلوبُ^(١).
حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا، لم يراقبُ في ضِعَافِ الأنفُسِ.
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا، ويُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي.
مَا لِقَلْبِي كَلِمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ^(٢)!
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ^(٣)؟
جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصْبَا فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدِ جَهِيدُ^(٤)
لَاعَجٌ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا، فَهَوَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبَسِ^(٥)
لَمْ يَدَعْ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا ذَمَا كِبْقَاءَ الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَلَسِ^(٦).
سَلَمِي، يَا نَفْسُ، فِي حُكْمِ الْقَضَا وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابِ^(٧).
دَعَكِ مِنْ ذِكْرِ زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُنْيِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابِ^(٨)
وَاصْرِفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَا مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ^(٩).
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى أَسَدِ السَّرَجِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ^(١٠)

- (١) أمره (أمر المحبوب): حكمه، إرادته. معتمَل (معناها في هذا النص): يجب العمل به. متشل: تجب طاعته. ولكن أمر المحبوب صعب التنفيذ ييري الحب: يجعله غيلاً، هزلاً، مريضاً.
(٢) الصبا، ريح الشرق. عيد، الأمر الذي يعود مرة بعد أخرى.
(٣) اللوح المحفوظ: المقضي به في علم الله على البشر، المكتوب عليهم منذ الأزل. ﴿إن عذابي لشديد﴾ تضمين من سورة إبراهيم (١٤: ٧).
(٤) الوصب: التعب. الأشجان (جمع شجن بفتح ففتح): الأحزان. للأشجان: من الأشجان. جهد جهيد: تعب شديد جداً.
(٥) اللعاج: العاطفة المتقدة، الهوى الشديد المحرق.
(٦) الدماء: بقية الروح في الجسد. الفلَس: الظلام في آخر الليل. كبقاء الصبح بعد الفلَس (الملوح أن الشاعر يقصد أن يقول: «شيئاً قليلاً»، ولكن التشبيه لا يؤدي هذا المعنى).
(٧) - أقبلني بقضاء الله. أعمرني (أقضي) الوقت برجعى (بالرجوع إلى الله).
(٨) العتاب: اللوم على ما فات. العنَى: الرضا (بعد العتاب).
(٩) أم الكتاب: سورة الفاتحة (الأولى في المصحف).
(١٠) المنتهى: النهاية (أي ذاته، ذات المدوح وشخصه). المنتمى (أسلافه). أسد السرج (البطل إذا ركب الخيل، في الحرب). بدر المجلس (السيد الذي تتجه إليه الأنظار في كل اجتماع).

يَنْزِلُ النُّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلًا يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (١)

مُصْطَفَى اللَّهِ سَمِيَّ الْمُصْطَفَى الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ (٢)
مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ الْعَهْدَ وَفَى وَإِذَا مَا قُبِحَ الْخَطْبُ عَقْدٌ (٣)
مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَكَفَى، حَيْثُ بَيْتُ النُّصْرِ مَرْفُوعُ الْعَمَدِ (٤)
حَيْثُ بَيْتُ النُّصْرِ مَخْمِيُّ الْحِمَى وَجَنَى الْفَضْلِ زَكِيُّ الْمَغْرَسِ
وَالْهَوَى ظِلُّ ظَلِيلٍ خَيْمًا، وَالتَّوْدَى هَبَّ إِلَى الْمَغْرَسِ (٥)

هَا كَهَا يَا سِنَطَ أَنْصَارِ الْعُلَا وَالَّذِي إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالَ (٦)
غَادَةً أَلْبَسَهَا الْحُسْنَ مُلَا تَبَهَّرَ الْعَيْنَ جَلَاءً وَصِقَالَ (٧)
عَارَضَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحُلَى قَوْلٌ مَنْ أَنْطَقَهُ الْحُبُّ فَقَالَ :
(هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهَ عَنْ مَكْنَسِ (٨)
فَهَوَ فِي حَرٍّ وَخَفَّقَ مِثْلًا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ).

- وقال لما زار قبر المعتمد بن عباد في أغمات بإفريقية:

قد زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوَعٍ بِأَغْمَاتٍ: رَأَيْتُ ذَلِكَ مَنْ أَوْلَى الْمَهْمَاتِ.

-
- (١) روح القدس: جبريل.
(٢) مصطفى الله (الذي اختاره الله) سمي (المشابه بالاسم) المصطفى (محمد رسول الله). الغني بالله (محمد الخامس الغني بالله من ملوك بني نصر في غرناطة).
(٣) إذا قبح الخطب (إذا اشتدت الأمور) عقد (العزم وكان حازماً في معالجتها) في نفح الطيب (٧: ١٤): فتح (بالبناء للمجهول).
(٤) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري من دعاة العرب (راجع المحرر لابن حبيب، ص ١٥٥، و ١٨٤). وبنو نصر أصحاب غرناطة كانوا يردون نسبهم إلى قيس بن سعد.
(٥) الندى: بخار الماء المعلق في الهواء (في الليل). - من يزرع جنينة يتمتع بالجو الجميل الذي ينشأ منها!
(٦) السبط (حفيد الرجل من أبنائه).... إن عثر الدهر بأحد أقاله (أنهضه من عثرته) أو إذا عثر الدهر نفسه، فإن محمداً الخامس الغني بالله يمكن أن يساعد الدهر على النهوض!
(٧) الغادة: المرأة الجميلة (القصيدية). الملاءة: ثوب يشر على الفراش (وثوب سابع تلبسه المرأة) جميعها ملاء (بضم الميم أيضاً).
(٨) الصب: المحب. حلّه: نزل فيه، سكنه. المكس والكناس (بالكسر): بيت الغزال.

لَمْ لَا أَزُورُكَ، يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مَضْرَعَهُ
أَنَافَ قَبْرُكَ فِي هَضْبٍ يُمَيِّزُهُ
كُرِّمْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَأَشْهَرْتَ عَلَا،
مَارِيءٌ مِثْلَكَ فِي مَاضٍ؛ وَمُعْتَقَدِي
وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمُدْلِهَمَّاتِ^(١)
إِلَى حَيَاتِي، لَجَادَتْ فِيهِ أَيْيَاتِي.
فَتَنْتَحِيهِ حَفِيَّاتُ التَّحِيَّاتِ^(٢)
فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتٍ.
أَلَا يُرَى - الدَّهْرَ - فِي حَالٍ وَلَا آتِي^(٣).

- التاريخ (من مقدّمة «الإحاطة»)

.... وَلَمَّا كَانَ الْفَنُّ التَّارِيخِيُّ مَأْرَبَ الْبَشَرِ وَوَسِيلَةً إِلَى ضَمِّ النُّشْرِ^(٤) يَغْرِفُونَ بِهِ
أَنْسَابَهُمْ فِي ذَلِكَ شَرْعًا وَطَبْعًا وَمَافِيهِ، وَيَكْتَسِبُونَ بِهِ عَقْلَ التَّجَرُّبَةِ فِي حَالِ السَّكُونِ
وَالرَّفِيهِ^(٥)، وَيَسْتَدْلُونَ بِبَعْضِ مَا يُسَدِّي بِهِ الدَّهْرُ وَيَسْفِيهِ، وَيَرَى الْعَاقِلُ مِنْ تَصْرِيفِ
قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَشْرَحُ صَدْرَهُ بِالْإِسْلَامِ وَيُخْفِيهِ، وَيَمُرُّ عَلَى مَصَارِعِ الْجَبَابِرَةِ فَيَحْسِبُهُ
بِذَلِكَ وَاعْظًا وَيَكْفِيهِ. وَكَتَابُ اللَّهِ يَتَخَلَّلُهُ مِنَ الْقَصَصِ مَا يُتِمُّ هَذَا الشَّاهِدَ لِهَذَا الْفَنِّ
وَيُؤْفِقُهُ. قَالَ تَعَالَى^(٦): ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْنَا بِهِ فَوَادِّكَ﴾. وَقَالَ
عَزَّ مِنْ قَائِلٍ^(٧): ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَإِنْ
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

فَوَضَّحَ سَبِيلُ مُبِينٍ، وَظَهَرَ أَنَّ الْقَوْلَ بِفَضْلِهِ يَقْتَضِيهِ عَقْلٌ وَدِينٌ^(٨). وَإِنَّ بَعْضَ
الْمُصَنِّفِينَ مِمَّنْ تَرَكَ نَوْمَهُ لِمَنْ دُونَهُ، وَأَنْزَفَ مَاءَ شَبَابِهِ مُودِعًا إِيَّاهُ بَطْنُ كِتَابِهِ يَقْصِدُهُ

-
- (١) الليل المدلهم: الشديد الظلام (المصائب الكبيرة).
(٢) أناف: علا، ارتفع. انتحى: مال إلى ناحية. الحفي: الذي يهتم بالأمر (تأتيه التحيات المخلصة من كل جانب).
(٣) ربيء (رؤي). الدهر (بالنصب): طول الدهر.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) لعلها: السكون الرفيه (بلا واو العطف): السكون في سعة من العيش.
(٦) القرآن الكريم ١١: ١٢٠، هود.
(٧) القرآن الكريم ١٢: ٣، يوسف.
(٨) فضله = بفضل التاريخ.

الناسُ وَيَرِدُونَهُ ^(١) اخْتَلَفَتْ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ أَغْرَاضُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِإِثْبَاتِ حَوَادِثِ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِرِجَالِهِ بَعْدَ اخْتِيَارِ الْأَعْيَانِ عَجْزاً عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَذَا الشَّانِ، عَمُومًا فِي أَكْثَرِ الْأَقْطَارِ وَخُصُوصًا فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ (ثُمَّ يَمُدُّ لِسَانَ الدِّينِ أَسْمَاءَ نَفَرٍ كَثِيرِينَ أَلْفَوْا كِتَابًا فِي تَارِيخِ مَدَنِهِمْ).

فَدَاخَلْتَنِي عَصَبِيَّةٌ لَا تَقْدَحُ فِي دِينٍ وَلَا مَنْصِبٍ ^(٢)، وَحَمِيَّةٌ لَا يُذَمُّ فِي مِثْلِهَا مُتَعَصِّبٌ،.... وَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ ^(٣) الَّتِي لَا خَفَاءَ بِمَا وَفَّرَ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ إِثَارِهَا وَأَرَادَهُ مِنْ جَلَالِ مِقْدَارِهَا، جَعَلَهَا ثَمَرُ الْإِسْلَامِ وَمُتَبَوِّأَ الْعَرَبِ الْأَعْلَامِ قَبِيلٍ ^(٤) رَسُولُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ وَمَا خَصَّهَا مِنْ اعْتِدَالِ الْأَقْطَارِ وَجَرَيَانِ الْأَنْهَارِ وَانْفَسَاحِ الْإِعْتَارِ وَالتَّفَافِ الْأَشْجَارِ.. نَزَلَهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ مُخْتَطِئِينَ فَعَمَرُوا وَأَوْلَدُوا ^(٥) وَأَثْبَتُوا الْمَفَاخِرَ وَخَلَّدُوا.....

وَقَدْ كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْغَافِقِيُّ ^(٦)، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، قَدْ قَامَ مِنْ هَذَا الْبَغْرِضِ بِفَرَضٍ وَأَقَى مِنْ كُلِّ بِنْعَضٍ. فَلَمْ يَشَفْ مِنْ غَلَّةٍ، وَلَا سَدِّ خَلَّةٍ، وَلَا كَثَرِ قَلَّةٍ ^(٧) فَقُمْتُ بِهَذَا الْوُظِيفِ وَانْتَدَبْتُ لِلتَّأْلِيفِ. وَرَجَوْتُ عَلَى نِزَارَةِ حَظِّ الصَّحَّةِ وَازْدِحَامِ الشَّوَاغِلِ الْمُلْحَّةِ أَنْ أَضْطَلِعَ مِنْ هَذَا الْقَصْدِ بِالْعِبَاءِ الَّذِي طَالَمَا طَاطَأْتُ لَهُ الْأَكْبَادُ ^(٨).....

- (١) لَمْ يَكُنْ هُوَ دُونَهُ (أَقْلَ مِنْهُ، لَمْ لَا تَسْمُو نَفْسَهُ إِلَى جَلِيلِ الْأُمُورِ) وَمَنْ قَضَى أَيَّامَ شِبَابِهِ (نَشَاطُهُ) يَدُونَ التَّارِيخَ (بِإِخْلَاصٍ) يَقْصِدُهُ النَّاسُ لِيَرِدُوا مِنْ مَوْرَدِهِ (يَشْرِبُوا مِنْ نَبْعِهِ: لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهُ).
- (٢) الْعَصَبِيَّةُ: شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِأَهْلِ الرَّجُلِ (وَلَوْ أَسَاءَ ذَلِكَ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ). لَا يَقْدَحُ: لَا يَعِيبُ. الْمَنْصِبُ: الْمَكَانَةُ.
- (٣) الْحَضْرَةُ: الْعَاصِمَةُ (غَرْنَاطَةُ).
- (٤) الثَّمَرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَخْشَى مِنْهُ مَجِيءُ الْعَدُوِّ (حُدُودُ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى بِلَادِ الْأَعْدَاءِ الْمَحَارِبِينَ).
- (٥) الْمُتَبَوِّأُ: الْمَسْكَنُ وَالْمُسْتَقَرُّ. الْقَبِيلُ: الْقَوْمُ، الْأَهْلُ.
- (٦) اخْتَطَّ: أُنْشَأَ خُطَّةً (بَكْسَرِ الْحَاءِ): مَكَانَ السَّكَنِ (الْبَلَدِ، الْمَدِينَةِ). عَمَرُ الْأَرْضِ: سَكَنَهَا وَأُنْشَأَ فِيهَا حَيَاةً عَمْرَانِيَّةً (اِقْتِسَادِيَّةً وَاجْتِمَاعِيَّةً). أَوْلَدُوا: جَاءَهُمْ أَوْلَادٌ (نَسْلٌ)، أَيْ عَاشُوا فِيهَا مَدَّةً طَوِيلَةً.
- (٧) لَمَلَهُ أَبُو يَحْيَى الْيَسَعَ بْنِ عِيسَى بْنِ الْيَسَعَ الْغَافِقِيُّ الْجَيَّانِيُّ (ت ٥٧٥ هـ)، كَانَ لَهُ اشْتِغَالٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ (رَاجِعُ نَفْحِ الطَّيِّبِ ١: ١٣٧، ١٦٤، ٢٠٨ وَسَائِرُ الْمَظَانِّ الْوَارِدِ ذِكْرُهَا فِي فِهْرَتِهِ).
- (٨) الْغَلَّةُ: الْعَطَشُ. الْحَلَّةُ: الْفُرْجَةُ، الثَّقْبُ الصَّغِيرُ، الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ. الْوُظِيفُ: عَظْمُ دَقِيقٍ فِي السَّاقِ (وَهُوَ يَقْصِدُ الْوُظِيفَةَ: الْعَمَلَ الَّذِي يَقْدُرُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ). وَانْتَدَبْتُ (نَفْسِي) لِلتَّأْلِيفِ.
- (٩) الشَّوَاغِلُ لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ. الْمَقْصُودُ الْأَشْغَالُ جَمْعُ أَشْغُولَةٍ (بِالضَّمِّ): مَا يَشْغُلُ (بِفَتْحِ الْغَيْنِ) الْإِنْسَانَ وَيُلْهِمُهُ. الْكَدُّ (بِفَتْحِ الْفَتْحِ): الْكَاهِلُ (مَجْتَمِعُ الْكَفَّينِ).

والترتيبُ الذي انتهتُ إليه حيلتي وصَرَفْتُ في اختياره مُخَيَّلَتِي هو أنني ذَكَرْتُ
البلدة^(١)، حاطَهَا اللهُ، مُنَبِّهاً منها على قديمها وطيبِ هوائها وأديمها، وإشراقِ علاها
ومَحاسنِ حُلاها، ومن سَكَنها وتولَّأها، وأحوالِ أناسِها ومن دال^(٢) بها من ضُروبِ
القبائلِ وأجناسِها، وأعطيتُ صورتَها وأرَّختُ في الفخرِ ضرورتَها. وذكرتُ الأسماءَ على
الحروفِ المُبَوَّبةِ^(٣) وفَصَّلْتُ أجناسَهُم بالتراجُمِ المرتَّبةِ: فذكرتُ الملوكَ والأُمراءَ ثم
الأعيانَ والكُبراءَ ثم الفضلاءَ ثم القضاةَ ثم المُقرَّنينَ والعلماءَ ثم المُحدثينَ والفُقهَاءَ وسائِرَ
الطَّلَبَةِ الثَّجَبَاءِ ثم الكُتَّابَ والشُعراءَ ثم العَمَّالَ والأثَرَاءَ^(٤) ثم الزُهَّادَ والصُّلَحَاءَ
وَالصُّوْفِيَّةَ والفُقراءَ لِيَكُونَ الْإِبْتِدَاءُ بِالْمُلْكِ وَالْإِخْتِتامُ بِالسُّكِّ وَلِيُنْتَظَمَ الْجَمِيعُ انْتِظَامَ
السُّلْكِ^(٥). وكلُّ طَبَقَةٍ تنقسمُ إلى من سَكَنَ المَدِينَةَ بِحُكْمِ الْأَصَالَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ أَوْ طَرَأَ
عَلَيْهَا مِمَّا يُجَاوِرُهَا مِنَ الْأَقْطَارِ أَوْ خَاضَ إِلَيْهَا - وَهُوَ الْغَرِيبُ - أَثْبَاجَ^(٦) الْبَحَارِ أَوْ
أَلَمَ بِهَا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ. فَإِنْ كَثُرَتْ الْأَسْمَاءُ نَوَّعْتُ وَتَوَسَّعْتُ، وَإِنْ قَلَّتْ اخْتَصَرْتُ
وَجَمَعْتُ. وَآثَرْتُ تَرْتِيبَ الْحُرُوفِ فِي الْأَسْمَاءِ ثُمَّ فِي الْأَجْدَادِ وَالْآبَاءِ لِشُرُودِ الْوَفَايَاتِ
وَالْمَوَالِيدِ الَّتِي رَتَّبَهَا الزَّمَانُ عَنِ الْإِسْتِقْصَاءِ^(٧). وَذَهَبْتُ إِلَى أَنْ أَذْكَرَ الرَّجُلَ وَنَسَبَهُ
وَأَصَالَتَهُ وَحَسَبَهُ وَمَوْلَدَهُ وَبَلَدَهُ وَمِزَاجَهُ وَأَنْحَالَه^(٨) وَالْفَنَّ الَّذِي دَعَا إِلَى ذِكْرِهِ،
وَحِلَّتِيَّةَ وَمَشِيخَتَهُ^(٩) - إِنْ كَانَ مِّنْ قَيِّدٍ عِلْمًا أَوْ كِتَبِهِ - وَمَآثِرَهُ إِنْ كَانَ مِّنْ وَصَلِ الْفَضْلِ

(١) البلدة (غرناطة).

(٢) دال فلان دالة ودولة: صارت له دالة (نصيب ودور في الحكم).

(٣) على الحروف (كما ترتَّب في القاموس).

(٤) العَمَّال: الولاة على المدن. الأثراء ليست في القاموس (لعله يقصد الفضلاء، ذوي الفضل والمكانة الاجتماعية في بلدانهم).

(٥) بالملك (أهل القوة). الاختتام بالسك (بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب ممثلاً لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(٦) الشج: وسط النهر (ووسط البحر أيضاً).

(٧) - يقصد أن الحصول على تاريخ مولد الأشخاص ووفاتهم ليس سهلاً في كلِّ حين.

(٨) الأنحال ليست في القاموس (لعله يقصد جمع نحلة - بكسر النون - الطريقة التي يحصل الإنسان بها معاشه).

(٩) حليته (صفاته وأحواله). مشيخته (أساتذته).

سَبَّيْهِ ^(١) وشِعْرَهُ إِنْ كَانَ شَاعِراً، وَأَدَبُهُ وَتَصَانِيفُهُ إِنْ كَانَ مِمَّنْ أَلْفَ فِي فَنٍّ وَهَذَبَةٍ، وَمِخْتَنَّتُهُ إِنْ كَانَ مِمَّنْ بَرَّهَ الدَّهْرُ وَسَلَبَهُ ^(٢)، ثُمَّ وَفَاتَهُ وَمُنْقَلَبُهُ إِذَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ مِنْ مَنْحِهِ حَيَاتَهُ مَا وَهَبَهُ ^(٣).

وجعلتُ هذا الكتابَ قِسْمَيْنِ وَمُسْتَمَلّاً عَلَى فَنَيْنِ: الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي حُلَى الْمَعَاهِدِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِنِ، وَالْقِسْمَ الثَّانِي فِي حُلَى الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ.

- ٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ؛ الجزء الأول (حققه عبد الله عِنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ=١٩٥٥ م.
- الإشارة في أدب الوزارة في السياسة (تحقيق عبد القادر زمامة)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٢ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام: قسم المغرب (أو إفريقية: تونس) (نشره حسن حسني عبد الوهاب)، بلرم في جزيرة صقلية ١٩١٠ م؛ الكتاب كلّهُ (تحقيق ليفي بروفنصال)، الرباط ١٩٣٤ م، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م؛ الجزء الثالث (ب عنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) (تحقيق أحمد مختار المبادي ومحمد إبراهيم الكتّاني)، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٤ م؛ موجز تاريخ إسبانية (ملشور أنطونيا)، مدريد ١٩٣٣ م؛
- أوصاف الناس ^(٤)
- جيش التوشيح (حققه هلال ناجي)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
- الحُلل المَرْقُومَة أو رقم الحُلل في نظم الدُّول، تونس (المطبعة العمومية) ١٣١٦ هـ؛ (قسم صقلية) ١٧٩٠ م.

- الحُلل المَوْشِيَة في (ذكر) الأخبار المراكشية (*) (تحقيق بشير الفورقي)، تونس ١٩١١ م=١٣٢٩؛ (تحقيق علّوش)، الرباط ١٩٣٦ م.
- ديوان الصيّب والنجّام والماضي والكّهام (دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر) الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٣٩٣ هـ=١٩٧٣ م.

(١) ... وصل إلى مكاتنه في قومه بسبب علمه (١).
 (٢) الهنة: المصيبة والثقاء يصيب الإنسان. برّ: غلب وسلب.
 (٣) أذكر وفاته، إذا كان قد توفّي في أهامي.
 (*) في نسبة هذا الكتاب «الحلل المَوْشِيَة» إلى لسان الدين بن الخطيب شكّ. ذكر علّوش أن الكتاب لمؤلف مجهول. راجع أيضاً الأعلام للزركلي ٧: ١١٣ (٦: ٢٣٥).

- روضة التعريف بالحبيب الشريف (تحقيق عبد القادر أحمد عطار عبد الستار)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٨ م.
- رجانة الكتاب ونجمة الكتاب (قطع منه) ١٩١٦ م.
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، فاس (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- كناسة الدكان بعد رحيل السكان (تحقيق محمد كمال شبانة)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٦ م.
- اللوحة البدرية في الدولة النصرية (صححه محب الدين الخطيب)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (دار الآفاق) ١٩٧٨ م.
- مجموع رسائل (★).
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (نشره أحمد مختار العبادي)، الاسكندرية (مطبعة جامعة الاسكندرية) ١٩٥٨ م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار (مولر)، منش: ميونيخ ١٨٦٦ م؛ فاس ١٣٢٥ هـ.
- مفاخرة مألقة وسلا (مولر)، منش: ميونيخ ١٨٦٦ م.
- مقنعة السائل في المرض الهائل (مولر) منش ١٨٦٣ م.
- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب (تقديم أحمد مختار العبادي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للتوزيع والنشر) ١٩٦٣ م.
- ★★- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نشره دوزي- دوغات- كرايل- رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٥-١٨٦١ م؛ مصر (بولاقي) ١٢٧٩ هـ؛ مصر (المطبعة الأزهرية (١٣٠٤ هـ)؛ (حققه محمد محي الدين عبد الحميد)، بر بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٦٩ هـ؛ (حققه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ= ١٩٦٨ م.
- ابن الخطيب: حياته وكتبه، تأليف محمد بن أبي بكر التطواني وعبد العزيز بن عبد الله (معهد مولاي الحسن)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٤ م.
- ابن الخطيب وزير غرناطة، تأليف عبد الهادي أبي طالب، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٥٠ م؛ الدار البيضاء ١٩٦٠ م.
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، بقلم عبد العزيز بن عبد الله، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٣ م.
- نيل الابتهاج ٢٦٤-٢٦٥؛ الدرر الكامنة ٣: ٢٤٤-٢٤٧ (رقم ١٢٦١)، ٣: ٤٦٩-٤٧٤؛ ثير فرائد الحمان ٢٩٢-٢٩٣؛ وفيات ابن قنفذ ٣٧٠-٣٧٢؛ درة

(★) مجموع رسائل، لعلّه «مشاهدات لسان الدين.....».

الحجال ٢: ٢٧١-٢٧٤؛ شذرات الذهب ٦: ٢٤٤-٢٤٧؛ نفح الطيب ١: ٧٠-٨٠،
 ١٠٥-١١٢، ١١٥-١١٧، ١٢٥-١٢٦، ١٨٦-١٩٠، ٣٢١-٣٢٦، ٤٥٣-٤٥٤،
 ٥٠٥-٥١٩، ٤: ٤٠٤-٤٤٦ (رسائل من إنشائه)، ٥: ٧ إلى آخر الجزء، ٥: ٧-١٣،
 ٤٥-٤٥، ٦٠-١٣٨، ١٦٢-٢١٣، ٢١٩-٢٢٧، ٢٣٠ وما بعد، ٢٦٨-٣٨٠،
 ٣٨٥-٤٤٦، ٤٤٧-٥١٥ (في الصفحات السابقة ثغرات قصيرة)، ٧: ٦٥-٦٨،
 ٩٧-١٠٨، ١٤٥ وما بعد (تلاميذه)؛ أزهار الرياض ١: ٣٠-٣٤، ٦٢-٦٣،
 ٦٤-٦٥، ١٧٩، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٤-٢٣١، ٢٤٩-٢٩١، ٣٣٦-٣٣٦، ٥: ٢-٦،
 ٧-١١، ١٦٤-١٦٦، ٢١٣-٢١٥، ٢١٨، ٣٠١-٣٠٢، ٣٧٦؛ الاستقصا ٢:
 ١٠٥-١١٩، ١٢٥-١٢٨، ١٣٢، ١٣٤-١٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
 ٣٨٥-٣٨٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٧-٣٤٠، الملحق ٢: ٣٧٢-٣٧٣؛ نيكل ٣٦٣-٣٦٦؛
 مختارات نيكل ٢٠٧، ٢١٢-٢١٥؛ سر كيس ١٥٨٨-١٥٩١؛ الأعلام للزركلي ٧:
 ١١٢-١١٤ (٢٣٥: ٦)؛ بالنشأ ١٣٨-١٣٩، ٢٥١-٢٥٩، ٣٠٢ وما بعد؛ مجلة الجمع
 العلمي العربي ٢٣: ٤ (١٩٤٨/١٠)، ص ٥٢٤، ثم المجلد ٤٧، ص ٧٠؛ البحث العلمي
 ١٩٦٨/٥، ص ١٢٣؛ العربي ١٩٦٧/٦، ص ٤٧، ١٩٦٥/١٢، ص ٢٠-٢٥؛ الأصلة
 ٤: ٢٦، ص ٣٣١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢١٦-٢١٧.

ابن أبي حجلة

- ١- هو شهابُ الدين أبو العباس أحمدُ بنُ يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحدِ التِّلِمَسَانِي المعروف بابن أبي حَجَلَةَ^(١)، وُلِدَ في تِلِمَسَانَ، سَنَةَ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). رَحَلَ وَحَجَّ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَدَرَسَ الْأَدَبَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَتَوَلَّى مَشِيخَةَ الصُّوفِيَةِ بِصِهْرِيحٍ مَنَجَكَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْقَاهِرَةِ بِالطَّاعُونَ فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٧٦ (١٣٧٥/٥/٢ م) أَوْ فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ.
- ٢- كَانَ ابْنُ أَبِي حَجَلَةَ ذَا اتِّجَاهٍ دِينِيٍّ وَمِيلٍ إِلَى التَّصَوُّفِ الْمُعْتَدِلِ حَمَلَ عَلَى

(١) الحجلة طائر مكور الحجم أصفر من الدجاجة أحر المنقار والساقين، بري يصاد للحمه الطيب. قيل إن عبد الواحد الجد الأعلى لصاحب هذه الترجمة كان من المتصوفة ذوي الكرامات، وقد باضت حجلة على كفه!

القائلين بوحدة الوجود وعلى عمر بن الفارض خاصة^(١). وكان أديباً ناثراً شاعراً له قصائد ومقطعات وبديعيات ومقامات. وقد عارض جميع قصائد عمر بن الفارض ببديعيات (بمدائح في رسول الله) وهو مؤلف كثير ذكروا أن له أكثر من ثمانين كتاباً منها: ديوان الصبابة (تراجم لنفر من الشعراء المحبين ومختارات لهم) - سكردان^(٢) السلطان (الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون؛ وهو مجموع في معنى العدد «سبعة» في أرض مصر وتاريخها وسكانها وحكامها) - الطاريء على السكردان (نقل الكرام في مدح الكرام: الملك الناصر حسن) - سلوة الحزين في موت البنين - جوار الأخيار في دار القرار - الطب المسنون في دفع الطاعون - التذكير بالموت وسكنى القبور والخروج منها والنشور - دفع النعمة في الصلاة على نبي الرحمة - أنموذج القتال في نقل العوال^(٣) (في الشطرنج) - مغناطيس الدرّ النفيس (مختصر في أنواع من الأدب) - منطق الطير - الأدب الفضّ - حاطب ليل - عنوان السعادة - نحر أعداء البحر - أطيّب الطيب - النعمة الشاملة في العشرة الكاملة - السجع الجليل فيما جرى من النيل، الخ.

٣- مختارات من آثاره

الحمد لله الذي جعل «للماشقين بأحكام الغرام رضا»^(٤)، وحبّ إليهم الموت في حبّ من يهوونه «فلا تكن، يا فتى، بالحبّ معترياً»^(٥). فكم فيهم من عاشق ومحب صادق:

رأى فحبّ فرام الوصل فامتنعوا فسام صبراً فأغى نيله فقضى!

(١) وحدة الوجود أو الاتحاد مذهب متطرف في الصوفية يرى أن مجموع الوجود هو الله، وأن كل جزء منه يمثل قوة من قوى الله (وقال بعضهم: كل جزء من العالم يمثل الله!). عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) متصوّف متطرف، ولكنه أشعر شعراء الصوفية من العرب، وثاني شعراء الصوفية في العالم بعد جلال الدين الرومي (ت ٥٧٢ هـ).

(٢) السكردان....

(٣) «الحديث العالي» ما استوفت روايته شروط الصحة وكان الذين رَوَوْه قريبين من زمن رسول الله - وفي هذا التعريف شيء من الغموض - (راجع «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» لحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجة البيطار، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١٢٧).

(٤ إلى ٥) من أبيات للشاب الطريف (ت ٦٨٨ هـ).

أَحْمَدُهُ حَمْدَ « من خافَ مقامَ رَبِّهِ ونَهى النفسَ عن الهوى »^(١) ، « وشَبَّ بِذِكْرِ محبوبه ،
إن كان تِهَامِيًّا في حجازٍ أو شاميًّا في نوى »^(٢) :

طَوْرًا يَمَانٍ إِذَا لَقِيتُ ذَا يَمَنٍ ، وَإِنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي^(٣) !
وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهَ وحده لا شريكَ له الحميدُ المجيدُ : شهادةً مَنْ أصبحَ موتهُ
لِبُعْدِهِ أَقْرَبَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(٤) ، وقالَ لعاذِلِهِ : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ،
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ »^(٥) .

ولو أنَّ ما بي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمٍ^(٦) .
وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شهادةً مِنْ أَخْلَصَ فِي مُوالاتِهِ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ
تَوَلَّى عَنْهُ محبوبه بِجَنَاحِ رَبِّهِ وَبِرَاثِهِ^(٧) . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ
وَهَامَ عَاشِقُ^(٨) . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَنَا هَذَا كَمَا قِيلَ :

على أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَصْرَيْنِ غَلَبُوا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلَمْ يُفَرِّقْ
بَعْضُهُمْ فِي التَّشْيِيبِ بَيْنَ زَيْنَبَ وَالرَّبَّابِ^(٩) :

وَكُلُّ يَدْعِي وَضَلًّا بَلِيلِي ، وَلِيْلِي لَا تُقَرُّ لَهُ بِذَاكَ^(١٠) .

-
- (١) القرآن الكريم ٧٩ : ٤٠ ، النازعات .
(٢) تهامة : ساحل الحجاز . (الأرض المنخفضة بالإضافة إلى نجد) . شامياً (شامياً) من بلاد الشام (سورية) .
نوى قرية بالشام .
(٣) - حيناً انتسب إلى اليمن (عرب الجنوب) معدَّ وعدنان (جدَّان لعرب الشمال) . البيت لِعِمْران
ابن حطَّان .
(٤) حبل الوريد : تمر للدم في جانب العنق (في العنق وريدان) .
(٥) القرآن الكريم ١١ : ٧٩ هود . العاذل : اللائم .
(٦) - لو كنت أشكو من حبيب مقنَّع (امرأة محبوبة) لمان عليَّ الأمر . معممٌ : يلبس عمامة (رجل) . والبيت
للمتنبي .
(٧) الإثم : الذنب . براثه (براءته) ! .
(٨) ذرَّ (ظهر من وراء الأفق) شارق (طالع من شمس أو قمر أو نجم ما) . هام : حار من شدة الحب .
(٩) زينب والرباب : اسمان للنساء (لم يفرق بين محبوب ومحبوب) .
(١٠) البيت

فَرَبَعَ كِتَابَنَا هَذَا بِذِكْرِ الْعَامِرِيَّةِ مَعْمُورٌ^(١)، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا آلَفَ الشَّهَابُ مَحْمُودٌ
مَشْكُورٌ^(٢). وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِمَ صِحَّةَ هَذَا الْكَلَامِ وَأَنْشَدَ فِي تَصْدِيقِ هَذِهِ الدَّعْوَى
« إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ »^(٣). مُؤَلَّفُ طَوْقِ الْحَمَامَةِ « بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَجَلَتِهِ يَحْجُلُ^(٤)،
وَصَاحِبُ « مَنَازِلِ الْأَحْبَابِ » مِمَّنْ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ^(٥):

★ وَعَذَرْتُ طَيْفَكَ فِي الْحَفَاءِ لِأَنَّهُ يَسْرِي فَيُصْنِحُ دُونَنَا بِمَرَاحِلِ^(٦).

★ فَيَا دَارَهَا بِالْحَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ، وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ^(٧)!

فَإِنْ قُلْتَ « الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ »^(٨)، وَ« هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ »^(٩)! قُلْتُ:
نَعَمْ، فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ^(١٠).....

وَلَمْ يَزَلْ كِتَابُنَا هَذَا فِي مُسَوِّدَاتِهِ مُنْذُ حِجَجٍ، وَبُيُوتِهِ مِنْ بُخُورِهَا فِي لُجَجٍ^(١١): لَا
أُبَيِّحُ مَا فِي مَنَازِلِ الْأَحْبَابِ لِسَاكِنٍ وَلَا أُمَكِّنُ عَاشِقًا مِنَ الْمُرُورِ بِتِلْكَ الْأَمَاكِنِ.....
حَتَّى بَرَزَ لَطَلْبِهِ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ الْمَلَكِيُّ النَّاصِرِيُّ^(١٢)... فَبَادَرْتُ إِلَى تَجْهِيزِهِ وَسَبَّكَ

(١) الربع: المسكن. العامرية: ليلي (محبوبة قيس بن الملوّح). معمور: مسكون، عامر (يكثُر في كتابنا ذكر ليلي، وذكر الحبّ).

(٢) الشهاب: محمود بن فهد الحلبي (انظر بعد بضعة أسطر).

(٣) إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام

(٤) طوق الحمامة كتاب لابن حزم (ت ٤٥٦). الحجلة: ستر للمرأة. حجل: مشى على رجل واحدة، أو مشى يتعثر كأنه مقيّد.

(٥) منازل الأحباب ومنازه الألباب (حكايات في الحبّ وأشعار في الغزل)، تأليف شهاب الدين محمود بن فهد الحلبي (ت ٧٢٥). بات دون المنزل (المكان الأمين لتزول القوافل، إذا جاء الليل ولم تكن قد وصلت إلى بلد له سور)، قصرّ فيما أراد.

(٦) يبدو أن البيت قديم، وقد ضمّنه ابن عَنِين (ت ٦٣٠ هـ) في بعض قصائده (راجع وفيات الأعيان، بيروت ٥: ١٥).

(٧) البيت لأبي العلاء المَرِّيّ.

(٨)....

(٩) مطلع معلّقة عنتره.

(١٠) من بيت المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

فَلَيْنَ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغُلَبَاءَ نَسَبَهَا، فَإِنْ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ.

(١١) الحجة (بكسر الحاء) السنة، العام. بيوته.... في لُجَج (اللّجة: معظم الماء، الموجة الكبيرة): غير منظّم!

(١٢) الأشرف ناصر الدين شعبان (٧٦٤-٧٧٨ هـ)!!

إبريزه (١) حَسَبَ المرسومِ الشريف، بلا تَسْوِيف ولا تَكْلِيف.....

وَسَلَكْتُ فِي تَأْلِيفِهِ الْاِخْتِصَارَ وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى النُّوَادِرِ الْقِصَارِ..... وَسَمَّيْتُهُ «دِيَوَانُ الصَّبَابَةِ» لِيُصْبِحَ الْوَاقِفُ عَلَيْهِ مُؤَلَّهًا وَيَعْلَمَ إِنَّمَا أَكُنُّ أَنَا لِلصَّبَابَةِ، فَمَنْ لَهَا (٢)؟..... وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثِينَ بَابًا وَخَاتِمَةً. أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ فَفِي ذِكْرِ حَدِّ الْعِشْقِ وَاشْتِقَاقِهِ وَمَا قِيلَ فِيهِ... وَأَمَّا الْأَبْوَابُ (فَهِى): ذِكْرُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ - ذِكْرُ الْمُحِبِّينَ وَالظُّرَفَاءِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ - ذِكْرُ مَنْ عَشِقَ عَلَى السَّعَاءِ -..... ذِكْرُ الْغَيْرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَيَرَةِ - ذِكْرُ إِفْشَاءِ السَّرِّ وَالْكُتْمَانِ - ذِكْرُ الْاِحْتِيَالِ عَلَى طَيْفِ الْحَيَالِ - ذِكْرُ الْعِتَابِ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْأَحْبَابِ..... إلخ. وَأَمَّا الْخَاتِمَةُ فَفِي ذِكْرِ مَنْ مَاتَ مِنْ حُبِّهِ.....

- ٤ - دِيَوَانُ الصَّبَابَةِ، الْقَاهِرَةُ (طَبْعُ حَجَر) ١٢٧٩ هـ؛ ١٢٩١ هـ؛ ١٣٠٥ هـ؛ (بِهَامِش «تَرْيِيزِ الْأَسْوَاقِ»، لِدَاوُودِ الْأَنْطَاكِيِّ الْمَتَوَفَّى ١٠٠٨ هـ)، مِصْرَ ١٢٩١ هـ؛ الْقَاهِرَةُ (الْمَطْبَعَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ) ١٣٠٢، ١٣٠٨ هـ.
- سَكْرَدَانُ السُّلْطَانِ، بُولَاقَ ١٢٨٨ هـ؛ (بِهَامِش «الْخَلَاةُ» لِبِهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ الْمَتَوَفَّى ٩٥٣ هـ)، الْقَاهِرَةُ (الْبَابِي) ١٣١٤، ١٣١٧ هـ.
- مِجْتَبَى الْأَدْبَاءِ، مِصْرَ.
- مِفْتَاحُ الدَّرِّ النَّفِيسِ، مِصْرَ ١٣٠٥ هـ.

★★ الدَّرُّ الْكَامِنَةُ (الْقَاهِرَةُ) ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢، (حِيدَرِ آبَاد) ١ : ٣٢٩ - ٣١١ (رَقْمُ ٨٢٦)؛
تَعْرِيفُ الْخَلْفِ ٢ : ٤٢ - ٥٣؛ نَشِيرُ الْجَمَانِ ٢٢٨ - ٢٢٩؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٦ :
٢٤٠ - ٢٤١؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣ : ٦٨٦؛ بَرُوكْلَمَنْ ٢ : ١٣ - ١٤، الْمُلْحَقُ ٢ :
٥ - ٦، رَاجِعْ ٢ : ٣٠٩، الْمُلْحَقُ ٢ : ٤٦٧؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ١ : ٢٥٥ (٢٦٨ - ٢٦٩)؛
مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ لِحَالَةٍ ٢ : ٢٠١؛ مَعْجَمُ أَعْلَامِ الْجَزَائِرِ ٤٧ - ٤٨؛ سَرْكِيْسَ ٢٨ - ٢٩.

ابن بطوطة

١ - هُوَ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللُّوَاتِي الطَّنْجِي الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بَطُّوطة، وُلِدَ فِي ١٧ رَجَبٍ ٧٠٣ (١٠٣٤/٢/٢٤ م) فِي طَنْجَةَ.

(١) الإبريز: الذهب الخالص.

(٢) مؤلّه: شديد الحبّ للشيء. فمن لها؟: من يستطيع ذلك غيري؟

في سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) خَرَجَ ابْنُ بَطُّوطةَ من طَنْجَةَ بَنِيَّةِ الْحِجِّ، ولم يَكُنْ قادراً على توفير وسائل السفر بنفسه فاضطُرَّ إلى أن يرافقَ القوافلَ التي قَبِلَتْ أن تَحْمِلَه مجَّاناً، فطالَتْ رِحْلَتُهُ وتعرَّجَتْ طَرِيقُهُ: جازَ البحرَ من مِصرَ إلى الحِجازِ فلم يَتيسَّرَ له الوصولُ إلى مَكَّةَ فعادَ إلى مِصرَ ثمَّ سارَ إلى القُدُسِ فيبُروتَ فحَلَبَ فاللاذقيةَ فحَلَبَ فدِمَشقَ. وبعدَ الحِجِّ تطوَّفَ في الشامَ والعراقَ وفارسَ وبلادِ الرومِ (آسية الصغرى) والقسطنطينيةَ وشبه جزيرة القرمَ، ثمَّ قطعَ نهرَ الفولغا إلى الأفغان والتُرْكستانَ والهندَ فتولَّى القضاءَ في دَهلي (عاصمة الهند) عامين. وبعدَ أن تولَّى القضاءَ عاماً ونِصفَ عامٍ في ذِية المَهْل^(١) زارَ الصينَ وسيلانَ وسومطرةَ. ثمَّ عادَ إلى فاسَ (المغرب) في شَعْبَانَ من سَنَةِ ٧٥٠ هـ (أواخر ١٣٤٩ م). وفي العامَ التالي زارَ غرناطةَ (الأندلس) ومَلِيَّ^(٢) وتبكتو في السودانِ الغربي (غربي إفريقيا).

وكانت وفاة ابن بطُّوطةَ في مدينة مَرَّاكُشَ سَنَةَ ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م).

٢- رِحْلَةُ ابْنِ بَطُّوطةَ من أعجب الرُّحَلاتِ امتدَّتْ أَكثَرَ من خَمْسِ عِشرين سَنَةً. وكان ابن بطُّوطةَ يَسْتَقِرُّ في عددٍ من المُدنِ ويتزوَّجُ ويتولَّى عدداً من المناصبِ والأعمال. من أجل ذلك كان في رِحْلَتِهِ أخباراً كثيرةً موثوقةً برُغمِ غرابتها. وكان ابن بطُّوطةَ يَكْتُبُ مذكَّراتٍ في أثناء رِحْلَتِهِ. ولكن مذكَّراتِهِ هذه ضاعت في بَحْرِ الزَّنج. فلَمَّا استقرَّ في مدينة مَرَّاكُشَ أَملى ما كان يَتَذَكَّرُ منها على ابن جُزَي^(٣) وسَمَّاها «تُخفة النُّظَّار في غرائب الأُمصار وعجائب الأسفار»، وهي تُعرَفُ عادةً بعنوان رِحْلَةِ ابن بطُّوطة.

(١) ذِية المَهْل جزائر جنوب شرق الهند تعرف في الكتب الأوروبية المعاصرة لنا باسم مالديف، وتسمَّى اليوم رسمياً محليديب.

(٢) مَلِيَّ = مالي في السودان الغربي. ومالي تطلق اليوم على جمهورية في غربي إفريقيا عاصمتها باماكو.

(٣) ابن جُزَي هذا: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن جُزَي الكَلبي المتوفى سنة ٧٥٧ للهجرة (راجع ترجمته). وقد أَملى ابن بطُّوطةَ رِحْلَتَهُ على ابن جُزَي هذا تلبيةً لرغبة أبي عَنان فارس بن علي سلطان بني مرين (٧٢٩-٧٥٩ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- من «رحلة ابن بطوطة»:

(أ) ذِكْرُ إحراقِ أهلِ الهندِ أنفسهم:

ثم اتفق بعد مُدَّةٍ أن كنتُ بمدينة أكثر أهلها من الكفار تُعرفُ بأبحرى، وأميرها مسلمٌ من سامرة السند^(١)، وعلى مقربةٍ منه الكفار العُصاة، فقطعوا الطريق يوماً. فخرج الأمير لقتالهم ومعه رعيته من المسلمين والكفار، ووقع قتالٌ شديدٌ مات فيه من رعيته الكفار سبعة نفر. وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجاتٍ فاتفقن على إحراقِ أنفسهن.

وإحراقُ المرأة بعد زوجها عندهم أمرٌ مندوبٌ إليه غير واجبٍ. لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرزَ أهلُ بيتها شرفاً بذلك ونُسبوا إلى الوفاء. ومن لم تُحرق نفسها لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسةً مُمتَهنةً لعدَمِ وفائها. ولكنها لا تُكره على إحراقِ نفسها.

ولما تعاهدت النسوة الثلاثُ اللاتي ذكّرناهن على إحراقِ أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيامٍ في غناءٍ وطربٍ وأكلٍ وشربٍ كأنهن يُودَّعن الدنيا، و (كانت) تأتي إليهن النساء من كل جهة. وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدةٍ منهن بفرسٍ فركبته وهي متزيّنة متعطرة، وفي يَمَناها جَوَزةٌ نارجيلٍ تلعبُ بها وفي يَسَرها مِرآةٌ تنظرُ فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها، وبين يديها الأطباء والأبواق والأنفار^(٢)، وكل إنسانٍ من الكفار يقول لها: «أبْلِغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي». وهي تقول: «نعم!» وتبتسم لهم.

وركبتُ معهن لأرى كيفية صنعهن في الاحتراق. فسيرنا معهن نحو ثلاثة أميالٍ. وانتهينا إلى موضعٍ مُظلمٍ كثير المياه والأشجار مُتكاثٍ الظلال، وبين أشجاره أربع قبابٍ في

(١) من سامرة السند: من مجوس الهند الذين دخلوا في الإسلام (٢). السند: المناطق الغربية الشالية من الهند (باكستان الغربية اليوم).

(٢) الأطباء والطبول جمع طبل: آلة موسيقية من ذوات القرع (الضرب) كبيرة وبوجهين. البوق: آلة موسيقية من ذوات النفخ وجمعها بوق (بضم ففتح). الأنفار جمع نفر (بفتح غسكون) ونفير: الجماعة من الناس (واين بطوطة يقصد بكلمة أنفار: مزامير).

كُلُّ قَبَّةٍ صَنَمٌ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَبَيْنَ الْقِيَابِ صَهْرِيحٌ مَاءٌ قَدْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهِ الظَّلَالُ
وَتَزَاوَحَتْ الْأَشْجَارُ فَلَا تَتَخَلَّلُهَا الشَّمْسُ. فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ جَهَنَّمَ، أَعَادَنَّا اللَّهُ مِنْهَا!
وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى تِلْكَ الْقِيَابِ نَزَلْنَا إِلَى الصَّهْرِيحِ وَانْغَمَسْنَا فِيهِ وَجَرَدْنَا مَا عَلَيْنَا مِنْ
ثِيَابٍ وَحُلَى فَتَصَدَّقْنَا بِهِ. وَأُتِيَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِثَوْبٍ قُطْنٍ خَشِينٍ غَيْرِ مَخِيطٍ،
فُرِطَ بَعْضُهُ عَلَى وَسْطِهَا وَبَعْضُهُ عَلَى رَأْسِهَا وَكُتِفَيْهَا، وَالنِّيرَانُ قَدْ أَضْرَمَتْ عَلَى قُرْبٍ
مِنْ ذَلِكَ الصَّهْرِيحِ فِي مَوْضِعٍ مَنخَفِضٍ وَصَبَّ عَلَيْهَا رَوْغُنٌ كُنَجَتْ - وَهُوَ زَيْتُ
الْجُلْجُلَانِ^(١) - فَزَادَ فِي اشْتِعَالِهَا. وَ (كَانَ) هُنَاكَ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا بِأَيْدِيهِمْ خُشْبٌ
كِبَارٌ، وَأَهْلُ الْأَطْبَالِ وَالْأَبْوَاقِ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ الْمَرْأَةِ - وَقَدْ حُجِبَتْ النَّارُ
بِمُلْحَفَةٍ لَثْلًا يُدْهِشُهَا النَّظَرُ إِلَيْهَا. فَرَأَيْتُ إِحْدَاهُنَّ لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الْمُلْحَفَةِ نَزَعَتْهَا مِنْ
أَيْدِي الرِّجَالِ بَعْنَفٍ وَقَالَتْ لَهُمْ: «مَارَا مَيْتَرَسَانِي أَزْ أَطُشْ؟ مِنْ مِيدَانِمْ أَوْ أَطُشْ اسْتِ.
رَهَا كَنِي مَارَا!» وَهِيَ تَضْحَكُ. وَمَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ: أَلِالنَّارُ تُخَوِّفُونَنِي؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا نَارٌ
مُحْرِقَةٌ^(٢). خَلَّوْا عَنِّي^(٣). ثُمَّ جَمَعَتْ يَدَيْهَا فَوْقَ رَأْسِهَا خِدْمَةً لِلنَّارِ وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا
فِيهَا. عِنْدَئِذٍ ضُرِبَتِ الْأَطْبَالُ وَالْأَنْفَارُ وَالْأَبْوَاقُ، وَرَمَى الرِّجَالُ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَطَبِ
عَلَيْهَا، وَجَعَلَ الْآخَرُونَ تِلْكَ الْحُشْبَ مِنْ فَوْقِهَا لَثْلًا تَتَحَرَّكُ. وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ
الضَّجِيجُ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ كِدْتُ أَسْقُطُ عَنْ فَرَسِي لَوْلَا أَنَّ أَصْحَابِي تَدَارَكُونِي بِالْمَاءِ فَصَلَّوْا
وَجْهِي. وَانْصَرَفْتُ.

(ب) مَدَن الشَّام:

وَمَدِينَةُ صُورَ هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحَصَانَةِ وَالْمِنْعَةِ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ بِهَا مِنْ

(١) الْجُلْجُلَانُ: السَّمْسَمُ.

(٢) «مُحْرِقَةٌ» غَيْرُ مُوجُودَةٍ فِي الْأَصْلِ الْفَارْسِيِّ.

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ «خَلَّوْا عَنِّي». هِيَ مَعْنَى «رَهَا كَنِي مَارَا» (حَرْفِيًّا: اَعْمَلُوا لِي طَرِيقًا)، وَهِيَ غَيْرُ مُوجُودَةٍ
فِي الْأَصْلِ فَأُضْفِتْهَا. (هَذِهِ جُمْلَةٌ مَهْمَةٌ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ مَجُوسَ الْهِنْدِ مِنْذُ أَيَّامِ ابْنِ بَطُّوطة كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ اللُّغَةَ
الْفَارْسِيَّةَ - لُغَةَ الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ - ابْنَ بَطُّوطة تَعَلَّمَ عِدَّةً مِنْ لُغَاتِ الْبِلَادِ الَّتِي زَارَهَا وَطَالَ
مَكْتَهُ فِيهَا. وَكَذَلِكَ تَدَلُّ - إِذَا كَانَ هَذَا النِّقْصُ مُوجُودًا فِي جَمِيعِ النُّسخِ - أَنَّ ابْنَ جَزْيِي لَمْ يَسْتَوْعِبْ كَلَامَ
ابْنِ بَطُّوطة كُلَّهُ فَكَانَ يَتَصَرَّفُ بِمَا أَمْلَاهُ عَلَيْهِ ابْنُ بَطُّوطة كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا).

ثلاث جهاتها. ولها بابان أحدهما للبر والآخر للبحر..... وبنائها ليس في بلاد الدنيا أعجب منه ولا أغرب شأنًا..... ثم سافرت إلى مدينة صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يُحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر..... ثم سافرت إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تُنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها. وبها الحمامات العجيبة... وماؤها شديد الحرارة.....

ثم سرنا إلى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الأسواق وجامعها بديع الحسن، وتُجلب منها إلى مصر الفواكه والحديد... ثم، وصلت إلى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد^(١) الشام وبلدانها الضخام، تخرقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار (قد تكفها البحر بمرافقه العميقة والبر بحجراته المقيمة^(٢))، ولها الأسواق العجيبة والمسارح^(٣) الخصبية. والبحر منها على ميلين، وهي حديثة البناء. وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم زمانًا. فلما استرجعها الملك الظاهر خربت وأخذت هذه الحديثة^(٤).

(ج) النارجيل:

وهو جوز الهند. وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمرًا. وشجره شبيه شجر النخل، لا فرق بينها إلا أن هذه تُثمر جوزًا وتلك تُثمر ثمرًا. وجوزها يُشبه رأس ابن آدم لأن فيه شبة العينين والفم. وداخلها شبة الدماغ - إذا كانت (لا تزال) خضراء - وعليها ليف شبه الشعر، وهم يصنعون منه حبالاً يخطون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد. ويصنعون منه الحبال للمراكب.

والجوزة منها - وخصوصاً التي بجزائر ذببة المهل^(٥) - تكون بمقدار رأس

(١) القواعد: المدن الكبيرة المهمة.

(٢) المقيمة: الدائمة.

(٣) المسرح: المرعى، المكان الذي تشرح فيه الماشية.

(٤) طرابلس القديمة كانت الجزء المعروف اليوم باسم «المناء» (طرابلس البحرية). طرابلس الحديثة

(الجديدة): طرابلس البلد.

(٥) راجع، فوق ص ٥٢٢، الحاشية الأولى.

الآدمي. ويزعمون أن حكيماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومُعظماً لديه، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم مُعادة. فقال الحكيم للملك: «إنَّ رأسَ هذا الوزير إذا قُطِعَ ودُفِنَ تخرجُ منه نخلةٌ تُسَمَّى بِشَمْرِ عَظِيمٍ يَمُودُ نَفْعُهُ على أهلِ الهندِ وسِواهم من أهلِ الدنيا». فقال له الملك: «فإن لم يظهر من رأسِ الوزير ما ذَكَرْتَهُ؟» قال (الحكيم): «فإن لم يظهر فأصنع برأسي كما صَنَعْتَ بِرَأْسِهِ».

فأمر الملك برأسَ الوزير قُطِعَ. وأخذَه الحكيمُ وغرَسَ نواةَ تمرٍ في دِماغِهِ وعالَجَها حتى صارت شجرةً وأثمرت بهذا الجوز.

وهذه الحكاية من الأكاذيب، ولكن ذكَّرنَاها لِشهرتها عندهم.

- مشعوذ في الصين:

..... وفي تلك الليلة حَضَرَ أَحَدُ الْمَشْعُودِينَ^(١)، فقال له الأمير: أَرِنَا مِنْ عَجَائِبِكَ. فَأَخَذَ (المشعوذ) كُرَةً خَشَبٍ لَهَا ثِقَبٌ وَفِيهَا سُيُورٌ^(٢) طَوَالَ فَرَمَى بِهَا إِلَى الْهَوَاءِ فَأَرْتَفَعَتْ حَتَّى غَابَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَنَحْنُ فِي وَسْطِ الْمَشُورِ^(٣) أَيَّامَ الْحَرِّ الشَّدِيدِ. فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ مِنَ السَّيْرِ إِلَّا (شيءٌ يسيرٌ)^(٤)، أَمَرَ مُتَعَلِّمًا^(٥) لَهُ فَتَعَلَّقَ بِهِ وَصَعِدَ فِي الْهَوَاءِ إِلَى أَنْ غَابَ عَنْ أَبْصَارِنَا. فَدَعَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ثَلَاثًا^(٦). فَأَخَذَ (المشعوذ) سَكِينًا بِيَدِهِ كَالْمُفْتَاطِ وَتَعَلَّقَ بِالسَّيْرِ (وصعد) إِلَى أَنْ غَابَ أَيْضًا. ثُمَّ (إِنَّهُ) رَمَى بِيَدِهِ الصَّيْبِيَّ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ بِرِجْلِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ بِجَسَدِهِ ثُمَّ بِرَأْسِهِ. ثُمَّ هَبَطَ (المشعوذ) وَهُوَ يَنْفُخُ، - وَثِيَابُهُ مُلَطَّخَةٌ بِالدَّمِ - فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرِ، وَكَلَّمَهُ بِالصَّيْنِيِّ، (ف) أَمَرَ لَهُ الْأَمِيرُ بِشَيْءٍ.

- (١) شعبد الرجل وشعوذ: برع في الاحتيال وفي إظهار الأشياء على غير حقيقتها.
- (١) السُّيُور جمع سِير (بافتح): قطعة من جلد مقدودة بعرض الإصبع أو نحو ذلك، ولكن طويلة كالجليل.
- (٢) المشور ليست في القاموس بمعنى يوافق موقعها في هذا النص. والمقصود مجلس ضاحٍ (في الخلاء) يجلس فيه الأمير.
- (٣) يسير: قليل.
- (٤) المتعلم: صبي يقوم بين يَدَيَّ أَحَدِ أَرْبابِ الصَّنَاعِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ صِنْتَهُ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ *apprenti* مأخوذة من معنى هذه الكلمة العربية. والإنكليز قالوا: *apprenticed* من نظرهم إلى الكلمة الفرنسية.
- (٥) اقرأ: فدعاه ثلاثاً فلم يجبه.

ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ أَعْضَاءَ الصَّبِيِّ فَأَلَصَقَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، وَرَكَضَهُ ^(٧) بِرِجْلِهِ فَقَامَ سَوِيًّا .
فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَأَصَابَنِي خَفَقَانٌ ^(٨) ، فَسَقَوْنِي مَا أَذْهَبَ عَنِّي مَا وَجَدْتُ .

وكان القاضي فخر الدين إلى جاني ، فقال لي : والله ، ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو ، وإنما ذلك شعوذة .

٤- تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة) (تحرير ديمفيري وسانغوينيتي) ، باريس (المطبعة الأهلية) ١٨٥٣-١٨٥٨ م (١٢٧٠ هـ وما بعد) ، الطبعة الثانية ١٨٦٩-١٨٧٩ م ، الطبعة الثالثة ١٨٩٣-١٨٩٥ م ، القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ ؛ القاهرة (مصطفى فهمي) ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ م .

★★ تحفة النظار (اختصار محمد فتح الله بن محمود البيلوني العمري الأنصاري) ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ ، (طبع حروف) ١٢٧٩ هـ .

- مذهب رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار» (وقف على تهذيبها أحمد العوامري ومحمد جاد المولى) ، (بلا تاريخ) ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٣٣-١٩٣٤ م .

- ذيل على فصل الأخية (?) الفتيان التركية لابن بطوطة ، بقلم جودت محمد ، استانبول ١٣٥١ هـ (راجع بروكلن ، الملحق ٢ : ٣٦٦) .

- رحلة ابن بطوطة ، تأليف محمد مصطفى زيادة ، القاهرة () ١٩٣٩ م .

- ابن بطوطة ، تأليف فؤاد بدوي ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م .

- أدب الرحلة : تاريخه وأعلامه : المسعودي - ابن بطوطة - الريحاني ، تأليف جورج غريب ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م .

- ابن بطوطة ، تأليف فؤاد أفرام البستاني ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ م .

الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٣ : ٤٨٠-٤٨١ ؛ نفح الطيب ١ : ١٥٢ ، ١٧٥-١٧٦ ، ٧ :

٣٣٧-٣٣٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٣٥-٧٣٦ ؛ بروكلن ٢ : ٣٣٢-٣٣٣ ،

الملحق ٢ : ٣٦٥-٣٦٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١٤ (٦ : ٢٣٥-٢٣٦) ؛ معجم المؤلفين

لكحالة ١٠ : ٢٣٥-٢٣٦ ؛ سركيس ٤٨-٤٩ ؛ النبوغ المغربي ٢١٢-٢١٣ ؛ الأدب

المغربي ٤١٢-٤١٧ .

(١) ركض الرجل الحجر برجله : ركله ، صدمه ، دفعه .

(٢) الحفقان : شدة النبض (بفتح فسكون) : شدة ضربات القلب وسرعتها .

أبو جعفر الغرناطيّ الرعينيّ^(١)

١- هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك بن اسماعيل الغرناطيّ الإلبيريّ الرعينيّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٨ أو ٧٠٩ هـ (١٣٠٨ - ١٣١٠ م). قرأ القرآن بالسَّبعِ على أبي الحسن عليّ بن إبراهيم القيحاويّ، والحديث على أبي عبد الله محمد بن عليّ الخولانيّ الإلبيريّ، والفقه على أبي عبد الله البيّانيّ. وكانت وفاته في مُنتَصَفِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٧٩ (١٣٧٨/١/١٦ م).

٢- أبو جعفر الغرناطيّ الرعينيّ عانى الأدب مُدَّةً حَتَّى بَرَعَ فيه. ولكنّ أدبه ظلّ أدبَ شروحٍ ومُعَارَضَاتٍ واقتباسٍ من القرآن ومن الحديث ومن أقوال الشعراء ومن موضوعات النحو والبلاغة في مقطّعاتٍ من بَيِّنَتَيْنِ وثلاثية وأربعة. وفي شذرات الذهب أنّه كان كثيرَ التّأليف في العربية (النحو) وغيرها. وكان قد شَرَحَ بديعيّة رفيقه ابن جابر الأندلسيّ وسَمّاها «طِرَازَ الحَلَّةِ وشِفاء الغَلَّةِ» (نفع الطيب ٢: ٦٧٦).

٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفر الغرناطيّ الرعينيّ مُقَطَّعاتٌ منها:

★★ أبدت لي الصُدغَ على خَدِّها، فأطلع الليلَ لنا صُبْحَهُ^(٢).
فخدّها مع قَدِّها قائلٌ (هذا شقيقٌ عارضٌ رُمَحَهُ)^(٣).
★★ حِفْصٌ لمن أضحى بها جَنَّةً يدنو لدنِّها الأملُ القاصي^(٤).
حلّ بها العاصي. ألا فاعجبوا من جَنَّةٍ حلّ بها العاصي^(٥)!

-
- (١) راجع عدداً من تفاصيل حياته في ترجمة رفيقه ابن جابر الأندلسيّ (ت ٧٨٠).
(٢) الصُدغ، في الأصل، ما فوق الخدّ. و (هنا) الشعر الذي يتدلّى إلى جانب الجبهة. - فظهر بياض خدّها من خلال شعرها.
(٣) قَدّها: قوامها الذي يشبه قوام الرمح. والمعجز اقتباس، (تضمين ناقص) من قول الشاعر:
جاء شقيق عارضاً رُمَحِهِ إِنَّ بي عَمَّكَ فيهم رُمَاح.
(٤) حصّ المدينة الثامية على نهر العاصي. جنة: روضة ذات أنهار وأشجار.
(٥) العاصي (الأولى) نهر العاصي. العاصي (الثانية): المذنب. الجَنَّة (الثانية): جنة الخلد في الآخرة.

★★ ومُورِدِ الوجَنَاتِ دَبَّ عِذارُهُ،
 لَمَّا رَأَيْتُ عِذارَهُ مُسْتَعْجِلًا
 نادَيْتُهُ: قِفْ كِي أودَعَ وَرَدَهُ؛
 ★★ يا راحلاً يَنْفِي زِيَارَةَ طَيِّبَةٍ،
 حَيَّ العَمِيقَ إِذَا وَصَلْتَ وَصِفْ لَنَا
 وَإِذَا وَقَفْتَ لَدَى المَعْرِفِ دَاعِيًا
 ★★ هذه رَوْضَةُ الرسولِ، فَدَعْنِي
 لَا تَلْمِني عَلَى انْكَابِ دُمُوعِي؛
 ★★ حَسَنَ النِّيَّةِ مَا اسْطَغَفْتَ وَلَا
 إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، مَنْ
 ★★ قَالَتْ، وَقَدْ جَاوَلْتُ نَيْلَ وَصَالِهَا:
 بِاللَّهِ، قُلْ لِي: أَيْنَ نَحْوُكَ، يَا قَتِي؟
 ★★ لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أوطَانِهِمْ؛
 وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ

- (١) العِذار: الشعر الثابت في الوجه: كَأَنَّهُ خَطٌّ (أسود) على قرطاس (ورق أبيض).
- (٢) الورد: أحمر الحدين. الآس نبت أوراقه شديدة الخضرة. والعرب تسمي الأسود أخضر.
- (٣) المعجز تضمين من مطلع قصيدة لأي تمام:
- ما في وقوفك ساعة من باس
 نقضي ذمام الأربع الأدراس.
- (٤) طيبة: المدينة (مدينة الرسول).
- (٥) العميق وإد قرب المدينة يتنزّه فيه الناس. منى: مكان قرب مكة يبيت فيه الحجاج بعد النفر (يفتح فسكون: النزول من جبل عرفة).
- (٦) المعرفة: عرفة: جبل يقف عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة.
- (٧) الروضة: مكان قبر الرسول. الصعيد: الأرض، التراب. الصعيد (لأنه ضمّ جسد الرسول).
- (٨) في الحديث: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ. وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى.....
- (٩) أين علمك بالنحو! هل يمكن أن يأتي اسم موصول بغير صلة (جملة تتم معناه: رجع القائد الذي ربح المعركة - ربح المعركة «صلة لاسم الموصول «الذي» وفي «الموصول» تورية: الحب الذي استجاب له حبيبه ثم الكلمة النحوية (الذي، التي، النح).
- (١٠) المعجز تضمين.....

- وله في مقدّمة شرحه لبديعيّة رفيقه ابن جابر الأندلسي:
 نادرة في فنّها فريدة في حُسْنها، يُجْنى ثَمَرُ البلاغة من غُصْنها وتَنْهَلُ سواكِبُ
 الإِجادة من مُزْنها. لم يُنْسَجْ على منوالها^(١) ولا سَمَحَتْ قريحَة بِمثالها. رأيتُ أن أضع لها
 شرحاً يَجْلُو عرائسَ معانيها لمعانيها^(٢)، ويُبيدي غرائبَ ما فيها لموافيها^(٣). لا أَمِلُ
 الناظرَ فيه بالتطويل ولا أَعَوِّقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل. فخيرُ الأمورِ
 أَوْسَطُها، والغرضُ ما يُقَرِّبُ الأمورَ ويَضَيِّطُها. فأعِزُّبُ من أَلْفاظها كلَّ خفيٍّ وأَسْكُتُ
 من لُغاتها عن كلِّ جَلِيٍّ^(٤)..

★★-٤ المنهل الصافي ١: ٢٩٩؛ الدرر الكامنة ١: ٣٦١-٣٦٢ (١: ٣٤٠)؛ الوافي
 بالوفيات ٨: ٣٠٥-٣٠٧، راجع ٦: ٣٠٥-٣٠٧؛ بغية الوعاة ١٧٦ (راجع
 ١٤)؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦٠-٢٦١؛ نفح الطيب ١: ٤٤، ٤٧، ٩٠، ٢:
 ٥٦٥، ٦٧٥-٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤ وما بعد، ٦٨٧ وما بعد، ٤: ٢٨٨-٢٨٩،
 ٣٤٧: ٣٤٨، ٣٧٦-٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٠ (٢٧٤).

ابن جابر الأندلسي

١- هو شمسُ الدين أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ جابرِ الهَوَارِيِّ الأندلسيِّ المَرِيَّيُّ
 الضَرِيرُ، وُلِدَ في المَرِيَّةِ سَنَةَ ٦٩٨ (١٢٩٨-١٢٩٩ م).
 قرأ ابنُ جابرِ القرآنَ على مُحَمَّدِ بنِ أبي العِيشِ^(٥) والحديثَ على مُحَمَّدِ الزَّوَاوي والفِقْهَ
 على مُحَمَّدِ بنِ سَمِيدِ الرُّنْدِيِّ، ثُمَّ رَحَلَ - وهو في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ - إلى مِصْرَ، ومَعَهُ أبو جَعْفَرِ
 الغَرْنَاطِيِّ (كان ابنُ جابرٍ يَنْظِمُ وأبو جَعْفَرٍ يُدَوِّنُ له نَظْمَهُ)، وقد عُرِفَا بالأعْمى
 والبصير. وفي مِصْرَ سَمِعَ الرِّفِيقانِ من أبي حَيَّانَ الغَرْنَاطِيِّ (ت ٧٤٥).

-
- (١) المزن: المطر. النوال: آلة لحياكة النسيج. لم ينسج أحد على منوالها: لم يصنع أحد مثلاً.
 (٢) المعاني: الذي يجهد نفسه في فهم الشيء أو عمله.
 (٣) الموافي: الواصل (الذي يصل إلى هذه البديعية ويقرأها ليفهم ما فيها).
 (٤) لغاتها: ألفاظها المختلفة (والدالة على معنى واحد، أو على معانٍ متقاربة). الجليّ: الواضح.
 (٥) كذا في الوافي بالوفيات وفي نكت العميان. وفي بغية الوعاة: ابن يعيش.

ثم حجّ الرفيقان واستأنفا الرحلة إلى الشام، سنة ٧٤١، ونزلَا دِمَشْقَ فَسَمِعَا فِيهَا جَانِبًا مِنْ صَاحِبِ الْبُخَارِيِّ مِنَ الْحَافِظِ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمِزِّيِّ (ت ٧٤٢). وانتَهَزَ الرفيقانِ فُرْصَةً مَوْتَ الْمِزِّيِّ فَانْتَقَلَا إِلَى حَلَبَ، سَنَةَ ٧٤٣، وَجَعَلَا يُحَدِّثَانِ بِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. ثُمَّ انْتَقَلَا إِلَى الْبَيْرَةِ (عَلَى الْفُرَاتِ، قَرَبِ سُمَيْسَاطِ).

ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ تَزَوَّجَ ابْنُ جَابِرٍ فَاخْتَلَّتْ صُحْبَتُهَا وَافْتَرَقَا. وَتُوفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ سَنَةَ ٧٧٩ فَرُثَاهُ ابْنُ جَابِرٍ. أَمَّا ابْنُ جَابِرٍ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٧٨٠ (١٣٧٨ - ١٣٧٩ م) فِي الْبَيْرَةِ.

٢- ابْنُ جَابِرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ أَدِيبٌ نَائِرٌ وَشَاعِرٌ، وَلَهُ إِلْمَامٌ بِالْحَدِيثِ وَبِرَاعَةِ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْعَرُوضِ وَالبَلَاغَةِ. وَهُوَ شَاعِرٌ مُكْتَبِرٌ لَهُ مَقْطَعَاتٌ حَسَنَةٌ. وَقَدْ اشتهر بِقَصِيدَتِهِ «بَدِيعَةُ الْعُمَيَّانِ» أَوْ الْحَلَّةِ السَّيْرَا فِي مَدْحِ خَيْرِ الْوَرَى^(١)، وَهِيَ مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ بَيْتًا جَمَعَ فِيهَا خُسَيْنٌ وَجَاهٌ مِنَ الْبَدِيعِ (الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ). هَذِهِ الْقَصِيدَةُ نَازِلَةٌ عَنْ مُسْتَوَى الشَّعْرِ الْجَيِّدِ لِأَنَّ نَازِمَهَا تَكَلَّفَ فِيهَا مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ الشَّعْرَ مُتَخَلِّصًا ضَعِيفًا. ثُمَّ هُوَ مُصَنَّفٌ شَرَحَ بِدِيعَتَهُ وَشَرَحَ أَلْفِيَةَ ابْنِ مَالِكٍ وَأَلْفِيَةَ ابْنِ مُعْطَرٍ. وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْفَيْنِ فِي مَدْحِ سَيِّدِ الْكُؤُنِينَ (مَجْمُوعُ مَدَائِحَ فِي الرُّسُولِ مَرْتَبَةٌ عَلَى الْحُرُوفِ) - رِسَالَةٌ فِي السَّيْرَةِ وَمَوْلِدِ النَّبِيِّ - الْمِنْحَةُ فِي اخْتِصَارِ الْمُلْحَةِ^(٢). ثُمَّ لَهُ قِصَائِدٌ وَأَرَاغِيزُ مِنْهَا: وَسِيلَةُ الْآبِقِ فِي أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى مَا ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ^(٣) - غَايَةُ الْمَرَامِ فِي تَثْلِيثِ الْكَلَامِ - فِي الْعَرُوضِ - فِي النَّحْوِ - فِي الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ - مَدْحُ الْمَدِينَةِ.

(١) قَالَ ابْنُ حُجَّةٍ الْحَمَوِيُّ (٧٦٧-٨٣٧هـ) فِي «بَدِيعَةِ الْعُمَيَّانِ» مَا يَلِي (خَزَانَةُ الْأَدَبِ، مِصْرَ ١٣٠٤هـ، ص ١٢): «.... وَجَدْتُهُ صَرَّحَ فِي بَرَاعَتِهَا (فِي مَطْلَعِهَا الَّذِي تَكُونُ فِيهِ بَرَاةُ اسْتِهْلَالِ، أَيْ الْإِبْتِدَاءِ الْجَيِّدِ الْمَوَافِقِ) بِمَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.... فَهَذِهِ الْبَرَاةُ لَيْسَ فِيهَا إِشَارَةٌ تَشْعُرُ بِفَرْضِ النَّازِمِ وَقَصْدِهِ، بَلْ أَطْلَقَ التَّصْرِيحَ وَنَثَرَ الْمَدْحَ وَنَشَرَ طَيِّبَ الْكَلِمِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهَا بَرَاةُ اسْتِهْلَالِ. قُلْتُ: إِنَّ الْبَدِيعَةَ لَا بَدْءَ لَهَا مِنْ بَرَاةٍ (اسْتِهْلَالِ) وَحَسَنَ مَخْلَصٍ (حَسَنَ انْتِقَالٍ مِنْ مَوْضُوعٍ إِلَى مَوْضُوعٍ) وَحَسَنَ خَتَامٍ. فَإِذَا كَانَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ مَبْنِيًّا عَلَى تَصْرِيحِ الْمَدْحِ لَمْ يَبْقَ لِحَسَنِ التَّخْلُصِ مَحَلٌّ وَلَا مَوْضِعٌ. وَنَظِمَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ سَافِلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَمَاعَةِ (أَصْحَابِ الْبَدِيعِيَّاتِ). غَيْرَ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْعَلَمَةَ شَهَابَ الدِّينِ أَبَا جَعْفَرٍ الْأَنْدَلُسِيَّ شَرَحَهَا شَرْحًا مُفِيدًا».

(٢) مِلْحَةُ الْأَعْرَابِ (مَنْظُومَةٌ فِي النَّحْوِ لِلْمُبْتَدِئِينَ) لِلْحَرِيرِيِّ (ت ٥١٦هـ).

(٣) هُوَ أَبُو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِيُّ (٣٣٦-٤٣٠هـ) مِنْ حَفَاطِ الْحَدِيثِ وَمِنْ الْمُؤَرِّخِينَ لِرِجَالِهِ. لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا: كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابِ.

٣- مختارات من آثاره

- من بديعة المميان:

كافي الأرامل والأيتام كافلهم، وافي الندى لموافي ذلك الحرم^(١).
دغ عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى وأمّ سلماً وسل عن أهله القدم^(٢).
من لي بدار كرام في البدار لها عز، فمن قذّ لها عن ذاك هتضم^(٣).
بانوا فهان دمي وجداً فهان ندمي، فقد أراق دمي فيما أرى قدمي^(٤).
وحقهم، ما نسينا عهد حبهم ولا طلبنا سواهم. لا، وحقهم^(٥).
من لي بمستسلم للبيد معتصم بالعيس لا مستم يوماً ولا ستم^(٦).
ذو ميرة فاستوى حتى دنا فرأى وقيل: سل قد خيرت فاختكم^(٧).
واسهر إذا نام سار وامض حيث ونى واسمح إذا شح نفساً وأسر إن يتم^(٨).

- (١) الوافي: الراجح، الكثير. الوافي: القادم، الواصل إلى. الحرم: المكان المحرم، المقدس (مكة أو المدينة). - جناس ناقص بين: كافي وكافل ثم وافي وموافي.
- (٢) العقيق: مرج في المدينة. بالعقيق: بالأحر: (الدمع) المزوج بدم. أمّ: قصد.
- (٣) سلغ: اسم مكان في الحجاز. - جناس تام مركب (من كلمتين) بين سلمى وسل ما ثم بين سل عن وسلما.
- (٤) البدار: الإسراع. لها يلهو: غفل، اشتغل عن الأمر، نسي. اهتضم: وقع عليه ظم. - جناس تام: بدار (في دار) وبيدار (إسراع). لها (فعل ماضٍ)، لها (جار ومجرور).
- (٥) بانوا: بعدوا، سافروا. هان: رخص، ذلّ. وجداً: اشتياقاً. ها: أداة التنبيه من هذا (اسم إشارة). - جناس تام مركب أيضاً: فهان دمي، فهان ندمي. ثم أراق دمي، أرى قدمي (أرى قدمي أراق دمي جملة قديمة معروفة، فيما أعتقد).
- (٦) وحقهم (الواو: للقسم. حقهم: مجرور بالباء) - ردّ الإعجاز على الصدور بين «وحقهم ما» و «لا وحقهم».
- (٧) مستلم للبيد (جمع بيداء، أرض واسعة مقفرة): ملق بنفسه غير مهمّ بالخطر. معتصم بالعيس (النياب): معتمد على الناقة التي يركبها لتقطع به تلك المسافات الطوال. المسم: الذي يجعل غيره يكلّ. السم: الذي ملّ من طول المسير. - سجع (قافية في وسط البيت: مستلم ومعتصم ثم ستم وسم).
- (٨) ميرة: (قوة، أو منظر حسن). ذو قوة: جبريل. استوى: استقرّ. دنا: اقترب. - اقتباس من القرآن ﴿ذو ميرة فاستوى، فهو بالأفق الأعلى، ثم دنا قتلّي﴾ (٥٣: ٦-٨، سورة النجم). - في حديث الإسراء والمعراج: وصل محمد رسول الله مع جبريل إلى قرب عرش الرحمن.
- (٨) سار: سائر في الليل. ونى: كلّ وتمب. أسر: (سار ليلاً). أقام: لبث، بقي في مكانه. - طباق (معان متضادة) بين سهر ونام ثم أمض وونى، ثم اسمح وشح (مخل)، ثم أسر وقيم.

إِلَى نَبِيٍّ رَأَى مَا لَا رَأَى مَلَكٌ وَقَامَ حَيْثُ أَمِينُ الْوَحْيِ لَمْ يَقُمْ^(١)
فَانْيَضَّ بَعْدَ سَوَادٍ قَلْبُهُ مُنْتَصِرٌ، وَاسْوَدَّ بَعْدَ بَيَاضٍ وَجْهُهُ مُنْهَزِمٌ^(٢)
يَمُّ نَبِيًّا تُبَارَى الرِّيحَ أَنْمُلُهُ وَالْمُزْنَ مِنْ كُلِّ هَامِي الْوَذْقِ مُرْتَكِمٌ^(٣)
تَكَادُ تَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ

إِلَى الْوَرَى نُطَفُ الْأَنْبَاءِ فِي الرَّجَمِ^(٤)
تُحِيطُ كَفَاهُ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ، فَلِذْ بِهِ وَدَعُ كُلَّ طَامٍ الْمَوْجِ مُلْتَطِمٌ^(٥)
مِنْ أَعْرَبِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنْ نَسَبَتْهُ إِلَى قُرَيْشٍ حُجَّةَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ^(٦)
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ لَا تَرَى لَهُمْ ضَيْفًا يَجُوعُ وَلَا جَارًا يُهْتَضَمُ^(٧)
عَيَّتْ عِدَاهُمْ فَرَاغَهُمْ بِأَنْ تَرَكُوا سَيُوفَهُمْ وَهِيَ تَيْجَانٌ لِهَامِيهِمْ^(٨)
تَجْرِي دِمَاءُ الْأَعَادِي مِنْ سَيُوفِهِمْ مِثْلَ الْمَوَاهِبِ تَجْرِي مِنْ أَكْثَمِهِمْ^(٩)
إِذَا بَدَا الْبَدْرُ تَحْتَ اللَّيْلِ قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ يَا بَدْرُ أَمْ مَرَأَى وَجُوهِهِمْ^(١٠)!

- (١) الملك (يفتح ففتح): واحد الملائكة. أمين الوحي جبريل. - طباق بالنفي: رأى ولا رأى ثم قام ولم يقم.
- (٢) طباق: أبيض واسود، سواد وبياض، منتصر ومنهزم. وعكس (تعبيران أحدهما ضد الآخر).
- (٣) يَمُّ: اقصد. تبارى: تنافس، تسابق. أغله: أصابعه (يده، كناية عن الكرم). المزن: المطر. هامي الودق (البرق): الماء الساقط من السحاب بعد البرق (ويكون عادة غزيراً). مرتكم: السحاب المتراكم (فيه ماء كثير). - مبالغة (لأنَّ الإنسان لا يمكن أن يكون أكرم من المطر الذي هو من كرم الله!).
- (٤) الورى: البشر، مجموع الناس. النطفة: ماء الرجل قبل أن ينقذ في رحم المرأة ليصبح جنيناً. - مبالغة وغلو.....
- (٥) البحر المحيط: الأقيانوس، البحر العظيم. لا ذ يلوذ: لجأ. دع: اترك (الاستقاء) من كل طامي الموج (البحر المملوء بالأموال). ملتطم: يضرب بعض موجه بعضاً. - مبالغة.
- (٦) من أعرب العرب: من أنقى العرب نسباً. - تأكيد المدح بما يشبه الذم (انتقل هنا من مجموع العرب إلى قبيلة منهم).
- (٧) مهتضم: مظلوم. - تأكيد المدح بما يشبه الذم (لا عيب فيهم: مدح. ضيفهم يجوع: ذم. ضيفهم لا يجوع: يشبه الذم).
- (٨) الهامة: الرأس. المقصود هامهم تيجان لسيوفهم. - تأكيد الذم بما يشبه المدح. تزيين السيوف برؤوس الأعداء ذم للأعداء، ولكن ظاهره (زانوا، زنيوا، تيجان) مديح.
- (٩) المواهب: العطايا. - استتباع: جعل الشاعر جري المواهب من الأكف (وهو مجاز، استمارة) مثل جري الدماء من السيوف (وهو حقيقة).
- (١٠) تجاهل العارف: هو يعرف أن الذي يراه هو بدر السله، ولكنه يتجاهل ذلك (وهو عارف بالحقيقة) لأنَّ وجوههم أجل من البدر.

- وقال في الذين يتخذون الحضرة لباساً للدلالة على أنهم من نسل رسول الله: جعلوا لأبناء الرسول علامة. إن العلامة شأن من لم يُشهر. نور النبوة في كريم وجوههم يُغني الشريف عن الطراز الأخضر. - وله مقاطع منها:

★ ★ يا أهل طيبة، في مغناكم قمرٌ كالغيث في كرم، والليث في حرم،
★ ★ ولما وقفنا كي نودّع من نأى بكينا. وحقّ للمحب إذا بكى
★ ★ منعّنا قرى الجبال وقالت: ليس في غير زادنا من مجال^(٣).
★ ★ فأقمنا على الرّحال وقلنا: ما لنا حاجةً بحطّ الرّحال^(٤)!

- وكتب تعليقاً على كتاب نسيم الصبا^(٥) منه:

لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فإذا أبصرها الليب صبا^(٦)، انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهمت^(٧) سحائب بيانها فأثمرت حدائق الكلام. وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات..... فصول هي للحسن أصول، وشمول لها على كلّ قلب شمول^(٨). ليس لقدامة على التقدّم بها حصول^(٩)، ولا لسحبان لأنّ ينحبّ ذيلها ووصول^(١٠). ولا انتهى قس الأيادي لهذه

- (١) طيبة: مدينة الرسول. قمر (كناية عن الرسول).
- (٢) الليث: الأسد. حرم: المكان الذي يأوي إليه الأسد (لا يجسر أن يقترب أحد منه).
- (٣) رفضت أن تمتعنا بجهاها وسمحت بأن تقدّم لنا الطعام إذا نحن نزلنا بها ضيوفاً.
- (٤) عندئذ بقينا على سروج خيلنا وقلنا لها: لا حاجة بنا إلى النزول ضيوفاً عليها.
- (٥) «نسيم الصبا» كتاب في وصف الطبيعة والحياة الإنسانية في أسلوب أنيق مسجع لبدر الدين أبي محمد الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي (٧١٠ - ٧٧٩ هـ).
- (٦) الليب: العاقل. صبا: مال، اشتاق.
- (٧) همي المطر يهي: انهزم، سقط غزيراً.
- (٨) الشمول: الخمر الباردة. الشمول (مصدر): عموم، إحاطة.
- (٩) قدامة بن جعفر البغدادى (ت ٣٢٧) كاتب بلغ له كتاب «نقد الشعر».
- (١٠) سحبان وائل (ت ٥٤) خطيب مخضرم (عاش في الجاهلية وفي الإسلام) مشهور بالفصاحة.

الأيادي^(١)، ولا ظَفِرَ بَدِيعُ الزمانِ^(٢) بهذه البدائعِ الحسانِ.....

- لَابِنِ جَابِرِ الوادي أَشْيُ الضَّرِيرِ مقصورةٌ نَلَمَحُ في نَفْسِهَا شَيْئاً من مقصورةِ ابْنِ دُرَيْدٍ (ت ٣٢١ هـ)، وَلَكِنَّهَا في بَنَائِهَا مُعْشَرَاتٌ (كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْهَا عَشْرَةُ أَيْيَاتٍ). وفي قَوافِيهَا خَاصَّةٌ هِيَ: جَمِيعُ أَيْيَاتِهَا مَخْتُومَةٌ بِالْأَلِفِ مقصورةٌ ثُمَّ كَلَّ مَقْطَعٍ مِنْ عَشْرَةِ أَيْيَاتٍ مَبْنِيٌّ عَلَى رَوِيٍّ (قَبْلَ الْأَلِفِ المقصورة) هُوَ أَحَدُ أَحْرَفِ الهِجَاءِ عَلَى التَّوَالِي: الهمزة، الباء، التاء، الثاء، الخ، كما سَنَرَى. وَلَكِنَّ المَقْطَعِ الَّذِي عَلَى رَوِيٍّ الْغَنِينِ المَنْقُوطَةُ سَبْعَةُ أَيْيَاتٍ فَقَط. ثُمَّ تَأْتِي ثَلَاثَةُ مَقَاطِعَ، بَعْدَ المَقْطَعِ الَّذِي عَلَى رَوِيٍّ الْيَاءِ، وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المَقْطَعُ الْأَخِيرَ، أَوَّلُهَا أَرْبَعَةُ أَيْيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ اللَّامِ وَثَانِيهَا تِسْعَةُ أَيْيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ الرَّاءِ ثُمَّ مَقْطَعٌ مِنْ سَبْعَةِ أَيْيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ الدَّالِ. وَبِمَجْمُوعِ أَيْيَاتِ هَذِهِ المَقْصُورَةِ مِائَتَانِ وَسَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ.

والموضوع الغالب على هذه المقصورة «مدحُ الرسول»، وإن كان فيها أشياء من الغزل والأدب (الحكمة) والتاريخ. راجع بناء القوافي في المختارات السيرة التالية (نفع الطيب ٧: ٣٠٦-٣٢٣):

لَمَّا رَأَى مِنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأَى.	بَادَرَ قَلْبِي لِلْهَوَى وَمَا أَرْتَأَى
وَكَانَ قَلْبِي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَأَى....	فَقَرَّبَ الْوَجْدُ لِقَلْبِي حُبَّهَا،
حَدِيثَ أَنْسٍ مِثْلَ أَزْهَارِ الرُّبَى	يَا رَبِّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاظَيْنَا بِهِ
إِذْ وَاصَلْتُ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَا،	فِي رَوْضَةٍ تَعَانَقْتُ أَغْصَانُهَا،
عَذَبَ الْجَنَى رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الصَّبَا....	أَيَّامَ كَانَ الْعَيْشُ غَضًّا حُسْنُهُ
وَلَا زَمَانٍ قَدْ تَعَدَّى وَعَتَا ^(٤) ،	تَاللَّهِ، لَا أَعْيَا بِعَيْشٍ قَدْ مَضَى،
سَادَ الْوَرَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَفَتَى.	مُذْ عَلِقْتُ كَفِّي بِالْهَادِي الَّذِي
يُهْدِي بِهِ مَنْ فِي دُجَى اللَّيْلِ مَتَا ^(٣)	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مِصْبَاحُ هُدَى

(١) قَسَّ بِنِ سَاعِدَةِ الْأَيْدِي (ت ٢٢ قَبْلَ الْهَجْرَةِ) خَطِيبُ جَاهِلِيٍّ شَهُورٍ. الْأَيْدِي: النِّعَمُ وَالْعَطَايَا.

(٢) بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي (٣٥٨-٣٩٨ هـ) مُؤَسِّسُ فَنِّ الْمَقَامَاتِ.

(٣) عَتَا: ظَلَمَ وَتَجَبَّرَ.

(٤) مَتَا: مَشَى وَأَسْرَعَ.

إِنَّ تَحْسِبَ الرُّسُلَ سَمَاءً قَدْ بَدَتْ،
 وَاسْطَةُ الْقَوْمِ إِذَا مَا نُظِمُوا،
 يَا مُجْتَبَى مِنْ خَيْرِ قَوْمٍ حَسَبًا
 أَخْتَارَكَ اللَّهُ رَسُولًا هَادِيًا
 عَجِبْتُ لِلْأَيَّامِ: مَنْ عَزَّ بِهَا
 وَكَمْ صَرِيعٍ غَادَرْتُ لَيْسَ لَهُ
 عَدَتْ عَلَى نَفْسِ عَدِيٍّ، وَسَقَتْ
 لَمْ يَأْمَنِ الْمَأْمُونُ مِنْ صَوْلَتِهَا،
 وَغَالَتِ الزَّبَاءُ فِي مِئْنَتِهَا
 وَأَهْلَكَتْ عَادًا وَأَفْنَتْ جُرْهُمَا
 وَالآنَ قَدْ أَكْمَلْتُهَا فِي مَدْحِهِ
 ضَمَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ دُرَرًا
 حَلَّيْتُهَا جِيدَ مَعَالِيهِ، وَمَا
 فَإِنَّهُ فِي أَفْقِهَا نَجْمٌ هُدَى.
 وَمَلَجَأُ الْقَوْمِ إِذَا الْخَطْبُ عَدَا.....
 فِيمَا أَتَى مِنْ زَمَنٍ وَمَا مَضَى،
 أَكْرَمَ بِمَا آخَتَارَ لَنَا وَمَا أَرْتَضَى.
 ذَلَّ، وَمَنْ يَضْحَكُ بِهَا يَوْمًا بَكَى.
 مِنْ مَلَجَأٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُشْتَكَى.
 مِنْهَا آيُنُ حُجْرٍ كَأَسْمُ كَالذِّكَا (١).....
 وَلَا آيُنُ هِنْدٍ مِنْ عَوَادِيهَا خَلَا (٢).
 فَأَظْفَرْتُ عَمْرًا بِهَا فَمَا أَلَا (٣).
 وَزَوَّدْتُ مِنْهَا تِيْمًا بِالصَّلَى (٤).....
 مَقْصُورَةً يَقْصُرُ عَنْهَا مَنْ خَلَا (٥).
 نَظْمًا، فَأَضَحْتُ مِنْ نَفِيسَاتِ الْحُلَى.
 أَمْلَحَ حَلْيَ الْمَذْحِ فِي جِيدِ الْعُلَا!

٤- بديعة العميان أو الحلة السيرا في مدح خير الورى (عني بنشرها عبد الله مخلص) القاهرة
 المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٤٧ هـ؛ (طُبعت مع: سبيل الرشاد إلى نفع العباد لأحمد عبد
 المنعم الدمنهوري) مصر ١٣٠٥ هـ.

** خزانة الأدب لابن حجة الحموي (مصر ١٣٠٤ هـ، ص ١٢)؛ نكت العميان
 ٢٤٤-٢٤٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٥٧-١٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٦٨-٧٣

- (١) عدي بن زيد قتله النعمان بن المنذر في الجاهلية. ابن حجر: امرؤ القيس. الذكا: اتقاد النار واشتداد
لهيبها.
- (٢) المأمون العباسي (٩). ابن هند: معاوية بن أبي سفيان.
- (٣) الزباء ملكة عربية (في الجاهلية) حاصرها عمرو بن عدي ليقتلها (في حديث طويل) فأتتحت بالسم
مختارة.
- (٤) عاد وجرهم من القبائل الجاهلية البائدة (التي انقرضت). كان النعمان قد أحرق جماعة من بني تميم
بالنار.
- (٥) في هذا البيت ما يدل على أن ابن جابر قد أراد مدح أحد معاصريه بهذه المقصورة.

؛ بغية الوعاة ١٤، راجع ١٧٦؛ نفح الطيب ١: ٣٨، ٢: ٣٨٧،
 ٦٦٤-٦٧٥ (مع شيء من الاستطراد)، ٦٨٠-٦٩٠، ٤: ٣٢٠-٣٢١، ٥: ٢٠٠،
 ٣٠٢، ٤٧١، ٦٠٤، ٦: ١٧٢، ٢١٣، ٧: ٣٠٢-٣٢٦، ثم معارضات له ٣٣٧-٣٣٩،
 ٣٤٧، ٣٤٩-٣٧١؛ شذرات الذهب ٦: ٣٦٨؛ دائرة المعارف الإسلامية بروكلمن ٢:
 ١٤-١٥، الملحق ٢: ٦؛ سركيس ٦٠-٦١؛ الداية ٥٣٧-٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦:
 ٢٢٥- (٣٢٨: ٥).

محمد بن يوسف الثغري التلمساني

١- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري، وُلِدَ في تِلْمَسَانَ ونشأ فيها. وقد أدرك دولة بني زِيَّان في دَوْرِهَا الأولِ ودورها الثاني، وكان وثيقَ الصِّلَةِ بِبِلَاطِينِهَا: ألقى قصيدةً في المَوْلَدِ النَّبَوِيِّ الشريفِ (٧١٧ هـ = ١٣٦٩/١٠/٩ م)^(١)، في عهدِ أبي حَمَّو موسى الأولِ بنِ عُمَانَ (من سلاطين الدور الأول) ثم كان من شعراء أبي حَمَّو موسى الثاني بن يوسف (٧٦٠-٧٩١ م) من سلاطين الدور الثاني. فإذا نحن قَبَلْنَا هَاتَيْنِ الروائيتين، وَجَبَ أن يكونَ محمدُ الثغري هذا قد عاش مُدَّةً طويلةً جَدًّا، وأن يكونَ قَدْ وُلِدَ سَنَةَ ٦٩٠ هـ (إذا نحن فَرَضْنَا أن يكونَ قد ألقى قصيدته تلك وعمره خمس وعِشْرُونَ سَنَةً فقط). ثم لا يجوزُ أن يكونَ قد أذَرَكَ أحداً بعدَ أبي حَمَّو الثاني. وتَقَعُ وَفَاةُ محمدِ بنِ يوسفَ الثغريِّ في أواخرِ القرنِ الثامن، نحوَ سَنَةِ ٧٨٠ للهجرة (١٣٧٨ م) في الأغلب.

٢- كان محمدُ بنُ يوسفَ الثغريِّ أديباً عارفاً بفنون الأدبِ ناثراً شاعراً. وفنونه المدحُ والرتاءُ والوصفُ والشعرُ الدينيُّ. وكانت بينه وبينَ لِسَانِ الدينِ بنِ الخطيبِ (ت ٧٧٦ هـ) مُراسلاتٌ.

(١) تاريخ الجزائر العام ٣: ١٩٩؛ الطمار ١٧٧. ومن غير المألوف أن يكون قد أدرك أبا زِيَّان (٧٩٦-٨٠١ هـ) ثم عاش بعده، كما يقول عبد الحميد حاجيات (الأصالة ٤: ٢٦ ص ١٥٠).

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن يوسف الثغري في الشيب وحال الدنيا:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافَانِي، وَأَنْكَرْتَنِي الْغَوَانِي بَعْدَ عِرْفَانِي^(١).
وَقَدْ تَمَادَيْتَ فِي غَيٍّ بَلَا رَشْدٍ؛ وَالنَّفْسُ تَأْمُرُنِي وَالشَّيْبُ يَنْهَانِي.
كَمْ مِنْ خُطُئِي، فِي الْخَطَايَا، قَدْ خَطَوْتُ وَلَمْ
فَلَا تَغُرَّنْكَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، فَيَا نَدَامَةً مَنْ يَغْتُرُّ بِالْفَانِي!

- حَفِظَ أَبُو زَيْانَ مُحَمَّدَ (وَلَدُ أَبِي حَمَّوِ مَوْسَى الثَّانِي) سُورَةَ الْبَقَرَةِ^(٢) فَأَقَامَ أَبُو حَمَّوِ حَفْلًا لِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ فَأَشَدَّ الثَّغْرِيُّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ آلِ زَيْانَ، مِنْهَا:

تَهَلَّلَ وَجْهُ الرُّوضِ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ وَغَارَتْ بِهِ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ^(٤).
وَضَاحَكَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ مَسْرَّةً وَقَابَلَهَا مِنْ كُلِّ رِيحَانَةٍ ثَغْرُ^(٥).
وَمَالَتْ قُدُودُ الْقُضْبِ زَهْوًا كَأَنَّهَا نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مِعَاطِفِهَا الْخَمْرُ^(٦).
وَعَنَّتْ قِيَانُ الْوُرْقِ خَلْفَ سُتُورِهَا، وَلِلْوُرْقِ أَنْ غَنَّتْ بِأَوْرَاقِهَا سِتْرُ^(٧).
لِمَوْلَايَ مَوْسَى أَبَدَتْ الْأَرْضُ زِينَةً فَتَوَجَّهَا زَهْرٌ وَوَشَّحَهَا نَهْرُ^(٨).
وَقَدْ رَفَلَتْ فِي حَلَّةٍ سُنْدُسِيَّةٍ وَشَاها الصَّبَا وَشَيْئًا وَدَبَّجَهَا الْقَطَرُ^(٩).

(١) في البيت تجريد (يجرد الشاعر من نفسه شخصاً يحاط به). بعد عرفان (بعد معرفة منها بمكانتي أيام شبابي).

(٢) لم تراقب الله: لم تحف الله (لم تشعر، وأنت ترتكب الذنوب، أن الله يراك).

(٣) السورة الثانية في المصحف وأطول سور القرآن الكريم (مائتان وست وثمانون آية).

(٤) المقصود: غارت منه (من الغيرة والغبطة والحسد). الزهر: اللامعة الشديدة اللعان.

(٥) كل زهرة متفتحة كانت كأنها ثغر يتسم لتلك المناسبة.

(٦) القضب جمع قضيب: الفصن. زهواً: عجباً بالنفس. النشوان: شارب الخمر.

(٧) القينة (بفتح القاف): المرأة الحسنة المفعية. الورق جمع ورقاء: الحمامة. (بأوراق الأشجار التي تنمي فيها). - نسمع الحمام تنمي على الأغصان ولا نراها (لأن أوراق الأغصان تحجبها).

(٨) - في أعلاها (على الأشجار) أزهار، وفي أسفلها (على الأرض) نهر جار.

(٩) رفل: لبس ثوباً ضافياً (واسعاً) جبلاً وتبختر به في المشي. سندس: حرير أخضر. وشاها: طرزها، زينها.

الصبا (بالكسر: الشباب) الربيع الجديد. الصبا (بالفتح: الريح الشرقية): تموج فيها فتحدث في نباتها توجات مختلفة. دبجها: جعل نباتها كالديباج (النبات الأخضر). القطر: المطر.

وإنَّ أبا زِيَانَ زَيْنٌ لِذَاتِهِ، زكا منه نَجْلٌ حين طاب له نَجْرٌ^(١).
وقد حَذَقَ القرآنَ حِذْقَ مَجُودٍ، فأشرقَ منه القلبُ وانشرحَ الصدرُ^(٢).
فيا مَلِكاً فاضتْ أشعُهُ نوره فأشرقَ منها للعلَى أنْجُمُ زَهْرُ.
هنيئاً، لكَ البُشرى، بَنَيْتَ بِهِدْيِهِمْ من الدينِ أركاناً يُهَدِّ بها الكُفْرُ^(٣).
هم تزدهي الأعلامُ والبيضُ والقنا كما ازدهتِ الأقلامُ واللَّوْحُ والحِجْرُ^(٤).
جَمَعْتُمْ لَدَى الْقَصْرَيْنِ كُلَّ فَضِيلَةٍ ساءَ لَكُمْ في الخافقينِ بها ذِكْرُ:
مَأْثَرَ شَقٍّ مِنْ قَرَى وَقِرَاءَةٍ تَضَمَّنَ مِنْهَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ قَصْرُ^(٥).
فمن صَدَقَاتٍ غَارَ مِنْ جُودِهَا الحَيَا،

وفيضَ هَيَاتٍ غَاضَ مِنْ جُودِهَا البحرُ^(٦).
دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ فَلَبَّوْا كَأَنَّ النَّاسَ ضَمَّهُمُ الحَشْرُ^(٧).
كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ نَحَوَكُمْ مُدَّ كَفُّهَا، فَمِنْ نَيْلِكُمْ فِي كَفِّهَا وَرَقٌ وَفَرٌ^(٨).
مَكَارِمُ لَا تَنْفَكُ تَزْدَادُ جِدَّةً عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَى الدَّهْرُ.
فَدَامَتْ بِكَ الْأَيَّامُ تُظْهِرُ حُسْنَهَا فَيَحْسُنُ فِي أَوْصَافِهَا النِّظْمُ والنَّثْرُ!

٤-★★ نفح الطيب ٧: ١٢١ وما بعد، راجع ٦: ٤٢٧ وما بعد؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٩-٢٠٠؛ الطَّمَار ١٧٧-١٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٨٨-١٨٩؛ الأصلة ٤: ٢٦، ص ١٥٠.

- (١) زكا: طاب، طهر. نجل: ابن. نجر: أصل.
- (٢) حذق: مهر، برع. التجويد: إعطاء الحروف حَقًّا في الخارج ومن المدود.
- (٣) الهدى (بفتح فسكون) والهدى (بالضم) بمعنى.
- (٤) الأعلام والبيض (السيوف) والقنا (الرماح) كناية عن الحرب والشجاعة. والأقلام إلخ كناية عن العلم.
- (٥) المأثرة: العمل النبيل الكريم. القرى: الضيافة والكرم.
- (٦) الحيا: المطر. غار من جودها: الحيا (نقد المطر). غاض الماء: ذهب في باطن الأرض. - لو كانت عطايكم من ماء المطر ومياه البحار لنفدت (بفتح النون وكسر الفاء) تلك المياه.
- (٧) البادي: الساكن في البادية. الحاضر: الساكن في المدينة (جميع الناس). الحشر: يوم القيامة.
- (٨) النيل: العطاء. الورق (بفتح فسكون): الفضة. وفر: كثير. الثريا مجموع نجوم يشبه الكف في رأي العين. - كان الثريا كف تمتد طلباً لعطائكم، فكان جيع نجومها (البيض الشبيهة بالفضة) من عطايكم.

يحيى بن خلدون

١- هو أبو زكريّا يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٧٣٣ (١١٣٢-١١٣٣ م) أو ٧٣٤. وفيها نشأ وتلقَى العِلْمَ على نَقَرٍ مِنْهُمْ عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ الْحَضْرَمِيُّ (ت ٧٤٩ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأَبْلِي (ت ٧٥٧ هـ) والحافظُ أبو عبد الله السُّطِّي (ت ٧٥٠ هـ) وسواهم مِنَ الَّذِينَ دَرَسَ عَلَيْهِمْ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ خَلْدُونٍ (ت ٨٠٨ هـ).

تَقَلَّبَتِ الْأَحْوَالُ بِيَحْيَى بنِ خَلْدُونٍ كَثِيرًا لِأَنَّهُ كَانَ مُتَقَلِّبَ الْهَوَى فِي السِّيَاسَةِ تَنَقُّلُهُ مَصْلَحَتُهُ الشَّخْصِيَّةُ بَيْنَ الْحَفْصِيِّينَ فِي تُونِسَ وَالْمُرِينِيِّينَ فِي فَاسَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ فِي تِلْمَسَانَ. وَكَانَ قَدْ تَوَلَّى لِلْحَفْصِيِّينَ فِي بَجَايَةَ (وهي اليوم من الجزائر) مَنَاصِبَ عَادِيَّةً. وَحَاوَلَ أَبُو حَمَّوُ الثَّانِي (من بني عبد الوادِ أصحابِ تِلْمَسَانَ) أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى بَجَايَةَ - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ - فَلَمْ يَسْتَطِعْ. فَلَمَّا عَادَ الْحَفْصِيُّونَ إِلَى بَسْطِ سُلْطَانِهِمْ عَلَى بَجَايَةَ اعْتَقَلُوا يَحْيَى بنَ خَلْدُونٍ (لَشَكِّهِمْ فِي وِلَايَتِهِ). وَلَكِنَّهُ هَرَبَ وَوَصَلَ إِلَى تِلْمَسَانَ سَنَةَ ٧٦٩ (١٣٦٧-١٣٦٨ م) فَعَيَّنَهُ أَبُو حَمَّوُ (٧٦٠-٧٩١ هـ) كَاتِبًا لِلْإِنْشَاءِ بَعْدَ تَوْصِيَةِ مَنْ أَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ خَلْدُونٍ (ت ٨٠٨ هـ).

ثُمَّ إِنَّ يَحْيَى انْحَازَ إِلَى الْمُرِينِيِّينَ وَشَيْكَأَ (سَنَةَ ٧٧٢)، وَمَا لَهُمْ مُهْلَكَةٌ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَهْدِدُوا بِهَا تِلْمَسَانَ. وَبِرُغْمِ ذَلِكَ رَضِيَ أَبُو حَمَّوُ عَلَى يَحْيَى وَأَعَادَهُ إِلَى مَنْصِبِهِ. وَلَكِنْ ذَلِكَ أَثَارَ غَيْظِ أَبِي تَاشْفِينَ (ابن أبي حَمَّوُ الثَّانِي) فَدَبَّرَ مَقْتَلَ يَحْيَى فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٧٨٠ (يَبْدَأُ رَمَضَانُ هَذَا فِي ٢٢/١٢/١٣٧٨ م).

٢- كَانَ يَحْيَى بنُ خَلْدُونٍ رَجُلَ سِيَاسَةٍ وَمُؤَرِّخًا كَمَا كَانَ مِيَالًا إِلَى الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ يَنْظِمُ فِي الْمَدِيحِ وَالْوَصْفِ، وَلَمْ يَكُنْ نَظْمُهُ عَالِيًّا. وَلَهُ مِيلَادِيَّاتٌ (فِي مَدْحِ الرَّسُولِ) يَسْتَطَرِدُّ فِيهَا أحيانًا إِلَى الْمَدْحِ. وَشُهْرَتُهُ قَائِمَةٌ عَلَى كِتَابِهِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا وَعُتُوهُ فِي لَفْظِ يَحْيَى بنِ خَلْدُونٍ «... وَسَمَّيْتُهُ بَغِيَّةَ الرُّوَادِ فِي ذِكْرِ الْمُلُوكِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ وَمَا حَازَهُ مَوْلَانَا أَبُو حَمَّوُ مِنَ الشَّرَفِ الشَّاهِقِ الْأَطْوَادِ....»، وَقَدْ أَلْفَهُ بِطَلَبٍ مِنْ أَبِي حَمَّوُ نَفْسِهِ وَانْتَهَى فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى سَنَةِ ٧٧٧ (١٣٧٥ م). وَقِيَمَةُ الْكِتَابِ تَقُومُ عَلَى تَوْفُّرِهِ عَلَى

عهد أبي حمو الثاني ثم فيه صورة لبلاط تلمسان في ذلك العهد وقصائد كثيرة تامة شعراء ذلك العصر. فقيمة الكتاب تاريخية واجتماعية وأدبية معاً.

٣- مختارات من آثاره

- نَظَّمَ يَحْيَى بْنُ خَلْدُونٍ فِي مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٧٨^(١) قصيدةً حذا فيها حَذْوَ لِسَانِ الدِّينِ أَبِي الْخَطِيبِ فِي مَوْلِدِيَّةٍ لَهُ^(٢) ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ فِيهَا إِلَى مَدْحِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو. قَالَ يَحْيَى بْنُ خَلْدُونٍ (نفع الطيب ٦: ٥١٠-٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ	أَنْ يُرَى حِلْفَ عَبْرَةٍ وَاقْتِضَاحٍ ^(٣)
يَا رَعَى اللَّهَ بِالْمُحْصَبِ رُبْعاً	أَذْنَتْ عِنْدَهُ النَّوَى يَأْتِزَّاحٍ ^(٤)
نَسَأُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْتِي	ذَلِكَ الرَّبْعَ بِالْدُمُوعِ السَّفَاحِ ^(٥)
يَا أَهْيَلِ الْحِمَى، نَدَاءٌ مَشُوقٍ	مَا لَهُ عَنْ هَوَى الدُّمَى مِنْ بَرَّاحٍ ^(٦)
طَالَمَا اسْتَعَذَبَ الْمَدَامِيعَ وَرَدّاً	فِي هَوَاكُم عَنْ كُلِّ عَذَبٍ قَرَّاحٍ ^(٧)
وَإِخْسَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ	يَغْفِرِ اللَّهُ ذَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي ^(٨)

(١) يقع مولد محمد رسول الله في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (الشهر الثالث في التقويم القمري الهجري). وذكرى مولده سنة ٧٧٨ هـوافق ١٣٧٦/٧/٣٠ م.

(٢) للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) مولدية مطلعها (نفع الطيب ٦: ٥٠٩):

مَا عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ أَنْ يَرَى طَائِراً بِفَنِيرِ جَنَاحِ
الْجَنَاحِ الْأَوَّلَى، (بَضَمَ الْجِيمِ: الذَّنْبُ وَالْإِثْمُ) وَالْجَنَاحُ الثَّانِيَةُ (بِفَتْحِ الْجِيمِ: أَحَدُ جَنَاحِي الطَّائِرِ).

(٣) الصَّبُّ: الْحَبُّ. حِلْفٌ (حَلِيفٌ) عَبْرَةٌ (دُمْعَةٌ) دَائِمُ الْبُكَاءِ.

(٤) الْمُحْصَبُ: مَكَانُ رَمَى الْجَمْرَاتِ فِي الْحَجِّ (مَنْسَكٌ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ) الرَّبْعُ: الْمَنْزِلُ الْمَعْمُورُ الْمَسْكُونُ. أَذْنٌ: نَادَى وَأَعْلَنَ عَنْ عَزْمِهِ، قَارِبٌ. النَّوَى: الْبُعَادُ، الْفَرَاقُ. اتِّزَّاحٌ: ابْتِعَادٌ (حِينَما وَصَلْنَا إِلَى مَكَّةَ شَعَرْنَا بِأَنَّا أَصْبَحْنَا قَرِيبِينَ مِنْ غَايَتِنَا).

(٥) الْخَلِيطُ: السَّاكِنُ مَعَ آخَرِينَ. نَسَأُ بِهِ: نَسَأَ عَنْهُ. السَّفَاحُ لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ فِي الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ (الْمَقْصُودُ: الْمُسْفُوحَةُ، الْهَاطِلَةُ بِكَثْرَةٍ). وَفِي الْقَامُوسِ: بَيْنَهُمْ سَفَاحٌ (بِكْسَرِ السِّينِ): سَفَكَ دَمَاءً.

(٦) أَهْيَلِ الْحِمَى (كُنَايَةٌ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ). الدُّمَى (النِّسَاءُ الْجَمِيلَاتُ) الْبَرَّاحُ: الْمُبَارَحَةُ، التَّرْكُ، التَّخَلِّيُّ عَنْ الْأَشْيَاءِ.

(٧) الْوَرْدُ (بِكْسَرِ الْوَاوِ): الشَّرْبُ. الْقَرَّاحُ: الْخَالِصُ، الصَّافِي.

(٨) الْاجْتِرَاحُ: ارْتِكَابُ الذُّنُوبِ (الْعَظِيمَةِ).

لَمْ أَقْدَمْ وَسِينَلَةً فِيهِ إِلَّا حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الشَّفِيعِ الْمَاحِي^(١)
سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَآخِرَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الْعَمَلِ وَالسَّاحِ
سَيِّدِ الْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ سِرَّهُ بَيْنَ غَايَةِ وَافْتِتَاحِ^(٢)
زَهْرَةِ الْغَيْبِ مَظْهَرُ الْوَحْيِ مَعْنَى الْخَوْرِ كُنْهُ الْمَشْكَاءِ وَالْمِصْبَاحِ^(٣)
آيَةُ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبُ الْمَعَالِي مُصْطَفَى اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ^(٤)
أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِيصَ زُلْفَى آخِرُ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَ نَجَاحِ^(٥)
مَنْ لِمِيلَادِهِ بِمَكَّةَ ضَاءَتْ مِنْ قُرَى قَيْصَرَ جَمِيعُ الضَّوَاهِي^(٦)
وَحَبَّتْ نَارُ فَارِسٍ وَتَدَاعَتْ مِنْ مَشِيدِ الْإِيْوَانِ كُلِّ النَّوَاحِي^(٧)
مَنْ رَقِيَ فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقًا وَرَأَى آيَ رَبِّهِ فِي انْتِضَاحِ^(٨)
وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبًا ظَافِرًا فِي الْعَمَلِ بِكُلِّ اقْتِرَاحِ^(٩)

- (١) فيه (في يوم القيامة). خير الورى (محمد رسول الله) ومن أسماؤه الشفييع والمحي.
- (٢) كان موجوداً في الافتتاح (عند خلق العالم) وسيظل موجوداً عند فناء العالم. راجع البيت الذي يأتي: أول الأنبياء....
- (٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته والغاية منه. المشكاة: تجويف في الجدار يوضع فيه المصباح. يبدو أن الشاعر يشير هنا إلى الآية الكريمة (٢٤: ٣٥، النور): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: مِثْلُ نَوْرِهِ كَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ (.... إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا رَسُولًا لِيَدُلَّ النَّاسَ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ وَعَظَمَتِهِ). المصطفى (المختار) من أسماء الرسول. قریش البطاح (بطحاء مكة: وسطها) كانوا أقوى وأشرف من قریش الطواهر (الذين كانوا يسكنون خارج مكة). وقریش كانوا أشرف العرب.
- (٤) أول الأنبياء الذين أراد الله أن يرسلهم إلى خلقه ولكن آخر من بعثه منهم بالرسالة الأخيرة التامة.
- (٥) في الخبر أنه في ليلة ميلاد الرسول أضاءت الأرض ما بين المشرق والمغرب، ورؤي هذا النور في مكة. قيصر: لقب ملك الروم (اليونان).
- (٦) خبا: خد، انطفأ. أهل فارس كانوا يعبدون النار، وكانوا يحرقون على أن تظل تلك النار المعبودة في الهيكل تامة الانتقاد. وقد خبت هذه النار في ليلة مولد الرسول. تداعي: تساقط وتهدم. المشيد: المبني. الإيوان: قصر كسرى. في الخبر وفي التاريخ أن زلزالاً حدث في بلاد فارس، وفي نحو مولد الرسول، وأن عدداً من القصور تهدمت.
- (٧) سبعا (السماوات السبع - مفعول به) طباقاً: بعضها فوق بعض - طباقاً - نمت «سبعا» أو بدّل منها: أعماق السماء. - رأى عجائب خلق الله بوضوح.
- (٨) قاب قوسين: قايي قوس (مسافة ما بين طرفي القوس: إلى مقربة شديدة).

مَنْ هَدَى الْخَلْقَ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودٍ
 مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلُّ لَوَاهُ
 أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى حَبِيباً ، وَإِنِّي
 فِي أَنَاجِيلِهِ الْمَسِيحُ تَلَاهُ
 يَا رُؤَاةَ الْقَصِيدِ وَالشُّعْرِ عَجَزَا ،
 إِنَّمَا حَسَبْنَا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ،
 يَا إِلَهِي ، بِحَقِّ أَحْمَدَ ، عَفْوَا
 وَأَدِمْ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى
 نَاصِرِ الْحَقِّ خَاذِلِ الظُّلْمِ عَدْلَا
 يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ
 يَا إِمَاماً بَدَّ الْمُلُوكَ جَلَالَا
 أَنْتَ شَمْسُ الْكَمَالِ دُمْتَ عَلَيْهَا
 وَأَبُو تَاشَفِينَ بِدَرٍّ مَنْيرٍ
 وَبِكُمْ زَيْنَتْ سَمَاءُ الْمَعَالِي

وَجَلَا لَيْلَ غَيْبِهِم بِالصَّبَاحِ^(١)
 يَلْجَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظَاهِرٍ وَضَاحِي^(٢) :
 فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ مَرْمَى طِهَاحِي^(٣) .
 بِاسْمِهِ ، وَالْكَلِيمُ فِي الْأَلْوَا حِ^(٤) .
 مَا عَسَى تُذَرِّكُونَ بِالْأَمْدَاحِ^(٥) ؟
 وَهِيَ لِلْفَوْزِ آيَةٌ اسْتَفْتَاحِ .
 عَنْ ذُنُوبٍ جَنَيْتُهُنَّ قِيَاحِ .
 ذِي الْمَعَالِي الْمُبِينَةِ الْأَوْضَاحِ ،
 مَلْجَأُ الْخَائِفِينَ بَحْرُ السَّحَابِ .
 وَيُلَاقِي الْعِدَا بِأَسْرِ صِفَاحِ^(٦) .
 وَجَلَالَا ، فُديَتْ بِالْأَرْوَاحِ^(٧) .
 بِأَغْتَبَاقٍ مِنَ الْمُنَى وَأَصْطِيحِ^(٨) .
 زَانَهُ اللَّهُ بِالْخِلَالِ الصَّبَاحِ^(٩) .
 وَأَهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَاحِ .

- (١) الحمر (جمع أحر): العجم. السود: العرب. جلا: كشف. الغي: الضلال.
- (٢) الحوض (للقياء) واللواء (للظل) يوم القيامة. الظامىء: العطشان. الضاحي: الذي أصابه حرّ الشمس.
- (٣) أحمد (من أسماء الرسول) المجتبى: المقرّب. حبيباً (أي حبيباً لله). طهاحي (أُملي) كبير جداً لأنني مذنب كثيراً (فأُملي في شفاعة الرسول لي على مقدار ذنبي وفوق ما أستحق).
- (٤) الهاء في «أناجيله» راجعة إلى ما بعدها (إلى المسيح). تلاه: قرأه، ذكره. الكليم: موسى. الألواح العشرة (الوصايا العشر) التي أوحى الله بها إلى موسى على جبل الطور. (لقد ذكر في التوراة وفي الإنجيل أن محمداً صلى الله عليه وسلم سبعت نبياً).
- (٥) أيها الشعراء الذين تحاولون مدح الرسول بالقصائد فتعجزون.
- (٦) - أبو حمو الثاني يعطي كثيراً، ومع ذلك يستحي من الذين يعطيهم لأنه يودّ دائماً أن يعطيهم أكثر. البأس: القوة. الصفاح جمع صفيحة: الحجر العريض، السيوف (٩).
- (٧) بدّ: غلب، سبق، فاق.
- (٨) الاغتباق والاصطيح (في الأصل): شرب الخمر مساءً وصباحاً. (هنا): صباحاً ومساءً (دائماً).
- (٩) أبو تاشفين: ابن أبي حمو الثاني. الخلال: الصفات. الصباح: البيضاء (الجميلة).

- وصف تلمسان من كتاب « بغية الرواد » (نفع الطيب ٧: ١٣٣ - ١٣٥):

ودارُ مُلكِهِمْ وَسَطٌ بَيْنَ الصَّحراءِ وَالتَّلِّ^(١)، تُسَمَّى بِلُغَةِ الْبَربرِ تَلْمَسَن - كلمةٌ مركَّبةٌ من « تلم » ومعناه تَجْمَعُ، و« سن » ومعناه اثنان: أي الصَّحراءِ وَالتَّلِّ، فيما ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِيّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ حَافِظًا بِلِسَانِ الْقَوْمِ^(٢) - وَيُقَالُ « تَلْمَسَان »، وَهُوَ أَيْضًا مَرْكَبٌ من « تلم » ومعناه لها، و« شان »: أي لها شَأْنٌ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَرِيقَةٌ^(٣) فِي التَّمَدُّنِ لَذِيذَةُ الْهَوَاءِ عَذْبَةُ الْمَاءِ كَرِيمَةُ الْمَنْبِتِ اقْتَعَدَتْ بِسَفْحِ جَبَلٍ، وَدَوَيْنَ رَأْسُهُ بَسِيطٌ أَطُولُ من شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ^(٤)، عُرُوسًا فَوْقَ مِئْصَةِ، وَالشَّامِرِيخُ مُشْرِفٌ^(٥) عَلَيْهَا إِشْرَافَ النَّجَاحِ عَلَى الْجَبِينِ. وَيَطِلُ مِنْهَا عَلَى فَخْصِ أَفْيَحٍ^(٦) مُعَدٍّ لِلْفَلَاحَةِ تَسْقُ ظُهُورَهُ الْأَسْلِحَةُ عَلَى مِثْلِ أَسْنِمَةِ الْمَهَارِيِّ^(٧).... وَبِهَا لِلْمَلِكِ قُصُورٌ زَاهِرَاتٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْمَصَانِعِ الْفَائِقَةِ وَالصُّرُوحِ الشَّاهِقَةِ وَالْبَسَاتِينِ الرَّائِقَةِ تَمَّا زُخْرِفَتْ عُرُوشُهُ وَنُصِّبَتْ غُرُوسُهُ وَنُوسِبَتْ أَطْوَالُهُ وَعُرُوضُهُ. فَازْرَى بِالْخَوَزَنْقِ وَأُخْجَلَ الرُّصَافَةِ وَعَبَثَ بِالسَّدِيرِ^(٨). وَتَنْصَبُّ إِلَيْهَا مِنْ عَلَيَّ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ تَتَجَادَبُهُ

- (١) دار ملكهم: عاصمتهم (تلمسان): التل: الجبل.
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد المبدري الأبي التلمساني أندلسي الأصل من آيلة (أيلة: أفيله، إلى الشمال الغربي من مدريد). كان شيخاً كبيراً تلقى العلم عليه يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن المشهور وغيرهما كثير. القوم: البربر.
- (٣) عريقة: قديمة.
- (٤) دوين (تحت ولكن بمسافة قصيرة) بسيط (أرض منبسطة مستوية) أطول من شرق إلى غرب: طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من طولها من الشمال إلى الجنوب.
- (٥) المئصة: المنضدة (المكان المرتفع). الشمراخ: رأس الجبل.
- (٦) الفحص: كل موضع يسكن (سهل). أفيح: واسع.
- (٧) الأسلحة جمع سلاح (هنا): مكان مسلح، حصن! السام: كتلة شحم على ظهر الجمل (قبة). المهاري (جمع) الإبل المهرية (من مهرة - بفتح ففتح - في اليمن).
- (٨) المصنع: حوض للماء، والمصنع أيضاً القصر والحصن. الصرح: البناء العالي. الرائق: الذي يوجب العين.
- (٩) زخرف: زين. العرش (هنا): المظلة (السقف من أغصان الشجر). نقش (بالألوان)، زين. الفرس: الشجر (١).
- (١٠) أزرى: عاب، أظهر نقص الأشياء التي تقارن به. عبث (هزى، استخف). الخوزنق والسدير والرصافة قصور. والرصافة خاصة أسماء لمدن ثم قلعة للإسماعيليين.

أَيْدِي الْمَذَانِبِ وَالْأَسْرَابُ الْمَكْفُورَةُ خِلَافًا^(١). ثُمَّ تُرْسِلُهُ بِالْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَالسَّقَايَاتِ بِالْقُصُورِ^(٢)، وَعَلِيهِ الدُّورُ وَالْحَمَامَاتُ فَيُنْفِخُ الصَّهَارِيحَ وَيُفْهِقُ الْحِيَاضَ وَيَسْقِي رَيْعَهُ^(٣) خَارِجَهَا مَغَارِسَ الشَّجَرِ وَمَنَابِتَ الْحَبِّ. فَهِيَ الَّتِي سَحَرَتِ الْأَلْبَابَ رُؤَاءً وَأَصْبَتِ النَّهْيَ^(٤) جَمَالًا وَوَجَدَ الْمَادِحُونَ فِيهَا الْمَقَالَ فَاطْلَالُوا وَأَطَابُوا... فَأَنَا أَشِدُّ سَاكِنَهَا قَوْلَ ابْنِ خَفَاجَةَ^(٥) لَا سَتَحْقَاقَهَا إِلَّا يَاهُ عِنْدِي:

مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي مَنَازِلِكُمْ؛ وَهَذِهِ كُنْتُ، لَوْ خَيْرْتُ، أَخْتَارُ.
لَا تَتَّقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا، فَلَيْسَ تُدْخِلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ^(٦)!

وَتَوَسَّطَتْ قُطْرًا ذَا كُورٍ عَدِيدَةٍ تَعْمُرُهَا أَمْشَاجُ^(٧) الْبَرَبِ وَالْعَرَبِ، مَرِيعةِ الْجَنَابَاتِ مُنْجِبَةٍ لِلْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ^(٨)، كَرِيمَةِ الْفِلَاحَةِ زَاكِيَةِ الْإِصَابَةِ. فَرُبَّمَا انْتَهَتْ فِي الزَّوْجِ الْوَاحِدِ إِلَى أَرْبَعِمِائَةٍ مَدَّ كَبِيرٍ^(٩).....

٤- بغية الرواد (نشرة ألفرد بل)، الجزائر (مطبعة بيبير فوتتانه) ١٣٢١ هـ وما بعد=١٩٠٣-١٩١٣ م.

★ نفع الطيب، راجع ٦: ٣٨٩-٣٩٩، ٥١٠-٥١٣، ٥١٥-٥١٧، ٧: ١٣٣-١٣٥؛
دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣١-٨٣٢ (تحليل جيد للكتاب: بغية الرواد)؛ بروكلمن
٣١٢: ٣-٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢١١ (١٦٦)؛ الفكر ١٢/٦٠.

(١) عَلٌ (بفتح العين) تكون معرفة ومبينة على الضم بمعنى: «من المكان العالي». وتكون نكرة ومعربه بمعنى «من مكان عالٍ»، أي مكان كان. آسن: متغير الطعم، فاسد.

المذنب (بكسر فسكون ففتح): مسيل الماء من جانب النهر. المسرب (بفتح فسكون ففتح): تمر الماء أو الحية، إلخ. المكفورة (المستورة، المغطاة). خلالها: بينها (المسارب قائمة بين المذانب).

(٢) بالمساجد: إلى المساجد (!). السقاية: موضع السقيا. بالقصور (في القصور!).

(٣) أفعم وأفهق: ملأ. الصهريج: حوض كبير للماء. الريع (ما يفيض من الشيء أو يبقى بعد أخذ الحاجة منه).

(٤) اللب: العقل. الرواء: الجمال. النهي: العقل.

(٥) راجع، فوق ص ٥: ٢١٨.

(٦) لا تتقوا: لا تخافوا. سقر: جهنم.

(٧) الكور جمع كورة: البقعة من الأرض فيها عدد من القرى. تعمرها: تسكنها وتبني فيها. أمشاج: أخلاط.

(٨) المريع: الحصب (الكثير الشب). المنجب: الذي ينتج (بالبناء للمجهول)، نتاج جيد.

(٩) زاكية الإصابة.... فرُبَّمَا انتَهَتْ فِي الزَّوْجِ... (٩).

ص ٣٢-٣٧؛ الأصلة ٣: ١٣ ص ٢١٣-٢٢٢ (محمود بو عياد - وفيه تحليل واف
للكتاب وتلخيص لقيمته)، ٤: ٢٦ ص ١٥١-١٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٩٧-٩٨؛
معجم المؤلفين ١٣: ٢٢٨.

ابن مرزوق الخطيب

١- آل الخطيب في المغرب أسرة مشهورة: كان مرزوق من عجيسة^(١) ومن أحياء
النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة. ثم برزت هذه الأسرة في التاريخ لما أخذ أبو
بكر بن مرزوق نفسه بخدمة المتصوف المشهور أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ). وبعد أبي بكر
توالى آل مرزوق على خدمة مقام أبي مدين في جبل العباد المطل على مدينة تلمسان.

وصاحب هذه الترجمة هو شمس الدين أبو عبد الله (أبو بكر) محمد بن أحمد بن محمد
ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي ويعرف بابن مرزوق الجد، تميزاً له من
حفيدته محمد^(٢). وُلد ابن مرزوق الخطيب الجد سنة ٧١٠ (١٣١٠-١٣١١ م) في
تلمسان، وفيها نشأ وتلقى مبادئ علمه. وفي سنة ٧٢٨ رحل بصحبة والده أحمد
(٦٦٨-٧٤١ هـ) وحج وطاف في مصر والحجاز والشام ولقي في أثناء هذا التطواف
عدداً كبيراً من العلماء - زعموهم ألقين - وأخذ عنهم. وفي سنة ٧٣٣ (١٣٣٣ م) عاد
وحده إلى المغرب فجعله السلطان أبو الحسن علي المرتضى (٧٣١-٧٥٢ هـ) صاحب
سيره وخطيب منبره وأمين رسالته. وفي سنة ٧٤٨ (١٣٤٧ م) سفر له إلى صاحب
قتالة ألفونس الحادي عشر لمقابلة الصلح وفك الأسرى.

وفي سنة ٧٥٢ حدث نزاع في البيت المال في المغرب فغادر ابن مرزوق
المغرب - في حديث طويل - وجاز إلى الأندلس واستقر في غرناطة فجعله السلطان أبو
الحجاج يوسف خطيباً في جامع ومقرئاً في مدرسته. ثم إن اضطراب الأحوال في

(١) عجيسة: اسم مكان في الزاب في جنوبي المغرب (راجع تاريخ الجزائر العام ٢: ١٠٤)، قبيلة من البربر
(شذرات الذهب ٦: ٢٧١).

(٢) كان ابن مرزوق الحفيد من علماء الحديث (نفع الطيب ٥: ٥٢٠) ثم كان هنالك محمد الكفيف
(٨٢٤-٩٠١ هـ) من الخطباء والمحدثين، وهو ابن محمد الحفيد (راجع نفع الطيب ٥: ٤١٩).

المغرب وفي الأندلس حمل ابن مرزوق على التردد بينهما مراراً وعرضه للنكبات وللسجن في المغرب ثلاث مرّات. وملّ هذا القلق في الحياة فانتقل إلى تونس، سنة ٧٦٤، وتولّى بها الخطبة في جامع الموحدين. ثم إنّ الأحوال ساءت بين الحفصيين سلاطين تونس والمرينيين سلاطين المغرب، فاختر ابن مرزوق أن يرحل إلى مصر (في ربيع الأول سنة ٧٧٣) فنال فيها حظوة عند الملك الأشرف شعبان وتولّى الخطابة والتدريس في أماكن كثيرة. وكانت وفاته في القاهرة في ربيع الأول من سنة ٧٨١ (مطلع الصيف من عام ١٣٧٩ م).

٢- كان ابن مرزوق الخطيب الجذّ رجلاً وقوراً مع كثير من الظرف وقليل من الدعابة. وكان «عالم الدنيا» في أيامه (كما ذكر المقرئ في أماكن كثيرة من نفع الطيب) مشغلاً بقراءة القرآن والحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه؛ ولكن شهرته كانت في الحديث. وله ترسل ونظم ليسا من الطبقة العليا، ولكنها يمثّلان عصره وينطقان بفضله، إذا نحن قسناها بشعر أمثاله من العلماء وبنثرهم. وكان أيضاً مصنّفاً، إلّا أنّ كتبه ضاعت سوى فهرسة شيوخه. فمن كتبه: شرح الشفا في التعريف بحقوق المصطفى^(١) (لعمياض ت ٥٤٤ هـ) - شرح عمدة الأحكام عن سيّد الأنام^(٢) - شرح الأحكام الصغرى (لعمد الحقّ بن الخراط الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ) - الإمامة^(٣) - عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات التقليد - إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب^(٤) - إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الفوائد - المفاتيح

(١) المصطفى: محمد رسول الله.

(٢) فيه الأحاديث المنطوية على الأحكام الشرعية، ولذلك يُلفى أيضاً باسم: عمدة الأحكام عن سيّد الأنام من أحاديث النبي عليه السلام (أو: في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام) وهو من تأليف عبد الغنيّ ابن عبد الواحد الجماعلي (ت ٦٠٠) وقد جمع ابن مرزوق في شرحه لهذا الكتاب بين شرح تقي الدين ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢) وشرح عمر بن عليّ الفاكهاني (ت ٧٣٤) بالإضافة إلى زيادات كثيرة من عنده.

(٣) ضلّ عني العنوان الكامل لهذا الكتاب، وأظنّه في الكلام على البخاري ومسلم.

(٤) هو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦) وهو من النحاة ومن الفقهاء (كتابه المذكور هنا في الفقه).

المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية أو^(١) شرح القصيدة الخزرجية المسماة: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية (لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المتوفى نحو سنة ٢٢٦) - تمهيد السالك إلى شرح ألفية ابن مالك - المُنْدُ الصحيحُ الحسنُ من أحاديث السلطان أبي الحسن^(٢) - النور البذري في التعريف بالفقيه المقرئ^(٣)، إلخ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن مرزوق الخطيب في المقرئ الجد^(٤):

كان صاحبنا المقرئ معلوم القدر مشهور الذكر تبعه بعد موته، من حُسن الثناء وصالح الدعاء، ما يُرجى له النفع به يوم اللقاء^(٥). وعوارفه معلومة عند الفقهاء مشهورة عند الدهماء^(٦).

- عرف ابن مرزوق الخطيب أن لسان الدين بن الخطيب قادمٌ إلى فاس برسالة إلى السلطان أبي عنان. فأرسل إليه مَرْكُوباً (حِصَاناً لِرُكُوبِهِ) ومعه رسالة فيها إشارة إلى فضل أبي عنان. من هذه الرسالة:

مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عِنَانٍ فِي النَّدَى	بِسِوَاهُ، قَاسَ الْبَحْرَ بِالضَّخْضَاحِ ^(٧) :
مَلِكٌ يُفِيضُ عَلَى الْعَفَاةِ نَوَالَهُ	قَبْلَ السُّؤَالِ وَقَبْلَ بَسْطَةِ رَاحِ ^(٨) .
فَلْجُودَ كَعْبٍ وَابْنَ سَعْدَى فِي النَّدَى	ذِكْرٌ مَحَاهُ عَنْ نَدَاهُ مَاحِي ^(٩) .

- (١) لعلّ العنوانين لكتاب واحد.
- (٢) هو السلطان المريني أبو الحسن علي بن سعيد (ت ٧٥٢).
- (٣) راجع الحاشية التالية.
- (٤) محمد بن محمد المقرئ (ت ٧٥٩ هـ) وهو جد أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١) مؤلف «نفع الطيب».
- (٥) يوم اللقاء: يوم القيامة.
- (٦) الدهماء: عامة الناس: سوادهم (الجانب الأعظم منهم).
- (٧) الضحضاح: الماء القليل العمق، القليل.
- (٨) أفاض: سكب. العافي: الذي يطلب العطاء. النوال: العطاء.
- (٩) كعب بن مامة من أجداد الجاهلية. وأما ابن سعدى فعرفه إسماعيل بن عباس (نفع الطيب ٦: ٦٤ ح) أنه أوس بن حارثة الطائي (راجع أيضاً ابن الأثير ١: ٦٢٧). الندى: الكرم.

ما إن سَمِعْتُ - ولا رأيتُ - بمثله: من أَرِيحِي للنَّدى مُرتاح^(١).
 بَسَطَ الأمانَ على الأنامِ ، فأصَبَحُوا قد ألْحِفُوا مِنْهُ بِظِلِّ جَنَاحِ^(٢).
 وَهَمَى على العافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ حَتَّى حَكَى سَحَّ الغمامِ الساحي^(٣).

فالحمدُ لله ، يا سيِّدي وأخي ، على نِعَمِهِ التي لا تُحصى حَمْدًا يَوْمُ بنا جميعاً المَقْصِدَ
 الأُسْنَى^(٤) فيبلغُ الأمدَ الأقصى . فطالَما كان مُعْظَمُ سيِّدي للأُسى في خَبالٍ ، وللأسف
 بَيْنَ اشتغالِ بالٍ واشتعالِ بلبالٍ^(٥) . ولَقَدْ وِمِكمُ على هذا المقامِ المَوَلَوِي^(٦) في ارتقابِ ،
 ولمواعيدكمُ بذلك في تَحَقُّقِ وقوعِهِ من غيرِ شكٍّ ولا ارتيابٍ ... وَلِسيِّدي الفضلُ في قبولِ
 مَرْكوبِهِ الواصلِ إليه بِسَرِّهِ وَلِجَاهِهِ . فَهُوَ مِنْ بَعْضِ ما لَدَى المُعْظَمِ من إِحسانِ مَوْلَاهُ
 وإِنعامِهِ^(٧) . وَلَعَمْرِي ، لقد كانَ واقدًا على سيِّدي من مُستَقَرِّهِ مَعَ غَيْرِهِ . فالحمدُ لله ، يَسَّرَ
 في إيصالِهِ على أَفضلِ أحوالِهِ^(٨) .

- كَتَبَ لِسَانُ الدِّينِ بنِ الخطيبِ فصلًا في «الإحاطة» عن ابنِ مرزوقٍ ، وقال في
 هذا الفصل: «أَحْسَنْتُ مِنْهُ... صاغيةً إلى الدُّنيا وَحِينًا لما بَلَّاهُ اللهُ مِنْ غُرُورِها^(٩)» .
 واطَّلَعَ ابنُ مرزوقٍ على هذا الفصلِ (بعدَ النكبةِ التي حَلَّتْ بلسانِ الدينِ) ، فعَلَّقَ على

- (١) الأَرِيحِي: الواسع الخلق المرتاح (الذي يرتاح: يسر) بأعمال الكرم.
- (٢) ألْحِفَ فلان فلانًا: اشترى له لحافًا ، ألبسه ثوبًا (غطاءً ، ستره) . - ولو قال: قد ألْحِفُوا مِنْ ظِلِّه بجناح لكان هو أشعر ولكان التركيب أمتن ولظلُّ الوزن صحيحًا.
- (٣) همى: سال بكثرة . السيب: الفيض . سح: سال . الساحي (المطر) الهاطل بكثرة حَتَّى أَنَّهُ يجرف ما فوق سطح الأرض .
- (٤) يَوْمُ: يقصد ، يتَّجِه إلى . المقصد: الغاية . الأُسْنَى: الأعلى .
- (٥) الأُسى: الحزن . الخبال: ضعف العقل . البلبال: شدَّةُ الهمِّ ، الوسواس . «كان مُعْظَمُ سيِّدي للأُسى»: أكثر أيام أحزان (٢) .
- (٦) المقام المولوي (نسبة إلى مولى): بلاط أبي عنان في فاس .
- (٧) المُعْظَمُ (يكسر الظاء المُشدَّدة): ابن مرزوق نفسه! من إِحسانِ مَوْلَاهُ (لسان الدين بن الخطيب!) على سيِّدي (لسان الدين بن الخطيب) .
- (٨) كان ابن مرزوق قد تسلَّم هدية من الخيل هذا الحصان أحدها (!)
- (٩) صاغية الرجل: خاصَّته الميالون إلى اتِّباعِهِ (المعجم الوسيط ٥١٨) - يقصد: ميلًا إلى الدُّنيا . «حِينًا لما بَلَّاهُ اللهُ (امتحنه ، أصابه) مِنْ غُرُورِ (الدُّنيا): باطلها» . إشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب كان (قبل نكبته) قد أَحَبَّ الدُّنيا مَعَ ما كان يطمح من باطلها .

هذا الفصل بما يلي:

تَوَهَّمَ مَا لَا يَقَعُ^(١)، بَلْ لَمَّا تَجَلَّتْ عَنِّي سَحْبُ النَكْبَةِ وَالامْتِحَانِ جَزَمْتُ بِالرَّحْلَةِ
وَعَزَمْتُ عَلَى النُّقْلَةِ^(٢). وَنَفَرْتُ مِنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَمِلَازِمَةِ الْأَوْطَانِ. وَالْعَجَبُ كُلُّ
الْعَجَبِ أَنْ جَمِيعَ مَا خَاطَبَنِي بِهِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَحَلَّى بِهِ أَجْمَعٌ، وَابْتُلِيَ بِمَا مِنْهُ
حَذَرٌ^(٣). فَكَأَنَّهُ خَاطَبَ نَفْسَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ. فَاللَّهُ تَعَالَى يُخَسِّنُ لَهُ الْخَاتَمَةَ وَالْخِلَاصَ^(٤).

- فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥: ٣٩٧-٤٠٢) مَوْلِدِيَّةٌ (قَصِيدَةٌ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ) طَوِيلَةٌ
(١١٧ بَيْتًا) بَارِعَةٌ تَقْلَهُا الْمُقَرِّيُّ عَنْ «الْإِحَاطَةِ» لِّلْسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ، وَذَكَرَ أَنَّ
لِسَانَ الدِّينِ قَدَّمَهَا بِقَوْلِهِ: «وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مَحَاسِنِهِ مَا أُنْشِدَ عَنْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَيْلَةُ
الْمِيلَادِ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ ٧٦٣^(٥). ثُمَّ قَالَ الْمُقَرِّيُّ إِنَّ لِسَانَ الدِّينِ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ إِنَّ
الْقَصِيدَةَ لَيْسَتْ لِابْنِ مَرْزُوقٍ^(٦) بَلْ هِيَ مَقُولَةٌ عَلَى لِسَانِهِ وَمُنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ. وَرَأَيْتُ الْمُقَرِّيَّ أَنَّهَا
لِابْنِ مَرْزُوقٍ نَفْسِهِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ نَفْسَ الْقَصِيدَةِ مُخْتَلَفٌ مِنَ النَّفْسِ السَّائِدَةِ فِي الشَّعْرِ الَّذِي
قَالَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ. وَسَاقِفٌ بِجَانِبِ الْمُقَرِّيِّ وَأُورِدُ فِيمَا يَلِي جَانِبًا وَاقِيًا مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

وَصِيفَ لَجِيرَانَ الْحِمَى وَجَنَدِي بِهِمْ وَسَهْرِي .
وَحَقِّمَهُمْ، مَسَاغِيرَتِ وَدِّي صُرُوفُ الْغَيْرِ^(٧).
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ، قَضَى ضَيِّتُ، حِمْدُ الْأَثَرِ.

-
- (١) ظَنَّ لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ مَا لَيْسَ صَحِيحًا فِي سُلُوكِ ابْنِ مَرْزُوقٍ.
(٢) النُّقْلَةُ (بِالْفَتْحِ): صَوْتُ السَّيْلِ، (وَبِالْكَسْرِ): الْمَرَأَةُ الَّتِي لَا تُخَطِّبُ لِكَبْرِ سَنَتِهَا، (وَبِالضَّمِّ): النَّمِيمَةُ.
الْمَقْصُودُ: الْإِنْتِقَالُ، هَجَرَ الْمَكَانَ.
(٣) حَذَرَنِي مِنْ شَيْءٍ (لَمْ يَكُنْ فِي) ثُمَّ وَقَعَ هُوَ فِيهِ.
(٤) فَاللَّهُ تَعَالَى يَخَسِّنُ لَهُ الْخَاتَمَةَ (خَتَامَ حَيَاتِهِ) وَالْخِلَاصَ فِيهَا. وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ابْنَ مَرْزُوقٍ كَتَبَ هَذِهِ
الْمُلَاحَظَةَ حِينَ كَانَ لِسَانَ الدِّينِ مِنْكُوبًا وَمُسْجُونًا.
(٥) مَوْلِدُ الرَّسُولِ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ. وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ سَنَةَ ٧٦٣ يَقَعُ فِي ٩ / ١ / ١٣٦٢ م.
(٦) يَقُولُ إِحْسَانُ عِبَّاسٍ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٥: ٣٩٧ ح): لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي «الْإِحَاطَةِ». وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ
يَقْصِدُ فِي «مَخْطُوطَاتِ الْإِحَاطَةِ» لَا فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ فَقَطْ.
(٧) صُرُوفُ الْغَيْرِ: تَقَلُّبُ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ.

أَيَّامُهُ هِيَ السَّيِّئَةُ
وَيَا لَيْلٍ لَيْلٍ فِيهِ، مَا
الْعُمْرُ قَيْنَانُ وَوَجْهٌ
وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مِنْ
صَفْوٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلَا
عَهْدِي بِحَادِي الرُّكْبِ كَالِ
لَيْتِكَ، لَيْتِكَ، إِيَّاهُ
وَلَا حَتَّ الْكَعْبَةِ يَدِ
ثُمَّ تَنَوَّا نَحْوَ رَسُولِ
فَعَايَنُوا فِي طَبِيبَةٍ
رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْمُ
زِيَارَةِ الْمَهَادِي الشَّفِيعِ
رَبَّعٌ بِهِ مُسْتَنْزَلٌ إِلَ

أَحْسِبُهُمَا مِنْ عُمْرِي.
عَيْبٌ بِغَيْرِ الْقَصْرِ.
هُ الدَّهْرُ طَلَّقَ الْغُرَّ (١).
ظُومٌ كَنْظَمَ السُّدُرَ:
شَائِبَةٌ مِنْ كَدَرِ.
وَرَقَاءُ عِنْدَ السَّحَرِ (٢).
هُ الْخَلْقُ بَارِي الصُّورِ (٣).
تُ اللَّهُ ذَاتُ الْأَثَرِ (٤).
لِ اللَّهِ سَيْرَ الضُّمَرِ (٥)،
لِأَلَاءِ نَوْرِ نَيْرِ (٦)
تَشَفَّوْا بِلَثْمِ الْجُدُرِ (٧).
عِ جَنَّةٍ فِي الْمَحْشَرِ (٨).
- أَيَّ بِهِ وَالسُّورِ (٩)،

- (١) فينان: طويل الشعر (المقصود: لا يزال في العمر متسع). الغرة: شعر مقدم الرأس. طلق: واضح، مشرق، ضاحك. طلق الغرر: مسرور.
- (٢) حادي (سائق) الركب (الجماعة المسافرين معاً). إِنَّ صَوْتَ الْحَادِي (مع أَنَّهُ فِي الْعَادَةِ يَكُونُ غَلِيظًا) هُوَ هُنَا مَجْنَبٌ كَصَوْتِ الْوَرَقَاءِ (الجماعة) فِي السَّحَرِ (الصباح) لِأَنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَ مَكَّةَ لِلْحَجِّ.
- (٣) لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ: دَعَاءٌ يَجْهَرُ بِهِ الْحَاجُّ فِي اتِّجَاهِهِمْ نَحْوَ مَكَّةَ. لَيْتَكَ (اسم فعل): أَنَا مُقِيمٌ عَلَى طَاعَتِكَ وَمُسْتَجِيبٌ لِنِدَائِكَ!
- (٤) الأثر: الرونق والجمال.
- (٥) ثنى: ردّ، عطف (تابع السير في اتجاه آخر) نَحْوَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ (فِي الْمَدِينَةِ). «سِير» مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «تَنَوَّا». الضُّمَرُ (الخيل والنياق الضامرة، النحيلة، وتكون سريعة).
- (٦) طَبِيبَةٌ: مَدِينَةُ الرَّسُولِ.
- (٧) رَأَوْا قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ.
- (٨) الْمَهَادِي الشَّفِيعُ (رَسُولُ اللَّهِ) هَدَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَسَيِّفَعُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لِإِنْقَادِ الْمَذْنِبِينَ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. الْجَنَّةُ: الْوَقَايَةُ. الْمَحْشَرُ: يَوْمُ الْحَشْرِ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
- (٩) الْمَكَانُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

وَمُلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْهَادِي الزَّكِيِّ الْعُنْصُرِ^(١)،
مُنْتَخَبُ اللَّهِ وَمُخْذُ تَارُ الْوَرَى مِنْ مُضَرٍّ^(٢)
ذُو الْمُعْجَزَاتِ الْغُرِّ أَمْ شَالِ النُّجُومِ الزُّهْرِ.

★ ★ ★

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عَلَى الْإِلَهِ وَخَيْرَ الْبَشَرِ،
يَا مَنْ لَدَى مَوْلِدِهِ الْإِسْلَامُ مَقْدَسُ الْمَطَهْرِ
إِيوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ إِذْ ضَاءَتْ قُصُورُ قَيْنَصَرٍ^(٣).

★ ★ ★

يَا وَيْحَ نَفْسِي، كَمْ أَرَى فِي غَفْلَةٍ مِنْ عُمْرِي!
وَاحْسِرْتِي مِنْ قَلْبَةٍ الزُّلْزَالِ وَبُعْدِ السَّفَرِ.
ضَيِّعْتُ فِي الْكِبَرَةِ مَا أُعِدْتُ لَهُ فِي صِغَرِي.
وَلَيْسَ مِمَّا مَرَّ مِنْ أَلْيَمٍ بِأَيَّامٍ بِالْمُنْتَظَرِ.
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى تَسْرِقُ طِيْبَ الْعُمْرِ،
هَلْ أُرْتَجَى مِنْ عَوْدَةٍ أَوْ رَجْعَةٍ أَوْ صَدَرٍ^(٤)
فَأُبْرِدَ الْغَلَّةَ مِنْ ذَاكَ الزَّلَالِ الْخَصِيرِ^(٥).

★ ★ ★

يَا ابْنَ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الْبَرِّ الزَّكِيِّ السَّيِّدِ^(٦)،
مَذْحُوكٌ قَدْ عَلَّمَ نَظْمَ سَمِ الشَّعْرِ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ.

(١) الهادي (الرسول) الزكي (الطاهر) العنصر (الأصل).

(٢) مضر: عرب الشمال (المقصود: من العرب).

(٣) أرتج: أهتز، تزلزل. في التاريخ أن إيوان كسرى تهدم قسم منه بزلزال في نحو الوقت الذي ولد فيه الرسول.

(٤) عودة إلى الحج وزيارة المدينة. الصدر (بفتح ففتح): الرجوع (من الحج وقد تقبل الله حجِّي).

(٥) الغلة: المطش (الشوق الشديد إلى زيارة مكة والمدينة). الزلال: الماء الصافي. الحصر: البارد.

(٦) لما قيلت هذه القصيدة، سنة ٧٦٣، كان ابن مرزوق لا يزال في المغرب، وكان السلطان يومذاك محمد بن يعقوب (٧٦٢ - ٧٦٧ هـ). والأبيات طبعاً مديح. الزكي السيرة (نظم الحياة): الطاهر السلوك.

جَهْدُ الْمَقَلِّ الْيَوْمَ مِنْ مِثْلِي كَوْنَعِ الْكَثِيرِ^(١).
فَلَا يَنْ يَقْصُرُ ظَاهِرِي، فَلَمْ يُقْصِرْ مُضْمَرِي!

- من الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَادِيثِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ^(٢):

لَمْ يَزَلْ^(٣) (هذا)^(٤) دَابَّةً^(٥)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَالِ إِمَارَتِهِ وَخِلَافَتِهِ^(٦) - فَلَهُ بِمَدِينَةِ فَاسٍ حَرَسَهَا اللَّهُ الْآثَارُ الْجَمِيلَةُ وَالْبَنَاءَاتُ الْحَفِيلَةُ كَمَسْجِدِ الصَّفَّارِينَ وَمَسْجِدِ حَلْقِ النَّعَامِ^(٧)، وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي الْكِبَرِ وَالضَّخَامَةِ. وَصَوْمَعَةٌ^(٨) كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي الْارْتِفَاعِ وَالْحُسْنِ. وَ(لَهُ) مَسَاجِدُ عِدَّةٌ وَصَوَامِعُ. وَبِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ كَذَلِكَ. وَبِالْمَنْصُورَةِ مِنْ مَدِينَةِ سَبْتَةَ الْجَامِعِ الْمُتَّصِلِ بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ، وَهُوَ جَامِعٌ حَافِلٌ وَصَوْمَعَتُهُ حَافِلَةٌ^(٩)....

وَأَمَّا الْجَامِعُ الْكَبِيرُ فَقَدْ اتَّفَقَ الرَّحَالُونَ وَأَجَعَ الْمُتَجَوِّلُونَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا لَهُ ثَانِيًا - (وَإِنْ كَانَ) جَامِعُ بَنِي أُمَيَّةَ (قَدْ) تَمَّ حُسْنُهُ لَمَّا كَمَلَ تَرْتِيبُ وَضْعِهِ. وَ(لَوْ) كَمَلْتُ تَبَيَّنَاتُ هَذَا الْجَامِعِ لَمَّا قَصَّرَ عَنْهُ.

(١) الجهد: أقصى ما يستطيع الإنسان بذله. جهد المقلّ (الفقير): الشيء الذي يستطيعه المقلّ. الوسع: ما يقدر عليه الإنسان - المقدار القليل من الفقير كالمقدار الكبير من الغني.

(٢) أبو الحسن علي بن عثمان عاشر سلاطين بني مرين (٧٣٢-٧٤٩ هـ) في المغرب. وقد جالس ابن مرزوق هنا بين «الحسن» اسم السلطان و«الحسن» من مراتب الأحاديث المروية عن رسول الله. المسند هو الحديث الواصل برواته إلى الرسول. والصحيح: الحديث المرفوع المتصل بنقل عدل ضابط في التحري والأداء سائلاً من شذوذ وعلة (المعجم الوسيط ٥١٠) أي هو الحديث الذي رواه ثقات معروفون متصلو الرواية إلى رسول الله. الحسن: هو الحديث الذي عُرف مخرجه واشتهر رجاله (المعجم الوجيز ١٥١). أحاديث (هنا): أخبار.

(٣) لم يزل السلطان أبو الحسن.

(٤) إضافة يقتضها المعنى.

(٥) الدأب: العادة والثأن.

(٦) في خلافته (أيام ملكه) وإمارته (قبل أن يتولّى الملك).

(٧) الحفيلة: الكثيرة (أو الكثير السكان). الصفارين: سوق الذين يعملون الأدوات النحاسية. حلق النعام:

(اسم موضع).

(٨) الصومعة: المئذنة.

(٩) حافل (كثير المصلى). حافلة:.....

وجامع المنصور بِمَرَاكُشَ (وهو) الذي تُضْرَبُ به الأمثال.... أَكْبَرُ مِسَاحَةٍ، إِلَّا أَنْ ما كان في هذا (الجامع) من الرُّخام والإحكام^(١) أَغْرَبُ وأَعْظَمُ. ولا شكَّ (في) أن صَوْمَعَتَهُ لَا تَلْحَقُ بِهَا صَوْمَعَةٌ في مِشَارِقِ الأَرْضِ ومِغَارِبِهَا. صَعِدْتُهَا غَيْرَ مَرَّةٍ مَعَ الأَمِيرِ أَبِي عَلِيٍّ النَّاصِرِ، وَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى فَرْسِهِ وَأَنَا عَلَى بَغْلَتِي^(٢)، من أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا، وَكَأَنَّا في وِطَاءٍ^(٣) مِنَ الأَرْضِ. وَكَانَتْ عَلَى البَابِ الجَوْفِي^(٤) مِنْهُ، وَلَهَا مَجْرَيَانِ يُطْلَعُ فِيهَا إِلَى أَعْلَاهَا. وَكَانَتْ مُحْكَمَةَ البناءِ والنَّجَارَةِ في الأحجار بِصِنَاعَةٍ مُخْتَلَفَةٍ^(٥) مِنَ الإِحْكَامِ فِي كُلِّ جَانِبٍ.

..... وهذه الزوايا التي يُطْلَقُ عليها في المِشْرِقِ الرُّبُطُ. والخَوَاتِقُ والخَانَقَاتُ عِلْمٌ عَلَى الرُّبُطِ، وَهُوَ لَفْظٌ أَعْجَمِيٌّ^(٦). والرُّبَاطُ في أَصْطِلَاحِ الفُقَرَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ أَحْتِبَاسِ النَّفْسِ فِي الجِهَادِ والحِرَاسَةِ^(٧)، وَعِنْدَ الْمُتَصَوِّفَةِ عِبَارَةٌ عَنْ المَوَاضِعِ الَّتِي يُلتَزَمُ فِيهَا لِلْعِبَادَةِ..... قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الزوايا عِنْدَنَا فِي المَغْرِبِ هِيَ المَوَاضِعُ المُعَدَّةُ لِإِرْفَاقِ الوَارِدِينَ وإِطْعَامِ المُحْتَاجِ مِنَ القَاصِدِينَ^(٨). وَأَمَّا الرُّبُطُ عَلَى مَا هُوَ المُصْطَلَحُ عَلَيْهِ فِي المِشْرِقِ فَلَمْ أَرَ فِي المَغْرِبِ عَلَى سَبِيلِهَا وَنَمَطِهَا^(٩) إِلَّا رِبَاطَ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحٍ والزَّائِيَةِ المُنَسُوبَةِ لِسَيِّدِنَا أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عُمَرَ، نَفَعَ اللهُ بِهِ، بِسَلَى، غَرْبِيَّ الجَامِعِ

- (١) الإحكام (بالكسر): الدقة والإتقان.
- (٢) الصعود في هذه المثنية لا يكون على درج بل على سطح مائل (وقد صعدت أنا إلى أعلى صومعة الكنيّة في مدينة مراکش، فكان الصعود إليها أسهل وأقلّ إرهاقاً من الصعود على درج).
- (٣) وطاء: الأرض الواطئة المستوية.
- (٤) الجوفي: القبلي (المتجه إلى جهة مكّة. ويمكن أن يقال على جهة الجنوب).
- (٥) النجارة: (العمل في الخشب). بصناعة مختلفة (ذات أشكال مختلفة من التزيين).
- (٦) الخواتق والخانات جمع خانكاه (بكاف معقودة) من اللغة الفارسية: بيت الملك (مسكن يأوي إليه الدراويش والصوفية مجاناً، ويقومون فيه بعبادتهم).
- (٧) الفقراء (الصوفية). وليست هنا في مكانها. الرباط يكون فيه محاربون للدفاع عن حدود البلاد الإسلامية.
- (٨) لمنفعة المسافرين الواصلين إلى ذلك المكان (شبه الفندق).
- (٩) النمط: الشكل، المثال.
- (١٠) سلى = سلا: بلدة إلى شمال مدينة الرباط. غربي (اقرأ: غرب). الغربي هو الجانب الغربي من المكان (ويكون داخله فيه). «غرب» (طرف): إلى الجهة الغربية من المكان (ولا تكون داخله فيه: رأس بيروت هو غربيّ مدينة بيروت. وبيروت غرب دمشق: تقع في الغرب من دمشق).

الأعظم منها. ولم أرَ لها ثالثاً على نحوها في مُلازمة السَّكَّانِ وصفاتهم وشبههم بِمَنْ ذَكَرَ،
نفع الله به.

٤- المسند الصحيح في أحاديث أبي الحسن (قطعة بتحقيق ليفي بروفنسال)، مع ترجمة لابن
مرزوق (بالفرنسية) والنصّ (بالعربية والفرنسية)، من مجلّة (المجلد الخامس،
١٩٢٥ م)، باريس (لاروز).

★★ الدرر الكامنة ٣: ٣٦٠-٣٦١؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢٣ وما بعد؛
الديباج المذهب ٣٠٥-٣٠٩؛ نيل الابتهاج ٢٦٧-٢٧٠؛ بغية الوعاة ١٨-١٩؛
شذرات الذهب ٦: ٢٧١-٢٧٢؛ نفح الطيب ٥: ١٥٢-١٥٣، ٢٠٠-٢٠١، ٢٢٤، ٢٧٩،
٣٩٠ وما بعد ٦: ١١-١٢، ٦٤-٦٥؛ شجرة النور الزكية ٤٣٦؛ الاستقصا ٢:
٩٤-٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦٦ (راجع عن أسرته ٣: ٨٦٥-٣٦٨)؛ تاريخ
الجزائر العام ٢: ١٠٢-١٠٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٤٠-١٤١؛ بروكلمن ٢: ٣١٠،
الملحق ٢: ٢٣٥-٢٣٦؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٦ (٥: ٣٢٨)؛ الأصاله (مجلّة) ٤: ٢٦،
ص ١٤٣ و ١٠٦؛ دودو (كتب وشخصيات) ٢٩-٤٦؛ معجم المؤلفين لكحالة ٩: ١٦.

أبو سعيد بن لبّ

١- هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لبّ التعلّقي الشاطبيّ القرناطيّ، وُلِدَ
سَنَةَ ٧٠١ هـ (١٣٠١-١٣٠٢ م). قرأ القرآن الكريم بالسَّبْعِ على أبي الحسن
القيجاطي^(١) وروى الحديث عن ابن جابر الوادي آشي وأخذ العربية (النحو) عن ابن
الفخّار وأبي حيّان القرناطي. ثمّ إنّه أقرأ في المدرسة النّصريّة، ابتداءً من ثامن عشر
رَجَبٍ من سَنَةِ ٧٥٤ (١٣٥٣/٨/١٨ م). وكانت وفاته في ذي الحِجّة من سنة ٧٨٢
(آذار-مارس ١٣٨١ م).

٢- كان أبو سعيد بن لبّ فقيهاً ماهراً في القِراءات، عارفاً بالتفسير مُشاركاً في
أصول الدين وأصول الفقه وفي الفرائض، بارعاً في علوم الأدب جيّد النظم والنثر،
تغلّب على نظمه الصّبغة الدينية. وكانت له تاليفُ منها: شرحُ الزجّاجي^(٢) - شرحُ

(١) أبو الحسن علي بن عمر القيجاطي (٦٥٠-٧٣٠ هـ) من علماء النحو تولّى الخطابة (في صلاة الجمعة) في
غرناطة ومات فيها.

(٢) لعلّه شرح كتاب «الجمال الكبير» (في النحو) لأبي القاسم الزجّاجي (ت ٣٤٠ هـ).

تصريف التسهيل (نيل الابتهاج ٢٢٠) ورسائل أخرى قصار.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو سعيد بن لب قصيدة في مدح رسول الله، منها:

تروم جفوني لـلـار الهوى خموداً فتهمي دُموعاً غزاراً^(١) :
فما جفوني يسحّ انهالاً ونار فؤادي تهيج استعاراً^(٢)
أحنّ اشتياقاً لريح سرت وأبدي هياماً لبرق أنار^(٣)
فيا فوز من فاز في طيبة بلثم المغاني جداراً جداراً^(٤) ؛
وألصق خدّاً على ترّيبها وأكمل حجّاً بها واعتباراً^(٥) !
فيا هادي الخلق دار نعيم تناهت جمالاً وطابت قراراً^(٦) ،
لأنت الوسيلة والمُتجى ليوم يرى الناس فيه سكارى
وما هم سكارى، ولكنهم دهنهم دواء فهاموا حيارى^(٧) :
ترى المرء - للهول - من أمه ومن أقرّبه يطيل الفِراراً^(٨) .

- وقال في وداع شهر رمضان:

أأزمنت، يا شهر الصيام، رَحِيلاً؟ وقاربت، يا بذر الزمان، أفولاً^(٩) ؟

- (١) رام: طلب. الخمود: الانطفاء. همى المطر: انسكب وسال.
- (٢) سحّ: سال من أعلى إلى أسفل. انهملت السماء = هملت: دام مطرها. استعرت النار: اشتد اشتعالها.
- (٣) الهيام: الجنون من العشق.
- (٤) طيبة: المدينة (على ساكنها أفضل السلام). المغنى: المكان المسكون.
- (٥) الحجّ: القيام بالمناسك في مكة في موسم الحجّ (٨ - ١٠ من ذي الحجة، آخر أشهر السنة الهجرية).
- (٦) «دار» مفعول به من «هادي». تناهت: بلغت الحد الأقصى. القرار: المستقر: البقاء الدائم.
- (٧) ليوم يرى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى - اقتباس من القرآن الكريم في وصف هول يوم القيامة ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد﴾ (٢٢: ٢، سورة الحج).
- (٨) في هذا البيت أيضاً اقتباس: ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (٨٠: ٣٤ - ٣٦، سورة عبس).
- (٩) أزمنت: عزم، أراد. الأفول: الغياب.

أَجْدَكَ! قَدْ جَدَّتْ بِكَ الْآنَ رَحْلَةً؟ رُوَيْدَكَ! أُمْسِكْ لِلْوَدَاعِ قَلِيلًا (١).
نَزَلْتُ فَأَزْمَعْتُ الرَّحِيلَ كَأَنَّا نَوَيْتَ رَحِيلًا إِذْ نَوَيْتَ نُزُولًا.
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا: تَفَانَوْا فَأَبْصَرْتَ الدِّيَارَ طُلُولًا (٢).

- وقال في النسيب:

خُذُوا لِلْهُوَى مِنْ قَلْبِي الْيَوْمَ مَا أَبْقَى،
فَمَا زَالَ قَلْبِي كُلُّهُ لِلْهُوَى رِقًّا.
دَعُوا الْقَلْبَ يَصُلِّي فِي لَطَى الْوَجْدِ نَارَهُ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَوْنَ بَعْضُ الَّذِي أَلْقَى (٣).
فَإِنْ كَانَ عَبْدٌ يَسْأَلُ الْعَتَقَ سَيِّدًا، فَلَا أَبْتَغِي مِنْ مَالِكِي فِي الْهُوَى عَتَقًا.
بَدَعُو الْهُوَى يَدْعُو أَنْاسٌ، وَكُلُّهُمْ إِذَا سُئِلُوا طُرُقَ الْهُوَى جَهَلُوا الطَّرِيقَ (٤).
فَطُرُقُ الْهُوَى شَتَّى، وَلَكِنْ أَهْلُهُ يَحُوزُونَ فِي يَوْمِ السِّبَاقِ بِهِ السَّبْقَ (٥).
وَكَمْ جَمَعَتْ طُرُقَ الْهُوَى بَيْنَ أَهْلِهِ،
فَهِتُ تَرَى سِيَمَا الْهُوَى فَاعْرِفِ الصَّدَقَا (٦).
فَمِنْ زَفْرَةٍ تُزْجِي سَحَابَ عَبْرَةٍ، إِذَا زَفَرْتَ تَرَقَى فَلَا عَبْرَةٌ تَرَقَا (٧).
إِذَا سَكَنُوا عَنْ وَجْدِهِمْ أَغْرَبَتْ بِهِ بَوَاطِينُ أَحْوَالٍ وَمَا عَرَفْتَ نَطْقًا (٨).

- (١) أَجْدَكَ: أَسْتَحْلِفُكَ بِحَقِيقَتِكَ! جَدَّتْ: حَدَّثَتْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَ(هَذَا): أَسْرَعْتُ (لَأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ أَصْبَحَ فِي أَوَاخِرِهِ فَبَدَا انْقِضَاؤُهُ أَسْرَعَ تَمَّا كَانَ يَبْدُو فِي أَوَائِلِهِ). رُوَيْدَكَ: تَهْمَلْ!
- (٢) أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا: (سَكَّانَ الْأَنْدَلُسِ الْآنَ قَلَّوْا، وَأَصْبَحُوا أَقَلَّ قُوَّةٍ وَفَخَامَةِ مَظْهَرٍ تَمَّا كَانُوا).
- (٣) صَلِّي: شَرَعَ بِحَرِّ النَّارِ. لَطَى: جَهَنَّمَ (شِدَّةُ حَرِّ النَّارِ). الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ.
- (٤) - صَحَّةُ الْحُبِّ لَا تَكُونُ بِالْدَعْوَى، بَلْ بِاللُّوْكَ (بِحَالِ الْمَرْءِ تَجَاهَ مَحْبُوبَةٍ).
- (٥) «عِنْدَ السَّرِيِّ» (رَاجِعِ الْكِتَابَةَ الْكَامِنَةَ ٦٩، السَّطْرُ الْأَوَّلُ) - وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥: ٥١٢)، السَّطْرُ السَّادِسُ: «عِنْدَ السَّوِيِّ» (بِضَمِّ السَّوِيِّ أَوْ كَسْرِهَا): الْعَدْلُ، الْإِعْتِدَالُ، الْوَسْطُ، النَّاسُ الْآخَرِينَ، الْمَثَلُ، النَّظِيرُ، الشَّبِيهَ. السَّرِيُّ: السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ (وَقْتُ الْجَدْفِ فِي السَّيْرِ - لِأَنَّ الْعَرَبَ الْقَدَمَاءَ كَانُوا يَسَافِرُونَ فِي اللَّيْلِ لِقَلَّةِ الْحَرِّ فِيهِ وَيَسْتَرْجِمُونَ فِي النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ).
- (٦) السَّيْلَةُ: الْعَلَامَةُ.
- (٧) الزَّفْرَةُ: إِخْرَاجُ نَفْسٍ حَارَّةٍ (لَشِدَّةِ الْحُزَنِ). أَرْجِي: أَرْسَلْ، سَبَّبَ. الْعَبْرَةُ: الدَّمْعَةُ. تَرَقَى: تَصْعَدُ (مِنْ الْمَصْدَرِ). تَرَقَّا: تَجَفَّأَ، (يَنْقَطِعُ صَاحِبُهَا عَنِ الْبِكَاةِ).
- (٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ. - فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْإِتِّجَاهِ الصَّوْفِيِّ.

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٦٧-٧٠؛ الديباج المذهب ٢٢٠-٢٢١؛ نيل الابتهاج ٢١٩-٢٢١؛ بغية الوعاة ٣٧٢؛ شذرات الذهب ٦: ٢٨٠-٢٨١؛ نفح الطيب ١٠٨-١٠٩، ٢٦٥، ٥٠٩-٥١٤، ٥٢٥؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق ٢: ٣٧١؛ مختارات نيكل ١٩٦-١٩٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٤١ (١٤٠)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٥٨.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزيّ

١- هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزيّ، من أهل غرناطة، وُلِدَ سَنَةَ ٧١٥ هـ (١٣١٥-١٣١٦ م). تَلَقَّى العِلْمَ على والدِه وعلى نَفَرٍ آخَرِينَ ثُمَّ دَخَلَ في خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ، في خُطَّةِ الكِتَابَةِ، في أوائل أيام أبي الحجاج يوسف الأول سابع ملوك بني نصر (٧٣٣-٧٥٥ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى القِضَاءَ في بَرَجَةٍ ثُمَّ في أُنْدَرَشَ ثُمَّ في وادي آش^(١). ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ قَاضِيًا بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ وخطيباً فيها في مسجد السلطان (الجامع الأكبر) في ثامن شَوَّالٍ من سَنَةِ ٧٦٠ (١٣٥٩/٩/٢ م). ثُمَّ صُرِفَ عن الخطبة ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهَا، سَنَةَ ٧٦٣ هـ. ويبدو أنَّ وفاته كانت في سَنَةِ ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م).

٢- كان أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزيّ فقيهاً وأديباً شاعراً. وقد كان برغم اتجاهه الديني - قليل الثقة بالناس. وفي شعره لَفَتَات بارعة.

٣- مختارات من شعره

- كَبَّ لسانُ الدين بن الخطيب إلى أبي جعفر بن جزيّ يطلبُ شيئاً من شعره،

(١) كَنَاهُ لسان الدين بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٨): أبا جعفر، ولم يَكُنْ في الإحاطة (راجع ١: ١٦٣-١٦٨). والمَقْرِي كَنَاهُ «أبا بكر» (نفح الطيب ٥: ٥١٧، راجع ٢: ٥١٤، ٧: ٢٨٢).

(٢) برجة، ضبطها محمد عبد الله عنان بضم الباء (الإحاطة ١: ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٥٠٨). وهي مضبوطة بالضم أيضاً في القاموس وفي تاج العروس (مع ملاحظة التاج أنَّ الإِطْلَاق يقتضي الفتح). وفي معجم البلدان مضبوطة بالفتح، وهي في معظم المراجع الحديثة مضبوطة بالفتح أيضاً. تقع برجة غرب المَرِيَّة (في الجنوب الشرقي من الأندلس) على مقربة من ساحل البحر. وأندرش من أعمال المَرِيَّة أيضاً، على نهر باسمها، غرب غرناطة. ووادي آش إلى الشمال الشرقي من غرناطة.

فأرسل أبو جعفر إلى لسان الدين ما طلبَ وكتبَ إليه بهذه الأبيات (الكتيبة الكامنة
:(١٤٢

فَدَيْتُكَ، يَا سَيِّدِي، مِثْلَمَا فِدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زِنْتَهُ^(١).
جَالُ فَعَالِكَ أَظْهَرْتَهُ، وَسِرُّ كَمَالِكَ أَخْفَيْتَهُ^(٢).
شَوَّفَتْ مِنِّي إِلَى بِنْتِ فِكْرِي فَشَرَّفَتْ شِعْرِي وَزَيَّنَتْهُ^(٣).
وَقَدْ وَرَدْتُكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَخَذْتَ فُؤَادِي، فَخُذْ بِنْتَهُ^(٤).

- وقال في التورية في «معين» (بين أن تكونَ أسماً أو تكونَ علماً):

كَمْ بَكَائِي لِبُعْدِكَ! كَمْ أَنِي! مَنْ ظَهَّرِي عَلَى الْأُسَى؟ مَنْ مُعِينِي^(٥)؟
جَرَحَ الْحَدَّ دَمْعُ عَيْنِي، وَلَكِنْ لَا عَجِيبُ إِنْ جَرَحَ آبَنُ مُعِينِي^(٦).

- قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي في سلوك الناس حيال الغني والفقير:

أَرَى النَّاسَ يُؤَلُّونَ الْغَنَى كَرَامَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرُفْعَةِ مِقْدَارِ.
وَيَلُؤُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ.
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ،
فَمَا صَحَّحُوا مِنْهَا إِلَّا حَدِيثَ آبَنِ دِينَارٍ^(٧)!

(١) زان وزين (بالتشديد) بمعنى واحد.

(٢) الفعال (بافتح): الفعل الحميد.

(٣) شوّف: تطلّع، نظر من بعيد. بنت الفكر: نتاج الفكر من شعر ونثر وحكم إلخ.

(٤) وقد وردتك: أرسلتها أنا إليك فوصلت إليك.

(٥) الظهير: المعين، المساعد لك في ما تسمى إليه. الأسى: الحزن.

(٦) جرح (في الشطر الثاني): جرّحه (عابه وأسقط عدالته: صدقه في الشهادة). والتعديل والتجريح (في علم

الحديث): تبيان مراتب رواة الحديث في الصدق وصحة النقل. ابن معين هو يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٨ م) من أئمة الحديث ومؤرخي رجال الحديث، وكان إماماً عارفاً بأصول التعديل والتجريح.

(٧) ابن دينار: الرجل الغني (هم يصدقون الرجل الغني فقط). وعيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ) من فقهاء الأندلس ومن رجال الحديث أيضاً.

- وله قصيدة جعلَ كلَّ عَجَزٍ فيها عَجْزاً من قصيدة لامرئ القيس (ما عدا مطلعها، فإنَّ عَجْزَه صدرُ المطلع في قصيدة امرئ القيس نفسها)*. من هذه القصيدة:

أقولُ لعزْمي أو لصالحِ أعمالي: (ألا عِمَّ صباحاً، أُنْها الطَّلُّ البالي) (١)
أما واعِظي شَيْبٌ علا فوقَ لِمَتي (سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ) (٢)
أخالِطُ دَهْري، وهو يعلمُ أَنِّي (كَبِرْتُ، وأنَّ لا يُخِينُ اللهوُ أمثالي).
وقد عَلِمْتُ مِنِّي مواعِدُ تَوْبَتي (بأنَّ الفَقْيَ يَهْذِي وليس بفعَّالِ) (٣)
ألا لَيْتَ شِغْري، هل تقولُ عزائمي (لِخَيْلي: كُرِّي كَرَّةً بعد إقبالِ) (٤)،
فأنزِلْ داراً للنَّبيِّ نزِيلُهُـ (قليلُ همومٍ ما يَبِيتُ بأوْجالِ).
فطوبى لِنَفْسٍ جاورَتْ خَيْرَ مُرسَلِ (يَشْرِبُ أدنى دارِها نَظَرٌ عالِ) (٥).
جوارُ رسولِ اللهِ مَجْدُ مُؤنَّلِ (وقد يُذِرْكُ المَجْدُ المؤنَّلُ أمثالي) (٦).
وما ذا الذي يثني عِنانَ السُّرى، وقد (كَفاني - ولم أطلب - قليلٌ من المالِ) (٧).

٤-★★ الدرر الكامنة () ١: ٢٩٣)، الكتيبة الكامنة ١٣٨-١٤٣،
الاحاطة ١: ١٦٣-١٦٨، بغية الوعاة ١٦٢-١٦٣، شذرات الذهب ٦: ٢٨٦،
نفع الطيب ٥: ٥١٧-٥١٩، راجع ٧: ٢٨٢، أزهار الرياض ٣: ١٨٧-١٨٨،
معجم المؤلفين لكحالة ٢: ٧٢.

(*) لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) تنصيف مثل هذا لهذه القصيدة (لامرئ القيس) نفسها.
(١) عم بالكسر فعل أمر (أو طلب) من «وعم» (بفتح ففتح أو بفتح فكسر) يعم (بفتح فكسر). عم صباحاً أو مساءً (من تحية المجاهلية). أقول لعزمي.... (ليس لي عزيمة ولا أعمال صالحة).
(٢) اللمة: الشعر المجاور للأذن. الحباب: فتاقيع الماء. حالاً على حال: مرة بعد مرة (٩).
(٣) هذى يهذي: خلط في الكلام من أثر مرض أو حزن. - وعدت مراراً أن أتوب ولم أفعل.
(٤) كَرَّ: هجم. إقبال (كذا في الكتيبة الكامنة ١٤٠)، وفي «شرح ديوان امرئ القيس للسنبوي (الطبعة الخامسة: القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ص ١٦٤): إجمال (مضى وأسرع - من الخوف: هرب) (٩). -

(٥) يثرب: المدينة (مدينة الرسول). أدنى دارها نظر عال:
(٦) مؤنل وأثيل: ثابت على الزمن.
(٧) يثني: يرد. عناني: لجامي (فرسي) أي يمنعي عن السفر (إلى الحج). - وهذه رحلة تقتضي قليلاً من المال فقط، وأنا لم أطلب شيئاً كثيراً فوق ذلك.

محمد الظريف التونسي

١- هو أبو عبد الله محمد الظريف التونسي، نشأ في تونس وطلب العلم والأدب فيها. وكانت وفاته في الجبل المبارك (جبل المنار) ويُعرف في تونس بأسم «سيدي بو سعيد» أو مرسى قرطاجة^(١)، وذلك يوم الخميس في حادي عشر جُمادى الآخرة من سنة ٧٨٧ (١٣٨٥/٧/١٨ م).

٢- كان محمد الظريف التونسي من علماء تونس وصلحاتها المشهورين مُتصوفاً منفرداً بنفسه، تُروى له كرامات. وكان بارعاً في فنون عِدّة منها الموسيقى. وشعره سهل رائق يدور على مدح الرسول وعلى الوعظ وتهذيب الأخلاق.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد الظريف يَصِفُ رَوْضَةً:

وَرُبَّ رَوْضَةٍ أُنْسٍ قَدْ مَرَزَتْ بِهَا	مُخَضَّرَةٌ ذَاتِ أَشْجَارٍ وَأَغْصَانٍ ^(٢) .
قُطُوفُهَا تُنْعِشُ الْأَرْوَاحَ دَانِيَةً	بَجَنَّةٍ ذَاتِ رَوْحٍ ذَاتِ رِيحَانٍ ^(٣) .
تُخَلِّلُ الْمَاءُ فِي أَنْهَارِهَا فَغَدَتْ	تَزْهُو بِوَرْدٍ وَنِسْرِينَ وَنُعْمَانَ ^(٤) .
وَقَامَ فِيهَا خَطِيبٌ فَوْقَ مَنَبَرِهِ	يَشْكُو الْبُعَادَ بِتَغْرِيدٍ وَالْحَانَ ^(٥) ،
مُزَوَّقٌ الصَّدْرُ مَخْضُوبُ الْبَنَانِ لَهُ	مِنَ الزَّبْرِجَدِ وَالْيَاقُوتِ لُونَانٍ ^(٦) .

(١) «سيدي بو سعيد» (جبل أبي سعيد) منطقة جبلية مشرفة على البحر في الضاحية الشمالية من تونس الحاضرة. والمنطقة هي قرطاجة (أو قرطاج، كما يلفظها التونسيون في الصيغة الفرنسية). وقرطاجة (قرطاج حديثة: القرية - المدينة - الحديثة)، وهي من بناء الكنعانيين (الفينيقيين).

(٢) الأنس: السرور، الألفة بين الأصحاب.

(٣) قطوف جمع قطف (بكسر القاف): ثمر. دانية: قرية (من الذي يريد قطفها) روح (راحة) ريحان (رزق حسن) راجع القرآن الكريم (٥٦: ٨٩، سورة الواقعة).

(٤) تزهو: تلمع، تقتخر. نسرين: ورد أبيض اللون. نعمان = شقائق النعمان (زهر برّي أحمر اللون).

(٥) خطيب = طائر مغرد (هنا: حمامة).

(٦) مزوَّق الصدر (في صدره ريش مختلف الألوان). مخضوب (مصبوغ) البنان (الأصابع). المقصود هنا

«القوائم»، وقوائم الحمامة تكون عادة حمراء. الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون. الياقوت: حجر كريم أحمر اللون. يبرز في هذه الحمامة لونان: اللون الأسود (والعرب يقولون للأسود أخضر) واللون الأحمر في قوا

بيضٌ جوائحه سودٌ مناكبه
مطوّق الجيد، في أطراف مُقلّته
وأطربَ الطيرَ في أوكارها ففدّت
ناشدتكَ الله، ياطيرَ الأراك، إذا
وساعدتكَ الليالي في تصرّفها
وجئتَ طيّبةً والوادي وجُزتَ على
سَلَمٍ على المصطفى المختارِ من مُضِرٍ
الهاشمي الذي فاضت فضائله
وقلّ له: يا رسولَ الله، يا أملي،
جِئني بِتونسَ موثوقٍ بزَلَّتْه،
وكلَّ عامٍ أُرَجِّي أنْ أزوركُم،
أموتُ والقلبُ مشتاقٌ لزورَتكم،
فكنْ شفيعيَ في يومِ الجزاءِ إذا
- وقال أيضاً يُوري في بَاسمه:

- (١) المنكب (بالكسر): الكنف. المسك أسود اللون، والكافور أبيض اللون.
- (٢) مطوق الجيد (العتق). لعدد من أنواع الحمام طوق (شبه العقدة) من ريش لونه مخالف للون الريش في سائر جسمها. البهاء: الجمال. القاني (الشديد الحمرة، من «قان» في الفارسية: دم) هنا: اللون الزاهي البراق.
- (٣) ناشدتك الله: سألتك (طلبت منك) وأنا أقسم بالله. الأراك: شجر يتخذ الناس من أغصانه المساويك (جمع مساوك: لجلاء الأسنان)، إشارة إلى الحجاز.
- (٤) طيبة: المدينة المنورة. الوادي (وادي مكة، أو مدينة مكة؟). وادي العقيق (قرب المدينة). العاني: الأسير (الموجود في بلده غير قادر على الذهاب إلى الحج).
- (٥) المصطفى المختار (محمد رسول الله). مضر (مجموع عرب الشمال). عدنان (جدّ عرب الشمال).
- (٦) عند ميزاني (يوم القيامة حين توزن حسنات المرء وسيئاته للفصل في أمره إلى الجنة أو إلى النار).
- (٧) موثوق، يقصد موثق (مربوط). الزلّة: الخطأ، العثرة، الذنب. والقلب في الشرق (المشرق): يحنّ إلى مكّة. الرند (شجر طيب الرائحة) والبان (شجر جميل الأغصان) كناية عن المقام الحمود (المقدس).
- (٨) يوم الجزاء: يوم القيامة.

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرام عفيفا.
فإذا تعفّف عن محارم ربّه، فهناك يدعو الأنامُ ظريفا.

٤-★★ عنوان الأريب ١: ١٠٣-١٠٥، مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٦-٢١٧.

أبو جعفر بن زرقاله

١- كان آل زرقالة أسرةً قديمةً السكنى في مدينة المريّة، وكان جدّ صاحب الترجمة (واسمه أيضاً: أحمدُ وكُنيتُه أبو جعفر) من المُدول^(١) أديباً ناثراً ناظماً وعالماً فاضلاً ذا مكانة عند أهل الدولة وذا صلةٍ بهم.

أمّا أبو جعفر (الحفيد) صاحبُ هذه الترجمة فالذي نعرفه عنه أنّه تلقّى شيئاً من العلم على أبي البركات بن الحاجّ البلفيقي^(٢)، كما قرأ رحلة أبي البقاء البَلَوِيّ^(٣) «تاج المُفرّق في تحليّة علماء المشرق» على مؤلّفها مراراً وقرّظها شعراً ونثراً.

ولمّل وفاة ابن زرقاله هذا كانت في أعقاب القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

٢- أبو جعفر أحمد بن زرقالة (الحفيد) هو الفقيه الوزير الكاتب الماهر والناظم الناصر شُغِفَ بِرَحْلَةِ أَبِي البقاء البَلَوِيّ واعتنى بها عنايةً فائقةً ونظّم في مدحها قصائد ومقطّعات ثمّ جمّع ما قيل فيها نظماً ونثراً وعرّف القائلين فيها تعريفاً حسناً. ثمّ هو مؤلّف له «رائقُ التحليّة في فائق التّورية» جمعه من أبيات في التورية لابن خاتمة الأنصاري (ت ٧٧٠ هـ، راجع فوق ص ٣٨٩) أنشدّه إياها ابنُ خاتمة نفسه.

(١) العدل، والجمع عدول: أشخاص تعيّنهم الدولة فيجلسون مع القاضي في مجلس الحكم ليشهدوا على أحكامه ويصحّحوها إذا وقع فيها خطأ. وكان نفر من هؤلاء يعملون مستقلين ويرتزقون من الشهادة في المحاكم لمن يطلب منهم ذلك ويدفع لهم مبالغ يتفق عليها.

(٢) أنظر، فوق، ص ٤٩٨.

(٣) أنظر، فوق، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي قاض، وله شعر ونثر، توفي في أواخر القرن الهجري الثامن (راجع نفع الطيب ٢: ٥٣٢-٥٣٤ نيل الابتهاج ١١٥، الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة ٢: ٢٩٧).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب «رائق التحلية» لابن زرقالة:

..... الحمد لله الذي خصّ هذه الأمة باللسان العربي المبين و(ب)البيان المتبلّج
الغرّة الواضّاح الجبين فهصّروا من ثمراتِهِ الدانية القطوفِ بِفَنِّ مائل^(١)، وتقيّأوا
ظلالها عن الأنيان (والشّائل)^(٢).... وبعدُ، فلمّا كان الأدبُ حليّة العرب الذي إليه
انتهت فصاحتها وبه ظهرت رجاحتها^(٣)، وكان الشعرُ منه بمنزلة الروح من الجسد....
فهو طرازُ بُردِهِ ووسطى عِقْدِهِ^(٤). ولم يزل الناسُ -خلفاً عن سلفٍ- يتوارثونه
ويَتَّبِعُونَ (فيه) منهجَ العرب ويَقْتَفُونَهُ، هذا وإن كانوا لا يَتَتَّجِعُونَ إلّا من واديهِم ولا
يَسْتَمْطِرُونَ إلّا من غواديهِم^(٥). فلم يَخُلْ كُلُّ عَصِرٍ من شاعرٍ يكونُ شعراءَ زمانِهِ
عيالاً^(٦) عليه ويَرْجِعُ كُلُّ (واحد) منهم إليه.... وكان شاعرَ عَصْرِنَا بيلدنا
هذا -عَصَمَهُ اللهُ- (و) الذي رَفَعَ سماءَ الأدبِ وبَنَاهَا، ومَهَّدَ أرضَ الشعرِ
ودحاها^(٧)..... شيخنا الأستاذُ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ خاتمة.....

و(قد) كان لي بمحاسنِ الأدبِ شَغَفٌ وباقتناء جواهره كَلَفٌ، أَتَشَبَّثُ به تشبُّثَ
الولدِ بالوالد، والمَوْصُولِ بالصِّلَةِ والمُعائِدِ^(٨)، وأَقْصِدُ غُرَرَ عِيُونِهِ وأُعْتَمِدُ أَبْكَارَهُ دُونَ

-
- (١) هصر الرجل الغصن: جذبه إليه. الدانية (القريبة) القطوف (الثمرات التي تنحى من الأغصان). الفن: الغصن.
 - (٢) الأنيان (جمع بين، الجانب الأيمن) والشائل (جمع شمال بكسر الشين).
 - (٣) الحلية: الزينة. انتهت (بلغت النهاية: الكمال). الرجاجة (بفتح الراء): الحلم (المعجم الوسيط ١: ٣٣٠) بكسر الحاء: سعة الصدر.
 - (٤) الطراز: العلامة في الثوب دلالة على صاحبه (إذا كان من الملوك أو من هو في صفهم). والوسطى في العقد: الجوهرة الكبرى تكون في العقد، وتكون في وسطه.
 - (٥) اتتجع: ذهب (إلى المرعى). الغادية: السحابة المطيرة صباحاً.
 - (٦) عيالاً عليه: يعتمدون عليه في نظم الشعر (يأخذون من معانيه).
 - (٧) مهّد: سوى، جعل الشيء مستويّاً. دحا الشيء: يدحوه: مدّه وبسطه.
 - (٨) الاسم الموصول: الذي، التي، النخ. ويكون له في الجملة صلة وعائد (مثال ذلك: الرجل الذي جاء من بعيد - الضمير في «جاء» عائد، يعود إلى الرجل. وجملة «جاء من بعيد» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب). ولا معنى لاسم الموصول إذا لم يأت بعده صلة وعائد.

عُونِهِ^(١). وَأَشَوَّفُ للاستطلاع منه من ما لم^(٢) تَمَزَّقَ الأيامُ بُرْدَتَهُ وَتُخَلِقِ الأَقْلَامُ جِدَّتَهُ^(٣)..... وكانتِ التَّورِيَّةُ^(٤) من محاسنِ الشعرِ تشهدُ لصاحبها بجلالةِ القَدْرِ وَتَحِلُّ من النُّفُوسِ مَحِلَّ النُّورِ من الرياضِ، والسَّحَرِ من الحَدَقِ المِراضِ^(٥)، وتمتزج بالأرواحِ امتزاجَ الماءِ بالراحِ لِلطُّفِّ معناها ودِقَّةُ إشارتها ورِقَّةُ عبارتها، اسْتَشْدَّتْهُ - أَبْقَاهُ اللهَ - ما وَقَعَ له من المنظوماتِ فيها، وَرَغِبْتُ منه أن يُسَعِّفَنِي جميعها وَيَسْتَوْفِيَهَا^(٦). فَأُجَابِنِي إلى ذلكَ عملاً على شاكلةِ فَضْلِهِ^(٧) وما يَلِيْقُ من التَّخَلُّقِ بكرِمْ مَحِلِّهِ.

٤- رائق التحلية في فائق التورية (حققه محمد رضوان الداية)، دمشق (منشورات دار الحكمة).

ابن عبَّاد الرندي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك النَّفْزِي الحِميري المعروف بابن عبَّاد الرندي، أصلُ أهلِهِ من قَبيلة نَفْزَةَ (في المغرب الأقصى) ومولده في رُنْدَةَ (الأندلس)، سَنَةَ ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) ومنشأه فيها.

حَفِظَ ابنُ عبَّادٍ الرنديُّ القرآنَ الكريمَ في السابعةِ من عُمُرِهِ ثُمَّ تَلَقَّى النحوَ والأدبَ والفقهَ أصولاً وفروعاً عن جماعةٍ منهم أبوه، وكان أبوه واعظاً معروفاً.

(١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). البكر: الفتاة التي لم تزوج بعد. العوان: المرأة المتوسطة في العمر (يقصد المعاني المبتكرة والمعاني المألوفة).

(٢) من ما لم (ترسم: تما لم).

(٣) البردة: الثوب الواسع. تُخَلِقُ: تَمَزَّقُ، تُتَلَفُ (تجمل الشيء قديماً متهرئاً).

(٤) التورية (في البلاغة): المجيء بلفظ أو تركيب له معنيان قريبٌ وبمعيد يفهم السامع عادةً معناه القريب بينما يكون القائل قد قصد المعنى البعيد، فإذا قلت لرجل ملأ الله فمك ذهباً، يظنك تدعو له (بأن يعطيه الله ذهباً بمقدار ما يسع فمه) بينما يمكن أن تكون أنت تدعو عليه (بأن تسقط أسنانه ثم يستمض عنها بأسنان من ذهب).

(٥) النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. الحدق: العيون. المِراض: المريضة (الناعسة).

(٦) اقرأ: يسعني بها جميعها (يساعدني في الحصول عليها).

(٧) الشاكلة: السجّة، الطبع. على شاكلة فضله: على ما تعود من التفضل على الناس.

رَحَلَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَاكِرًا فَتَنَقَّلَ بَيْنَ فَاسَ وَتِلْمَسَانَ وَمَرَّ أَكْشَ وَسَلَا وَطَنْجَةَ. فَقِي تِلْمَسَانَ دَرَسَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّرِيفِ التِّلْمَسَانِيِّ (٧١٠ - ٧٧١ هـ) كَبِيرِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي أَيَّامِهِ. أَمَّا فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ (التَّصَوُّفِ) فَقَدْ لَازَمَ أَحْمَدَ بْنَ عَمَرَ بْنِ عَاشِرٍ (ت ٧٦٥ هـ) وَتَأَثَّرَ بِهِ كَثِيرًا.

وَفِي سَنَةِ ٧٧٧ عَيَّنَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ إِمَامًا وَوَاعِظًا فِي جَامِعِ الْقَرَوَيْنِ فِي فَاسَ وَظَلَّ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي ثَالِثِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٧٩٢ (١٣٩٠/٦/١٧ م).

٢- ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ خُطِيبٌ وَوَاعِظٌ وَصُوفِيٌّ مُصَنِّفٌ لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: الرِّسَالَةُ الْكُبْرَى (وَهِيَ مَكَاتِبَاتٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّصَوُّفِ وَفِي تَفْسِيرِ مُتَشَابِهِ^(١) الْآيَاتِ كُتِبَ بِهَا إِلَى أَمَثَالِهِ الْمُتَّصِفِينَ) - الرِّسَالَةُ الصُّغْرَى^(٢) وَجِهَهَا مِنْ سَلَا، قَبْلَ سَنَةِ ٧٧٠ لِلْهَجْرَةِ فِي الْأَغْلَبِ: سِتُّ مِنْهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُدَيْيَةَ^(٣) وَتَسَعٌ إِلَى تَلْمِيزِهِ الرَّحَّالَةَ الْحَدَّثَ بِحَبِي السَّرَّاجِ (ت نَحْوَ ٨٠٣ هـ) ثُمَّ وَاحِدَةً إِلَى الْإِمَامِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الشَّاطِئِيِّ (ت ٧٩٠ هـ) - غِيثُ الْمَوَاهِبِ الْعَلِيَّةِ فِي شَرْحِ الْحُكْمِ الْعَطَائِيَّةِ^(٤) (فِي الزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ) - كِفَايَةُ الْمُحْتَاجِ - فَتْحُ الطَّرْفَةِ وَإِيضَاحُ الشَّرْفَةِ - شَرْحُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى - رِسَالَتَانِ (فِي عِدَدٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ «قُوتِ الْقُلُوبِ»^(٥)).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِابْنِ عَبَّادٍ (مِنَ الرِّسَالَةِ الصُّغْرَى): الرِّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ: كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ التَّقْلِيدِ

(١) الْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَاتُ الَّتِي تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ (وَقِيلَ هِيَ: الْحُرُوفُ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَلَا نَعْرِفُ نَحْنَ دِلَالَتَهَا).

(٢) الرِّسَالَةُ الصُّغْرَى أَوْ الْكُبْرَى لَا تَحْتَلِفُ فِي مَادَّتِهَا وَاتِّجَاهِهَا وَأَسْلُوبِهَا، بَلْ فِي حَجْمِهَا: الرِّسَالَةُ الْكُبْرَى ٢٦٢ صَفْحَةً وَالرِّسَالَةُ الصُّغْرَى ١٣٨ صَفْحَةً.

(٣) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الْإِسْكَندَرِيِّ (ت ٧٠٩ هـ) الْمَالِكِيُّ الشَّاذِلِي، صَحْبُ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ. وَكَانَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي زَمَانِهِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْمَقَاوِمَةِ لِلْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) لِأَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ شَدِيدَ الْحَمَلَةِ عَلَى الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَالْأَرَاءِ الْخَالِفَةِ لِرَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَابْنُ عَطَاءٍ مُصَنِّفَاتُ أَشْهُرِهَا الْحُكْمِ الْعَطَائِيَّةِ.

(٤) قُوتُ الْقُلُوبِ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ لِأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ (ت ٣٨٦ هـ).

والبدعة وما اشتملا عليه من القبائح والمفاسد:

أُسِّمَ عليكم وأُعرِّفكم بوصول كتابكم إلينا تُعلمون فيه بوصول جوابنا إليكم، وأنه وقع منكم موقعا اقتضاه حُسْنُ ظَنِّكم وسلامةُ اعتقادكم. وطلبتُم منا بيانَ التقليد والبدعة اللذين أُشْرَتَ إليهما في الجواب المذكور وأن أُكْتُبَ اليكم بُدْأً في ذلك.

فاعلم أن هذين المعنيين قد ورد الشرعُ بدمهما وعيبَ المتصِّف بها. أمَّا التقليدُ فهو نوعٌ من أنواع البدعِ التي يأتي ذكرُها، وهي عبارةٌ عن اتِّباع الغير بلا دليل ولا حُجَّة، كَمَنْ يَقْلُدُ شَخْصاً لِعَظَمِ محلِّه عنده أو (كمن يقلد) أُمَّةً من الناس لكثرتهم وقِدَمِ زمانهم. وقد عاب الحقُّ تعالى ذلك على طوائفٍ مِنَ الكفَّرة في آيٍ كثيرة من القرآن.....

واعلم أن هذه الصِّفة الذميمة قد استطار^(١) في هذا الزمان شرُّها وعمَّ ضرُّها، فترى المتفقَّهَ الغيِّ إذا قرَعَ سَمْعَه شيءٌ من علوم التحقيق^(٢) أو علم^(٣) من أعلام أهل التصديق يُلَوِّي خَدَّه وَيُقَطِّبُ وجهه ويقول لفرطِ غباوته: لو كان هذا حقًّا لَنَصَّ عليه فلانٌ وَلَتَدَاوَلَتْهُ القُرُونُ والأزمان. وترى المتصوِّفَ الجاهل إذا ذُكِرَ عنده مسألةٌ من مسائل الأحكام ومعالِمِ الحلال والحرام يتنكَّرُ لجلسه ويفتَرِّ بتزويره وتلبسه^(٤) ويقول لشدة جهالته: هذه ظواهرُ ورسومٌ ومُخاطباتٌ للعموم. وقد كان سيِّدي^(٥) فلانٌ لا يقرأ ولا يكتب ولا يَنْتَسِبُ إلى مذهب. وترى الفاجرَ العيَّارَ^(٦) من ذوي الكبائر والإصرار يَقتَدي بهفوات القُدَماء وزلاتِ العلماء وَيَعْتَدُّ^(٧) ذلك ديناً متيناً وحقاً مُبيناً.

(١) استطار: انتشر.

(٢) علوم التحقيق (علوم التصوِّف).

(٣) أو علم (كذا!).

(٤) التزوير: التحسين والتزيين (وهنا: إيراد الشيء على خلاف حقيقته). التلبس: (خلط الشيء بغيره).

(٥) ظواهر (أُمور ظاهرة غير حقيقية، غير مقصودة لذاتها) ورسوم (أُمور وضعها الناس لأنفسهم يمكن أن يضعوا في وقت آخر غيرها). ومُخاطبات للعموم (للعامَّة ليس على الخاصَّة من العلماء أتباعها). سيِّدي: شيعي (الذي أتبعه وأقتدي به).

(٦) الفاجر: الفاسق الذي يكثر من إتيان المحارم من غير أن يبالي. العيَّار: الكثير التجوال في الأرض، الذي يَنْسِجُ هَواه في كلِّ شيء ولا يبالي.

(٧) اعتدَّ الأمرَ ديناً: عدَّه وأحضره (اتَّخذه).

وقد ينتهي الجهلُ بأقوامٍ إلى ألا يَرَوْا لأحدٍ فضلاً على مَنْ قَلَدوه من أُتِمَّتْهم
ويستحقرون بَذْلَ مُهْجِهِم في مُحَامَاتِهِمْ ونُصْرَتِهِمْ.....

واعلَمْ أن كلَّ مسألةٍ مطلوبٌ فيها إصابةٌ ما في نفسِ الأمرِ^(١) وله (للإنسان)
مَدْوَحَةٌ عن التقليد فيها بأن ينظرَ إلى وجهِ الدليلِ المنصوبِ عليها: إمَّا على جهةِ
الوجوبِ كمسائلِ الاعتقادات، أو على غيرِ جهةِ الوجوبِ كغيرِها من المسائلِ. فالتقليدُ
في ذلك مذمومٌ سواء اتفقت^(٢) إصابته أم لم تتفق. (لكن) لا يدخلُ في ذلك تقليدُ
العامةِ للمجتهدين في المسائلِ الفقهيةِ الفرعيةِ، لأنَّ المطلوبَ فيها إصابةٌ ما غلبَ على ظنِّ
المجتهد، ولا سبيلٌ للعاميِّ إلى هذا إلَّا بالتقليد. ولا يدخلُ فيه أيضاً تقليدُ مَنْ يحتاج
إلى فنٍّ من فنونِ العلمِ لأربابه^(٣)، وإن كان المطلوبُ فيه إصابةٌ ما في نفسِ الأمرِ^(١) إذ لا
مَدْوَحَةٌ له عن التقليدِ فيه، كعلمِ التفسيرِ والحديثِ والتاريخِ والنحوِ واللغةِ والطبِّ.
فالتقليدُ في نفسه مذمومٌ لا ينبغي الاعتمادُ عليه إلَّا عند الضرورة.....

وأما البدعةُ فقد وَرَدَ في ذَمِّها آياتٌ كثيرةٌ وأخبارٌ*.....

إنَّ الله تعالى بعثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى جميعِ الأنامِ وهادياً لهم
إلى دارِ السلامِ^(٤)، وكانوا إذ ذاك في جاهليةٍ جهلاء وضلالةٍ ظلماء^(٥)، مُشْتَتَّةَ آراؤهم
مُفْتَرِقَةَ أهواؤهم لم تأمُرْ أحلامُهم الفاخرة^(٦) إلَّا بإهمالِ النظرِ في مسالكِ العبرِ^(٧)، ولم
تَهْدِهِم ألبابهم إلَّا إلى عبادةِ حَجَرٍ وشمسٍ وقمر. فَمَنَّ اللهُ عليهم بأن بعثَ فيهم رسولاً
من أنفسهم - و (من) أزكاهم وأنفسهم^(٨) - حَلَّاهُ بأكملِ الصفاتِ وأحسنِ الأخلاقِ ووفَّاه
من مواهبِهِ وَمَنَحَهُ نفائسَ الأَعْلَاقِ^(٩)..... (ثم يذكر أحاديثَ وأخباراً من نشأة

(١) إصابة نفس الأمر (المقصود: ما في الأمر نفسه).

(٢) اتفقت = اتفقت؟

(٣) من فنون العلم لأربابه (علم موجود عند أناس غير موجود عند آخرين).

(*) الأخبار (جمع خبر): الأحاديث المروية عن رسول الله.

(٤) دار السلام: الجنة.

(٥) ضلالة ظلماء (عمياء): ضلال (ضياع، تيه) لا يهتدي فيه الضائع إلى سبيله.

(٦) الحلم (بالضم): العقل. الفاخرة (٩).

(٧) العبرة (بالكسر): الدرس، نتيجة الاختبار.

(٨) أنفس الأشياء: أئمتها، أحسنها.

(٩) وفَّاه: كَمَّلَ له، أتمَّ عليه. العلق (بالكسر): الشيء النفيس الذي يضمن (يخجل) الإنسان به.

البدع واتساعها).

وقد بعدنا عن المقصد فلنرجع إليه. فجميع ما ذكرناه في هذه التنبذة إشارة إلى نوع واحد من أنواع البدع وهو ما يؤدي إلى اختلاف وتنازع وتهاجر وتقاطع من أي وجه أدى إلى ذلك. ويقع ذلك بين مبطلين بسبب شدة التعصب من الجانبين، وبين مبطل ومحقق فينقسم الأمر فيكون سببه من جهة المبطل هو مريداً وشيطاناً مغوياً^(١)، ومن جهة المحقق قياماً بواجب الدين ونصيحة للمسلمين. ويستحيل وقوعاً بين مُحَقِّقَيْن.....

٤- غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية (شرح النفري على متن السكندري) بولاق ١٢٨٥ هـ؛ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ (المطبعة الميمنية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٠ هـ.

- الرسائل الكبرى، فاس (حجر) ١٣٢٠ هـ.

- الرسائل الصغرى (نشرها بولس نويّا)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٧ م.

★★ شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي على غيب المواهب (بهامش طبعة بولاق).

الكتيبة الكامنة ٤٠-٤٤؛ نيل الابتهاج ٢٧٩-٢٨١ (٢٨٧ وما بعد)؛ نفح الطيب ٥:

٣٤١-٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٢٢٠؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٨؛ سركيس

١٥٧-١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٠ (٥: ٢٩٩)؛ بالنشأ ٣٩٠؛ معجم المؤلفين لكحالة

٢٠٧-٢٠٨.

ابنُ زَمْرَك

١- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصُرَيْحِيُّ المعروف باسم ابن زَمْرَك (بفتح الزاي والراء أو بضمّهما)، أصلُ أهله من شَرْقِي الأندلس وقد سَكَنَ سَلْفُه غَرْنَاطَةَ.

وُلِدَ ابنُ زَمْرَك في ١٤ من شَوَّالٍ من سنة ٧٣٣ (١٣٣٣/٦/٢٩ م) في غَرْنَاطَةَ ونشأ فيها. وقد تلقى العلم على نَفَرٍ منهم: أبو عبد الله محمد بن محمد اللّوشِيّ (ت ٧٥٢ هـ)؛

(١) الرّدي: المهلك. المغوي: المضلل، الداعي إلى الخيّد عن الصواب.

وأبو عبد الله محمد بن بيش العبدري (ت ٧٥٣ هـ)، وابن الفخار الإلبيري وأبو القاسم الحسني التلمساني وأبو البركات البلقي وأبو فرج بن لب. غير أن أكثر أخذِه كان عن ابن مَرْزُوقِ التلمساني.

أما الذي تولى العناية بابن زمرك فهو لسان الدين بن الخطيب: إنه أستاذه على الحصر في فنون الأدب وولي نعمته في الترقّي في مراتب الدولة. لما تولى ابن الخطيب الوزارة، سنة ٧٤٩ هـ، لأبي الحجاج يوسف الأول النيار، أدخل ابن زمرك في خدمة الدولة كاتباً.

في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) جاء محمد الخامس الغني بالله إلى عرش غرناطة فأخذت مكانة ابن زمرك ترتفع في دولة بني الأحمر، إذ أصبح ابن الخطيب حاجباً للدولة فجعل تلميذه ابن زمرك في حاشية السلطان. وفي سنة ٧٦٠ هـ خلّع محمد الخامس الغني بالله فلجاً إلى أبي سالم إبراهيم بن علي سلطان بني مرين في فاس ولحق به ابن زمرك (بينما بقي ابن الخطيب في غرناطة). وبعد عامين (في ٢٠ جمادى الآخرة ٧٦٣ = ١٣٦٢/٤/١٧ م) عاد محمد الخامس الغني بالله إلى غرناطة - وابن زمرك معه - واستعاد عرشه وردّ ابن الخطيب إلى الوزارة وجعل ابن زمرك كاتباً خاصاً به ولقّبهُ بالرئيس. ولعلّ ابن زمرك قد وجد في هذه الأثناء فسحة من الوقت فتصدّر لتدريس الفقه واشتهر بذلك في مالقة وفي غرناطة.

كانت الأسرة المرينية في فاس قد ضعفت، وكان بنو الأحمر يتلاعبون بها ويضربون بعض أعضائها ببعض ثم ينصرون بعضهم على بعض. ويبدو أن ابن الخطيب مال مع بعض بني مرين على محمد الغني بالله، أو أن ابن زمرك اتهمه بذلك (٧٧٠ هـ) ففر ابن الخطيب إلى فاس خوفاً من سوء العاقبة في غرناطة. بذلك أصبح ابن زمرك وزيراً مكان ابن الخطيب.

وداخل ابن زمرك العجب بما وصل إليه من الرفعة والنفوذ فاستبدّ برأيه في الأمور واستعذب التأمّر والإيقاع بالناس، ولكن لم يستطع أحد أن يصل إليه، فقد كان محمد الغني بالله - وقد كان ابن زمرك شاركة سراءه وضراءه - يخفيه ولا يسمع فيه قول سوء.

وفي صَفَر من سنة ٧٩٣ (كانون الثاني - يناير ١٣٩١ م) توفي محمد الغني بالله فخلفه ابنه أبو الحجاج يوسف الثاني، ولم يكن هو ولا حاشيته يعطِفون على ابنِ زمرك فُجِنَ ابنُ زمرك في سِجْنِ الْمَرِيَّةِ، في أوَّل ربيعِ الأولِ من سنة ٧٩٤ (١٣٩٢/٧/٢٢ م). ومع أن ابنَ زمرك خرج من السِّجْنِ بعد ذلك وعاد إلى الوزارة مُدَّةَ سيرةٍ ثم صُرِفَ منها وشيكاً فإنَّ النِّقمةَ ظلت عليه شديدةً - ذلك لأنه، فيما يبدو، استأنف شيئاً من الكَيْدِ والتَّأمر. فاقْتَحَمَ السلطانُ بنفسه على ابنِ زمرك منزله وقتلَهُ هوَ وولَدَيْهِ وعدداً من خَدَمِهِ وأنصارِهِ في أواخرِ سَنَةِ ٧٩٥ أو أوائلِ سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م).

٢- كان ابنُ زُمُرْكَ شُعْلَةً من شُعَلِ الذِّكَااءِ جَيِّدَ الْفَهْمِ حُلُوَ الْمَجَالِسَةِ عَذْبَ الْفُكَااهَةِ، ولكنَّهُ كان أيضاً مَيَّالاً إلى الكَيْدِ والدَّسِّ. ولقد شارك في فنونٍ كثيرةٍ منها التفسيرُ والفِقْهُ (في الأصول والفروع) واللُّغَةُ. وكان أيضاً شاعراً وُجِدَانِيًّا مُجِيداً، قيل فيه إِنَّهُ آخِرُ الشُّعراءِ الْفُحولِ في الأندلس، كما كان وشاحاً وخطيباً ومُتَرَسِّلاً وناقداً. وشعرُهُ قصائدٌ طوالٌ ومقطَّعاتٌ بعضها مُرْتَجَلٌ. ثم إِنَّهُ كان كَلِفاً بالمعاني البديعة والألفاظ الصَّغِيلَةِ.

أما فنونُ شعرِهِ فأكْبَرُها المديحُ. ومدائِحُهُ كَثارٌ طوالٌ تبدأ بغزلٍ، وهي عادةُ سُلْطَانِيَّاتٍ (لأنَّها تُقال في سُلْطانِ غرناطة) وعِيدِيَّاتٍ (لأنَّ القسمَ الأوفرَ منها كان يُقال في الأعيادِ تهنئةً) واعتذارِيَّاتٍ. وله ميلاديَّاتٌ كَثارٌ أيضاً (بديعِيَّاتٍ، في مَدْحِ الرُّسول). ومن قصائدهِ ميلاديَّاتٌ عِيدِيَّاتٌ. وراثوهُ قليلٌ جدًّا. وله وَصْفٌ خَفَاجِيّ النِّزَعَةِ أَكْثَرُهُ في وَصْفِ قُصورِ الحَمراءِ وبساتينها. وله خريَّاتٌ أيضاً يَدْعُونَهَا صَبوحِيَّاتٍ (والصُّبُوحُ شربُ الخمرِ في الصُّباح). وغَلَبَ على شعرِهِ، في بعضِ أدوارِ حياتِهِ، شيءٌ من التَّصَوُّفِ.

٣- مختارات من آثاره

- مَوْشَعَةٌ مَشْهُورَةٌ لابنِ زمرك قالَها في أثناءِ إقامتهِ في فاس (٧٧٦ هـ)، لَمَّا ذَهَبَ إليها لِطالِبِ سُلْطانِ فاس بِقَتْلِ لِسَانِ الدِّينِ بنِ الخطيب (راجع ترجمة ابن الخطيب):
أَبْلَغُ لِعَرْناطَةِ السَّلامِ وَصِيفُ لَهَا عَهْدِي السَّلامِ

فَلَوْ رَعَى طَرْفُهَا ذِمَامَ مَا بَتُّ فِي لَيْلَةِ السَّلِيمِ^(١).

★ ★ ★

كَمْ بَتُّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحٍ أَعْلُ مِنْ خَمْرَةِ الرُّضَابِ؛
أَدِيرُ فِيهَا كُؤُوسَ رَاحٍ قَدْ زَانَهَا الثَّغَرُ بِالْحُبَابِ؛
أَخْتَالُ كَالْمُهَرِّ فِي الْجِلَاحِ شَوَانَ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ؛
أُضَاحِكُ الزَّهَرَ فِي الْكِامِ مُبَاهِيًا رَوْضَهُ الْوَسِيمِ؛
وَأَفْضَحُ الْفُصْنَ فِي الْقَوَامِ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوْهَا النَّسِيمِ^(٢).

★ ★ ★

بَيْنَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافٌ وَظِلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدٌ،
وَمَوْرِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافٌ وَبُرْدُهُ رَائِقٌ جَدِيدٌ،
إِذْ لَاحَ فِي الْفَوْدِ، غَيْرَ خَافٍ، صُبْحٌ بِهِ نُبَّةُ الْوَلِيدِ،
أَيَقُظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامٍ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ،
وَأَرْسَلَ الدَّمَاعَ كَالْعَامِ فِي كُلِّ وَادٍ بِهِ أَهَمِ^(٣).

★ ★ ★

يَا جَوْدَ عَهْدِهِمْ كَرِيمٍ وَفَعْلَهُمْ كُلُّهُ جَمِيلٌ،

- (١) عهدي السليم: عهدي الذي كان سلاماً في ربوعها. لو رعى طرفها ذمامي: لو دام لي صفاؤها. ما بتُّ في ليلة السليم: ما قضيت زماناً (بعد ذلك) أتألم كأنتي سليم (ملدوغ).
- (٢) على اقتراح: حسب مقترحي، على ما أشتهي. أعل: أسقى مرّة بعد مرّة. الرضاب: الريق. الراح: الخمر. والحباب الذي يطفو على سطح تلك الخمر من ثمر الحبيب. الجلاح: النشاط. الكيام: الورق الأخضر الذي يلفّ الزهر قبل أن يتفتح. الوسيم: ذو الملامح الجميلة. - وقوامي المتأيل من الشباب أجل من الفصن المتأيل في النسيم.
- (٣) ضاف: سابع، يعمّ كل ما أُلقي عليه. المورد: (الشرية) المكان الذي يستقي الناس منه. البرد: الثوب. برد الشباب جديد (في أول الشباب). الفود: الشعر في طرف الرأس عند الأذن. صبح (شيب). قد نبّه الوليد: قد دعا الذي يظنّ نفسه أنه لا يزال صغيراً إلى التفكير بانقضاء القسم الجميل من عمره. لَمَّا انْجَلَى (انْجَاب، زال، انقضى) ليله البهيم (الأسود، كناية عن الشباب الذي يكون الشعر فيه أسود). أهِم: أسير على وجهي من غير تفكير (أصبحت نادماً على كلّ ما كنت قد عملته في إبان جنون الشباب).

لا تَعْدِلُوا الصَّبَّ إِذْ يَهِيْمُ فَقَبْلَهُ قَدْ صَبَا جَمِيلُ.
الْقُرْبُ مِنْ رَبِّكُمْ نَعِيْمٌ، وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلُ.
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بِهِ وَسَامٌ يُزْهِى بِهَا الرَّائِضُ الْمَسِيْمُ.
غَدِيرُهُمَا أَزْرَقُ الْجِهَامِ، وَنَبْتُهَا كُلُّهُ جَمِيْمٌ^(١).

★ ★ ★

أَعْنَدَكُمْ أَنِّي بِفَاسٍ أَذْكُرُّ أَهْلِي بِهَا وَنَاسِي،
اللَّهُ حَنِي، فَكَمْ أَقَاسِي مِنْ وَخْشَةِ الصَّبِّ وَالْبَنِيْنِ،
مُطَارِحًا سَاجِعَ الْحَمَامِ شَوْقًا إِلَى الْإِلْفِ وَالْحَمِيْمِ،
وَالدَمْعُ قَدْ لَجَّ فِي أَنْجَامِ وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيْمِ.

★ ★ ★

يَا سَاكِنِي جَنَةِ الْعَرِيفِ، أَسْكَنْتُمْ جَنَّةَ الْخُلُودِ.
كَمْ تَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيْفٍ قَدْ حُفَّ بِالْيُمْنِ وَالسُّعُودِ!
وَرُبَّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيْفٍ أَذْوَاحُهُ الْخَضِرُ كَالْبُنُودِ،
وَالنَّهْرُ قَدْ سَلَ كَالْحُسَامِ لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُسْتَدِيْمِ،
وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِانْتِسَامِ مُقْبَلًا رَاحَةَ النَّدِيْمِ^(٢).

(١) لا تعدلوا: لا تلوموا. الصب: الحب المشتاق. صبا: مال (إلى النساء)، أحب. جيل = جيل بن معمر

الشاعر الأموي العذري. الربع: المسكن، المكان المعمور. الخطب: الشأن، الأمر (المصائب). جليل: عظيم، خطير. وسام جمع وسيم: جميل. يزهى: يفتخر، يمتد بنفسه. الرائض: المتنزه في الرياض. المسم الذي يرسل أنعامه للرعي (كتابة عن الشاب الذي يندفع في شابه بغير رادع ولا قيد). أزرق الجهام (الأطراف): ماؤه صاف. الجميم: النبات الكثير المنتشر (كل هذا كتابة عن الشباب).

(٢) أكابد: أقاسي. الصب: الحب (إشارة إلى زوجته). مطارحاً ساجع الجهام: شارحاً الجهام في نواحه. لج في انجم: تدافع في المطول والسقوط. وهى (ضُف) عقده النظم: الخيط الذي كان يمسك الدمع من قبل (يشبه دموعه باللؤلؤ الملوک في خيط، فإذا انقط الخيط تناثر اللؤلؤ وتفرق) وكذلك حيناً قد هو صبره (الذي كان كالخيط لدموعه) أخذت هذه الدموع تسيل: توقفت.

(٣) جنة العريف: جنينة جميلة جداً في قصر غرناطة. ثم: هنالك (في جنة العريف). حف: أحيط. اليمن: =

- ولابن زمرك من موشحة أخرى:

لَوْ تَرَجِعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبٌ^(١)
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ الْمَشِيبِ^(٢)

★ ★ ★

يَا رَاكِبَ الْعَجَزِ، أَلَا نَهَضَةٌ. قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَجَالَ.
لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فَيْءِ الظَّلَالِ.
فَالْعَيْشَ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ^(*)، وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيْالِ.
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالْمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ.
وَأَنْتَ مَخْدُوعٌ بَلَمَعِ السَّرَابِ تَحْسُبُهُ مَاءً وَلَا تَسْتَرِيبُ^(٣)!

★ ★ ★

- وقال ابن زمرك من كلام له يمتزج فيه الشعرُ بالنثر (الإحاطة ٢: ٢٣٧ وما بعد):

يَا جَانِحَةَ الْأَصِيلِ، أَيْنَ يَذْهَبُ قُرْصُكَ الْمُذْهَبُ وَقَدْ ضَاقَ بِالْمَشُوقِ الْمَذْهَبُ^(٤)؟

= البركة. طود: جبل. منيف: عال. الدوح: الشجر الكبير. البنود: الأعلام (يقول: تسو أشجاراً في هذه الجنيئة كأنها أعلام مرتفعة). قد سلّ كالحسام (السيف) كناية عن أنه أبيض جار صاف يسرّ به الشرب (الذين يشربون الخمر معاً). مستديم: دائم، لا ينقطع جريانه في جميع فصول السنة. راق: حسن منظره. بأبسام: ضحك (كناية عن تفتحه). مقبلاً راحة (باطن الكف) النديم (كلّ رجل يشرب الخمر مع آخر): يحمل منه النديم في كفه.

- (١) - أن مرور الزمن ينسي الإنسان أحبائه.
- (٢) وكل من نام (غفل عن الأعمال الصالحة) يوقظه الدهر (يجعله الدهر يندم). ليل الشباب (كناية عن سواد الشعر). صبح المشيب (كناية عن بياض الشعر).
- (*) بقظة (بفتح ففتح)، ثم هي خطأ في التقفية مع «روضة...».
- (٣) لمع السراب (انعكاس للضوء يرى من بعيد كأنه ماء): كناية عن الشباب. استراب فلان بفلان: رأى منه ما يريب (ما يدعو إلى الشك والتهمة).
- (٤) هذه قطعة من الإنشاء المنق. من أجل ذلك سأكتفي بالتفسير اللغوي. الجانحة (المائلة). الأصيل: من منتصف الوقت بين الظهر وغروب الشمس حتى غروب الشمس. جانحة الأصيل: الشمس. القرص (قرص الشمس: جرهما - بالكسر). المذهب (بالضم): الملون بلون الذهب. المشوق: المحب. المذهب (بالفتح): الطريق.

أَمَسْتُ شَمْسُ الْأَنْسِ مَحْجُوبَةً عَنْ عَيْنِي، وَقَدْ ضَرَبَ الْبُعْدُ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنِي. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ - مِنْ إِقَامَةٍ وَتَرْحَالٍ - فَمَا مَحَلَّكَ فِي قَلْبِي مَحَلًّا فِيهَا^(١)، وَمَا كُنْتُ لِأَقْنَعُ مِنْ وَجْهِكَ تَخْيِيلًا وَتَشْبِيهًا. وَمَنْ أَيْنَ أَنْتَظَمْتَ لَكَ عَقُودَ التَّشْبِيهِ، وَأَنْتَ مُتَجَمِّلَةٌ بِثَوْبِي زَوْرٍ، وَجِيبُ الظَّلَامِ عَلَى جَنْبِكَ حَتَّى الصَّبَاحِ مَزْرُورٌ^(٢). وَرَاءَكَ مِنَ الصُّبْحِ غَرِيمٌ مُطَالِبٌ تَتَقَلَّبُ فِي كَفِّهِ الْمَطَالِبِ.

وَيَا بَرْقَ الْغَمَامِ، مِنْ أَيِّ حِجَابٍ تَبْتَسِمُ! وَبِأَيِّ صُبْحٍ تَرْتَسِمُ! وَأَيَّ وَجْهِ مِنْ السَّحَابِ تَسِمُ^(٣)? أَلَيْسَتْ مِبَاسِمُ الثُّغُورِ لَا تُنْجِدُ بِأَقْفِي وَلَا تَغُورُ^(٤)? هَذَا، وَإِنْ كَانَتْ مِبَاسِمُكَ مُفْتَرَّةً، فَلَطَالَمَا ضَحِكْتَ فَأَبْكْتَ الْغَوَادِيَّ وَعَطَلْتَ الرَّائِحَ وَالْغَادِيَّ^(٥).....

- وَمِنْ مَقْطَعَاتِ ابْنِ زَمْرَك:

فَوَادِي قَدْ تَمْلِكُهُ الْغَرَامُ، وَوَجْدِي لَا يُطَاقُ وَلَا يُرَامُ^(٦).
وَدَمْعِي دُونَهُ صَوْبُ الْغَوَادِي، وَشَجْوِي قَوْقَ مَا يَشْدُو الْحَمَامُ^(٧).
إِذَا مَا الْوَجْدُ لَمْ يَبْرَحْ فَوَادِي، عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا السَّلَامُ^(٨).

- (١) مَحَلَّكَ (مَكَانَكَ). مَحَلًّا (كَذَا بِالْأَصْلِ. اقْرَأْ: مَحَلَّى: حُلُوءًا، مَحْبُوبًا).
- (٢) ثَوْبًا زَوْر (بَاطِلًا): الْأَقَى وَالتَّفَقُّ عَلَى الْأَقَى (٢) - لَوْنُ الْأَقَى الْغُرْبَى بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ يَرَى أَجَلَ مِنْ لَوْنِهِ قَبْلَ غِيَابِ الشَّمْسِ (٢). الْجَيْبُ: مَدْخَلُ الْعُنُقِ مِنَ الثَّوْبِ. حَتَّى الصَّبَاحِ (طُولُ اللَّيْلِ). مَزْرُورٌ (مَعْقُودٌ بِالْأَزْرَارِ): مَغْلُوقٌ.
- (٣) مَا أَجَلَ الْحِجَابِ (السَّارِ: صَفْحَةُ الْغَيْمِ) الَّذِي تَبْتَسِمُ (تَلْمَعُ) مِنْ خِلَالِهِ. وَمَا أَجَلَ النُّورِ الَّذِي تَتَمَثَّلُ بِهِ (عِنْدَ الْبَرْقِ). وَمَا أَجَلَ صَفْحَةِ الْغَيْمِ الَّتِي تَضِيئُهَا عِنْدَ لَمَعَانِكَ (بِالْبَرْقِ).
- (٤) مِبَاسِمُ الثُّغُورِ (جَمْعُ ثَغْرٍ: فَمُ الْمَحْبُوبِ). لَا تُنْجِدُ: لَا تَرْتَقِعُ (لَا تَشْرُقُ: لَا تَظْهَرُ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مَخْتَفِيَةً) وَلَا تَغُورُ: تَغِيِبُ (كَالتَّسْمِ الْعَادِيَّةِ). ضَحَكَ الْغَيْمُ بِأَبْرِقٍ. أَبْكَى الْغَوَادِي (جَمْعُ غَادِيَّةٍ: الْغَمَامُ الْمُقْبِلُ صَبَاحًا) فَأَبْكَيْتُهَا (جَعَلْتُهَا تَمْطُرُ).
- (٥) الرَّائِحُ: الرَّاجِعُ (فِي الْمَسَاءِ) إِلَى مَكَانِهِ الْأَصْلِيِّ (بَيْتِهِ). الْغَادِي: الْمُنْطَلِقُ فِي الصَّبَاحِ إِلَى مَا يَقْصِدُ (إِلَى عَمَلِهِ).
- (٦) الْوَجْدُ: أَلَمُ الْحُبِّ. لَا يُطَاقُ (لَا يَطْلِقُهُ أَحَدٌ إِذَا فُرِضَ عَلَيْهِ) وَلَا يُرَامُ (لَا يَطْلُبُهُ أَحَدٌ بِاخْتِيَارِهِ).
- (٧) دُونَهُ: أَقْلُ مِنْهُ. صَوْبُ: هَطُولُ، انْسِكَابُ، انْصِبَابُ. الْغَوَادِي: الْغَيْومُ الْمَطْرَةُ فِي الصَّبَاحِ. الشَّجْوُ: الْحُزْنُ. - الْحَمَامُ دَائِمُ التَّصَوُّتِ.
- (٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ. بَرَحَ: تَرَكَ.

★ أيا لا إلهي في الجود، والجود شيمتي، جُبلتُ على إيثارها يومَ مولدي^(١).
 ذريني، فلو أني أخلدُ بالغنى لَكنتُ ضنيناً بالذي ملكتُ يدي^(٢).
 ★ لقد علم الله أني أمرؤُ فكم غمّصَ الدهرُ أجفانه وفازتُ قداحي بوصلِ الحبيب^(٣)،
 وقيل: رَقِيبُكَ في غَفْلَةٍ؛ فقلتُ: أخافُ الإلهَ الرقيبَ^(٤).

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٢٨٢-٢٨٨؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢١-٢٢٠؛
 نثر الجمان ٣٢٧-٣٢٩؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ٣١٢-٣١٣؛ نيل
 الابتهاج ٢٨٢-٢٨٣؛ نفح الطيب ٥: ٤٦-٥٠، ٧٥-٨٠، ١٣٤-١٣٦،
 ١٦٩-١٨٠، ١٩٤-١٩٧، ١٤٥: ٧، ١٦٦-٢٧٩، ٢٨١-٢٨٢؛ أزهار الرياض ٢:
 ٧-٢٠٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٢-٩٧٣؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق
 ٢: ٣٧٠؛ بيكل ٣٦٦-٣٦٩؛ مختارات نيكل ٢١٦-٢١٨؛ الاستقصا ٢:
 ١٢١-١٢٢ (وصف الزرافة)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٨ (٧: ١٥٤)؛ مجلة العربي
 (الكويت) أيلول - سبتمبر ١٩٦٢ (ص ١٠٨)؛ بالنشيا ١٣٩-١٤٢.

ابن فرحون

١- هو بُرهانُ الدين إبراهيمُ بنُ عليّ بنِ محمدٍ بنِ أبي القاسمِ بنِ محمدٍ بنِ فرحونِ
 اليغمريّ الأندلسيّ المالكيّ الأباي^(٥) (بضمّ الهمزة) الجيّانيّ نسبةً إلى بلدَينِ في
 الأندلس.

وُلِدَ ابنُ فرحونِ في المدينةِ وبَدَأَ دِرَاسَتَهُ على أبيهِ وعمِّهِ وعلى جمالِ الدينِ أبي عبدِ

-
- (١) التهمة: الخصلة. الإيثار: التفضيل.
 (٢) ذريني: اتركيني. أخلدُ: أبقى في الحياة إلى الأبد. ضنين: حريص، بخيل. - لَكنتُ ضنيناً.... (لا
 أنفقت كلَّ ما كنت أملكه).
 (٣) ثوب العفاف (كتابة عن العفة: ترك إتيان ما هو حرام في الدين وفي الخلق). القشيب: الجديد. ما زال
 عفا في جديداً (لم أدّسه بشيء حرام).
 (٤) كثيراً ما سنحت لي فرصة للاتصال بالحبوب، ولم يكن أحد يرانا.
 (٥) في تطريز الديباج (ص ٣٠): الإباي (بالياء).

الله محمد بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي (ت ٧٤١ هـ) وكان خطيب المدينة وكبير المؤذنين فيها. وكان الحديث أكثر دراسته.

ورحل ابن فرحون مراراً إلى مصر. وفي سنة ٧٩٢ زار القدس والشام وحج ولقي (في الحج) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوردغامي التونسي (٧١٦-٨٠٣ هـ) فأعجب به ابن عرفة وأجاز له رواية جميع ما سمعه منه ورواية جميع كتبه. وفي ربيع الآخر من سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م). عين قاضياً في المدينة.

وكانت وفاة ابن فرحون في العاشر من ذي الحجة من سنة ٧٩٩ (١٣٩٧/٩/٤ م)، بعد أن فُليج شقه الأيسر.

٢- كان ابن فرحون من أهل بيت علم ومن صدور المدرسين واسع المعرفة حسن التحقيق رأساً في أصول الفقه وفروعه وبالفروض والوثائق^(١) عارفاً بالتاريخ والنحو والطب أيضاً. وقد كان شديد الثمرة لمذهب الإمام مالك. ولابن فرحون تأليف منها: تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات (وهو شرح مختصر ابن الحاجب^(٢))، وقد جمعه من نفر من الشراح في ثمانية أسفار - تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام - درة الفواص في محاضرة الخواص (ألفه ألبازاً على أبواب الفقه) - كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب^(٣) - ارشاد السالك إلى أفعال الناسك (في الحج) - المنتخب في مفردات ابن البيطار^(٤) (في الطب والأدوية) وغير ذلك مما لم يتم تأليفه. وقد شهر بكتابه: «الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب» انتهى من تأليفه في شعبان من سنة ٧٦١ (١٣٦٠ م). يبدأ هذا الكتاب بمقدمة قصيرة (راجع مختارات من آثاره) يأتي بعدها فهرس موجز (غير الفهرس المقيّد بالصفحات) والذي ألحقه الناشر بالكتاب). ثم تأتي تسع عشرة صفحة

(١) الفروض والفرائض: تقسيم الإرث الوثائق والتوثيق (كتابة اليهود والصكوك بين المتخاصمين والمتراضين والمتبايعين).

(٢) (٣٠٢) راجع ٣: ٥٥٩.

(٤) ابن البيطار: عبد الله بن أحمد المالقي الأندلسي (ت ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م). من علماء النبات والأعشاب التي تدخل في الأدوية. الأدوية المفردة: المواد التي تدخل في تركيب الدواء.

في حياة الإمام مالك وأحواله وتأليفه ثم تأتي بعد ذلك التراجم على الحروف الهجائية.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة الديباج المذهب:

..... وبعد، فإن أولى ما أتحف به الطالب اللبيب ودون للأديب الأريب^(١) التعريف بحال من جعل تقليده بينه وبين الله حجة واتخذ اقتفائه هديه في الحلال والحرام محجة^(٢)، ثم حال الرواة عنه والناقلين عنهم والمجتهدين في مذهبه والقائمين على أصوله والمفتين على قواعده والمدونين لمسائله وتمييز درجاتهم في العلم والفهم والدين والورع والتعريف بشقاتهم وشهادة أهل العلم فيهم وفي مؤلفاتهم. فشرف العلم بهذا الفن معلوم والجهل به مذموم. وليس هو مما قيل فيه: علم لا ينفع وجهالة لا تضر، فإن هذا مقول في علم الأنساب^(٣)، وهو فن غير هذا.

وقد ذكرت في هذا المجموع الوجيز مشاهير الرواة وأعيان الناقلين للمذهب والمؤلفين فيه ومن تخرج به أحد^(*) من المشاهير وجماعة من حفاظ الحديث. وأضربت عن ذكر غير المشاهير إيثاراً للاختصار، لأن الإحاطة بهم متعذرة واستيفاء من يمكن ذكره يخرج عن المقصود. وذكرت جماعة من المتأخرين ممن لم يبلغ درجة الأئمة المقتدى بهم قصداً للتعريف بحالهم لكونهم قصدوا التأليف ولأن لكل زمان رجالاً. وكذلك ذكرت بعض الرواة الحفاظ المتأخرين لكونهم من مشاهير أهل زماننا. ولم يقع ترتيب أسمائهم في هذا التأليف على الوجه المطلوب، بل وقع فيه تقديم وتأخير من غير قصد. وذكرت العذر عن ذلك في آخر الأسماء.

-
- (١) الاتحاف: إهداء الأشياء الثمينة. الأريب: ذو الذكاء والفطنة (بكسر الفاء).
(٢) تقليده = تقليد المتأخر للمتقدم (تقليد الذين جاءوا بعد الإمام مالك لملك). اقتفاء: اتباع. المحجة: الطريق المستقيم (الواضح).
(٣) علم الأنساب (النسب): قرابة بعض الناس من بعض.
(*) ... ومن تخرج به أحد من المشاهير (وذكرت أشخاصاً من غير المشاهير إذا كان قد تلقى العلم عليه رجل مشهور).

وبدأت بمُقَدِّمة تشتمل على ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده
مُلَخَّصاً من كلام الإمام أبي الفضل عياض بن موسى رَحِمَهُ اللهُ في مقدِّمة كتابه
المسمَّى بالمدارك * *. وأتبع ذلك بذكر الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عنه والتعريف
بنُبهة يسيرة من أحواله. (ثم يأتي ذكر من اشتمل عليهم هذا التأليف مرتباً على
حُرُوف المُعْجَم ليسهل الكشف عن المطلوب. وسَمَّيته «الدِّيبَاج المذهب في أعيان
علماء المذهب»

- ٤- تبصرة الحكام (على هامش «فتح المَلَى» لمحمد بن عlish)، فاس (طبع حجر)
١٣٠١ هـ (راجع سركيس ١٣٧٤)؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة
مصطفى محمد) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ .
- الديباج المذهب، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ؛
القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ؛ القاهرة ١٣٣٠ هـ (طبعة عباس بن عبد السلام بن
شعرون)، القاهرة (مطبعة المعاهد) ١٣٥١ هـ .
* * نيل الابتهاج ٣٠ - ٣٢؛ شذرات الذهب ٦: ٣٥٧؛ الدرر الكامنة ١: ٤٨؛ بروكلمن ٢:
٢٢٦، الملحق ٢: ٢٢٦ (أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ الأعلام للزركلي ١:
٤٧ (٥٢)؛ معجم المؤلفين لكحالة ؛ سركيس ٣٠٢ - ٣٠٣ .

أبو زيد المكوذي

١- هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوذي، نسبة إلى بني مكوذ من
قبائل هَوَارة (مستكنهم بين فاس وتازة) المَطَرِزِي، وَلِدَ سَنَةَ ٧٢٦ للهجرة أو ١٣٢٦ م
(راجع سركيس ١٧٨٦).

تصدَّرَ أبو زيد المكوذي لتدريس النَّحْوِ في فاس (راجع نفح الطيب ٥: ٤٢٨)،
وكان يُدرِّسُ الكتاب (كتاب سيبويه) في مدرسة العطارين - وهو آخر من درَّسَ هذا
الكتاب في فاس - إذ أصبح الاعتمادُ فيها بعدُ على ألفية ابن مالك والتي كان المكوذي
قد وضع عليها شرحاً جيداً.

(* *) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (بروكلمن ١: ٤٥٦).

وكانت وفاة المكوذي هذا في فاس في الحادي عشر من شعبان ٨٠٧ (١٤٠٥/٢/١٣) في الأغلب.

٢- كان أبو زيد المكوذي، في زمنه، عالم فاس وأديبها، بارعاً في الفقه وفي العلوم اللسانية من اللغة والنحو والعروض والأدب، كما كان شاعراً راجزاً ومُقَصِّداً. ثم إنه كان مُصَنِّفاً له: شرح ألفية ابن مالك - شرح مقدمة ابن آجروم - شرح المقصور والممدود لابن مالك - البسط والتعريف في نظم علم التصريف - نظم المُعَرَّب من الألفاظ - المقصورة (نحو ثلاثمائة بيت، أراد بها مدح الرسول ومعارضة مقصورة حازم القرطاجني. ولكنها مملوءة بالشكوى أيضاً. وفيها كثير من ترداد المعاني إلى جانب اتكائه فيها على معاني السابقين، من كعب بن زهير، إلى ابن دريد إلى حازم القرطاجني إلى البوصيري. وفي هذه المقصورة براعة وسهولة وإن كان المكوذي يتكلف فيها الغريب من اللفظ أحياناً كما فعل في الأبيات المتعلقة بوصف الجمل).

٣- مختارات من آثاره

- من مقصورة المكوذي الفاسي:

أرقني بارق نجد إذ سرى يومض ما بين فرادي وثنى^(١).
فيا له من بارق ذكّرني من الهوى ما كنت عنه في غنى.

- وبعد أن يصف روضاً بعد ليل من المطر يقول:

وأشتكي دهرأ دهاني صرّفه لما قضى بالبين فيما قد قضى^(٢).
منازل كانت بنا أواهلاً نلنا بها حيناً أساليب المنى.
كم بت في أفيائها أجري إلى غاياتها بطرف جد ما كبا^(٣).

(١) فرادي وثنى (قد يأتي البرق مرة مرة أو مرتين مرتين).

(٢) صرف الدهر وتصاريه (مصائبه). البين: البعاد.

(٣) الطرف (بكسر الطاء): الفرس السابق. كبا: عثر، وقع.

وكم سَحَبْتُ، إِذْ صَحَبْتُ غَيْدَهَا
وكم لثَمْتُ زَهْرَ ثَغْرِ أَشْنَبِ
وكم رَشَفْتُ مِنْ رُضَابِ سَلْسَلِ
أَيَّامَ أَزْهَارِ الْمُنَى مُونِقَةً
يَا لَيْتَ شِغْرِي، وَالْأَمَانِي خُدَعُ،
وَهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ لِمَعْهَدِ
وَالدَّهْرُ فِي صُرُوفِهِ ذُو عَجَبِ
يُبْكِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ،
هَذَا هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَغُرُّكَ مَا
فَانْفِضَ يَدَيْكَ مِنْ عُرَاهَا وَارْمِهَا
وَسِرِّكَ اكْتُمْنَاهُ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا
وَاقْنَعْ - عَلَى عِزٍّ - بِمَا يَكْفِي، وَلَا
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ لِدَوْدِهِ
يَبِشُّ فِي وَجْهِكَ إِنْ لَاقَيْتَهُ،
يُذِيعُ مَا يَرَاهُ مِنْ قُبْحٍ، وَإِنْ

بِرَوْضِهَا، ذَبِيلَ السُّرُورِ وَالْهَنَاءِ *
مِنْ شَادِنِ عَذْبِ الثَّنَايَا وَاللِّمَى (١).
يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَفْعَالَ الطَّلَا (٢).
وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرٍ مُجْتَلَى (٣).
هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا عَهْدًا مَضَى (٤)؟
صَبَوْتُ فِيهِ جُلًّا أَيَّامِ الصَّبَا (٥).
يُدْنِي بِهَا كُلَّ جَدِيدٍ لِلْبَلَى (٦).
وَيُعْقِبُ الْكَرْبَ إِذَا الْعَيْشُ صَفَا.
تَرَاهُ فِيهَا مِنْ سُورٍ وَهَنَاءِ *
وَإِذَا رَأَى بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الثَّمَى (٧).
تُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنَ الْوَرَى (٨).
تَخْرِصُ؛ فَإِنَّ الْحِرْصَ ذُلٌّ لِلْفَقَى.
لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ عَلَى الْحِقْدِ انطوى:
وَإِنْ تَغَيَّبَ يَغْتَبِكُ فِي كُلِّ مَلَا (٩)؛
رَأَى جَمِيلًا مِنْكَ أَخْفَى مَا رَأَى.

- (١) الشنب: البياض في الأسنان: الثأدن: الغزال الصغير. اللمي: السمرة في الشفاء.
(٢) الرضاب: الريق ما دام في الفم. السلسل: الذي يجري في الحلق بسهولة. اللبّ (بالضم): العقل. الطلاء (بالكسر): الخمر. * الهناء: القطران (والشاعر يقصد الهناءة: الفرح والسُرور).
(٣) مونقة: جميلة تعجب العين. مجتلى: محبب الناس أن ينظروا إليه.
(٤) خدع (بضم ففتح) جمع خدعة (بالكسر). وخدع (بضم وتشديد أو بضم فضم) جمع خادع. رجع يرجع (فعل لازم ومتعد).
(٥) صبا: مال (سلك فيه سلك الحيين). جلّ: معظم، أكثر.
(٦) صروف الدهر: تقلبه (ومصائبه). البلى: التهرؤ.
(٧) العروة (بالضم) الحلقة (للزّر وشبهه)، ما يملك به المتقلقل. ادراً: ادفع (عنك بها مصائب الدهر). النهي: العقل.
(٨) الورى: الناس، مجموع الخلق.
(٩) ملا = ملأ: النخبة من القوم، (وهنا): كلّ يجمع من الناس.

كَمْ خُضْتُ فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي جَامِحاً لَا أَرْعَوِي نُصْعاً لِلْخِي مَنْ لَهَا^(١) ؟
وَكَمْ تَعَبْتُ إِذْ تَبِعْتُ أَملاً قَدْ انْقَضَتْ لَذَاتُهُ وَمَا انْقَضَى .
وَاحْشَرْتَا ، قَدْ مَرَّ عُمْرِي ضَائِعاً بَيْنَ خَزَعَبَلَاتٍ لَهْوٍ وَهَوَى .
هَلَكْتُ فِي الْهَلَاكِ لَوْلَا أَنَّنِي ذَخَرْتُ ذُخْراً أَرْتَجِي بِهِ الْهُدَى .
وَلَيْسَ ذُخْرِي غَيْرَ مَدْحٍ أَحَدٍ سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرّاً وَالسَّمَاءِ^(٢) :
مَقْصُورَةً ، لَكِنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى^(٣) .

- من شرح المكوّدي على ألفية ابن مالك :

أما بعدُ فهذا شرحٌ مُختَصَرٌ على ألفية ابن مالك مُهذَّبُ المقاصد^(١) واضحُ المسالكِ
تَفَهَّمُ به أَلْفَاظُهَا وَيَخْطِي بِمَعَانِيهَا حَقَاقُظُهَا ، مُغْرَبٌ عَنْ إِعْرَابِ أَبِيهَا^(٥) وَمُقَرَّبٌ لَهَا
شَرَدَ مِنْ عِبَارَاتِهَا^(٦) ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلنَّقْلِ^(٧) عَلَيْهَا وَلَا إِضَافَةٍ غَيْرِهَا إِلَيْهَا ، وَلَا
إِنْشَادٍ شَوَاهِدَ إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَا إِيرَادِ مَذَاهِبَ إِلَّا مَا لَا مَدْوَحَةَ عَنْهُ^(٨) ، يَسْتَفِيدُ
بِهِ الْبَادِي وَيَسْتَحْسِنُهُ الشَّادِي^(٩) . وَالباعثُ على ذلك أن بعضَ الطَّلَبَةِ الْمُبتَدِئِينَ
وَالْفَتَى الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَعَنِينَ بِحِفْظِهَا الْقَانِعِينَ بِمَعْرِفَةِ لَفْظِهَا طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَضَعَّ شَرْحاً
عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْتُهُ وَ(أَنْ) أَبَيَّنَ أَلْفَاظُهَا وَمَعَانِيهَا عَلَى حَسَبِ مَا وَصَفْتُهُ . فَأَجَبْتُهُ إِلَى
مَا اقْتَرَحَ عَلَيَّ وَأَسَعَفْتُهُ بِمَا أَمَلْتُ لَدَيَّ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْفَعُنَا وَإِيَّاهُ بِالْعِلْمِ .

(١) الجامع : الحصان الثارد : اللحي : اللوم .

(٢) أحد من أسلم محمد رسول الله .

(٣) مقصورة (الأولى) : قصيدة مبنية في قافيتها على الألف المقصورة . مقصورة (الثانية) : قاصرة على (شيء واحد) ، مخصوصة بشيء واحد . المصطفى من أسلم محمد رسول الله .

(٤) مهذب المقاصد : مختصر الأهداف (لم أذكر فيه جميع الوجوه التي تجوز في كل موضوع من مواضع الصرف والنحو) .

(٥) مغرب : مبين . - وكثيراً ما يعرب المكوّدي أبيات هذه الألفية .

(٦) لا شرد من عباراتها (لأنه كان غير واضح من عباراتها) .

(٧) للنقل (٢) = للنقد ، للتنبيه على ما فيها من الخطأ أو على خلاف ما « نقله » النحاة الآخرون عن العرب .

(٨) مندوحة : متسع (ما لا مندوحة عنه : ما لا بد منه) .

(٩) الشادي : الذي حصل طرفاً من العلم (لا يكفي لأن يجعله عالماً) .

ويزرُقنا وإيَّاه سَلَامَة الإدراكِ والفَهمِ بِمَنِّهِ ^(١) وَكَرَمِهِ. آمين.

- ما لا ينصرف ^(٢):

(الصَّرْفُ تَنْوِينٌ أَتَى مُبَيَّنًا مَعْنَى بِهِ يَكُونُ الْأَسْمُ أَمَكَّنًا)
يَعْنِي أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ الَّذِي يَتَبَيَّنُ بِهِ أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ ^(٣) يُسَمَّى أَمَكَّنًا ^(٤). وما صَرَّحَ بِهِ مِنْ أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ. وَيُمْنَعُ الْأَسْمُ مِنَ الصَّرْفِ لَوْجُودِ عِلَّتَيْنِ أَوْ عِلَّةٍ (وَاحِدَةٍ) تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ. وَقَصْدُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ يُبَيِّنَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي لَا تَنْصَرِفُ، وَإِنَّا ذَكَرَ الصَّرْفَ وَعَرَّفَهُ لِأَنَّ بِمَعْرِفَتِهِ يُعْرَفُ الْأَسْمُ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ. فَمَا وَجَدَ فِيهِ التَّنْوِينَ الْمَذْكُورَ فَهُوَ مُنْصَرِفٌ، وَمَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ (فَهُوَ) غَيْرُ مُنْصَرِفٍ. ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا لَا يَنْصَرِفُ اثْنَا عَشَرَ نَوْعًا: خَمْسَةٌ فِي النَّكِرَةِ وَسَبْعَةٌ فِي الْمَعْرُفَةِ.... قَالَ:

(فَالِفُ التَّائِيثِ مُطْلَقًا مَنَعَ صَرْفَ الَّذِي حَوَاهُ كَيْفًا وَقَعَ)
يَعْنِي أَنَّ «أَلِفَ التَّائِيثِ» تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ مُطْلَقًا - أَيِ مَقْصُورَةً كَانَتْ أَوْ مَمْدُودَةً - كَيْفَمَا كَانَ الْأَسْمُ الَّذِي هِيَ فِيهِ، مِنْ كَوْنِهِ نَكِيرَةً أَوْ مَعْرُفَةً، مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا، نَحْوُ: ذِكْرَى وَسَلَمَى وَحُبْلَى وَسُكَارَى وَحِرَاءَ وَأَسْمَاءَ وَزَكْرِيَّا. وَإِنَّا مَنَعْنَا أَلِفَ التَّائِيثِ وَحَدَّاهَا (الْأَسْمَ الَّذِي هِيَ فِيهِ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهَا قَامَتْ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ، وَهُمَا التَّائِيثُ وَلِزُومُ التَّائِيثِ ^(٥).

فـ «أَلِفُ التَّائِيثِ» مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ «مَنَعَ»، وَ«مُطْلَقًا» حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي «مَنَعَ» الْعَائِدِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ. وَ«حَوَاهُ» صِلَةٌ «الَّذِي». وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ إِلَى الْمَوْصُولِ (هُوَ) فِي «حَوَاهُ». وَالْهَاءُ فِي «حَوَاهُ» عَائِدَةٌ عَلَى أَلِفِ التَّائِيثِ. وَكَيْفَمَا

(١) الْمَنِّ: النِّعْمَةُ، الْكَرَمُ (بِفَتْحِ فَتْحٍ).

(٢) فِيمَا يَلِي نَوْذَجٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ (مَا لَا يَنْصَرِفُ: الْمَنْعُ مِنَ الصَّرْفِ)، وَلَمْ أَوْرِدْ فِيهَا يَلِي كُلِّ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْأَلْفِيَّةِ وَشَارَحَ الْأَلْفِيَّةَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ.

(٣) يَتَّصِلُ بِهِ (التَّنْوِينُ) يُقْبَلُ التَّنْوِينُ (جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ عَلَى تَوْنِهِ).

(٤) أَمَكَّنَ: مَتَمَكَّنَ، ثَابِتٌ فِي جَمِيعِ وُجُوهِ الْإِعْرَابِ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ الْمَأْلُوفَةِ.

(٥) التَّائِيثُ وَلِزُومُ التَّائِيثِ: التَّائِيثُ بِمَعْنَاهُ (عِلَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ) وَلِهَاقِ عَلَامَةِ التَّائِيثِ بِهِ (عِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ).

وَقَعَ شَرْطُ حُذِفَ جَوَابُهُ، لِدَلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ^(١). والتقديرُ: «كَيْفَمَا وَقَعَ مَنَعُ الصَّرْفِ».

ثم أشار إلى النوع الثاني مما يَمْنَعُ (الصرف) في التَّكْرَةِ فقال:

(وزائداً فَعْلَانٌ فِي وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُرَى بَتَاءً تَأْنِيثٍ خُتِمَ)

يعني أَنَّ «زائدي فَعْلَان» - وهما الألف والنون الزائدتان - يَمْنَعَانِ الصَّرْفَ، إذا كانت في وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُخْتَمَ بَتَاءً التَّأْنِيثِ. والمانعُ له من الصرفِ الألفُ والنونُ والصفةُ. وفُهِمَ منه أَنَّ ذلك مخصوصٌ بهذا الوزنِ الذي هو فَعْلَانٌ. وفُهِمَ من قوله: «في وَصْفٍ»، أَنَّ هَاتَيْنِ الزَّيَادَتَيْنِ لو كانتا في غير الوصفِ لم يَمْنَعَا، نحو سَرَحَانِ^(٢). وفُهِمَ منه (أيضاً) أَنَّ الوصفَ المُحتَوِي على هَاتَيْنِ الزَّيَادَتَيْنِ إذا أُنتَ بالهاء لم يَمْنَعِ، نحو نَدْمَانِ فَإِنَّ مُؤَنَّثَهُ نَدَمَانَةٌ. فَمِثَالُ مَا تَوَقَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْمَانِعِ غَضْبَانٌ وسَكَرَانٌ، فَإِنَّكَ تَقُولُ فِي مُؤَنَّثِهِمَا: غَضْبَى وسَكْرَى، ولا يجوزُ فِيهِمَا غَضْبَانَةٌ وسَكَرَانَةٌ.

و «زائداً» معطوفٌ على الضميرِ المُستترِ في «مَنَعَ» العائدِ على أَلِفِ التَّأْنِيثِ. وجازَ العطفُ عليه للفصلِ بالمفعول^(٣). والتقديرُ: (أَنَّ الذي) مَنَعَ الصَّرْفَ أَلِفُ التَّأْنِيثِ و «زائداً فَعْلَان». ويجوزُ أَنْ يَكُونَ («زائداً فَعْلَان») مُبْتَدَأً، والخبرُ محذوفٌ لِدَلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ، أي: و «زائداً فَعْلَان» كذلك^(٤). و «سَلِمَ... إلى آخرِ البيتِ» في موضعِ الصِّفَةِ لـ «وَصْفٍ». و «خُتِمَ» في موضعِ المفعولِ الثاني لـ «يُرَى»^(٥)، و «بَتَاءً» (جَارٌّ ومَجْرُورٌ) مُتَعَلِّقٌ بـ «خُتِمَ»....

(١) كيفما وقع منع من الصرف (لم يذكر «منع من الصرف» لأن هذا المعنى تقدم على اسم الشرط وفعله «كيفما وقع»).

(٢) السرحان: الذئب.

(٣) «وزائد فَعْلَان» معطوف على «ألف التأنيث» (في البيت السابق). والفصل بالمفعول (مجيء «صرف» الذي حواه - وهي مفعول به - معترضة بين الفعل «منع» وفاعله «زائداً فَعْلَان»).

(٤) كذلك: «جارٌّ ومَجْرُورٌ (خبر «زائداً فَعْلَان»، أو في محلِّ خبر).

(٥) سلم من أن يرى مختوماً بتاء التأنيث «جمله فعلية في محلِّ نعت للكلمة «وصف». و «يرى بتاء تأنيث ختم»: يرى فعل مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو (يرجع إلى اسم). و «ختم» جملة فعلية من الفعل «ختم» ونائب الفاعل المستتر فيه في محل مفعول به ثان للفعل المجهول «يرى».

(فَالأَذهَمُ القَيْدُ لِكَوْنِهِ وَضِيعٌ فِي الأَصْلِ وَصَفًا أَنْصَرَفَهُ مُنْعٌ)
 من أسماء القَيْدِ «أَذهَمُ»، وَهُوَ فِي الأَصْلِ، وَصَفٌ؛ لَكِنَّهُ اسْتَعْمِلَ اسْتِعْمَالَ الأَسْمَاءِ
 فَالْقَيْدُ فِيهِ الاسْمِيَّةُ وَبَقِيَ غَيْرُ مُنْصَرَفٍ عَلَى مُقْتَضَى الأَصْلِ، فَتَقُولُ: «مَرَرْتُ
 بِأَذهَمٍ»، أَيْ بِقَيْدٍ. وَمِثْلُ «أَذهَمٍ» فِي ذَلِكَ «أَرْقَمٌ» لِتَنَوُّعِ مِنَ الحَيَاتِ وَ«أَسْوَدٌ»
 لِلْحَيَّةِ أَيْضًا.

فـ «أَذهَمُ» مُبْتَدَأٌ، وَ«القَيْدُ» بَدَلٌ مِنْهُ - بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ ^(١) - .
 وَ«لِكَوْنِهِ» مُتَعَلِّقٌ بِ«مُنْعٍ». وَ«فِي الأَصْلِ» مُتَعَلِّقٌ بِ«مَوْضِعٍ» .

ثُمَّ إِنَّ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلٌ» مَا جَاءَ فِيهِ الصَّرْفُ وَمَنْعُ الصَّرْفِ (مَعًا).
 وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ (أَبْنُ مَالِكٍ) بِقَوْلِهِ:

(وَأَجْدَلٌ وَأَخْيَلٌ وَأَفْعَى مَصْرُوفَةٌ. وَقَدْ يَنْلَنَ الْمَنَعَا)
 «أَجْدَلٌ» أَسْمٌ لِلصَّغْرِ. وَ«أَخْيَلٌ» أَسْمٌ لَطَائِرٍ ذِي خَيْلَانٍ ^(٢). وَ«أَفْعَى» أَسْمٌ
 لَضَرْبٍ ^(٣) مِنَ الحَيَاتِ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ صِفَاتٍ - لَا فِي الأَصْلِ وَلَا فِي
 الاسْتِعْمَالِ - فَحَقُّهَا الصَّرْفُ، وَلِذَلِكَ صَرَفَهَا أَكْثَرُ الْعَرَبِ. وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَمْنَعُهَا مِنَ
 الصَّرْفِ، وَوَجْهُهُ ^(٤) أَنَّهُ ^(٥) لَاحَظَ فِيهَا مَعْنَى الصِّفَةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي «أَجْدَلٍ» لِأَنَّهُ مِنَ
 «الْمَجْدَلِ» وَهُوَ الْقُوَّةُ. وَ«أَخْيَلٌ» (يُمْكِنُ أَنْ تُنْمَعَ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهُ مِنَ «الْحَيُولِ» ^(٦)،
 وَهُوَ الْكَثِيرُ الْخَيْلَانِ. وَفَهُمَ مِنْ قَوْلِهِ: «مَصْرُوفَةٌ، وَقَدْ يَنْلَنَ (الْمَنَعَا)» أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ
 الْكَثِيرُ ^(٦).....

٤- شرح ألفية ابن مالك، فاس بلا تاريخ؛ فاس ١٢٩٤ هـ، فاس ١٣١٨ هـ؛ ثم في مصر،
 (بهاشم حاشية أحمد الملوحي) طبع حجر ١٢٧٩ هـ؛ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ،

(١) أي بدل كل من كل: المُبدل منه (البديل) هو المُبدل نفسه.

(٢) الخيلان: التكبر والإعجاب بالنفس.

(٣) ضرب: نوع.

(٤) وجهه (وجه منعه من الصرف أو سبب منعه من الصرف).

(٥) أنه (أن بعض العرب).

(٦) الغالب أنه مصروف أكثر منه ممنوعاً من الصرف.

- ١٣٤٥ هـ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ تم مصر ١٣٢٠ هـ .
- شرح مقدّمة ابن آجرّوم، تونس ١٢٩٢ هـ مصر ١٣٠٤ هـ مصر (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٩ هـ ١٣٤٥ هـ .
- شرح مقصورة ابن حازم القرطاجيّ (نشرها عبد الله كنّون)، القاهرة ١٣٥٧ هـ .
- البسط والتعريف في نظم العلم الشريف (عليها شرح بعنوان: الفتح اللطيف لمحمّد بن أبي بكر الصغير المتوفّي سنة ١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م)، فاس ١٣١٥ - ١٣١٦ هـ .

★ الصّوّء اللامع ٤: ٩٧ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٨ - ١٦٩ (١٤٥)؛ بغية الوعاة ٣٠٠؛
شذرات الذهب ٨: ٤٤ النبوغ المغربي ٢١٠، ٨١٠ - ٨١٧، ٩١٧؛ الأدب المغربي
٢٧٨ - ٢٨٠ بروكلن ٢: ٣١٠، ٣٦١، الملحق ٢: ٣٣٦، ٥٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤:
٩١ (٣: ٣١٨)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٥: ١٥٦؛ سركيس ١٧٨٦ - ١٧٨٧ .

ابنُ خَلْدُون

١- لما فتحَ المسلمون الأندلسَ دخلَ معَ جيوشِ الفتحِ رجلٌ يُمْنِيٌّ من عربِ حَضْرَمَوْتِ^(١) أسمه خالدُ بنُ الخطّابِ. وسكن خالدٌ هذا في قَرَمُونَة ثمّ انتقل إلى إشبيلية حيث عُرِفَ بأسمِ خَلْدُونِ (تصغير خالد: خالد الصغير)^(٢). ولما اشتدَّ خطرُ الإسبانِ على إشبيلية سنةَ ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) هَجَرَهَا آلُ الخطّابِ إلى ثغرِ سَبْتَة^(٣). ثمّ انتقل محمدٌ جدُّ فيلسوفِنا إلى تُونِسَ ووَلِيَ الوزارةَ حيناً. وكذلك مال والدُ فيلسوفِنا (وأسمه محمدٌ أيضاً) إلى الشّؤونِ العسكريّة والإداريّة، ولكنه عادَ فشَغِفَ بالعلم وأصبح

(١) حضرموت منطقة في جنوبي شبه جزيرة العرب.

(٢) يرى عبد الله كنّون (مجلة «البحث العلمي»، الرباط، جمادى الآخرة - رمضان ١٣٨٤ هـ، ص ١٢٧ - ١٣٦). أن صيغة «خلدون» عربية تقيد التعظيم بدلالته الجُمعية (أي بالواو والنون الملحقين به) وهما في رأيه علامة جمع المذكر السالم، وعندي أن الواو والنون لاحقة تقيد التصغير والتحبّب، ففي المشرق يقال عند التصغير والتحبّب كلبون وسعدون، صفيرون، الخ. وربّما استعملت صيغة فعول لهذا الغرض في الأسماء المذكورة والمؤنثة نحو: قدّور (تصغير عبد القادر) فطوم، عيوش (تصغيراً لفاطمة وعائشة) الخ.

ثِقَّةٌ فِي الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ، وَقَدْ تَوَفَّى بِالطَّاعُونَ الْجَارِفِ^(١) الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ
سَنَةَ ٧٤٩ هـ (١٣٤٩).

أَمَّا ابْنُ خَلْدُونِ نَفْسُهُ (وَهُوَ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ... ابْنِ
خَالِدِ بْنِ الْخَطَّابِ) فَقَدْ وُلِدَ فِي تُونِسَ غُرَّةَ رَمَضَانَ ٧٣٢ (٢٧ / ٥ / ١٣٣٢ م). وَتَلَقَّى،
عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ تُونِسَ وَالْوَارِدِينَ إِلَيْهَا، الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ حِفْظًا وَتَفْسِيرًا ثُمَّ
الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَاللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَكَثِيرًا مِنَ الشُّعْرِ.

وَفِي سَنَةِ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) أَلْتَحَقَ ابْنُ خَلْدُونِ بِحَاشِيَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ سُلْطَانِ
مَرَّاكُشٍ^(٢). غَيْرَ أَنَّ أَوَّلَ عَهْدِهِ بِمَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ فَعَلًا كَانَ سَنَةَ ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)، فَقَدْ
تَوَلَّى «كِتَابَةَ الْعِلَامَةِ» (دِيْوَانَ الرِّسَالِ) لِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ تَافَرَكِينِ الْمُسْتَبْدِّ عَلَى الدَّوْلَةِ
يَوْمَئِذٍ بَتُونِسَ. ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَ لِأَبِي عَنَانَ صَاحِبِ فَاسٍ^(٣)، وَكَانَ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ فِي بَلَّاطِهِ،
فَاسْتَقْدَمَهُ عَامَ ٧٥٥ هـ ثُمَّ اسْتَعْدَمَهُ فِي آخِرِ سَنَةِ ٧٥٦ هـ (آخِرَ عَامِ ١٣٥٥ م)، ثُمَّ
غَضِبَ عَلَيْهِ فَسَجَنَهُ سَنَةَ ٧٥٨ هـ^(٤).

وَتَقَلَّبَ ابْنُ خَلْدُونِ فِي الْبِلَادِ فَكَانَ عِنْدَ بَنِي مَرِينٍ فِي فَاسٍ (٧٦٠ هـ = ١٣٥٩ م)،
وعِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فِي تِلْغَسَانَ (٧٦٣ هـ) ثُمَّ عِنْدَ بَنِي الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةَ (٧٦٤ هـ)؛
فَأَرْسَلَهُ بَنُو الْأَحْمَرِ فِي سِفَارَةٍ إِلَى بَطْرِهِ مَلِكِ قِشْتَالَةَ (بَطْرَسَ الرَّابِعِ الْقَاسِي) لِإِتْمَامِ عَقْدِ
الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ. ثُمَّ أَتَقَلَّبَ هُوَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّهُ سَيَّمِ التَّطَوُّافَ
وَالْمُنَاصِبَ وَخَافَ عَوَاقِبَ السِّيَاسَةِ فَآثَرَ الْأَعْتَزَالَ فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ، شَرْقَ تِلْغَسَانَ،
فَمَكَثَ عِنْدَ بَنِي الْعَرِيفِ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ وَبَدَأَ بِتَأْلِيفِ كِتَابِهِ فِي التَّارِيخِ. وَلَكِنَّهُ أَحْتَاجَ
إِلَى مَوَادِّ لِكِتَابِهِ لَمْ تَكُنْ مَتَيْسَّرَةً فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ فَذَهَبَ إِلَى تُونِسَ
(٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م).

(١) هُوَ الطَّاعُونَ الَّذِي عَمَّ أَوْرُوبَةَ وَعُرفَ عِنْدَهُمْ بِاسْمِ «الْمَوْتِ الْأَسْوَدِ».

(٢) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَنَانَ، تَوَلَّى الْمُلْكَ مِنَ الْمَهْرَمِ ٧٣٢ إِلَى جَادِي الْآخِرَةِ ٧٤٩.

(٣) الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَبُو عَثَانَ فَارِسُ بْنُ عَلِيٍّ، جَاءَ بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ وَبَقِيَ فِي الْمُلْكِ إِلَى الْخَامِسِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٩.

(٤) رَاجِعِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي نَظَّمَهَا ابْنُ خَلْدُونِ فِي مَدِيحِ أَبِي عَنَانَ (فِي الْخُتَارَاتِ مِنْ آثَارِهِ).

وفي سنة ٧٨٤ هـ (١٣٧٢ م) سار ابنُ خلدون إلى الحجّ، ولكنه لما وصل إلى مصرَ عرّضَ عليه القضاء على المذهب المالكيّ فقبله، فتأخّر ذهابه إلى الحجّ حتّى سنة ٧٨٩ هـ. وعاد من الحج إلى القاهرة وأقطع فيها للتدريس حيناً ثم عاد إلى تولّي القضاء (٨٠١ هـ = ١٣٩٩ م).

ولما غزا تيمورلنكُ سورية ذهبَ الملكُ الناصرُ فرجُ^(١) ابنُ الملكِ الظاهر برقوقَ إلى دِمَشقَ لِيُفاوضَ تيمورَ وأصطحب معه العلماء وفيهم ابنُ خلدون. ثم سمع الناصرُ فرجُ بمؤامرةٍ عليه في مصرَ فأضطرَّ إلى العودة. فعَمَلَ ابنُ خلدونِ التّسبّعَ كُلّها وذهبَ سرّاً على رأس وفدٍ لمفاوضة تيمورَ في الصلح وألقى بين يديه خطبةً نفيسة، فأكرمه تيمورُ عليها وأعادَه إلى مصرَ. وتولّى ابنُ خلدونِ القضاء بِمصرَ بعدَ ذلك مراراً، ثم وافاه اليقينُ بالقاهرة في ٢٥ رَمَضانَ ٨٠٨ هـ (١٥ آذار - مارس ١٤٠٦ م).

٢- ابنُ خلدونِ أديبٌ وشاعرٌ وناقدٌ، ثم هو عالمٌ وفيلسوفٌ. وهو واضعُ عِلْمِ الاجتماعِ ومُدوّنُ فلسفةِ التاريخ. أمّا أعظمُ آثاره فهو كتابُه المشهورُ في التاريخ «كِتابُ العِبرِ ودِيوانُ المَبْتَدِإِ والخَبَرِ في أَيّامِ العَرَبِ والعَجَمِ والبربرِ ومن عاصرَهم من ذوي السُلطانِ الأكبرِ»،^(٢) وأهمُّ أقسامِ هذا الكتابِ عامّةً وخاصّةً الجزء الأوّل منه وهو المعروفُ بِاسمِ مُقدِّمة^(٣) ابنِ خلدونِ أو بِاسمِ «المُقدِّمة» فَحَسْبُ.

ولابنُ خلدونِ في «مُقدِّمته» أسلوبانِ أسلوبٌ أنيقٌ كثيرُ التكلُّفِ والتّصنِيعِ

(١) السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق من سلاطين المماليك البرجية (في مصر) جاء إلى العرش في شوال من سنة ٨٠١ هـ ثم بقي على العرش (في المرة الأولى) إلى ربيع الأول من سنة ٨٠٨ هـ (قبل وفاة ابن خلدون بستة أشهر).

(٢) تيمورلنك (٢). - تيمورلنك (تيمور الأعرج)، ولد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)، تولّى الملك على بلاد ما وراء نهر جيحون (التركستان) من سنة ٧٧٢ هـ إلى سنة ٨٠٨ هـ (١٣٧٠ - ١٤٠٥ م) وكان فاتحاً ظالماً وسفكاً للدماء. ومنذ سنة ٧٨٢ هـ بدأ باجتياح إيران (فارس) وما يجاورها من البلاد. ثم اقتحم أثنام (سورية) وخرب حلب ودمشق وبغداد (٨٠٤ - ٨٠٥ هـ) وهزم بايزيد بلديزم (بايزيد الصاعقة) سلطان الدولة العثمانية، قرب أنقرة، سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م). ثم توفي تيمورلنك عشية عزمه على اقتحام الصين، سنة ٨٠٨ هـ للهجرة (في السنة التي توفي فيها ابن خلدون). وتيمورلنك، كان برغم كلّ قسوته ومظالمة مسلماً مؤمناً وأديباً محباً للأدب.

(٣) مُقدِّمة (بكسر الدال المشدّدة أو بفتحها).

تَجِدُهُ فِي دِيبَاجَةِ الْمَقْدَمَةِ وَفِي عَدَدٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ مِنْ فُصُولِ الْمَقْدَمَةِ ثُمَّ أَسْلُوبٌ سَهْلٌ مُرْسَلٌ نَجِدُهُ فِي فُصُولِ الْمَقْدَمَةِ عَامَّةً (ذَلِكَ لِأَنَّ فُصُولَ الْكِتَابِ الْآخَرَى مِنْ الْأَجْزَاءِ السَّتَةِ الْبَاقِيَةِ أَكْثَرُهَا تُقُولُ عَنْ آخَرِينَ).

وهنا موضع كلام على زمن تأليف كتاب «العبر». يقول ابن خلدون (في آخر الجزء الأول: المقدمة):

«أَتَمَمْتُ هَذَا الْجُزْءَ الْأَوَّلَ بِالْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ، قَبْلَ التَّنْقِيحِ وَالتَّهْذِيبِ، فِي مَدَّةٍ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ آخِرُهَا مُنْتَصَفُ عَامٍ تِسْعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(١). ثُمَّ تَقَعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَبْتُهُ وَأَلْحَقْتُ بِهِ تَوَارِيخَ الْأُمَمِ».

تناول عبد الرحمن بدوي هذا الموضوع (مؤلفات ابن خلدون، ص ٣٤ - ٤٠) ومال إلى أن يكون ابن خلدون قد وَضَعَ كِتَابَهُ كُلَّهُ (سبعة أجزاء) في نسخته الأولى على الأقل، في مدى خمس سنوات (راجع ص ٣٦). والذي أميل إليه أنا أن ابن خلدون قد «دَوَّنَ» في هذه المدة ما كان قد جَمَعَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ مَوَادِّ كِتَابِهِ. وعندي أيضاً أن «المقدمة» (أو الجزء الأول) قد كُتِبَتْ بَعْدَ جَمْعِ تِلْكَ الْمَوَادِّ. بهذا وَخِذْهُ نَسْتِطِيعُ فَهَمَّ قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونِ (التعريف برحلة ابن خلدون، ص ٢٢٩): «وَشَرَعْتُ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَنَا مُقِيمٌ (بقلعة ابن سلامة) وَأَكْمَلْتُ الْمَقْدَمَةَ عَلَى ذَلِكَ النِّحْوِ الْغَرِيبِ الَّذِي أَهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ (تعليق التاريخ: فلسفة التاريخ) فِي تِلْكَ الْحُلُوفِ. فَسَأَلْتُ شَايِبُ^(٢) الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي عَلَى الْفِكْرِ حَتَّى أَمْتَحَضْتُ زُبْدَهَا^(٣) وَتَأَلَّفْتُ تَتَائِجَهَا».

إنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضُوعَ كُلَّهُ كَانَ فِي ذِهْنِ ابْنِ خَلْدُونِ مَدَّةً طَوِيلَةً - يَعْمَلُ فِي عَقْلِهِ الْبَاطِنُ - كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ - وَالْأَفْلَسُ مِنَ الْمَأْلُوفِ أَنْ يَكْتُبَ إِنْسَانٌ مِثْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْجَدِيدِ الْمُتَشَعَّبِ الْمُرْدَحِمِ بِالْأَقْوَالِ وَبِالْأَحْدَاثِ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِشْهَادِ وَالتَّمْثِيلِ، وَفِي نَحْوِ مِائَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ (فِي النِّسْخَةِ الْأُولَى مِنْ

(١) عام ١٣٧٧ للميلاد.

(٢) الشَّوْبُوبُ (بِالضَّمِّ): الدَّفْعَةُ (بِالضَّمِّ) مِنَ الْمَطَرِ.

(٣) امْتَحَضَ اللَّبَنَ (الْحَلِيبَ) تَحَرَّكَ فِي وَعَائِهِ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا «مُخَضَّت» (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) زُبْدَتَا: انْفَصَلَ السَّمْنُ مِنَ الْخِيضِ (مَاءِ اللَّبَنِ)، ظَهَرَتْ وَتَكَوَّنَتْ خِلَاصَتُهُ.

المقدمة)، في خمسة أشهر. فلعل ابن خلدون كان قد جمَعَ موادَّ كتابه كلها ثم جلسَ في تلك المدة يُؤلِّفُ (يجمعُ بعضَ موادّه إلى بعضٍ) فبدأ، بطبيعة الحال، بالجزء الأول ثم انتقلَ إلى تهذيب الأجزاء الباقية. ومع ذلك فالموضوعُ يحتاجُ إلى دراسةٍ داخليةٍ (مقارنةٍ نصوصِ المقدمةِ أو الجزء الأولِ بنصوصِ الأجزاء الباقية).

★ ★ ★

وابنُ خلدونٍ مُحيطٌ بكثيرٍ من علومِ الأقدمين قبلَ الإسلام ومن العلومِ الحادثةِ بعدَ ظهورِ الإسلام، في الفلسفةِ النظريةِ وفي العلمِ العمليِّ معاً. ومعَ أن ابنَ خلدونٍ أشعريٌّ في حياتهِ العمليةِ (يُفضِّلُ الروايةَ الدينيةَ على الأخذِ بالعقلِ)، فإنّه عندَ البحثِ في كُلِّ شيءٍ من وجوهِ الثقافةِ الإنسانيةِ (في الفلسفةِ وفي الدينِ أيضاً) مُعتزليُّ المنهجِ (يأخذُ بقواعدِ المنطقِ وبما يدلُّ عليه العقلُ ثم بما هو مُشاهدٌ في الاجتماعِ الإنسانيِّ).

وهو أيضاً عالمٌ حسنُ الروايةِ للعلمِ مُنصِفٌ لخصومه واضحٌ في بحثه يَعرِضُ رأيَ الخصمِ كما يقولُ الخصمُ - وإن كان ذلك الرأيُ مُخالفاً لرأيِ ابنِ خلدونٍ نفسه أو لاعتقاده أيضاً، كما نرى عندَ كلامه على اليهود والنصارى، في الفصلِ الثالثِ والثلاثينِ من الفصلِ الثالثِ (في طبعة دار الكتاب اللبناني: من «الباب» الثالث) من الكتاب الأول^(١) مثلاً.

وإذا عَرَضَ ابنُ خلدونٍ للعلومِ الطبيعيةِ أو الرياضيةِ - وهي ليست علوماً داخليةً في اختصاصه - فإنه يُحسِّنُ عَرَضَهَا وتفهيمَهَا إلى حدٍّ كبيرٍ، كما نرى عندَه في الكلامِ على الحسابِ والهندسةِ أو على الفلكِ والجغرافيةِ أو على الكيمياءِ والطبِّ^(٢).

وإبنُ خلدونٍ مؤلِّفٌ له^(٣) (غيرُ كتابِ العِبر): لُبَّابُ المُحَصَّلِ^(٤) في أصولِ

(١) راجع المقدمة (بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٢٣٠-٢٣٥؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١ م، ص ٤٠٨-٤١٦.

(٢) مثلها، ص ٤٨٢ وما بعدها ثم ص ٨٩٤-٩١٩.

(٣) مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ وما بعد.

(٤) «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» أو «المحصل من نهاية العقول في علم الأصول»: كتاب في الفلسفة العقلية أو فلسفة ما بعد الطبيعة (بروكلمن ١: ٦٦٨) للفخر الرازي، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر، ولد =

الدين - تلخيصُ عددٍ من كتبِ آبنِ رُشدٍ^(١) - تقييدٌ في المنطق - كتابٌ في الحساب - شرحُ رَجَزٍ في أصولِ الدينِ لِلسانِ الخطيب^(٢) - شرحُ البردة^(٣) - شفاءُ السائلِ لتَهذيبِ المسائل^(٤).

وَيَنْظِمُ آبنُ خَلْدُونُ الشعرَ فَيُطِيلُ. وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ فِي الْمَدِيحِ وَفِيهَا يَتَّصِلُ بِالْمَدِيحِ. وَفِي شِعْرِهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا يَرِدُ عِنْدَ كِبَارِ شُعَرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي تَمَّامٍ وَآبَنِ الرَّومِيِّ وَالْمُتَنَّبِيِّ. وَفِي قَوَافِيهِ خَاصَّةٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى صَيَغٍ غَيْرِ مألُوفَةٍ، وَكَثِيرٌ مِنْ قَوَافِيهِ قَلَقٌ مَجْلُوبٌ (لَا يَنْزِلُ فِي خِتَامِ الْأَيَّاتِ مَنْزِلَةً مألُوفَةً أَوْ مُسْتَقَرَّةً). وَعَلَى شِعْرِهِ عَامَّةٌ قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجَفَافِ وَقِلَّةٌ الطَّلَاوَةِ. وَكَانَ آبنُ خَلْدُونٍ يَشْعُرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ:

وَمَا كَانَ لِي نَظْمُ الْقَرِيضِ بِضَاعَةً، وَلَكِنْ دَعَانِي نَحْوُ مَدْحِكَ جَازِبٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- من المقدمة

(أ) من الديباجة:

الحمد لله الذي له العِزَّةُ والجَبَرُوتُ، ويبيده المُلْكُ والمَلَكُوتُ^(٥)، وله الأسماءُ الحُسنى

= سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ للهجرة (١١٤٨ - ١١٥٠ م). وهو من المفسرين (للقرآن الكريم) ومن الفقهاء والفلاسفة. كانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ (١٢١٠ م).

(١) من كتب ابن رشد التي كان ابن رشد قد لخصها من كتب أفلاطون وأرسطو، فيما يبدو، ككتاب السياسة (المعروف باسم «الجمهورية») لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو (راجع مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ - ١٠).

(٢) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ).

(٣) البردة: بديعية (قصيدة في مدح محمد رسول الله) لكتب بن زهير التوفقي سنة ٢٦ للهجرة (٦٤٥ م) (راجع الجزء الأول، ص ٢٨٢ وما بعد).

(٤) في مسائل مختلفة، منها التصوف.

(٥) العِزَّة: القوة والغلبة (التغلب على كل ما سواه). الجبروت: القهر (حمل الناس على الطاعة). الملك (الحكم في الأرض) والمَلَكُوت (الحكم في السماء). - الجبروت والمَلَكُوت (هما في الأغلب بصيغة الجمع - بالواو والتاء من اللغات الأعرابية) (التي يقال لها خطأ سامية - للدلالة على جميع أنواع الملك إلخ).

والنموت؛ العالم فلا يَعْرِزُّبُ عنه ما تُظْهِره النَّجْوَى^(١) أو يُخْفِيه السَّكُوتُ، القادرُ فلا يُعْجِزه شيءٌ في السموات والأرض ولا يفوت. أنشأنا من الأرض نَسْأً^(٢)، وأَسْتَعْمَرْنَا فيها أجيالاً وأُمَمًا، وِيسَرَ لَنَا منها أرزاقاً وقِسْماً، تَكْنُفُنَا الأرحام والبيوت، وَيَكْفُلُنَا الرِّزْقُ والقوت، وتُبْلِينَا الأيام والوقوت، وتَعْتَوِرُنَا الآجال التي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الموقوت^(٣). وله البقاء والثبوت. وهو الحيُّ الذي لا يموت.....

أما بعد، فإنَّ فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتُشَدُّ إليه الركائبُ والرَّحَالُ^(٤)، وتسمو إلى معرفته السُّوقَةُ والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال^(٥)؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدُّوَلِ والسوابق من القرون الأوَّلِ، تنمو فيها الأقوال^(٦)، وتُضْرَبُ فيها الأمثال، وتُطْرَفُ بها الأندية إذا غَصَّها الاحتفال^(٧).....

-
- (١) عزب يعزب: غاب، خفي. النجوى: الكلام سرّاً بين شخصين.
(٢) أنشأنا (صنعنا، خلقنا) من الأرض (التراب) نَسْأً (حياة) - جعل الحياة من شيء لا حياة فيه.
(٣) تَكْنُفُنَا: تحيط بنا. الرحم (بفتح فكس): كيس في بطن الأنثى يتخلّق فيه المولود. - نحن (وكل شيء آخر) محدودون بالأمكنة، أما هو (الله) فلا يحويه مكان (لمظمته) ولا يحده. يكفلنا الرزق والقوت (الطعام يبقينا أحياء). أما هو فلا يحتاج إلى من يرزقه ولا يحتاج إلى طعام. تبلينا: تهلكنا (تأخذ من قوتنا وحياتنا وعمرنا). تعتورنا الآجال (الأجل: مدى عمر الإنسان): تتداولنا (يموت بعضنا إثر بعض). الكتاب الموقوت: الموت.
(٤) الركوبة (بالفتح): دابة يافر الناس عليها. الرجل (بالكسر): ما يوضع على ظهر الدابة للركوب عليها. تشدُّ إليه..... (يقصده الناس).
(٥) السوق: الرعية، عامة الناس أو العامة من الناس. الأغفال جمع غُفْل (بالضم): الإنسان العادي، من لا حسب (عمل مجيد) له، الذي لا يعرفه أحد. القيل (بالفتح): ملك اليمن (الملوك من عرب الشمال والأقيال من عرب الجنوب: جميع الملوك). يتساوى فيه العلماء (يعرفه العلماء والجهال (يدعي معرفته الجهال) أو: يَسَّرَ بسماعه العلماء والجهال.
(٦) تنمو (تكثر، تزيد) في الأقوال: يضيف إليه الناس أشياء ليست منه.
(٧) تُطْرَفُ به الأندية (أماكن اجتماع الناس) إذا غَصَّها (ملأها) الاحتفال (اجتماع الناس): يكون التاريخ (القصص - بفتح ففتح - وأخبار الناس) طريفاً (جديداً) - ولو أعيد ذكر الحادثة الواحد، مرّة بعد مرّة، محبوباً).

(ب) في أَنَّ من طبيعة الملك الترف:

وذلك أَنَّ الأُمَّة إذا تطلَّبتْ وملكْتَ ما بأيدي أهلِ المُلْكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيَاشُهَا^(١) وَنِعْمَتُهَا فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَيَتَجَاوِزُونَ ضَرُورَاتِ المِيشِ وَخُشُونَتَهُ إِلَى نَوَافِلِهِ^(٢) وَرِقَّتِهِ وَزِينَتِهِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ. وَتَصِيرُ لَتِلْكَ النَوَافِلِ عَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ فِي تَحْصِيلِهَا، وَيَنْزِعُونَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى^(٣) رِقَّةِ الْأَحْوَالِ فِي المَطَاعِمِ وَالمَلَابِسِ وَالفَرَشِ وَالآنِيَةِ، وَيَتَفَاخَرُونَ فِي ذَلِكَ وَيَفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ: فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَلِبْسِ الْأَنْثِقِ وَرُكُوبِ الْفَارِهِ، وَيُنَاقِي^(٤) خَلْفَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفُهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ. وَعَلَى قَدَرِ مُلْكِهِمْ يَكُونُ حِفْظُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرْفَهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا. سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(ج) العبَّاسَةُ أُخْتُ الرِّشِيدِ^(٥) (المَقْدَمَةُ ١٥ / ٢٢):

وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ^(٦) لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرِّشِيدِ لِلْبِرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مَوْلَاهُ^(٧)، وَأَنَّهُ لِكَلْفِهِ بِمَكَانِهَا مِنْ مُعَاقَرَتِهِ إِيَّاهَا الْخُمُرَ^(٨) أَذِنَ لَهَا فِي عَقْدِ النِّكَاحِ دُونَ الْخُلُوةِ حِرْصاً عَلَى اجْتِمَاعِهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَيَّلَتْ عَلَيْهِ فِي آتِلَاسِ الْخُلُوةِ بِهِ لِمَا شَغَفَهَا مِنْ

(١) الرِّيشُ (جمع ريش): المَالُ وَالأَثَاثُ - الأَدَوَاتُ الَّتِي يَضُمُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ - (تَاجُ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتِ ١٧ : ٢٣٠).

(٢) العَوَائِدُ هُنَا: الْعَادَاتُ (أَوْ دَخْلُهُمْ مِنَ الْمَالِ). النَّافِلَةُ: مَا يَزِيدُ عَلَى الْمَطْلُوبِ أَوْ الضَّرُورِيِّ.

(٣) نَزَعَ إِلَى الشَّيْءِ: مَالَ إِلَيْهِ.

(٤) الْأَنْثِقُ: الْجَمِيلُ الْمَنْظَرُ، مَا حَسَّنَ شَكْلَهُ فِي الْعَيْنِ. الْفَارِهِ (بَاهَاءُ): الدَّابَّةُ الْجَمِيلَةُ الْمَنْظَرُ وَالنَّشِيطَةُ فِي سِيرِهَا. يَنْاقِي: يَدَافِي، يَنَافِسُ.

(٥) رَاجِعْ كِتَابَ «تَجْدِيدِ التَّارِيخِ» لِلْمُؤَلِّفِ، ص ١٥٢ وَمَا بَعْدَ.

(٦) الْمَدْخُولَةُ: الَّتِي فِيهَا خَطَأٌ (لَا صِحَّةَ لَهَا).

(٧) مَوْلَاهُ: الْمُنْتَسِبُ بِالْوَلَاءِ إِلَيْهِ: كَانَ غَيْرَ الْعَرَبِيِّ إِذَا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَنْتَسَبَ إِلَى أَحَدِ رِجَالِ الْعَرَبِ (الْمُسْلِمِينَ) بِالْوَلَاءِ أَوْ إِلَى قَبِيلَتِهِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي (هُوَ رُومِيٌّ - يُونَانِيٌّ - الْأَصْلُ، يَنْتَسِبُ إِلَى بَنِي طَيٍّ بِالْوَلَاءِ: بِالْمُؤَدَّةِ وَالْمَطَاعَةِ).

(٨) الْكَلْفُ: الشَّفَفُ، الْمِيلُ (بِالْفَتْحِ) وَالْحَبَّةُ.

جَبَّه - زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ - فَحَمَلَتْ وَوَشَّى بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَغْضِبَ^(١).

وهيات ذلك^(٢) من مَنَصِبِ العباسية في دينها وأبوتها وجلالها، وأنها بنتُ عبدِ الله ابنِ عباسٍ ليس بينها وبينه إلا أربعة رجالٍ هم أشرافُ الدين وعُظَمَاءُ المِلَّةِ^(٣) من بعده. والعباسية بنتُ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ ابنِ عبدِ الله بنِ أَبِي جَعْفَرٍ المنصور بنِ مُحَمَّدٍ السَّجَّاد بنِ عَلِيِّ أَبِي الْخُلَفَاءِ^(٤) بنِ عبدِ الله تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ^(٥) ابنِ العباسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْنَةُ خَلِيفَةِ أُخْتِ خَلِيفَةٍ^(٦) مُحْفُوفَةٍ^(٧) بِالْمُلْكِ العَزِيزِ وَالْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ وَصُحْبَةِ الرُّسُولِ وَعُمُومَتِهِ وَإِقَامَةِ المِلَّةِ^(٨) وَنُورِ الْوَحْيِ وَمَهِيطِ المَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةِ عَهْدٍ بَبْدَاوَةِ الْعُرُوبِيَّةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ^(٩) الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَاتِعِ الْفُحْشِ. فَأَيْنَ يُطَلَّبُ الصَّوْنُ وَالْعَفَافُ إِذَا ذَهَبَا عَنْهَا؟ أَوْ أَيْنَ تَوْجِدُ الطَّهَارَةَ وَالذِّكَاءَ^(١٠) إِذَا فَقِدَا مِنْ بَيْتِهَا؟ أَوْ كَيْفَ تُلْحِمُ نَسَبَهَا بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدَسُّ شَرَفَهَا الْعَرَبِيُّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ..... وَكَيْفَ يَسُوغُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ يُضْهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعَظَمِ آبَائِهِ. وَلَوْ نَظَرَ الْمُتَأَمِّلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ الْمُنْصِيفِ وَقَاسَ الْعَبَاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عَظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَأَسْتَنكَفَ^(١١) لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَأَسْتَنكَرَهُ وَلَجَّ^(١٢) فِي تَكْذِيبِهِ. وَأَيْنَ قَدَّرُ الْعَبَاسَةَ وَالرَّشِيدَ مِنَ النَّاسِ^(١٣)!

(١) استغضب، المقصود: «أغضب» بالبناء للمجهول: فُعل به ما يدعو إلى الغضب.

(٢) هيات ذلك: ما أبعد ذلك!

(٣) المِلَّة (هنا): الدين، الإسلام.

(٤) مُحَمَّدُ المَهْدِيُّ (ابن أَبِي جَعْفَرٍ المنصور): الخليفة العباسي الثالث. أبو الخلفاء: الذي كان (جميع) الخلفاء (العباسيين) من نسله.

(٥) عبد الله بن عباس ابن عم الرسول، كان موثقاً في تفسير القرآن.

(٦) ابنة خليفة (ابنة مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ) أُخْتُ خَلِيفَةٍ (أُخْتُ هُرُونِ الرَّشِيدِ).

(٧) محفوفة: محاطة (من قرب).

(٨) إقامة المِلَّة: المحافظة على عقائد الدين وتعاليمه.

(٩) سداجة الدين: بساطة الدين وصفائه.

(١٠) الذكاء (كذا في الأصل). اقرأ: الزكاء (بالزاي أُخْتُ الرَّاءِ): الطهارة.

(١١) استنكف: كره، امتنع، رفض.

(١٢) لجَّ: استمرَّ (أصرَّ).

(١٣) هرون الرشيد وأخته العباسية فوق مستوى الناس العاديين.

وإنما نكَبَ البرامكة ما كان مِن استَبْدَادِهِم على الدَّولَةِ واحتِجافِهِم أموالَ الجبَايةِ^(١).....

(د) تقليد المغلوب للغالب:

يقول ابن خلدون^(٢):

في أنَّ المغلوبَ مَوْلَعٌ أبداً بالآقتداء بالغالب في شعاره وزِيَّه ونِخلته^(٣) وسائر أحواله وعوائده^(٤) - والسببُ في ذلك أنَّ النَّفسَ أبداً تعتقِدُ الكمالَ فيمن غلبها وانقادَتْ إليه، إمَّا لِنِظَرَةٍ^(٥) بالكمالِ بِها وقرَّ^(٦) عِنْدَها من تعظيمه أو لِما تُغالِطُ به (ذاتها)^(٧) مِن أنَّ انقيادَها (ذلك) ليس لِقَلْبٍ طَبِيعِيٍّ^(٨)، إنَّها هو لِكَمالِ الغالبِ، فإذا (هي) غالطَتْ (ذاتها) بذلك (كان ذلك) لها اعتقاداً فَاتَّحَلَّتْ^(٩) جميعَ مذاهبِ الغالبِ وتَشَبَّهَتْ به. وذلك هو الآقتداء. (وربَّما كان ذلك) لما تراه - والله أعلم - مِن أنَّ غَلَبَ الغالبِ لها ليس بِعَصِيَّةٍ ولا قوَّةٍ بَاسٍ^(١٠)، وإنَّما هو بما اتَّحَلَّتْهُ من العوائدِ والمذاهبِ تُغالِطُ أيضاً بذلك عن الغَلَبِ، وهذا راجعٌ لِلأوَّلِ. ولذلك ترى المغلوبَ يَتَشَبَّهُ أبداً بالغالبِ في مَلَبَسِهِ ومَرَكَبِهِ وسِلَاحِهِ في اتِّخَاذِها وأشكالِها^(١١) بل وفي^(١٢) سائرِ أحواله. وأنظُرْ ذلك

(١) احتجف الرجل الشيء: استخلصه (حازه، أخذه بغير حق). الجباية: الضرائب الواجبة للدولة على الناس.

(٢) المقدمة ٢٥٨/١٤٧.

(٣) الشعار: العلامة، الثارة الدالة على شرف أو منصب. النحلة (بالكسر): الدين.

(٤) العوائد (العادات).

(٥) النظرة: اللحمة، (رؤية، اعتقاد).

(٦) وقر: ثبت.

(٧) تُغَالِطُ لِنَفْسِها.

(٨) القلب الطبيعي (القائم على القوة أو الفضل أو السبق في ميادين الحياة).

(٩) اتَّحَلَّتْ: اتَّخَذَتْ، عملت.

(١٠) الشدة في الحرب، القوة.

(١١) لا يكتفي الضعيف بتقليد القوي في نوع طعامه مثلاً، بل في الشكل (الصورة) الخاص الذي يملكه القوي في تناول طعامه.

(١٢) «بل وفي» تعبير خاطيء (بزيادة الواو) يرد عند ابن خلدون وعند غيره كابن تيمية (ت ٨٢٧ هـ) مثلاً.

في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم.

وأنظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية^(١) وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى - ولها الغلب عليها - فيسري إليهم من هذا التشبه والأقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالة^(٢) فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملاسهم وشاراتهم و (في) الكثير من عوايدهم وأحوالهم حتى في رسم الثايل^(٣) في الجدران والمصانع^(٤) والبيوت، حتى لقد يستشعر^(٥) من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء^(٦). والأمر لله. (ثم تأمل في ذلك سر قولهم: «العامّة على دين الملك»،^(٧) فإنه من بابه^(٨)، إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعيّة مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بأبائهم والمتعلمين بمعلميهم. والله العليم الحكيم، وبه سبحانه وتعالى التوفيق.

(هـ) العلوم العددية:

وأولها الأرقاماتي^(٩)، وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف^(١٠): إمّا على

- (١) الحامية: الجنود المكلفون بحفظ الحدود (ويكونون عادة من جنود القوي الذي يحتلّ بلداً ضعيفاً).
- (٢) الجلالة: سكّان الجانب الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس (هنا: نصارى الأندلس).
- (٣) الثايل هنا (صور الرجال النصارى ورموزهم).
- (٤) المصنع (هنا) حوض الماء أو البناء العظيم (القصر).....
- (٥) استشعر الشيء: أحس به.
- (٦) ... استيلاء الإسبان على الأندلس. (قال ابن خلدون ذلك قبل خروج العرب من الأندلس بنحو مائة عام).
- (٧) في المثل المشهور: الناس على دين ملوكهم.
- (٨) من بابه: من نوعه.
- (٩) الأرقاماتي: الحساب، الحساب.
- (١٠) نسق الأعداد على نظام معين.

التوالي^(١) أو بالتضعيف^(٢)؛ مثل أن الأعداد إذا توالَتْ مُتَفَضِّلَةً بعددٍ واحدٍ، فإنَّ جَمَعَ الطَّرَفَيْنِ منها مُساوٍ لِجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدُهَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدُ واحدٍ^(٣)، ومثلُ ضِعْفِ الواسطة^(٤).... ومثل أن الأعداد إذا توالَتْ على نِسْبَةٍ واحدةٍ بأن يكون أولُها نصفَ ثانيها، وثانيها نصفَ ثالثها، الخ، أو يكون أولُها ثلثَ ثانيها، وثانيها ثلثَ ثالثها، الخ، فإنَّ ضَرْبَ الطَّرَفَيْنِ أحدهما في الآخرِ (يكونُ حينئذٍ) كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدُهَا من الطَّرَفَيْنِ بعددٍ واحدٍ أحدهما في الآخرِ^(٥)، ومثلُ مُرَبَّعِ الواسطةِ^(٦).....

(و) لغة القرآن الكريم:

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ: فَنُّ الشَّعْرِ، وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَنْظُومُ الْمُقَفَّى - ومعناه أن تكون أوزانه كلها على رَوِيٍّ واحد وهو القافية ؛ وفنُّ النثر، وهو الكلام غير الموزون. وكلُّ واحدٍ من الفَنَيْنِ يشتمل على فنونٍ ومذاهبٍ في الكلام.....

وَأَمَّا الْقُرْآنُ^(٧) وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ. وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّمًا^(٨)، بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِهِ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا^(٩)، ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بِمَعْنَاهَا وَيُشْتَرَى مِنْ غَيْرِ اتِّزَامِ حَرْفٍ

(١) على التوالي بفرق معينين: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، الخ. أو ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، الخ. أو ١، ٥، ١٠، ١٥، الخ.

(٢) التضعيف: ضرب الأعداد في السلسلة التوالية الأعداد بعدد معين. ضرب الأعداد باثنين، مثلاً، ١،

٢، ٤، ٨، ١٦، الخ، أو بثلاثة: ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١، الخ، أو بخمسة: ١، ٥، ٢٥، ١٢٥، ٦٢٥، الخ.

(٣) في: ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، الخ، ١٠ = ٦ + ٤، ١٠ = ٨ + ٢، الخ، أو ٦ مضعفة (أي ١٢) = ٨ + ٤.

(٤) راجع الحاشية التي قبل السابقة. ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، الخ (كلُّ عدد هنا هو نصف العدد الذي

بعده. وفي الحاشية نفسها: ٣ هي ثلث ٩، و ٩ هي ثلث ٢٧، الخ.

(٥) في التوالية بالتضعيف، ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، الخ مثلاً، ٨ × ٨ = ٦٤، ١٦ × ٤ = ٦٤، ٨ × ٢ = ١٦، الخ.

أو ٤ × ٤ = ١٦، الخ.

(٦) حيناً يأتي في آخر أبيات الشعر ألفاظ مثل: مال، فالوا، أزالوا، حال، فاللام هي الروي، أما القافية

فهي مال، فالوا، الخ.

(٧) القرآن (القراءة): كلام الله القديم المدون في المصحف. لا تقل: عندي قرآن. قل: قرأت

القرآن - عندي مصحفان - قرأت في المصحف.

(٨ و ٩) لا يقال للألفاظ التي في أواخر آيات القرآن: (السورة ١١٣): ﴿قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ من شرِّ ما خلق =

يَكُونُ سَجْمًا وَلَا قَافِيَةً.....

(ز) تعريف الشعر:

الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المُفَصَّلُ بأجزاء متفقة في الوزن والروي (مستقلًا) كلُّ جزء منها في غرضه ومقصدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وبعده والجاري على أساليب العرب المخصوصة به..... وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل له (أي يفصله، يجعله مفصولًا مختلفًا) عَمَّا لم يَجْرِ منه على أساليب الشعر المعروفة؛ فإنه حينئذٍ لا يكون شعرًا، إنما هو كلام منظوم، لأنَّ الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنشور. وكذا أساليب المنشور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظومًا وليس على تلك الأساليب فلا يُسمَّى شعرًا. وهذا الاعتبار^(١) كان الكثيرُ ممن لقيناه من شيوخنا^(٢) في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يَجريا على أساليب العرب فيه.....

اعلم أن لعمَلِ الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها الحِفْظُ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتَّى تنشأ في النفس ملكةٌ يُنسجُ على منوالها. ويُتخيرُ المحفوظُ من الحرِّ النقيِّ الكثير الأساليب. وهذا المحفوظ المختار أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعرٍ من الفحول الإسلاميين^(٣) مثل ابن أبي ربيعة وكثيرٍ وذو الرُّمة وجريـر وأبي نواسٍ وحبيبٍ والبحرّي والرضي وأبي فراسٍ..... والمختارُ من شعر الجاهلية. ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصرٌ رديٌّ. ولا يُعطيه الرونق والحلاوة إلَّا كثرةُ المحفوظ.

= * ومن شرَّ غاسقٍ إذا وقب * ومن شرَّ النفاثات في الضمء * ومن شرَّ حاسدٍ إذا حدَّ * أسجاع (كما في الخطب الجاهلية مثلاً)، بل فواصل بين الجمل جاءت فيها هذه الألفاظ في محلها (بلا قصد للموافقة بين الأحرف).

(١) الاعتبار: العبرة (بالكسر)، أي الاتعاظ بالحوادث التي تمرُّ بالإنسان، الاستفادة من أخطاء الآخرين ومن مصائبهم. والمقصود هنا: إنعام النظر (تفهم الأمور).

(٢) الشيوخ: الأساتذة الكبار.

(٣) الشعراء الإسلاميون هم الذين كانوا في صدر الإسلام (أمام الخلفاء الراشدين) وفي الدولة الأموية: حسان ابن ثابت وعمر بن أبي ربيعة وجريـر والأخطل النصري كانوا شعراء إسلاميين.

(ح) اللفظ والمعنى:

(ويجب على الشاعر أن) يَجْتَنِبَ الْمُعَقَّدَ من التراكيبِ جُهْدُهُ، وإِنَّا يَقْصِدُ منها ما كانت معانيه تُسابق ألفاظه إلى الفهم. وكذلك كَثْرَةُ المعاني في البيت الواحد، فإن فيه نَوْعَ تعقيدٍ على الفهم، وإِنَّا الْمُخْتَارُ منه ما كانت أَلْفَاظُهُ طَبَقًا على معانيه أو أَوْفَى^(١) منها قليلًا. فإن كانت المعاني كثيرة كانت حَشْوًا، واشتغل الذهن بالغوص عليها فَمَنَعَ الذوقَ مِنْ أَسْتِيفَاءِ مَذْرِكِهِ من البلاغة. ولا يكون الشعر سهلًا إلا إذا كانت معانيه تُسابق أَلْفَاظَهُ إلى الذهن. ولهذا كان شيوخنا، رَحِمَهُمُ اللهُ، يَمَيِّونَ شعرَ أبي بكرِ أبنِ خَفَاجَةَ شاعرِ شرقِ الأندلسِ لكَثْرَةِ معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يَمَيِّونَ شعرَ المثنويِّ والمعريِّ بِعَدَمِ^(*) النسيجِ على الأساليبِ العربية، كما مرَّ، فكان شعرُها كلامًا منظومًا نازلًا عن طبقة الشعر؛ والحالُ كذلك هو الذوقُ.

(ط) نشأة الموشح:

(راجع الجزء الرابع، ص ٤٢٢ و ٤٣٥).

- مدح أبي عنان فارس:

كان أبو عنان فارس المتوكل على الله أحدَ سلاطين بني مرين في فاس (٧٤٩-٧٥٩ هـ) قد غَضِبَ على أبنِ خلدونِ وحَسَبَهُ. ولما طَالَ الزَّمَنُ على أبنِ خلدونِ في السَّجْنِ، نَظَّمَ قصيدة في مدحِ أبي عنانِ المتوكلِ على الله - وكان قد مَضَى عليه في السَّجْنِ ثمانيةَ عَشَرَ شَهْرًا - وأرسلها إليه في الثُّلُثِ الأوَّلِ من شهرِ شعبانِ من سَنَةِ ٧٥٩ هـ (في أواسطِ تَمُوزَ - يوليو من عام ١٣٥٨ م). من هذه القصيدة:

على أيِّ حالٍ لِلْيَالِيِ أَعَاتَبُ؟ وأَيُّ صُرُوفٍ لِلزَّمانِ أَغَالِبُ^(٢)؟
كفى حَزَنًا أَنِّي على القُربِ نازِحٌ وأنِّي على دَعْوَى شُهودِي غائبُ^(٣)؟

(١) أوفى: أكثر.

(*) عدم النسيج: ترك النسيج «كلمة عدم» هنا مستعملة على غير الوجه الصحيح.

(٢) صروف الدهر: أحداثه (مصائبه).

(٣) نازح: بعيد. وأنِّي على دعوى شهودي غائب (مع أَنِّي موجود في بلدك، فأنا غائب عن رعايتك).

وَأَتَى عَلَى حُكْمِ الْحَوَادِثِ نَازِلٌ
أَحْنُ إِلَى إِلْفِي، وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ
وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ الْوَدَاعَ، وَقَدْ جَرَتْ
عَشِيَّةً بَانُوا وَالْقُلُوبُ جَوَامِدٌ،
وَقَفْنَا وَلَا نَجْوَى سِوَى بَيْنِ أَعْيُنٍ
مَضُوءَا يُزِمُّونَ السَّيْرَ إِلَّا تَلَفْتُمْ
وَأَتْبَعْتُمْ طَرَفِي وَقَلْبِي، وَمَا دَرَوْا
رَعَى اللَّهَ عَهْدًا ضَمَّهُ أَفَقُ تُونِسٍ
وَجَادَتْ عَلَيْهِ الْغَانِيَاتُ بِمَا حَوَتْ
بِلَادٌ بِهَا فَضَّ الشَّبَابُ تَهَائِمِي
يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الرُّضَا فِي جَنَابِهَا
فَأَصْبُو، وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي مَرَارُهَا،

تَسَالُمُنِي طَوْرًا، وَطَوْرًا تُحَارِبُ.
مَهَامِيهِ فَيَحُ دُونَهُنَّ سَبَاسُ^(١).
دُمُوعٌ وَزُمْتُ لِلْفِرَاقِ رَكَائِبُ^(٢)،
وَكَانَ عَقِيقٌ فِي النَّوَاطِرِ ذَائِبُ^(٣).
وَشَتَّ بِالْهَوَى مِنْهَا دُمُوعٌ سَوَاكِبُ^(٤).
كَمَا أَلْتَقَتْنَا بَيْنَ الْأَرَاكِ الرَّبَائِبُ^(٥).
بَأَنِّي عَلَى آثَارِ هَذَيْنِ ذَاهِبُ^(٦).
وَمَعَهْدَ أُنْسٍ لَمْ تَرَعُهُ النَّوَائِبُ^(٧).
مِنَ الظَّلَمِ لَا مَا تَحْتَوِيهِ السَّحَابُ^(٨).
وَلَا مَسَ فِيهَا التَّرْبُ مِنِّي التَّرَائِبُ^(٩).
أَمَانٍ تَقْصَصْتُ لِي بِهَا وَمَا وَبُ^(١٠).
وَأُبْكِي وَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي السَّحَابُ^(١١).

- (١) الإلف: الرفيق، الصاحب الذي تعودت صحبته. المهمة: المفازة (الصحراء). الفيح (جمع أفيح وفيحاء): الواسعة. السبب: المفازة (الصحراء).
- (٢) زُمْتُ (بالبناء للمجهول) الركوبة (بالفتح): أسرجت الدابة للركوب عليها والسير بها.
- (٣) بانوا: ابتعدوا، رحلوا. القلوب جوامد: صابرة، ساكنة. عقيق: أحمر. (دموع حراء كأنها من دم).
- (٤) النجوى: الكلام سرًا بين شخصين. - الدموع هي التي أعلنت أن بيننا حب.
- (٥) أزعع السير: نوى السير، قصد. الأراك: شجر. الربائب جمع ربيبة: الصغير الذي يرمى عند غير أهله، ثم واحدة الغنم (من الضأن أو المعزى) التي تربط إلى جانب البيت ولا تسرح في المراعي (وليس في هذه صدقة). والمقصود هنا: الغزلان (النساء الجميلات).
- (٦) طرفي: نظري. ذاهب (ميت).
- (٧) الأفق (هنا): المنطقة، البلد. راع فلان فلانًا: أخافه.
- (٨) الغانية: المرأة الجميلة. الظلم: الرقيق.
- (٩) التيممة: عوذة (بالضم) أو حرز يملق على أجسام الأطفال. فضَّ الشباب غائمي: ثأنت فيها حتى بلغت الشباب. التربة: عظمة في الجانب الأعلى من الصدر. ولا مس فيها التربة الخ: ولدت فيها. راجع قول الشاعر الأعرجي (نفع الطيب ١: ١٧٣):
- بِلَادُهَا عَقَّ الشَّبَابُ غَائِمِي
وَأَوَّلَ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَاهَا.
- (١٠) أصبو: اشتاق، وإن لم تغن عني السحاب (كان مطر السحاب أقل من دموعي).

وقد أمتطي فكري لدى الليل مركباً
وأعشو إلى مدح الخليفة فارس
إمام هندی ضلعت شمس أهتمامه
فمقل، إذا ما أظلم الخطب، نير،
تزاحم تيجان الملوك ببابه
لك الله من ملك أغر مهذب
جبرت عباد الدين بعد أنصداه
وشيدت فخراً في ذؤابة مشر
ومهدت ركن الملك منك بعزمة
ودوخت أرض الغرب حتى تسابقت
ولما طغى بالشرق كل مكذب
بذكر الذي تحدى إليه الركائب (١)
فتنجا بطني للخطوب غايه (٢)
فبانست لنا من بينهن المذهب (٣)
وفكر، إذا ما أشكل العلم، ثاقب (٤)
كما أزدحمت بالدارعين المواب (٥)
تقيل المراقبي عنده والمناصب (٦)
على حين لم يجزله الصدع شاعب (٧)
نمتك إلى العليا منهم عصائب (٨)
تذب بها عنه الحياة الضوارب (٩)
لأمرك طوعاً وعنفه والأعارب (١٠)
عصى تناجيه الأمانى الكواذب (١١)

- (١) تحدى إليه: تفاق إليه (يزوره الناس ويقصدونه). الركوبه (بالفتح): الدابة التي يسافر الناس عليها.
- (٢) عشا: قصد. فارس: أبو عنان المتوكل على الله (المدوح بهذه القصيدة). انجاب: انجلي، زال. الخطب: المصيبة. الغيب (بفتح فسكون): جانب من الليل شديد الظلمة (بالغم) أو شديد السواد.
- (٣) بان: ظهر، وضع. المذهب: الطريق، النهج (في الحياة) - عرفنا به (بحسن رأيه) الصواب والخطأ.
- (٤) أشكل الأمر: ألتبس، أختلط فيه الصواب والخطأ. الثاقب: الذي يثقب (ينفذ، يخرق الأشياء)، النور القوي.
- (٥) الدارع: الذي يلبس درعاً. الجندي. - يقصده ذوو التيجان (الملوك) بعدد كبير كعدد الجنود الذين يسيرون في موكبه (في رفقته من الحرس).
- (٦) الأغر: الأبيض (الجيد، العظيم). تقيل (٢) المراقبي (الدرجات، المقامات) عنده والمناصب: الوصول إليه صعب، والذين هم عنده هم في أعلى طبقات الناس (٢).
- (٧) جبر الطيب العظم المكسور: رده إلى حاله الأصلية (الصحيحة)، أصلحه. عماد (عمود) الدين: الأساس الذي يقوم عليه الدين. الصدع: الشق. شعب الرجل الأمر شعبه (بفتح العين فيها): جمعة وفرقه أو أصلحه وأفسده (من ألفاظ الأضداد). والشاعب (هنا): الجامع للأمور، المصلح.
- (٨) الذؤابة: طرف الشعر (أعلى الأقسام في الثوب)، الذروة (أعلى الجبل). نمتك: رفعتك، بلغت بك إلى الملك. المصابة (بالكسر): الجماعة من الناس.
- (٩) ذب: دفع، حمى.
- (١٠) دوخ الرجل البلاد: سار فيها حتى عرف جميع طرقها، استولى عليها. أرض الغرب: بلاد المغرب (الجانب الشمالي الغربي من قارة إفريقيا).
- (١١) طغى: ظلم، عصى. تناجيه الأمانى الكواذب: توهمه أنه إذا حاربك (أو ثار عليك) نجح وانتصر.

بدأتهم بالقول؛ لو أن سعيهم
 ولكن أبوا إلا جاحاً وما دروا
 ولجوا على ظن بأن حصونهم
 فستهم بالرعب قبل نزالهم،
 وأرسلتهم من آل أمحوج غلباً
 من القوم ما غير القنا في طريقهم
 إذا أظلمت - جنح النهار - دروعهم،
 ففي الحرب آساد وفي السلم سادة،
 وسرت، فلولا أن أمرَكَ وازعُ
 بجيش يقص الأفق منه بركب،
 حيداً لها ساءت لدنهم عواقب^(١)
 بأنك حربُ الله، والله غالب^(٢)
 مُنعة، لو أن غيرك طالب^(٣)
 فقلتُ جموعٌ منهم ومضارب^(٤)
 عليها من الأبطال شوسُ أغالب^(٥)
 أنيس، ولا غيرُ المهند صاحب^(٦)
 أضاءت وجوهٌ منهم ومناب^(٧)
 ويومَ الندى والمكر مات سحاب^(٨)
 لسات جبالٌ عندها وأهاضيب^(٩)
 ويعجز عن حصر الكتيبة حاسب^(١٠)

- (١) - حاولت في أول الأمر أن تخاطب الثائرين عليك بالكلام (بالمعروف). ولو كانوا يريدون الخير لما قهرتهم وقتلتهم.
- (٢) المباح: العصيان، الركض على غير هدى. بأنك حرب الله (تحارب في سبيل الله). حزب الله (٩).
- (٣) لج: استمر، تابع (السير)، أصر.
- (٤) حصونهم (قلاعهم) منيعة (لا يستطيع أحد أن يستولي عليها)، ولكنها لم تكن منيعة لما قصدتهم أنت.
- (٥) نزل بهم الرعب (الخوف) قبل نزاهم (قبل أن تحاربهم). قلت (بالبناء للمجهول): انفضت، تفرقت، هربت. جموع (من الجنود المحاربين). المضارب: الخيام (السكان غير المحاربين). - استوليت أنت على جميع أهل البلاد.
- (٦) أمحوج (الملموح هنا أن آل أمحوج إشارة إلى الخيل) وفي تاج العروس (الكويت ٦: ٢٤٠) محاج (بفتح الميم وبضمها): أسم فرس معروفة من خيل العرب. غلب (بضم فلام مشدودة) لم أجدها في القاموس والمقصود: الغالبون، الأشداء - وهي (أي غلباً) حال صاحبها آل أمحوج. والدليل على أنها إشارة إلى الخيل قوله: «عليها من الأبطال.....». الأشوس: الجريء الشجاع. الأغلب: الغليظ الرقبة من داء أو من غيره (تاج العروس - الكويت ٣: ٤٩١)، وهي هنا كناية عن الرجل القوي.
- (٧) القنا: الرماح. المهند: (من صنع الهند) الجيد.
- (٨) جنح النهار (ظرف زمان) في النهار. الدرع من حديد (وتكون عادة سوداء). المنقبة: الفعل الكريم.
- (٩) الهضبة (بفتح ففتح): السهل المرتفع، الجبل إذا كان عليه بقعة مستوية. والجمع هضاب (بالكسر)، وجمع الجمع أهاضيب. وتُحذف الياء (تصبح أهاضب) للضرورة في الشعر (تاج العروس - الكويت ٤: ٣٩٥).
- (١٠) يقص الأفق: تضيق الأرض. الركب (يقصد «الركاب»): الفرسان. الكتيبة: القطعة من الجيش.

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْعُلَا
وَلِنْ أَثَبْتَ الْأَعْدَاءُ أَنِّي مُذْنِبٌ،
وَهَبْهُمْ رَمَوْنِي بِأَلْتِي لَسْتُ أَهْلَهَا،
أَبْعَدَ أَنْتَرَا حِي عَنْ بِلَادِي تَحْنِي
وَعَرَاءَ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقَمِ
يُجَادِبُ عِطْفِيهَا الْمَرَا حُ فَتَنْشِي
وَتُكْبِرُ قَدْرًا أَنْ يَمِيلَ بِمِثْلَهَا
رَقَمْتُ بِهَا فِي صَفْحَةِ الْبِيدِ أَسْطُرًا
وَجُبْتُ بِهَا غَوْرَ الْفَلَاةِ وَنَجَدَهَا،
كَأَنِّي لَفْظٌ، وَالْبِلَادُ تُجِيبُنِي

تُسِيلُ الْوَرَى عَفْوًا فَتُعْنِي الْمَعَايِبُ (١).
فَصَنَحُكَ، يَا مَوْلَايَ، لِلذَّنْبِ سَالِبِ.
أَلَيْسَ أَنْتَسَايِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبُ (٢)؟
إِلَى بَابِكَ الْأَعْلَى مَطِيٌّ شَوَا زِبُ (٣)؟
لَهَا فِي الرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ (٤)،
كَمَا أَلْتَقَفْتُ فِي الرُّوْضِ حَسَنَاءُ كَاعِبُ (٥)
لِغَيْرِكَ قَصْدًا أَوْ تَحِنُّ مَطَالِبِ.
كَمَا زَانَ رَقْمًا فِي الصَّحِيفَةِ كَاتِبُ (٦).
وَلَيْسَ سِوَى مَنْ ذَنْبُهَا مَا أَصَاحِبُ (٧).
خَوَاطِرُ مِنْهَا لِلْمَعَانِي حَرَائِبُ (٨)؛

- (١) تسيل (تغطي) الوري (جميع الناس) عفواً (الزيادة من مالك، ما لا تحتاج إليه من المال). المعاييب (جمع معاب ومعايب ومعيبة): العيوب، النقص، الخطأ (الفقر). تُعْنِي: تشفي، تُغْطِي (تزول).
(٢) ... لستُ أهلها (لم أفلحها). أنتسايي (صلتي بك). متناسب (متبادل بيني وبينك).
(٣) انتزاحي: أبتعادي. تحنني، تدفني. المطية: الدابة يركبها المسافر. الشازب: الحصان الضامر البطن (ويكون سريعاً).
(٤) غراء: (فرس) بيضاء (أو لها بياض في جبهتها)، كريمة الأصل. الجدِيل وشدقم حصانان للنعمان بن المنذر (القاموس المحيط ٣: ٣٤٧ و ٤: ١٣٥).
(٥) العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من الصدر. المراح: النشاط: يجاذب عطفها المراح (نشاطها يجعلها تميل يميناً ويساراً). تنشي: تميل (تلتفت، تلتفت) بدلال وكبرياء. الكاعب: الفتاة إذا تكوّر ثدياها وتم نوحها.
(٦) رقمت بها سرت طويلاً في البوادي (كثرت أسفاري). زان: زين، زخرف. الرقم: الكتابة (يقصد سافرت كثيراً في البلاد وإلى كل مكان).
(٧) جاب محبوب: قطع (سافر): الفلاة: الأرض الواسعة. الغور (المنخفض من الأرض). النجد: ما أرتفع من الأرض. سافرت في كل مكان وإلى كل مكان. مَنْ ذَنْبُهَا (من عذّب هذه الناقة بالأسفار الكثيرة؟) يقصد ابن خلدون بذلك نفسه. ما أصاحب (ليس معي رفيق سواي - وحيداً).
(٨) كَأَنِّي لَفْظٌ (كلام، أسئلة). والبلاد (في البلاد؟). تحييني خواطر (فاعل «تحييني»؟) منها للمعاني حرائب (مسلوبة) - كنت، وأنا في كل بلد، تخطر في بالي خواطر لا أستطيع أن أجد معاني يمكن التعبير عنها (كنت أكره كل البلاد حتى وصلت إليك - انظر البيت التالي).

تَظُنُّ بِأَنَّ الشَّرْقَ عَنْ حَمَلٍ كَنَّمِهِ
إِلَى أَنْ حَطَطْتُ الرَّحْلُ فِي سَاحَةِ الْعُلَا
وَأَصْدَرْتَنِي عَنْ وَرْدٍ نُبْعَكَ نَاهِلًا
فَكَيْفَ أَوْلَى شَطَرَ غَيْرِكَ وَجَهَةً
وَمَا خَلَصْتَ إِلَّا لِبَابِكَ هِجْرِي،
وَإِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِأَنْ لَا مُمْلَكُ
وَلَكِنْ عَوَادٍ إِنْ عَدْتَنِي عَنِ الزَّمَا
سَأَنْزِعُ عَمَّا أَنْتَ - وَاللَّهِ - سَاخِطٌ،
وَأَسْطُو عَلَى الْأَيَّامِ مِنْكَ بِنُوبَةٍ
وَتُوسِمُنِي نُبْعَكَ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ

يَضِيقُ فَتَطْوِي سِرَّهُنَّ الْمَغَارِبُ^(١)
لَدَى بَابِكَ الْأَعْلَى كَمَا حَطَّ آيِبُ^(٢).
وَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَنِّي إِلَيْكَ الْمَوَاهِبُ^(٣).
أَوْمَلُ مِنْهُ نَجْمَةً أَوْ أَرَاقِبُ^(٤)؟
وَلَمْ تَصْنَفْ لِي مِمَّنْ سِوَاكَ الْمَشَارِبُ^(٥).
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا عَنْكَ ذَاهِبُ^(٦).
نِ زَمَانًا، فَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْهُنَّ تَائِبُ^(٧).
فَأَمْرُكَ مَحْتَمٌ عَلَى الْخَلْقِ وَاجِبُ^(٨).
كَمَا أَقْتَرَسْتَنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَائِبُ^(٩).
يَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَثْرَى الْمَكَاسِبُ^(١٠).

- (١) لا في الشرق (تونس) ولا في المغرب (الجزائر والمغرب) وجدت من يدرك معناني (يعرف مقداري ومكانتي)....
- (٢) حططت الرحل: نزلت، استقررت (سكنت). الآيب: الراجع من سفر إلى بلده (ليبقى فيه دائماً).
- (٣) أصدرتني: رددتني. الورد (بالكسر): الهيم إلى الماء للشرب. ناهل: ريان (مكتف من الماء) - لَّا جئت إليك أعطيتني عطايا كثيرة. وقد أثقلت إلخ (وكنت أظن أن ما أريد أن أطلبه منك كثير): أعطيتني فوق ما كنت أريد.
- (٤) النجمة: قصد أصحاب الأموال لنيل عطاياهم. أراقب. (أرجو أن يعطيني شيئاً - يقصد أن جميع الناس، غيرك، بخلاء).
- (٥) - هاجرت (قصدت) إلى أبواب ملوك كثيرين. مجيشي إليك وحدك كان اعتقاداً مني بكرمك وإخلاصاً في محبتك. لم تصف لي إلخ: لم أكن مسروراً عند أحد (غيرك).
- (٦) - أنا واثق بأنه لا يوجد في هذا العالم ملك (يستحق هذا الاسم) غيرك. وليس هنالك من يستحق أن يذهب الناس إليه (للعطاء) غيرك.
- (٧) ولكن عوادٍ (جمع عادية): نوائب، مصائب. عدتني: جاوزتني، (أبعدتني). عن الزمان (عن السرور في الحياة؟ عنك). زماناً (مدة).
- (٨) نزع عن الشيء: تركه.
- (٩) - سأعتدي أنا على حوادث الأيام (على المصائب) بنوبة (بمدة أكون فيها حراً قوياً غنياً)، كما كانت المصائب قد اعتدت علي كثيراً من قبل، وسيكون الفضل في ذلك لك.
- (١٠) راش يریش: أصبح غنياً، ذا رياس (أثاث كثير في بيته). يریش عظمي: يكسني عظمي لحماً، بعد أن أقترت وجعت حتى برزت عظامي للعيون. تثرى تتوالى، تتصل.

فما في الليالي من ذمير ولَو أتي، إذا حُمِدَتْ بعدَ المبادي العواقبُ^(١).
- مطلع في الغزل:

قال ابن خلدون في صدر قصيدة طويلة في المديح (سنة ٧٦٢ هـ):

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي فِي تَعْذِيبِي وَأُطْلِنَ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَحْيِي^(٢)؛
وَأَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقْفَةَ سَاعَةٍ لِدَوَاعِ مَشْغُوفِ الْفَوَادِ كَثِيبِ^(٣).
مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا أَعْتَادَ الْجَوَى لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلِ وَحْيِيبِ^(٤).
وَإِذَا الدِّيارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيِّمٍ هَزْنُهُ ذِكْرُهَا إِلَى التَّشْيِيبِ.
فِي كُلِّ شِعْبٍ مُنِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا هَجْرُ الْأَمَانِي أَوْ لِقَاءِ شُعُوبِ^(٥).
هَلَّا عَطَفْتَ صُدُورَهُنَّ إِلَى الْقِي فِيهَا لُبَانَةٌ أَعْيِنِ وَقُلُوبِ^(٦).
فَتَوَّمَّ مِنْ أَكْنَافٍ يَثْرِبَ مَأْمَنًا يَكْفِيكَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ تَثْرِيبِ^(٧).

٤- * كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

(١) العاقبة: النهاية، النتيجة. - فما في الليالي.....: إذا صلحت حال الإنسان نسي كل شقاء كان قد لقيه من قبل. لشكبير (١٦١٦ م = ١٠٢٥ هـ، بعد ابن خلدون بـ ١٢١١ سنة وسبع عشرة سنة)، رواية تشيلية عنوانها: All's Well That Ends Well: ما كانت نهايته حسنة فهو حسن.

(٢) هؤلاء النسوة جعلني أطيل وقوفي على الأطلال أبكي وأنتخب.

(٣) أَيْ: رفض. البين: البعاد، الفراق. المشغوف: الذي بلغ الحب إلى شغاف (بضم الشين) قلبه (شغاف القلب: غلافه أو حجابيه أو داخله).

(٤) الطرب ما يثير الإنسان من فرح أو حزن. أعتاد: عاد مرة بعد مرة. الجوى: شدة الوجد والحنين إلى المحبوب حتى تشبه حاله حال المريض.

(٥) الشعب (بكسر الشين) الشعب، الفرقة، القسم من الطريق أو من الأمة. شعوب (يفتح الشين وبلا لام للتعريف): المنية، الموت.

(٦) صدورهن: صدور النياق (هلا بِلَتْ بالنيّاق نحو المدينة، مدينة الرسول). اللبانة: الحاجة.

(٧) أَمْ: قصد. أكناف: أطراف. يثرِب: المدينة، مدينة الرسول. التثريب: اللوم.

(*) اعتمدت في جمع هذه القائمة مراجع مختلفة: تاريخ الأدب العربي (النسخة الألمانية) لبروكلمن - بطاقات مكتبة يافت في الجامعة الأميركية في بيروت - مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (دار المعارف بـ ١٩٦٢ م).

(٨) يُلفى هذا الكتاب باسم «عنوان العبر....» (بروكلمن ١: ٣١٦، السطر ٢١) وباسم «ترجمان العبر....» (مؤلفات ابن خلدون، ص ٢٩، السطر الأول).

- السلطان الأكبر^(١)، بولاق^(٢) ١٢٨٤ هـ؛ بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة، والنشر، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١ م (١٣٧٤ هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م).
- الجزء الأول من كتاب العبر (ويعرف بمقدمة ابن خلدون):
- ★ (نشرها كاترمير)، باريس ١٨٤٧ - ١٨٥٨ م.
- ★ (بتصحيح نصر الهوريني)، بولاق ١٢٧٤ هـ.
- ★ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٧٩، ١٨٨٦، ١٩٠٠ م.
- ★ مصر - القاهرة ١٣١١، ١٣٢٠، ١٣٢٢، ١٣٢٧، ١٣٣٦^(٣)، ١٣٤٩ هـ (٤).
- ★ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م.
- ★ (تحرير عليّ عبد الواحد وافي)، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٣٧٧ هـ وما بعد = ١٩٥٧ - ١٩٦٢ م.
- ★ (لجنة من العلماء)، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.
- ★ (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦٧ م.
- أقسام من كتاب العبر:
- أخبار الفرنج فيها ملكوه من سواحل الشام وثغورها وكيف تغلبوا عليها وبداية أمرهم في ذلك ومصابره (نشرها تورنبرغ)، أوبسلا ١٨٤٠ م.
- أخبار دولة بني الأغلب في إفريقية وصقلية إلى حين استيلاء الفرنجة على صقلية (نويل دي فيرجيه) باريس ١٨٤١ م.
- تاريخ الدول الإسلامية في المغرب (نشره دي سلان)، الجزائر (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٧ - ١٨٥٦ م.
- تاريخ الأسرة العقيلية (تيزهاوزن)، بطرسبورج ١٨٥٩ م.
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩ - ١٩٥٠.
- التعريف^(٤) بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م.
- كتب لابن خلدون:
- لباب المحصل^(٥) في أصول الدين، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ هـ.

- (١) ويعرف اختصاراً باسم «تاريخ ابن خلدون».
- (٢) بولاق حيّ من أحياء القاهرة كانت فيه المطبعة الأميرية. فإذا قيل بولاق يمكن أن يُعنى بها مكان الطبع (في مقابل القاهرة)، ويمكن أن يُعنى بها المطبعة.
- (٣) إنَّ طبعتي ١٣١١ و ١٣٤٩ كانتا في المطبعة الأزهرية. ولم أستطع تحقيق أسماء المطابع للطبعات الباقية.
- (٤) ترد هذه الترجمة الذاتية التي صنعها ابن خلدون لنفسه في آخر كتاب «العبر» (في آخر الجزء السابع).
- (٥) قال عبد الرحمن بدوي (مؤلفات ابن خلدون، ١٥ - ١٦): «..... وقد نُشر الكتاب في إستانبول سنة ١٩٥٨ (للميلاد). ثم جاء الأب أغناطيوس عبده اليسوعي مدير مجلة «المشرق» التي يصدرها الآباء =

- شفاء السائل تهذيب المسائل (نشره لوثيانو روبيو)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٢ م؛ (عارضه في أصوله محمد بن تاويت الطنجي)، أنقرة (منشورات كلية الآليات)، إستانبول (مطبعة عثمان بلشن) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م؛ (نشره إغناطيوس عبده خليفة اليسوعي - في منشورات معهد الآداب الشرقية) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م. كتب ودراسات مستقلة في ابن خلدون^(١):
- ★★- إبراز الوهم المكنون من كلام آبن خلدون أو المرشد المبيدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي^(٢)، تأليف أحمد بن الصديق، دمشق ١٣٤٧ هـ = ١٩٣٤ م.
- ابن خلدون، تأليف تيسير شيخ الأرض .
- ابن خلدون، تأليف محمد جعفر وفوزي سليمان، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ.
- ابن خلدون: حياته وتراثه الفكري، تأليف محمد عبد الله ع inan، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٣٣ م، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٣ م، ثم ١٩٦٦ م.
- ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية تأليف جوستون بوتول (ترجمة غنيم عبدون)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.
- ابن خلدون (في سلسلة الروائع، رقم ١٣ - ١٥) تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت المطبعة الكاثوليكية).
- ابن خلدون في المدرسة العادلية (مطبوع مع «محمد والمرأة») تأليف عبد القادر المغربي، دمشق (مطابع قوزما) ١٩٢٨ م.
- ابن خلدون: قائمة بمؤلفاته، انظر، تحت: قائمة بمؤلفاته.
- ابن خلدون: مُنتخبات، تأليف جميل صليبا وكامل عياد، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٣ م.
- ابن خلدون منشئ علم الاجتماع، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ.

- = اليسوعيون في بيروت بلبنان، فنشر كتاب ابن خلدون (شفاء السائل) في نشرة أخرى فرغ من طبعتها في ٣٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٩، أي بعد نشرة محمد بن تاويت الطنجي بحوالي تسعة أشهر. ومن المؤكد أن الأب أغناطيوس عبده خليفة - برغم ذلك - لم يطلع على نشرة الأستاذ الطنجي، وإلا لتلافى الأخطاء الفاحشة العديدة جداً والتي وقمت في طبعته. وهي على أنواع.....».
- (١) هنالك عدد من المقالات والبحوث على مستويات مختلفة من الطول (ومن القيمة أيضاً) نشرت في عدد من المجلات المختلفة لم أر ضرورة لذكرها هنا. فمن شاء الإطلاع على عناوينها ومطابقتها فنشرها فليرجع إلى كتاب «مؤلفات ابن خلدون» لعبد الرحمن بدوي (ص ٣١٧ - ٣٢٣).
- (٢) المهدي هو الذي يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان ليملا الدنيا عدلاً كما ملكت ظلاماً. راجع كلام ابن خلدون في ذلك في مقدمة ابن خلدون: بيروت ١٩٠٠ م (ص ٣١١ - ٣٣٠)، بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٦١ م، (ص ٥٥٥ - ٥٨٦).

- ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، تأليف عبده الحلو، بيروت (بيت الحكمة) ١٩٦٩ م.
- ابن خلدون وعلوم المجتمع، تأليف محمود عبد المولى، ليبيا (الدار العربية للكتاب) ١٩٧٦ م.
- أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير (كانون الثاني) (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنايئة)، القاهرة (الاتحاد القومي - دار ومطابع الشعب) ١٩٦٢ م.
- التفكير العلمي عند ابن خلدون، تأليف ابن عمار الصغير، الجزائر ١٩٦٩ م.
- حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، تأليف محمد الخضر حسين التونسي، القاهرة (المطبعة السلفية ومكبتها)، دمشق ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤ م.
- دراسات عن ابن خلدون، تأليف ساطع الحصري^(١)، بيروت (مطبعة الكشاف) ١٩٤٣ - ١٩٤٤ م؛ (نشر على نفقة محمد ناجي الحصري^(٢)، بغداد)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م؛ طبعة ثالثة، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون، تأليف ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، تأليف محسن الزمرلي، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، بقلم علي عبد الواحد وافي (أعلام العرب، رقم ٤)، القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة، قبل (؟) ١٩٦٢ م.
- عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر من عبقريته، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد) بلا تاريخ.
- العرب وابن خلدون، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (مطبعة الترقّي) ١٩٥٦ م.

(١) هو ساطع بن محمد هلال الحصري (بضم فتح)، كنيته: أبو خلدون (لأنه سَمَّى ابنه خلدوناً)، حلبي الأصل، ولد سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) في صنعاء اليمن. تعلّم في استانبول فنشأ تركي الثقافة. أنشأ مجلة «التربية» (بالتركية) وآلف عدداً من الكتب (بالتركية أيضاً). وعمل في التعليم والإدارة. وفي عام ١٩١٨ م (بعد الحرب العالمية الأولى)، جاء إلى سورية واتّصل بالملك فيصل وتولّى وزارة المعارف ثم (بعد سقوط الدولة العربية في سورية وانتقال الملك فيصل إلى العراق)، ذهب هو أيضاً إلى العراق وتولّى إدارة دار الآثار ورئاسة كلية الحقوق. وفي عام ١٩٤١. (بعد خيبة ثورة رشيد عالي الكيلاني) أخرج من العراق فجاء إلى بيروت. ثم انتقل (بعد الحرب العالمية الثانية، عام ١٩٤٦) إلى مصر. ولساطع الحصري عدد كبير من الكتب بالعربية أهمّها «دراسات عن ابن خلدون». وقد كان ساطع الحصري قد جمع موادّ كثيرة لمكتابه هذا - فلما أخرج من العراق بقيت تلك الموادّ في العراق. ودوّن ساطع الحصري هذا الكتاب من ذاكرته بعد الاستعانة بعدد يسير من الكتب. وكانت وفاته في مصر، سنة ١٣٨٨ هـ - (١٩٦٣ م).

(٢) بالخاء والضاد المنقطتين من فوقها (وبالتصغير).

- العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، تأليف محمد عابد الجابري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- علم الاجتماع الخلدوني، تأليف حسن الساعاتي، طبعة ثالثة، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٥ م.
- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تأليف طه حسين (نقله إلى العربية محمد عبد الله ع inan)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م.
- قائمة بمؤلفاته وبعض المراجع التي كتبت عنه بمناسبة المهرجان العلمي الذي ينظمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة (دار الكتب) ١٩٦٢ م (صفحات: ٣٦ و ٢٢).
- كلمة في ابن خلدون، تأليف عمر فروخ، بيروت (منشورات مكتبة منيمنة) ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م.
- لقاء ابن خلدون وتيمورلنك، (تمليق محمد توفيق)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٥ م.
- مجلة «الحديث» (حلب)، عدد خاص (أيلول - سبتمبر ١٩٣٢ م).
- مجلة «الفكر» (تونس)، عدد خاص (آذار - مارس ١٩٦١ م).
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩، ١٩٥٠ م.
- مع ابن خلدون، تأليف أحمد محمد الحوفي، مصر ١٩٥٢ م.
- مقدمة ابن خلدون: دراسة - مختارات، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م.
- منتخبات من مقدمة ابن خلدون (مع ملاحظات بقلم دونكان ب. ماكدونالد)، لندن (بريل) ١٩٦٢ م.
- منطق ابن خلدون في ضوء حياته وشخصيته، تأليف علي حسين الورد، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٢ م.
- مهرجان ابن خلدون (مايو - أيار ١٩٦٢)، نظمتها كلية الآداب (في جامعة محمد الخامس) بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قدماء مولاي إدريس، الدار البيضاء (دار الكتاب) بلا تاريخ.
- مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- صفحات من كتب^(١) (منسوقة على حروف المهجاء):
- أزهار الرياض ٢: ٢٠٦ وما بعد؛ الاستقصا ٢: ١٢٠ - ١٢١؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٦ - ١٠٧ (٣: ٣٣٠)؛ بالثنيا (راجع: تاريخ الفكر الأندلسي)؛ البدر الطالع ١:

(١) فيما يلي صفحات من الكتب التي جرت العادة بإيراد بعضها دون بعض في آخر كل ترجمة (في هذا الكتاب) ما أمكن. ولكن هنالك عدداً أكبر من الكتب التي يرد فيها فصول تتعلق بابن خلدون لم أر أن أستنفدها هنا. ويمكن الباحث، إذا أراد، أن يرجع إليها في «مؤلفات ابن خلدون» (لعبد الرحمن بدوي)، ص ٣١٧ - ٣٣٨ (بالعربية وبغير العربية).

٣٣٧-٣٣٩؛ بروكلمن ٢: ٣١٤-٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٢-٣٤٤؛ تاريخ العلوم عند العرب (لعمر فروخ) ٤٤٢-٥١٦؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٥٤-١٥٥؛ ٢٥٩-٢٦٦، ٤١٧-٤١٥؛ تاريخ الفكر العربي (لعمر فروخ) ٦٩١-٧٠٩؛ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عباس) ٦١٥-٦٣٠؛ تعريف الخلف ٢: ٢١٣-٢١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (بالانكليزية) ٣: ٨٢٥-٨٣١؛ سارطون (راجع: مقدمة إلى تاريخ العلم)؛ سركيس ٩٥-٩٧؛ شذرات الذهب ٧: ٧٦-٧٧؛ الضوء اللامع ٤: ١٤٥-١٤٩؛ عصر سلاطين الماليك ٦: ٢١١-٢٤٨؛ عنوان الأريب ١: ١٠٧-١١٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٨-٢٢٣؛ معجم المطبوعات العربية (راجع: سركيس)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٨٨-١٩٠؛ مقدمة إلى تاريخ العلم (لجورج سارطون بالانكليزية) راجع فهارس الأجزاء الثلاثة (خسة مجلدات) والجزء الثالث (مجلدين) منها خاصة: عصّر جفري شوسر وابن خلدون وحسّادي كرسكاس^(١)، ص ١٠١٩-١٨٧١ (مجموع المجلد الثاني من الجزء الثالث)؛ المكتبة العربية الصقليّة ٤٦٠-٥٠٨؛ نفح الطيب ١: ١٤٧، ٢٣٢-٢٣٨، ٢٨٢-٢٨٣، ٣٢٧-٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤١-٣٤٢، ٣٥٢-٣٥٤، ٣٥٦-٣٥٩، ٣٦٤-٣٦٦، ٣٩٨، ٤٢٤، (٤٤٦-٤٤٩)، ٤٥٢-٤٥٣، ٥٧٧-٥٧٨، (٢): ١٢٥، ٢٠١-٢٠٢، ٥٢٣-٥٢١، (٤): ٣٧٣، (٥): ٨، ٩٥-١٠٨، ١١٠-١١٢، ٢٥٤-٢٥٦، ٤١٢، (٦): ١٧١-١٩١، ٣٨٩-٣٩٦، (٧): ٥، ١٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٩-١٧٠.

ابن قنفذ القسطنطيني

١- هو أبو العباس أحمد بن حسن الخطيب (ت ٧٥٠ هـ) بن علي الخطيب (ت ٧٣٣ هـ) بن حسن^(٢) بن علي بن ميمون القسطنطيني، نسبة إلى قسطنطينة (قسطنطينية)

(١) جفري تشوسر (١٣٤٠-١٤٠٠ م) شاعر وكاتب انكليزي من أهل لندن، أشهر كتبه «أقاصيص كانتربري». وقد عملت كتبه على تثبيت عدد من قواعد اللغة الانكليزية. - حسّادي (بفتح الحاء المهملة أو بكسرهما) بن إبراهيم كراسكاس (أو قراقاس) من أهل برشلونة (إسبانية)، فيلسوف يهودي حاول أن يخلّص الفكر اليهودي من أثر الفلسفة الأرسطوطاليسية. ومع أنّه لم يرفض مكانه العقل في الفلسفة، فإنّه حاول أن يلتقي عليه عدداً من القيود. ويبدو أنّه كان لحجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) أثر بالغ في تفكيره، كما أنّه تأثر أيضاً بنفر آخرين من الفلاسفة المسلمين كابن رشد مثلاً (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م).

(٢) لابن قنفذ القسطنطيني في كتاب «الفارسية» ترجمة ودراسة مفصّلتان (ص ٣٩-٩٥)، وهو هنالك ابن «القنفذ» (بالتعريف). وفي بروكلمن: ابن قنفوذ. أمّا سبب التسمية «ابن قنفذ» فلا يعرف الدارسون لها وجهاً. وفي سلسلة نسبه «الحسين» مكان «الحسن» (مرتين).

في القطر الجزائري، والشهير بابن الخطيب وابن قنفذ^(١). ولعلّ مولده كان في سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ - ١٣٤٠ م).

بدأ ابن قنفذ طلب العلم على والده حسن وعلى جده لأمه أبي يعقوب يوسف بن يعقوب الملاوي الصوفي (ت ٧٦٤ هـ) ثم على الحسن بن خلف الله بن باديس القسنطيني (ت ٧٨٤ هـ) والحسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني (ت ٧٨٧ هـ) وغيرها.

وفي سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) رحل ابن قنفذ إلى فاس وتلقى العلم على نفر من علمائها ومن العلماء الطائرين عليها. من هؤلاء جميعاً: الشريف الغرناطي أبو القاسم محمد بن أحمد السبكي (ت ٧٦٠ هـ)، وأبو محمد الهرغي الرقندري (ت ٧٦٨ هـ)، والشريف التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي (ت ٧٧١ هـ)، والشيخ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن اللجائي (ت ٧٧٣ هـ)، وأبو عمران موسى بن محمد بن مغطر العبدوسي (ت ٧٧٦ هـ) وأبو محمد عبد الله الوانغلي الفاسي (ت ٧٧٩ هـ)، وابن مرزوق التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٨١ هـ)، وأبو العباس أحمد بن قاسم القباب الفاسي (ت ٧٧٩ هـ).

وقد تطوّف ابن قنفذ في عدد من مدن القطر المغربي (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) ثم عاد إلى قسنطينة وتولّى الخطبة والقضاء والإفتاء فيها وتصدّر حيناً للتدريس.

وكانت وفاة ابن قنفذ القسنطيني في ثاني عشر ربيع الأول من سنة ٨٠٩ (١٤٠٦/٨/٢٧ م).

٢ - نشأ ابن قنفذ القسنطيني في أسرة علم ووجاهة وثروة، فقد كان جده ثم والده من بعد جده يتوليان الخطابة في قسنطينة مدة تزيد على ستين سنة. وكان مؤلفاً كثيراً، ولكن أكثر مؤلفاته قد ضاع. ومُعظم هذه المؤلفات كان في الفقه وفي الفلك والطب والحساب والفرائض (تقسيم الموارث) ثم في العربية (النحو). فمن هذه الكتب: معاونة الرائض في مبادئ الفرائض - هواية السالك في بيان ألفية ابن مالك - سراج

(١) توفي سنة ٦٦٤ هـ (وفيات ابن قنفذ ٣٣٠). وأرى أن المدى بين وفاة جده (٧٣٣ هـ) وبين وفاة والد جده (٦٦٤ هـ) واسع جداً (٦٩ سنة!).

الثقات في علم الأوقات - تيسير (تسهيل) المطالب في تعديل الكواكب - حطّ النقاب عن وجوه أعمال الحساب - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد - شرف الطالب في أسنى المطالب - تحصيل المناقب وتكميل المآرب - شرح المنظومة الحسائية في القضايا النجومية (لأبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني) - طبقات علماء قسنطينة - أنس الفقير وعزّ الحقير (في ترجمة أبي مدين شعيب الصوفي) - كتاب الوفيات . وهناك كتب أخرى له ضاعت .

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة « الفارسية » وخاتمتها :

.... وبعدُ فهذا مُختَصَرٌ فيه ما تَشَوَّفُ النفوسُ إليه مِن الاطِّلاعِ على مبادئ الدولة الحفصية وما يتعلّقُ بها من مُهمّاتِ الوقائعِ الجليّةِ بكلامٍ كُلِّيٍّ تحسُّنُ الحاضرةُ به وتحصلُ الإفادةُ بسببه . ولشرفه يرفّعه إلى الحضرة العلية وفخرِ زمانٍ وضعه بأيامِ الإمارة العزيزية والمجاهدية سَمَّيْتُهُ « الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية » . والله المسؤول في التوفيق والهداية إلى سواء السبيل .

... وههنا انتهى الغرض فيما تعلق بالدولة الحفصية العُمرية من ذِكرٍ بعضِ وقائعها الجليّة ، من مبدئها إلى هذا التاريخ الذي هو من آخرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِيَاةٍ - أدامها الله رحمةً للإسلام بجاه النبيّ عليه السلام .

- من متن كتاب « الفارسية » في مبادئ الدولة الحفصية :

وفي السَّنة التي بُويعَ فيها الأميرُ أبو حفص^(١) أَخَذَ النَّصَارَى جَزِيرَةَ جَرَبَةَ وَأَسْرَوْا مِنَ الشَّابَابِ الْقَوِيَّ وَالشَّابَّةَ الْحَسَنَةَ^(٢) ثَمَانِيَةَ آلَافٍ وَقَتَلُوا الصَّغَارَ . وَنَهَبُوا الْأُمْتِعَةَ

(١) هو أبو حفص عمر ، جاء إلى العرش سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) ولم تطل مدّته (راجع زامباور ١١٥)، ولم يمدّه حسن حسني عبد الوهاب في سلاطين بني حفص في تونس (راجع خلاصة تاريخ تونس، ص ١٠٧-١٠٨ و ١٢٥).

(٢) جربة جزيرة عند الشاطئ الجنوبي الشرقي من القطر التونسي .

(٣) يقصد: من الشبان الأقوياء ومن الشابات (الفتيات) الحسنات .

والأموال والزيت والزبيب ما حملوا (في) سُنْهِمُ التي هي نحوُ السبعينَ وفي سُنْهِ الجزيرة التي هي نحوُ الثلاثين. وفي مدته أيضاً، في سنة ثلاثٍ وثمانينَ وسِتِّمِائَةٍ، نَزَلَ النصارى المَهْدِيَّةُ؛ وماتَ منهم نحوُ المِائَةِ، ومات من أهل المدينة ثلاثة. وأنصرفوا بعد إقامة خمسة أيام.

- وصف «كتاب الوفيات»

قال ابنُ قنفذ^(١):

.... وتما حافظ عليه أهل الحديث كثيراً تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفاً من المدلسين^(٢)، ولذلك قال بعضهم: إذا اتَّهَمْتُمْ أحداً في أخذٍ أو روايةٍ فاحسبوا سنَّه وسنَّةَ وفاةٍ من أخذ عنه^(٣)، فبذلك يتبيَّن هل أدركه أم لا ولتذكُر في هذا الكتاب ما حضرنى من وفيات الصحابة والمحدثين والمؤلفين. و(قد) رتبته على المثين من السنين^(٤) بوجهٍ لم أسبق إليه.

- من متن «كتاب الوفيات»:

المائة الثامنة^(٥): تُوفِّيَ الفقيهُ المحدثُ الجليلُ الشهيرُ الفاضلُ قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمدُ بن محمد الغبريني^(*) صاحب «عنوان الدرّاية» وغيره شهيداً سنة أربعٍ وسبعمائة. وفي هذه السنة تُوفِّيَ أبو الحسن الغرافي^(٦). وفي سنة سبعٍ وسبعمائة تُوفِّيَ فقيهُ شيوخ الأولياء أبو زيد الهزميري^(٧) بمدينة فاس. وتُوفِّيَ الفقيهُ الأديبُ أبو

(١) نص يرد في كتاب لابن قنفذ هو «شرف الطالب في أسنى المطالب» (راجع «كتاب الوفيات» - تحقيق عادل نويض - ٢١).

(٢) التدليس أن يحكم البائع عيب السلعة عن المشتري. وفي الحديث خاصة: أن يزعم رجل أنه سمع حديثاً من فلان وهو لم يسمعه منه، أو ينسب إلى شيخه أشياء ليست موجودة في شيخه.

(٣) فاحسبوا سنَّ (الراوي) والسنة التي تُوفِّيَ فيها الرجل الذي قال ذلك الراوي أنه أخذ عنه.

(٤) رتبته على تعاقب سنوات الوفاة (فذكر الذي مات في سنة قبل الذي مات في سنة بعدها).

(٥) المائة الثامنة (أو القرن الثامن) تبدأ سنة ٧٠١ وتنتهي سنة ٨٠٠.

(*) تجد ترجمته في هذا الجزء.

(٦) هو عليّ بن أحمد بن عبد الحسن بن أحمد الحسيني الإسكندراني (٦٢٨ - ٧٠٤ هـ) محدث ثقة.

(٧) هو أبو زيد عبد الرحمن الهزميري من أهل مراكش، كان من الأولياء الصالحين. ويروي الناس عنه عدداً من الكرامات.

عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ خَيْسِرِ التُّونِسِيِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِمِائَةٍ.

... العشرة^(١) الثالثة من المِائَةِ الثامنة. تُوفِّيَ الشَّيْخُ الْمُحَقِّقُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ الْبَنَاءِ الْأَزْدِيَّ الْعَدَدِيَّ بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ..... العشرة الرابعة من المائة الثامنة..... وفي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.... وفي هذه السَّنَةِ تُوفِّيَ الْجَدُّ وَالِدِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ قُنْفُذٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خُطْبَتِهِ بِقُسْنَطِينَةَ نَحْوَ مَنْ خَمْسِينَ سَنَةً. وَتَقَلَّدَ خُطَّةَ الْقَضَاءِ بِهَا مُدَّةً ثُمَّ اسْتَعْفَى فَعُوفِيَ^(٢). وَكَانَتْ بِهِ وَسُوسَةٌ^(٣) فِي شَأْنِ عِبَادَتِهِ بَلَغَتْ بِهِ إِلَى أَنَّهُ إِذَا قَبَّلَ أَحَدًا طَرَفَ ثَوْبِهِ حَبْسَهُ بِيَدِهِ^(٤) لِيَخْلِسَهُ. وَأَمَرَ مَرَّةً بِإِخْرَاجِ مَنِيرِ الْجَامِعِ حَتَّى طَهَّرَ لَهُ مِنْ صُعُودٍ غَيْرِهِ عَلَيْهِ. وَلَقِيَ أَعْلَامًا مِنَ النَّاسِ.

- ٤- الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصيّة (تحرير هنري بيريس)، الجزائر (المطبعة الثعالبيّة والمكتبة الأدبيّة) ١٩٣٩ م (طبع في مصر)؛ (تحقيق محمد الشاذلي النّيفر وعبد المجيد التركي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
- كتاب الوفيات (نشره هنري بيريس)، الجزائر بلا تاريخ للطبع؛ (حقّقه عادل نويهض)، بيروت (المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- أنس الفقير وعزّ الحقيّر (تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور)، الرباط (جامعة محمد الخامس: المركز الجامعي للبحث العلمي) ١٩٦٥ م.
- ★★ تعريف الخلف ١: ٢٧-٣٢؛ الإعلام بمن حل مرّاكش من الأعلام ٢: ١٦؛ درّة الحجال ١: ٦٠ (١: ١٢١-١٢٣)؛ جذوة الاقتباس ٧٩؛ نيل الابتهاج ٧٥؛ دائرة المعارف الإسلاميّة ٣: ٨٤٣-٨٤٤؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٤ (١١٧)؛ المكتبة العربيّة الصقلية ٥٠٩.

- (١ و ٢) لأصحّ أن يقال: العشر (أي العشر السنوات أو السنوات العشر) الثالثة (من المائة الثامنة).
- (٣) استعفى فلان من منصبه (طلب التخلّي عنه) فأعفى (الجهول من «أعفى») وعوفي (الجهول من «عافى») بمعنى واحد. والصيغة الأولى «أعفى» أفصح وأكثر استعمالاً.
- (٤) الوسوسة والوسواس (والعامة تقول: سراسب): وَهْمٌ (بفتح فسكون فضمتين) بأنّ كلّ شيء يَمَسُّ (بفتح الميم) الآخرون نَجَسٌ (بفتح فكسر). وهذا مرض نفسي.
- (٥) حبس طرف ثوبه بيده (أسك بطرف ثوبه ليعبده عن باقي ثيابه).

ابن الأحمر

صاحب نشير الجمان^(١)

١ - ليس في سلسلة نسب ابن الأحمر هذا من تولّى عرش غرناطة. إنه أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج^(٢) بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. ولد أبو الوليد إسماعيل بُعيد سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). ويبدو أن السلطان أبا الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج والمعروف بلقب « النّيكار » (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) قد خاف طمع أبناء عمه بالملك فأخرجهم من الأندلس: خرج عمه محمد بن فرج ومعه ابنه يوسف^(٣) وحفيده إسماعيل (صاحب هذه الترجمة) إلى المغرب، وذلك - فيما يبدو - في أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) تاسع ملوك بني مرين في فاس.

اشتغل أبو الوليد بن الأحمر منذ مطلع حياته بالعلم والأدب فتلقّى علم العربية (النحو) على محمد بن محمد بن داوود الصّنهاجي، والأدب والتاريخ على أحمد بن محمد الصّباح وعبد الغفار بن موسى البوظفي، وسمع الموطأ من الحسن بن عطية بن موسى الوانشرسي. وهناك نفر من العلماء أجازوا أبا الوليد بن الأحمر إجازة عامّة (في علوم مختلفة) منهم محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرّعيني السّراج.

ثمّ تصدر أبو الوليد بن الأحمر للتدريس في جامع القرويين في فاس وأخذ بمخالطة رجال العلم والأدب والسياسة. وقد كان أوّل اتصال له بالبلاط المريني في أيام أبي

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة المفصّلة القيّمة التي قدّم بها محمد رضوان الداية دراسته في كتاب « نشير الجمان ». غير أن السلسلة المنطقية لتاريخ بني الأحمر كثيرة التعقيد.

(٢) في زامباور (ص ٩٥): إسماعيل بن محمد بن فرج، وفي نشير فرائد الجمان (ص ٦٦): إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن فرج. وقد قبلت هنا السلسلة الثانية.

(٣) في نفع الطيب (٨٤: ٥): كانت فتنة أندرش في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة (١٣٥٩/٨/٢٢ م) والتي جاء بها إلى عرش غرناطة إسماعيل بن محمد بن فرج. عم أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج (صاحب هذه الترجمة)، بعد خمسة وثلاثين عاماً من مولد صاحب هذه الترجمة والذي فرضنا أنّه جاء مع أبيه وجدّه إلى المغرب طفلاً.

عنان فارس المتوكل بن علي (٧٤٩-٧٥٩ هـ) فقال عنده حُطوة كبيرة. ومع أنه أصبح مؤرخ دولة بني مرين وكاتباً عند ملوكهم ووزرائهم، فإن صلته بهم ضعفت بعد أبي عنان ثم اختلفت مكاتته عندهم صوداً وهبوطاً.

وكانت وفاة أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في فاس، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) في الأغلب.

٢- تقوم شهرة أبي الوليد بن الأحمر على أنه مؤلف خصب ترك لنا في مؤلفاته صورة للعصر الذي عاش فيه من الناحية السياسية ومن الناحية الأدبية. فمن كتبه: عرائس الأمراء ونفائس الوزراء - أعيان مدينة فاس - مستودع العلامة ومستبدع العلامة^(١) - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك - فريد العصر في شعر بني نصر - شرح البردة (للبوصيري) - ثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان - ثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان - حديقة النسرين في أخبار بني مرين - روضة النسرين^(٢) في أخبار بني عبد الواد وبني مرين (ألفها سنة ٨٠٧ هـ)، - تأنيس النفوس في اكمال نقط العروس (للسان الدين بن الخطيب) - نظم وشرح كتاب رقم الحلال (للسان الدين بن الخطيب)^(٣) - فهرست ابن الأحمر^(٤).

(١) الاسم غريب غامض الدلالة. ويقال إن كلمة العلامة الثانية بتشديد اللام (راجع ثير فرائد الجمان ١٣٢). العلامة (بتسهيل اللام، بلا تشديد)، في الأصل: الطراز (رسم اسم الملك على الأوراق والثياب والأسلحة الخ). وصاحب العلامة أصبح يطلق في الأندلس على رئيس ديوان الانشاء.

(٢) ألف أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر هذا الكتاب أولاً برسم السلطان المريني أبي العباس أحمد المستنصر بالله بن إبراهيم (٧٧٦-٧٨٦ هـ) وب عنوان «النفحة النسرينية واللمحة المرينية» ووقف به في تاريخ بني مرين عند سنة ٧٨٩ للهجرة (١٣٨٧ م). ثم جعل له مقدمة جديدة برسم السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أحمد (٨٠١ وما بعد) وجعل له أيضاً عنواناً جديداً هو «روضة النسرين...» (راجع بروكلمان، الملحق ٢: ٣٤٠).

(٣) كتاب «رقم الحلال الموشية» لسان الدين بن الخطيب تاريخ موجز لدول الإسلام نظمها ابن الخطيب شراً ثم جعل عليه ابن الخطيب شرحاً قصيراً. ويبدو أن أبا الوليد بن الأحمر قد وصل هذا الكتاب (أي: زاده واستمر فيه، نظماً وشرحاً، على غرار ما كان لسان الدين قد فعل).

(٤) الفهرست: البرنامج = فهرست ابن الأحمر أو برنامج ابن الأحمر: كتاب تكلم فيه ابن الأحمر على شيوخه (أساتذته).

وأبو الوليد بن الأحمر شاعرٌ وناثر. له في الشعر قصائدٌ ومقطعاتٌ أكثرها شعرٌ مناسباتٌ يَغلبُ عليها المديحُ، وفيها شيءٌ من الرثاء والغزل وبعض الأغراض الإخوانية. أما أماديجهُ فأكثرها في بني مرين الذين عاشَ في كَنَفِهِمْ لاجئاً وفي نفرٍ من رجالِ دولتهم، وقد مدَحَ أيضاً الغنيَّ بالله النَّصْرِيَّ - وهو مُحَمَّدُ (الخامس) بنُ يوسفَ بنِ الأحمر ثامنُ ملوكِ غرناطة. غيرَ أنَّنا لا ندري متى مدَحَ الغنيَّ بالله هذا: أحينَ كان الغنيَّ بالله ملكاً على عرش غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) أم حينَ كان في فاس لاجئاً (٧٦١ - ٧٦٣ هـ)؟

ولأبي الوليد بن الأحمر نسيبٌ وغزلٌ ليس فيها براعةٌ خاصَّة. وله أيضاً بديعياتٌ أو مولدياتٌ في مدحِ مُحَمَّد رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم. ثمَّ له أيضاً عددٌ من الأخوانيات لا تخرجُ عن نطاق المديح كثيراً.

وفي شعر أبي الوليد بن الأحمر صناعةٌ وتكلفٌ يُلقيان على شعره شيئاً من جفافِ شعرِ العلماء والفقهاء. ولأبي الوليد بن الأحمر ثَرٌّ ينقسمُ ترسلاً يكثرُ فيه التأتُّق والتكلفُ وتدويناً في الكتبِ مُرسلاً فيه محاولةٌ للجري على سجيَّة النفس.

٣ - المختار من آثاره

- قال أبو الوليد اسماعيلُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمر في مَوْلِدِيَّةٍ (بديعِيَّةٍ يَمْدَحُ بها رسولَ الله):

ففي الماءَ لَمَّا مِنْ أَصَابِيهِ انْهَمَى	لَمُعْجِزَةً مَا فِي الْبَرَامَا ضَرِيْبُهَا ^(١) .
وفي الماءَ - لَمَّا جَاَزَهُ - وَمِيَاهُهُ	بِهِ الْأَرْضُ يُرْوَى حَزْنُهَا وَسُوءُهَا ^(٢) ؛
فَلَمْ تَنْدَ أَخْخَافُ الْمَطْيِيَّ بِمَائِهِ،	وَأَمْوَاهُهُ مَا خِيفَ مِنْهَا رُسُوبُهَا ^(٣) .

(١) من المعجزات التي تروى للرسول أن الماء سأل من بين أصابعه حتى ارتوى الجيش العطشان. الضريب: المنيل، الشبيه.

(٢) الحزن: الأرض السهلة. السهب (بالفتح): الأرض الواسعة.

(٣) الخف: باطن قائمة الجممل. تندی: تبتل المطي: الحيوانات المدة للركوب. راسب الماء: غار في الأرض (كان الماء كثيراً إلى درجة أن الأرض ما كانت قادرة على امتصاصه).

إليك، رسولَ الله، نيرانَ لَوْعتي؛ فيها هُوَ شَوْقي الخارجي شبيهاً^(١).
هي النفسُ في آمالِ زوركِ سؤلها، ورغبتُها في أن يُتاحَ رغيها^(٢).

- وقال يمدح الغني بالله:

ألا يا عفاة الأرض، طرّاً تبادروا إلى جودِ ملكٍ جودهَ عَمَرَ الدنيا^(٣).
هو الفدُّ في الأملاك طرّاً لأنّه أجلُّهمَ قَدراً وأحسنُهمَ هَدياً^(٤).
هُمامٌ إذا ما الرّوعُ عَبَّ عبابُه وأبدي عليه النّقعُ من نّسجه زياً^(٥).
ولاحتْ بروقُ الهِنْدِ وامتلاً الفضا بصلّصالِ رَعْدِ الطّبلِ أعظُمَ به شيئاً^(٦)!
أراكَ مُحِيّاً تالياً سورةَ الضّحى وقلباً على الأعداءِ قد ركبَ البَغيا^(٧).
تعرّزَ منه الدّينُ لما أقامه، ولم يشكُ منه المُلْكُ وهناً ولا وهياً^(٨).
أنّاصَ على العافينَ طرّاً مواهباً بأفضالهِ وعداً لهمَ كان مأتياً^(٩).
حلّفتُ يميناً برّةً، ليس في الدُّنا مليكاً سواه للمعالي سعى سعيّاً.

- وقال في النسيب والغزل:

سَهَرْتُ في مَنْ جَفَنُهُ نائمٌ وذُبْتُ في مَنْ جِئْتُهُ ناعِمٌ.
ظَنَنْتُ ظُبى عَيْنَيْهِ فَعَالَةً بالقلبِ ما لا يَفْعَلُ الصّارمُ^(١٠).

(١) في البيت تورية: الخارجي: الظاهر (وأحد الخوارج). الشيب: رفعُ الفرسِ كلتا يديه، والشاعر يقصد: الشيوب، اشتعال النار. وشيب بن يزيد الشيباني (ت ٧٧ هـ - من رؤساء الخوارج وأبطالهم). يقول: ظاهر شوقي إليك كاشتعال النار أو كبطولة شبيب الخارجي، فكيف يباطنه.

(٢) الزور: الزيارة. السؤل: المطلب. الرغيب: النهم (شدة الشوق).

(٣) العافي: الذي يطلب المعروف.

(٤) الفدّ: الفرد، الأوحد. الأملاك: الملوك.

(٥) الروع: الخوف (الحرب). عبّ عبابه (اضطرب موجه). النقع: غبار الحرب.

(٦) بروق الهند: لمعان (السيوف) الهندية.

(٧) سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسعون في المصحف. الضحى هو الوقت الذي يكون بعد شروق الشمس مباشرة (ويكون لامعاً جداً). أراك محياً...: فرحاً، ضاحكاً. البغي: الظلم.

(٨) تعرّز: اشتدّ، اعتزّز، قوى. الوهن: الضعف. الوهي (في الجدار): التهدّم و(في الثوب): التشقّق، التهرؤ.

(٩) مأتياً: آتياً لا شك فيه. تضمين من القرآن الكريم: ﴿إِنَّهٗ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (١٩: ٦١، سورة مريم).

(١٠) الظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. الصارم: السيف.

يَشَأْ عَنْ عَيْنَيْهِ سِكْرُ الْهَوَى فَكُلُّنَا مِنْ ثَمَلٍ هَائِمٍ^(١).
 شَكَوْتُ مَا بِي مِنْ جَوَى حُبِّهِ مِنْ وَلَّهِ لَعْلَهُ رَاحِمٍ^(٢).
 يَضْحَكُ فِي الْحُبِّ، وَأَبْكِي أَنَا. اللَّهُ فَمَا يَتَنَا حَامٍ!

- من مقدّمة نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان:

وبعد؛ فإنّ الأدبَ زَهْرٌ حَوْتُهُ مِنَ الْبِدَائِعِ كِيَامَةٌ، وَرَوْضٌ مُدَبِّجٌ^(٣) حَاكِهِ مِنَ الْحَامِدِ غَمَامَةٌ. وَهُوَ أَعْذَبُ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ الْهَيْمُ.... لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ ضَبْطِ الْقَوَافِي وَالْأَوْزَانِ، وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ مَسْرَحُهُ مِنْ بَدِيعِ الْحَلَاوَةِ وَالنَّفَاطِ الْمَذْهَبَةِ لِلْأَحْزَانِ. إِذْ بِهِ تَفَاوَتْ فِي النَّاسِ الْأَخْطَارُ، وَتَشَرَّفُ النَّفُوسُ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْأَقْطَارُ. وَلَمَّا كَانَ (الْأَدَبُ) فِي الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ فِي نَفُوسِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ.... وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي أَنَا فِيهِ مَنْ بَاقِيَ فِي نَظْمِهِ بِالْبَدِيعِ وَيُؤَفِّقُهُ، مِنْ كُلِّ أَسَدٍ فَحْلٌ يَسْتَنْزِلُ وَكَافِ الْإِجَادَةِ فِي مَحَلٍّ، مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ فِي الشَّعْرِ حَبِيبُهُ، وَهُوَ لِلْإِدْرَاكِ جَلِيلُهُ^(٤).... مِنْ مُحِبِّ مُتَفَرِّجٍ، وَمَادِحٍ لِلرَّفْدِ مُسْتَنْزِلٍ^(٥)، سَنَحَتْ لِأَهْلِهِ نَصِيحَتِي وَسَمَحَتْ بِعَمَلِهِ قَرِيحَتِي. فَجَمَعْتُ فِي هَذَا التَّأْلِيفِ مَا وَجَدْتُهُ لَهُمْ مُتَمَحِّقًا شُعَاعَهُ^(٦)، وَمَا أَلْقَيْتُهُ مِنْ نَفَائِسِ جَوَاهِرِهِمْ مُتَفَرِّقًا شُعَاعُهُ؛ مُعَوَّلًا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا طَابَ فَصْلُهُ وَفَرَعُ ذُرَى الْإِجَادَةِ فَرْعُهُ وَأَصْلُهُ. وَلَمْ أُعَوَّلْ إِلَّا عَلَى مَنْ فِي عَصْرِنَا نَبَغَ وَأَثَوَابَ التَّخَيُّلَاتِ الشُّعْرِيَّةِ فِي الْإِحْسَانِ صَبَغَ.... وَلَمْ أَثْبِتْ إِلَّا قَادِرًا لَا يُبَارِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِ، إِذْ تَبَرَّأَ مِنَ الْعِيٍّ وَمَقْتِهِ. وَضَرَبْتُ عَنْ غَيْرِهِمْ صَفْحًا.

- (١) الثمل: السكر. هائم: حائر (لا يدري ما يفعل).
- (٢) الجوى: ألم الحب. الوله: ذهاب العقل من الحزن.
- (٣) الكيامة: الكأس (الغلاف الأخضر) الذي تكون فيه الزهرة قبل أن تتفتح. مدبج: (ثوب من الحرير) مزين ومنقوش بالأشكال والألوان.
- (٤) الوكاف (كذا في الأصل: ص ٢١٦، السطر الخامس عشر): بردعة الحمار. والمقصود: الوكف (بالفتح) أو الوكيف أو الوكفان (بفتح ففتح): هطول المطر. محل (لعلها بفتح ففتح فتشديد) حبيب: حبيب بن أوس (أبو قام)، كناية عن البراعة في الشعر.
- (٥) الرغد: العطاء. مستنزل: الذي ينجح في استئزال شيء (إقناع الآخرين بفعله).
- (٦) الهاق (بالضم): ليلة آخر الشهر (لا ضوء قمر فيها). - من شعر جيد (له شعاع) ولكنه مستور، محبوب (لم ينشر بعد). الشعاع (بالضم): الضوء المنتشر. الشعاع (بالفتح): (الأشياء) المتفرقة.

والشعراء كثيرون، هم لأرياح الكلام مُثيرون... واقتَصَرْتُ فيه على مَنْ لِنَفْسِهِ أَشَدُّنِي، وَمَنْ بِنِظَامِهِ الْبَارِعِ اسْتَرْشَدَنِي مِمَّنْ رَأَيْتُهُ بِالْعِيَانِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَعْيَانِ، وَمَنْ بِنِسْبَةِ لِحَقَّتِهِ وَأَنْشِدَتْ لَهُ فَالْحَقَّتُهُ وَالْمُ يَا أَشَدُّنِي رِوَايَةً عَنْ قَائِلٍ أَعِينَهُ تَمَّا يَسْتَجِيدُهُ قَائِلُهُ وَيَزِينُهُ. وَغَرَضِي أَنْ أَكْتُبَ مَا أَجِدُهُ مِنَ الرِّسَالِ لِمَنْ ثَبَتَ اسْمُهُ وَأَضْمَنَهُ أَنْوَاعاً شَتَّى مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَأَحْسَنَ رَسْمِهِ؛ إِذْ هَذَا النُّوعُ الْإِنشَائِيُّ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ عُلُوُّهُ وَلَمْ يَتَقَلَّدْ حُلِيَّتُهُ مِنَ الْجِنْسِ الْإِنْسَانِيِّ إِلَّا الْآحَادُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمَلَ سُمُوهُ. وَجَعَلْتُهُ عَلَى فُصُولٍ أَرْبَعَةٍ: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فِي شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ - الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ الْمَغْرِبِ؛ وَهَذَا الْفَصْلُ أَجْعَلُهُ عَلَى تَوْعَيْنٍ: النُّوعِ الْأَوَّلِ فِي شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَالنُّوعِ الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ بَرِّ الْعُدُوَّةِ.

وَسَمَّيْتُهُ تَثِيرَ فَرَائِدِ الْجُهَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ، مِنْ أَهْلِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ فُرْسَانِ الْكِتَابَةِ الْكَامِنَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْقَوَافِي مِنْ كُلِّ مَدِيدِ الْخَوَافِي^(١)، مِمَّنْ تُثْنِي عَلَى مَفَاخِرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ وَتَقُومُ بِأَمْدَاحِ شَرْفِهِ خُطْبَاءُ الْمَنَابِرِ، مِنْ قَفِيهِ كَاتِبِ مُجَدِّدِ التَّسْوِيدِ، وَعَالِمٍ كَانَ مِنْهُ لِإِقْرَاءِ الْعُلُومِ مَا حُمِدَ بِالتَّجْوِيدِ؛ وَمَنْ أَدِيبٌ ذِي جَاهٍ عَرِيضٍ سَلَكَ مِنَ الْإِدْرَاكِ بَرَوْضٍ أَرِيضٍ^(٢). وَعَلَى مَنْ أَدْرَكَتْهُ جِنْتُ التَّغْوِيلِ، وَغَيْرُ مَا يُؤْمَلُ الْمَرْءُ فِإِثْبَاتِهِ مِنْ أَعْمَالِ التَّهْوِيلِ.

٤- روضة النسرین فی دولة بنی مرین، الرباط (المطبعة الملكية) ١٣٤٤ هـ، ثم ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م.

- مستودع العلامة ومستبدع العلامة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ومحمد التركي التونسي)، منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط، تطوان ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م.

- تثير فرائد الجہان في نظم فحول الزمان، (دراسة وتحقيق «بقلم» محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م.

★★ جذوة الاقتباس ٩٩؛ درة الحجال ١: ١١٦؛ نيل الابتهاج (القاهرة) ٩٨-٩٩؛

(١) الكيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس في المائة الثامنة (٧٠١-٨٠٠ هـ) كتاب لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) الخافية: الریة الطويلة في مقدمة الجناح (كناية عن القوة على الطيران).

(٢) الأریض: (المكان) الكثير الثبت الحسن المنظر.

تثير الجان في نظم فعول الزمان، ص ٣٧٧-٤٠٤ (ترجمة له) ثم راجع مقدمة الحق؛ أزهار الرياض ١: ١٨٦، ٢٩١-٢٩٢، ٣: ١٩٥-١٩٨، بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠، الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩-٣٣٠)، مجلة البحث العلمي (ماي-غشت = أيار-آب ١٩٦٤)، ص ٢٥٤-٢٦٧، معجم المؤلفين ٢: ٣٠١.

يوسف بن يوسف بن الأحمر

١- هو الثالث عشر من ملوك غرناطة: أبو الحجاج يوسف الناصر (الثالث) بن يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس: الغني بالله) بن أبي الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل (الأول) بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر.

تلقى يوسف بن يوسف بن الأحمر أشياء من علمه على أبي محمد عبد الله بن جزي وأبي عبد الله الشريشي والقاضي أبي عبد الله محمد بن علاقي والصوفي أبي مهدي بن الزيات. ثم جاء إلى العرش بعد موت أخيه محمد، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م). وقد كانت أيامه أيام ضعف واضطراب من استمرار تنازع أمراء بني الأحمر على البقعة الصغيرة التي كانوا يحكمونها ومن إلحاح الإسبانيين على أطراف غرناطة بالاستيلاء قدرة أو حيلة. وكانت وفاة يوسف بن يوسف سنة ٨١٩ هـ (١٤١٧ م).

٢- كان يوسف بن يوسف بن الأحمر أديباً ناثراً وناظماً ومُصنفاً. وفنون شعره المولديات والرقاء والحماسة والغزل والشكوى. وشعره عادي ظاهراً الضعف أحياناً تلمح فيه تقليد شعراء المارقة يسر كقولهِ، مثلاً (ديوان ١٣٧):

يا آل يوسف، لي في قُطْرِكُمْ قَمَرٌ قد ظلّ من فلكِ الأزرار (٢) مَطلَعُهُ

من قول ابن زريق البغدادي:

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا بالكَرْخ (٣) من فلكِ الأنوارِ مَطلَعِهِ.
وصَنَّفَ يوسف بن يوسف ديوان ابن زَمْرَك (قُتِلَ ٧٩٦ م).

(١) في زامباور (ص ٩٤) سنة ٨٢٠ هـ.

(٢) الأزرار: مدخل التوب في الضيق.

(٣) الكرخ: الجانب الغربي من بغداد.

٣- مختارات من آثاره

- قال يوسف بن يوسف بن الأحمر:
خَلِيلِي، مَهْلًا! فَالزَّمَانُ كَمَا تَدْرِي. وَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ عَلَى أَثَرِ الْعُسْرِ.
فَمَهْمَا دَهَا صَحَوُ فَلَا بُدَّ مِنْ قَطْرِ، وَمَهْمَا دَجَا خَطْبٌ فَلَا بُدَّ مِنْ فَجْرِ^(١).
وَالطَّافُ صُنِعَ اللَّهُ رَائِعَةُ الْبَشَرِ^(٢).

على العدل يجري حكمه وقضاؤه، وَمِنَّا لَهُ التَّسْلِيمُ فِيمَا يَشَاؤُهُ.
وَمَنْ كَانَ بِالْحَقِّ الْيَقِينَ اهْتَدَاؤُهُ رَأَى النُّصْرَ خَفَاقًا عَلَيْهِ لَوَاؤُهُ.
وَسُخْفًا لِبَاغٍ حَادٍ عَنْ عِلْمِ النُّصْرِ.

رَضِيتُ بِمَا يَرْضَاهُ رَبِّي وَنَاصِرِي: مُجَاهِدَةً بَيْنَ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ؛
وَبَيْنَ افْتِكَارِي فِي الْعَدُوِّ الْمُحَاصِرِ أَنْصَادِي إِلا هَا عَالِمًا بِالسَّرَائِرِ،
عَسَى عَطْفَةً مِنْ عَالَمِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ^(٣).

إِلَيْهِ اسْتِنَادِي حَيْثُ حَلَّتْ رِكَائِي، عَلَيْهِ اعْتَادِي فِي جَمِيعِ الْمَطَالِبِ
وَخَيْرِ شَفِيعٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ وَأَتْبَاعِهِ مَا بَيْنَ سَبْطٍ وَصَاحِبٍ
وَمَا جَاءَ فِي الْفُرْقَانِ وَالشَّعْفِ وَالْوَتْرِ^(٤).

- وقال في الشكوى من حال الأندلس والحرب:

وَمِمَّا أَهَاجَ الْوَجْدَ مِنِّي وَالْبُكَاءَ وَمِيضٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ يُلُوحُ^(٥).
تَعَرَّضَ مِنْ دُونِ الْمُصَلَّى، وَدُونَهُ مَجَالٌ لِأَيْدِي النَّاعِجَاتِ فَسِيحُ^(٦).

(١) صحو: انقطاع المطر (لعل المقصود: قحط). القطر: المطر.

(٢) البشر يمكن أن تكون بضم الباء وتسكين الشين (بدل فتحها، جوازاً في الشعر) جمع بشري.

(٣) عالم النهي والأمر: الملاء الأعلى (من لدى الله).

(٤) لؤي بن غالب من أجداد رسول الله. السبط: ابن البنت (الحسن والحسين سبطا رسول الله). الصاحب واحد صحابة الرسول. الفرقان: القرآن. الشفع والوتر إشارة إلى سورة الفجر (٨٩: ١-٣): ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّعْفِ وَالْوَتْرِ﴾.

(٥-٦) الوجد: الشوق. الرقمتين اسم مكان لا يقصد هنا به علماً معيناً، والمصلّى مثله. الناعجات: النوق السريمة.

بَلِيلِ كَأَنَّ الشُّهْبَ فِيهِ فَوَارِسٌ يُسَلُّ عَلَيْهَا لِلْبُرُوقِ صَفِيحٌ^(١).
فَيْنَ بَيْنِ هَاوٍ قَدْ تَكَدَّرَ وَاخْتَفَى، وَآخَرَ خَفَاقِ الْفُؤَادِ جَرِيحٌ^(٢).
فَإِنْ يَكُ لَيْلُ الْمَهْجَرِ لَيْسَ يُنْقَضُ فَلِلصَّبْرِ وَجَهُ بِالصُّبْحِ صَبِيحٌ.
سِيرَضَى بِحُكْمِ السِّيفِ مِنِّي مُسْرِفٌ، وَيَسْمَحُ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ شَحِيحٌ^(٣).
أَنَا الْيُوسُفِيُّ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي أُيِّدُ ذَرَارِيَّ الْعِدَا وَأَيِّحُ.
يُصْرِّحُ مَلِكُ الرُّومِ جُهْدًا بِصُلْحِهِ، وَبُرْهَانُ مَقْصُودِي لَدَيْهِ صَحِيحٌ^(٤).
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْحُرُوبِ تَطَلُّعٌ، وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْجِهَادِ طُمُوحُ؟
وَأَنْ مَقَامِي لَا مَقَامَ يَرُوقُهُ، فَلَيْسَ قُتُورًا أَنْ تَقِلَّ قُتُوحُ^(٥)!

٤- ديوان ملك غرناطة: يوسف الثالث (حققه عبدالله كنون)، تطوان ١٩٥٨ م؛ الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
★ درة الحجال ٢: ٢٨٣؛ نفع الطيب ٤: ٣٠٣ (٩)؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٥٩)؛ مجلة «دعوة الحق» (المغرب)، مقال لأحمد العراقي الفاسي، في عدد (عدي)؟ رمضان وذي الحجة ١٣٩٢ هـ.

ابن جابر النّسائي المكناسي

١- في «الأعلام» للزركلي (٦: ٢٩٤): مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ النَّسَائِيِّ الْمِكنَاسِيِّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مِكنَاسَ، له «نظمُ المرقبة العُلَيَا في تعبير الرؤيا» ثم (٨: ١٠): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ النَّسَائِيِّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مِكنَاسَةَ، له نظمٌ في علمِ الرؤيا.

وإذا نحن رَجَعْنَا إِلَى نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) والنَّبُوغِ الْمَغْرِبِيِّ (ص ٢٢٩)

- (١) الشُّهْبُ: النجوم. الصَّفِيحُ: الصَّفْحَةُ المستوية من الحديد (السيف).
- (٢) هَاوٍ: غَائِبٌ (يغرب وراء الأفق في رأي العين). خَفَاقُ الْفُؤَادِ: يزهر (يومض تباعاً). جَرِيحٌ (لونه أحمر).
- (٣) الْعَرِيضُ (الكثير)؟. شَحِيحٌ: بَخِيلٌ.
- (٤) الرُّومُ: الإفرنج، نصارى أوروپة. جُهْدًا (٩) لَمَلًا: جَهْرًا.
- (٥) مَوْقِفِي كَمَلِكُ فِي غَرْنَاطَةَ لَا يَرْضَى أَحَدًا (الضعفي والضعف دولتي). قُتُورُ: هدوء، كسل. إِنَّ تَرَكَ الْحَرْبِ لَيْسَ عَنْ كَسَلٍ فِي وَلَكِنْ عَنْ عَجْزٍ مِنِّي.

والأدب المغربي (ص ٢٧٤) وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ جَابِرِ النَّسَائِيَّ الْمِكنَاسِيَّ مِنْ أَهْلِ مِكنَاسَةَ تَلْمِيزَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَنَانِ الْمِكنَاسِيَّ (ت ٧٩٢ هـ) وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ اللَّخْمِيَّ مِنْ سُكَّانِ مِكنَاسَةَ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ جَابِرِ النَّسَائِيَّ الْمِكنَاسِيَّ سَنَةَ ٨٢٧ (١٤٢٤ م).

٢- كَانَ ابْنُ جَابِرٍ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ أَدِيبًا شَهِيرًا (رَاجِعِ نَفْحَ الطَّيِّبِ ٥: ١٦٧) وَشَاعِرًا مُجِيدًا كَمَا كَانَ مُصَنِّفًا بَارِعًا وَعَالِمًا بِالْقَرَاءَاتِ لَهُ (رَاجِعِ نِيلَ الْإِبْتِهَاجِ ٢٨٦): نَزْهَةُ النَّاطِرِ لِابْنِ جَابِرٍ (رَجَزٌ فِي التَّعْرِيفِ بِلِدِّهِ مِكنَاسَةَ) - كِتَابٌ فِي رَسْمِ الْقُرْآنِ - تَسْمِيطُ الْبُرْدَةِ (لِلْبُوصِيرِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٦) - نَظْمُ الْمَرْقَبَةِ الْعَلِيَا فِي تَعْبِيرِ الرُّوْيَا (لِابْنِ رَاشِدٍ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ

- قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ النَّسَائِيَّ الْمِكنَاسِيَّ مُخَصَّسًا بَيْتَيْنِ لِلِّسَانِ الدِّينِ فِي الْخُطْبِ فِي رَسُولِ اللَّهِ (نَفْحَ الطَّيِّبِ ٥: ١٦٧):

يَا سَائِلًا لِضَرْيَحِ خَيْرِ الْعَالَمِ يُنْهِي إِلَيْهِ مَقَامَ صَبٍّ هَائِمٍ^(١)،
بِاللَّهِ، نَادٍ وَقُلْ مَقَالَةَ عَالِمٍ: (يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ^(٢)
وَالْكَوْنُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ)^(٣).
بِشْنَاكَ قَدْ شَهِدَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمًا^(٤).
يَا مُجْتَنِبِي وَمُعْظَمًا وَمُكْرَمًا، (أَيْرُومُ مَخْلُوقُ ثَنَاءِكَ بَعْدَمَا^(٥).

- (١) يَا سَائِلًا (كَذَا فِي الْأَصْلِ). اقْرَأْ: يَا سَائِرًا! الضَّرْيَحُ: الْفَقِيرُ. خَيْرِ الْعَالَمِ (مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ). يُنْهِي..... (يَحْمِلُ إِلَيْهِ وَصَفًا لِحَالِ رَجُلٍ مَحَبٍّ لَهُ - هُوَ لَمْ يَسْتَطِعِ الذَّهَابَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ أَحَدَ الذَّاهِبِينَ إِلَيْهَا رَغْبَتَهُ).
- (٢) مُصْطَفَى: مُخْتَارٌ، مُنْتَقَى، مُفَضَّلٌ (اخْتَارَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولًا إِلَى النَّاسِ كَافَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ).
- (٣) الْكَوْنُ (مَصْدَرٌ «كَانَ - يَكُونُ»). وَالنَّاسُ يَلْحَنُونَ فَيُضَوْنَ بِالْكَوْنِ «مَجْمُوعُ الْوُجُودِ». أَغْلَاقُ (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ) وَالْمَلُوحُ أَنَّ الْوُجُودَ لَمْ يَظْهَرْ بَعْدَ.
- (٤) ثَنَاكَ = ثَنَاءُكَ (الْتِمَامُ عَلَيْكَ: بِصِفَاتِكَ الْجَمِيلَةِ).
- (٥) مَجْتَنِي: مُقَرَّبٌ، مُخْتَارٌ. أَيْرُومُ: أَيْطَلِبُ (أَيْطَلِعُ فِي مِثْلِ صِفَاتِكَ)؟

أثنى علي أخلاقك الخلاق^(١).

وقال مُورِيًّا بِالْبُرُقِ والعُقرب (وبالبراق والعقارب) مُتَغَزِّلًا (النبوغ المغربي ٧٤١،
الأدب المغربي ٢٧٤):

إِنْ خِضْتَ مِنْ قَتِكَ الْمُهَنْدِ والقَنَا؛ فَإِذَا رَنْتَ وَإِذَا مَشْتَ لَا تَقْرَبِ^(٢).
فِي قَلْبٍ بُرْقُعِهَا محَاسِنُ أَنْزَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ لَنَا بِقَلْبِ الْعُقْرِ^(٣).
★ حَلَّتْ عَقَارُبُ صِدْغِهِ مِنْ خَدِّهِ قَمَرًا فَجَلَّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ^(٤).
وَلَقَدْ عَهْدَنَاهُ يَحِلُّ بِبُرْجِهَا؛ فَمِنْ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ^(٥)!

- وقال في جَمَالِ مِكنَاسَةٍ (النبوغ المغربي ٧٦٤، الأدب المغربي ٢٧٦):

لَا تُتَكِرَنَّ الْحُسْنَ مِنْ مِكنَاسَةٍ، فَالْحُسْنُ لَمْ يَتَّحِ بِهَا مَعْرُوفًا.
وَلَيْتَ مَحَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ رُسُومَهَا، فَظَرَمْنَا أَبَقْتَ هُنَاكَ حُرُوفًا.

٤- دَرَّةُ الْحِجَالِ ٢: ٢٧٨؛ نِيلُ الْإِبْتِهَاجِ (القاهرة) ٢٨٦-٢٨٧ (٣٢١)؛ نَفْعُ الطَّيِّبِ ٥:
١٦٧؛ النُّبُوغُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٢٩، ٧٤١، ٧٦٤، ٨٠٩؛ الأدب المغربي ٢٧٤-٢٧٦؛ بروكلمن
٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٤، راجع ٨: ١٠ (٦: ٦٨ و ٧:
١٣٩)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٤٦.

أبو بكر بن عاصم

١- هو الرئيسُ أبو بكرُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ الْقَيْسِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ،

- (١) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٦٨: ٤ الْقَلَمُ) فِي خُطَابِ الرَّسُولِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾. الْخَلَّاقُ: اللَّهُ.
- (٢) الْمُهَنْدُ: الْحَيِّفُ (مَنْ صَنَعَ الْمُهَنْدَ). الْقَتَاةُ: الْقَصَبَةُ (الرَّمْعُ). رَنَّا يَرْنُو (نَظَرَ، تَطَلَّعَ). إِنْ كُنْتَ تَخَافُ الْهَلَكَ فَلَا تَنْظُرْ (إِلَى هَذِهِ الْقَتَاةِ الْجَمِيلَةِ) إِذَا هِيَ نَظَرَتْ إِلَيْكَ أَوْ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِكَ.
- (٣) فِي قَلْبٍ (وَسَطٍ) بَرَقْعَا نَحَاسَتَيْنِ (وَتَجْهًا). هَذِهِ الْحَاسِنُ جَلَّتْ مِنْ وَجْهِهَا قَمَرًا (شَيْئًا جِيلًا) بِقَلْبٍ (بِمَكْسٍ) الْعُقْرِ = عَقْرَبُ بَرَقْعٍ. هُنَا تَوْرِيَّةٌ: الْعُقْرِ: بَرَجٌ (جَمْعُ نَجُومٍ) يَرَبُّ بِهَا الْقَمَرُ (فِي رَأْيٍ قَدَمَاءِ الْفَلَاحِيِّينَ). - وَالْعُقْرِبُ (الْحِشْرَةُ السَّامَةُ الْمَعْرُوفَةُ).
- (٤) عَقَارِبُ تَهْدِفُهُ (كَتَابَةُ عَنْ مَحْضِلِ الشَّعْرِ الْمُتَدَلِّيَةِ مِنْ جَوَانِبِ رَأْسِهِ). جَلَّ: فَاقَ، ارْتَفَعَ.
- (٥) الْكَلَامُ عَلَى الْقَمَرِ (الْمُجُوبِ الْجَمِيلِ) وَفِيهِ تَوْرِيَّةٌ: الْقَمَرُ (الْجَرْمُ - بِكْسَرِ الْجِمِّ - السَّمَوِيُّ يَرِ عَادَةً بِبَرَجِ الْقَمَرِ - وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْعَقَارِبَ (خَصَلَ الشَّعْرَ) قَدْ تَدَلَّتْ مِنْ جَوَانِبِ رَأْسِ الْمُحِبُّوبِ (ثُمَّ هِيَ لَا تَضُرُّهُ).

وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةِ فِي ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٦٠ (١١/٤/١٣٥٩ م).

نشأ أبو بكر بن عاصم في غرناطة وتلقّى فيها علومه على خاليه: قاضي الجماعة أبي بكر بن جُزَيٍّ ثم رئيس علماء اللسان أبي إسحاق بن جُزَيٍّ^(١). ومن أخذ عنهم أبو بكر ابن عاصم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج النميري (٧١٣ - ٧٦٨ هـ) وأبو سعيد ابن لُبٍّ (ت ٧٨٢ هـ) وأبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٦٠ هـ). وأبو محمد عبد الله بن الشريف التليساني (ت ٧٩٢ هـ) وأبو عبد الله القيجاتي (القيجاطي) وأبو عبد الله بن علاّق وأبو الحسن عليّ ابن منصور الأشهب وأبو عبد الله البُلَنسِيّ.

كان أبو بكر بن عاصم قد بدأ حياته العملية بالوراقة (تجليد الكتب وبيعها) ثم أصبح قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في غرناطة^(٢)، كما كان قد تولّى الكتابة (الوزارة) - في غرناطة أيضاً - مدة يسيرة^(٣). وكانت وفاته يوم الخميس في الحادي

(١) لم أهد إلى تفصيل أمرها.

(٢) في نفح الطيب (٥: ١٩) ترجمة لأبي بكر بن عاصم، علّق عليه المحقّق (في الحاشية) أن أبا بكر بن عاصم هذا «كان من أكابر فقهاء غرناطة، تولّى قضاءها سنة ٨٨٨ (للهجرة)؛ وله مؤلفات منها شرحه على تحفة والده في الأحكام....». ومع أن رقم الحاشية موضوع على اسم «أبي بكر بن عاصم» لا على اسم ابنه أبي يحيى بن عاصم «(المذكور في السطر السابق)، فإن تاريخ الوفاة (أزهار الرياض ١: ١٤٥): «وليّ القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة» (كذا بالأحرف) خطأ (لأن أبا بكر توفي سنة ٨٢٩، وتوفي ابنه أبو يحيى سنة ٨٦٠ هـ). والصواب ما جاء في «نيل الابتهاج» (ص ٣١٣): «تولّى القضاء عام ثمان وثلاثين وثمان مئة» (بالأحرف أيضاً). وقد نبّه على ذلك أيضاً خير الدين الزركلي (الأعلام، طبعة عام ١٩٧٩ م، ٧: ٤٨).

(٣) في «نفح الطيب» (٧: ١٦٩)، راجع «أزهار الرياض ٢: ١٩»: وقُدّم للكتابة الفقيه ابن عاصم (أي أبو بكر) لمدة من عام (مدة يسيرة من عام). وفي «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٢٩): «واستوزره يوسف الثاني الغني بالله صاحب غرناطة». - ويبدو أن تقوم هذه الجملة أن يقال: يوسف الثاني بن محمد الخامس الغني بالله. أمّا يوسف الثاني فقد جاء إلى عرش غرناطة، سنة ٧٩٣ ثم خلع (٩٧٩)، وكانت وفاته سنة ٧٩٦ هـ، فيما يبدو. وأمّا محمد (الخامس) الغني بالله فقد تولّى عرش غرناطة في حقبتي (بكر الحاء): من ٧٥٥ إلى ٧٦٠ (ولم يكن أبو بكر بن عاصم قد ولد بعد) ثم من ٧٩٣ إلى ٧٩٦ للهجرة. وعلى كلّ حال فإن أبا بكر بن عاصم لم يكن قد برأ في الإدارة (الوزارة)، فقد جاء في «أزهار الرياض» (٢: ٢٦٤، السطرين ١١ و ١٢): «... (وعندي) حيلة أقيم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي..... ابن عاصم (من جمع أموال الجباية) في عشرين عاماً». أو لعلّ أبا بكر ابن عاصم لم يكن ظالماً في جمع المال من الرعيّة.

عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ، سَنَةِ ٨٢٩ (١٥/٨/١٤٢٦ م).

٢- كان أبو بكر بن عاصم مُتَضَلِّعاً من القراءات وبارعاً في النحو يجمع بين القياس والسَّماع، وإن كان أميل إلى رأيِ البصريين في السَّماع^(١). وكذلك كان أديباً عارفاً بالبلاغة والعروض، كما كان مشاركاً في المنطق وعلم العدَد (الحساب) والفرائض (تقسيم الإرث)، ثم كان أديباً ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً في عدد من فنون المعرفة. فمن تصانيفه: تحفة الحكام في نُكَّتِ المَقُود والأحكام (١٦١٨ بيتاً من الرَّجَز) - حقائق الأزهار (أو حديقة الأزهار) في مُسْتَحْصِنِ الأجوبة والمُضْحِكَات والحِكَم والأمثال والحِكَايَات والنوادر (وهذان الكتابان وصلاً إلينا وطبعاً). ثم كانت له كُتُبٌ (لا نعلم أنها باقية)، منها (أراجيز): مَهَيَّجٌ (في نيل الابتهاج: منبع) الوُصُولِ في علم الأصول (أصول الفقه) - مُرْتَقَى الوُصُولِ للأصول^(٢) (الأرجوزة الصغرى) - نَيْلُ الْمُنَى في اختصار المُوافَاقَات (للساطبي) - المُوجَزُ في النحو (حاذى به رَجَزُ أبْنِ مالِكٍ في عَرْضِ البَسْطِ له والمُحَاذَاة لِقَصْدِهِ) - ثم قصائد: إيضاحُ المعاني في القراءات الثماني (في نيل الابتهاج: في قراءة أبي عمرو الداني، المتوفى سنة ٤٤٤ هـ) - الأملُ المَرْقُوبُ في قراءة يَعْقُوبَ^(٣) - كَنْزُ المُفَاوِضِ في علم الفرائض.

٣- مختارات من آثاره

- من العاصمية (تحفة الأحكام):
الحمدُ لله الَّذِي يَقْضِي وَلَا يَقْضَى عَلَيْهِ، جَلَّ شَأْنًا وَعَلَا^(٤).
ثُمَّ الصَّلَاةُ بِدَوَامِ الْأَبَدِ عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ^(٥)،
وَأَلِهِ وَالْفِتْنَةُ الْمُتَبَعَةُ فِي كُلِّ مَا قَدْ سَنَّهُ وَشَرَعَهُ^(٦).

(١) راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٧.

(٢) بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥.

(٣) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري (١١٧ - ٢٠٥ هـ) أحد القراء العشرة.

(٤) يقضي: يحكم (على الناس بما يصبیهم)، يفصل في خلافاتهم.

(٥) الأبد: الدهر.

(٦) الفتنة (الجماعة) المتبعة (لشريعته): المسلمون. سنه: جملة سنة (طريقة للحياة يستحسن العمل به). شرعه:

أوجب العمل به (جملة شريعة).

وبعد، فالقصد بهذا الرجز
 آثرت فيه الميل للتيسير
 وجئت في بعض من المسائل
 فضمنته المفيد والمقرب
 نظمته تذكرة، وحين تم،
 سمّيته بـ «تغفة الحكم»
 وذاك لما أن بُليت بالقضا،
 وإنني أسأل، من ربّ قضي
 والحمل والتوفيق أن أكونا
 حتى أرى من مفرد الثلاثة
 (باب القضاء وما يتعلق به):

منفذ بالشرع للأحكام له نيابة عن الإمام (٨).

(١) آثرت: فضلت. التضمن: تداخل بعضه ببعض (جعلته مفصلاً تفصيلاً واضحاً). والتضمن عند
 العرويين (بالفتح: علماء الشرع): أن يكون تمام معنى البيت من الشعر في البيت الذي يليه، كقول أبي
 نواس:

الحمد لله، أني - على حدائفة سي -
 فقت الحبّين طراً يبعث ما شاع عني.

(فإن خبر «إن»، في البيت الأول، «فتت» في البيت الثاني).

(٢) بالخلف (باختلاف الأقوال) لاشتغال القائل (إذا كان الذين جاءوا بهذه الأقوال المختلفة من المشهورين
 بالعلم والصدق).

(٣) تذكرة: تذكيراً (لي). ما تمّ به البلوى (حاجة الناس إليه). ألم بالموضوع: تناوله باختصار.

(٤) النكت (هنا): الأمور التي تبدو غامضة، والأمور الجزئية التي يغلطها الناس أحياناً. العقود (جمع عقد
 بالفتح): ما يتفق عليه الفريقان كتابة.

(٥) أطلب من الذي قضى عليّ (أي الله) بأن أكون قاضياً أن يرفق بي في القضاء (في حالي يوم القيامة).

(٦) الحمل (القدرة على القيام بما يوجبه عليّ منصب القاضي).

(٧) في الحديث الشريف: القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: من مفرد الثلاثة (الواحد
 الذي هو في الجنة).

(٨) القاضي هو المنفذ للأحكام بمقتضى الشرع نيابة عن الإمام (الذي هو الخليفة).

وَأَسْتُخِينَتْ فِي حَقِّهِ الْجَزَالَةَ، وَأَنْ يَكُونَ ذَكَرًا حُرًّا سَلِمَ وَيُسْتَحَبُّ الْعِلْمُ فِيهِ وَالْوَرَعُ، وَحَيْثُ لَاقَ لِلْقَضَاءِ يَقْعُدُ، وَشَرْطُهُ التَّكْلِيفُ وَالْعَدَالَةُ^(١).
 مِنْ قَدَرِ رُؤْيَا وَسَمْعٍ وَكَلِمٍ. مَعَ كَوْنِهِ الْحَدِيثُ لِلْفَقْهِ جَمْعٌ^(٢).
 وَفِي الْبِلَادِ يُسْتَحَبُّ الْمَسْجِدُ^(٣).
 (فصل في مسائل من القضاء):

وَلَيْسَ بِالْجَائِزِ لِلْقَاضِي - إِذَا
 وَالصَّلَاحُ يَسْتَدْعِي لَهُ إِنْ أَشْكَلَا
 مَا لَمْ يَخَفْ بِنَافِذِ الْأَحْكَامِ
 وَفِي الشُّهُودِ بِحُكْمِ الْقَاضِي بِمَا
 لَمْ يَنْدُ وَجْهُ الْحُكْمِ - أَنْ يُنْفَّذَا^(٤).
 حُكْمٌ، وَإِنْ تَعَيَّنَ الْحَقُّ فَلَا^(٥).
 فِتْنَةً أَوْ شَخْنًا أَوْلَى الْأَرْحَامِ^(٦).
 يَعْلَمُ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ^(٧).

- (١) تَوَلَّى مَنْصِبَ الْقَضَاءِ نَوْعَانِ مِنَ الشُّرُوطِ: الْعَدَالَةُ (وَهِيَ شُرُوطٌ وَجُوبٌ، وَهِيَ التَّكْلِيفُ أَوْ الْعَقْلُ وَالذِّكُورَةُ وَالْحُرِّيَّةُ وَسَلَامَةُ الْحَوَاسِ بِالْأَلَا يَكُونُ أَعْمَى أَوْ أُخْرَسَ، الْخ) ثُمَّ شُرُوطُ كِبَالٍ وَمِنْهَا الْجَزَالَةُ أَوْ أَصْلَةُ الرَّأْيِ (الْقَامُوسُ الْمِجِيطُ ٣: ٣٤٨) وَسَمَةُ الْعِلْمِ وَالْوَرَعُ أَوْ التَّطَفُّعُ عَنِ الْمَغْرِبَاتِ ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ بِالْحَدِيثِ وَالْفَقْهُ مَعًا، الْخ).
- (٢) الْوَرَعُ: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، التَّرَقُّعُ عَنِ الْأُمُورِ الدُّنْيَا. مَعَ كَوْنِهِ الْحَدِيثُ الْخ: مَعَ أَنْ حَفِظَهُ لِلْحَدِيثِ يَكْفِي (لَأَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ جُمِعَ أَبْوَابُ الْفَقْهِ كُلُّهَا؟) أَوْ اقْرَأْ: مَعَ كَوْنِهِ الْحَدِيثُ (بِالنَّصْبِ) وَالْفَقْهُ (الْعِلْمُ بِأُمُورِ الدِّينِ) جَمْعُ (فَعْلٍ مَاضٍ) مُؤَخَّرٍ نَصَبَ مَا قَبْلَهُ، أَيْ الْحَدِيثَ وَالْفَقْهَ: يَجِبُ أَنْ يُضَيَّفَ (الْقَاضِي) إِلَى الْعِلْمِ (الْعَامِّ) وَالْوَرَعِ مَعْرِفَةُ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهَ.
- (٣) وَالْقَاضِي يَجْلِسُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَمَاكِنِ الصَّغِيرَةِ وَالْبَعِيدَةِ حَيْثُ يَلِيقُ الْجُلُوسُ لِلْقَضَاءِ. أَمَّا فِي الْبِلَادِ (الْمَدَنِ) فَيَحْسَنُ أَنْ يَجْلِسَ لِلْحُكْمِ فِي الْمَسْجِدِ.
- (٤) لَا يَجُوزُ لِلْقَاضِي أَنْ يَصْدُرَ حُكْمُهُ قَبْلَ أَنْ يَبْدُو لَهُ وَجْهُ الْحَقِّ فِي الْقَضَايَا الْمَعْرُوضَةِ عَلَيْهِ.
- (٥) إِذَا تَعَذَّرَ عَلَى الْقَاضِي أَنْ يَفْصَلَ فِي قَضِيَّةٍ مَعْرُوضَةٍ عَلَيْهِ (لِفُتُورِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ) فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُو الْمُتَخَاصِمِينَ إِلَى الصَّلَاحِ (بِأَنْ يَتَنَازَلَ كُلُّ خَصْمٍ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَقِّهِ). أَمَّا إِذَا ظَهَرَ لِلْقَاضِي أَنَّ الْحَقَّ فِي جَانِبِ أَحَدِ الْمُتَخَاصِمِينَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ لِذَلِكَ الْخَصْمِ.
- (٦) وَلَكِنْ إِذَا أَتَيْنِ الْقَاضِي أَنْ يَحْكُمَ لِأَحَدِ الْمُتَخَاصِمِينَ سَيَجْرُ إِلَى فِتْنَةٍ (قِتَالٍ) أَوْ شَخْنٍ (حَقْدٍ وَبَغْضَاءٍ) بَيْنَ قَوْمِي الْمُتَخَاصِمِينَ (لَأَنَّ الْخَصْمَ الَّذِي حُكِمَ عَلَيْهِ قَوِيٌّ شَرِيْرٌ) فَيَجُوزُ لَهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَدْعُوَ الْغَرِيبَيْنِ إِلَى الْمَصَالِحَةِ. أَوَّلُ الْأَرْحَامِ: الْأَقَارِبِ.
- (٧) وَجُوزُ الْقَاضِي أَنْ يَقْبَلَ شَهَادَةَ الشُّهُودِ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ (وَيَعْرِفُ أَنَّهُمْ عَدُولٌ) شَخْصِيًّا. وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ يَجِيزُونَ ذَلِكَ.

وفي سواهم مالكٌ قد شدّدا في منع حكمه بغير الشّهاد^(١)
وقولٌ سخّون به اليوم العمل فيما عليه مجلس الحكم آشتل^(٢)....

(باب الشهود وأنواع الشهادات):

وشاهدٌ صِفَتُهُ الرّعيّة عدالةٌ، يَقيظُ، حُرّيّة^(٣)
والعدلُ من يَجْتَنِبُ الكبائر ويَتَّقِي في الغالب الصغائر^(٤)
وما أيسحَ، وهو في العيان، يقدحُ في مروءة الإنسان^(٥)
فالعدل في التبريز ليس يقدحُ فيه سوى عداوة تُستوضح^(٦)
وغيرُ ذي التبريز قد يُجرّحُ بغيرها من كلّ ما يُستقبَح^(٧)
ومن عليه وسمٌ خيرٌ قد ظهر زكّي، إلّا في ضرورة السّفَر^(٨)

- (١) إنّ الإمام مالكا (ت ١٧٩ هـ) فقيه أهل المدينة قد منع أن يحكم القاضي في القضايا بعلمه من غير استماع إلى الشهود وأوجب أن يستمع القاضي إلى الشهود ويحكم بما يتضح له من أقوالهم.
- (٢) سخّون هو عبد السلام بن سعيد من كبار فقهاء المالكية (ت ٢٤٠ هـ) قد قبل أن يحكم القاضي في عدالة الشهود بعلمه (يقبل شهادة من يعلم هو عدالته ويرفض شهادة من كان عنده مجروح العدالة).... وإذا حكم القاضي (في رأي فقهاء آخرين) بعلمه في عدالة الشهود وجرح عدالتهم انقلب شاهداً ولم يبق قاضياً.
- (٣) والشاهد يجب أن يتصف بصفات: العدالة (العدل، الإنصاف، النزاهة) وتيقظ (معرفة الأحوال المحيطة بالقضية، الوعي، العقل) والحرية (أن يكون حراً لا عبداً رقيقاً).
- (٤) الرجل العدل (المقبول الشهادة في القضاء) هو الذي لا يأتي الكبائر (شرب الخمر، ترك الصلاة.... الخ) ويتقي (يحافظ، يعتمد عن) الصغائر (الذنوب الصغيرة: النظر العارض إلى غير محرم، الميل إلى اللهو، سبق اللسان إلى ما لا يقصد الإنسان، ذكر أخيه بما يكره أخوه، إلخ).
- (٥) والأمور المباحة (الطعام، تربية الحيوانات الأليفة، التبول، الخ)، إذا فعلها الإنسان علناً (في الأسواق مثلاً) نسقط عدالته فلا تقبل شهادته. قدح: عاب، جرح، قلل من. المروءة: الصفة الأساسية في الإنسان (والتي تجعل منه أمراً لا بهيمة).
- (٦) أمّا الرجال المشهورون بالتمييز (بين قومهم): بالعلم والصدق والمكانة، فلا تبطل عدالتهم (قبول شهادتهم في المحاكم) إلّا إذا كان بينهم وبين أحد المتخاصمين عداوة ظاهرة.
- (٧) أمّا غير ذوي التمييز (راجع الحاشية السابقة) فكلّ عمل قبيح (الشرب في المأكول والمشروب والمزل، مثلاً) يسقط عدالتهم فلا تقبل شهادتهم.
- (٨) وسم: علامة. وسم خير: مظهر يدلّ على النبل وحسن الحال. إن مثل هذا الشاهد يجب أن يزكّي، في العادة. أمّا إذا اختلف جماعة مسافرون واحتكموا إلى قاضي بلدة يرون بها، فإن القاضي يقبل شهادة بعضهم على بعض (لتعذر تركيبتهم) إذا هو اقتنع بعدالتهم من مظهرهم الصالح في نظره.

وَمَنْ يَعْكِسَ حَالَهُ فَلَا غِنَى
بِحَالَةِ الْجَرْحِ، فَلَيْسَ تُقْبَلُ
عَنْ أَنْ يُزَكَّى. وَالَّذِي قَدْ أَعْلَنَّا^(١)
لَهُ شَهَادَةً وَلَا يُعَدِّلُ^(٢).....

(باب اليمين):

فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَأَعْلَى تُقْتَضَى،
وَمَا لَهُ بِأَلٍّ فِيهِ تَخْرُجُ
وَقَائِمًا مُسْتَقْبِلًا يَكُونُ
وَهِيَ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فِي الْأَعْرَفِ،
وَمَا يَقِلُّ حَيْثُ كَانَ يُخْلَفُ
وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ لِلْيَهُودِيِّ
فِي مَسْجِدِ الْجَمْعِ، الْيَمِينَ بِالْقَضَا^(٣)
إِلَيْهِ لَيْلًا غَيْرُ مَنْ تَبَرَّجَ^(٤)
مَنْ أَسْتَحَقَّتْ عِنْدَهُ الْيَمِينَ^(٥)
عَلَى وَفَاقِ نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ^(٦)
فِيهِ، وَبِاللَّهِ يَكُونُ الْحَلْفُ^(٧)
مَنْزِلُ التَّوْرَةِ لِلتَّشْدِيدِ^(٨)

- (١) أما الذي لا يدل مظهره على الصلاح (وقد يكون صالحاً) فيجب أن يزكى (أن يُثني عليه رجلان عدلان ويشهدا بصلاحه). وأما الذي يظهر عليه.....
- (٢) أنه غير صالح، فلا تقبل شهادته، ولا يطلب القاضي من أحد أن يزكّيه (لأنه لا يعدل: لا يمكن أن يصبح مقبول الشهادة).
- (٣) إذا كان لزيد عند عمرو دين مقداره ربع دينار فما فوق ثبت له ذلك الدين إذا هو حلف ميمناً في المسجد الجامع (المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة).
- (٤) أما في الأمور ذات البال (المهمة: القتل، الزنا، الرضاع، الخ) فيمكن (بحسب هذا البيت) أن تدعى المرأة لحلف اليمين في المسجد. المؤلف - إذا احتاج القاضي إلى أن تحلف امرأة ميمناً - أو أن يرسل القاضي إلى بيتها رجلاً موثقاً يسمع ميمنها من وراء حجاب.
- (٥) وصورة حلف اليمين أن يقف الحالف مستقبلاً (متجهاً إلى القبلة).
- (٦) واليمين - وإن تعددت في الأعرف (في المؤلف السائح)..... تكون على نية المستحلف (الخصم) لا على نية الحالف (إذا أنكر زيد أن لعمرو ديناً عنده، فطلب عمرو من زيد حلف يمين، فتكون هذه اليمين على ما يقصده عمرو. فلا يجوز لزيد أن يقول: أقسم... أنني غير مدين لك (ويضمر أنه غير مدين له بأمر معنوي من ضيافة أو معروف سابق).
- (٧) وإذا كانت اليمين تتعلق بمبلغ هو أقل من ربع دينار، فيجوز أن يكون حلف اليمين في مكان غير المسجد الجامع. والحلف لا يكون إلا بالله. فلا يجوز أن يحلف المسلم بالنبي أو بالمصحف أو بأبيه أو بشرفه، الخ.
- (٨) ولتأكيد اليمين يطلب من اليهودي أن يقسم بالله منزل التوراة، كما يطلب من النصراني (راجع البيت التالي) أن يقسم بالله منزل الإنجيل ذلك لأن مدرك الله في الإسلام يخالف مدرك «يهوه» عند اليهود ومدرك «الرب» عند النصراني. فإذا كان الحلف بالله منزل التوراة ومنزل الإنجيل أصبح مدرك الله في الإسلام هو المعتمد في حلف اليمين.

كما يزيد فيه للتثقيل على النصارى منزل الإنجيل .
وجُمْلَةُ الْكُفَّارِ يَخْلِفُونَا أَنْيَانَهُمْ حَيْثُ يُعْظَمُونَا (١).

٤- تحفة الحكماء في نكت العقود والأحكام (هوداس ومارتل)، الأجزاء ١- ٣، الجزائر ١٨٨٣ م، الجزء ٤ و ٥، باريس ١٨٨٨ م، الأجزاء ٦- ٨، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ فاس (طبع حجر) ١٢٨٩ هـ؛ تم ١٣٠٠، ١٣١٧، ١٣٢٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٩، ١٣٢٢، ١٣٢٧ هـ؛ (في مجموع) مع شرح «البهية» للتسولي ١٣١٠ هـ؛ تم ١٣١٧ هـ؛ (في مجموع) الجزائر ١٣٢٣ هـ؛ العاصمية أو تحفة الحكماء في نكت العقود والأحكام (نشرها وعلّق عليها ليون برشيه)، الجزائر (معهد الدراسات الشرقية - كلية الآداب بجامعة الجزائر) (١٩٥٨ م).

- شروح على تحفة الحكماء:

★ البهية لعلّي بن عبد السلام التسولي الشراوي (بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥)، بولاق ١٢٥٦ هـ؛ ١٢٨٩ - ١٢٩٠ هـ؛ فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ بيروت، الطبعة الثالثة (دار المعرفة) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.

★ الإقتان والأحكام في شرح تحفة الحكماء، لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت ١٠٧٢ هـ)، فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤، ١٢٩٨ - ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١٦ هـ.

(٥) حاشية على شرح الإقتان والأحكام، لمحمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون، فاس ١٢٩٣ هـ؛ حاشية لأبي عليّ الحسن بن الرّحّال المداني (عليّ هامش «الائتان»)، القاهرة ١٣٠١، ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ تم مع حاشية للمدني ١٣١٥ هـ.

★ شرح لمبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (ت ١٢٣٠ هـ) - (مع «نشر البنود على مراقبي السعود»، فاس بلا تاريخ).

★ حلّى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، لمحمد بن سودة التاودي (ت ١٢٠٧ هـ)، فاس ١٣٠٤ هـ؛ فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ (هامش «البيهجة»).

(٥) حاشية على «حلّى المعاصم» للمهدي بن محمد الوزّاني، فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ.

★ توضيح الأحكام لعثمان بن محمد التوزري، تونس ١٣٣٩ هـ (٢).

- حدائق الأزهار، فاس، بلا تاريخ.

- مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فاس ١٣٢٧ هـ؛ (عليّ هامش «فتح الودود على مراقبي السعود» لمبد الله بن إبراهيم الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)، فاس، بلا تاريخ.

★ شرح مرتقى الوصول = نيل السؤل أو بلوغ الوصول وحصول المأمول (لأبي؟) محمد يحيى بن

(١) وغير السلم يقسم بينه في مكان عبادته أو في مكان يعظمه هو (ولا يؤتى به إلى المسجد الجامع).

محمد بن المختار بن الطالب عبد الله الساولي الحوضي الوالاتي، فاس ١٣٢٧ هـ؛ (على هامش «فتح الودود...»)، فاس، بلا تاريخ.

★ نيل الابتهاج (القاهرة) ٢٨٩ - ٢٩٠؛ نفح الطيب ٥: ١٩ - ٢٢: ٦، ١٥٥ - ١٦٢؛ ثم قال المقرئ (٥: ٢٢): «ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه ونظمه، فإنه في الذروة العليا. وقد ذكرت جملة من ذلك في «أزهار الرياض في أخبار عياض» (ولكن لم أهتم إلى ذلك). غير أن في «نفح الطيب» جملة صالحة من أخبار أبي يحيى بن عاصم أخي أبي بكر (ابن عاصم)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٠ - ٧٢١؛ بروكلمن ٢: ٣٤١، الملحق ٢: ٣٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٤ (٤٥)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٠؛ سركيس ٥٦؛ بالنشأ ٤٢٩ - ٤٣٠.

أبو يحيى بن عقيبة

١- هو أبو يحيى أبو بكر بن عقيبة القفصي (نسبة إلى قفصة في تونس) أخذ عن ابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره وعن ابن مهدي وغيرهما. وكان معاصراً لابن مرزوق الحفيد (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ) وللقاضي أحمد القشاني. ولعل وفاته كانت نحو ٨٦٠ هـ (١٤٥٥ م).

٢- كان أبو يحيى بن عقيبة رجلاً صالحاً وعلامةً بارعاً وفقهاً معروفاً. له أسئلة كتبت بها إلى الإمام ابن مرزوق الحفيد فأجابه عليها ابن مرزوق بجزء سماه «اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة». وكان له نظم حسن.

٣- مختارات من شعره

- كتب أبو يحيى بن عقيبة إلى القاضي أحمد القشاني (وكان القشاني في قسنطينة) بآيات منها (ولعل البيتين الأخيرين تضميناً!):

عليك، أخي، بالثقي ولزومي ولا تكثر ما فيه زيد ولا عمرو^(١).
وكن مُشنداً ما قال بعض أولي النهى، فكم حكمة غراء قيدها الشعر:

(١) أكثر: أتم، بالي (وحتم أن تمدى بالياء). ما فيه زيد وعمرو (من الجدال والنزاع على أعراض الدنيا المادية والمعنوية).

إذا المرء جازَ الأربعينَ ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا سترُ،
فدَعُهُ ولا تَتَفَسَّنْ عليه الذي أتى، وإن مَدَّ أسبابَ الحياة له العُمُرُ^(١).

٤- نيل الابتهاج ٣٥٧.

ابن مرزوق الحفيد

١- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (الخطيب) بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العُجَينِيُّ التِّلِيسَانِيُّ، وُلِدَ في الرابعِ عَشَرَ من ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٧٦٦ (١٣٦٥/١٢/٩ م) في تِلِيسَانَ.

وتلقَى أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ أشياء من العلم في تِلِيسَانَ على والده أحمدَ وعمِّه محمدٍ وعلى نفرٍ آخرينَ منهم سعيدُ بنُ محمدٍ العَقْبَانِيُّ التِّلِيسَانِيُّ (ت ٨١١ هـ) وأبو اسحاق إبراهيم المصمودي وأبو الحسن الأشهبُ الفِهَارِيُّ وعبدُ الله بنُ الشريفِ التِّلِيسَانِيُّ (ت ٧٧١ هـ). ثم إنَّه ارتحلَ إلى تونسَ وأخذ عن إمامِ تونسَ محمد بن عَرَفَةَ الوَرْغِيَّ (ت ٨٠٣ هـ) وأبي العباسِ القصَّارِ.

بعدئذٍ انتقلَ ابنُ مرزوقِ الحفيدُ إلى فاسَ وأخذ عن أبي زيدٍ المَكُودِيِّ (ت ٨٠٧ هـ) وعن محمد بن مسعودِ الفِيلَالِيِّ الصَّنَاجِيِّ. ولكن لا يَتَسَقُّ في التاريخ أن يكونَ أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ المولودُ سَنَةَ ٧٦٦ للهجرة قد أخذ عن النُّحَويِّ أبي حَيَّانٍ المُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٥ - كما جاء في نفعِ الطيب (٥: ٤٢٨، السطر السابع).

ثم إنَّ أبْنَ مرزوقِ الحفيدَ رَحَلَ إلى المشرق فأخَذَ في مِصْرَ - في أثناءِ طريقه إلى الحجِّ (وفي حِجَّتِهِ الأولى، سَنَةَ ٧٩٠) - عن عُمَرَ بنِ عَلِيٍّ بنِ المُلَقَّنِ (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) وعن عبدِ الرحمن بنِ خَلْدُونِ (ت ٨٠٨ هـ) وعن مجدي الدين محمد بن يعقوبَ الفَيَرُوزَابَادِيِّ (ت ٨١٧ هـ)، كما أخذ عن السَّراجِ البُلُقَيْنِيِّ^(٢) وعن النورِ النويري^(٣).

(١) لا تنفس عليه الذي أتى: لا تحسده على ما يفعل من الأمور المحبوبة في الدنيا. وإن مَدَّ أسباب الحياة له العُمُر: وإن مكَّنه طول عمره من أن يكون له نشاط يتمتع به ببلاذ الحياة.

(٢) لعلَّ السراج البلقيني هذا هو عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥ هـ) من حفاظ الحديث.

وأخذ ابنُ مرزوقٍ هذا، في مَكَّةَ، في أثناء حِجَّته الأولى (٧٩٠ هـ)، عن البهاء الدمايني (ت ٨٢٧ هـ) وعن النُّور العقيلي (؟)، كما أخذ في حِجَّته الثانية (٨١٩ هـ) عن ابنِ حَجَرٍ العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).

وكانت وفاةُ ابنِ مرزوقٍ الحفيدِ في تِلْهَسَانَ في رابعِ عَشَرَ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٨٤٢ وكانت (١٤٣٩/١/٣٠ م).

٢- إنَّ الذين ذكروا ابنَ مرزوقٍ الحفيدَ قد أطنبوا في مدحه إطناباً عظيماً، ففي «نفع الطيب» (٥: ٤٢٠ وما بعد؛ راجع «نيل الابتهاج» ٢٩٣ وما بعد): «عالمُ الدنيا... البحرُ الإمامُ المشهورُ الحُجَّةُ الحافظُ^(١) العلامةُ المُحقِّقُ الكبيرُ والنُّظَّارُ^(٢) المَطَّلَعُ والمُصَنِّفُ المُنْصِفُ... الآخذُ من كلِّ فنٍّ بأوفَرِ نصيبٍ، الراعي في كلِّ عِلْمٍ مرَّعاهُ الخَصِيبَ، حُجَّةُ اللهِ على خلقه^(٣)..... فارسُ الكراسي والمنابرِ^(٤)، سليلُ الأكابرِ، سيِّدُ العُلَماءِ الأخيارِ وإمامُ الأئمةِ وآخرُ الشيوخِ ذَوِي الرُّسوخِ، بدرُ التَّهَامِ الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقولِ^(٥) و (بين) الحقيقةِ والشرعيةِ^(٦) بأجلِّ محصولٍ.....».

وقال فيه المقرئ: «شيخُ شيوخنا المُحقِّقِ النُّظَّارِ أبو عبد الله بن مرزوقِ الحفيدِ» (نفع الطيب ٥: ٣٤٠)... «وعالمُ الدنيا البحرُ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق» (٥: ٤١٨).

كان ابنُ مرزوقٍ الحفيدُ مُلِمًّا بفنونٍ كثيرةٍ من قراءةِ القرآنِ والتفسيرِ ومن الحديثِ، وهو حافظٌ ومُسَنِّدٌ^(٧) وفقيهٌ مُجتهدٌ وعارفٌ باللُّغةِ والنَّحوِ والبلاغةِ

-
- (١) الحافظ (الذي يحفظ أحاديث رسول الله).
 - (٢) النُّظَّار (العالم الكبير من علماء الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية).
 - (٣) حُجَّةُ اللهِ على خلقه (المُسَوَّل عن هداية الناس، ويكون الناس مسؤولين عن اتِّباع هديه).
 - (٤) فارس الكراسي (القدير في التدريس) والمنابر (وفي الخطابة).
 - (٥) المعقول (العلوم العقلية: الحساب، النطق، الفلسفة، الخ) والمنقول (العلوم التي تكون بالرواية: الحديث، التاريخ، الخ).
 - (٦) الحقيقة (التصوُّف) والشرعية (أمر الدين: العبادات والمعاملات، الخ).
 - (٧) المسند: الحافظ الثقة في علوم الحديث وفي رواية الحديث.

والعروض^(١). ويبدو أنه كان حسن التصنيف للكتب حسن إلقاء الدروس، وقد قيل فيه (نيل الابتهاج ٢٩٨ س): «أما الفقه فهو فيه مالِك^(٢)، ولإزمّة فروعه حائز ومالِك^(٣)». هذا بالإضافة إلى أنه كان حامل لواء السنّة وداحض شبه البدعة^(٤)، ومن كبار رجال التصوف.

كان ابنُ مرزوق الحفيدُ مُصنفاً مُكثراً في عددٍ من فنون المعرفة، ويبدو أنه وصل إلينا بضعة كتب منها (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥). فمن كتبه: تفسير سورة الإخلاص (السورة ١١٢ في المصحف؛ على طريقة الحكماء) - رَجَزٌ «حِرْز الأمان» (للشاطبي) - أرجوزة ألفية في مُحَاذَاة الشاطبية - الروضة (رَجَزٌ في علم الحديث جمع فيه بين ألفية ابن ليون وألفية العراقي)^(٥) - الحديقة (أختصر فيها ألفية العراقي) - أنوار الدراري في مُكَرَّرَات البخاري - عقيدة أهل التوحيد المُخرجة من ظلمة التقليد - الآيات الواضحات في وجه^(٦) دلالة المعجزات - المفاتيح (الفاية) القرطاسية في شرح (القصيدة) الشُّقْرَاطِيسِيَّة^(٧) (في مدح الرسول) - آغتنام الفرصة في مُحَادَاة عالم قَفْصَة (وهو أجوبة على مسائل في التفسير والفقه وغيرها وردت عليه من عالم قَفْصَة أبي يحيى بن عُقْبَة)^(٨) - شرح ابن الحاجب^(٩) (في فروع الفقه) - الدليل المومي في

- (١) العروض: قواعد نظم الشعر.
- (٢) مالِك: مالِك بن أنس فقيه أهل المدينة.
- (٣) الزمام (بالكسر): القيادة. فروع الفقه (الصلاة، الصوم، الإرث، الخ). الحائز الذي يجوز (يحصل على الأشياء)، والمالِك (الذي يملك الأشياء).
- (٤) حامل لواء السنّة (الدافع عن الإيمان) وداحض (مبطل، هازم) شبه (جمع شبهة: الأمر الضائع بين الحق والباطل أو بين الحلال والحرام، الأمر المضلل للناس يثيره أعداء الدين) البدعة (الأمر المخالف لما جاء به الدين).
- (٥) ابن ليون هو أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي (ت ٧٥٠ هـ) من العلماء والمكثيرين من التأليف. والعراقي هو أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) له ألفية في مصطلح الحديث.
- (٦) في وجه دلالة: فيها يدلّ على.
- (٧) الشُّقْرَاطِيسِيَّة هو أبو محمد عبد الله بن يحيى التوزري (ت ٤٦٦ هـ) له قصيدة في مدح الرسول (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).
- (٨) قفصة بلدة في جنوبي تونس. أبو يحيى بن عقبة (ص ٦٣٣).
- (٩) ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من الفقهاء وعلماء النحو.

ترجيح طهارة الكاغد الرومي^(١) - مُختَصَرُ الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور التونسي^(٢) - نور (أنوار) اليقين في شرح أولياء الله المتقين - كتاب (في التصوف: في شأن البدلاء، تكلم فيه على حديث ورد في أول «الحلية» في شأن البدلاء وغيرهم)^(٣) - النصيح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل^(٤) للناقص (في الرد على أبي الفضل قاسم العقباني^(٥) في مسألة الفقراء الصوفية في أشياء صوب العقباني صنيهم فيها فخالفه ابن مرزوقي) - المُنْعُ الشافي (أرجوزة في الميقات: استخراج ساعات الليل والنهار، فلك) - أرجوزة في تلخيص (أعمال الحساب) لابن البنّا^(٦) - إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل^(٧) الأم - تأليف في مناقب شيخه إبراهيم المصمودي^(٨) - النور البذري في التعريف بالشيخ المقرئ^(٩) - نهاية الأمل في شرح «الجمل» للخونجى^(١٠) (في المنطق) - نظم «الجمل» للخونجى (في المنطق) - الميراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج (أجاب فيه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج^(١١) عن مسائل منطقية ونحوية) -

- (١) المومي = الموميء (المثير، الدال). الكاغد: الورق (ورق الكتابة) الرومي (اليوناني النصراني).
- (٢) ابن عبد النور التونسي.....
- (٣) الأبدال في اصطلاح الصوفية: طبقة تلي الأقطاب الأربعة، قيل لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد (منهم) أبدل الله مكانه آخر. واحد منهم بدل (يفتح ففتح) وبدل (بكسر فكون) وبدل (المعجم الوسيط ٤٣).
- (٤) اقرأ: رتبة الشخص الكامل.....
- (٥) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) فقيه بلغ درجة الاجتهاد. له أرجوزة في التصوف.
- (٦) ابن البنّا من علماء الرياضيات (ت ٧٢١ هـ) له ترجمة في هذا الجزء.
- (٧) من قبل: من جهة نسيبه.....
- (٨) إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني المتوفى ٨٠٥ أو ٨٠٤ هـ (نيل الابتهاج ٥١-٥٢).
- (٩) الشيخ المقرئ هو محمد بن محمد المقرئ (ت ٧٥٨ هـ) جدّ أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفع الطيب». والسجعة في هذا الكتاب تدلّ على أن «المقرئ» ترسم بفتح فكون (راجع أيضاً تاج العروس - الكويت ١٤: ١٤٦): «مقرة بالفتح مدينة بالمغرب، بقرب قلعة بني حنّاد، بالقطر الجزائري اليوم»، وقد تشدّد القاف، وبه اشتهرت (١٤: ١٤٧)، راجع أيضاً نفع الطيب ٥: ٣٤٠).
- (١٠) محمد بن تامارو (ت ٦٤٦ هـ) فارسي الأصل سكن مصر. وهو عالم بالحكمة والمنطق. وفي بروكلمن (١٠٧، للملحق ١: ٨٣٨): أفضل الدين أبو الفضائل أبو عبد الله محمد بن تاموار (بسكون الميم أو بفتحها) بن عبد الملك الحناجي (بالضم، تقيداً باللفظ الفارسي).
- (١١) ابن سراج.....

أرجوزة في نظم « تلخيص المفتاح (في البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) - المفاتيح المروقية في استخراج رموز (القصيدة) الخزرجية^(١) (في العروض) - أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك (في النحو) - إظهار صديق المودة في شرح البردة (وهو شرح كبير لقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير في مدح الرسول، استوفى فيه الكلام غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت) - شرح وسط (للبردة أيضاً) - الاستيعاب لما في « البردة » من البيان والإعراب (شرح صغير للبردة) - الرّوض البهيج في مسألة الخليج (٢) - شرح التسهيل (٢). ولأبن مرزوق هذا كُتِبَ بدأها ولم يُتِمَّها، منها (نفع الطيب ٥ : ٤٣٠، نيل الابتهاج ٢٩٨): المتجرّ الرّبيع والسّمي (المسمى ٢) الرجيع والرّحب (نفع الطيب: المرحب). الفسيح في شرح الجامع الصحيح^(٢) - روضة الأريب في شرح التهذيب^(٣) - المنزعة النبيل في شرح مختصر خليل^(٤) - إيضاح السالك إلى ألفية ابن مالك - شرح شواهد شراح الألفية (لابن مالك) - التحرير والاستيفاء و (النزول) لألفاظ الكتاب والنقول^(٥).

٣ - مختارات من آثاره:

- كلام في إعراب آية.

قال ابن مرزوق الحفيد في كتابه « آغتنام الفرصة » (نيل الابتهاج ٢٩٨ - ٢٩٩):
حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ نُخْبَةِ الزَّمَانِ ابْنِ عَرَفَةَ^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَرَأَ: ﴿وَمَنْ

(١) الخزرجي، لعله أبو العباس أحمد بن سعد بن محمد القرطبي الخزرجي، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب. وله تأليف حسان وشعر رائق، توفي سنة ٦٠١ للهجرة (نفع الطيب ٢ : ٦١٤ - ٦١٥).

(٢) الجامع الصحيح (في الحديث، للإمام البخاري).

(٣) التهذيب.....

(٤) خليل هو ضياء الدين خليل بن اسحاق بن موسى الجندي (كان يلبس لباس الجند) فقيه مالكي (ت ٧٧٦ هـ).

(٥) الكتاب = القرآن الكريم. النقول: الروايات المتعلقة بالحديث (٢).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره.

يَعْنُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْيِضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ^(١). فَجَرَى بَيْنَنَا مُذَاكِرَةً رَاقِقَةً وَأُبْحَاتٍ حَسَنَةً فَاقِقَةً، مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: قُرِءَ «يَشُو» بِالرَّفْعِ وَ «تَقْيِضُ» بِالْجَزْمِ، وَوَجَّهَهَا أَبُو حَيَّانٍ بِكَلَامٍ مَا فَهِمْتُهُ^(٢). وَذَكَرَ (أَنْ) فِي النُّسخَةِ خَلَّاءَ، وَذَكَرَ بَعْضُ ذَلِكَ الْكَلَامِ^(٣). فَأَهْتَدَيْتُ (أَنَا) إِلَى تِمَامِهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَعْنَى مَا ذَكَرَ أَنَّ جَزَمَ «تَقْيِضُ» بِ «مَنْ» الْمُوصُولِيَةِ^(٤) لِشَبْهِهَا بِالشَّرْطِيَّةِ، لِمَا تَضَمَّنَتْهَا مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ. وَإِذَا كَانُوا يُعَامِلُونَ (أَسْمَ) الْمُوصُولِ الَّذِي لَا يُشْبِهُ لَفْظَهُ لَفْظَ الشَّرْطِ بِذَلِكَ، فَمَا يُشْبِهُ لَفْظَهُ لَفْظَ الشَّرْطِ أَوْلَى بِتِلْكَ الْمُعَامَلَةِ. فَوَافَقَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَرَحَ كَمَا^(٥) أَنَّ الْإِنْصَافَ كَانَ طَبَعَهُ.

وَعِنْدَ ذَلِكَ أُنْكِرَ عَلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، وَطَالِبُونِي بِإِبْثَاتِ مُعَامَلَةِ (أَسْمِ) الْمُوصُولِ مُعَامَلَةَ (أَسْمِ) الشَّرْطِ. فَقُلْتُ: (مِثَالُ ذَلِكَ) نَصُّهُمْ عَلَى دُخُولِ الْفَاءِ فِي خَبَرِ (أَسْمِ) الْمُوصُولِ فِي نَحْوِ «الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دِرْهَمٌ». فَتَنَازَعُونِي فِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِحِفْظِ «التَّسْهِيلِ»^(٦). فَقُلْتُ: قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِيمَا يُشْبِهُ (هَذِهِ) الْمَسْأَلَةَ: «وَقَدْ يَجْزِمُهُ مُتَسَبِّبٌ عَنْ صِلَةٍ»، وَأَنْشَدْتُ مِنْ شَوَاهِدِ (هَذِهِ) الْمَسْأَلَةِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

(١) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (سُورَةُ الزَّخْرَفِ: ٤٣: ٣٦). يَشُو: يَعْزُضُ (عِشَا فُلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ: غُفْلًا). تَقْيِضُ (نَهْيٌ)،

نَسَبٌ، نَجْمٌ). قَرِينٌ: رَفِيقٌ مُلَازِمٌ.

(٢ و ٣) الْكَلَامُ هُنَا لِابْنِ عَرَفَةَ. مَا فَهِمْتُهُ (الْجُمْلَةُ هُنَا تَرْجِعُ إِلَى ابْنِ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ).

(٤) مِنَ الْمُوصُولِيَةِ (اسْمُ الْمُوصُولِ) لَهَا «عَائِدٌ» (ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَيْهَا) وَصَلَةٌ (جُمْلَةٌ تَشْرَحُ عَمَلَهَا): «مَنْ جَاءَ

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» (سُورَةُ النَّملِ: ٢٧: ٨٩، ضَمِيرٌ فِي «جَاءَ» هُوَ الْعَائِدُ (الرَّاجِعُ، الدَّالُّ عَلَى

«مَنْ». وَالْجُمْلَةُ «جَاءَ» (هُوَ) بِالْحَسَنَةِ «صَلَةُ الْمُوصُولِ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ (لِلتَّقْدِيرِ: الْجَائِي بِالْحَسَنَةِ).

وَالْفَاءُ فِي «فَلَهُ» زَائِدَةٌ، وَلَكِنَّا تَدُلُّ عَلَى التَّوَكِيدِ، أَيْ عَلَى عِلَاقَةِ التَّرْكِيبِ «لَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» بِالتَّرْكِيبِ

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ». وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُوصُولِيَةُ تُشَبِّهُ الْجُمْلَةَ الشَّرْطِيَّةَ: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ» (بِالْكِتَابِ: بِالْقُرْآنِ)

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢: ١٢١)، «مَنْ» اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٍ. «يَكْفُرُ» فَعْلُ الشَّرْطِ

مَجْزُومٌ بِاسْمِ الشَّرْطِ «مَنْ». وَالْفَاءُ فِي «فَأُولَئِكَ»: رَابِطَةٌ جَوَابُ الشَّرْطِ «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» بِفَعْلِ

الشَّرْطِ «يَكْفُرُ بِهِ».

(٥) كَمَا: مِثْلًا، إِذْ أُنْ- «وَفَرَحَ ابْنُ عَرَفَةَ بِالْدَّلِيلِ الَّذِي جِثَّتْ أُنَا بِهِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْصَافَ (مَعْرِفَةُ الْفَضْلِ لِأَهْلِهِ)

كَانَ طَبَعًا لَهُ.

(٦) التَّسْهِيلُ: كِتَابُ «تَسْهِيلِ الْفَوَائِدِ وَتَكْمِيلِ الْمَقَاصِدِ» لِابْنِ مَالِكِ النَّحْوِيِّ (ت ٦٧٢ هـ).

فلا تَحْفَرَنَّ بِشْرًا تُرِيدُ بِهَا أَخًا، فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ تَقَعُ^(١).
كذاك الذي يَنْفِي عَلَى النَّاسِ ظُلْمًا «تُصِيبُهُ»، عَلَى رُغْمٍ، عَوَاقِبُ مَا صَنَعَ.
فجاء الشاهد موافقاً للحال.

- أَسْمُ ابْنِ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ (نيل الابتهاج ٢٩٨ س):
حَدَّثَنِي أُمِّي عَائِشَةُ بِنْتُ الْفَقِيهِ الصَّالِحِ الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمَذِينِيِّ، وَكَانَتْ
صَالِحَةً أَلَفَتْ مَجْمُوعًا فِي أُذُعِيَّةٍ أَخْتَارَتْهَا. وَ(كَانَ) لَهَا قُوَّةٌ فِي تَغْيِيرِ الرُّوْيَا^(٢) أَكْسَبَتْهَا مِنْ
كَثْرَةِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ (هَذَا) الْفَنِّ، أَنَّهُ أَصَابَنِي مَرَضٌ شَدِيدٌ أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ -
وَ(كَانَ) مِنْ شَأْنِهَا وَ(شَأْنِ) أَبِيهَا أَنَّهُمَا لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ إِلَّا نَادِرًا. وَ(كَانُوا قَدْ) سَمَوْنِي
أَبَا الْفَضْلِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا أَحْمَدُ الْمَذْكُورُ، فَلَمَّا رَأَى مَرْضِيَّيَ وَمَا بَلَغَ
بِي، غَضِبَ وَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: لَا تُسَمِّوْهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ مَا الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ
حَتَّى تُسَمِّوْهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ سَمَوْهُ مُحَمَّدًا. (وَإِنِّي) لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يُنَادِيهِ بِغَيْرِهِ إِلَّا فَعَلْتُ
بِهِ وَفَعَلْتُ، يَتَوَعَّدُ بِالْأَدَبِ. قَالَتْ: فَسَمَيْنَاكَ مُحَمَّدًا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ.

- وَقَالَ ابْنُ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ فِي مَدِينَةِ تِلْمَسَانَ - وَسَمَّاها «بَلَدُ الْجِدَارِ»^(٣) - (نَفَخَ
الطَّيْبُ ٥: ٤٣٣):

بَلَدُ الْجِدَارِ مَا أَمْرٌ نَوَاهَا، كَلَّفَ الْفَوَادُ مَجْبُهَا وَهَوَاهَا^(٤).
يَا عَاذِلِي، كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا. يَكْنِيكَ مَتَهَا مَاوَاهَا وَهَوَاهَا^(٥).
- وَقَالَ يُشِيرُ إِلَى تِلْمَسَانَ فِي رَجَزٍ لَهُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ (نَفَخَ الطَّيْبُ ٥: ٤٣٣):

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ ذِكَاءٍ وَفِطْنٍ فِي رَابِعٍ مِنَ الْأَقَالِمِ قَطْنُ^(٦).

-
- (١) هَذَا الْبَيْتُ إِضَافَةٌ مِنْ رَاوِيَةٍ ثَانِيَةٍ لِلْقِصَّةِ نَفْسِهَا (رَاجِعْ نَيْلَ الْإِبْتِهَاجِ ٢٩٩).
(٢) تَغْيِيرٌ (تَقْوِيلٌ، تَأْوِيلٌ) الرُّوْيَا (الْثَامُ، الْأَحْلَامُ).
(٣) بَلَدُ الْجِدَارِ: الْبَلَدَةُ الَّتِي لَهَا جِدَارٌ (سُورَةٌ).
(٤) النَّوَى: الْبَعْدُ، الْبَعَادُ.
(٥) الْعَاذِلُ: الْإِلَامُ (بِغَيْرِ حَقٍّ).
(٦) قَطْنُ: سَكَنَ. الْإِقْلِيمُ الرَّابِعُ هُوَ الْمَنْطَقَةُ الْمُتَدَلَّةُ (مَنْطَقَةُ حَوْضِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ التَّوَسُّطِ).

يَكْفِيكَ أَنَّ الدَّوَادِي بِهَا دُفِنَ مَعَ ضَجِيعِهِ آيْنَ غَزَلُونَ الْفَطْنِ (١).

٤- مسند ابن مرزوق () ، باريس (لا روز) ١٩٢٥ م.
* تعريف الخلف ١٢٤-١٣٦ ؛ نيل الابتهاج ٢٩٣-٢٩٩ (طبعة فاس ٣٠٤) ؛ الضوء
اللامع ٧ : ٥٠ ؛ نفع الطيب ٥ : ٤٢٠-٤٣٣ ؛ تاريخ الجزائر العام ٢ : ١٩٥-١٩٩ ؛
بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٤٥ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٨ (٥ : ٣٢٨).

أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم

كان لأبي بكر محمد بن عاصم المتوفى سنة ٨٢٩ للهجرة (راجع ترجمته ، فوق ،
ص ٦٢٥) أخ أسمه أبو يحيى محمد بن عاصم (راجع «نفع الطيب» ٥ : ٥١٣ س)
وآبن أسمه أيضاً أبو يحيى محمد بن عاصم . والترجمة التالية تتعلق بآبنه لا بأخيه .

١- هو أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد (خمس مرات) بن عاصم
القيسيُّ الغرناطيُّ ، يبدو أنَّ مولده كان (تقديراً) نحو سنة ٧٩٠ للهجرة (١٣٨٨).

أخذ أبو يحيى بن عاصم العلم عن نفرٍ من شيوخ وقته ، منهم : أبو الحسن بن سمعت
(سمعة) الأندلسيُّ وأبو القاسم بن السراج . الغرناطيُّ وأبو عبد الله المنتوريُّ وأبو
عبد الله البياتيُّ وأبو جعفر بن أبي القاسم السبكي .

ويبدو أنَّه كان كثير النشاط (والمعرفة أيضاً) فقد تولى اثنتي عشرة خطَّة (منصباً)
من خطط الدولة منها الإمامة والخطابة (في المسجد) ومنها الوزارة والكتابة . وقد كان
قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في غرناطة - وكان تولَّيه القضاء سنة ٨٣٨ للهجرة
(١٤٣٤-١٤٣٥ م) ، كما جاء في الديباج المذهب (ص ٣١٣) .

وكانت وفاة أبي يحيى بن أبي بكر بن عاصم ، سنة ٨٦٠ للهجرة (١٤٥٦ م) في
الأغلب ، ذبيحاً من قبل السلطان (*) .

(١) الدواوي ... وآبن غزلون

(*) كان سلطان غرناطة في ذلك الحين سعد بن علي بن يوسف بن محمد (الخامس) الغني بالله ، للمرة الثانية
(٨٥٧-٨٦٦ هـ) أو ابنه علي بن سعد (٨٦٦-٨٨٧ هـ) .

٢- كان أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم الغرناطي من أكابر الفقهاء ومن العلماء الرؤساء حافظاً (للحديث)، بليغاً وخطيباً ومشاركاً في عدد من العلوم، كما كان مُصنِّفاً؛ له: شرح على «تحفة الحكام» (لأبيه أبي بكر محمد بن عاصم المتوفى سنة ٨٢٩ هـ) - جنة الرضا في التسليم لما قَدَّرَ الله وقضى (في الحزن على حال المسلمين في الأندلس وعلى ما كان الإسبان النصارى - في آخر أيام العرب في الأندلس - يفعلونه بالمسلمين. وفي المختارات نص من هذا الكتاب) - الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض (في عدة أجزاء، كأنه ذيل على كتاب «الإحاطة» للسان الدين بن الخطيب). وكان له ترسل (رسائل إخوانية) وشعر.

وأبو يحيى بن عاصم أديب منشى كثير التصنيع والتكلف في الشعر والنثر، فربما نظم القصيدة فبناها على نمط يمكن أن يخرج به منها عدد من القصائد والموشحات. وكذلك كانت الأسجاع في نثره تتوالى على نسق وتتردد تردداً يذكّرنا بالموشحات أيضاً (انظر ذلك في النص المأخوذ فيما يلي من كتاب «جنة الرضا»). وأما المثل على توليد بعض قصائده من بعض قتره فيما يلي (أزهار الرياض ١: ١٤٦ وما بعد):

أما، والهوى، «ما كنت» مذبذباً عهده أهي بلقيس من (تأثر) ودّه (١).
رعى الله من لو أنصف الصب في الهوى لها فاض منه (الدمع) مذبذباً صدّه (٢).
ولو جاد من (بعد المطال) بزورة لها شب أشواقى وقلبي زنده (٣).
كما خان صبري يوم أصبح و«أصلي» لظى «زاد ماء» (من جنوني) وقده (٤).

(١*) بما أن الغاية من القطع التالية في الشعر أن نرى طريقة توليد بعض القصائد من بعض، فأجعل الشرح

هنا موجزاً. بان (بعد، آتبع) عهده (زمانه): مضى عليه زمن طويل فانقضى شبابه.

(٢) بان (ظهر) صدّه: ميله (عني).

(٣) الزند: قطعة من الحديد تدح به النار من الحجر. شب (أشعل) «أشواقى وقلبي» (مفعول به متعدّد) زنده (فاعل «شب»).

(٤) «لظى»، إذا كانت علماً على جهنم، فإنها تكون ممنوعة من الصرف فلا تتون. وأما إذا كانت مصدرًا: لظني (بفتح فكسر ففتح) يلظى لظى، وكان «اللظى» بمعنى اللهب الذي لا دخان معه (كما هو المقصود هنا)، فإن «لظى» حينئذ تكون مصروفة وتتون. وأما إذا كانت «لظى» (اسماً مؤنثاً) بمعنى «لهب لا دخان له» فتكون حينئذ ممنوعة من الصرف (فلا تتون) لعلتين (التأنيث ولأنها محتومة بتاء التأنيث أيضاً). «واصلى» (هنا): يصل إليّ (من المحبوب).

لذاك أسالَ الدمعَ (كالدُّرِّ) مَدْمَعِي

من «الوجد» فاستولى على الجفنِ سُدَّه (١)
 حكي لَوُلُوْأَ (مِنْ سِلْكِهِ) مُتَنَائِرًا و«إِلَّا لَيْمٌ» قد تتابع مَدَّه (٢).
 ذَخَرْتُ (الْثَمِينَ) الْقَدْرَ مِنْهُ بِمُقْلَتِي ومازِلْتُ مِنْ خَوْفِ «النَّكَالِ» أُعِدَّه (٣).
 ولا عجبٌ (مُدَّ أَعْوَزَ) الْقُرْبُ أَنْ غدا و«كالقمر الزاهي» سَنَاهُ وَبُعْدَهُ (٤).
 أُلْحِقُ بِاللُّقْيَا أَوْ (الْوَصْلِ) مِنْ يَغُو ر «في نوره» بدرُ السماءِ وَجُنْدَهُ (٥).
 وصيرَ جسمي للصَّبَابَةِ (والتَّلَا قِي) يُتِيْمٌ قَلْبِي إِذْ تَمَكَّنَ وَجْدُهُ (٦).
 أَقْطَعُ أَنْفَاسِي «عَلَيْهِ كَ» آبَةً وَلِلَّهِ (مِنْ بَدْرِ) لِغَيْرِي سَعْدُهُ.

(وَأَسْتَخْرِجَ أَبُو يَحْيَى بْنُ عَاصِمٍ مِنْ قَصِيدَتِهِ هَذِهِ الطَّوِيلَةَ - وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ بَيْتًا - قَصِيدَةً أَصْغَرَ مِنْهَا، عَدَدَ آيَاتٍ وَوَزْنَ، وَهِيَ سَبْعَةُ عَشَرَ بَيْتًا مِنْ «مَجْزُوءِ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ: مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ»). مِنْ الْكَلِمَاتِ الْمَحْصُورَةِ بَيْنَ أَهْلَةِ كِبَارٍ () :

تَنَائَرَ الدَّمْعُ مِنْ جُفُونِي كَالدُّرِّ مِنْ سِلْكِهِ الثَّمِينِ.
 مُدَّ أَعْوَزَ الْوَصْلُ وَالتَّلَاقِي مِنْ بَدْرِ حُسْنٍ بِلَا قَرِينِ (٧).
 عَلَقْتُ فِي الْحُبِّ ظَنِّي أَنْسِرَ جَالُّهُ مَرْتَعُ الْعِيُونِ.

- (١) الوجد: شدة الحب وشدة الحزن. السهد: امتناع النوم.
- (٢) حكي: شابه (الدمع). وإلَّا لَيْمٌ - يَم: بحر. المد: ارتفاع الموج وكثرة الماء.
- (٣) ذخرت = أذخرت: خبأت. القدر (القيمة). والقدر (في الأصل) منصوبة، وحقها الجر على الإضافة: الثمين القدر. النكال: شدة العذاب. أعدّه، أحفظ (بدمعي) مهياً (خوف عذابه الشديد المقبل - حينما يعلن المحبوب أنه قطنني بته؟).
- (٤) أعوز الشيء فلاناً = أحتاج فلان إلى ذلك الشيء. أعوزني قربه: أصبحت محتاجاً إلى أن يكون قريباً مني. أو عزَّ قربه: أبتعد عني. السنا: الضوء.
- (٥) أُلْحِقُ بِاللُّقْيَا: أُلْحِقُ بِلِقْيَاهُ (أَتَمِّمُ عَلَيْهِ بِالْوَصْلِ أَوْ الْقُرْبِ) مِنْ (ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ: مَحْبُوبِي أَنَا) الَّذِي يَغُورُ فِي نَوْرِهِ (يُخْتَفِي فِي كَثْرَةِ نَوْرِهِ) بَدْرُ السَّمَاءِ وَجُنْدَهُ (أَيِ النُّجُومِ أَيْضاً): نَوْرٌ حَبِيبِي (جَالَهُ) أَعْظَمُ مِنْ نَوْرِ بَدْرِ السَّمَاءِ وَمِنْ نَوْرِ النُّجُومِ كُلِّهَا مُجْتَمِعَةً.
- (٦) الصبابة: الشوق، حرارة الشوق (شدته). تيم: أمرض، ذلل، أذهب عقل (الحب). الوجد: شدة الحب أو شدة الحزن.
- (٧) القرين (هنا): المثل، الشبيه.

تَنَاطَرُ الدَّمْعُ كَالدَّرِّ مَذَّ أَعْوَزَ الْوَصْلُ مِنْ بَدْرِ
عَلَقْتُ فِي الْحُبِّ جَمَالَه.....

(ثم عاد فأستخرج منها - من الكلمات المحصورة بين أهلة صغار - قصيدة جديدة):
مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفَ بَعْدَ الْمَطَالِ أَصْلَى لَطَى الْوَجْدِ الْأَلِيمِ النَّكَالِ^(١).
(ثم عاد أيضاً فأستخرج منها موشحتين أخريين).

ويحسنُ بمن يُريدُ تفصيلَ ذلك كُلَّهُ أَنْ يعودَ إلى «أزهار الرياض» (١):
(١٤٥ - ١٥٨).

٢ - مختارات من آثاره

- قال أبو يحيى بن عاصم في «جنة الرضا» (راجع أزهار الرياض ١: ١٥٨ وما بعد):

الحمدُ لله الذي عَوَّضَ مِنَ الْخِلَافِ وَفَاقًا، وَأَعْقَبَ مِنَ الْإِفْتِرَاقِ أَجْتِمَاعًا وَأَتْفَاقًا،
وَهَيَّا لَأَسْوَاقِ الْأَتْلَافِ بَرَفَ الْخِلَافِ نَفَاقًا^(٢)، وَيسَّرَ لَوِطْنِ الْجِهَادِ مِنْ تَوَثِيرِ الْمِهَادِ
أَرْفَاقًا^(٣)، وَزَيَّنَ بِأَنْجَمِ السُّعُودِ مِنَ النَّصْرِ الْمَوْعِدِ آفَاقًا، وَعَقَدَ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ مِنَ
الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ إِجْبَاعًا وَإِصْفَاقًا^(٤). نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ - وَهُوَ الْحَمْدُ بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ،
وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا سَنَى^(٥) مِنْ آمَالٍ عَلَى وَفْقِ الْأُمْنِيَةِ مُبْلَغَاتٍ؛ وَتَثْنِي عَلَيْهِ بِمَا أَسَدَى مِنْ
عَوَارِفِ مُخَوَّلَاتٍ وَمَوَاهِبِ مُسَوَّغَاتٍ^(٦)، حَمْدًا نَسْتَكْثِرُ مِنْ دَرَرِهِ النَّفِيسَةِ إِنْفَاقًا،

(١) انظر، فوق، ص ٦٤٣.

(٢) النِّفَاقُ: الرواج (القبول عند الذين كانوا مختلفين).

(٣) وطن الجهاد: الأندلس - (لكثرة الحروب في سبيل الدفاع عن النفس). توثير المهاد (جعل البقاء في الأندلس ممكنًا وسهلاً). المهاد الوثير: الفراش اللين الناعم. إرفاق (في الأصل) بفتح الهمزة. لعلها «إرفاق» (بكسر الهمزة): رفقة ناعمة معينة على الخير.

(٤) الإصفاق (الإجماع على أمر ما).

(٥) سَنَى = ساقى فلان فلانًا: لايته وأحسن معاشرته. والمقصود هنا (أكثر، جعل الشيء كثيرًا).

(٦) أسدى فلان إلى فلان معروفًا: أولاه إياه، أعطاه. العوارف جمع عارفة: الإحسان. مخوَّلَات: معطاة، ممنوحة. مسَوَّغَات: ممكنة، مباحة، معطاة.

وأمانته العظيمة فلا نأبي من حملها إشفاقاً^(١). وشهد أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً^(٢) أحد: شهادة نرفع لواءها المرنج العذبات خفاً^(٣)، فلا لاقى لمقاصد السعادة إخفاً^(٤). وشهد أن سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليفه: نبي الرحمة ونور الظلمة وشفيع الأمة والمبعوث بالكتاب والحكمة والمجموع له بين مزية السبق ومزية التتمة^(٥): شهادة تستحفظ بقاع الأرض أرفاقاً^(٦) فلا تحشى معها القلوب - وقد حصل منها الغرض المطلوب - شكاً ولا نفاقاً.....

أما بعد..... فإن لأحوال الوقت الداهية^(٨) ﴿لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٩)، وعبرة. لِمَنْ تَفَهَّمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(١٠).

فبينما الدسوت عامرة^(١١) والولاة آمرة والفئة مجموعة والدعوة مسموعة والإمرة مطاعة والأجوبة سماعاً وطاعة، إذا بالنعمة قد كُفِرَتْ والذمة قد خُفِرَتْ^(١٢)...

(١) الأمانة العظيمة: التبعة (الواجبات التي يسأل الإنسان عن أدائها والقيام بها والمحافظة عليها، كالعبادات

وتولي الإدارة في الدولة والإصلاح في المجتمع، إلخ). الإشفاق: الخوف.

(٢) الأحد (الوحيد) الفرد (الذي لا شخص آخر يشبهه). الكفو: المعدل، المساوي.

(٣) المرنج (هنا): المتأبل (اعتزازاً وفخراً). العذبة (بفتح ففتح): زيادة تدلّ من جانب العظمة.

(٤) الإخفاق: الخيبة.

(٥) الكتاب: الكتاب المنزل (الشريعة). الحكمة (هنا): الأحكام الدينية.

(٦) محمد رسول الله كان الأول والأسبق (الأعظم) في الأنبياء والتمم (الخاتم، الأخير) في الأنبياء (لا نبي بعده).

(٧) إرفاقاً (في الأصل: بفتح الهزلة)؟.

(٨) الداهية: الآتية بالمصائب. (هجمات نصارى الأندلس على بلاد المسلمين).

(٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. (راجع القرآن الكريم ٥٠ سورة ق:

٣٧). ذكرى: عظة، تذكير. قلب: عقل، تفكير في الأمور. ألقى السمع: استمع إلى الوعظ، كان

مستعداً لفهم ما يسمع. شهيد = شاهد لما يجري (حاضر العقل في تقلب الأحداث).

(١٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٢ الحج: ١٨)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (٥ المائدة: ٢). يحكم ما يريد من

التحليل والتحریم (يفعل الأمور بإرادته).

(١١) الدست: صدر المجلس، المنصب العالي في الدولة، كرسي الحكم. الدسوت عامرة (الملوك كثيرون).

(١٢) كفر فلان الشيء: غطاه، ستره. كفر فلان النعمة (أنكر فضل الله عليه). الذمة (المهد) خفرت:

نقضت.

والسعيدُ مَنْ آتَعَطَّ بِغَيْرِهِ، ولا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا^(١). جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ قَضَى
اللَّهُ بِخَيْرِهِ.

وَبَيْنَا الْفِرْقَةُ حَاصِلَةٌ وَالْقَطِيعَةُ فَاصِلَةٌ وَالْمَضْرَّةُ وَاصِلَةٌ، وَالْحَبْلُ فِي أَنْبَتَاتِ^(٢)
وَالْوَطَنِ فِي شَتَاتٍ وَالْخِلَافُ يَمْنَعُ رَغْيَ مَتَاتِ^(٣) وَالْقُلُوبُ شَتَى مِنْ قَوْمِ أَشْتَاتٍ،
وَالطَّاعِيَةُ يَتَمَطَّى لِقَضَمِ الْوَطَنِ وَقَضَمِهِ^(٤).... وَيَتَوَقَّعُ الْحَسْرَةَ إِنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِجَمْعِ شَمْلِهِ
وَنَظْمِهِ عَلَى رُغْمِ الشَّيْطَانِ وَرُغْمِهِ^(٥)، إِذَا بِالْقُلُوبِ قَدْ أَتَلَفَتْ، وَ(النَّفُوسِ) الْمُتَنَافِرَةِ
قَدْ أَجْتَمَعَتْ بَعْدَمَا أَخْتَلَفَتْ، وَالْأَفْتِدَةُ بِالْأَلْفَةِ قَدْ أَقْتَرَبَتْ إِلَى اللَّهِ وَأَزْدَلَفَتْ^(٦).
و(الْأَيْدِي) الْمُتَضَرِّعَةُ إِلَى اللَّهِ قَدْ أَتَبَهَلَتْ^(٧) فِي إِصْلَاحِ الْحَالَةِ الَّتِي سَلَفَتْ، فَالْتَقَتْ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا^(٨) وَأَذْنَتْ الْفِرْقَةُ النَّافِرَةُ مَزَارَهَا^(٩) وَجَلَّتِ الْأَلْفَةُ الدِّينِيَّةُ أَنْوَارَهَا^(١٠)
وَأَوْضَحَتِ الْعِصْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ آثَارَهَا^(١١) وَرَفَعَتِ الْوَحْشَةَ النَّاشِبَةَ أَظْفَارَهَا أَعْدَارَهَا^(١٢)،
وَأَرْضَتِ الْخِلَافَةَ الْفُلَانِيَّةَ^(١٣) أَنْصَارَهَا وَغَضَّتِ الْفِتْنَةَ الْمُتَعَرِّضَةَ أَبْصَارَهَا^(١٤) وَأَصْلَحَ اللَّهُ

(١) كَلَّمَا تَقَدَّمَ الْمُسْلِمُ فِي الْعُمُرِ. زَادَتْ تَقْوَاهُ وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ مِيلًا لِعَمَلِ الْخَيْرِ.

(٢) انبثات: انقطاع، تقطع.

(٣) المتات: ما يمت (يصل، يتصل) به إنسان لآخر، القرابة.

(٤) الطاغية: لقب ملك الإسبان. يتمطى: يجرّك ظهره (يستمد). لقضم (كسر). القضم (أكل الشيء من أطرافه - احتلال بلدان الأندلس).

(٥) يتوقع الحسرة... إلخ: هو (ملك الإسبان) واثق من أنه سيحزن حينما يسهل الله جمع شمل أهل الأندلس (اتفاقهم) ونظمه (واستتباب أمره).

(٦) الرغم: الإذلال، القهر (وجريان الأمور على خلاف ما يريد الخصم). ورغم (رغم ملك الإسبان).

(٧) ازدلف: دنا، اقترب، تقدّم.

(٨) اتبهل: تضرّع (بالغ في الدعاء إلى الله مستعيناً به).

(٩) سلف: مضى. ألتقت الحرب أوزارها (أحاطها): انتهت.

(١٠) الفرقة: الفئة المشقة من الجماعة. النافرة: الغاضبة، المتباعدة. أذنت (قربت) مزارها: مالت إلى الوفاق.

(١١) جلت (بفتح ففتح) وجلّت (بفتح غلام شديدة مفتوحة): أظهرت، كشفت.

(١٢) العصمة الشرعية (حصانة المسلمين من أن يحتلفوا فيها بينهم). أوضحت آثارها: ظهرت نتائجها.

(١٣) الناشبة أظفارها (في المسلمين): باختلاف فيها بينهم) أعذارها: لم يبق، بعد ذلك، للمسلمين عذر في أن يحتلفوا.

(١٤) الخلافة الفلانية (٩). أرضت أنصارها (بمنحهم شيئاً من المغام؟). (٩) وغضّت (خففت) الفئة المتعرّضة (للنزاع على الحكم؟) أبصارها (تنازلت عن مطالبها وساهلت في موقفها).

أَسْرَارَهَا^(١). فَتَجَمَّعَتِ الْأَوْطَانُ بِالطَّاعَةِ وَاتَّزَمَتِ نَصِيحَةَ الدِّينِ بِأَقْصَى الْأَسْتَطَاعَةِ وَتَسَابَقَتْ إِلَى لُزُومِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَلْقَتْ إِلَى الْإِمَامَةِ الْفَلَانِيَّةِ يَدَ التَّسْلِيمِ وَالضَّرَاعَةَ^(٢).....

- وَمَنْ نَظَّمَ أَبِي بَحْيٍ بِنِ عَاصِمٍ قَوْلَهُ مُخَاطَباً شَيْخَهُ قَاضِيَ الْجَمَاعَةِ أَبَا قَاسِمٍ بِنِ سِرَاجٍ، وَقَدْ طَلَّبَ الْأَجْتِمَاعَ بِهِ (فِي) زَمَنِ قِنْتِنِ^(٣). فَظَنَّ أَبُو بَحْيٍ بِنُ عَاصِمٍ (أَنْ) أَبَانَ سِرَاجٍ يُرِيدُ أَنْ) يَسْتَخْبِرَهُ عَنْ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ السُّلْطَانِ فَأَعَدَّهُ (؟) مُتَّذِراً، وَ(لَكِنْ) لَمْ يَصْدُقْ ظَنُّ أَبِي بَحْيٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ أَبُو بَحْيٍ يُخَاطَبُ شَيْخَهُ (- نَفَحَ الطَّيْبُ ٦: (١٥٠):

فَدَيْتُكَ، لَا تَسْأَلْ عَنِ السِّرِّ كَاتِباً، فَتَلْقَاهُ فِي حَالٍ مِنَ الرُّشْدِ عَاطِلٍ^(٤)،
وَتَضْطَرُّهُ إِمَّا لِحَالَةِ خَائِنٍ أَمَانَتَهُ أَوْ خَائِضٍ فِي الْأَبَاطِلِ.
فَلَا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ قَاضِرٍ وَكَاتِبٍ: وَشَى ذَا بَسِيرٍ أَوْ قَضَى ذَا بِيَاطِلٍ.

- كَتَبَ أَبُو بَحْيٍ ابْنَ عَاصِمٍ يُخَاطَبُ الْكَاتِبَ أَبَا الْقَاسِمِ بِنِ طَرَكَاطٍ^(٥):
الْقَضَاءُ - حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا لَكَ وَانْجَحَ أَمَالُكَ - إِذَا لَمْ يَحِطُّهُ الْعَدْلُ مِنْ كَلَا جَانِبَيْهِ، سَبِيلٌ مُعْجَظٌ وَمَذْهَبٌ لَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ مُنَاطِرٌ وَلَا يَنْصُرُهُ مُخْتَجٍ. كَمَا أَنَّهُ، إِذَا حَاطَهُ الْعَدْلُ، جَادَّةٌ لِلنَّجَاةِ وَسَبَبٌ فِي حُصُولِ رَحْمَةِ اللَّهِ الْمُزْجَاةِ وَسَوْقٌ لِنَفَاقِ بِضَاعَةِ الْعَبْدِ الْمُزْجَاةِ^(٦). وَأَجَلُ الْعَدْلِ مَا تَحَلَّى بِهِ فِي نَفْسِهِ الْحَكْمُ وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَى مَا شَهِدَتْ بِهِ الْآرَاءُ الْمَشْهُورَةُ وَالْحِكْمُ، حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْبَغْيِ رَادِعاً وَبِالْقِسْطِ صَادِعاً

(١) أَصْلَحَ اللَّهُ أَسْرَارَهَا (قُلُوبَهَا).

(٢) الْإِمَامَةُ الْفَلَانِيَّةُ (؟). أَلْقَتْ يَدَ التَّسْلِيمِ (قَبِلَتْ بِالْحَكْمِ الْقَائِمِ) وَالضَّرَاعَةُ (الْمُخْضَعُ).

(٣) زَمَنٌ يَقْتَتِلُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ.

(٤) عَاطِلٌ مِنَ الرُّشْدِ: قَاصِرٌ عَنِ التَّفَكُّيرِ وَعَنِ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ.

(٥) يَبْدُو أَنَّ طَرَكَاطَ هَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ حَاجِباً فِي الْحِكْمَةِ (مُبَاشِراً بِهَادِي عَلَى الْمُتَدَاعِينَ وَعَلَى الشُّهُودِ لِيَدْخُلُوا إِلَى الْحِكْمَةِ بِأَدْوَارِهِمْ. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ دَقِيقاً شَدِيداً مُخْلِصاً فِي عَمَلِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فَجَرَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ فِي آدَابِ الْقَضَاءِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَحْيٍ بِنِ عَاصِمٍ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَطَوَاهَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوْبِيخِ وَشَيْءٍ مِنَ النَّصْحِ.

(٦) الْمَزْجَاةُ: الرَّدِيئَةُ (إِذَا كَانَ الْقَاضِي عَادِلاً فِي نَفْسِهِ نَجَحَ وَلَوْ كَانَ عِلْمُهُ بِالْقَضَاءِ قَلِيلاً).

ولأنف الأنفة من الإذعان للحق جادعاً^(١). وأنت - أجلك الله تعالى - على سعة علمك وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك ممن لا يُنبه على ما ينبغي ولا يردُّ على طلبته من الإنصاف المبني. فلك في الطريقة القاضية التبريز. وأنت - إذا كان غيرك الشبه - الذهب الإبريز^(٢) ولعملية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز..... وأنت - حفظك الله تعالى - قد قُمتَ من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة المنزل في الفضل والطول كالشهر المصوم^(٣)، والباب قد سُدَّ وداعي الشفاعة قد رُدَّ والميقات للأذن قد حُدَّ ومطلب الأجرة المتعارفة قد بلغ الأشدَّ^(٤). حتى إذا قُضيَ الواجب وأذن في دخول الخصمين الحاجب، وكبح السابقين إلى الحد الذي لا يعدونه وحفز إيمانهم من تعداه أو وقفَ دونه^(٥)، وقد حصل بالغلظ واللفظ التساوي وأنتج المطالب الأربعة هذا اللازم المساوي^(٦)..... وهذه - أعانك الله تعالى - مكمّلات من العدل في الحكم..... فهلاً راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من دموعها عيوناً مُستهلّة..... وقد أدرجت لك في طي هذا ما يصلُّ إلى يدك وتلجُّ به^(٧) في يومك وغدك، منتظرة منك إطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطأ بالخطاب^(٨).... في أوائل ذي الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة^(٩).

٤-★★ نيل الابتهاج ٣١٣، نفح الطيب ١٤٦:٦-١٦٢، أزهار الرياض ١:٥٠-٦٠، ١٤٥-١٨٧:٣:٣١٠-٣١٢، ٣٢٠-٣٢٣، شجرة النور الزكية ٢٤٨، الأعلام للزركلي ٧:٢٧٧ (٤٨)، معجم المؤلفين ١١:٢٩٣.

- (١) القسط: العدل. صدع بالأمر: أعلنه وجهر به. الأنفة: التكبر، التفرد، التنزه، الإذعان: الخضوع للحق. جدع: قطع. قطع أنف الأنفة: حمل نفسه على الرضا بالأمور.
- (٢) الشبه: النحاس الأصفر. الإبريز: الخالص، الصافي.
- (٣) غلظ الحجاب: شدة الفاصل بينك وبين العامة. المقام المعصوم: الذي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه. الطول: القدرة، الغنى. الشهر المصوم: رمضان.....
- (٤) مطلب الأجرة قد بلغ الأشدَّ (بضمّ الثين النضج) نسبة عالية - يبدو أن الموقنين كانوا يتقاضون (بفتح الضاد) أجراً على عملهم (الموقن: الكاتب بالمدل أو كاتب العدل).
- (٥) يعدونه: يتجاوزونه. حفز: حثّ، دفع. الإيماء: الإشارة الخفيفة.
- (٦) وأنتج..... (٢).
- (٧) لهج (بكسر الهاء) بالأمر: ولع به، تأثر على فعله.
- (٨) الجوى شدة المرض النفسي (من الحب).. الاستعارتان هنا غامضتان.
- (٩) أواسط نيسان - أبريل ١٤٤٢ م.

إبراهيم التازي

١- هو الشيخ أبو إسحاق أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي - من بني لنت، وهي قبيلة من بربر تازة (نيل الابتهاج ٥٥، السطر السادس) - سكن وهران (في القطر الجزائري اليوم. وقيل شهر بالتازي لأنه وُلِدَ في تازة^(١)).

قرأ إبراهيم التازي على أبي زكريا يحيى الوازعي، وأخذ في تونس عن عبد العزيز العبدوسي، كما أخذ في تلمسان عن محمد بن مرزوق الحفيدة (ت ٨٤٢ هـ).

رحل إبراهيم التازي إلى المشرق وحجّ ولبس الخرقة (أصبح ذا مكانة عالية في التصوف) على يد شرف الدين الداعي. ثم عاد إلى المغرب ولبسها مجدداً على يد الشيخ صالح بن محمد الزواوي، بسنده (أي بلبسه الخرقة على يد) أبي مدين شعيب (ت ٥٩٤ هـ)^(٢).

٢- كان إبراهيم التازي مقدماً في علوم القرآن وعلوم اللغة حافظاً للحديث بصيراً بأصول الدين وأصول الفقه ومتصوفاً مشهوراً. له بديعيات (قصائد في مدح الرسول) وقصائد تنطوي على معاني صوفية على بعضها أثر عمر بن الفارض. وله تأليف في الفقه وأصول الدين وعلم الحديث.

٣- مختارات من آثاره

- قال إبراهيم التازي (نيل الابتهاج ٥٦):

أبعد الأربعين تروم هزلاً؟ وهل بعد الشيّة من عرار^(٣)!

(١) وهران: نقر في القطر الجزائري. تازة: بلد قرب فاس في المغرب (تاج العروس - الكويت ١٥: ٤٨).

(٢) لا يتق، في التاريخ، أن يكون إبراهيم التازي (ت نحو ٨٦٦ هـ) قد أخذ التصوف عن صالح بن محمد الزواوي، إذا كان هذا قد أخذ عن أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ)، إلا أن يكون بين التازي والزواوي نفر من الشيوخ (إذ بين موت التازي وموت أبي مدين مائتان واثنان وسبعون سنة).

(٣) رام: قصد، أراد. العرار: نبت له زهر طيب الرائحة. في البيت تضمين من بيت قديم:

تتمتع من شميم عرار نجد فها بعد الشيّة من عرار.

إبراهيم التازي يقصد: وهل بعد الشيّة (التقدم في السن وراء الأربعين) عرار (جمال، أو قدرة على) الهزل وملأ الحياة!

وَعَدَّ عَنْ الرَّبَابِ وَعَنْ سَعَادٍ وَزَيْنَبَ وَالْمَعَارِفِ * وَالْعُقَارِ (١)
فَمَا الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا بِشَيْءٍ . وَمَا أَيْامُهَا إِلَّا عَوَارِ (٢) .
قَتُبَ وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ فِي هَوَى مَنْ لَهُ دَارُ النِّعَمِ وَدَارُ نَارِ (٣) .
وَلَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا ، فَدَغَّ عَنْكَ التَّمَلُّقَ بِالسِّفَارِ (٤) .

- وقال إبراهيم التازي أيضاً (٥) (أزهار الرياض ٢ : ٣١٠) :

مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ هَذَا الْجَمَالَ وَذَاقَ طَعْمَ الْمَهْجَرِ بَعْدَ الْوِصَالِ ،
وَالْعَقْلُ مِنْهُ ذَاهِبٌ ، وَالْحَشَى مُلْتَهَبٌ ، وَالْجِسْمُ يَخْكِي الْخِيَالَ ؟
أَيِّتْ أَرْعَى النَّجْمَ فِي أَفْقِهَا ، وَلَيْلُ أَهْلِ الْحُبِّ رَحْبٌ طُوَالَ (٦) .
يَا قَبَّحَ اللَّهُ النَّوَى إِنَّهَا (٧) قَتْلٌ بِلَا سِيفٍ وَدَاءٌ عُضَالِ (٨) .
وَيَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا مَضَى بِالْأُنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ (٩) :
ظِلَالِ تِبَاءٍ الَّتِي تَيَمَّتْ قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهْجَتِي فِي نَكَالِ (١٠) .

- (١) الرباب وسعاد وزينب من أسماء النساء اللواتي يكنى بها عن المحبوبات في الدنيا . المعارف : الأصدقاء (٢) ، العلوم الدنيوية (٣) . العقار (بفتح العين) : الأراضي والأبنية ، (بضم العين) : الخمر - عدَّ (تجاوز ، أترك) كلَّ أمور الدنيا المادية والمعنوية . * اقرأ : المعارف . المعرف من آلات الطرب ، يشبه العود . (٢) الزخرف : الذهب ، والزينة . عوار جمع عارة وعارية (الشيء الذي تستعيره من غيرك) من المجدر « عور » (يقال : أعور الرجل : بدا فيه نقص أو خلل أو حاجة) .
(٣) من له دار النعيم (الجنة) ودار النار (جهنم) هو الله .
(٤) المتصوفة المتطرفون لا يقولون : لا إله إلا الله « لزعمهم أن هذه الصيغة تعني أن هنالك في العالم أشياء كثيرة منها الله . إنهم يقولون : لا موجود إلا الله : أي ليس في العالم كائن حق إلا كائن واحد هو الله . كان محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) يقول بذلك أيضاً . الشفار (الأشياء المادية الموجودة في الدنيا) .
(٥) مجردة من تخميس لبعض الأكابر - من الصوفيين - (راجع أزهار الرياض ٢ : ٣٠٩) .
(٦) رحب : متسع . طوال (بالضمة) : طويل (القاموس المحيط : ٤ : ٩) .
(٧) في الأصل « إنه » . والصواب إنها لأن « النوى » مؤنثة .
(٨) العضال : المرض الذي لا يرجى شفاؤه .
(٩) الظل الوارف : المتسع (المنتشر على بقعة واسعة) .
(١٠) تباء مكان قرب المدينة (في شبه جزيرة العرب) . وهي هنا كناية عن العزة الآلهية . تيم : أمرض ، ذلل . المهجة : دم القلب (القلب) . النكال : العذاب الشديد .

لله، ما أحسنَ خالاً لها تَقْبِيلُهُ المَحْظُورَ عَيْنَ الحَلَالِ^(١).

- صلاة (دعاء) لإبراهيمَ التازي، وتُعرَفُ بالصلاة التازية (النبوغ المغربي ٣٦٧ من الترقيم الأول): اللّهُمَّ، صَلِّ صلاةً كاملةً وسلِّم سلاماً تاماً على محمدٍ نبي^(٢) تتحلُّ به العُقْدُ وتنفِرجُ به الكُربُ^(٣) وتُقتضى به الحوائجُ^(٤) وتُتال به الرغائبُ^(٥) وحُسنُ الخواتمِ^(٦)، ويُستسقى الغمامُ بوجهه^(٧)؛ وعلى آله وصحبه.

- وقال (ناظراً إلى عددٍ من معاني ابنِ الفارض):

أَبَتْ مُهْجَتِي إِلَّا الْوُلُوعَ بَيْنَ تَهْوَى فدَعَّ عَنْكَ لَوْمِي وَالنَّفُوسَ وَمَاتَقْوَى^(٨)،
هَوَانُ الْهَوَى عِزٌّ، وَعَذْبُ أَجَاغِهِ؛ وَعَلَقَمُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى^(٩).

(١) الحال: نقطة سوداء على الخدّ (عادة). المحظور: المنوع. - تقبيل وجه الأجنبية حرام. ولكن العزّة الإلهية (وهي أجنبية، أي غير المحبّ، غير الإنسان) تقبيلها (عبادتها طاعتها) عين الحلال (حلال مطلق واجب على كلّ إنسان).

(٢) اقرأ: على محمد، وهو نبيّ..... أو: على محمد النبيّ الذي....

(٣) الكربة: الحزن الشديد والغمّ الثقيل.

(٤) الحوائج جمع حائجة: المأربة (بضمّ الراء)، أي الرغبة التي يضررها الإنسان في نفسه. وربّما كانت «الحوائج» جمع «حاجة» على غير قياس (وقيل: هي مولدة نشأت في العصر العباسي)، وقيل: استعمالها منكر (خطأ، غير مألوف). وصاحب التاج يراها صحيحة ويستشهد عليها من الشعر الجاهليّ ومن حديث رسول الله (راجع تاج العروس - الكويت ٥: ٤٩٦-٤٩٨).

(٥) الرغبة: الأمر المرغوب فيه، العطاء الكثير.

(٦) يقال: كتب الله لنا حسن الخاتمة (الموت على الإيمان - الإسلام).

(٧) يستسقى الغمام (المطر) بوجهه: مبارك عالي المنزلة عند الله، يستجيب الله دعاءه ودعاء الذين يجعلونه وسيلتهم إلى الله.

(٨) الولوع: التملق، المحبة الشديدة. بين أهوى (أنا) أي بالله وحده. والنفوس (أي دع: اترك) النفوس (بعض النفوس) وما تقوى تلك النفوس عليه. - إذا كنت أنت لا تقوى (تقدر، تحتمل) أن تحب الله وحده فاترك أصحاب النفوس من الذين يقدرّون على ذلك: أن يحبّوا الله (يتصوّفوا).

(٩) الهوان: الذلّ، أن يصبح الشيء محتقراً لا يخيف فيهجم عليه كلّ إنسان. الأجاج: الشديد الملوحة. المنّ: طلّ (الندى) يتجمّع على الأغصان ويجمد فيتحوّل مادّة حلوة تؤكل. السلوى: السّمانى (بضمّ السين) طائر مرغوب في لحمه. والشاعر يظنّ أن السلوى مادّة حلوة كاللّبن (كما لا يزال عوامّ الناس يظنون).

وتعذيبه للصب عين نعيمه . وسني اللواحي في السلو من العدوى (١) !
وليس يحرق من تعبده الهوى للهو الدنيا ، فاختر لنفسك ما تهوى (٢)
فما الحب إلا حب ذي الطول والغنى وأملاكه والأنبيا وأولي التقوى (٣) .

٤-★★ تعريف الخلف ٢: ٧-١٢؛ نيل الابتهاج ٥٤-٥٧؛ أزهار الرياض ٢:
٣٠٩-٣١٤؛ النبوغ المغربي ٣٦٧ (من الترقيم الأول)، ٨١٧-٨١٨؛ الطمار
١٤٧-١٥٠.

ابن عبد المنعم الحميري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري الأندلسي من أهل سبتة لا نعرف من تفاصيل حياته شيئاً، ولعل وفاته كانت بعيد سنة ٨٦٦ (١٤٦١-١٤٦٢ م).

٢- كان ابن عبد المنعم الحميري عالماً بالبلدان والسير (٤) والأخبار، وقد اشتهر بكتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار» (٥). ونسخة الكتاب المعروفة اليوم مؤخر صنع أحد أعقابيه في جدة (بالحجاز) نحو سنة ٩٠٠ (١٤٩٤-١٤٩٥ م). وقد كان القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) قد أخذوا من النسخة الأصلية للروض المعطار والتي صنعها ابن عبد المنعم الحميري نفسه.

(١) اللواحي جمع لاحية: التي تلوم الآخرين. وسمي اللواحي (طلب العاذلات اللغات مني) السلو (نسيان محبوبي) من العدوى (من تقليدهم للآخرين الذين يلومونني بلا علم بمحققة حبي لله).

(٢) - الذي يحب إنساناً في هذه الدنيا (مفرد دنا) يكون عبداً لهواه هذا. فاختر لنفسك ما تهوى (تحب): من يكون أهلاً للحب (وهو الله وحده).

(٣) الطول (بفتحطاء): الفضل والغنى. ذو الطول والغنى هو الله. الأملاك: الملائكة.

(٤) السير (جمع سيرة): تراجم الأشخاص، والسير أيضاً: جماعات الناس. ثم هي الصلات بين الدول (السياسة الخارجية).

(٥) ذكر محمد الفاسي (البحث العلمي ١: ٦٥-٦٩) ما يلي: «الروض المعطار في أخبار الأقطار لمحمد بن محمد الحميري المتوفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م)، وهو غير الحميري صاحب كتاب يحمل تقريباً نفس هذا العنوان الذي نشر بالفرنسية ما يتعلق منه بجزيرة الأندلس ليني بروفنصال.....»

والفصلُ في أمرِ « الرّوضِ المِطارِ » ليسَ سهلاً. وفي « دائرة المعارف الإسلامية » (٣: ٦٧٥ - ٦٧٦) مناقشةٌ مفصلةٌ لتحقيقِ عنوانِ الكتابِ وزَمَنِهِ ونَسْخِهِ. وقد قامَ ليفي بروفنسالُ بنشرِ مُختاراتٍ من « الرّوضِ المِطارِ » تتعلّقُ بالأندلسِ. وجاءَ في تاريخِ الفكرِ الأندلسيِّ « (ص ٣١١ - ٣١٢) هذا المقطعُ المفيد:

« ومَوادُّ هذا الجزءُ المنشورِ عن الأندلسِ مرتبةٌ ترتبياً أبجدياً. وهو يَضُمُّ مُعْظَمَ الأعلامِ الجُغرافيةِ الهامةِ التي يَرِدُ ذِكْرُها في كتبِ الأندلسيين. وقد حَرَصَ الحِمْيَرِيُّ على أن يورِدَ ما اتَّصلَ بعِلْمِهِ من أطرافِ التاريخِ عن المَوْضِعِ الذي يتكلَّمُ عنه. وأكثرُ هذه المادّةِ التاريخيةِ يتعلّقُ بعصرِ الموحّدين الذي سَقَطَتْ خِلالَهُ مُعْظَمُ حواضرِ الأندلسِ الكبيرةِ في أيديِ النصارى. والحِمْيَرِيُّ يُعْنِي بتفصيلِ ذلك على نحوٍ فريدٍ وفي أسلوبٍ عربيٍّ رصينٍ ممّا يجعلُ لهذا الكتابِ أهميةً كبيرةً للمُؤرِّخِ والجُغرافيِ على السَّواءِ ».

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب « الرّوضِ المِطارِ »:

.... وبعدُ فإنِّي قصِدْتُ في هذا المجموعِ ذَكَرَ المَواضِعِ المشهودةِ عندَ الناسِ من العربيةِ والعجميةِ^(١)، والأصقاعِ التي تعلّقتْ بها قِصَّةٌ أو كانَ في ذِكْرِها فائدةٌ، أو كلامٌ فيه حِكْمَةٌ أو خبرٌ لها ظريفٌ أو معنى يُسْتَمَلَحُ أو يُستغربُ ويحسُنُ إيرادُه. أما ما كانَ غريباً عندَ الناسِ - ولم يتعلّقْ بذكره فائدةٌ، ولا له خبرٌ يحسُنُ إيرادُه - فلا أَلِمُّ^(٢) بذكره ولا أتعَرَّضُ له غالباً استغناءً عنه واستثقالاً لذكره. ولو ذهبتُ إلى إيرادِ المَواضِعِ والبِقاعِ على الاستقصاءِ لَطَالَ الكتابُ وقلَّ إمتاعُه^(٣). فأقتصرتُ لذلك على المشهورِ من البِقاعِ وما في ذكره فائدةٌ ونكتفي عمّا سوى ذلك^(٤).

ورَتَّبْتُهُ على حروفِ المُعْجَمِ لها في ذلك من الإحاضِ^(٥) (١) المرغوب فيه ولمّا فيه

(١) من اللغة العربية واللغة الأعجمية (الأجنبية: الإسبانية).

(٢) لا أَلِمُّ بذكره: لا أذكره. أَلِمْتُ بالشَّيْءِ: مرَّ به مرّاً خفيفاً.

(٣) الاستقصاء: الاستنفاد (محاولة ذكر كلِّ شيءٍ يتعلّقُ بمَوْضِعٍ ما). الإمتاع: السرور.

(٤) الإحاض (في الأصل): أن تأكل الإبل نبتاً حامضاً (بعد أن تكون قد أمتلأت بطونها من العشب

المادي). والإحاض أيضاً: تناول المتحدثين بعض أحاديث الهزل. والمقصود هنا: التنقل بين أشياء

متباعدة (فلا تملّ النفس من مطالعة موضوعات متقاربة المعاني).

من هُجُومِ الطالبِ على أسمِ الموضوعِ الخاصِّ من غيرِ تكَلُّفٍ عَنَاءٍ^(١) ولا تَجَسُّمٍ^(٢). فقد صارَ هذا الكتابُ محتوياً على فَنَيْنِ مختلفَيْنِ: أحدهما ذِكرُ الأقطارِ والجهاتِ وما اشتملتُ عليه من النُّعوتِ والصفَّاتِ؛ وثانيهما الأخبارُ والوقائعُ والمعاني المختلفةُ بها الصادرةُ عن مجتليها^(٣). وأختلستُ (في) ذلك ساعاتٍ زماني وجعلتهُ فُكاهَةً نفسي. وأنصبتُ فيه فِكْري وبدي ورُضَّتُهُ^(٤) حتى آنقَدَ للعمل وجاءَ حَسَبُ الأصلِ فأصبحَ طارداً للهمومِ مُلقياً للغمومِ وشاهداً بِقُدرةِ القَيِّومِ^(٥) مُغنياً عن مُؤانسةِ الصَّحْبِ مُنبِّهاً على حكمةِ الرِّبِّ باعثاً على الاعتبارِ مُستحضراً لخصائصِ الأقطارِ، مُشيراً لآثارِ الأُمِّ وأحداثها مُشيراً^(٦) إلى وقائعِ الأخبارِ وأنبائها.....

وجعلتُ الإيجازَ في هذا الكتابِ قصدي وَحَرَصْتُ على الاختصارِ جُهدي حتى جاءَ نسيجٌ وحده مَلِيحاً في فنِّه، غريباً في معناه مُبهِجاً للنفوسِ المُتَشَوِّقةِ ومُذهِباً للأفكارِ المحرَّقةِ^(٧)، مُؤنساً لِمَنِ استولى عليه الانفرادُ ورَغِبَ عن مُعاشرةِ الناسِ. ومعَ هذا فقد لُمْتُ نفسي على التَّشَاغُلِ بهذا الوضعِ الصَّادِ^(٨) عن الاشتغالِ بما لا يُغني عن أمرِ الآخرةِ والمُهمِّ عن العلمِ المُزَلِّفِ^(٩) عند الله تعالى. وقلتُ: هذا شأنُ البطَّالينِ وشُغلٌ مَن لا يَهْمُهُ وقتهُ. ثم رأيتُ ذلك من قَبيلِ ما فيه ترويحٌ لهذه النفوسِ ومن حُسْنِ تعليلها بالمُبَاحِ لِمَن ينشَطُ إلى ما هيَ به أَغْنَى^(١٠). ثم هو مَهَيِّجٌ^(١١) يَسْلُكُهُ الناسُ، وأَعْتَنِي به طائفةٌ من العلماءِ وقِيَدَهُ جماعةٌ من أهلِ التحصيلِ، فلا حَرَجَ^(١٢) من الاقتداءِ بهم.....

- (١) العناءُ التعبُ. تكَلَّفَ عَنَاءً: بذلَ جُهداً (بالضَّم).
- (٢) تَجَسَّمُ الأمرُ: تكَلَّفَهُ (حاول القيامَ به). تَجَسَّمُ تَعَبٌ: مُعَانَاةٌ مُشَقَّةٌ وَعُسْرٌ.
- (٣) مجتلبُ الشيءِ: الذي يأتي بالشيءِ من مصدره.
- (٤) راضٍ فلانُ الأمرِ: مارسه وذلكه.
- (٥) القَيِّومُ (من أسماءِ الله الحسنى).
- (٦) «مُشيراً» وردتِ مرَّتَيْنِ. لعلَّ الأولى «مُشيراً» (بالثاء: كاشفاً). مُشيراً (الثانية): دالاً.
- (٧) المحرَّقةُ (؟)، لعلها: المُحرَّقةُ.
- (٨) الصَّادُ: الرادُّ، الرادع، المانع.
- (٩) والمهمُّ (الضروري؟). المزلفُ: المُقَرَّبُ.
- (١٠) أغنى: أكثرَ عنايةً (أهتماً وأشتغالاً) بالشيءِ.
- (١١) المهيجُ: الطريقُ الواضحُ.
- (١٢) لا حَرَجَ: لا ضيقَ، لا ضررَ.

– الاستعداد لمعركة الزلاقة^(١).

قال عبد المنعم الحميري في «الروض المطار» (نفع الطيب ٤: ٣٦٢):

فلما عَبَرَ يوسفُ وجميعُ جيوشِهِ إلى الجزيرة الخضراء انزعج^(٢) إلى أشبيلية على أحسنِ الهيئات: جيشاً بعدَ جيشٍ، وأميراً بعدَ أميرٍ، وقيلاً بعدَ قبيل^(٣). وبعثَ المُعتمدُ ابنَهُ إلى لقاءِ يوسفَ، وأمرَ عُمَالَ البلادِ بِجَلْبِ الأتواتِ والضيافات. ورأى يوسفُ من ذلك ما سرَّه ونَشَطَه. وتواردتِ الجيوشُ معَ أمرائها على إشبيلية. وخرجَ المُعتمدُ إلى لقاءِ يوسفَ من إشبيلية في مائةِ فارسٍ ووُجوهٍ أصحابِهِ. فلما أتى محلَّةَ يوسفَ ركضَ نحوَ القومِ، وركضوا نحوهَ. فبرزَ إليه يوسفُ وحده، والتقىا مُنفردَيْنِ وتصافحا وتعانقا، وأظهرَ كُلُّ منهما لصاحبه المودَّةَ والخُلوصَ^(٤)، وشكراً نِعَمَ اللهِ تعالى وتواصيا بالصَّبْرِ والرحمةِ وبشرا أنفُسهما بما استقبلاه من غزوِ أهلِ الكُفْرِ، وتضرُّعا إلى اللهِ تعالى في أن يجعلَ ذلك خالصاً لوجههِ مُقرباً إليه، وافترقا.....

وكان الأذفونش^(٥) لما تحقَّقَ الحركةُ والحربُ استنفرَ جميعَ أهلِ بلادِهِ وما يليها وما وراءها. ورَفَعَ القسَّيسونَ والرُّهبانُ والأساقِفَةُ صُلبانَهُم ونَشَرُوا أُناسيلَهُم. فاجتمعَ إليه من الجلائقةِ والإفرنجيةِ^(٦) ما لا يُحصى، وجوَّاسيسُ كُلِّ فريقٍ تتردَّدُ بينَ الجميعِ. وبعثَ الأذفونشُ إلى ابنِ عبَّادٍ أَنَّ صاحِبَكُم يوسفُ قد تَعَنَّى^(٧) من بلادِهِ وخاضَ البُحورَ، وأنا أَكفيكَ العناءَ فيما بَقِيَ ولا أَكُلِّفُكُم تَعَباً: أمضي وألقاكم في بلادِكُم رِفْقاً بِكُم وتوفيراً عليكم^(٨).

(١) راجع، فوق، ٥: ٣٣.

(٢) الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس. انزعج: انتقل.

(٣) القبيل: القوم تجمعهم قرابة. (كان كُلُّ جيشٍ من الجيوش - أو كُلُّ قسمٍ من الجيش الواحد - يتألف من جنود ينتمون إلى قبيلة واحدة أو إلى قبائل متقاربة في النسب).

(٤) الخُلوص: الصفاء.

(٥) الأذفونش لقب ملوك قشتالة. والأذفونش المقصود هنا هو الفونس (ألفونسو) السادس ملك ليونة (١٠٦٥ م) وقشتالة (منذ ١٠٧٢ م) وكانت هزيمته في معركة الزلاقة سنة ١٠٨٦ م (٤٧٩ للهجرة).

(٦) الجلائقة أهل جليقية (الشمال الغربي من إسبانية. الإفرنجية (سكان غالة: فرسة اليوم).

(٧) تعنَّى: تعب، تكلف القيام بأمر فيه مشقة. العناء: التعب.

(٨) في هذه الجمل تهكم.

وقال (الأذفونش) لِإِخْصَاتِهِ وَأَهْلٍ مَشُورَتِهِ: إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي إِنْ مَكْتَنَّمُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِي فَنَاجِزُونِي فِيهَا وَبَيْنَ جُدْرِيهَا - وَرَبِّهَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيَّ^(١) - يَسْتَحْكُمُونَ الْبِلَادَ وَيَخْصُدُونَ مَنْ فِيهَا غَدَاةً وَاحِدَةً^(٢). وَلَكِنْ أَجْمَلُ يَوْمَهُمْ مَعِيَ فِي حَوْزِ بِلَادِهِمْ^(٣).....

ثُمَّ بَرَزَ بِالْمُخْتَارِ مِنْ جُنُودِهِ وَأَنْجَادِ جُمُوعِهِ عَلَى بَابِ دَرْبِهِ^(٤)، وَتَرَكَ بَقِيَّةَ جُمُوعِهِ خَلْفَهُ، وَقَالَ - حِينَ نَظَرَ إِلَى مَا اخْتَارَهُ مِنْهُمْ - يَهُوْلَاءُ أَقَاتُلُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَمِلَاتِكَةَ السَّمَاءِ. فَالْمَقْلُّ يَقُولُ: الْمُخْتَارُونَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دَارِعٍ^(٥)، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَتْبَاعٌ. وَأَمَّا النَّصَارَى فَيَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَاتَّفَقَ الْكُلُّ (عَلَى) أَنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ أَقَلُّ مِنَ الْكُفَرَةِ.....

٤ - صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب «الروض المطار» - عني بنشرها إ. لافي بروفتنصال - وقف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م؛ بيروت (الشركة المتحدة للتوزيع) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
* نفع الطيب ٤: ٣٥٤ وما بعد، ٣٥٧ وما بعد، ٣٦٠، ٣٦٣ وما بعد، ٣٦٨ وما بعد، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥ - ٦٧٦؛ بروكلمن ٢: ٥٠، الملحق ٢: ٣٨، ٣: ١٢٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٨١ (٥٣)؛ بالنشأ ٣١١ - ٣١٢.

الجزولي (*) السِّلَالِي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن سليمان (أو ابن عبد الرحمن) بن أبي بكر الجزولي

- (١) ناجزوني: قاتلوني، حاربوني. الجدر (بضم فضاء) جمع جدر (بالكسر): الحائط. كانت الدائرة عليّ: انهزمت، هلك.
- (٢) «استحكم» ليست هنا في مكانها (المقصود: تحكّم في البلاد: سيطر فيها). غداة واحدة = في غداة واحدة (في وقت قصير).
- (٣) الحوز: قطعة من الأرض يحوزها (يملكها ويؤورها) أهل مدينة فتكون خالصة لهم.
- (٤) الأنجاد جمع نجد (بفتح فكسر أو بفتح فضاء): الرجل الشجاع، والذي يضي في ما لا يستطيعه غيره.
- (٥) الدرب (هنا): كل طريق يؤدي إلى ظاهر (خارج) البلد.
- (*) الجزولي (بفتح الجيم أو بضمها) نسبة إلى قبيلة جزولة (بجيم فارسية).

السَّمْلَايَ (من قبيلة سَمْلَالَة أَحَدِ فُرُوعِ جَزُولَة) وهو من أَهْلِ (سِلْسِلَةِ جِبَالِ) السُّوسِ
الْأَقْصَى الْمَرَاكُشِيَّةِ (فِي جَنُوبِي الْمَغْرِبِ).

وُلِدَ الْجَزُولِيُّ السَّمْلَايُّ سَنَةَ ٨٠٧ لِلْهِجْرَةِ (١٤٠٤-١٤٠٥ م). وَيَبْدُو أَنَّهُ غَادَرَ
مَوْطِنَهُ فِي مَطْلَعِ حَيَاتِهِ، بَعْدَ حَادِثَةِ مُحَلِّيَّةٍ أَقْرَفَ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ بِقَتْلِ مُوَاطِنٍ حَتَّى يُمَكِّنَ
الْإِصْلَاحَ بَيْنَ أَهْلِ الْقَتِيلِ وَأَهْلِ الْقَاتِلِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْبَلَدِ (رَاجِعْ نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ
٣١٧ س). فَخَرَجَ إِلَى طَنْجَةَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فَاسَ وَتَلَقَّى فِيهَا شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ، وَدَوَّنَ فِيهَا
«دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ». وَفِيهَا أَيْضاً لَقِيَ الشَّيْخَ زَرْوَقَ^(١). ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى السَّاحِلِ (إِلَى
طَنْجَةَ؟) وَلَقِيَ هُنَاكَ «أَوْحَدَ وَقْتَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمْفَارَ الصَّغِيرِ» وَأَخَذَ عَنْهُ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، بَعْدَ تَطَوُّفِهِ فِي الْمَغْرِبِ، وَقَضَى مُدَّةً فِي الْحِجَازِ. وَبَعْدَ
رُجُوعِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ- فِيمَا قِيلَ- دَخَلَ فِي الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ ثُمَّ اعْتَزَلَ مُتَكَيِّفًا وَأَنْقَطَعَ فِي
الْحُلُوةِ (فِي فَاسَ) أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وكَانَتْ وَفَاةُ الْجَزُولِيِّ السَّمْلَايِّ- فِيمَا قِيلَ- مَسْمُومًا، فِي مَكَانٍ أَسَمَهُ آفَغَالُ (أَوْ
أَفُوغَالُ)، فِي السَّادِسَةِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٨٧٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٤/٨/٩ م).
وَبَعْدَ سَبْعِ سَنَاتٍ نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ^(٢) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- الْجَزُولِيُّ السَّمْلَايُّ فَقِيهٌ صَوْفِيٌّ مَشْهُورٌ وَمِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ الَّذِينَ بَلَّغُوا فِي
التَّصَوُّفِ مَرْتَبَةً عَالِيَةً، جَاءَ فِي «نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ» (ص ٣١٧): «الْعَالِمُ الْعَارِفُ الْوَلِيُّ
الصَّالِحُ الْقُطْبُ... نُخْبَةُ الدَّهْرِ وَوَحِيدُ الْعَصْرِ، مُحْيِي الطَّرِيقَةِ (الصَّوْفِيَّةِ) بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ
دَرْسِهَا وَ(كَاشَفِ) شَمْسِ الْحَقِيقَةِ عِنْدَ طَمَسِهَا». وَهُوَ مُصَنِّفٌ، لَهُ: دَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ
وَشَوَارِقُ الْأَنْوَارِ فِي ذِكْرِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْخِتَارِ - حِزْبُ الْفَلَاحِ^(٣)- الْعُجَالَةُ فِي

(١) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى الْبَرَنْسِيِّ الْفَاسِيِّ الْمَعْرُوفُ بِزَرْوَقٍ، فَقِيهٌ وَمُحَدِّثٌ وَصَوْفِيٌّ.
سَاحَ فِي الْمَغْرِبِ وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَزَارَ مِصْرَ وَالْحِجَازَ. لَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي الْفِقْهِ وَفِي التَّصَوُّفِ. كَانَتْ وَفَاتُهُ
سَنَةَ ٨٩٩ (١٤٩٣-١٤٩٤ م) فِي تَكْرِينَ (مِنْ قُرَى مَسْرَاتِهِ) مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ (لِيبْيَا).

(٢) نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى مَرَّاكُشَ بَعْدَ سَبْعِ سَنَاتٍ مِنْ مَوْتِهِ؛ وَفِي نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ بَعْدَ سَبْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَوُجِدَتْ
سَلِيمَةً لَمْ تَتَغَيَّرْ!

(٣) «دَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ» تَعْبِيرٌ أَطْلَقَ فِيهَا بَعْدَ عَلَى مَجْمُوعِ مَعْيَنٍ مِنَ الْأَدْعِيَةِ تَقَالُ فِي غُفْبِ الصَّلَوَاتِ أَوْ فِي
فَرَاتٍ مِنَ التَّهَجُّدِ وَالْعِبَادَةِ (أَلْفَهُ فِي فَاسَ). الْحِزْبُ فِي الْأَصْلِ رِبْعُ جُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (وَالْقُرْآنُ =

٣- مختارات من آثاره

- من دلائل الخيرات للجزولي السملالي:

.... أفضل صلوات (*) الله وأحسن صلوات الله وأجل صلوات الله وأكمل صلوات الله وأسبغ^(١) صلوات الله وأتم صلوات الله وأظهر صلوات الله وأعظم صلوات الله وأزكى^(٢) صلوات الله وأطيب صلوات الله وأبرك صلوات الله وأوفى صلوات الله وأسنى^(٣) صلوات الله وأعلى صلوات الله وأكثر صلوات الله وأجمع صلوات الله وأعم صلوات الله وأدوم صلوات الله وأبقى صلوات الله وأعز صلوات الله وأرفع صلوات الله على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله وأجل خلق الله وأكرم خلق الله وأجل خلق الله وأكمل خلق الله وأعظم خلق الله عند الله: رسول الله ونبي الله وحبيب الله وصفي الله ونجي^(٥) الله و خليل الله وولي الله وأمين الله وخيرة^(٦) الله من خلق الله، ونخبة الله من

= الكريم ثلاثون جزءاً)، ويطلق على مقدار من القراءة والأدعية يأخذ المسلم نفسه بقراءته في أوقات معينة.

(*) يحسن أن ندرك أن في هذا الدعاء أشياء . أولى هذه الأشياء أن الجزولي السملالي يريد أن يجمع في دعائه هذا كل أنواع المديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورسول الله أهل لكل هذا المديح ولأكثر منه أيضاً . ثم إن الجزولي هذا لا يلتقي بالأكبر للصفات التي يضيفها إلى الأسماء: أفضل صلوات الله وأجل.... وأحسن.... وأعلى.... وأرفع صلوات الله، إلخ . الغاية الأساسية جمع هذه الصفات في سلك طويل من غير تفريق في خصائصها (ظلال معانيها) . ثم هنالك شيء أدعى إلى الملاحظة (مع العلم بأن النص هنا مختارات)، هو أن ترتيب الصفات المضافة إلى الصلوات (أفضل صلوات الله وأحسن صلوات الله ثم تجري على ترتيب واحد مع الصفات التي سيخلفها الجزولي السملالي على الرسول (على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله، إلخ).

(١) أسبغ: أوسع وأكثر شمولاً.

(٢) أظهر: أبين، أوضح؛ أقوى. أزكى: أظهر.

(٣) أسنى: أعلى؛ أضوأ (أكثر ضوءاً أو نوراً). أوفى: أتم وأكمل.

(٤) أعز: أقوى؛ أندر؛ أحب.

(٥) الصفي: الذي تجعله صديقاً خالصاً لك دون سواه . والنجي: الذي تسارّه (تظلمه على أسرارك دون غيره).

(٦) الخليل: الصديق الخالط (الذي يعرف دخائل أمورك). الولي: الذي يتولى أمورك ويكون كل اعتمادك في كل شيء عليه . خيرة الله (الذي اختاره الله).

بَرِيَّةٌ^(١) الله، وصفوة الله من أنبياء الله، وعُرْوَةٌ^(٢) الله وعِصْمَةٌ الله ونعمة الله ومِفْتَاح رحمة الله، المختار من رُسُلِ الله، المُنتخب من خلق الله، الفائز بالمُطلب في المَرْهَب والمرغَب، المُخلص فيما وَهَب^(٣)، أَكْرَم مبعوث، أَصْدَق قائل، أَنجَح شافع، أَفْضَل مُشَفِّع، الأَمِين فيما أَسْتَوْدَع، الصادق فيما بَلَّغ، الصّادع بأمر ربّه، المُضْطَلَع بما حُمِّل^(٤)، أَقْرَب رسلِ الله إلى الله وسيلةً وأَعْظَمِهِمْ غَدَاً^(٥) عند الله مَنْزِلَةٌ وَفَضِيلَةٌ، وأَكْرَمُ أَنْبِيَاءِ الله الكَرَامِ الصَّفْوَةِ على الله^(٦)، وأَحَبُّهُمْ إلى الله وأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى^(٧) إلى الله، وأَكْرَمُ الخَلْقِ على الله وأَحْظَاهُمْ^(٨) وأَرْضَاهُمْ لدى الله، وأَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا وَأَعْظَمُهُمْ مَحَلًّا وأَكْرَمُهُمْ مَحَاسِنَ وَفَضْلًا، وَأَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ دَرَجَةً وَأَكْمَلُهُمْ شَرِيعَةً، وَأَشْرَفُ الْأَنْبِيَاءِ نَصَابًا وَأَبْيَنُهُمْ خِطَابًا^(٩) وَأَفْضَلُهُمْ مَوْلِدًا وَمُهَاجِرًا وَعِتْرَةً^(١٠) وَأَصْحَابًا، وَأَكْرَمُ النَّاسِ أَرْوَمَةً وَأَشْرَفُهُمْ جُرْثُومَةً^(١١)، وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا وَأَطْهَرُهُمْ قَلْبًا وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا وَأَزْكَاهُمْ فِعْلًا وَأَثْبَتُهُمْ أَصْلًا^(١٢) وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَمَكْنَهُمْ مَجْدًا وَأَكْرَمُهُمْ طَبْعًا وَأَحْسَنُهُمْ صُنْعًا وَأَطْيَبُهُمْ قَرْعًا^(١٣) وَأَكْثَرُهُمْ سَمْعًا وَطَاعَةً^(١٤) وَأَعْلَاهُمْ مَقَامًا وَأَحْلَاهُمْ كَلَامًا وَأَزْكَاهُمْ

- (١) البرية: الخلق (بالفتح)، مجموع البشر.
- (٢) العروة: ما يملك به الإنسان (ليستعين به على الثبات في موقفه). العصمة: الحماية ما يلجأ إليه الإنسان (ليدفع عنه خطراً ما).
- (٣) المَرْهَب: الأشياء التي يرهَب (يخاف) الإنسان منها. والمرغَب: المراد (بالضم) أو ما يريد الإنسان أن يحصل عليه. المُخلص فيما وَهَب (أعطى): الذي خَصَّهُ الله بما أعطاه دون غيره (من الرسل).
- (٤) الصّادع: الذي يعلن الأمر ويجهز به (من غير تردد أو خوف). المضطلع (القدير في القيام بالأمر) بما حُمِّل (من الرسالة إلى جميع البشر).
- (٥) غَدَاً (يوم القيامة).
- (٦) وَأَكْرَمُ على الله (أَعَزَّ وَأَرْفَعُ مكانة) عند الله من جميع الأنبياء (الذين هم أيضاً ذوو مكانة عند الله، والذين هم الصفة المختارون من سائر الناس).
- (٧) أَقْرَبُهُمْ زُلْفَى إلى الله: أَكْثَرُهُمْ أَثَرًا في الزُلْفَى (التقريب) بجاههم إلى الله.
- (٨) أَحْظَاهُمْ: أَقْرَبُهُمْ مَنْزِلَةً.
- (٩) النصاب: الأصل، قوم الرجل. أبينهم: أوضحهم.
- (١٠) المهاجر: المكان الذي يهاجر الإنسان إليه. العترة: عشيرة الرجل وقومه.
- (١٠) الأرومة والجُرْثُومَة: الأصل الذي ينتمي الإنسان إليه من النسب.
- (١٢) أَزْكَاهُمْ (أَطْهَرُهُمْ) فعلاً: خيرهم أَعْمَالًا. أَثْبَتُهُمْ أَصْلًا (لا اختلاف في سرد نسبه).
- (١٣) أَمَكْنَهُمْ: أَثْبَتَهُمْ. الفرع: النسب القريب (في مقابل الأرومة والجُرْثُومَة: الأصل البعيد).
- (١٤) أَكْثَرُهُمْ سَمْعًا (لقول الله) وطاعة (له).

سَلَاماً وَأَجَلَّهُمْ قَدَرًا وَأَعْظَمَهُمْ فَخْرًا وَأَسْنَاهُمْ نُورًا^(١) وَأَرْفَعَهُمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى^(٢) ذِكْرًا
وَأَصْدَقَهُمْ وَعَدًا وَأَكْثَرَهُمْ شُكْرًا وَأَعْلَاهُمْ أَمْرًا وَأَجَلَّهُمْ صَبْرًا وَأَحْسَنَهُمْ خَيْرًا وَأَقْرَبَهُمْ
يُسْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مَكَانًا^(٣) وَأَعْظَمَهُمْ شَأْنًا وَأَثْبَتَهُمْ بُرْهَانًا وَأَرْجَحَهُمْ مِيزَانًا وَأَوَّلَهُمْ إِيْمَانًا
وَأَوْضَحَهُمْ بَيَانًا وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا وَأَظْهَرَهُمْ بُرْهَانًا^(٤)...

٤- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، بطرسبورج ١٨٤٢ م
(١٢٥٢ هـ)؛ فاس بلا تاريخ^(٥)؛ القاهرة (مطبعة المدارس بالأزبكية) ١٢٥٦ هـ؛ القاهرة
(مطبعة كاستللي) ١٢٧٧ هـ؛ القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة (مطبعة الطوخي)
١٢٨٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة أبي زيد) ١٢٨٩، ١٢٩١، ١٢٩٤، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٣٠٤ هـ
١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧، ١٣٠٨ هـ، إلخ؛ القاهرة (مطبعة البابي الحلبي) ١٣٥٦ هـ
(١٩٣٧ م)؛ استانبول ١٢٦٤، ١٢٧٣، ١٢٧٥، ١٢٩٣، ١٣٠١، ١٣١٤ هـ؛ وطبعت في
الهند: دلهي ١٢٨٩، ١٣٠٢، ١٣١١ هـ؛ بومباي (مع ترجمة بين السطور بالسندية)
١٢٩٤ هـ؛ تلتشري (مع ترجمة بين السطور بالفارسية والهندستانية ومع زيادة في الأدعية
لمولانا حفاظت حسين) ١٢٩٦ هـ؛ كاونبور ١٢٩٨، ١٣٠٣، ١٣٠٤ هـ؛ لاهور (مع ترجمة
بين السطور بالهندستانية) ١٣٠٢ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية لفلام
أحمد) ١٣١٧ هـ. مدراس (مع ترجمة بين السطور بلغة التاميل: «نوافل البركات» لمحمد
عبد الرحمن قادر مرام) ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ)؛ الجزائر ١٣٢٢ هـ.

شروح على «دلائل الخيرات»:

- مطالع المسرات، لأحمد بن علي بن محمد المهدي الفاسي (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٣ م)، القاهرة
١٢٧٨، ١٣٠١، ١٣٠٩ هـ. ١٣٢٧ هـ.
- شرح، للعدوي الحمزاوي (ت ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م)، القاهرة ١٢٨٩ هـ.
- الأنوار اللامعات شرح دلائل الخيرات، لعبد الرحمن بن محمد الفاسي
(ت ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢ م)، فاس ١٣١٧ هـ.

***- تمتع الأسماع في ذكر (او: بمناقب) الشيخ الجزولي والتباع (بفتح التاء) وما لها من

(١) أَجَلَّهُمْ (أَعْظَمَهُمْ) قَدَرًا (مَكَانَةً). أَسْنَاهُمْ (أَضْوَاهُمْ، أَسْطَمَهُمْ، أَشْهَمَهُمْ).

(٢) الْمَلَأُ الْأَعْلَى (العالم الروحاني): لدى الله.

(٣) أَقْرَبَهُمْ يَسْرًا: أَكْثَرَهُمْ تَحْقِيقًا تَسْيِيرَ الْأُمُور (على الوصول إلى صالح الأعمال وإلى الثواب عليها) وَأَبْعَدَهُمْ
مَكَانًا (عن أن يصل إلى مرتبته ومقامه أحد).

(٤) الْبُرْهَانُ: (النور القوي الذي يظهر حقائق الأشياء) والدليل (الذي يثبت الأمور على ما يجب أن تثبت
الأمور عليه).

(٥) يبدو أن جميع هذه الطبقات طبع حجر. ثم إنه طبع بعد ذلك بالحروف وفي أماكن عديدة.

الأتباع، لأبي عبد الله محمد المهدي القاسي^(١)، فاس ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ.
- الدلائل الواضحات: حاشية مختصرة على دلائل الخيرات، ليوسف بن إسماعيل النبهاني^(٢)،
الطبعة الثانية، القاهرة (البابي) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

نيل الابتهاج ٣١٧ (طبعة فاس ٣٣٩)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٢٧-٥٢٨؛
بروكلمن ٢: ٣٢٧-٣٢٨، الملحق ٢: ٣٥٩-٣٦٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١ (٦: ١٥١)؛
معجم المؤلفين ١٠: ٥٢ (١١: ١١٨)، ترجمة مكرورة؛ النبوغ المغربي ٣٦٥؛ سركيس
٦٩٧.

القاضي ابن الأزرق

- هو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن
القاسم بن الأزرق الأصبغي الغرناطي من أهل وادي آش، وُلِدَ سَنَةَ ٨٣٢
(١٤٢٨-١٤٢٩ م). تَلَقَّى ابْنُ الْأَزْرَقِ الْعِلْمَ فِي غَرْنَاطَةِ: لَازَمَ الْأُسْتَاذَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ
أَحْمَدَ بْنِ قَتُوحٍ مُفَقِّهِ غَرْنَاطَةَ وَأَخَذَ عَنْهُ أُصُولَ الدِّينِ وَأُصُولَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوَ وَالْمَنْطِقَ،
وَحَضَرَ مَجَالِسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّرْقُسْطِيِّ - مُفَقِّهِ غَرْنَاطَةَ أَيْضاً - فِي الْفِقْهِ
وَحَضَرَ مَجَالِسَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي يَحْيَى بْنِ شَرَفِ التِّلْمَسَانِيِّ.

وَتَوَلَّى ابْنُ الْأَزْرَقِ الْقِضَاءَ فِي غَرْنَاطَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا اشْتَدَّ ضَغْطُ النَّصَارَى الْإِسْبَانِ
عَلَى غَرْنَاطَةَ غَادَرَهَا إِلَى تِلْمَسَانَ ثُمَّ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى الْحِجَازِ فَحَجَّ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ؛ كُلُّ
ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الْإِسْتِجَادِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبْرَزَهُمْ يَوْمَئِذٍ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ
(٨٧٢-٩٠١ هـ) مِنْ أَسْرَةِ الْمَمَالِكِ الْبَرْجِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَلَكِنْ دَعَوَتُهُ لَمْ تُثْمَرْ.

وَأَحَبَّ قَايْتَبَايَ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِ ابْنِ الْأَزْرَقِ وَنَزَاهَتِهِ فَعَيَّنَهُ فِي مَنْصِبِ قَاضِي
الْقُضَاةِ فِي الْقُدْسِ. وَوَصَلَ ابْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى الْقُدْسِ فِي سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ

(١) هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن يوسف (من أتباع الجزولي السملالي)، ولد سنة ١٠٣٣ هـ
(١٦٢٤ م) وتوفي ١١٠٩ هـ (١٦٩٨ م) - (بروكلمن، الملحق ٢: ٧٠٣، راجع ٣٥٩؛ سركيس ١٤٢٨).

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني، ولد سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتوفي سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م): أديب
وشاعر وفتيه مشدد، ألف عدداً كبيراً من الكتب أكثرها في الأمور الإسلامية مع حلة شديدة على
النين مخالفته في تشده (راجع الأعلام للزركلي ٩: ٢٨٩: ٨: ٢١٨).

٨٩٦ (١٤٩١/٨/٢١ م)، ولكنه تُوفِّيَ وشيكاً في سابع عَشَرَ ذي الحجة من سَنَةِ ٨٩٦ (١٤٩١/١٠/٢٠ م).

وفي ثاني ربيع الأول من سَنَةِ ٨٩٧ (١٤٩٢/١/٣ م) استولى النصارى على الحمراء (نفتح الطيب ٤: ٥٢٥) وانتهى الحكم السياسي للمسلمين في الأندلس.

٢- كان القاضي ابن الأزرق فقيهاً وباحثاً مُتَفَنِّناً غلب عليه النظر في العُمران البشري، فقد تَوَقَّرَ في كِتَابِيهِ: «الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك» (نحو ٨٨٣ هـ) و«بدائع السلك في طبائع الملك (بدائع السلوك في نظام الملوك)» على تلخيص عدد من الآراء في مقدمة ابن خلدون أو مُحَاكَاةِهَا. ولابن الأزرق من الكتب أيضاً: روضة الإعلام بمنزلة اللغة العربية من علوم الإسلام - شفاء الغليل في شرح مختصر خليل^(١) - فتاوى.

وكان لابن الأزرق نظمٌ من شعر العلماء أكثره مُقْطَعَاتٌ مَبْنِيَّةٌ على التورية (كلمة لها سَغْنِيَان أحدهما قريبٌ مألوفٌ وثانيهما بعيدٌ ملموح). ويُنسَبُ إليه قصيدةٌ طويلةٌ في سِتَّةِ وتسعين بيتاً في الهزل والسُخْفِ وبعض المُجَوْن (نفتح الطيب ٣: ٢٩٨-٣٠٣)، ولعلها بعيدةٌ عن منهجه. من هذه القصيدة:

لا أُمَّ لي، لا أُمَّ لي	إن لم أُبَرِّدْ شَجَـنِي ^(٢)
وأخْلَعَنَّ في المَجُو	نِ والتصـالِي رَسَنِي ^(٣) .
أفدي صديقاً كان لي	بنفسه يُسَـغِدُنِي:
فـارَةً أَنْصَحُـهُ،	وتـارَةً يَنْصَحُـنِي،
وتـارَةً أَلْعُنُـهُ،	وتـارَةً يَلْعُنُـنِي.
وربِّاً أَصْفَعُـهُ،	وربِّاً يَصْفَعُـنِي....

- (١) الشيخ خليل: بن إسحاق (ت ٧٧٦) كتاب في الفقه المالكي اسمه «المختصر» مشهور جداً.
 (٢) لا أُمَّ لي أو لا أب لي تعبير معناه: لست على حق، أو لست مستحقاً للكرامة (إن لم أفعل كذا وكذا).
 (٣) المجون: الكلام المكشوف والأعمال المحجلة إذا مارسها صاحبها جهاراً. التصابي: فعل أفعال الصبا بعد ذهاب زمنها (بتقدم السن). خلع الرسن: انغمس في الأعمال السيئة بلا مبالاة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الأزرقي في إيجاز شيء من قول ابن خلدون في أهل العصبية:

.... ولا يصدق ذلك إلا إذا كانوا ذوي عصبية وأهل تشيع واحد. وحينئذ تشدد شوكتهم ويخشى جانبهم لما جبل في القلوب من الشفقة والنعرة على ذوي الرحمة والقرابة. ومن ثم قال إخوة يوسف عليه السلام: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾^(١). والمفترقون في النسب قل أن يجد أحد منهم نعمة على صاحبه يوم الكفاح على حد ما هي من ذوي الأرحام، فلا يقدرون لذلك على سكوني القفر^(٢)، وإلا كانوا فريسة لمن سواهم.....

- ومن آرائه في التربية والتعليم (من كتاب بدائع السلك أيضاً):

ولقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن قنوج قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالاً رحباً ويوسع المراجع له قبولاً ورُحْباً^(٣)، بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم ويرتضيه توقيفاً على ما خلص له تحقيقه ووضوح له في معيار^(٤) الاختبار تدقيقه. وإلا فقد كان ما يليقه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل^(٥).....

ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل - إذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء - ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، ولكن^(٦) مع ملازمة التوقير الدائم والإجلال الملائم. فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت^(٧).

(١) القرآن الكريم ١٢: ١٤ يوسف.

(٢) يرى ابن خلدون أن سكنى القفر (البادية) بعيداً عن سلطة الدولة لا تتم إلا للجماعات القوية التي تستطيع الدفاع عن نفسها.

(٣) الشيخ: الأستاذ الكبير الذي يتولى تخريج الطلاب.

(٤) الرحب (بالفتح): صفة بمعنى المتسع. الرحب (بالضم) مصدر بمعنى السعة.

(٥) التوقيف: النص البات كأنه قاعدة. معيار: مقياس.

(٦) .. ما كان الشيخ يليقه (من الدروس) غاية (نهاية، أسمى، كل) ما يتحصل (ما يمكن في باب تحصيل العلوم). ويتمهد (يستقر). يتأصل (يرسخ في النفس).

(٧) لكن..... المقصود: إذا كان مع التوقير للأستاذ.

(٨) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عم الرسول) كان يسمى «ترجان القرآن» لمعرفته بوجوه تفسير =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان قد أَخَذَ عنهم. وخالفَ كثيرٌ من التابعينَ بعضَ الصحابةِ، وإنَّا أخذوا العِلْمَ عنهم. وخالفَ مالكٌ^(١) كثيراً من أَسْياخِهِ..... وكادَ كلُّ من أخذَ العِلْمَ أن يُخالفَهُ بعضُ تلاميذِهِ في عِدَّةِ مسائلٍ، ولم يَزَلْ ذلكَ دأْبَ التلاميذِ مَعَ الأساتِيزِ إلى زماننا هذا. وشاهدنا ذلكَ في أَسْياخِنا مَعَ أَسْياخِهِم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. ولا يَنْبَغِي لِلشَّيْخِ أن يَتَبَرَّمَ من هذه المُخالِفَةِ إذا كانتَ على الوجهِ الذي وصفناه.

- ولاين الأزرق مقطعات فيها تورية:

★★ وربُّ محبوبَةٍ تَبَدَّتْ كأنها الشمسُ في حُلَاهَا^(٢).
فأعجَبَ لحالِ الأَنامِ: مَنْ قد أَحَبَّها فَقَدْ قَلَّاهَا^(٣)!
★★ عُدْرِي في هذا الدُّخانِ الذي جاوَرَ داري واضحٌ في البَيانِ^(٤).
قد قَلَّمْتُ إِنَّ بها زُخْرُفاً ولا يَلِي الزُّخْرَفَ إِلَّا الدُّخانُ^(٥).
★★ تَأَمَّلْتُ من حُسْنِ الرِّبيعِ نِضارَةً وقد غَرَدَتْ فوقَ الغُصُونِ البِلابِلُ.
حَكَتْ في غُصُونِ الدُّوْحِ قِصَّةً فَصاحَةً لَتُعَلِّمَ أَنَّ النَّبْتَ في الرُّوضِ باقِلُ^(٦).

- وقال عند وفاة والدته:

- = القرآن الكريم. ثم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وزيد بن ثابت أخو حنان بن ثابت الشاعر. وزيد بن ثابت كان الذي تولى جمع سور القرآن الكريم بين دفتي كتاب واحد (في مجلد واحد).
- (١) مالك بن أنس عالم أهل المدينة وأحد الأئمة في الفقه وفي رواية الحديث.
- (٢) المحبوبة كناية عن القطائف (نوع من المعجنات تحشى بالجبن عادة ثم تقلى بالسمن وتغمس بالقطر أو السكر المغلي بالماء حتى يصبح على شبه من الكثافة).
- (٣) التورية في كلمة «قلاها» (المعنى القريب: أبغضها لوجود القرينة «أحبها» - والمعنى البعيد المقصود «طبخها بالسمن»).
- (٤) - يبدو أنَّ الناس قد عاتبوا ابن الأزرق لوجود دخان يتصاعد من قرب بيته.
- (٥) في البيت تورتيتان. الزخرف (الذهب، الزينة - والزخرف السورة الثالثة والأربعون في المصحف). والدخان (السُّخام الأسود المتصاعد من النار - والدخان السورة الرابعة والأربعون في المصحف).
- (٦) حكى: شابه، مائل. الدوحة: الشجرة الكبيرة. قسَّ بن ساعدة الأيادي من خطباء العرب في الجاهلية كان مشهوراً بالفصاحة. التورية في «باقل» (باقل: نابت، لقرينة النبت - وباقل كان رجلاً من بني إباد معروفاً بالميّ (المجزر أو الكسل عن الكلام)، لقرينة قسَّ (بن ساعدة الأيادي الذي كان مشهوراً بالفصاحة).

تقولُ لي، ودموعُ العينِ واكفةُ: ما أفضَحَ البينَ والتَّرحالَ، يا وَلَدِي^(١)
فقلتُ: أينَ السُّرى؟ قالت: لِرَحْمَةٍ مَنْ قد عَزَّ في المُلْكِ لم يُولَدَ ولم يُلِدِ^(٢)

٤-★★ نيل الابتهاج؛ شجرة النور الزكية ٢٦١؛ نفح الطيب ٢: ٦٩٩-٧٠٤، ٣: ٢٩٨-٣٠٣، راجع ٦: ١٥١-١٥٣، ٤٤٧؛ أزهار الرياض ٣: ٣١٧-٣٢٣؛ بروكلمن ٢: ٣٤٣؛ الأصالة (السنة الثالثة - العدد ١٣) ص ١٢١-١٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩)؛ معجم المؤلفين ١: ٤٣.

القلصادي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عليٍّ القُرَشِيُّ البَسْطِيُّ الأندلسيُّ المغربي الشهيرُ بالقلصَاديِّ، أصله من بَسْطَةَ (على مَقَرَبَةٍ من غَرْنَاطَةِ شَرْقًا في شَال). وفي بَسْطَةَ كان مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٨١٥ للهجرة (١٤١٢-١٤١٣ م).

أَتَقَلَّ القلصَاديُّ إلى غَرْنَاطَةِ وَاسْتَوَظَنَهَا لَطَلَبِ العِلْمِ فَقَرَأَ فِيهَا على إِبْرَاهِيمَ بنِ أَحْمَدَ ابنِ فَتْوحٍ مُفْتِي غَرْنَاطَةِ (وكانتْ له مِشارَكَةٌ في عِلْمِ الأُصولِ والنحوِ والفَلَكِ، كما كانتْ له أَرْجُوزَةٌ في النجوم). وكذلك قرأ فيها على أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ السَّرْقُسْطِيِّ، وكان فقيهاً ومُفْتِيّاً.

وَرَحَلَ القلصَاديُّ إلى المَشْرِقِ، فَمَرَّ في طَرِيقِهِ بِتِلْمَسانَ فَقَرَأَ على يوسُفَ بنِ سُلَيْمَانَ وَمُحَمَّدِ بنِ النُّجَّارِ والشَّريفِ مُحَمَّدٍ المَعْرُوفِ بِلَقَبِ حَمُو. ومن أَشْهُرِ شُيُوخِهِ في تِلْمَسانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ مَرْزُوقِ الحَفِيدُ (راجع المختارات).

ثمَّ أَرْتَحَلَ من تِلْمَسانَ إلى حَاضِرَةِ تُونِسَ وأَخَذَ عن قَاضِي الجَماعَةِ أَبِي الفَضْلِ قاسِمِ ابنِ عَقابٍ والقَلْشانيِّ وحلُولو^(٣). ومن تُونِسَ تَابَعَ سَيرَهُ إلى المَشْرِقِ فَحَجَّ وَسَمِعَ من نَفَرٍ من

(١) الواكف: السائل، المتحدِّث. البين: البعاد والفراق.

(٢) السرى: المسير (ليلاً)، الذهاب. عزَّ: قوي. لم يولد ولم يلد: هو الله تعالى (راجع القرآن الكريم ١١٢: ٣ الإخلاص).

(٣) راجع نفح الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٣ ابن عقاب (٤). القلشاني هو قاضي الجماعة في تونس أبو العباس أحمد ابن محمد القلشاني المتوفى سنة ٨٦٣ للهجرة (شجرة النور الزكية، ص ٢٥٨، رقم ٩٤٣). وحلولو هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن البيضايني القروي (نسبة إلى القيروان) قاضي طرابلس الغرب، كان لا يزال حيًّا سنة ٨٧٥ للهجرة (شجرة النور الزكية، ص ٢٥٩، رقم ٩٤٧).

العلماء منهم الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) وجلالُ الدين المحليّ (ت ٨٦٤ هـ) وشمسُ الدين أبي العباس الشمني المصري (ت ٨٧٢ هـ) ومن القاريء محب الدين أبي القاسم محمد النويري المصري (ت ٨٥٧ هـ) وغيرهم.

ثم عاد القلصاديُّ إلى غرناطة. ولما آشدّت وطأة الإسبان النصراري على غرناطة جدّد القلصاديُّ الرّحلة فجاء إلى إفريقية (القطر التونسي). ويبدو أنّه استقرّ في باجة (في الشّمال الغربي من القطر التونسي)، وفيها كانت وفاته في مُنتصف ذي الحِجّة من سنة ٨٩١ (١٤٨٦/١٢/١٢ م).

٢- للقلصاديّ فضلٌ على علم الرياضيات بأنّ توسّع في استخدام الرّموز في بناء المعادلات الجبريّة وفي محاولته لاستخراج القيمة التقريبية للجذر الأصم^(١).

والقلصاديُّ مُصنّفٌ مُكثّرٌ في اللغة والنحو والبلاغة والعروض والحديث والفقه، وفي الفرائض (تقسيم الإرث خاصّة) وفي المنطق. ولكنّ أكثرَ تآليفه في علم الحساب من علم العدّد (خواصّ الأعداد) والحسبان والجبر والهندسة والفلك. وأشهرُ كتبه: قانون (علم) الحساب وغنيّة ذوي الألباب - شرح تلخيص أعمال الحساب لابن البناء - كشف الجلباب عن علم الحساب - كشف الأسرار (الأسرار) عن علم (وضع) حروف الفبار^(٢) (وفيه العمل بالأعداد الصحيحة: جميعها وطرحها، إلخ وبالكسور وجذور الأعداد الصحيحة وكسورها وبالجبر والمقابلة وغير ذلك) - بُغية المُبتدي وغنيّة المُنتهي (في علم الفرائض وتقسيم الارث، على المذاهب الأربعة) - شرح فرائض الشيخ خليل

(١) العدد الأصمّ هو العدد الذي لا جذر تامّ له. والجذر عدد إذا ضربته بنفسه نتج (بالبناء للمجهول) منه عدد آخر (هو مربع العدد الذي ضربته بنفسه). إنّ العدد «١٦» له جذر تامّ هو أربعة. ولكن العدد «١٧» ليس له جذر تامّ (إنّ جذره أربعة ثم كسر غير متناه: ١٢٣١٠٥٦٢٥) (إلى يمين الواحد المتطّرف أعداد غير متناهية).

(٢) حروف الفبار أو الحروف الفبارية هي الأرقام المشتقة من الأصل الهندي إذا كتب كل رقم من اليسار إلى اليمين (كالأرقام التي تكتب اليوم في المغرب وفي اللغات الأجنبية). أمّا إذا كتب كل رقم من اليمين إلى اليسار فيتكوّن منه ما نسميه بالأرقام الهندية، وهي المستخدمة في المشرق ١، ٢، ٣، ٤، ٥، إلخ. والعمل (حلّ المسائل) بالأرقام يسمّى الحساب الهندي. أمّا العمل بالأحرف (أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦) (إلى آخر حروف الأبجدية) فيسمّى الحساب الرومي.

المالكي^(١) - شرح الأرجوزة الياسينية^(٢).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال القلصادي في رحلته يذكر بلدَه بَسْطَةَ (نفع الطيب ٦: ٤٤٦ - ٤٤٧):

سقى الله تعالى أرجاءها المشرقة وأغصانها المورقة شأبيب الإحسان، ومهداها بالهدنة والأمان. دارٌ تحجّل منها الدورُ، وتتقاصر عنها القصورُ وتُقرأ لها بالقصور، مع ما حوتُه من الحسن والفضائل من صِحّة أجسام أهلها وما طُبِعوا عليه من كرم السمائل. وحسبك فيها عدَمُ الحرج أن داخلها بابَ الفرج.....

- من شيوخ القلصادي: من رحلته (نفع الطيب ٥: ٤٢٦ - ٤٢٧؛ راجع نيل الابتهاج ٧٩ - ٨٠، وبين النصّين خلاف في السياق).

أذكرت كثيراً من العلماء والعُباد والزهاد والصلحاء أولاهم في الذكّر والتقديم الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا بركتنا أبو عبد الله بن مرزوق، حلّ كنف العلم والعُلا، وجلّ قدره في الجِلّة الفضلا. قطع الليالي ساهرا وقطف من العلم أزاهرا، فأثمر وأورق وغرب وشرق حتى توغلّ في فنون العلم واستغرق، إلى أن طلع للأبصار هلالاً لأنّ الغرب مَطْلَعُه، وسما في النفوس موضِعُه وموقعه. فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من إلقائه. لقي الشيوخ الأكابر، وبقي حمده متعرفاً من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه الحابر. وكان، رضي الله عنه، من رجال الدنيا والآخرة.

(١) خليل ابن إسحاق (ت ٧٧٦ هـ) فقيه مالكي. وهو غير خليل بن إسحاق (ت ٣٣٢ هـ) الشاعر المذكور في الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) ابن الياسين هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج من أهل فاس، برع في عدد من العلوم والفنون. وشهرته الأولى في الرياضيات، وله مقدرة في نظم الشعر. له أرجوزة في الجبر قرئت عليه في إشبيلية، سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م). وكانت وفاته سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م). ومن أرجوزته:

على ثلاثة بدور الجبر: المال والأعداد ثم الجذر.
والعدد المطلق ما لم ينسب للمال أو للجذر، فافهم نصيب.
والجذر الشيء بمعنى واحد، كالقول في لفظ أب ووالد.

(راجع النبوغ المغربي ١٥٧ مجلة «العربي» - الكويت ١٩٨٢/٥ م، ص ١٦٤).

إلقاء دروسه.

وكانت أوقاته كلها معمورة^(١) بالطاعات ليلاً ونهاراً، من صلاة وقراءة قرآن وتدريس وعلم وقتياً وتصنيف. وكانت له أوراد^(٢) معلومة وأوقات^(٣) مشهورة. وكانت له بالعلم عناية تُكشَفُ بها العمائة، ودراية تُغضِّدُها الرواية ونباهة تُكسِبُ النزاهة. قرأت عليه - رضي الله عنه - بعض كتابه في الفرائض وأواخر إيضاح الفارسي وشيئاً من شرح التسهيل^(٤). وعرضت عليه إعراب القرآن^(٥) وصحيح البخاري والشاطبيتين^(٦) وأكثر ابن الحاجب الفرعي^(٧) والتلقين وتسهيل ابن مالك^(٨) والألفية^(٩) والكافية^(١٠) وابن الصلاح في علم الحديث^(١١) ومنهاج الغزالي^(١٢) وبعض الرسالة^(١٣) وغيرها. ثم توفي يوم الخميس بمصر رابع عشر شعبان عام آثني وأربعين وثمانمائة. وصلي عليه بالجامع

- (١) معمورة بالطاعات (ملوءة بأنواع العبادات).
- (٢) الورد (بالكسر): جل مميّنة يرددها نفر من العابدين بعد الصلاة أو في أوقات معلومة (يتخذونها لذلك).
- (٣) أوقات مشهورة (معروفة عند الناس). في الحاشية: مشهودة (بالدال): يحضرها عدد كبير من الناس.
- (٤) لعله: شرح تسهيل الفوائد (في النحو) لأثير الدين أبي حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٤ للهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ١: ١٣٦).
- (٥) عرضت عليه (قرأت عليه للتأكد من معرفتي السابقة) إعراب القرآن. و«إعراب القرآن» عنوان لعدد من الكتب، ولعل المقصود هنا كتاب أبي حيان أثير الدين (راجع الحاشية السابقة).
- (٦) لأبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي (ت. ٥٩٠ هـ) أرجوزتان (تعرف كل واحدة منها بالشاطبية): حرز الأمان في القراءات (راجع ترجمة الشاطبي) ثم عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي نظم لكتاب المتن (في رسم: خط المصاحف، أو التهجئة الخاصة بكتابة المصحف) لأبي عثمان الداني الأندلسي (ت. ٤٤٤ هـ).
- (٧) كتاب أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب المصري (ت. ٦٤٦ هـ) في الفقه.
- (٨) التلقين اسم لكتب منها: التلقين في فروع الفقه للإمام المازري الصقلي (ت. ٥٣٦ هـ). ومنها التلقين في النحو للمكبري (بالضم) أبي البقاء عبد الله بن الحسين (ت. ٦١٦ هـ). ثم التسهيل لابن مالك النحوي (ت. ٦٧٢ هـ) في النحو.
- (٩) الألفية لابن مالك (٩).
- (١٠) الكافية (في النحو) لأبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت. ٦٤٦ هـ).
- (١١) ابن الصلاح: صلاح الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن من علماء التفسير والحديث والفقه (ت. ٦٤٣ هـ) تولى التدريس في «دار الحديث» (في دمشق)، له كتاب «معرفة أنواع علم الحديث» (ويعرف بمقدمة ابن الصلاح).
- (١٢) منهاج العابدين (في التصوف) للغزالي (ت. ٥٠٥ هـ).
- (١٣) الرسالة (في الفقه المالكي) لابن أبي زيد القيرواني (ت. ٣٨٦ هـ).

الأعظم. وحَضَرَ جِنازَتَه السُّلطانُ^(١) فَمَنْ دَوْنَه. ولم أَرِ مِثْلَها قَبْلُ. وأَسِيفَ الناسِ لِفَقْدِهِ.....

- عليّ بن موسى القرباقي^(٢): من رِحْلَةِ القَلّصادي (نص ذكر مُلَخَّصاً في نيل الابتهاج ٢٠٧):

شِخْنا وَبَرَكْنا الفقيهُ الإمامُ الصدرُ العَلَمُ الخطيبُ الخطيرُ الكبيرُ الشهيرُ أُوْحِدَ الزمانِ وفريدُ البيانِ العديمُ الأقرانِ المُفقي المُولَفُ المُدرِّسُ المُصنِّفُ الذّاكِرُ لأحوالِ العربِ وأنسابِها حافظاً لُغاتها وآدابِها، له في العربية أَوْفَرُ نصيبٍ، وفي التفسيرِ والحديثِ والأصولِ والطبِّ سَهْمٌ مُصيبٌ، حتّى أَرْتَقى لِدَرَجَةٍ عالِيَةٍ ورُتْبَةٍ سامِيَةٍ فَشَهِدَ له بالفضلِ في الفِئبَةِ والعيانِ، وأَقَرَّ له صديقُهُ وحاسدُهُ للدليلِ والبرهانِ. قرأتُ عليه التلّيقَ والإيضاحَ للقاسي^(٣) (٤) وأبعضاً^(٥) من الجلاب^(٦) وابنِ الحاجبِ الفرعي^(٧) وتنقيحَ القوافي^(٨) وفصيحَ ثعلب^(٩) وألفيةَ ابنِ مالكٍ وأدبَ الكاتبِ لابنِ قُتَيْبَةَ^(١٠)، وتأليفَهُ المسمّى بالتبصيرةِ الكافية في عِلْمِي العُروضِ والقافية^(١١) على الخَزرجيّة^(١٢). وحَضَرْتُ عليه كثيراً من التفسيرِ و(من) كُتُبِ مُتَعَدِّدَةٍ في عُلُومِ شَيْئٍ. وكان كثيراً ما

(١) كانت وفاة القلصادي في أيام السلطان المنصوي أبي عمرو عثمان بن محمد (٨٣٩-٨٩٣ هـ).

(٢) قرباقة.

(٣) التلّيق (راجع النص السابق). الإيضاح للقاسي (٤).

(٤) أبعض (أشياء متفرقة من الكتب).

(٥) في بروكلمن (الملحق ١: ٥٩٨): أبو عبد الله محمد بن أحمد (بن) الجلاب (ت ٦٦٤ هـ) له كتاب (مجموع

أشعار): روح الشعر ودوح الشجر.

(٦) ابن الحاجب (راجع النص السابق).

(٧) تنقيح القوافي (٤) - لعلّه شرح تنقيح الفصول للقوافي أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري

(ت ٦٨٤ هـ). والكتاب في الفقه المالكي.

(٨) كتاب «الفصيح» لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ).

(٩) ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).

(١٠) التبصرة إلخ (٢). تأليف القرباقي (٤).

(١١) على الخَزرجيّة (التبصرة إلخ) حاشية أو شرح على الخَزرجيّة أو القصيدة الخَزرجيّة، وعنوانها: الرامزة

الثافية في علم العروض والقافية لأبي محمد عبد الله محمد الأنصاري الأندلسي (ت ٦٢٦ هـ).

يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ (١):

وزَهْدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ (٢) وَطَوَّلُ اخْتِيَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ .
فَلَمْ تُرِنِي الْإِيْسَامُ خِلًّا تَسْرُفِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ (٣) .
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ (٤) .

ولذا كان لا يُخالطُ النَّاسَ، مَعَ نِزَاهَةِ نَفْسٍ وَارْتِفَاعِ هِمَّةٍ، كَثِيرَ الصَّنَمَةِ فَصِيحَ
اللِّسَانِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ خُطْبِهِ وَوَعْظِهِ فِيمَا رَأَيْتُ مِنَ الْبُلْدَانِ. وَغَضِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ
الْجَبَابِرَةِ (٥) فَأَخْرَجَهُ مِنْ بَسْطَةِ الْبِرْشَانَةِ (٦) فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَادَ لِبَسْطَةِ إِلَى أَنْ
تُوَفِّيَ بِهَا فِي الْوَبَاءِ (٧)، عَاشِرَ صَفَرٍ، عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَثِنَانِيَّةٍ. وَصَلِّيَ عَلَيْهِ خَارِجَ
الْمَدِينَةِ لِكَثْرَةِ النَّاسِ فِي جِنَازَتِهِ.

- ٤- بغية المهتدي وغنية المنتهى، فاس- بلا تاريخ.
- شرح الأرجوزة الياسينية.
- كنف أستار الغبار، فاس ١٣١٥هـ مع كتاب «بغية المهتدي»، مصر ١٣٠٩هـ.
- شرح فرائض الشيخ خليل المالكي، فاس (طبع حجر) ١٢٩٣هـ.
- ★ نيل الابتهاج ٢٠٩-٢١٠هـ؛ الضوء اللامع ١٤: ٥-١٥هـ؛ نفح الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٤هـ،
٥: ٤٢٦-٤٢٧هـ، ٦: ٤٤٦-٤٤٧هـ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٧٦-٤٧٧هـ؛ بروكلمن
٢: ٣٤٣-٣٤٤هـ، الملحق ٢: ٣٧٨-٣٧٩هـ؛ تراث العرب العلمي لقنري طوقان (طبعة
ثالثة) ص ٤٦١-٤٦٥هـ؛ شجرة النور الزكية ٢٦١ (رقم ٩٥٩هـ)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٦٣
(١٠)، معجم المؤلفين ٧: ٢٣٠هـ؛ سركيس ٤٥٧-٤٥٨هـ، ١٤٤٤-١٤٤٥هـ.

-
- (١) الشعر للمعتصم بن صامح الأندلسي (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٠).
 - (٢) هذا الشطر من لزومية للمعري: (وزهدني وعلمي بأن العالمين هباء).
 - (٣) مبادئه (في أول أمره).
 - (٤) الملمة: النازلة (المصيبة) الشديدة.
 - (٥) الجبابرة: الولاة الظالمون أو المستلطون القساء.
 - (٦) اقرأ: من بسطة إلى البرشانة. بسطة في الجنوب الشرقي من الأندلس (إلى الشمال من المروة). البرشانة
يجب أن تكون قرية من غرناطة.
 - (٧) (٩).

عبد الكريم الغرناطي

١ - هو عبد الكريم بن محمد القيسي الغرناطي، وُلِدَ في بَسْطَةَ - على مائة وعشرين كيلومتراً شَمالَ شرقي غرناطة - في أوائل القرن التاسع للهجرة. وبرَعَ عبد الكريم الغرناطي في الفقه وعَمِلَ في التوثيق (تسجيل العقود في المحكمة)، ولكنه لم يكن على شيء من بَسْطَةِ العيش. ولكن يبدو أنه كان على شيء من الشهرة في الفقه والدين، فقد دعاه أهل بَرَجَةَ (من مُلْحَقَاتِ الْمَرِيَّة) في أحدِ شُهورِ رَمَضَانَ لِيُؤْمِّهُمْ في مَسْجِدِهِمْ وَيَعْظُمَهُمْ. ولقد نَعِمَ في أثناء ذلك بشيء من طيب العيش.

ثم حدثتُ نُفْرَةً بينه وبين ابنِ الأَحوَلِ قاضي بَسْطَةَ فاضْطُرَّ إلى مُغَادَرَتِهَا وانتقلَ إلى مالقة ثم انتقل، فيما يبدو، إلى غرناطة واستقرَّ فيها. وفي غرناطة اتَّصَلَ بشيوخ الغزاة (قادة الحامية التي وَضَعَهَا ملوك المغرب من بني مَرِينٍ في الأندلس للدِّفاع عن أهلها) ومدَحَ منهم الوزيرَ إبراهيم بن عبد البرِّ وأبا الحسن الشریف. ثم نشأتُ عنده ناشئةُ الجهاد فحاضَ المَعارِك. ولكنه وَقَعَ في الأسر وبقيَ فيه عدداً من السنين. ثم اتَّفَقَ أن أَطْلِقَ سَراحَهُ فعادَ إلى غرناطة.

وطالت حياة عبد الكريم الغرناطي حتى رَئَى أبا عبد الله محمد بن الأزرقي، وقد تَوَفَّى في مِصرَ سَنَةَ ٨٩٠ هـ. ويبدو أنه لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ وفاته كانت قُبيلَ سَقُوطِ الأندلسِ سَنَةَ ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

٢ - كان عبد الكريم الغرناطي فقيهاً عالماً، وكان شاعراً واضحَ التعبيرِ كثيرَ الصِّدْقِ والإخلاصِ قليلَ التكلُّفِ ولكنه كان مُحِبّاً للمبالغة. وفنونُ شعره الوصفُ والغزلُ معَ العَفَافِ ثم رثاءُ الأفرادِ والممالكِ ثم الهجاءُ. ونَجِدُ في شعره شيئاً من الحوارِ وقليلًا من الأناقة.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الكريم الغرناطي يذكرُ طيبَ عيشه في بَرَجَةَ:

وفي بَرْجَةٍ مَثْوَايَ حَيْثُ تَبَسَّمتُ تُغَوِّرُ الْأَقَاحِي مِنْ بَكَاءِ الْغَمَائِمِ (١).
أَرْوَحُ وَأَغْدُو بَيْنَ قَوْمٍ تَوَاطَآوَا قَدِيمًا عَلَى إِكْرَامِ كُلِّ إِمَامٍ (٢).
أُمَثِّلُ شَخْصِي بَيْنَهُمْ فِي حَدِيقَةٍ سَقَاهَا سَحَابُ الْجَوِّ صَوْبَ سِجَامٍ (٣).
- وَقَالَ يَصِفُ بُؤْسَ حَيَاتِهِ فِي الْأَسْرِ:

وَاحْضَرْتَنَا أَمَّا بَعْدَ اشْتَغَالِي بِالْعُلُوِّ وَدَرَسِهَا وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ،
أُنْسِي وَأُضَيِّحُ خَادِمًا مُتَصَرِّفًا (٥).
إِنْ لَمْ أَكُنْ بِالْحَفَرِ مُشْتَغَلًا أَكُنْ بِالْهَذْمِ مُشْتَغَلًا مَعَ الْبُنْيَانِ (٦).
وَالْكَسْفُ فِي يَوْمِ الْجُلُوسِ صِنَاعَتِي، وَالرَّشُّ يُتَّبِعُهُ مَدَى الْأَحْيَانِ (٧).
وَبِغَضِّ أَقْدَارِ الْكِلَابِ تَحْزُمِي فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ (٨).
- وَقَالَ فِي أَسْرِهِ يَتَغَزَّلُ بِصَبِيَّةٍ نَصْرَانِيَّةٍ:

وَأَعْجَبُ عَبَادِ الصَّلِيبِ صَبِيَّةً سَبَّتْنِي بِوَجْهِهِ مِثْلَ بَذْرِ مُتَمِّمٍ (٩).
فَبِتُّ حَلِيفَ الْهَمِّ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهَا وَبَاتَتْ بِهَجْرِي فِي فِرَاشٍ تَنْعَمُ (١٠).

- (١) المثنوي: المقام والسكنى (بضم الميم الثانية والسين). تبسّمت ثغور.....: كثر تقنّح زهر الاقحوان من كثرة المطر.
- (٢) الإمام: الذي يصلّي بالناس (دليل على تقواهم). الإمام: كلّ بارع في علم (دليل على إدراكهم قيمة العلم ومكانة العلماء).
- (٣) الصوب: المطر بمقدار ينفع ولا يؤذي. السجام: هطول المطر.
- (٤) أمّ الرجل القوم: صلّى بهم إماماً وصلّوا هم وراءه مقتدين به. الجماعة: صلاة القوم معاً. مقيمين للخمس الفروض: يصلّون الصلوات الخمس (في اليوم واللييلة) ولا يتهاونون فيها.
- (٥) قطع الرقيب اللبناني هذا الشطر (إذ يبدو أنّه كان تمبيراً عن أمر لا يرضاه النصارى) - من أسفل العمود الثاني من الصفحة ٥٧ من مجلّة « العربي » (الكويت) من « عدد » تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٦٧ م.
- (٦) يعمل بحفر الأرض أو بالبنيان.
- (٧) يوم الجلوس: يوم التمثيل (الأحد؟).
- (٨) لا أعلم إذا كانت كلمة « الكلاب » هنا مستعملة على الحقيقة أو على المجاز. التحزّم: العمل بجهد (بكسر الجيم).
- (٩) سبتني: أسرقني.
- (١٠) حليف: شريك، رفيق. الفرط: الكثرة.

وكم نَعَمْتَنِي من لذيذِ وصالِها بما لم تَصِلْ نفسي له بتَوْهُمٍ .
فَقَبِلْتُ منها الخَدَّ وهو مُورَدٌ وَثَّيْتُ بِالشَّغْرِ الْمَلِيحِ التَّبَسُّمُ .
ومالت بِفَرْطِ الشُّكْرِ وهي مريضةٌ كَمِيلِ الصَّبَا صُبْحاً بِغُضَنِ مُنَعَمٍ ^(١) .
ولولا عَفَافِي وَاتِّقَاءُ عِتَابِهَا تَمَتَّعْتُ منها بِالْمُحَلِّ الْحَرَمِ ^(٢) .

٤-★★ مجلة « العربي » (الكويت، تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٧ م، ص ٥٣ - ٦٤ : عبد الكريم الفرناطي، بقلم محمود علي مكِّي (يبدو أن صاحب المقال قد نشر كتاباً عن عبد الكريم هذا، أو كتاباً لعبد الكريم هذا)، ولم أستطع أنا أن أرى ذلك الكتاب.

زُرُوقُ الْبُرْنُسِيِّ

١- هو أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عيسى الْبُرْنُسِيِّ الشهير بلقب زُرُوقٍ ^(*)، وُلِدَ يومَ الخميس في الثامن والعشرين من المُحَرَّم من سَنَةِ ٨٤٦ (١٤٤٢/٦/٨ م).

حَفِظَ زُرُوقُ الْقُرْآنَ في العاشرة من عُمُرِهِ. وفي السادسة عشرة بدأ قراءة القرآن ^(٣) والحديث والفقه على نَقَرٍ كثيرين من علماء عصره وأخذ التصوِّفَ خاصَّةً عن نفرٍ منهم ابراهيمُ التازيُّ (ت ٨٦٦ هـ). رَحَلَ إلى المشرقِ فَحَجَّ مراراً وقرأ فيه التصوِّفَ على جماعةٍ ثم عاد. وقد تَوَقَّيَ في تكرور من أعمال طرابلس (ليبيا) * في الثاني من صفر من سنة ٨٩٩ (١٢/١١/١٤٩٣ م).

٢- كان زُرُوقُ الْبُرْنُسِيِّ مُتَصَوِّفاً تُسَبَّبُ إليه كراماتٌ كثيرةٌ كما كان واسعَ المعرفةِ

(١) مريضة: مريضة الأجان (ناعسة العينين) من صفات النساء الحسنات. الصبا: ريح الشرق الخفيفة الباردة. الفصن المنعم (الناعم) لأنه يهتز مع الريح بسهولة.

(٢) المحلّ (الشبه الذي تمدّه هي حلالاً) الحرم (الذي حرّمه الإسلام).

(*) ولد زُرُوقُ يوم الخميس. ثم تَوَفَّيَتْ أُمُّهُ يوم السبت التالي، ثم توفي أبوه أيضاً يوم الثلاثاء بعد ذلك السبت.

(٣) قراءة القرآن: حفظ القرآن غيباً وتجويده (أحكام قراءته) وتفسيره وقراءاته والناسخ فيه والمنسوخ.

(*) «تكرور» في السودان الغربي (غربي إفريقيا، جنوب الجزائر). وقوله (هنا): من أعمال طرابلس (على سبيل التقريب).

بعدد من العلوم. وله تأليف كثيرة جداً، ولكن معظمها شروح موجزة على تأليف في الفقه والحديث والتصوف. فمن كتبه: جزء في علم الحديث - تعليق على صحيح البخاري - شرح « مختصر خليل » - الجنة للمعتصم من البدع بالسنة - شرح رسالة ابن أبي زيد - شرح المقدمة القرطبية - شرح العقيدة القدسية - النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية - القواعد (في التصوف) - تمهيد (في تأسيس عقائد التصوف وأصوله) - البدع التي يفعلها الفقراء (الصوفيون) - دعاء الصباح - ودعاء المساء - كناشة - رحلة - الوظيفة الزرقية.

٣ - مختارات من آثاره

- يُنسب إلى زروق البرنسي نظم صرح فيه بما زعم أن الله أعطاه من القدرة على الأعمال التي هي في الأصل من أعمال الله تعالى (والصريح بذلك عيب عند كبار الصوفية):

ألا قد هجرتُ الخلق طراً بأسرهم	لعلّي أرى محبوب قلبي بمقلتي ^(١) .
وعلقت قلبي بالمعالي تهماً	وكوشفتُ بالتحقيق من غير مزية ^(٢) .
وقلّدت سيف العز في مجمع الوعى	وصيرتُ إمام الوقت صاحب رُفعة ^(٣) .
وملّكت أرض الغرب طراً بأسرها	وكُلّ بلاد الشرق في طي قبضتي ^(٤) .
فاغزل قوماً ثم أولي سواهم،	وأعلي منار البعض فوق المنصة ^(٥) .
وأجبر مكسوراً وأشهر خاملاً	وأرفع مقداراً بأرفع همّي.

- (١) طراً، بأسرهم: كلهم. محبوب قلبي: الله. أرى الله بمقلتي: أتق بوجوده وبصنعه كأنني أراه بعيني.
- (٢) في القاموس: تهّم الرجل الشيء (تحسّه). والشاعر يقصد « اهتماماً شديداً ». كوشف الصوفي: كشف الله له عن حقائق الوجود وعن المستقبل. المزية: الشك.
- (٣) وقلّدت... أعطيت السلطة العظيمة. أمام الوقت: الإنسان الوحيد في زمن ما، إذا كان يملك السلطة الخارجة في العادة عن طاقة البشر.
- (٤) في طي قبضي: أطوي عليها يدي (أفعل بها ما أشاء).
- (٥) أولى الحاكم فلاناً أمراً: جعله والياً (ضدّ عزل). أعلي (أرفع) منار (قنديل) المنصة الطاولة. أعلى منار.... أجعل أمرهم مشهوراً.

وأَقَهْرُ جَبَّاراً وَأَذَحَضُ ظالماً
وَأَلْهِمْتُ أَسْراراً وَأَعْطَيْتُ حِكْماً
أَنَا لِمُرِيدِي جَامِعٌ لَشَتَائِهِ
وَإِنْ كُنْتَ فِي كَرْبٍ وَضِيقٍ وَكُرْبَةٍ،
فَنَادِ: «أَيَا زَرَّوقُ»، آتِ بِسُرْعَةٍ.
- ومن كلامه في بعض رسائله:

طُفْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَاسْتَعْمَلْتُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الْمَذْكُورَةِ فِي مُعَالَجَةِ النَّفْسِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ فِي مَرْضَاةِ الْحَقِّ. فَمَا طَلَبْتُ قُرْبَ الْحَقِّ بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ مُبْعِدِي، وَلَا عَمِلْتُ فِي مُعَالَجَتِهَا بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ لَهَا مُعِيناً^(١). وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرْضَاءِ الْخَلْقِ إِلَّا كَانَ غَيْرَ مُوفٍ بِالْمَقْصُودِ^(٢). فَفَزَعْتُ إِلَى اللَّجَأِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَمِيعِ فَخَرَجْتُ بِفَضْلِ ذَلِكَ عِلَّةَ رُؤْيَا الْأَسْبَابِ^(٣). فَفَزَعْتُ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رُؤْيَا وَجُودِي وَهُوَ رَأْسُ الْعِلَلِ. فَطَرَحْتُ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرَحاً لَا يَضَعُجُهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةُ^(٤)، فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (إِنَّمَا هِيَ) بِالتَّبَرِّيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ(أَنَّ) الْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (إِنَّمَا هِيَ) بِالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ^(٥).

- وَقَالَ الشَّيْخُ زَرَّوقُ فِي أَصُولِ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَتَّبِعُهَا (النَّبُوغِ الْمَغْرِبِيِّ،

٦٣٤ وما بعد):

- (١) دَحَضَ وَأَذَحَضَ الْقَدَمَ: أَزَلَّهَا (جَعَلَهَا تَزَلِقُ) وَأَبْطَلَ الْحِجَّةَ. أَذَحَضَ الظَّالِمَ: أَزَحَّزْهُ عَنْ مَوْقِفِهِ (أَمْنَهُ عَنْ الظُّلْمِ أَوْ أَهْزَمَهُ وَأَقَهَرَهُ).
- (٢) الْمُرِيدُ (لِلشَّيْخِ الصُّوفِيِّ) كَالْتَلَمِيزِ (لِلأُسْتَاذِ).
- (٣) كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْرِفَ اللَّهَ بَوَسْاطَةِ شَيْءٍ (مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ) زَادَ جَهْلِي: بِحَقِيقَةِ اللَّهِ. وَكَلَّمَا أَرَدْتُ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ بَوَسْاطَةِ مَا، أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ (١).
- (٤) وَكَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً لِأَرْضِي بِهِ مَخْلُوقاً لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوفِياً بِمَقْصُودِي (لَمْ يَتِمَّ مَقْصُودِي، لَمْ أَصِلْ إِلَى نَتِيجَةٍ).
- (٥) اللَّجَأُ كَاللَّجَأِ: الْحَصْنُ. وَاللَّجَأُ (بِقِتْحٍ وَسُكُونٍ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى اللُّجُوءِ وَالِاتِّجَاءِ. فَخَرَجْتُ بِفَضْلِ ذَلِكَ... (يَبْدُو أَنَّ فِي الْجُمْلَةِ نَقْصاً)، وَالْمَقْصُودُ: السَّبَبُ الْأَفْضَى لِلْوُجُودِ هُوَ اللَّهُ.
- (٦) فَزَعْتُ: لَجَأْتُ. الْإِسْتِسْلَامُ: تَسْلِيمُ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ. فَخَرَجَ لِي..... ظَهَرَ لِي أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَصِلُ بِي إِلَى مَعْرِفَةِ وَجُودِي أَنَا (هَذَا شَطْحٌ: كَلَامٌ ظَاهِرُهُ يَشْبَهُ الْكُفْرَ) مَعْرُوفٌ فِي التَّصَوُّفِ الْمَتَطَرِّفِ. الْحَوْلُ: الْقُوَّةُ.
- (٧) التَّبَرِّيُّ - الْمَقْصُودُ: التَّبَرُّيُّ (بِالْهَمْزَةِ: التَّخَلِّيُّ، التَّرْكُ). السَّلَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالْغَنِيْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَكُونَانِ يَتْرَكْنَ الْأُمُورَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَبِالْإِعْتِدَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.

أصول طريقتنا التي تنبني ^(١) عليها عشرة أشياء: خمسة ظاهرة وخسة باطنة. أما الخمسة الظاهرة فأولها ملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله ^(٢)، فلا يُخالفُ عليهم بقول ولا بفعل، بل إيمان وتسليم ^(٣). والثاني لزوم الخمس في الجماعة ^(٤) بحسب الإمكان. فإن كان (ذلك) في الجامع الأعظم ^(٥) فهو أولى. وتكفي المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين في تحصيل فضلها ^(٦). والثالث القناعة بقليل الرزق وكثيره بأي وجه تحصل من الوجوه المباحة. الرابع إقامة الأوراد ^(٧) الشرعية بحسب ما يكون صالحاً للإنسان في دينه ودنياه، وذلك يختلف باختلاف الناس ^(٨). والخامس إثبات الحمول بترك الفضول ^(٩) وعدم المنازعة والعناد في قول وفعل. وفي ذلك يقول القائل:

وقائلة: ما لي أراك مُجانِباً أموراً، وفيها للتجارة مَرَبَحُ؟
قلت لها: ما لي بِرَبْحِكَ حاجة، فنحن أناسٌ بالسلامة نَفَرَحُ ^(١٠).

وأما الخمسة الباطنة فأولها الإعراض عما يُرجى أو يُخشى من قبل الخلق ^(١١) بآلاً يُرجى منهم لا دفع ولا جلب ^(١٢)، ولا يُتوجَّه إليهم في طلب ولا هرب ^(١٣). والثاني

- (١) تنبني عليها طريقتنا: تألف منها طريقتنا.
- (٢) أهل الله: المتصوفون.
- (٣) على المريدن (الداخلين حديثاً في الطريقة) أن يسموا لشيخهم ويطيعوه بإيمان وتسليم (بثقة واطمئنان).
- (٤) الخمس: الصلوات الخمس.
- (٥) الجامع الأعظم (أكبر جوامع المدينة والذي تقام فيه صلاة الجمعة).
- (٦) المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين (هم غير المريدن الداخلين في الطريقة). في تحصيل فضلها (فضل صلاة الجماعة). المقصود من هذه الجملة كلها غير واضح.
- (٧) الورد (بالكسر): سياق من الجمل (في ذكر الله والصلاة على رسول الله) يقرأها الصوفي في أوقات معينة.
- (٨) مادة الورد ونسقه لا يكونان واحداً لجميع الناس وعند جميع الناس.
- (٩) إثبات (تفضيل) الحمول (قلة الشهوة). الفضول: دخول الإنسان فيها لا يخصصه ولا يهنيه من الأقوال والأفعال.
- (١٠) السلامة (هنا): خلاص الفرد من المشاكل والمصائب التي تحيط بالناس.
- (١١) من قبل (جهة) الخلق (الناس).
- (١٢) دفع مضرة أو جلب منفعة.
- (١٣) في طلب منفعة ولا هرب (لجوء إليهم للحماية).

الإقبال على الله بالآ تَطَلَّبَ حَوَائِجَكَ - قَلَّتْ أَوْ جَلَّتْ (١) - إِلَّا مِنْهُ

وبعد هذه الخمس خمس لا بُدَّ لك منها: مُجَامَلَةُ الْخَلْقِ وَمُحَاسَنَتُهُمْ فِي الْأُمُورِ وَالْحَذَرُ مِنْهُمْ فِي عَيْنِ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ (٢) وَمُوَافَقَتُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَلَا يَضُرُّ بِالْدُّنْيَا وَلَا يَنْقُصُ الْعَقْلَ (٣)، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ (٤)، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ».

- من كتاب «حكم ابن عطاء: شرح العارف بالله الشيخ زروق» (ص ٢٦) (*):
أَمَّا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ، فَلَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ: مَنْ وَقَفَ بِيَابِهِ الْكَرِيمِ أَنْجَحَ وَمَلَكَ، وَمَنْ أَسْتَنَدَ لِحَنَابِهِ الْعَظِيمِ أَفْلَحَ وَسَلَّكَ (٥)، وَمَنْ حَادَّ عَنْ مَنَهْجِهِ الْقَوْمِ خَسِرَ وَهَلَكَ. وَخَيْرُ الْعِبَادِ مَنْ وَقَفَ بِكُنْهِ (٦) هِمَّتِهِ عَلَيْهِ، وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ تَوَجَّهَ فِي كُلِّ أَمْرٍ إِلَيْهِ فَقَامَ بِالْحَقِّ عَلَى سِاطِ التَّحْقِيقِ، وَجَمَعَ بَيْنَ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَبَاطِنِ الطَّرِيقِ (٧)، وَوَقَفَ لِلْخِدْمَةِ وَغَيْرِهَا مَوْقِفَ أَهْلِ الصُّدُقِ وَالتَّصَدِيقِ، مُقْتَدِيًا بِأُيُمَةِ الْهُدَى وَالتَّوْفِيقِ كَالسَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ (٨) وَمَنْ فِي مَنَاهِمُ وَالْجَمَاعَةِ الْوَفَائِيَّةِ (٩) وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ.

-
- (١) جَلَّتْ: عظمت، كثرت.
 - (٢) فِي عَيْنِ حُسْنِ الظَّنِّ (٢): لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْسَنَ الْإِنْسَانُ الظَّنَّ بِكُلِّ إِنْسَانٍ آخَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ.
 - (٣) وَلَا يَنْقُصُ (يَفْتَحُ فَكُونَ فَضَمُّ أَوْ بَضَمُ فَكُونَ فَكُسْرُ) الْعَقْلُ: يَضْعِفُ الْعَقْلَ (يَجْعَلُهُ ضَعِيفًا): يَدَلُّ عَلَى عَجْزٍ فِي الْعَقْلِ عَنْ إِدْرَاكِ الْأُمُورِ.
 - (٤) الْوَرْدُ: الذَّهَابُ إِلَى الْمَاءِ (لِلشَّرْبِ أَوْ لِلتَزَوُّدِ بِالْمَاءِ) وَالصَّدْرُ: الرَّجُوعُ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ الرِّيِّ (بِالْكَسْرِ): الْإِمْتِلَاءُ مِنَ الْمَاءِ أَوْ بَعْدَ التَزَوُّدِ بِالْمَاءِ.
 - (٥) فِي هَذِهِ النُّصُوصِ الصُّوفِيَّةِ التَّالِيَةِ سَأَكْتَفِي بِالْإِشَارَةِ إِلَى الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ - عِنْدَ الضَّرُورَةِ - وَلَنْ أَشْرَحَ الْمَعَانِي الصُّوفِيَّةَ الَّتِي تَحْتَمِلُ وَجُوهًا كَثِيرَةً وَفَهْمًا شَخْصِيًّا يَخْتَلِفُ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْفَرْدِ.
 - (٦) سَلَكٌ: سَارَ فِي طَرِيقِ التَّصَوُّفِ (أَصْبَحَ صُوفِيًّا مَقْبُولًا عِنْدَ جَمَاعَةِ الصُّوفِيِّينَ).
 - (٧) الْكُنْهُ: جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ. وَكَنْهُ هِمَّتِهِ (هَذَا): بِجَمِيعِ قَصْدِهِ وَجَهْدِهِ.
 - (٨) ظَاهِرُ الشَّرْعِ: الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ (كَأَشْكَالِ الصَّلَاةِ وَالْإِتْقَاعِ فِي الصَّوْمِ عَنِ الطَّعَامِ). بَاطِنُ الطَّرِيقِ (طَرِيقُ التَّصَوُّفِ): حَقِيقَةُ الْعِبَادَاتِ (إِدْرَاكِ مَعْنَى الصَّلَاةِ عِنْدَهُمْ بِالإِضَافَةِ إِلَى شَكْلِهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ: (إِنْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَهُمْ صَلَاةً، وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَحَدُهُمْ بِالشَّكْلِ الْمَطْلُوبِ لِلصَّلَاةِ).
 - (٩) الشَّاذِلِيَّةُ: طَرِيقَةُ صُوفِيَّةٍ تَرْجِعُ إِلَى مُؤَسَّسِهَا أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ الْمَغْرِبِيِّ (ت ٦٥٦ هـ).
 - (١٠) الْوَفَائِيَّةُ: طَرِيقَةُ صُوفِيَّةٍ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ (رَاجِعِ الْحَاشِيَّةَ السَّابِقَةَ) وَضَعَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِسْكَانْدَرِيِّ الْمَلَقَّبُ بِلَقَبِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ وَفَا الشَّاذِلِيِّ (ت ٧٦٥ هـ = ١٣٦٤ م).

- من كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٣٣):

وقد اُخْتَصَّتْ هذه التعاليق بثلاث خِصال: إظهارُ المناسبةِ في الكلام والاختصارُ في التقرير والتسهيل في البيان، معَ زياداتٍ أُخَرِ تَخُصُّ بعضها وتُعَمُّ كُلُّها^(١). مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الكتابَ مُخْتَوٍ على أربعةِ أنواعٍ: التذكيرُ والوعظُ، وهو حظُّ العوامِّ، وللخواصِّ فيه نصيبٌ (ثمَّ) الكلامُ على الأحكام، وهو حقُّ المتوجِّهين^(٢) من كُلِّ فريقٍ ولكلِّ طريقٍ (ثمَّ) الكلامُ على الأحوال، وهو نصيبُ المرِدين^(٣)، وربِّا كان تنبيهاً وتشويقاً لغيرهم (ثمَّ) الكلامُ على الحقائق، وهو نصيبُ العارفين والمُحَقِّقين^(٤). وقد عَرَفَ كُلُّ أناسٍ مَشْرَبُهُمْ^(٥) وما يَجْري به حالهم وما يليقُ بهم.

- من متن كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٥٩ - ٦٠):

(قال ابن عطاء الاسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ للهجرة):

« الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سرِّ الإخلاص فيها ».

(وشرحها الشيخ زروق فقال):

قلتُ: ولا عِبْرَةَ بصورةٍ لا رُوحَ فيها، كما أَنَّهُ لا قِيَامَ لروحٍ دونِ صُورَتِها. وَيَحْتَمِلُ^(٦) قَوْلُهُ: « سرُّ الإخلاصِ » أَن يكونَ ما هو أَخَصُّ منه، وهو الصَّدَقُ المُعْبَرُ عنه بالتَبَرِّي من الحَوَلِ^(٨) والقُوَّة. وكِلَاهُمَا مطلوبٌ: الإخلاصُ لِنَفْسِي الرِّياء، والصَّدَقُ لِنَفْسِي

(١) هذه « الزيادات » منها ما يتعلّق بعدد من حكم ابن عطاء الله، ومنها ما يتعلّق بجميع تلك الحكم.

(٢) العوام (هنا): الذين لم يملِكوا طريق التصوِّف. والخواص هم السالكون في طريق التصوِّف.

(٣) الأحكام = أحكام الشرع (في المعاملات)، كالبيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم الإرث (تأبى محتاج إليه جميع الناس).

(٤) المرید: الذي بدأ السير في طريق التصوِّف (بإرشاد أحد الشيوخ).

(٥) الحقائق: ما يعرفه الصوفي من طريق الإلهام (الإلهام للمتصوِّف كالوحي للأنبياء). العارف: الصوفي الذي بدأ يتلقّى الإلهام. المحقّق: الصوفي الذي بلغ مرتبة « المعرفة القصوى » (وأصبحت الأمور تجري - في هذا العالم - بإرادته).

(٦) « قد علم كلُّ أناسٍ مَشْرَبُهُمْ » (٢: ٦٠، سورة البقرة) - المقصود (هنا): كلُّ فريق يعرف مقداره ومكانته فيقف عند حدِّه منها.

(٧) يَحْتَمِلُ أحد وجهين....

(٨) التبرِّي = التبرُّؤ (التخلّي عن أمر من الأمور). الحول: القوة.

المُعْجَب^(١)، وكِلَاهُمَا لَا كِهَالٍ لِلْعَمَلِ إِلَّا بِهِ. فَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ، رَحِمَهُ اللَّهُ: صَحَّحَ عَمَلَكَ بِالْإِخْلَاصِ، وَصَحَّحَ إِخْلَاصَكَ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْحَوَلِ وَالْقُوَّةِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ^(٢)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْهُ: وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ. وَأَوَّلُ الْخَلْقِ النَّفْسُ. وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ أَلَّا يَعْمَلَ (الْمُحِبُّ) عَمَلًا لِأَجْلِ النَّفْسِ، وَإِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُطَالَعَةُ عِيُوضٍ أَوْ مَيْلٌ إِلَى حِظِّ النَّفْسِ. وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُوَحِّدِينَ خُرُوجُ الْخَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ فِي الْأَفْعَالِ وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالْأَسْتِرَاحَةِ بِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ. أَتَمَّتْ (كَلَامُ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ). وَكَمَا أَنَّ الْإِخْلَاصَ حِصْنُ الْأَعْمَالِ، فَالْحُمُولُ حُسْنُ الْإِخْلَاصِ، وَهُوَ طَرَحُ النَّفْسِ فِيمَا يَلِيْقُ^(٣) بِهَا مِنَ النِّقْصِ وَالذَّنَاءِ. وَبِحَسَبِ هَذَا فَهُوَ دَفْنٌ (اتَّهَمَى شَرْحُ زُرُقٍ لِحِكْمَةِ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهَ: « الْأَعْمَالُ صُورٌ قَائِمَةٌ ... »).

- ٤ - النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، مصر (طبع حجر) ١٢٨١ هـ.
- قواعد التصوّف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة (صحّحه محمد زهري النجّار)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) بلا تاريخ؛ (ضبط إبراهيم اليعقوبي)، دمشق (مطبعة الملاح) ١٩٦٨ م.
- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصر ١٣٢٢ هـ.
- وظيفة سيدي أحمد زروق (الوظيفة الزروقية)، مطبوع مع « تنوير الأفئدة » لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٣ هـ.
- حكم ابن عطاء الله: شرح العارف بالله الشيخ زروق (تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف)، القاهرة (دار الشعب) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.
- ★★ المنهل العذب ١: ١٨١ (٩)؛ الضوء اللامع ١: ٢٢٢؛ نيل الابتهاج ٨٤ - ٨٧؛ جذوة الاقتباس ٦٠؛ شجرة النور الزكية ٢٦٧؛ شذرات الذهب ٧: ٣٦٣ - ٣٦٤؛ بروكلمن ٢: ٣٢٨ - ٣٣٠، الملحق ٢: ٣٦٠ - ٣٦٢؛ سرّيس ٩٦٥ - ٩٦٦؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧ - ٨٨ (٩١)؛ أعلام ليبيا ٦٥؛ النبوغ المغربي ١٣٨، ٢٠٧ - ٢٠٨، ٦٣١ - ٦٣٦؛ مجلّة كلىّة الآداب (ليبيا)، العدد الثاني، ص ١٢٩ (١٩٦٨).

- (١) المعجب: الزهو (الفخر بالنفس). الكبير (بالكسر): التكبر، الترفع عن سائر الناس.
- (٢) أبو طالب المكي هو محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م) الزاهد الواعظ سكن بغداد، له كتاب « قوت القلوب » في التصوّف.
- (٣) فيما يليق (كذا في الأصل). اقرأ: « طرح (ترك) النفس ما لا يليق بها.

ابن عبد الجليل التنسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني ثم الأموي (نفع الطيب ٢ : ٥٧٤) أصله من تنس (مدينة ساحلية في الجزائر) ونشأ في تلمسان. وقد أخذ عن جماعة منهم (نيل الابتهاج ٣٢٩): أبو الفضل بن مرزوق وقاسم العقباتي (٧٦٨ - ٨٥٤ هـ) والإمام الأصولي محمد النجار وإبراهيم التازي (ت ٨٦٦ هـ). وتصدّر التنسي للتدريس، وكانت وفاته في جُهادي الأولى من سنة ٨٩٩ (أوائل ١٤٩٤ م).

٢- كان ابن عبد الجليل التنسي شيخَ شيوخِ زَمَنِهِ وحافظَ (محدث) عصره إماماً في التفسير والفقه والنحو ومؤرخاً بارعاً له: راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يُوافق ذلك على حسب الاقتراح - نظم الدرر والعُقيان في شرف بني زِيَانٍ وذكرِ مُلوِكِهِم الأعيان. وكان له بصَرٌ في الأدب والنقد وشيءٌ من النظم. لَمَّا وَقَفَ التنسي على قصيدة لسان الدين بن الخطيب «أُطْلَعَنَ في سَدَفِ الفُروعِ شُموساً» قال إِنَّ لِسَانَ الدين قد حذا في هذه القصيدة حَذَوَ أَبِي تَمَّامٍ في قصيدته «أَقْشِيبَ رَبْعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيساً» (نفع الطيب ٦ : ٢٠١) ولم يقبل أن يكون لسان الدين قد نَسَجَ على مِئْوَالِ قصيدة من هذا البحر وهذا الروي لابن عبدون «أَذْهَبَنَ من فَرَقِ الفِرَاقِ نُفوساً» (نفع الطيب ٤ : ٣٠٥).

في الفقه نصٌّ على أن الزَّرْعَ للزَّارِعِ (من زَرَعَ زَرْعاً في أرضٍ فله وحده الحق في حصّاده). وكان شاعرٌ قد قال إِنَّ نَظْرَهُ إلى غُلامٍ حَمَلَ ذلك الغُلامَ على الخَجَلِ فَأَحْمَرَّ خَدَّهُ (وأصبح كالورد). فلماذا لا يجوزُ للشاعر أن يُقَبَّلَ ذلك الحَدُّ لِيَقْطُفَ الوردَ الذي كان قد زَرَعَهُ فيه. ويردُّ التنسي على ذلك بقوله: (نفع الطيب ٣ : ١١٣):

في ذا الذي قد قُلْتُم مَبْنَحْتُ، إذ فيه إيهامٌ على السامع.
سَلَّمْتُمُ الحُكْمَ لَهُ مُطْلَقاً. وغيرُ ذا نُصٍّ عن الشارع.

يَقْصِدُ أَنَّ العَيْنَ هِيَ التي زَرَعَتِ الوردَ في الحَدِّ (أُحْدِثَتْ فيه الخَجَلُ) فلا يجوزُ للَمَمِ أن يَقْطُفَ ذلك الوردَ لأنّه ليسَ الزَّارِعُ.

٣- مختارات من آثاره

- احتفال أبي حو الثاني بالمولد.

قال ابن عبد الجليل التنسي في كتابه «راح الأرواح» (نفع الطيب ٦:
٥١٣-٥١٤):

إنه^(١) كان يُقيم ليلة الميلاد النبوي، على صاحبه الصلاة والسلام، بمشورة^(٢) من تلمسان المحروسة مدعاة حيلة يحشر^(٣) فيها الناس خاصة وعامة. فما شئت من نارق مصفوفة وزراي^(٤) مبنوثة^(٥)، وبسط^(٦) موثاة ووسائد بالذهب موشاة^(٧) وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات^(٨)، ومباخر منصوبة كالقباب يحالها المبصر تبراً مذاب^(٩). ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة^(١٠) تشتهيها الأنفس وتلذذها النواظر، ويخالط حنن رباها الأرواح ويخامر^(١١)؛ رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال. ويعقب ذلك يحتفل المسمعون^(١٢) بأنداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب في

- (١) أي أبا حو الثاني.
- (٢) المشورة (مكان يجتمع فيه السلطان بأصحابه للتشاور - قصر كبير على مقربة من تلمسان، أذكر أننا كنا قبلين من نزهة - في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي (في الجزائر) - فنزلنا نزور بقايا قصر قيل، فيما أذكر، أنه مشورة!).
- (٣) مدعاة (جمعها مداع): دعوة، مأدبة. الحفيل: الكثير (يقال: جمع حفيل). يحشر الناس (يجمعون من كل مكان ومن جميع الطبقات).
- (٤) «ونارق مصفوفة وزراي مبنوثة» من القرآن الكريم (٨٨: ١٥-١٦، الفاشية). النمرقة (بضم فسكون فضم): وسادة يتكأ عليها. الزربية: الحصر، البساط (ما يسط أو يفرش على الأرض)، وقيل هي النمرقة. مبنوثة: مفروشة، متفرقة.
- (٥) موثاة: مزرقة. موشاة: مغطاة.
- (٦) كالهالات (كناية عن اتساعها). الهالة: ظاهرة ضوئية ترى محيطة بمصدر النور إذا كان ذلك النور عاكساً بجو رطب.
- (٧) يحالها: يظنها. التبر: الذهب. مذاب (كذا في الأصل) ويجب أن تكون مذاباً. ويمكن أن تكون: كأنها التبر المذاب.
- (٨) المنمنم: مرقش، مزركش (لكثرة أنواعه) بأغاط صغيرة جداً.
- (٩) الربا: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.
- (١٠) يعقب ذلك: بعد ذلك. المسمع: النشد (للشعر). ويعقب ذلك أيضاً.

الإقلاع عن الآثام^(١)، يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ وَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا تَقَرَّبُ لَهُ النَفُوسُ وَتَرْتَاحُ إِلَى سَاعَةِ الْقُلُوبِ. وَبِالْقُرْبِ مِنَ السُّلْطَانِ، رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، خِزَانَةُ الْمُنْجَانَةِ قَدْ زُخِرَتْ كَأَنَّهَا حَلَّةٌ يَمَانِيَّةٌ^(٢)، لَهَا أَبْوَابٌ مُوجِفَةٌ عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ^(٣). فَمَهْمَا مَضَتْ مِنْ سَاعَةٍ وَقَعَ النَقْرُ بِقَدْرِ حِسَابِهَا وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صُوِّرَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدِهَا الْيُمْنِي رُقْعَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَظْمٍ فِيهِ تِلْكَ السَّاعَةُ بِاسْمِهَا مَسْطُورَةٌ^(٤)، فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمُؤَدِّيَةِ بِالْمُبَايَعَةِ حَقَّ الْخِلَافَةِ. وَهَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْبِلَاجِ عَمُودِ الصَّبَاحِ وَنِدَاءِ الْمُنَادِي: حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ^(٥)!

٤-★★ الضوء اللامع ٨: ١٢٠؛ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ نيل الابتهاج ٣٢٩-٣٣٠؛ نفح الطيب ١: ٦٨١، ٢: ٥٧٤، ٣: ١١٣، ٤: ٣٠٥، ٦: ١٩٥، ٢٠١، ٥١٣-٥١٧؛ أزهار الرياض ١: ٢٤٣-٢٤٤؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٩-١٦٠؛ بروكلن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الطهار ٢٢٦-٢٢٨؛ سركيس ٦٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٦ (٦: ٢٧٨)؛ معجم المؤلفين ١٠: ٢٢٢.

اللؤلؤي الزركشي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ، عُرِفَ بِاللُّؤْلُؤِيِّ نِسْبَةً إِلَى جَدِّهِ الَّذِي

(١) المكفّرات: أشعار تقال في التزهيد فتكفر (تغفر). ما كان من عبث (حاشية في نفح الطيب ٦: ٥١٣). الآثام: الذنوب.

(٢) المنجانة: آلة لتقسيم الوقت (ساعة دقّاقة). وفي نفح الطيب (٦: ٥١٤-٥١٥) وصف مفصل للمنجانة لابن عبد الجليل التنسي نفسه. زخرفت: زيّنت. حلّة: ثوب. يمانية: من سج اليمن (اشتهرت اليمن بالنسيج الجميل). أو هي الساعة الرملية (راجع أزهار الرياض ١: ٣٠٩). موجفة: مغلقة.

(٣) نظم: شعر فيه تعيين الساعة، يخاطب به السلطان، نحو (عند قام الساعة السادسة):

بما ماجداً وهو فرد تحالسه في عساكر،
«ست» من الليل ولّيت، ما إن لها من نظائر.
دامت لياليك، حتّى إلى المهاد، نواضر!

(٥) المنادي: المؤذن. «حيّ على الفلاح» من فقرات (بكسر ففتح) الأذان (أي إلى طلوع الفجر).

كان - فيما يبدو - مملوكاً لا نَعْرِفُ له سِلْسِلَةَ نَسَبٍ. ويبدو أَنَّ اللُّؤْلُؤِيَّ الزركشي^(١) قد وُلِدَ في نحو سَنَةِ ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ثم بدأ تَعَلُّمه، بعد سَنَةِ ٨٤٠ هـ على نفرٍ منهم: مُحَمَّدُ ابْنُ عُمَرَ القلشائي (ولمَّله لازم القلشائي هذا مَدَّةً طَوِيلَةً) وأحَدُ القُسْنُطِينِيَّ ومُحَمَّدُ البیدموري وأبو البركاتِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عصفورٍ في الأغلب. غيرَ أَنَّ علومَه التي حَصَلَ عليها كانت - فيما يبدو - تُتَفَّأ، فَإِنَّ كتابَه في التاريخ لا يَدُلُّ على إحاطَةٍ واسعةٍ بفنونِ المعرفة.

ويبدو أيضاً أَنَّهُ كان كاتباً في الدولة يعمل في خُطَّةِ العَدَل، ولكنَّه لم يكن من الرؤساء. أما وفاته فيُمْكِنُ أَنْ تكونَ في السَّنَواتِ الأوَّلِ من القرنِ العاشر^(٢).

٢- كان اللُّؤْلُؤِيَّ الزركشي مَدُونًا للأحداثِ ولم يكن عالماً بالتاريخ ومَجْرَاه. ولكنَّ أَهمِّيَّةَ كتابِ الزركشي أَنَّهُ مِنْ عَصْرِ قَلَّ فِيهِ تَدْوِينُ التاريخِ في تونس. ومادَّةُ الكتابِ أحداثٌ مُفْرَدَةٌ يتخلَّلُها انقطاعٌ في السِّلْسِلَةِ التاريخيَّةِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. وفي لُغَةِ المُوَلِّفِ ضَعْفٌ، مَعَ أَنَّهُ يُحاولُ التسجيحَ أحياناً. ويُمكنُ أَنْ نَعُدَّ المُوَلِّفَ شَاهِدَ عَيَانٍ للحوادثِ المُتعلِّقَةِ بالقرنِ التاسعِ (ص ١١٤ - ١٥٩). أمَّا المُلْحَقُ (ص ١٦٢ - ١٦٨)، وهو شِبْهُ تلخيصٍ للكتابِ ثمَّ أَسْتَنَافٌ للتدوينِ حَتَّى سَنَةِ ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م)، فالأغلبُ أَنَّهُ إضافةٌ ليستَ للمُوَلِّفِ.

٣- مختارات من آثاره

- مدخل «تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية»:

الحمدُ لله الذي جعلَ الأيامَ دُولاً، وصيَّرَ بعضَ الناسِ لبعضٍ خَولاً^(٣)، وجعلَ لهم في المطامعِ أملاً، ﴿لَا يَنْفُونَ عَنْهَا حَولا﴾^(٤).

(١) لم اُتد إلى وجه لقبه «الزركشي»، إلا إذا كانت «الزركشة» صنعة لأبيه أو لجده (بعد تحرره) أوله.

(٢) إذا قبلنا أن يكون مولده سنة ٨٢٠، لم يبق وجه لقول بروكلمن إنه ألف كتابه نحو ٩٣٢ هـ، ولا

لتقدير خير الدين الزركلي أنه توفي بعد ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م).

(٣) دولة: كل مدة تقوم. الخول: الخدم.

(٤) آية كريمة (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): لا ينفون عنها (يريدون) عنها (عن الجنة) حولا (انتقالا). - ذلك ميل

ثابت فيهم.

- حملة صليبية من فرنسة وجنوة على المهدية^(١):

وفي سنة ثنتين وتسعين نزل النصارى المهدية في مائة قطعة بين مراكب كبيرة وأغربة^(٢). فوجه السلطان أحمد محلة^(٣) نزلت قرب البلد قدم عليها ولده المولى أبا فارس وأصحابه بأخيه أبي زكريا. فاتفق للمولى أبي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث أسلموا المحلة، ودخلها العدو ولم يجد فيها عيناً تطرف عدا رجلاً واحداً مشاغباً قتلوه. وبينما هم (النصارى) في جمع الأزواد والأسباب^(٤) إذا بالمولى أبي فارس نادى في المسلمين وجمع القواد ومن حضرهم من الجند وكرّ راجعاً تجاه العدو حتى أخذ المحلة من أيديهم قهراً. فحميت العرب^(٥) وانصرف العدو منهزماً. وقتل منهم نحو خمسة وسبعين رأساً. وواجه العدو^(٦) بنفسه ودفع في صدورهم دفعة شتت بها شملهم. فلم يلتفت إلا والعدو قد أحاط به من كل جهة. وعلم العدو أنه ابن الخليفة - ومن عاديتهم في الحرب أنهم إذا أخذوا ملكاً أو ابن ملك فإنهم لا ينزلونه عن فرسه - فأخذوا بعنان فرسه وساروا به. فألهمه الله سبحانه خلع عنان فرسه من رأسه وألح (على) الفرس وهمزه^(٧). فخرج الفرس من بينهم، فرموه بسيهام وأسنة، واتبعوه بخيل وأعنة^(٨)، وهو لا يلتفت إلى أن وصل إلى المسلمين وسلمه الله عز وجل. ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم، وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي، فارتحل الفرنسي

- (١) جنوة (في شمال غربي إيطاليا) كانت في العصور الوسطى جمهورية مستقلة.
(٢) ٧٩٢ هـ = ١٣٩٠ م). المصادر المغربية تعني بالروم وبالنصارى الإفرنج عامة (الأوروبيين). الملموح أن «الغراب» هنا سفينة صغيرة.
(٣) هو أبو العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ). محلة: (٢).
(٤) الأزواد جمع زاد: الطعام. الأسباب: الوسائل، الآلات (يقصد: الغنائم).
(٥) حيث: أشدّت (في الحرب). العرب: البدو.
(٦) لعل الجملة التامة: وواجه أبو فارس العدو.
(٧) ألح على الفرس (حثه على الركض!). همزة: نخسه (بمهازين في الخداه) في بطنه.
(٨) أسنة جمع سنان (الحديدة التي في رأس الرمح - ولا معنى لها هنا، ولعله أتى بها لتكون سجمة مع «أعنة» جمع عنان: لجام، كناية عن الخيل).

بُسْفَنِهِ. وَلَمْ رَأَى الْجَنَوِيُّ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ وَخَذَهُ رَحْلًا أَيْضًا. وَكَفَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ.
فَانصَرَفُوا خَائِبِينَ.....

٤- تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية، تونس (المطبعة الرسمية) ١٢٨٩ هـ؛ (بتحقيق محمد ماضور)، تونس (المكتبة العتيقة) ١٩٦٦ م.
* شذرات الذهب ٣٦٣:٧ - ٣٦٧؛ بروكلمن ٦٠٦:٢، الملحق ٦٧٧:٢؛ سركيس ١٦٠٠؛
الأعلام للزركلي ١٩٢:٦ (٣٠٢:٥)؛ المكتبة العربية الضقلية ٥٢٢ - ٥٢٤؛ مجلة الندوة
التونسية (مقال بقلم محمد الشاذلي النيفر)، مايو - أيار ١٩٥٣ م.

شهاب الدين (بن) الخلّوف

١- هو شهابُ الدين أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي القاسمِ بن محمدِ بن عبدِ الرحمن بن
الخلّوفِ الحِميرِيُّ الفاسيُّ التونسيّ، وُلِدَ في ثَلَاثِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٨٢٩
(١٤٢٥/١١/١٥ م).

ذهبَ شهابُ الدين بنُ الخلّوفِ في أوائلِ حَيَاتِهِ مَعَ والده إلى الحِجَاز. وبعد أربع
سَنَوَاتٍ انتقلَ مَعَ والده أيضاً إلى القدس حيث حَفِظَ القرآنَ ولازمَ المقرئَ أبا القاسمِ
محمدَ بنَ محمدِ النُويري (٨٠١ - ٨٥٧ هـ) وأخذَ عن الشَّهابِ بن رِسلانَ والعزِّ القُدسي
وغيرهم.

وفي سَنَةِ ٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) تُوُفِّي والده فعادَ إلى المَغْرِبِ ثم استقرَّ في تُونِسَ
وانتقلَعَ إلى السُّلْطَانِ الحفصيّ أبي عُمَرَ عُثْمَانَ (٧٣٩ - ٨٩٣ هـ) وأكثرَ من مَذْحِهِ. وفي
سَنَةِ ٨٧٧ هـ حجَّ ثَانِيَةً، فلَمَّا مرَّ بالقاهرة لَقِيَ السخاويَّ صاحبَ «الضوء اللامع»
(ت ٩٠٢ هـ).

وكانت وَفَاةُ شهابِ الدين بن الخلّوفِ في سَنَةِ ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ - ١٤٩٤ م) في
تونس.

٢- كان شهابُ الدين بنُ الخلّوفِ أديباً بارِعاً في النثر والنظم ولذلك سُمِّيَ ذا
الصُّنَاعَتَيْنِ. كما كانت له مَعْرِفَةٌ بالنحو. وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ مُطِيلٌ له بديعِيَّاتٌ ومُوشَحَاتٌ

وفي شعره تقليدٌ للمشاركة. ثم إنَّ أوصافه في الطبيعة جيادٌ في ألفاظها. ولكن استعاراته بعيدةٌ جدًّا، وكثيرٌ من مُعانيه - من أجل ذلك - غامضٌ. ثم هو مصنّف له: تحرير الميزان لتصحيح الأوزان (عروض) - مواهب البديع (ميمية في علم البديع) - شرح مواهب البديع - عمدة الفارض (أرجوزة في الفرائض: تقسيم الإرث) - جامع الأقوال في صيغ الأفعال - أرجوزة في تصريف الأسماء والأفعال - نظم المغني (في النحو). وله ديوان فيه تفسير منامات وأدعية.

ويبدو آخذاءً بين الخلوف للمشاركة واضحاً جدًّا - وإن كان بارعاً جدًّا أيضاً - في المقطوعة الواردة في «مختارات من شعره»، فإنها تقليدٌ لقصيدة البحريّ التي يقول فيها (في وصف الربيع):

أتاك الربيعُ الطَّلُقُ يَحْتَالُ ضاحكاً مِنْ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.
وقد نَبَهَ النِّيروزُ في غَلَسِ الدُّجَى أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا.

٣ - مختارات من شعره

- قال شهابُ الدين أحمد بنُ محمد بنِ الخلوف في وصف الطبيعة:

رأى البرقُ تعيسَ الدُّجَى فتبسَّما وصافحَ أزهارَ الرُّبَى قَتْنَسًا^(١).
ورقٌ لواءُ البرقِ لَمَّا تَلَاعَبَتْ سوابقُ خيلِ الرِّيحِ في حَلْبَةِ السَّمَا^(٢).
وقد بلَّ أردانَ الثُّرى دمعُ مُزْنَةٍ تناثرَ في أسلاكِها فتَنظَّمًا^(٣).
وجرَّ على هامِ الرُّبَى ذَيْلَ وَبِلَه فدبَّجَ أثوابَ الرُّبوعِ وسَهْمًا^(٤).

(١) تَسَمَّ (قلقة هنا في المعنى) وفي القاموس: تَسَمَّتِ الرِّيحُ (هَبَّتْ رويداً رويداً) وتَسَمَّ فلان (تَفَسَّس) وتَسَمَّ المكان (أصبحت رائحته طيبة).

(٢) الحلبة: الميدان الذي تجري فيه خيل السباق.

(٣) الردن (بضمّ الراء): طرف الثوب. المزنّة: المطر. - تقط الماء التي تشبه اللؤلؤ، والتي سقطت متناثرة (متفرقة)، قد ظلَّ بعضها (بعد توقّف المطر) عالِقاً بالغصون، فكانَ الغصون أسلاك وخيوط للعقود، وكانَ تقط الماء العالقة بها لآل منتظمة في عقود.

(٤) الويل: المطر. دبَّج المطر الأرض: سقاها فاخضرت وأزهرت. سهم الثوب: صوّر فيه سهاماً (خطوطاً).

تَلَوَى بِأَكْنَافِ السَّحَابِ فَخِلْتَهُ حُبَابًا تَلَوَى أَوْ حَبَابًا تَلَوَمَا^(١).
وَحَطَّ بِطِرْسِ الْجَوِّ سَطْرًا مُذَهَّبًا فَتَقَطَّه قَطْرُ الْغَمَامِ وَأَعْجَبًا^(٢).
وَشَابَ لُجَيْنَ الطَّلِّ عَسْجَدُ بَارِقٍ فَدَنَرَ أَزْهَارَ الرِّيعِ وَدَرْهَمًا^(٣).
وَدَارَ بِسَاقِ الْغُصْنِ خَلْخَالُ جَدُولٍ وَوَشَّحَ أَعْطَافَ الْغُصُونِ وَعَمَّمَا^(٤).
إِلَى أَنْ أَمَاطَ الْفَجْرُ فَضْلَ لثَامِهِ وَنَوَّرَ بِالْإِسْفَارِ مَا كَانَ أَظْلَمًا^(٥).
وَنَبَّهَ دَاعِيَ الصُّبْحِ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا لَوَاحِظَ زَهْرٍ كُنَّ فِي اللَّيْلِ نَوْمًا

- وقال ابن الخَلَوَفِ مُخَصِّسًا بَيْتَيْنِ لِابْنِ الْأَحْمَرِ:

أَمَاطَ الْهَوَى عَنْ وَاضِحِي بُرْقُعِ النُّسْكِ فَوَحَّدْتُ مَنْ أَهْوَاهُ عَنْ هَوَا الشَّرْكِ^(٦).
فَقُلْتُ، وَقَدْ أَقْنَتَ لِحَاطُكَ بِالْقَتْلِ: (أَفَاتَكَةَ اللَّحْظِ الَّتِي سَلَبَتْ نُسْكَي^(٧)،
عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنْكَ).

- (١) يصعب تفسير هذا البيت (إذ يبدو أن بيتاً أو أكثر من بيت سابق عليه قد حذف). الملموح أن البرق يظهر من أطراف السحاب خطوطاً متعرجة (منكسرة) فخلته (ظننته) حباباً (بالضم: ثعباناً) تلوى: تعرج في زحانه (سيره، جريه) ثم مر (اختفى) أو حباباً (بالفتح: خطوطاً) وحواجز شكّلها الريح في رمال الصحراء) تَلَوَمَا (تَلَيْتُ، بقي، دام).
- (٢) الطرس: الورقة يكتب عليها. مذهباً (أحمر: لون البرق) فتقطعه قطر الغمام (وضع عليه نقطاً) وأعجم اقراً: فأعجم (مازَ بعض الحروف من بعض بوضع النقط عليها). البرق لا يرى واضحاً من خلال المطر المتساقط (٢).
- (٣) وكما أن سقوط المطر قد جعل البرق قليل الوضوح (راجع البيت السابق)، فكذلك: (هذا البرق) شاب (خلط، مزج) لجَيْنِ الطَّلِّ (فضة المطر، المطر الأبيض كالفضة) بمسجد (ذهب) فدَنَرَ أَزْهَارَ الرِّيعِ (جعل شيئاً منها كاللدنانير الذهب) ودرهم بعضها الآخر (جعلها بيضاء كالدرهم الفضية).
- (٤) ودار النهر بجانب الأشجار كما يحيط الخلخال بأرجل النساء (الجميلات). ووَشَّحَ (النهر؟) أعطاف (جوانب) الغصون (بالورق الأخضر) وعمَّمها (جعل لها عمامة: جعل في أطرافها أزهاراً؟).
- (٥) أَمَاطَ: أزال. الإسفار (بكسر الهمزة) الكشف عن الوجه (أسفر الصبح: بان، ظهر).
- (٦) ابن الأحمر؟
- (٦) أَمَاطَ: أزال، كشف. واضح (وجهي؟) برقع النسك (النسك المألوف عند الناس: النسك الشكلي). وَحَّدْتُ (في الأصل وجدت - بالجم). الهوة: الحفرة العميقة أو هوية (بضم فواو فياء: حقيقة). - في الأبيات معان صوفية.
- (٧) القتل: القتل.

يَمِينًا، يَنْجُمُ الْقُرْطِ، مِنْكَ إِذَا هَوَى وَخَالَ عَلَى عَرْشِ بَوْجَنْتِكَ أَسْتَوَى^(١)،
لَنْ لَمْ تَقِي، لَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مَا نَوَى: (فَإِمَّا يَنْزُلُ، وَهُوَ أَلَيْقُ بِأَهْوَى ؛
وَإِمَّا يَعْزُّ، وَهُوَ أَلَيْقُ بِالْمَلِكِ).

٤- ديوان (أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي)، بيروت (المطبعة السليمية) ١٨٧٣ م^(*).
** موشحة (في كتاب «الدراري السبع والموشحات الأندلسية»، بيروت ١٨٧٦ م)؛ الضوء اللامع
٢: ١٢٢-١٢٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٢٤-٢٣٠؛ تاريخ الجزائر العام
٦٤-٦٦؛ أعلام الجزائر ٣٩؛ بروكلمن ٢: ٣٠٧، الملحق ٢: ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١:
٢٢١ (٢٣١)؛ سركيس ٩٩-١٠٠، ٨٣٣؛ الطمار ٩٨-٩٩؛ معجم المؤلفين ٢: ١١٨.

أبو العباس الونشريسي

١- هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي
الونشريسي- نسبة إلى ونشريس، وهو جبل في القطر الجزائري-، وكان مولده في
تلمسان، نحو سنة ٨٣٤^(٢) للهجرة (١٤٣٠ م).

ويبدو أن الونشريسي قد بدأ تلقّي العلم باكراً على نفرٍ منهم: والدّه (وكان والدّه
من العلماء المدرّسين) ثم أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباتي (ت ٨٥٤ هـ) وشيخ الجماعة
أبو عبد الله محمد بن العباس التلمساني (ت ٨٧١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجلاب
(ت ٨٧٥ هـ)- وقاضي الجماعة بتلمسان أبو سالم إبراهيم بن قاسم العقباتي (ت
٨٨٠ هـ) وهو ابن أبي الفضل العقباتي المذكور آنفاً- ومحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف
(ت ٩٠١ هـ).

(١) القرط: حلية تعلق بالأذن. هوى القرط (كان معلقاً بأذن امرأة ذات عنق طويل- والطول المعتدل في
أعناق النساء من صفات الجبال فيهن).

(*) راجع ملاحظة في سركيس (معجم المطبوعات العربية): كتب بأخر الديوان أن (؟) قد تم طبعه في
دمشق سنة ١٢٩١ الموافقة لسنة ١٨٧٤ م.....

(٢) هذا التقدير من كتاب «تاريخ الجزائر العام»، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجبلاي (٢: ٣٢٦).

وفي أوائل المحرم من سنة ٨٧٤ (تموز - يوليو ١٤٦٩ م) جرت على الوشريسي كائنة (حادثة) على أثر خلاف مع أحد رجال الدولة عرّضته لفضب السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل (٨٦٦ - ٨٨١ هـ) فنهبت داره، ففر بنفسه إلى مدينة فاس. إن التاريخ لم يحفظ لنا رواية هذه الحادثة، وإن كنا نعلم أن تلك الحقة كانت حقة فتن داخلية كثيرة.

وأخذ أبو العباس الوشريسي، منذ نزوله في مدينة فاس، يحضر مجلس أبي عبد الله محمد بن عبد الله اليفرنسي المعروف بلقب القاضي المكناسي (ت ٩١٧ هـ). ثم إن السلطان المريني محمد بن محمد المعروف بالشيخ البرتقالي (٨٧٥ - ٩٣١ هـ) قدمه للتدريس، فتصدّر حينئذ لتدريس الفقه معتدداً في ذلك « المدونة » للإمام سخون (ت ٢٤٠ هـ) وفروع^(١) ابن الحاجب.

وأستمر الوشريسي في التدريس في فاس - لم يغادرها قط - إلى حين وفاته في العشرين من صفر من سنة ٩١٤ (١٥٠٨/٦/٢٠ م).

٢ - كان أبو العباس الوشريسي كثير الاجتهاد والمطالعة. ومع أنه كان مشاركاً في عدد من العلوم، فإنه اقتصر في التدريس على فروع الفقه^(٢). وكان واسع المعرفة بهذه الفروع حتى أصبح « حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة »^(٣) (نيل الابتهاج ٨٧).

وكذلك كانت له براعة في النحو، كما كان فصيح الكلام بليفاً في التعبير. وكان له أيضاً شيء من النظم.

(١) هذا الكتاب « مختصر الفروع » أو « جامع الأمهات » راجع بروكلمن ١: ٣٧٣، الملحق ١: ٥٣٨ س، لابن الحاجب، وهو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر. والفروع (هنا) هي العبادات (الصوم والصلاة....) والمعاملات (الزواج، البيع، الفرائض أو تقسيم الإرث، الخ). راجع في وصف هذا الكتاب وفي قيمته ومكانته مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠ م، ص ٤٥٠، السطر الرابع من أسفل؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١، ص ٨٠٨ - ٨٠٩).

(٢) راجع الحاشية السابقة.

(٣) إذا كان رأس القرن أوله (قياساً على المتعارف بقولنا: « رأس ») فيكون الوشريسي « حامل لواء المذهب » على رأس المائة (القرن) العاشرة (راجع أيضاً « تاريخ الجزائر العام » ٢: ٣٢٦).

وكان الونشريسيُّ مُصَنِّفاً وَضَعَ عدداً من الكُتُبِ أَكْثَرُها في الفِقه المالكيِّ. من هذه الكُتُبِ: إيضاحُ المسالكِ إلى قواعدِ الإمامِ مالكٍ - الفُروقُ في مسائل الفِقه: عدةُ البروقِ في تلخيص ما في المذهب من الجُمُوع والفُروق - الوِلاياتُ في مناصِبِ الحُكُومَةِ الإسلاميَّةِ والخُطَطِ الشَّرعيَّة - القواعدُ في الفِقه - المِعارُ المُعَرَّبُ عن فتاوى علَماءِ إفريقيَّةَ والأندلسِ والمُغرب - غُنيَّةُ المُعاصِرِ والتَّالِي في شرحِ وثائقِ الفِشْطالي^(١) - المُختَصَرُ من أحكامِ البُرْزلي^(٢) - القَصْدُ الواجبُ في معرفةِ أَصْطِلَاحِ ابنِ الحاجب - حلُّ الرِّبْقَةِ عن أسيرِ الصَّفْقَةِ^(٣) - إضاءَةُ الحَلَكِ في الرَّدِّ على من أفتى بِتَضْمِينِ الرَّاعِي المُشْتَرَكِ^(٤) - فِهْرَسَةُ شُيُوخِهِ - شرحُ الخَزَرْجِيَّةِ في العَرُوضِ^(٥) - وَفَيَاتُ الونشريسيِّ - تَرْجَمَةُ مُحَمَّدٍ المَقْرِي (الجَدِّ).

أَمَّا أَهمُّ كُتُبِهِ فَهُوَ كِتَابُ «المِعارُ المُعَرَّبُ....»، أَتَمَّتْهُ من تَأليفِهِ سَنَةَ ٩٠١ للهجرة (١٤٩٦ م)، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ (مطبوعٌ في أَثْنِي عَشَرَ جُزْأً) وشامِلٌ يَكادُ يُحِيطُ بِجَمِيعِ بَحْوثِ مَذْهَبِ الإمامِ مالِكٍ. والكتابُ مُشْتَمِلٌ على فتاوى الفُقهَاء الذين كانوا في إفريقيَّة (القَطْرِ التُّونِسِيِّ) وفي الأندلسِ وفي المُغرب (القَطْرَيْنِ الجَزائِرِيِّ والمَغْرِبِيِّ). ثمَّ هُوَ، بما فيه من الفِتاوَى المُخْتَلَفَةِ المَوْضُوعَاتِ، يُمكنُ أن يكونَ صُورَةً لِلحَيَاةِ في المُغربِ والأندلسِ بما فيها من الميادين الحضاريَّةِ في الأَجْتِمَاعِ والسِّيَاسَةِ والاقتصادِ والدِّينِ والعِلْمِ والتَّربِيَةِ. وفيه وصفٌ مبسوطٌ في المدارسِ لذلِكَ العَهْدِ^(٦) من حيثِ الوصفُ للأَمَكَةِ ومن حيثِ مَناهجِ الحَيَاةِ فيها. غيرَ أَنَّهُ يَنُوءُ - بِسَبَبِ اتَّسَاعِهِ وشُمُولِهِ وتَبَعاً لطَبِيعَةِ الفِتاوَى التي هي تَنَاجُ حَاجَاتٍ طَارِئَةٍ في الأَكْثَرِ - بِشَيْءٍ كَبِيرٍ من الصَّعُوبَةِ في الوُصُولِ

- (١) الفِشْطالي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٧٧ هـ) قاضي مدينة فاس.
- (٢) البرزلي أبو القاسم بن أحمد (٧٤١ - ٨٤٤ هـ، عاش مائة وثلاث سنوات) من أئمة المالكية وكان يَنتَمِ إلى شيخ الإسلام، له «جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا للمفتين والحكام».
- (٣) الرِّبْقَةُ: الحبل. حل الرِّبْقَةِ: فك المقيد أو تفريج كربة المكروب. عن أسير الصَّفْقَةِ (عقد البيع؟).
- (٤) الحَلَكُ: الظلام. تَضْمِينِ الرَّاعِي المُشْتَرَكِ (٤).
- (٥) القَصيدة الخَزَرْجِيَّة (= الرامزة النافية) لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الخَزَرْجِي الأندلسي (ت ٧٢٦ أو ٧٢٧ هـ).
- (٦) لذلِكَ العَهْدِ (في زمن الونشريسي).

إلى مُفرداتِ حقائقه. إنّه مُحتاجٌ إلى فهارسَ لأعلامِ الرجالِ وللموضوعاتِ أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- قال الونشريسيُّ في « صِفَةِ المُدَرِّسِ » وفي التَّخْبِيسِ - أي « وَقَفِ المدارس »^(١)

على التعليم (أزهار الرياض ٣ : ٣٥):

مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ المُدَرِّسِ عَلَى الْمُقْتَصِرِ عَلَى نَقْلِ تَقَايِيدِ^(٢) الرِّسَالَةِ^(٣) وَالْمُدَوَّنَةِ^(٤) - مِنْ غَيْرِ قَتَشٍ وَلَا تَنْزِيلٍ وَلَا كَشْفٍ^(٥) وَأَسْتَظْهَارٍ بِغَيْرِهَا^(٦) - مَجَازٌ لَا حَقِيقَةُ^(٧). وَهَذَا الْوَصْفُ^(٨) كَادَ أَنْ يُمْ أَهْلَ الْوَقْتِ أَوْ عَمَّهُمْ^(٩). فَسَأَلُ اللَّهُ الْعَظِيمَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ التَّطَفُّلِ^(١٠) وَتَعَاطَى مَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ

- وقال في حالِ نَفَرٍ مِنْ طَالِبِي الْعِلْمِ (أزهار الرياض ٣ : ٣٥ - ٣٦):

تَأَمَّلْ هَا هُنَا الثَّنَاءَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرَفَةَ^(١١) - أَسْكَنَهُ

-
- (١) الوقف: التبرع بمرافق الحياة (من بناء وماء وأرض) يكون ريعها لمنفعة المحتاجين.
 - (٢) التقييد: ملاحظات يملئها العلماء على الكتب المشهورة.
 - (٣) الرسالة كتاب في الفقه (في تعليم الولدان أصول الدين) لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).
 - (٤) المدونة (الكبرى): كتاب في الفقه المالكي اجتمع من رواية كبار فقهاء المذهب لعبد السلام بن سعيد المعروف بلقب سحنون (ت ٢٤٠ هـ) عن عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١ هـ) عن أسد بن القرات (ت ٢١٤ هـ) بالاستناد إلى «الموطأ» لمالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ).
 - (٥) قتش عن الشيء قتشاً (يفتح فسكون): سأل عنه أو بحث عنه. التنزيل: الترتيب، وضع الشيء في منزله (موضعه). الكشف (عن المعنى الغامض).
 - (٦) الاستظهار: إيراد مثل أو قول لآخرين يجعل حجة الأستاذ (أو المؤلف) أقوى.
 - (٧) اقرأ: يسمّى مدرّساً على المجاز لا على الحقيقة.
 - (٨) هذا الوصف (أي اقتصار نفر من المدرّسين على نقل أقوال غيرهم بلا تفسير ولا تحقيق).
 - (٩) اقرأ: أو هو قد عمّمهم.
 - (١٠) التطفّل (هنا) جرأة المدرّس على تدريس فنّ لا يتقنه.
 - (١١) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره، تولى إمامة الجامع الأعظم في تونس والخطابة فيه أيضاً والفتوى، له: المختصر الكبير (في الفقه المالكي) - المختصر الشامل (في التوحيد) - المبسوط، الخ.

الله دار السلام (١) - وعلى تأليفه، ولا سيما مُختصره الفقه (٢) الذي أعجزَ معقوله ومنقوله الفحول (٣)، خلافاً لبعض القاصرين من طلبه فاس، فإنهم يقولون: « ما يقول (هذا) شيئاً »، يريدون أن يطفئوا نور الله (٤)، ويحتقرون (٥) ما عظم الله. ومُستندهم في ذلك بزعمهم حكاية تؤثر عن الشيخ المحقق أبي العباس القباب (٦)، لا رأس لها ولا ذنب (٧). وحاشاه من ذلك. وما أراهم في ذلك إلا كما قال الأول (٨):

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا، وَأَقْتَه مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ.

.....

وقد حبسَ ملكُ المغرب - رضوانُ الله عليهم - بخزائني القرويين والأندلسيين (٩) من هذا الديوان (١٠) المملوك نسخاً عديدة؛ ثم لا يُعرجُ عليها للمطالعة في هذا الوقت أجداً من طلبية الحضرة (١١) شتاءً ولا صيفاً. فإننا لله وإنا إليه راجعون (١٢). (وذلك) ما قُيدَ عن الشيخ الجزولي (١٣) وأبي الحسن الصغير (١٤)

(١) دار السلام: الجنة.

(٢) راجع الحاشية التي هي قبل الحاشية السابقة.

(٣) المعقول: العلوم العقلية: (هنا) التوحيد، المنطق، الكلام، الخ. والمنقول: العلوم التي تروى من طريق الرجال (كالحديث والفقه والتاريخ). الفحول (كبار العلماء).

(٤) «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم» (٩: ٣٢، التوبة؛ راجع ٦١: ٨، الصف).

(٥) «يحتقرون» معطوفة على «يريدون».

(٦) هو أبو العباس أحمد بن القاسم الجذامي الفاسي المتوفى سنة ٧٧٨ للهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ٢: ٣٤٦، النبوغ المغربي ١٢٠٥، الديباج ٥٧ ونيل الابتهاج ٥٢، من طبعة (فاس).

(٧) لا رأس لها ولا ذنب (لا يعرف لها وجه من الصحة).

(٨) البيت للمتنبي.

(٩) الخزانة (المكتبة العامة). القرويين (جامع القرويين في فاس). والأندلسيين (٢) جامع الأندلسيين، في

المدونة - الجانب - التي سكنها الأندلسيون في فاس بعد خروجهم من الأندلس).

(١٠) من هذا الديوان (المختصر الكبير لابن عرفة).

(١١) الحضرة: العاصمة.

(١٢) في القرآن الكريم (٢: ١٥٦، البقرة): «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون».

(١٣) الشيخ الجزولي السلافي، هو محمد بن سليمان (ت ٨٧٠ هـ) - راجع ترجمته في هذا الجزء.

(١٤) أبو الحسن الصغير (بصيغة التصغير) هو علي بن عبد الحق الزرويلي من حفاظ الحديث ومن الفقهاء، كانت وفاته سنة ٧١٩ هـ (راجع النبوغ المغربي ٢٠٤ - ٢٠٥).... والونشريسي يأسف لأن الناس =

(وأمثالها)، فإنك تجدهم يزدهمون عليها في كل مكان، وخصوصاً في فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة (١) واحدة مع كثرة عددها بحيث ذكر (٢)، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها بالأثمان العظيمة المصحفة (٣). ومن ملك منهم المسبغ (٤) من الجزولي وتقييد اليمودي (٥) عن أبي الحسن (٦)، أو حصلت له عناية بنقلها فهو عالم العالم بأسره وحائز مذهب إمام دار الهجرة (٧) على التمام والقائم بأمره (٨). ولقد كان الحسن المغيلي (٩) عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه لقيامه على مسبغ الجزولي بخزانة القرويين، زعموا أنها بخط أبي علي الحسن المذكور (١٠)، وهي مشحونة بالتصنيف (١١) نغمي البصر والبصائر. نور الله قلوبنا وعمر ألسنتنا بشكره ووفقنا لما فيه رضاه عنا.

- كتب النشرسي تعليقاً على كتاب «مثل الطريقة في ذم الوثيقة» للسان الدين ابن الخطيب (راجع نفح الطيب ٦: ٢٧٣، السطر السادس من أسفل) فقال - والذم في هذا التعليق للمؤقتين (١٢) لا لسان الدين - (نفح الطيب ٦: ٢٧٨):

- = يهتمون بالجزولي المتصوف وبأبي الحسن الصغير (وهو ليس من الفقهاء الكبار) ثم يهلون فقيهاً فذاً مثل ابن عرفة.
- (١) يكثر طلب الناس لكتب الجزولي وكتب أبي الحسن الصغير حتى لا يجد بعض الطلبة ورقة من كتب هذين (مع كثرة كتب هذين) يقرأ فيها.
- (٢) بحيث ذكر (في كل ورقة من كتاب ذكر فيها شيء عن الجزولي وأبي الحسن الصغير).
- (٣) (الثلث) المحقق (الباحظ، المرتفع والذي يكلف الفرد ما لا يطيق).
- (٤) يبدو أن «المسبغ» هذا كتاب للجزولي أو كتاب فيه، ولم أعثر عليه فيما لدي من المراجع.
- (٥) اليمودي لقب لنفر معروفين (راجع تاج العروس - الكويت ٨: ٤٥). ولم أعثر على هذا المذكور هنا.
- (٦) أبو الحسن (الصغير؟).
- (٧) إمام دار الهجرة (المدنية) هو مالك بن أنس.
- (٨) القائم بأمره: البارع في فهمه وشرحه. - ومن الواضح أن النشرسي يتهكم بأولئك الذين يهتمون بكتب الجزولي وكتب أبي الحسن الصغير.
- (٩) الحسن المغيلي (٩).
- (١٠) الحسن المغيلي.
- (١١) التصحيف: تبديل الأحرف في الكلمة الواحدة أو اختلاف النقط في الأحرف.
- (١٢) المؤقت: من يوثق العقود (الاتفاقات) بالطرق الرسمية (الكاتب العدل).

الحمد لله. جامع^(١) هذا الكتاب المقيّد هذا^(٢) بأول ورقة منه قد كد^(٣) نفسه في شيء لا يعني الأفاضل^(٤)، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل^(٥). وأقنى طائفة^(٦) من نفيس عمره في التماس مساوي طائفة^(٧) بهم تستباح الفروج^(٨)، وتملك مُشيدات الدور والبروج^(٩)، وجعلهم أضحوكة لذوي الفتك والمجانة^(١٠)، وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة. سامحه الله تعالى وغفر له. قال ذلك وخطه يُمْنِي يَدِيهِ عُبِيدُ رَبِّهِ أَحْمَدُ بْنُ يُحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْوَنَشْرِيِّ، خَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ

- ٤- إضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك، فاس....
- أسنى التاجر^(١١) في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر (نشره م.ي. مولر في «مقالات في تاريخ العرب المغاربة»، ٤١-٤٣)، منش ١٨٦٦ م.
- غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي (بهماش «وثائق الفشتالي»، فاس بلا تاريخ (سركيس ١٤٥٣).
- المنهج الفائق والمنهل الوثائق^(١٢) في أحكام الوثائق، فاس ١٢٩٨ هـ.
- المعيار المغرب والجامع المغرب^(١٣) عن قناوى أهل إفريقية^(١٤) والأندلس والمغرب، فاس ١٣١٤-١٣١٥ هـ؛ (نشره برونو وده مونين)، الرباط (معهد الدراسات العليا المغربية)

- (١) جامع هذا الكتاب (مؤلف كتاب «مثل الطريقة...»): لسان الدين بن الخطيب.
- (٢) المقيّد هذا بأول ورقة منه (الكتاب الذي دوّنت هذه الملاحظة على الصفحة الأولى منه).
- (٣) كد: أتعب.
- (٤) شيء لا يعني الأفاضل: لا يهتم به كبار العلماء.
- (٥) طائل: فائدة.
- (٦) طائفة (هنا): مدّة.
- (٧) طائفة (هنا): جماعة.
- (٨) يملّون زواج اللواتي لا يحلّ الزواج بهنّ.
- (٩) البرج: البناء العظيم، القصر.
- (١٠) الفتك (هنا): الاندفاع في الأعمال اندفاعاً لا وازع أخلاقياً أو اجتماعياً فيها، اتباع رغبات النفس بلا مبالاة بلوم أو بحفاظ على الصحة مثلاً. المجانة (المجون): قلة الحياء في القول والعمل، مزج الجدّ بالهزل.
- (١١) في بروكلمن: «التاجر».
- (١٢) لعلها «الرائق».
- (١٣) لعلها «المغرب» (بالعين المهملة).
- (١٤) إفريقية = تونس.

- ١٩٣٧ م؛ (بإشراف محمد حجّي)، الرباط (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، بيروت - أثينا (دار الغرب الإسلامي) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- نوازل (١) المعيار (مستخرجة من «المعيار»)، فاس (المطبعة الشافعية) ١٣١٥ هـ.
- جامعة المعيار، فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ (٢).
- ★★ تعريف الخلف ١: ٥٨ - ٥٩؛ فهرس أحمد المنجور (تحقيق محمد حجّي - الرباط ١٩٧٦ م)، ص ٥٠؛ البستان لابن مريم ٥٣ - ٥٤؛ نيل الابتهاج ٨٧ - ٨٨ (طبعة فاس ٧٤)؛ جذوة الاقتباس ٨١ (الرباط ١٩٧٣ م، ١: ٥٦ - ٥٧)؛ درة الحجال ١: ٤٣، رقم ١٣٠ (تونس ١٩٧٠ م) ١: ٩١ - ٩٢؛ شجرة النور الزكية ١: ٢٧٤ - ٢٧٥؛ فهرس الفهارس للكتّاني ٢: ٤٣٨ - ٤٣٩؛ الاستقصا (الدار البيضاء) ٤: ١٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ١١٢١؛ بروكلمن ٢: ٣٢٠، الملحق ٢: ٣٤٨؛ سركيس ١٩٢٣ - ١٩٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٥ - ٢٥٦ (١: ٢٦٩ - ٢٧٠)؛ ولوداد القاضي (الجامعة الأميركية بيروت) دراسة في أربع وأربعين صفحة (على السنانل) لا أعلم إذا كانت قد طبعت بالحروف.

ابن غازي^(٣) المكناسي

١- هو شيخ الجماعة الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي المكناسي ثم الفاسي، ولد في مكناسة الزيتون، سنة ٨٤١ (١٤٣٧ - ١٤٣٨ م) وتلقى العلم فيها ثم انتقل إلى فاس (سنة ٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) فتابع فيها تلقي العلم. ومن شيوخه النيجي والقوري.

ولي ابن غازي الخطابة في مكناسة ثم في فاس الجديدة. ثم تولى الإمامة والخطابة في جامع القرويين، وتصدّر فيه للتدريس أيضاً. وفي أثناء ذلك كله كان يربط

(١) النوازل.....

(٢) في سركيس: جامعة المعيار - المعيار - نوازل المعيار (أرقامها ٢، ٤، ٦).

(٣) غاز اسم فاعل من غزا، فهو اسم منقوص ترجع إليه الياء إذا حُطّي باللام أو أضيف (الغازي، غازي العدو). أما إثبات الياء في أسهل الأعلام المنقوصة، نحو: غازي، سامي، ناجي، ثم شوقي، بدري إلخ، فصيغة تركية.

ويُحارب^(١). وكانت وفاته في فاس في تاسع جُمادى الأولى من سنة ٩١٩
(١٥١٣/٧/١٦ م).

٢- كان ابن غاز المكناسي مُقرئاً بارعاً في معرفة قراءات القرآن الكريم عارفاً
بوجوهها واسع العلم بالتفسير حافظاً للحديث واقفاً على أحوال رجاله (رُواته) وطبقاتهم
(مكاتبتهم وتراجيمهم) عالماً بالفقه مُجيداً للربرية (النحو) حسن المعرفة بالتاريخ والسير
(التراجيم) والمغازي والأدب والعروض والحساب والفرائض (تقسيم الإرث).

وكان ابن غاز مُصنفاً مُكثرأ له: تفصيل الدُرر (في قراءة القرآن) - إرشاد الشريد
في ضوَال القصيد (في رسم القرآن؟) - نظم قراءة نافع - حاشية لطيفة (مختصرة) على
البُخاري - إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب (رسول الله) - الفهرسة المباركة
(في المُحدثين ومُصنّفاتهم) - التعلُّل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد
(فهرست شيوخه؟ أتمها في رَجَب ٨٩٦) - الروضُ المَتون في أخبار مكناسة الزيتون
(إلى سنة ٩١٩) - مَنية الحُساب (منظومة في الحساب) - بُغية (غنية) الطلاب في علم
الحساب (شرح «منية الحُساب») - ذيل على القصيدة الخزرجية (في العروض) - عروض
القصيد والدُويّيت - نظم مراحل الحجاز - شرح نظم مراحل الحجاز - إمداد بحر
القصيد ببحر أهل التوليد وأناس الأَقعاد (؟) والتجريد بمنحسرها من الشريد - المجالس
المكناسية. ثم له مُصنّفات في الفقه، منها: شفاء الغليل في حلّ مُقفل خليل^(١) - منظومة
في مُشكلات الرسالة (لابن أبي زيد القيرواني؟) - منظومة في نظائر رسالة
القيرواني - المسائل الحسان المرفوعة إلى حَبْر فاس وتِلْمان - الجامعُ المستوفي بمداول
الحوفي - المُطلب الكلّي في معاداة الإمام القلّي - كَلِيّات فقهية على مذهب المالكية.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن غاز في الشكوى من مكناسة:

★ طَلَّقْتُ مِكناسَةً ثَلاناً، وَالشَّرْعُ يَأْبَى الرُّجُوعَ فِيهِ^(٢).

- (١) الرابطة: السكى على أطراف البلاد الإسلامية لدفاع الأعداء عنها تطوعاً وتعبداً (للجهاد).
(٢) في الشرع الإسلامي يجوز للزوج أن يطلق امرأته مرتين ثم يستردها مرتين أيضاً. فإذا طلقها مرّة ثالثة
فلا يجوز له أن يستردها، إلا إذا تزوجها رجل ثم طلقها اختياراً من عند نفسه.

ليست بدارٍ سوى لقاضٍ
 ★ أقمّتُ بكناسةٍ مُدّةً
 فلمّا توهّمه بعضهم
 - وينسبُ إليه لُغزٌ في « القلم »:

وميّت قبرٍ طُعْمُهُ عند رأسه،
 يقومُ فيمشي صامتاً مُتكلِّماً،
 إذا ذاقَ من ذاك الطعامِ تكلّماً^(٣)،
 ويأوي إلى الرّمس الذي مِنْهُ قُوماً^(٤)،
 فلا هو حيٌّ يستحقُّ زيارةً
 ولا هو ميّتٌ (مِنْكَ) يرجو ترَحُّماً^(٥).
 - وقال ابن غازي (النبوغ المغربي ٨١٨):

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلالةِ بالهدى؛
 وأعجبُ من هَدَيْنِ مَنْ باع دينه
 وللمُشتري دُنْياه بالدينِ أعجبُ.
 بدُنْيَا سِوَاهُ، فَهوَ أَخْزَى وَأَخْيَبُ.

- ٤- الرّوض المّهتون، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).
- بغية الطلاب، فاس (طبع حجر) ١٣١٧، ١٣١٩ هـ.
- كليات فقهية، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.
- ★ نيل الابتهاج ٣٣٣ - ٣٣٤؛ أزهار الرياض ٣: ٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٣؛
 بروكلمن ٢: ٢١١، الملحق ٢: ٣٣٧ - ٣٣٨، راجع ١: ٥٢٣، السطر الثامن من أسفل؛
 النبوغ المغربي ٢٠٨ - ٢٠٩؛ الأدب المغربي ٢١٦ - ٢١٧، ٢٨٨ - ٢٨٩، ٢٩١، ٤٠٢؛
 مجلّة الجمع العلمي العربي بدمشق ٢٨: ٤٣٩؛ سركيس ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٣٢
 (٣٣٦: ٥)؛ معجم المؤلّفين ٩: ١٦.

- (١) تصلح ذاراً لقاضٍ (لكثرة اختلاف الناس فيها فتعلو مكائنه وتكثر مغافئه) عامل الجور (الظلم). العامل (في المشرق): الذي يجبي أموال الدولة. العامل (في المغرب): الوالي، الحاكم. السفه (في الأصل): المسرف في الإنفاق على ما لا حاجة في العادة إليه. والسفه أيضاً: الذي لا يتأدّب مع الناس.
- (٢) لما ظنّ نفر منهم أنهم أصبحوا قادرين على صوغ الكلام ترفّعوا عن محادثته.
- (٣) ميّت قبر (كان القلم يوضع عادة في علبة مستطيلة تشبه التابوت). الطعم (بالضم): الطعام. عند رأسه (يوضع القلم أحياناً، في أثناء الكتابة، على طرف الهبرة. والحبر في المحبرة طعام للقلم أو شراب!). فإذا أخذ القلم شيئاً من الحبر كتب به، فكأنه يتكلّم (يمرّ عن المقاصد).
- (٤) « قوم » ليس (بهذا المعنى) في القاموس. يقصد: أقام (أنهض).
- (٥) في الأصل « ميت فيرجو ».

محمد بن العربي العقيلي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي، لا نعرف من أحداث حياته إلا أنه كان، فيما يبدو، كاتباً للإشياء في غرناطة في أيام آخر سلاطينها أبي عبد الله محمد بن علي - في ولايته الثانية من سنة ٨٩٢ إلى سنة ٨٩٧ للهجرة - وأنه كتب رسالة على لسان سلطان غرناطة يستنجد فيها بالسلطان المريني في فاس، وهو محمد بن محمد المعروف بالشيخ الوطاسي أو البرتغالي (٨٧٥-٩٣١ هـ). وقد كانت وفاة محمد بن العربي في القرن العاشر، ولعلها كانت سنة ٩٢٨ للهجرة (١٥٢٢ م).

٢- محمد بن العربي العقيلي هو الفقيه والكاتب الجيد البارع البليغ (نفع الطيب ٥٢٩)، بقي لنا من إنشائه رسالة طويلة من نحو عشرين صفحة يمزج فيها الشعر بالنثر، وقد كتبها على لسان آخر ملوك غرناطة إلى سلطان بني مرين في فاس محمد بن محمد المعروف بالشيخ الوطاسي. والمفروض أنه قد كتب هذه الرسالة في سنة ٨٩٧ للهجرة، قبيل خروج العرب من الأندلس.

تبدأ هذه الرسالة بقصيدة لحمد بن العربي العقيلي نفسه يعارض فيها ميمية البوصيري «أمن تذكر جيران بني سلم...؟» ونثر محمد العقيلي أحسن من شعره معاني وأمتن تركيباً. وهو كثير الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وبالأمثال. وفي شعره نلمح محاكاة لعدد من الشعراء كالنابغة وكمب بن زهير وأبي تمام والمتنبي وابن عبدون وغيرهم. والسجع في نثره كثير، وكذلك الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية.

٣- مختارات من آثاره

- لأبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي موشحة منها:

هل يصح الأمان من شيء البذر،
وهو مثل الزمان منتم للفساد^(١)

★ ★ ★

(١) منتم: منسوب، قريب (للندر).

لَمْ يَغُرَّ الْأَغَرَّ غَيْرَ غَمْرِ جَاهِلٍ،
عَيْشُهُ الْحَلُوءُ مُرٌّ وَهُوَ فِيهِ نَاهِلٌ.
وَالصَّبَا الْفَضُّ مَرٌّ وَهُوَ عَنْهُ ذَاهِلٌ.
مَرَشَفُ الْبَهْرْمَانِ فَوْقَ ثُغْرِ الْبَهْرْمَانِ
مُطْمِئِنٌّ لِلْأَمَانِ بَاقِ تَرَابِ الدَّرِّ (١).

- لَمَّا شَدَّ الْإِسْبَانُ الْحَصَارَ عَلَى غَرْنَاطَةَ وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَقْرَعُونَ الطُّبُولَ وَيَنْفُخُونَ
بِالنَّفِيرِ إِرْهَابًا لِلْمُسْلِمِينَ وَإِضْغَافًا لِنُفُوسِهِمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيُّ الْعَقِيلِيُّ:

بِالطُّبُولِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَبِالنَّفِيرِ نُرَاعُ.
وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ إِلَّا الْقِرَاعُ (٢).
يَا رَبِّ، جَبْرَكَ يَرْجُو مِنْ هَيْضَ مِنْهُ الذَّرَاعُ (٣)؛
لَا تَسْلُبْنِي صَبْرًا مِنْهُ لِقَلْبِي آدْرَاعُ (٤)!

- وَلَأَيُّ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيِّ الْعَقِيلِيِّ قَصِيدَةٌ فِي اللَّهِو نَخْتَارُ مِنْهَا هُنَا عِدَدًا مِنَ الْآيَاتِ
الَّتِي تَسْتَقِيمُ عَلَى السَّرْدِ:

وَالْعَوْدُ ذُو دَبْدَبَةٍ يَطْبِي آثَارَهَا لِلطَّارِ دَبْدَابُ (٥).
وَفُضَّ لِلَّهِو خِتَامٌ، وَلَمْ يُسَدَّ فِي وَجْهِ الْهُوَى بَابُ.

(١) الْأَغَرُّ: الشَّخْصُ الْأَقْوَى عَلَى التَّغَرُّرِ بِالنَّاسِ. الْغَمْرُ: الْقَلِيلُ التَّجَرُّبَةِ وَالْعِلْمِ. نَاهِلٌ: شَارِبٌ. ذَاهِلٌ:
غَافِلٌ. الْبَهْرْمَانُ: اللَّوْنُ الْأَصْفَرُ (وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا). الدَّرُّ (بِالضَّمِّ): اللَّوْلُو (ثَغْرُ الدَّرِّ: الْغَمُّ الَّذِي فِيهِ
أَسْنَانُ كَاللَّوْلُو، كِتَابَةٌ عَنِ الشَّبَابِ وَالْجَهَالِ). الدَّرُّ (بِالْفَتْحِ): اللَّبَنُ سَاعَةً يَجْلِبُ. اقْتِرَابُ الدَّرِّ: بُلُوغُ
الْأَمَانِ.

(٢) الْقِرَاعُ: الْقِتَالُ.

(٣) يَا رَبِّ، إِنْ الَّذِي كَسَرَتْ ذِرَاعَهُ (أَصِيبُ بِمَصِيبَةٍ) لَا يَرْجُو جِرْهًا (إِصْلَاحَهَا) إِلَّا مِنْكَ.

(٤) - لَا يَدْفَعُ عَنِّي هَذَا الْعَدُوَّ إِلَّا الصَّبْرُ (فَالصَّبْرُ وَحْدَهُ هُوَ دَرْعِي فِي هَذِهِ الْحَرْبِ).

(٥) الدَّبْدَبَةُ: كُلُّ صَوْتٍ (عَلَى نَسَقٍ مَعَيْنٍ) كَوَقْعِ الْحَافِرِ عَلَى الْأَرْضِ الصَّلْبَةِ (الْقَامُوسُ ١: ٦٥). أَطْبَى الْقَوْمِ
فَلَانًا: تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ ثُمَّ اغْتَالَوْهُ (قَتَلُوهُ). وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ: طِبَاءَ وَأَطْبَاءَ (مَنْ طَبَى يَطْبِي) دَعَا الشَّيْءَ إِلَيْهِ أَوْ
صَرَفَهُ عَنْ نَفْسِهِ. الطَّارُ: الدَّفْعُ (بِضَمِّ الْفَاءِ). الدَّبْدَابُ: الطَّبَلُ. (يَصِفُ الشَّاعِرُ هُنَا تَجَاوِبَ الْأَلَاتِ
الْمُوسِيقِيَّةِ).

وكلّ إنسانٍ وما يشتهي، ليسَ على مناهُ حُجَابٍ
مُتَرَسِّلًا ليسَ له عُدْلٌ، كَلَّا ولا عليه رَقَابُ.

- ولما اشتدَّ الحصارُ على غرناطةَ للغاية طَلَبَ سُلطانُ غرناطةَ أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ (٨٨٧-٨٩٠ م ثم ٨٩٢-٨٩٧ هـ) من كاتبه أبي عبدِ الله مُحَمَّدِ بنِ العربيِّ العقيلي أن يكتبَ إلى سُلطانِ فاسَ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ المعروفِ بالشيخِ الوطّاسي (٨٧٦-٩٣١) من آلِ مرينٍ رسالةً يستنجدُ به فيها. فكتبَ أبو عبدِ الله العقيلي رسالةً طويلةً بدأها بقصيدةٍ طويلةٍ (مائة وثلاثين بيتاً) عارضَ بها قصيدةَ البوصيري «أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بذِي سَلَمٍ». ولكنَّ هذه القصيدةَ ضعيفةٌ جدًّا. ثم تلي الرسالة، وفي ثنائها هنا وهنا أبياتٌ من الشِّعر لنفرٍ من الشعراء تناسبُ معاني الرسالة. والرسالة في مجموعها مديحٌ لسُلطانِ فاسٍ واستعطافٌ وطلبٌ بأن يسمَحَ سُلطانُ فاسٍ لسُلطانِ غرناطةَ بأن يأتيَ إلى المغربِ لاجئًا. وفي ما يلي أبياتٌ من القصيدة ومقاطعٌ من الرسالة:

مَوَلَى الملوِكِ ملوكِ العَرَبِ والعَجَمِ،	رعيًا لِمَا مِثْلُهُ يُرعى من الذَّمِ.
بِكَ اسْتَجَرْنَا- ونَعَمَ الجَارُ أَنْتَ لِمَنْ	جار الزمانُ عليه جَوْرٌ مُنْتَقِمِ
حَتَّى غدا مُلْكُهُ بالرُّغْمِ مُسْتَلْبَأٌ،	وأفطعُ الحَظْبِ ما يَأْتِي على الرِغْمِ-.
حُكْمٌ من الله حَتْمٌ لا مَرَدُّ لَهُ،	وهل مَرَدُّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْحَتِمِ.
وَهِيَ اللَّيَالِي- وقاكِ اللهُ صَوَّلَتَهَا-	تَصُولُ حَتَّى على الآسَادِ في الأَجَمِ (١).
كُنَّا ملوكًا لنا في أرضِنَا دُوْلٌ	نَمُنَّا بها تحت أفياءٍ من النِّعمِ
فَأَبْقَظْتُنَا سِهَامٌ للرِّدى صِيْبٌ	يُرْمَى بِأَفْجَعِ حَتَفٍ مِنْ بَيْنِ رُمِي!
فَصِيلُ أَوَاصرٍ قد كانتْ لنا اشْتَبَكَتْ،	فَالْمُلْكُ بَيْنَ ملوكِ الأرضِ كالرَّجَمِ (٢).
وَابْسُطْ لنا الخُلُقَ المَرْجُوَّ باسْطُهُ،	واعْطِفْ ولا تَنْحَرِفْ، واعْذُرْ ولا تَلُم.
ولا تُعَاتِبْ على أَشْيَاءٍ. قد قُدِرَتْ	وَحُطَّتْ مَسْطُورُهَا في اللوحِ بالقَلَمِ (٣)

(١) تصول: تهجم، تستد، تغلب. الأجمة: المكان المملوء بالشجر. الآساد في الأجم: في أماكنها (وتكون هنالك قوية).

(٢) الأواصر: الصلات. الرحم: القرابة.

(٣) - قد قضاها الله علينا منذ الأزل (لما كتبها عنده في اللوح المحفوظ).

بنو مَرَيْنِ لِيُوْثَ فِي الْعَرَيْنِ أَبَوَا رُؤْيَا قَرَيْنِ لَهُمْ فِي الْبَاسِ وَالْكَرَمِ^(١)،
النَّازِلِينَ مِنَ الْبِيضَاءِ وَسَطَ حِمَى أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِيِّ وَمِنْ إِرَمِ^(٢).
تُضِيءُ آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُغْضِلَةٍ إِضَاءَةَ الشَّرَجِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ
يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِفْظَ جَارِهِمْ، فَلَمْ يُضِرَّ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضَمَّ^(٣).....

.... فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا، لا حظَّ الله تعالى لكم مِنَ العِزِّ رِوَاقًا وَلَا أَذْوَى لِدَوْحَةِ دَوْلَتِكُمْ أَغْصَانًا وَلَا أُرَاقًا^(٤)، ولا زالت مُخْضِرَّةُ الْعُودِ مَبْسُحَةً عَنْ زَهْرَاتِ الْبَشَائِرِ مُتَحَفَّةً بِشَمَرَاتِ السُّعُودِ مَمْطُورَةً بِسَحَابِ الْبَرَكَاتِ الْمُتَدَارِكَاتِ دُونَ بَرَقٍ وَلَا رُعُودٍ. هذا مقامُ الْعَائِدِ بِمَقَامِكُمْ الْمُتَعَلِّقِ بِأَسْبَابِ زِمَامِكُمْ^(٥) الْمُرْجِي لِعَوَاطِفِ قُلُوبِكُمْ الْمُقْبِلِ الْأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ الْمُتَجَلِّجِ اللِّسَانَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ مَفَاتِحِ كَلَامِكُمْ. وما الذي يَقُولُ مَنْ وَجْهُهُ خَجَلٌ وَفَوَادُهُ وَجَلٌ وَقَضِيَّتُهُ الْمُقْضِيَّةُ عَنِ التَّنَصُّلِ تَجَلٍ^(٦). يَدُ أَنِي أَقُولُ لَكُمْ مَا أَقُولُهُ لِرَبِّي - وَاجْتِرَانِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ وَاحْتِرَامِي لَهُ أَكْبَرُ - اللَّهُمَّ، لَا بَرِيءَ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قَوِيَّ فَأَتَصَرَّ، وَلَكِنِّي مُسْتَقِيلٌ مُسْتَنِيْلٌ مُسْتَعْتَبٌ مُسْتَغْفِرٌ^(٧)؛ وما أُبْرِيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ^(٨).....

وما لي والتكلفُ لِيَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ.... وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا تَلْعَبُ

- (١) بنو مَرَيْنِ: سلاطين المغرب. أَبَوَا: رفضوا. قَرَيْنِ: مثل، نظير. الْبَاسِ: القوة.
- (٢) الْبِيضَاءِ: مدينة فاس (الجديدة) عاصمة المرينيين. الْحِمَى: ما تحب حمايته. أَحْمَى (صيغة خطأ): أكثر منعة. الْأَبْلَقِ: حصن كان للسموال. إِرَمِ: مدينة قيل كانت قائمة في صحراء اليمن ومبنية بالحديد والنحاس.
- (٣) لم يضر نازل (لم يصب ساكن عندهم بضرر) ولم يضم (لم يلحقه ضم: ظلم).
- (٤) الرِوَاقِ: مقدّم البيت. لا حظَّ الله لكم في العزِّ رِوَاقًا: لا زال يبتكم عاليًا عزيزاً شريفاً قوياً. الدوحة: الشجرة الكبيرة.
- (٥) الْعَائِدِ: الراجي. الزِمَامِ: الرباط.
- (٦) وَجَلٌ: خائف. تَجَلٍ (فعل مضارع): تعظم، تكبر.
- (٧) لَا بَرِيءَ فَأَعْتَذِرُ: لست بريئاً (من أقوالِي السيئة فيك والتي نقلت إليك) حتّى أعتذر منها (أنفيا عن نفسي). وَلَا أَنَا قَوِيٌّ فَأَتَصَرَّ (أدفع عن نفسي بنفسي في وجه خصمي). مُسْتَقِيلٌ (تائب عما قلته) مُسْتَنِيْلٌ (طالب نوالك: عطائك، إحسانك) مُسْتَعْتَبٌ (طالب العتي: الرضا، رضاك) مُسْتَغْفِرٌ (طالب الصفح عن ذنبي).
- (٨) القرآن الكريم ١٢: ٥٣، سورة يوسف.

باللاعب وتجرب براحيها إلى المتاعب. وقديماً للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت
عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت^(١)....

وأبيها، لقد أرهقتنا إرهاقاً وجرّعتنا من صاب الأوصاب كاساً دهاقاً^(٢)، ولم نفرغ
إلى غير بابكم المنيع الجنب المنفتح حين سدت الأبواب. ولم نلبس غير نعمائكم حين
خلعنا ما ألبسنا الملك من الأثواب...

ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها^(٣) وأعطى من أمانة
المؤكّد فيه خطّه بأنيانه ما يُقنع النفوس ويكفيها^(٤). فلم نر - ونحن من سلالة
الأحمر - مجاورة الصفر^(٥)، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهرائي الكفر.....
ووصلت أيضاً من الشرق إلينا كُتب كريمة المقصد لدينا تستدعي الانحياز إلى تلك
الجنبات وتتضمن ما لا مزيد عليه من الرغبات. فلن نختر إلا دارنا التي كانت دار
آبائنا من قبلنا، ولم نرتض الأنضواء إلا لمن بحبله وصلنا حبلاً... امتثالاً لوصاة
أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالة وجملة^(٦)، إذ قد رويتنا عن سلف من أسلافنا في
الإيضاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ألا يتنفوا إذا دههم داهم بالحضرة المربية بدلاً
ولا يجدوا عن طريقها في التوجه إلى فريقها معديلاً^(٧). فاخترقنا إلى الرياض الأريضة

(١) براحتها (تورية): بيدها أو بالراحة (ضد التعب) التي يجدها الإنسان فيها (في الدنيا) أحياناً. الأكياس
جمع كيس (بالكسر: الوعاء الذي توضع فيه الأشياء). والكيّس (بشديد الياء المكسورة: العاقل والجمع
كيسى بفتح الكاف وسكون الياء (القاموس ٢: ٢٤٨). أعقل ما كانوا (في تمام عقولهم) = رجاحة العقل
وطول التفكير لا يمكن أن يتغلنا على مصائب الدنيا.

(٢) وأبيها: أقسم بأبي الدنيا، أقسم بالدنيا. الرق: تحميل الإنسان ما يطيق. الصاب: المر (بضم الميم).
الوصب (بفتح ففتح وجهها أوصاب): الألم، المرض. دهاق: مملوء.

(٣) صاحب (ملك) قشتالة: الملك فرديناند.

(٤) بخطّه (مخطّ يده): كتابة. الأنيان جمع يمين: القسم.

(٥) من سلسلة (نسل) الأحمر (جدّ بني الأحمر ملوك غرناطة) مجاورة (جوار) الصفر الإفرنج (بنو الأصفر:
الروم، اليونان).

(٦) نرتضي = نرضى. الأنضواء: الانضمام، الالتجاء. وصلنا بحبله حبلاً: عقدنا معه صلات وعلاقات
بإرادتنا. الوصاة (بفتح الواو): الوصية، النصيحة، الأمر. الأنظار جمع نظر: رأي. القدر: المكانة
والمقام. أصالة: جودة رأي.

(٧) دههم داهم: نزل بهم أمر مفاجيء. الحضرة المربية = عاصمة بني مرين، أرض بني مرين. الفريق:
الحزب، الجماعة (بالإضافة إلى كلّ فريق آخر). المعدل: الميل عن الشيء. - ... يجب أن يتوجهوا إلى =

الفجاج، وركبنا إلى البحرِ الفراتِ ظَهَرَ البحرُ الأجاج^(١)، فلا غَرَوَ أن نَرَدَ منه على ما يُقَرُّ العينَ وَيُشفي النفسَ الشاكِيةَ من آلمِ البَيْنِ^(٢). ومن توَصَّلَ هذا التَّوَصَّلَ وتوسَّلَ هذا التَّوَسَّلَ تطارحاً على سُدَّةِ أميرِ المؤمنينِ المُحاربِ للمُحاربينَ والمُؤمِّنِ للمُستأمنين فهو الخَلِيقُ الحَقِيقُ بأن يُسَوِّغَ أَصْفى مِشَارِبِهِ وَيُلْغَ أوفى مَآرِبِهِ على توالي الأيَّامِ والشُّهُورِ والسنينَ.....

٤-★★ نفع الطيب ٤: ٤٢٩-٥٥٣؛ أزهار الرياض ١: ٧٢-١٠٣؛ الأدب المغربي ٢٩٤-٢٩٥.

إبراهيم الفجيجي

١- هو إبراهيمُ بنُ عبدِ الجبارِ بنِ أحمدَ الشريفِ الفجيجي (بكسر فكسر- كما ضُبِّطت في «النبوغ المغربي» ٧٧٥)، نِسْبَةً إلى فجيج أو فيفج، وهي بلدةٌ في جنوبي الجزائر.

جاء إبراهيمُ الفجيجيُّ إلى فاسَ وأخذ العلمَ عن نفرٍ منهم أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يحيى الونشريسي (ت ٩١٤ هـ) وأبو عبد الله محمدُ بنُ أحمدَ المكناسي (ت ٩١٩ هـ) والأستاذ الصغير (؟) ثم انتقل إلى تِلْصَانَ وأخذ عن نفرٍ آخرينَ منهم أبو عبد الله محمدُ ابنُ يوسفَ السنوسي (٨٣٢-٨٩٥ هـ) وأبو عبد الله محمدُ بنُ عبدِ الله التنسي (ت ٨٩٩ هـ).

وفي أواخرِ القرنِ المِجْرِيِّ التاسعِ رَحَلَ الفجيجيُّ إلى المشرقِ فأخذ العلمَ في مِصْرَ عن جلالِ الدينِ السُّيوطيِّ (ت ٩١١ هـ) ثم جاء إلى المدينة وفيها الأشمونيُّ (ت نحو ٩٠٠ هـ) والسَّخاويُّ (ت ٩٠٢ هـ) فأخذ عنها.

ثم إنَّ الفجيجيَّ عادَ إلى بلدِهِ فاشتغل بالتعليم من غيرِ أن يتركَ الاستزادةَ من

= بلاد بني مرين رأساً وألا يبدلوا اتجاههم (أو رأيهم) في أثناء الطريق.

(١) الرياض (الجنائن) الأريضة (الخصبة المزدهرة) الفجاج (جمع فَجَّ: الأرض الواسعة القاحلة). الفرات: الحلو. الأجاج: المالح.

(٢) ما يقرُّ العين: ما يسرُّ. البين: الفراق.

العلم. ولكن اضطراب الأحوال حمله على أن يرحل إلى السودان (غربي إفريقيا) حيث بقي مدة عاد بعدها إلى فجيح حيث توفي نحو سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م).

٢- ترك لنا إبراهيم الفجيجي عدداً من المنظومات أشهرها منظومة ذكرها بروكلمن بلفظ: «الفارد في تقييد الشارد وترصيد الوالد» (١) أو روضة السلوان (وهي طردية: في وصف الصيد، صيد الصقور للطيور والفزلان وغيرها)، وهي قصيدة في مائتين وثلاثة عشر بيتاً من البحر الطويل فيها وصف للبادية ولجالس البدو وللطبيعة الصحراوية وذكر لأحكام الصيد من الناحية الفقهية (الدينية). غير أن على هذه القصيدة شيئاً من الجفاف لكثرة الألفاظ الفقهية فيها. وللـفجيجي أيضاً منظومة سماها «المفيدة» فيها كلام على الديانات وعدد من مسائل الفقه. وله أيضاً عدد من المقطعات الشعرية.

٣- مختارات من شعره

- من الطردية «روضة السلوان»:

لأشياء للإنسان فيها منافع.	يلومونني في الصيد، والصيد جامع
نصوص كتاب الله وهي قواطع ^(١) .	فأولها كنب الحلال أتت به
وأحكام إجراء السوابق رابع ^(٢) ...	وصحة جسم ثم صحة ناظر،
ويقنع وقد الشيب كيلا يسارع ^(٣) .	وينفي الموم المهرمات عن الفتى،
وفيه من السر الحفي بدائع:	ويورث عند الالتحام شجاعة،
وصيد أسود الإنس، والوحش تابع ^(٤) .	كندبير أمر الحرب والفتك بالعدا

(١) - في القرآن الكريم (٩: ٢، ٩٩، سورة المائدة) ذكر التحليل للصيد، إلا إذا كان الإنسان مُعْرَماً في الحج، فإذا انتهى من أداء شائر الحج حل له الصيد (في خارج الحرمين: نطاقي مكة والمدينة).

(٢) أحكام.... المعرفة بإقامة السباق بين الخيل.....

(٣) المهرم: التي تسرع بالإنسان إلى الهرم. ويقنع (يطل، يؤخر) مجيء الشيب (يحفظ على الإنسان صحته وشبابه). يسارع (حقها نصب).

(٤) صيد أسود الإنس: التلّب على الشجعان الأقوياء من الأعداء.

بنفسي عفيفاً مُتَرْفَافاً ذَا نَزَاهَةٍ له في سِلْمِهِ الجَدِّ والسَّعْدِ طَالِعٌ^(١)،
 عَلَى هَيْكَلٍ نَهْدٍ وَفَوْقَ شِبَالِهِ وَقُورٌ مِنَ الصَّقُورِ أَيْضُ نَاصِعٌ^(٢).
 أَخِي، هَلْ تَرَى الْأَيَّامَ تَجْمَعُ شَمَلَنَا وَنَحْنُ عَلَى جُرْدٍ سِرَاعٍ نَطَالِعُ^(٣)،
 لَدَى كُلِّ رَبْوَةٍ وَأَجْرَاسُ طَيْرِنَا لَهَا زَجَلٌ مِنْ فَوْقِنَا وَقَعَاقِعُ^(٤)؛
 فَنَقْضِي مِنَ السَّلْوَانِ بَعْضَ غَرَامِنَا وَنَجْنِي جَنَى اللَّذَّاتِ وَالْدَهْرِ خَاضِعٌ؟
 عَظِيمٌ ثَلَاثٌ: رَأْسُهُ ثُمَّ فَخْذُهُ وَمِنْسَرُهُ لِحْزَرٍ مَا هُوَ صَادِعٌ^(٥).
 عَلَيْهِ سِهَاتُ الْفَتْكِ، إِمَّا نَظَرَتُهُ أَطَلَّتْ حَوَاجِيبٌ وَغَارَتْ مَدَامِعُ^(٦).
 طُمُوحٌ كَثِيرُ الْإِلْتِفَاتِ مُسَلِّطٌ لِأُمِّ السَّلَاحِ الدَّهْرَ مِنْهُ فَجَائِعُ^(٧).

٤- ** تعريف الخلف ٢: ٣- ٤، النبوغ المغربي ٧٧٥- ٧٨٤؛ بروكلمن ٢: ١٧٠، الملحق ٢: ١٦٨؛ الأعلام للزركلي (١: ٤٥)؛ الأصالة (مجلة)، الجزائر (السنة الثانية، العدد ١١) شوال- ذو القعدة ١٣٩٢ (نوفمبر- ديسمبر ١٩٧٢)، ص ١٣٩- ١٤٤.

محمود بن عمر أقيت التنبكي

١- هو أبو الثناء وأبو المحاسن محمود بن عمر بن محمد أقيت^(٨) بن عمر بن علي بن

- (١) في هذا البيت يصف الشاعر صياداً. له في سِلْمِهِ.....: ذو حظٍّ سعيد (موقق).
- (٢) هَيْكَل (حصان عظيم الجسم) نَهْد (عالي الكتفين). وَقُور: هادئ رصين.
- (٣) المِجْد (جمع أجرد). حِصَانٌ قَصِيرُ الشَّعْرِ (دلالة على كرم أصله). نَطَالِعُ: نبحت عن الطرائد.
- (٤) زَجَل: صوت.
- (٥) هذا البيت وصف للصقر الأصيل. المنسر: الظفر. جزر: ذبح. صادع (ربما: صارع).
- (٦) سَمَة: علامة. من محاسن الصقر أن يكون حاجباه بارزين وعينه غائرتين.
- (٧) أُمُّ السَّلَاحِ (بضم السين) لعلّه يقصد «الحباري» (وهي كثيرة الدرق: القدر يخرج من مؤخرة الطيور). وصيد الحباري بالصقور مرغوب فيه لأن طير الحباري كبير الحجم طيب اللحم. الدهر = طول الدهر، دائماً. هو بصطاد عدداً كبيراً من الحباري (والحباري تفضل الصيادين لأن لون ريشها كلون التراب).
- (٨) على صفحة الغلاف: تاريخ الفتاش.... للقاضي محمود كمت بن الحاج المتوكل كمت الكرمني التنبكي الوعكري، ومثل ذلك على الصفحة التاسعة. وفي «نيل الابتهاج» (ص ٣٤٣- ٣٤٤): محمود بن عمر أقيت.....، وليس للكتاب «تاريخ الفتاش» ذكر. وفي بروكلمن، الملحق ٢: ٧١٦- ٧١٧: القاضي =

يحيى الكرمي^(١) الصنهاجي^(٢) الموفي^(٣)، وُلِدَ سَنَةَ ٨٦٨ للهجرة (١٤٦٣ - ١٤٦٤ م) في تَنُبُكْت. ولَسْنَا نَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ حَيَاتِهِ الْأُولَى قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَلَدِهِ، سَنَةَ ٩٠٤ للهجرة (١٤٩٨ - ١٤٩٩ م) فَيَتَشَدَّدَ فِي الْأُمُورِ وَيَتَوَخَّى الْعَدْلَ فِي الْأَحْكَامِ فَيَقْمَعَ أَهْلَ الْفُسَادِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، يَقُومُ بِالتَّدْرِيسِ، وَكَانَ فِي الْغَالِبِ يُقْرِئُ الْمُدَوَّنَةَ^(٤) وَالرِّسَالَةَ (لَا بِنَ أَبِي زَيْدٍ) وَمُخْتَصَرَ خَلِيلٍ.

وَفِي سَنَةِ ٩١٥ للهجرة (١٥١٠ م) كَانَ فِي الْحَجِّ^(٥)، وَقَدْ لَقِيَ فِي مِصْرَ (فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ) نَفَرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ وَاسْتَأْنَفَ التَّدْرِيسَ وَالْقَضَاءَ وَالْإِصْلَاحَ. وَطَالَ عُمُرُهُ كَثِيرًا حَتَّى أَلْحَقَ الْأَبْنَاءَ بِالْأَبَاءِ (عَلِمَ أَنَا سَاءً ثُمَّ عَلِمَ أَبْنَاءُ هُمْ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَادِسَ عَشَرَ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٩٥٥ (١٩/١٠/١٥٤٨ م). وَخَلَفَهُ فِي الْقَضَاءِ أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ: مُحَمَّدٌ وَالْعَاقِبُ وَعُمَرُ.

٢- كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ أَقْبَتَ التَّنْبُكْتِيَّ هَادِيَّ الطَّبَعِ قَوِيَّ الْحَافِظَةِ وَمِنْ قَهَّاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَالِمَ بِلَادِ التَّنُكُورِ وَصَالِحِهَا وَمُدْرَسَهَا وَفَقِيهَهَا وَإِمَامَهَا بِلَا مُدَافِعٍ. وَهُوَ الَّذِي أَدْخَلَ مُخْتَصَرَ خَلِيلٍ وَالْمُدَوَّنَةَ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ. وَكَذَلِكَ كَانَ مُصَنِّفًا، لَهُ: تَقْيِيدٌ عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ تَأْلِيفَ كِتَابِ «الْفَتَّاشِ» (أَوْ الْفَتَّاسِ)^(٦) وَعُتُونَاهُ عَلَى النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ: «تَارِيخُ الْفَتَّاشِ فِي أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ وَالْجُيُوشِ وَأَكَابِرِ النَّاسِ». أَمَّا عَلَى الصَّفْحَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ فَيَبْدُو هَذَا الْعُنْوَانُ أَكْثَرَ تَفْصِيلًا: «تَارِيخُ الْفَتَّاشِ فِي أَخْبَارِ

= مُحَمَّدُ كَتَبَ ... الْكُرْمِيَّ التَّنْبُكْتِيَّ، وَلَهُ «تَارِيخُ الْفَتَّاشِ». وَيَذْكُرُ هُوَارُ (تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، النُّسخَةُ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ، ص ٣٩٣) مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ هَذَا وَلَا يَذْكُرُ لَهُ «تَارِيخُ الْفَتَّاشِ». غَيْرَ أَنَّ خَيْرَ الدِّينِ الزَّرْكَلِيَّ (الْأَعْلَامُ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ٨: ٥٦، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ ٧: ١٧٩) يَذْكُرُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ التَّنْبُكْتِيَّ وَيَذْكُرُ لَهُ كِتَابَ تَارِيخِ الْفَتَّاشِ.

- (١) الْكُرْمِيَّ نَسَبَهُ إِلَى كُرْمَنِ (بِالضَّمِّ أَوْ بِالْفَتْحِ): مَقَاطِعَةُ قَرْيَةٍ مِنْ تَنُبُكْتِ.
- (٢) صَنْهَاجِيَّةٌ (بِالْكَسْرِ) وَسُوفَةٌ (بِالْفَتْحِ) مِنْ قَبَائِلِ الْبَرْبَرِ.
- (٣) الْمَقْصُودُ هُنَا: الْمُدَوَّنَةُ الْكُبْرَى لِعَبْدِ السَّلَامِ بْنِ سَمِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِسُخُونٍ (ت ٢٤٠ هـ) فِي الْفَقْهِ الْمَالِكِيِّ.
- (٤) كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ فِي الْحَجِّ مَعَ الْأَسْكِيَا (الْمَلِكِ، الشَّيْخِ؟) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (رَاجِعْ مَطْلَعُ «تَارِيخِ الْفَتَّاشِ» فِي الْمُخْتَارَاتِ مِنْ آثَارِهِ).
- (٥) الْفَتَّاسُ (مَكَانُ «الْفَتَّاشِ») رَاجِعْ ص ١١ وَ ١٦ (مِنْ الْمَقْدَمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ)، وَهَذَا يُوَافِقُ السَّجْعَ: تَارِيخُ الْفَتَّاسِ..... وَأَكَابِرِ النَّاسِ.

البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفریق أنساب العبيد من الأحرار». والمؤلف قد بدأ هذا الكتاب سنة ٩٢٥ للهجرة (١٥١٩ م). ثم إن حفيده ابن المختار أممه إلى سنة ١٠٧٦ للهجرة (١٦٦٥ م). - ولعل أحد أولاد المؤلف كان قد وصل بالأحداث إلى سنة ١٠٠٧ للهجرة (١٥٩٩ م)^(١). وفي كتاب «فتايش» يختلط التاريخ بالقصص الشعبي وبالخرافات أيضاً. والمؤلف نفسه يقول إنه كان في هذه الروايات أشياء لا يُصدقها العقل (ص ٣٤)، مثل صنع بحر في الصحراء (ص ٣٥)، ومن أن كنتك موسى لما خرج إلى الحج ما مرّ ببلد (بين السودان ومصر)، وكان يوم الجمعة، إلاّ بني في ذلك اليوم مسجداً في يومه^(٢) (ص ٣٤). ومثل ذلك قصة خراب تُنبكت وإعادة بنائها (ص ١٥٦).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب الفتايش:

الحمد لله المنفرد بالملك والملكوت^(٣) والعزة والجبروت والقهر والغلبوت والرافة والرحموت، الملك الديان القادر المنان^(٤) الذي خلق الأرض والسماء وعلم آدم الأسماء^(٥) وأخرج من صلبه الملوك والرعاة^(٦)، فمنهم متكبرون قاسطون ومنهم مقتصدون

(١) تاريخ الفتايش، ص ١٨٤. راجع أيضاً المقدمة الفرنسية، ص ١٨.

(٢) يبني المسجد في يوم واحد!

(٣) فعلوت (يفتح ففتح) وفعلوتا (من الصيغ النادرة في اللغة العربية) يأتي عليها ست كلمات: جبروت، رحوت، رغوت، رهوت، قهروت، ملكوت (راجع تاج العروس - الكويت ١٠: ٣٥٦). والمؤلف (هنا) استعمل «غلبوت» أيضاً. هذه الصيغ تستعمل في اللغة العربية مصادر. ولكن ما الفائدة من استعمالها مكان المصادر العادية: جبر، رحمة، قهر، ملك، الخ؟ - في القاموس السرياني (الباب لجبرائيل الفرداحي، ١: ١٥٨): جبروتا (بجيم معقودة، قريبة من القاف، مفتوحة وبمدها باء ساكنة): الرجولة. وترد هذه الصيغة السريانية (يفتح ففتح فكون وواو مضمونة): المعجزة أو الآية. وأغلب الظن أن العرب أخذوا هذه الصيغ لما في لفظها من الفخامة والتأثير الغريب.

(٤) الديان: الذي يحكم بين الناس (يوم القيامة). المنان: المانع (المعطي، الواهب) الكريم.

(٥) وعلم آدم الأسماء كلها (القرآن الكريم ٢: ٣١، سورة البقرة).

(٦) الرعاة (بالضم وأخرها همزة): الرعاة (جمع راع) - راجع القاموس ٤: ٣٣٥.

صالحون^(١). فَأَبْتَلَاهُمْ (جَمِيعاً) بِظُهُورِ الْأَنْبَاءِ وَالْأَخْبَارِ^(٢) فَأَهْلَكَ مِنْ أَبَاهُمْ^(٣) وَصَيَّرَهُمْ عِبْرَةً لِلْمُتَنَبِّرِينَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. ثُمَّ أَوْرَثَ الْعُلَمَاءَ عِلْمَهُمْ وَأَخْلَفَ الْخُلَفَاءَ عَلَى أَمْرِهِمْ^(٤)..... وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ أَفْرَغَ قَلْبُهُ وَهَوَاهُ لِأَمْثَالِ أَمْرِ مَوْلَاهُ^(٥)..... وَشَهِدَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ الْكَرِيمَ وَرَسُولَهُ الرَّحِيمَ وَصِفِيَهُ الْحَلِيمَ وَنَجِيَّهُ الْأَمِينَ ذُو الْآيَاتِ الصَّادِقَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ، أَرْسَلَهُ مُوْطِدًا لِلْإِسْلَامِ وَمُسَدِّدًا لِلْأَنَامِ وَمُبَيِّنًا لِلشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

وبعد، فلما كان ذِكْرُ قِصَصِ الْأَنْبَاءِ^(٦) وَالسُّلَاطِينِ وَالْمُلُوكِ وَأَكَابِرِ الْبُلْدَانِ مِنْ عَادَةِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، اتَّخَذَ^(٧) بَسْنَةَ الرَّسُولِ وَتَذَكِيرًا لَهَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَدًّا لِلنَّبِيِّ عَنِ الْحَيْفِ وَالْمُهْوَانِ^(٨) وَعَوْنًا لِلتَّقِيِّ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْإِخْوَانِ. وَ(قَدْ) مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِأَنْ أَظْهَرَ لَنَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الْإِمَامَ الصَّالِحَ وَالْخَلِيفَةَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْغَالِبَ وَالْمَنْصُورَ الْقَائِمَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدَ^(٩) بْنَ أَبِي بَكْرٍ التَّوْرِدِيِّ أَصْلًا الْكُوكُوتِيَّ دَارًا وَمَسْكَنًا فَأَنَارَ لَنَا الْهُدَى بَعْدَ ظُلْمِ الدُّجَى وَأَمَاطَ عَنَّا الْهُدَى^(١٠)؟ بَعْدَ الْجُبْنِ وَالرَّدَى^(١١). فَانْفَسَحَ^(١٢)، بِحَمْدِ اللَّهِ، الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَتَدَاعَتْ^(١٣) لَهُ الْوُفُودُ فَرَدًّا

- (١) قاسط: ظالم (تأتي أيضاً بمعنى: عادل). مقتصد: معتدل.
- (٢) ابتلاه: اختبرهم (أي اختبر الناس) بظهور الأنباء (جمع نبي - تاج العروس - الكويت ٤ : ٤٤٥).
- (٣) أباهم: رفضهم (عصى الأنبياء).
- (٤) أخلف (استخلف) الأنباء (الأنبياء) على (تفويض) أمرهم (ما أمر به الأنبياء).
- (٥) هواه (ميله، رغبته): جعل رغبته قاصرة على طاعة أوامر الله. لأمثال (اقرأ: لأمثال: تقيد، طاعة) مولاه (زبه).
- (٦) الأنباء جمع نبي.
- (٧) اتخذاً لسنة الرسول أو انقياداً لسنة الرسول أو اقتداء بسنة الرسول.
- (٨) غير: مضي. الحيف: الظلم.
- (٩) الأسكيا محمد الأول: ملكاً امبرطورية سنغية، وكانت تضم جميع المحوض الأوسط لنهر النيجر وقسماً من الصحراء الكبرى بما في ذلك المدن: ولاتن وتبكت وكاو (بكاف معقودة، تلفظ كالثاقف).
- (١٠) أَمَاطَ: أبعد، أزال. الهدى (٩) اقرأ: الهدى. ويقال «أماط الأذى».
- (١١) الردى: الموت، الهلاك (على يد الأعداء). الجبن: الخوف، الإحجام عن العمل (قتال العدو).
- (١٢) انفسح البلدان (اتسع ملكه). - لعلها: أفتتح البلدان (٩).
- (١٣) تداعت له الوفود (اجتمعت عنده الوفود من الشرق والغرب).

وَجَمْعًا. وَأَذَعَنْتَ لَهُ الْمُلُوكُ كَرْهَا وَطَوْعًا. فَصِرْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ فِي خَيْرٍ وَنُفَعَى بَعْدَمَا كُنَّا فِي ضَيْقٍ وَبُؤْسٍ^(١). فَبَدَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢).

أَرَدْتُ أَنْ نَجْمَعَ مِنْ أَحْوَالِهِ الْحُلُوانِ^(٣)، مَعَ ذِكْرِ شَيْءٍ عَالِ الْمَلْعُونِ^(٤) (؟) مَا سَهَّلَ عَلَى الْيَدِ وَاللِّسَانِ. وَإِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ التُّكْلَانُ^(٥). وَسَمَّيْتُهُ «تَارِيخَ الْفَتَّاشِ فِي أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ وَالْجِيُوشِ وَأَكَابِرِ النَّاسِ وَذِكْرِ وَقَائِعِ التَّكْرُورِ وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ وَتَفْرِيقِ أَسَابِ الْعَبِيدِ مِنَ الْأَحْرَارِ».

أَعْلَمُ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ الْإِمَامَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْفَاضِلَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدًا تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ أَقَامَ^(٦) طَرِيقَةً سُنْفِيَّ وَجَعَلَ فِيهَا قَوَاعِدَ^(٧)..... وَلَا يَقُومُ^(٨) لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْعَالِمِ وَالْحُجَّاجِ^(٩) إِذَا قَدِمُوا مِنْ مَكَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ مَعَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالشُّرَفَاءُ وَأَوْلَادُهُمْ وَسُنْفِيَّ^(١٠)، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَهَذَا كُلُّهُ (كَانَ) فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِ قَوْمِهِ. فَلَمَّا ثَبَّتَتْ لَهُ السُّلْطَنَةُ وَأَسْتَقَامَتِ الْمَمْلَكَةُ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَعَلَ يَسْأَلُ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ عَنْ سُنَّةِ^(١١) رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَمْشِي عَلَى أَقْوَالِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ،

(١) البؤس: البؤس (المثقة، الفقر، الشقاء).

(٢) كَمَا قَالَ (اللَّهُ تَعَالَى) لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ (مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ): ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (القرآن الكريم ٩٤: ٦٥، سورة الانشراح).

(٣) مِنْ أَحْوَالِهِ: مِنْ أَحْوَالِ الْأَسْكِيَا الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ. الْحُلُوانِ (٤).

(٤) شَيْءٌ عَالٍ (فِي التَّطْلُيقِ عَلَى النَّصِّ بِالْفَرَنْسِيَّةِ، ص ١٠): أَمِيرُ حَكْمِ بِلَادِ سُنْفِيٍّ مِنْ ١٤٦٥ إِلَى ١٤٩٢ لِلْمِيلَادِ (٨٧٠-٨٩٨ هـ) وَكَانَ الْمَلِكُ الَّذِي سَبَقَ آخِرَ مُلُوكِ أُسْرَةِ شَيْءٍ الَّتِي جَاءَتْ قَبْلَ الْأُسْرَةِ الَّتِي عُرِفَتْ بِاسْمِ الْأَسْكِيَا (أُسْرَةُ الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ).

(٥) إِلَى (اقْرَأْ: عَلَى). التُّكْلَانِ (بِالضَّمِّ): الْإِتْكَالُ، الْإِعْتَادُ.

(٦) أَقَامَ سُنْفِيَّ: عَمِلَ بِهَا، عَلَى نَظْمِ مَا كَانَتْ تِلْكَ الْأُسْرَةُ تَعْمَلُهُ.

(٧) سُنْفِيَّ (بِضَمِّ فَسْكَوْنِ فَتْحِ فَسْكَوْنِ) أَوْ سُنْفِيَّ (بِضَمِّ فَتْحِ فَسْكَوْنِ) تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ الَّتِي كَانَتْ عَاصِمَتُهَا كَاو (بِكَافٍ مَقْطُوعَةٍ - بَيْنَ الْغَيْنِ وَالْقَافِ)، وَخُصُوصًا فِي الْحَوْضِ الْأَوْسَطِ لِلنَّيْجَرِ.

(٨) قَوَاعِدُ - بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ عَادَاتُ شَخْصِيَّةٍ لِلَّذِينَ يَخْدُمُونَ الْمَلِكَ.

(٩) يَقُومُ: يَنْهَضُ، يَقِفُ لِلتَّحِيَّةِ.

(١٠) اقْرَأْ: أَوْ لِلْحُجَّاجِ.

(١١) سَنَ مَعْنَاهَا: الرَّئِيسُ، الْأَمِيرُ (وَلَعَلَّهَا تُشِيرُ إِلَى الْفَرْدِ مِنْ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْحَاكِمَةِ).

(١٢) سَنَةُ رَسُولِ اللَّهِ = طَرِيقَتُهُ.

حَتَّى اتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةُ^(١). وَمِمَّنْ صَرَّحَ لَهُ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ^(٢) وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيِّ^(٣) وَالشَّيْخُ شَهْرُوشُ الْجَنِّيُّ^(٤) وَالشَّرِيفُ الْحَسَنِيُّ مَوْلَايَ الْعَبَّاسُ أَمِيرُ مَكَّةَ^(٥)، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

- عدد من أسماء أعلامهم مضبوطاً (الفتاش ٢٥):

....وكان اسم كبير الرجال المذكورين وَعَكْرُيُّ بْنُ بَرَّاسٍ وَاسْمُ زَوْجَتِهِ آمَنَةُ بِنْتُ بَحْتٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ وَعَكْرُيِّ بَوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَعَيْنٍ سَاكِنَةٍ وَكَافٍ وَرَاءَ مَضْمُومَةٍ^(٦) مُمَالَتَيْنِ فَيَاءً سَاكِنَةً. وَاسْمُ ثَانِي الرِّجَالِ سُغْيُ بْنُ بَرَّاسٍ، وَاسْمُ زَوْجَتِهِ سَارَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ سُغْيِ بْنِ وَعَيْنٍ مَضْمُومَتَيْنِ مُمَالَتَيْنِ بَعْدَهَا يَاءً سَاكِنَةً. وَثَالِثُ الرِّجَالِ اسْمُهُ وَنَكَرَ، وَهُوَ أَصْفَرُهُمْ، وَلَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ أُمَتَانِ^(٧) اسْمُ إِحْدَاهُمَا سَكْرَى وَاسْمُ الْآخَرِ كَسْرَى. فَاتَّخَذَ وَنَكَرَ سَكْرَى سَرِيَّةً لَهُ.

وكان جَدُّ قَبِيلَةٍ وَنَكَرَ بَوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ فَرَاءً مَفْتُوحَةٍ. وكان لهم عَبْدٌ يُسَمَّى بَيْنَكَ فَرَزُوحَهُ بِأَمَتِهِمْ كَسْرَى، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ مَيْنَكَ بِمِيمٍ مَكْسُورَةٍ مَمَالَةٍ فَيَاءً مَدْغَمَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ. وَإِلَى آبَائِهِمْ نُسِبُوا. ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ. وَكَانَ كَبِيرُهُمْ وَعَكْرُيُّ سُلْطَانَهُمْ، وَسَمَّوْهُ كَيْمَغَ، وَمَعْنَى ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ: طَالَ الْإِرْثُ، يَرِيدُونَ بِذَلِكَ «أَطَالَ اللَّهُ وَرَثَتَنَا الْمُلْكَ».

٤- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (تحرير هوداس وديلافوس)، باريس (مطبعة مدرسة اللغات الشرقية، القسم الخامس، المجلد ١٩، العدد الأول) ١٩١٣؛

(١) خليفة = مستحق لقب خليفة.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المصري (ت ٩١١ هـ) من العلماء الذين برعوا في فنون كثيرة من المعرفة الإنسانية.

(٣) المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) هذا عالم مغربي عاش جانباً كبيراً من حياته في السودان الغربي.

(٤) شهروش (يبدو أنه شخص خيالي) الجنّي (نسبة إلى الجنّ، خلاف الإنس - بكسر الهمزة).

(٥) أمير مكة: (لم يذكر زاباور (ص ٣٢ - ٣٣) أحداً من أشراف مكة في القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد) باسم العباس.

(٦) اقرأ: مضمومتين (أي الكاف والراء).

(٧) الأمة (بفتح ففتح): الجارية المملوكة.

طبعة بالتصوير: المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس (مكتبة أميرة
والشرق: أدريان ميزونوف) ١٩٦٤ م.
** نيل الابتهاج ٣٤٣ - ٣٤٤؛ بروكلن، الملحق ٢: ٧١٦ - ٧١٧؛ هوار (النسخة الانكليزية
٣٨٦)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٥٦ (٧: ١٧٩)؛ سركيس ٤٦٤؛ شجرة النور الزكية ٢٧٨ (رقم
١٠٤٣).

ثالث صفر ١٤٠٣ = ١٩ / ١١ / ١٩٨٢ م.

فهرس أعلام الأشخاص

[أ-إ]

- ابن أجروم = منديل
ابن الأبار القضاعي (٢١٠-٢١٧)، ٦،
١٦، ١٧، ٨٠، ٩٩م، ١١٠، ١٥٩،
٣٤٨-٣٤٩، ٣٧٦ح.
ابن أبي البقاء البلنسي - محمد بن - محمد
(١٣٤-١٣٥).
ابن أبي بكر = أسكيا الحاج محمد
ابن أبي بكر التطواني - محمد ٥١٦.
ابن أبي بكر الصغير - محمد ٥٨٦.
ابن أبي بكر - محمد بن يحيى ٨١.
ابن أبي جعفر = أحمد
ابن أبي جرة الأندلسي - عبد الله ٥٦، ٥٩.
ابن أبي حجلة (٥١٧-٥٢١).
ابن أبي الحسين - محمد (٢٥٣-٢٥٥).
ابن أبي حمزة = ابن أبي جرة
ابن أبي خرص - أبو محمد ١٤٠ح، ١٤١.
ابن أبي الخصال ٢١٥ح.
ابن أبي الربيع القرشي - عبيد الله بن أحمد
(٣١٧-٣١٦)، ٣٣٦-٣٣٧، ٣٨٢م،
٣٩٩، ٤٠٩، ٤٤٥م.
ابن أبي الرجال القيرواني - علي ٦١٢.
ابن أبي ربحانة المربلي - الحاج ٣٤١.
ابن أبي زرع - علي (٤٠٦-٤٠٨).
ابن أبي زيد القيرواني ٦٠، ٦١م، ٦٥،
٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٦٩١ح، ٦٦٨ح،
٦٧٤، ٦٧٩، ٦٩٦، ٧٠٦.
- الآبلي - محمد بن إبراهيم ٥٤٠، ٥٤٤م.
الآبي - صالح ٢٠٩.
آدم ١٩٩ح م، ٢٣٩ح، ٣٠٧، ٣٢٠،
٤٣٣ح، ٥٠٢.
آل ياسين - محمد حسن ٤٣٠.
آمنة بنت وهب ١٨٠ح م.
الأبدي ٣٩٩، ٤١١*.
إبراهيم ١٧٨ح.
إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (٣٠٧-
٣١٩).
إبراهيم بن علي - أبو سالم (السلطان المربني)
٥٠٥م، ٥٠٧.
إبراهيم الفجيجي (٧٠٣-٧٠٥)، ٧٠.
إبراهيم بن محمد = الطويجن
إبراهيم بن محمد المرسى ٧٢.
إبراهيم بن يحيى الفناطي ٦١.
إبراهيم بن مخلف المطاطي التلمساني ٣٦١.
إبراهيم بن يزيد = النخعي.
إبركان - الحسن ٨٠.
أبرهة الحبشي ٣٠٦ح.
إبليس ٩٦م، ٤٣٣م.
ابن أجروم - أبو عبد الله محمد (٣٩٣-
٣٩٩)، ٥٣، ٤٤٩، ٤٩٦، ٥٨٠،
٥٨٦.

ابن أبي الشكر (شكر) - يحيى بن محمد ٨٨ م،

٤٣٦، ٣٨٣.

ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن اسماعيل (٨)

٤٨٤ م، ٥٠٤-٥٠٥، ٥١١، ٥٧٠،

٦١٧ م، ٦١٨، ٦٢٦ ح ٢.

ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن نصر (١)

٢٨٧ م،

ابن الأحمر - محمد بن محمد بن يوسف بن نصر

(٢) ٣٦٥، ٣٦٦-٣٦٧، ٣٨٢،

٤٢٦ م، ٤٨١.

ابن الأحمر - نصر بن محمد (٤) ٩٢، ٤٣٩.

ابن الأحمر - يوسف بن اسماعيل بن فرج (٧)

١٠٤-١٠٦، ٤٣٩، ٤٤٩ ح،

٤٦٥ ح، ٤٦٨، ٤٩٠، ٥٠٤ م، ٥٠٧،

٥٥٨، ٥٥٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٦١٥.

ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن اسماعيل (١٦)

٤٨٢.

ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن فرج (٠)

٦١٥.

ابن الأحمر - أبو الحجاج بن نصر (والي

مدينة وادي آش) ٣٦٨ م.

ابن الأحمر - يوسف بن يوسف (١٣)

(٦٢١-٦٢٣).

ابن الأحوص - أبو علي ٤١١.

ابن أدبية (?) - محمد ٥٦٦.

ابن الأزرق - محمد بن علي (٦٦١-٦٦٥)،

٦٨، ٨٥ م، ٦٧١.

ابن اسماعيل الطائي - محمد بن عبد الله ٤٤٤.

ابن أبي الشكر (شكر) - يحيى بن محمد ٨٨ م،

٨٩ ح.

ابن أبي صالح - عبد الله ١٦٢ ح.

ابن أبي العيش - علي بن محمد ٤٥٢-٤٥٥،

٤٨٩.

ابن أبي العيش - محمد ٥٣٠.

ابن الأثير - ضياء الدين ٤٧٠ ح.

ابن الأثير - مجد الدين ٣٧٣.

ابن أحمد المكناسي - محمد ٧٠٥.

ابن الأحمر (?) ٢١ م، ٦٨٥ م.

ابن الأحمر (لقب كل سلطان في غرناطة)

١٠١، راجع ٣٥٧.

ابن الأحمر (*) - اسماعيل بن فرج (٥) ٤٣٩،

٤٦٦-٤٦٧.

ابن الأحمر - اسماعيل بن محمد بن فرج (?)

٦١٥ ح.

ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل

(٩) ٥٠٥.

ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن محمد (٠)

(٦١٥-٦٢١)، ٨١.

ابن الأحمر - سعد بن علي (١٨) ٦٤١.

ابن الأحمر - علي بن سعد (١٩) ٦٤١ ح.

ابن الأحمر - محمد بن اسماعيل بن محمد (٦)

٤٣٦، ٤٣٩.

ابن الأحمر - أبو عبد الله محمد بن علي (آخر

ملوك غرناطة) ٦٩٨، ٧٠٠-٧٠٣.

ابن الأحمر - محمد بن فرج (٠) ٦١٥.

ابن الأحمر - محمد بن محمد بن محمد (٣)

(*) إنَّ الرقم المحصور بين هلالين كبيرين يدلّ على مرتبة صاحبه في سلسلة ملوك بني الأحمر في غرناطة.

- ابن الأشقر الحضرمي = بكرون
ابن الأغر - أبو جعفر ٤٨٩ .
ابن أقيت - أبو بكر بن أحمد التنبكي
١٣٣ .
ابن أقيت = بابا التنبكي
ابن الإمام - عبد الرحمن ٤٧٢ .
ابن الإمام - عيسى ٤٧٢ .
ابن أيك الصفدي - خليل ٤١٧ - ٤١٨ ،
٤٥٢ .
ابن باباذ المصري ٢٥٠ .
ابن باجه ١٨٥ م .
ابن باديس - الحسن ٦١١ .
ابن بجرق = بجرق
ابن بدرون - عبد الملك ١٩٠ .
ابن البراء - أبو القاسم ٢٠٥ .
ابن برّاجان - عبد الحكيم ٧٢ .
ابن برال التونسي ٤٩٦ .
ابن البرذعي = البرذعي
ابن برطال - أبو علي ٤٢٠ .
ابن برّي - عبد الله ٥٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .
ابن برّي - علي بن محمد ٥٣ م ، ٥٤ م .
ابن برز = مؤيد الدين القمي
ابن بسم الشتريني - علي ٣٧١ .
ابن بشكوال - خلف بن عبد الملك ١٥٥ ،
٣١١ ، ٣٤٧ م ، ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .
ابن بشير (?) ٦٣ م .
ابن بطوطة (٥٢١ - ٥٢٧) ، ٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ،
٨١ ، ٤٦٩ .
ابن البقال - محمد ٥٣ ، ٧٢ .
ابن بقي - أحمد بن يزيد ٢٣٥ ، ٣١٧ ،
٣٣٦ ، ٤٤٤ .
- أبو بكر - أبو عبد الله ٤٥٥ .
ابن البناء الإشبيلي - محمد بن أحمد (١٦٧ -
١٦٩) .
ابن البناء العددي - أحمد بن محمد (٣٨٨ -
٣٩٣) ، ٦ ، ٥٣ ، ٨٧ م ، ٩٠ ، ٤٨٠ م .
٦١٤ ، ٦٣٧ م ، ٦٦٦ .
ابن البناء السرقطي - أحمد بن يوسف ٧٥ .
ابن بيش العبدري ٥٧٠ .
ابن البيطار - عبد الله بن أحمد ٣٧١ ،
٥٧٧ م .
ابن تافراكين - أبو محمد ٥٨٧ .
ابن تاويت الطنجي - محمد ٤٠٦ ، ٤٤٩ ح ،
٦٠٦ ، ٦٠٧ م ، ٦٢٠ .
ابن تيفاوت = محمد بن تيفاوت
ابن تيمية الحرّاني - أحمد ١١٠ - ١١١ ،
٢١٧ ، ٤٢٧ م ، ٥٦٦ ح م ، ٥٩٥ ح .
ابن جابر الأندلسي - شمس الدين محمد بن
علي (٥٣٠ - ٥٣٧) ، ١١٤ ح م ، ٥٠٤ ،
٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٥٥ .
ابن جابر الوادي آشي - شمس الدين محمد
(٤٤٢ - ٤٤٥) ، ٤٤٢ ح ، ٥٠٤ .
ابن جابر = عنان
ابن جابر الفسّاني - محمد بن يحيى (٦٢٣ -
٦٢٥) ، ٥٤ .
ابن جامع = عنان ابن جابر
ابن جامعة - عمر ٧٣ .
ابن جبريل - زين الدين ٣٩٧ .
ابن جبير - محمد بن أحمد ١١٢ ، ١١٤ -
١١٥ ، ٢٣٠ .
ابن الجدّ التونسي - أبو القاسم ٢٨٦ .
ابن جدو ٤٠٤ .

ابن الجزولي = الجزولي
ابن جزى - أبو إسحاق ٦٢٦.
ابن جزى - أبو بكر ٦٢٦.
ابن جزى - أحمد بن محمد (٥٥٨ - ٥٦٠).
ابن جزى - أبو محمد عبد الله ٦٢١.
ابن جزى - أبو القاسم محمد بن أحمد (٤٢٠ - ٤٢٦)، ٦٠، ٤٢١، ٤٥٥، (؟).
ابن جزى - محمد بن محمد (٤٦٨ - ٤٧١)، ٥٤، ٥٧، ٥٢٢ م.
ابن الجلاب الفهرى - محمد بن أحمد ٤٥٨، ٦٦٩، ٦٨٨.
ابن جلال الدين - محمد ٧٨.
ابن جماعة - محمد بن إبراهيم ٦٢، ٣٣٢، (؟).
ابن الجنان ٦٧.
ابن الجنان - محمد بن سعيد (٢٧٣ - ٢٧٥).
ابن الجنان - محمد بن محمد (١٩٦ - ٢٠٤)، ١١٧ - ١١٩، ٢٢١.
ابن جنى - عثمان ٢٧١ م.
ابن الجواليقي - أبو علي ٢٣٥.
ابن جودي ١٨٥ م.
ابن الجوزي - أبو الفرج ١١٣، ٣٧٠ - ٣٧١.
ابن الجيآب - علي بن محمد (٤٣٨ - ٤٤٢)، ٣٦٥، ٤٧٨ م، ٥٠٤ م، ٥٠٧.
ابن الجيآن = ابن الجنان - محمد بن محمد
ابن الحاج - أبو سعيد ١٥٥.
ابن الحاج السلمي - أحمد بن محمد بن حمدون ٢٧٠.
ابن الحاج - الطالب بن محمد بن حمدون ٢٦٩ م، ٢٧٠، ٦٣٢.
ابن الحاج البلفيقي - أبو البركات محمد بن محمد

(٤٩٨ - ٥٠٣)، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥٦٣، ٥٧٠.
ابن الحاج العبدري - محمد بن محمد ٧٤، ٤٩٨.

ابن الحاج النميري - إبراهيم بن عبد الله (٤٨٣ - ٤٨٩)، ٤٩٨ م، ٦٢٦.

ابن الحاجب - أبو عمرو عثمان بن عمر ٦٠ م، ٦٢، ٦٣، ٦٧ م، ٦٨ م، ٢٦٠، ٤٤٣، ٥٤٧ م، ٥٧٧ م، ٦٣٦ م، ٦٦٨ م، ٦٦٩ م، ٦٨٩ م.

ابن الحباك - محمد بن أحمد ٩٠.
ابن حبيب الدمشقي - الحسن بن عمر ٥٣٤ ح.

ابن الحجاج - أبو الوليد ٣٨٨.
ابن حجر = عمرو القيس
ابن حجر المستقاني ٦٣٥، ٦٦٦.

ابن حجر الهيتمي ١١٣.
ابن حجة الحموي ٥٣١ ح، ٥٣٦.

ابن حرازم (حزرم) - محمد ٢٠٤.
ابن حريث - أبو عبد الله ٤١٣.

ابن حزام ٣٠٩ م.
ابن حزم - أبو بكر بن طلحة ١٥٤.

ابن حزم - أبو العباس بن طلحة ١٥٤.
ابن حزم = طلحة.

ابن حزم الكبير - علي بن محمد ٥٢٠ ح.
ابن حسان الوادي آشي - محمد بن جابر ٤٨٩.

ابن الحسين = المتنبي
ابن الحصار - أبو جعفر ١٣٨ م، ٢١٠.

ابن حفص اليحصي ٢٥٥.
ابن حكم السوي - إبراهيم ٤٧٢.

ابن الخطيب - عبد الله بن سعيد (والد لسان الدين) ٤٦١، ٥٠٤.

ابن الخطيب - ؟ بن عبد الله (أخو لسان الدين) ٤٦١.

ابن الخطيب = عبد الله بن لسان الدين

ابن الخطيب = لسان الدين

ابن الخطيب = ابن قنفذ

ابن خفاجة ٩٧، ٥٩٩.

ابن خلاص - أبو علي ١٧٤.

ابن خلاص (صاحب سبته) ١٩٦.

ابن خلدون - محمد (جد عبد الرحمن) ٥٨٦.

ابن خلدون - محمد (والد عبد الرحمن) ٥٨٦.

ابن خلدون - عبد الرحمن (٥٨٦ - ٦١٠)،

٦، ١٩، ٢٠، ٣٣، ٥٧، ٥٨،

٦٣ ح، ٨١، ٩٣، ١٢٧، ٢٧٢ ح،

٣٨٩، ٤٤٩ ح، ٥٠٥، ٥٤٠، ٥٤٤ ح،

٦٣٤، ٦٦٣، ٦٦٤.

ابن خلدون - يحيى (٥٤٠ - ٥٤٦).

ابن خلّكان ١٦٢ ح م.

ابن الخلف = شهاب الدين

ابن خميس - أبو بكر محمد ١٤١ ح.

ابن خميس التلمساني - محمد بن عمر (٣٦١ -

٣٦٥)، ٣٩٩، ٦١٣ - ٦١٤.

ابن خميس - أبو علي ٣٥٧.

ابن الخوجة - محمد الحبيب ٣١٢، ٣٨٧.

ابن خيار - ثابت ٢٦٠.

ابن الدارس - يعقوب ٤٤٩.

ابن داوود الصنهاجي - علي بن محمد ٦١٥ -

ابن الدبّاج (الديج) الإشبيلي - علي بن جابر

(١٧٠ - ١٧١)، ١٦٧، ١٧٤، ٢٣٧.

ابن حكم القرشي = سعيد بن حكم

ابن الحكيم الرندي (٣٦٥ - ٣٦٧)، ٣٦٢،

٣٨٢ م، ٣٨٣، ٤٤٧ - ٤٤٨، ٤٦٨ م.

ابن الحمارة - علي ١٨٥ م.

ابن حمدون = ابن الحاجّ السلمي

ابن حمدون = ابن الحاجّ (محمد الطالب)

ابن حوط الله (حوطله).

ابن حوط الله - أبو سليمان داوود ٢١٠،

٤٤٤.

ابن حوط الله - أبو عمر ٣٩٩ م.

ابن حوط الله - أبو محمد عبد الله ١٤٤،

١٤٧ م، ١٩٠، ٢١٨، ٤٤٤.

ابن حيّان - خلف بن حسين ١٩٢ م.

ابن حيّان - محمد ٤٤٤.

ابن حيدور (هيدور) - علي بن موسى ؟؟

ابن خاتمة - أحمد بن علي (٤٨٨ - ٤٩٤)،

٥٦٤، ٥٦٣، ٦.

ابن خاتمة السبق = ابن هاني السبق

ابن الخاسر المريني = أبو الحسن ١٨٥ م.

ابن الخراط - عبد الحق ٤٣٦ ح م، ٥٤٧.

ابن خروف - أبو الحسن ١٧٠، ١٩٠،

٢٣٠، ٢٤٠.

ابن الخضر - علي بن محمد ٣٨٢.

ابن خضر الشاطبي - أحمد بن محمد ٥٣.

ابن خطّاب النحوي - عزيز بن عبد الملك

١٩٦.

ابن خطّاب الفافقي - محمد بن عبد الله

٣٦١.

ابن الخطيب (؟) ٦٠.

ابن الخطيب - سعيد = الخطيب (جد لسان

الدين)

ابن زرقون- أبو الحسين (الحسن) ٢٧٧،
٢٨٦.

ابن زرقون- أبو عبد الله ١٩٠.

ابن زرقون- محمد بن محمد ٢٤٠.

ابن زريق البغدادي ٦٢١.

ابن زكري التلمساني- أحمد ٦٨، ٧٤ م.

ابن زمرك- محمد بن يوسف (٥٦٩-٥٧٦)،

١٢٧-١٣١، ٥٥٥ م، ٦٢١.

ابن زهر- أبو بكر ١٥٤، ١٦٤ م، ٤٨٧.

ابن الزيّات الصوفي- أبو مهدي ٦٢١.

ابن الزيّات الكلاعي- أحمد بن الحسن

(٤٠٩-٤١١)، ٥٣، ٤٦٠.

ابن زيتون- أبو القاسم بن أبي بكر ٣٥٤،

٤١٥ ح.

ابن زيتون- يحيى بن الفرج ٤١٥.

ابن زين الدين= أحمد

ابن زين الدين الحمصي ٢٦٨ م.

ابن زيني دحلان= دحلان

ابن سالم= أبو الربيع

ابن سبعين- عبد الحق ٢٤٦ م، ٣٣٠.

ابن السداد- أبو عيسى ١٩٦.

ابن السراج الرعيني- محمد بن سعيد ٥٧-

٥٨، ٦٢، ٧٢، ٦١٥.

ابن سراج الغرناطي- أبو القاسم ٦٣٧ م،

٦٤١ م، ٦٤٣ م، ٦٤٧ م.

ابن سراقه الشاطبي- محمد بن أحمد (٢٣٥-)

٢٤٦، (٢٣٧).

ابن سعدى (= أوس بن حارثة).

ابن سعيد التونسي ٢٦٩، ٢٦٩.

ابن سعيد الغنسي- أحمد بن عبد الملك

٣١٣-٣١٤.

٢٤٨، ٢٧٥، ٢٨٦، ٣١٢، ٣١٧.

راجع ٣٣٥.

ابن دريد ٢٩٨-٢٩٩، ٣٧١، ٥٣٥،

٥٨٠.

ابن دقيق العيد- تقي الدين ٤٠٢ م،

٥٤٧ ح.

ابن دهبان ٤٣١، ٤٣٢ ح.

ابن الديع الشيباني ١١٣.

ابن دينار- عيسى ٥٥٩ م.

ابن ذي يزن ٢٧٢ م، ٢٨٨ م.

ابن راهويه= إسحاق

ابن ربيع الأشعري- أبو عامر ٤٢٠.

ابن ربيع الأنصاري- عبد الحق ٣٥٤.

ابن الرّحال المعداني- الحسن ٦٣٢.

ابن رشاد القفصي ٤٥٨.

ابن رشد الفقيه (الجدّ) ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٢.

ابن رشد الفيلسوف (الحفيد) ١٤٨، ٥٩١ م،

٦١٠ ح.

ابن رشيد السبي (٣٨٢-٣٨٧)، ٥٦،

٤٣٩، ٤٤٩، ٤٧٨.

ابن رشيق القيرواني ٢٨٦.

ابن الرضاع التلمساني- محمد بن القاسم ٥٩.

ابن الرعيني= ابن السراج

ابن الرقام السبي- القاسم بن سعد ٧٤.

ابن الرقام المرسي- محمد بن إبراهيم ٨٧.

ابن الرومي ٢٩٧ ح، ٥٩١.

ابن الزبير= أبو جعفر بن الزبير

ابن الزبير- الزبير بن أحمد ٧٩.

ابن زرقاله- أبو جعفر أحمد (الجدّ) ٥٦٣.

ابن زرقاله- أبو جعفر أحمد (الحفيد)

(٥٦٣-٥٦٥).

ابن سيّد الناس - فتح الله ٤٥٢
ابن سيّد الناس - محمد بن أحمد (٢٢٩) -
(٢٣٣).

ابن سيّد الناس - محمد بن محمد ٥٦.
ابن سيده - أبو الحسن ٢٥٣، ٣٧١.
ابن سيدي - أبو علي ١٤٥.
ابن سينا ٢٩٢، ٢٩٧ م، ٤١٥ م.
ابن شاس - محمد ٦١، ٦٣ م، ٦٨.
ابن الشاط - القاسم بن عبيد الله ٥٦، ٦٠،
٧٢، ٤٢٠، ٤٤٥.

ابن شيرين (٤٣٦-٤٣٨).
ابن الشّحات الشّرقاوي - هاشم ٢٣٥ م.
ابن شدّاد - أبو الحسن ٢٣٥ م.
ابن الشّرّان الفرناطي - محمد بن إبراهيم
٦٥ - ٦٦.

ابن شرف التلمساني ٦٦١. ؟؟؟؟
ابن شريح الإشبيلي - محمد بن أحمد ٢٤٠ -
٢٤١.

ابن الشريف = الشريف التلمساني، الشريف
الحسني

ابن شريفة - محمد ٢٢٤.
ابن شريك الداني - علي بن يوسف ١٩٤.
ابن شعيب القاسي - محمد بن أحمد ٦١.
ابن شعيب القشالي - محمد بن أحمد ٦١٥.
ابن شعيب القيسي ٤٨٩.
ابن شعيب الكرياني = الجزنائي الكرياني
ابن الثلويين = أبو علي

ابن شب - محمد ٢١٦، ٣٥٦.
ابن الشيخ - أبو الحجّاج ٣٦٠.
ابن الصائغ (٩)
ابن الصائغ - (٩) ٣٩٩ ح، ٤١١ م.
ابن الصائغ المغربي - محمد بن عبد الله

ابن سعيد الغنسي - عبد الرحمن بن عبد
الملك ٣١٤.

ابن سعيد الغنسي - علي بن الحسن (٣١٢) -
(٣١٧)، ٨٠، ١٥١ ح، ١٨٣.

ابن سعيد الغنسي - محمد بن سعيد (١٤٨) -
(١٥٢).

ابن سعيد الغنسي - موسى بن محمد بن عبد
الملك ١٤١ م، ٣١٤.

ابن سفر المرّي - محمد بن عبد الله (١٥٩) -
(١٦١).

ابن السكّك المكناسي - محمد بن محمد ٧٩.

ابن سلامة البسكري - علي بن عيسى ٧٦.

ابن سلمون البياسي - أبو القاسم بن علي
٦١.

ابن سلمون الكتاني - عبد الله بن عبد الله
٤٧٠ ح.

ابن سلمون الكتاني - عبد الله بن علي ٦٠،
٦١.

ابن سليمان - يوسف ٦٦٥.

ابن السّمّاط المهدي - يوسف بن علي
(٣٢٣ - ٣١٩).

ابن السّمّك - محمد بن إبراهيم ٤٥٥ ح.

ابن سّمّك - محمد بن محمد (٤٥٥ - ٤٥٧).

ابن سّمّك - يعيش بن إبراهيم ٨٧.

ابن سمعت (سمعة) - أبو الحسن ٦٤١.

ابن سهل الإشبيلي (١٧٤ - ١٨٣)، ١١٧ م،
١٢٠ ح، ١٢٢ م، ٥٠٧.

ابن سودة = التاودي

ابن سيّد الناس - أبو القاسم ٤٥٢.

ابن سيّد الناس - عبد الله ٢٣٢، راجع
٢٢٩.

- ابن عاصم - أبو يحيى (أخو أبي بكر) ٦٤١ .
 ابن العاصي التنوخي - إبراهيم ٤٨٩ .
 ابن عائد - يحيى ١٥٥ .
 ابن عبّاد الرندي (٥٦٥ - ٥٦٩) ، ٧٥ .
 ابن العبّاس التلمساني - محمد ٦٨٨ .
 ابن عبدالله - عبد العزيز ٥١٦ م .
 ابن عبد الله - محمد بن محمد ٢٦٦ .
 ابن عبد البر - إبراهيم ٦٧١ .
 ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله ٤٥٨ .
 ابن عبد الجليل = محمد بن عبد الجليل .
 ابن عبد الجليل التنسي - محمد بن عبد الله (٦٨٠ - ٦٨٢) ، ٨٢ .
 ابن عبد الحق المشذال = المشذالي
 ابن عبد الدايم ٣٣٤ .
 ابن عبد ربّه (صاحب «العقد») ٨٣ ،
 ٣٧١ .
 ابن عبد السلام = المرز
 ابن عبد السلام - (؟) ٦٧ .
 ابن عبد السلام المستيري - محمد ٤٦٠ ،
 ٤٩٦ .
 ابن عبد السيّد - أبو محمد ٤٠٣ م .
 ابن عبد الصنوع ٢٧٠ .
 ابن عبد العزيز الأنصاري = محمد بن محمد
 ابن عبد الكافي السعدي - عبد الفقار ٤٤٣ .
 ابن عبد الملك المراكشي - محمد بن محمد
 (٣٤٦ - ٣٥٣) ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٢٣٠ ، ٤٨٠ .
 ابن عبد الملك = ابن خطّاب النحوي
 ابن عبد المنان المكاسي - أحمد بن يحيى
 ٦٢٤ .
 ابن عبد المنعم الحميري - محمد بن عبد الله
 (٦٥٢ - ٦٥٦) .
 (٤٥٢ - ٤٥٥) ، ٤١١ م
 ابن الصباح - أبو صادق ٢٦٠ .
 ابن الصبّاغ - (؟) ٤١١ .
 ابن الصبّاغ الحميري - محمد بن أبي القاسم
 ٧٥ .
 ابن الصديق - أحمد ٦٠٧ .
 ابن الصغير الزرويلي - عليّ بن عبد الحقّ
 ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٨ - ٧٩ ، ٦٩٢ - ٦٩٣ .
 ابن صفر = ابن سفر المرتبي
 ابن صفوان - أحمد بن إبراهيم (٤٨٠ -
 ٤٨٣) ، ٥٠٧ .
 ابن الصلاح - عثمان بن عبد الرحمن ٦٦٨ م .
 ابن الصقيل = النجيب .
 ابن الطّبّاع ٤٢٦ م .
 الطبري = نجم الدين .
 ابن طركاظ - أبو القاسم ٦٤٣ - ٦٤٤ .
 ابن الطفيل (؟) - ٢٨٥ .
 ابن الطفيل = عبد الرحمن .
 ابن طلحة الإشبيلي - أبو بكر ١٦٧ ، ١٧٠ ،
 ١٩٠ .
 ابن الطيّب - الطيّب بن محمد ١٩٤ .
 ابن الطيلسان - أبو القاسم ٢٧٦ .
 ابن الطيلسان - القاسم بن محمد ٥٥ .
 ابن ظفر المالكي - محمد بن عبد الله ٨٣ .
 ابن عايد الفاسي - محمد بن عليّ ٥٤ .
 ابن عات - أبو عمر ١٩٠ ، ٢٠٨ (٢١٨؟) .
 ابن عاشر - أحمد بن عمر ٥٦٦ .
 ابن عاصم - أبو بكر (٦٢٥ - ٦٣٣) ، ١٧ ،
 ٩٦٥ ، ٦٤٢ .
 ابن عاصم - أبو يحيى بن أبي بكر (٦٤١ -
 ٦٤٨) ، ١٧ ، ٢١ ، ٦٢٦ ح م .

ابن عبد المؤمن - أبو إسحاق (حاكم إشبيلية)
١٦٤.

ابن عبد المؤمن - إسماعيل ١٣٥.

ابن عبد المؤمن - عثمان (والي غرناطة) ٣١٤ م.
ابن عبد المؤمن - محمد بن عمر (والي بلنسية)
١٦٨.

ابن عبد المؤمن = المنصور الموحد
ابن عبد المؤمن = (الناصر الموحد) - محمد
١٦٤، ٢٩.

ابن عبد المؤمن - يوسف ٩٨ م.

ابن عبد النور التونسي ٦٣٧ م.

ابن عبد النور السبتي - محمد ٢٤٠.

ابن عبد النور المالقي - أحمد (٣٤١ -
٣٤٦).

ابن عبد الواحد الجاصي - عبد الله ٤٧٢.
ابن عبدون - عبد المجيد ٩٦، ٢٧٢، ٦٨٠،
٦٩٨.

ابن عبدون المكناسي - محمد (٢٣٣ - ٢٣٥)،
٥٢.

ابن عبيد الحجري = الحجري

ابن عبيد (؟) الإشبيلي النحوي - أبو بكر
٤١٣، ٤٣٦.

ابن عتيق = ابن عريية

ابن عتيق اللاردي - محمد ٥٥.

ابن عتيق المرسى - الحسين (٣٢٢ - ٣٢٥).

ابن عجلان القيسي - أحمد بن عثمان ٣٥٣.

ابن عجيبة = مرزوق.

ابن العديم - كمال الدين ٢٧٣، ٣١٢ -
٣١٣.

ابن العديم - محمد الدين ٢٧٣.

ابن عذارى المراكشي - أحمد (٤٠٤ -

٤٠٦)، ٨٠، ٤٠٧.

ابن عربي - محيي الدين ١١٦ - ١١٧،
٦٥٠ ح.

ابن عربي - أبو بكر ٩٧ - ٩٨.

ابن عربي العقيلي = محمد بن عربي

ابن عريية - عثمان (٢٢٤ - ٢٢٧).

ابن عرفة - أحمد ٤٦٨ م.

ابن عرفة الورغمي التونسي - محمد ٦٤، ٦٧،

٦٨ م، ٥٧٧، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٨،

٦٩١، ٦٩٢.

ابن عروس - أحمد ٧٥.

ابن عريية = ابن عريية

ابن العريف - أبو العباس ١١٣ - ١١٤

ابن عزّوز = إسماعيل

ابن عزّوز - محمد الفضل ٧٦.

ابن عساكر - أبو الفضل ٤١٥، راجع ٣٧٠.

ابن عسكر - محمد بن علي (١٤٠ - ١٤٤).

ابن عصفور الإشبيلي - أبو الحسن علي

(٢٤٨ - ٢٥٢)، ٦، ١٦٢ ح م، ٣١٢،

٣٧٦، ٣٤٢ ح.

ابن عصفور - أبو العباس علي ٣١٧.

ابن عصفور - أبو البركات محمد ٦٨٣.

ابن عطاء الإسكندري - أحمد بن محمد

٧٦ ح، ٢٠٩، ٥٦٦ ح، ٥٦٧،

٦٧٧ - ٦٧٩.

ابن عطية - أبو الحسن ١٦٧.

ابن عطية - أبو محمد ٢٧٦.

ابن عفير - أبو الوليد ٣٤٦.

ابن عقاب - قاسم ٦٦٥.

ابن عقيبة القفصي - أبو بكر (٦٣٣ -

٦٦)، ٦٣٤.

- ابن عقيل - عبد الله بن عبد الرحمن ٢٦٦ ،
 ٢٦٨ م ، ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .
 ابن علاق - محمد ٣٣٤ ، ٦٢١ ، ٦٢٦ .
 ابن علوان التونسي - عمر ٣٧٧ .
 ابن عمار = ثابت
 ابن عمار الصغير ٦٠٨ .
 ابن عمر المكيشي = المكيشي
 ابن عمران العبدوسي = العبدوسي
 ابن عمرو ٢٦٠ .
 ابن عميرة الضي - أحمد بن يحيى ٢١٧ ح .
 ٤٧٠ ح .
 ابن عميرة الضي اللورقي - أحمد بن عبد
 الملك ٢١٧ ح .
 ابن عميرة = أبو المطرف
 ابن عنين - محمد بن نصر الله ٥٢٠ ح .
 ابن عيَّاش - أبو العبَّاس ٢٧٦ .
 ابن عياض - أبو محمد (متبذَّ بشرق
 الأندلس) ١٥٠ م .
 ابن غاز المكناسي (٦٩٥ - ٦٩٧) ، ٥٥ ،
 ٥٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٣٢ م .
 ابن غالب الأنصاري محمد ١٤٧ م .
 ابن غانية الميورقي ١٧٢ م .
 ابن غلاب المسراقي - عبد السلام ٥٩ .
 ابن غلبون المرسى - محمد ١٩٤ .
 ابن الغمَّاز البلسي (٣٢٥ - ٣٢٧) ،
 ٣٧٦ ح .
 ابن غياث الشريشي (١٣٤ - ١٣٧) .
 ابن الفارض = عمر
 ابن فتوح - إبراهيم بن أحمد ٦٦١ ، ٦٦٣ ،
 ٦٦٥ .
 ابن الفخَّار الإلبيري - (؟) ٥٥٥ ، ٥٧٠ .
- ابن الفخَّار الجذامي - محمد بن علي (٣٩٩ -
 ٤٠١) ، ٦٠ ، ٤٥٥ ، ٥٠٤ (؟) .
 ابن الفخَّار الرعيني - علي بن محمد (٢٤٠ -
 ٢٤٥) ، ٢٢١ .
 ابن الفخَّار الشريشي - (؟) ٢٨٦ .
 ابن فرتون - أحمد بن يوسف ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .
 ابن فرح الإشبيلي (٣٣٤ - ٣٣٥) .
 ابن فرحون - إبراهيم بن علي (٥٧٨ -
 ٥٧٩) ، ٤٥ .
 ابن فرحون - عبد الله بن محمد ٥٧ .
 ابن فرحون - علي بن محمد ٧٢ .
 ابن الفرضي - عبد الله بن محمد ٣٤٦ ح ،
 ٣٤٧ - ٣٤٨ .
 ابن فضيلة - فضل ٤٠٩ .
 ابن قادم المعافري - محمد ٤٤٤ .
 ابن القاسم - عبد الرحمن ٦٩١ ح .
 ابن قتيبة الدينوري ٦٦٩ م .
 ابن القبطرنة - (؟) ١٥٤ .
 ابن قسوم - أبو بكر ١٥٤ .
 ابن القطَّاع - علي بن جعفر ٢٥٦ .
 ابن القطَّان الفاسي - علي بن محمد ٦٠ ، ٦٢ ،
 (؟) ٣٤٦ م .
 ابن القطَّان المفر - أبو عبد الله ٤٩٦ .
 ابن قطرال - عبد الله بن عبد الحق ١٩٦ ،
 ٢٨٦ .
 ابن قنفذ - أحمد بن حسن (٦١٠ - ٦١٤) ،
 ٨١ .
 ابن القوَّاس (دمشقي) ٤١٥ .
 ابن القوبع التونسي (٤١٤ - ٤١٨) ، ٥٤ .
 ابن قيس الرقيات - عبيد الله ٩٣ - ٩٤ .
 ابن القين = الفرزدق .

ابن الكمّاد - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٦٠.
 ابن كيداد = أبو يزيد
 ابن لبّ - فرج بن قاسم (٥٥٥ - ٥٥٨)،
 ٦٢٦.
 ابن ليون التجيبي - سعد بن أحمد (٤٥٧ -
 ٤٦٠)، ٦٣٦ م.
 ابن ماجة ٥٥ ح، ٤٢١ ح.
 ابن مالك - سهل ١٩٦، ٤٤٤، ٤٨٩.
 ابن مالك المرشاني - محمد ٣٦٠.
 ابن مالك النحوي - جمال الدين محمد بن عبد
 الله (٣٦٠ - ٣٧٠)، ٦، ٦٤، ٣٢٨،
 ٤١٤، ٤٢٧، ٤٧٨، ٥٣١، ٥٤٨،
 ٥٧٩، ٥٧٩ م، ٥٨٠، ٥٨٢ - ٥٨٦،
 ٦٢٧، ٦٣٨ م، ٦٣٩ م، ٦٦٨، ٦٦٩.
 ابن ماهلا (?) ٢٠٩.
 ابن محمد = أحمد بن أحمد.
 ابن محرز - أبو بكر ٣١٧.
 ابن المختار (حفيد محمود بن عمر بن أقيت)
 ٧٠٧.
 ابن مخلوف الثعالبي - عبد الرحمن ٥٤، ٥٥،
 ٥٩، ٦٧.
 ابن مخلوف - عبد العزيز ٣٢٨، ٣٥٤.
 ابن مخلوف السجلماسي - أبو عبد الله ٣٨٨.
 ابن المراجع (٤٦١ - ٤٦٥).
 ابن مرج الكحل ١٣٦ م، ٢٤٠.
 ابن الرّحل - أحمد ٤٥٢.
 ابن الرّحل - مالك (٣٣٥ - ٣٣٩)، ٤٢٧.
 ابن مردانيش (مردنیش: ملك شرقيّ
 الأندلس) ٣١٤.
 ابن مردانيش = زيان
 ابن مرزوق ٢١ م.

ابن مرزوق - أبو بكر (خدم أبا مدين
 المتوفى ٥٩٤ هـ) ٥٤٦ م.
 ابن مرزوق - أبو الفضل ٦٨٠.
 ابن مرزوق المعجسي - محمد بن محمد
 (ت ٦٧١ هـ) ٣٦١.
 ابن مرزوق - أحمد (والد ابن مرزوق الجدّ
 (ت ٧٤١ هـ) ٥٤٦.
 ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٧٦ هـ) ٦١١.
 ابن مرزوق الحفيد - محمد بن أحمد بن محمد
 (ت ٨٤١ هـ) (٦٣٤ - ٦٤١)، ٥٩،
 ٦٦، ٥٤٦ م، ٦٣٣ م، ٦٤٩، ٦٦٥.
 ابن مرزوق - أحمد بن محمد (والد ابن مرزوق
 الحفيد) ٦٣٤.
 ابن مرزوق الخطيب - محمد بن أحمد بن محمد
 (ت ٧٨١ هـ) (٥٤٦ - ٥٥٥)، ٥٨،
 ٦٢، ٥٠٤.
 ابن مرزوق - أبو عبد الله (ت ٨٩١ هـ)
 ٦٦٧ - ٦٦٩.
 ابن مرزوق الكفيف - محمد بن محمد
 (ت ٩٠١ هـ) ٦٨٨.
 ابن مرسي الطيب ٣٥٤.
 ابن المزنر (الحموي) ٤١٥.
 ابن مساعد النّسائي - عبد الله ٤١١.
 ابن مندي - الغرناطي - محمد بن يوسف ٥٥.
 ابن مسعود الخزرجي السّبي ٨٩.
 ابن مسعود الزواوي - عيسى ٦٠، ٧٥.
 ابن مسعود الصواي - علي ٣٢٩ م.
 ابن ميك = فروة.
 ابن مشيش - عبد السلام ٢٠٤، ٢٠٥.
 ابن معط - يحيى ٢٦٢ م، ٥٣١.
 ابن معط العبدوسي - موسى ٦١١.

ابن معمر المواربي-الحسن بن موسى
(٢٨٣-٢٨٤).

ابن معين البغدادي-بجبي ٥٥٩ م.

ابن المغربي-الحسين بن علي ١١٣.

ابن مفرج المالقي-محمد بن بجبي ٣٤١.

ابن مفوز-يوسف ٢٧٨ م.

ابن مفرع-عبد الحق بن علي البطوي

ابن مقله-محمد بن علي ٤٣٨.

ابن المقير-علي بن الحسين ٣٧٠ م.

ابن مكرم=ابن منظور

ابن مكرم-محمد بن شعبان الكرماني

٣٧٠ ح.

ابن المكرم-محمد (غير ابن منظور) ٣٧٠ ح.

ابن مكّي=أحمد بن مكّي

ابن الملقن-عمر بن علي ٥٨، ٦٤، ٦٣٤.

ابن منظور-جمال الدين محمد بن مكرم

(٣٦٩-٣٧٤)، ٦، ١٨٧ م، ١٨٤ ح.

ابن منظور-مكرم ١٨٣.

ابن منظور-أبو عمر ٤٦٠.

ابن المنير ٤٠٢.

ابن المواق ٦٠، ٦٨، راجع ٣٤٦.

ابن ميمون الإدريسي ٧٠.

ابن ميمون التميمي القلمي-محمد ٣٥٤.

ابن الناجي-القاسم بن عيسى ٨١-٨٢.

ابن ناد-بجي الدين ١٨٣.

ابن الناظر القرشي-الحسين بن عبد العزيز

(٢٧٥-٢٧٧).

ابن النجار (محمد) ٦٦٥، راجع ٣٧٠.

ابن مهدي ٦٣٢.

ابن ميارة=ميارة

ابن نامارو (ناموار)=الخوجي

ابن النحاس-محمد بن إبراهيم ٣٢٨،
٤٢٧ م.

ابن ندي=ابن ناد (٩)

ابن النشار-عمر بن القاسم ٣٤١.

ابن نشوان الحميري-محمد ٤٣٠.

ابن نصر=ابن الأحمر

ابن نوار-أحمد ٢٦٠.

ابن نوح الغافقي-عبد الله بن أيوب ٢١٠.

ابن نور الدين الأنصاري-عمر بن علي=ابن

الملقن (٩)-ابن الملّقن (٧٢٣-٨٠٣ هـ)

ابن نور الدين (٧٢٣-٨٠٤ هـ) كلاهما

سراج الدين عمر بن علي.

ابن هارون (٩) ٦٧.

ابن هرون التيمي-محمد ٣١٧.

ابن هرون الطائي-عبد الله ٤٠١.

ابن هاني الأندلسي ١٨٤، ٤١٥ ح، ٤٩٠.

ابن هاني السبي-محمد بن علي

(٤١٢-٤١٤)، ٤٧٨، ٤٩٠.

ابن هذيل الفرناطي-بجبي بن أحمد

(٤٦٥-٤٦٨)، ٥٠٤.

ابن هشام الأزدي القرطبي-عامر ٢٤٠.

ابن هشام الأنصاري ٢٦٤ م، ٢٦٦.

ابن هشام (النورقي)-محمد بن أحمد ٢٧٨.

ابن هشام=محمد بن علي.

ابن هلال-إبراهيم ٦٨-٦٩.

ابن هلال-أبو عبدالله ٩٩٨؟

ابن هند=معاوية.

ابن هود-محمد بن يوسف=التوكل بن هود.

ابن هيدور=ابن حيدور.

ابن واجب القيسي-أحمد بن محمد ٢١٠،

٢١٨ م.

ابن الواسطي - تقي الدين ٤١٥ .
 ابن الياسين - عبدالله بن محمد ٦٦٧ ح .
 ابن ياسين = الجزولي .
 ابن يسر - أبو عبدالله ٣٨٨ .
 ابن يعيش = ابن أبي العيش .
 ابن يعيش (آخر) ٢٦٠ .
 ابن يوسف = سليمان بن داوود .
 أبو اسحاق البليقي = البليقي .
 أبو أمية (بن الحاج؟) ١٥٥ .
 أبو البقاء خالد (أمير بجاية) ٣٥٤ م .
 أبو البقاء صالح بن شريف الرندي
 (٢٨٦ - ٢٩١) ، - ٩٩٠ - ١٠٠ .
 أبو بكر أحمد بن عمر التنبكي = ابن أقيت .
 أبو بكر داؤد = بارو .
 أبو بكر بن زهر = ابن زهر .
 أبو بكر الصديق ٤٨٦ م .
 أبو بكر بن طلحة = ابن طلحة .
 أبو بكر بن عبد العزيز بن أبي عامر ١٥٠ م .
 أبو بكر بن عمر اللمتوني ٣٩ - ٤٠ ، ٤٤ م .
 أبو تاشفين بن أبي حو ٥٤٠ ، ٥٤٣ م .
 أبو تمام ١٩٣ ، ٢٢٣ م ، ٢٤٢ م ، ٢٥٠ ،
 ٢٩٦ ، ٤٩٠ ، ٥٢٩ ح ، ٥٩٣ ح ،
 ٥٩٨ ح ، ٦٩٨ .
 أبو ثابت - الزعيم بن عبد الرحمن ٣٢ .
 أبو ثور النخعي - ابراهيم بن خالد ٤٢٣ م .
 أبو جعفر بن الزبير - أحمد بن ابراهيم
 (٣٥٨ - ٣٦١) ، ٥٣ ، ١٦٢ ، ٣٤٦ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ،
 ٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٥٠٧ .
 أبو جعفر الغرناطي الرعيبي (٥٢٨ -

- أبو عبد الآله ١٥٨ .
أبو عصيد - محمد الواقف بن يحيى ٣٥٢ م ،
٣٧٧ .
أبو العلاء = ابن سماك .
أبو العلاء = المعري .
أبو علي الثلويين (الثلويين) (١٦١ - ١٦٤) ،
١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ،
١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ م ، ٢٧٠ ،
٢٩٢ ، ٣١٧ م ، ٣٣٥ .
أبو علي الصديقي ٢١١ ، ٢١٦ .
أبو علي الفارسي ١٤٧ ح ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ح م ،
٢٥٠ ح ، ٢٧١ ، ٣١٧ .
أبو عمران المارتلّي الزاهد ١٩٠ .
أبو عمران موسى = ابن سعيد العنسي .
أبو عمران = موسى بن عيسى الففجومي .
أبو عمران الداني = الداني .
أبو عنان المريني - المتوكل ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ،
١٠٨ ح ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ م ،
٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٤٨ -
٥٤٩ ، ٥٥٣ م ، ٥٨٧ م ، ٥٩٩ - ٦٠٥ ،
٦١٥ - ٦١٦ .
أبو عوانة الزواوي ٨٦ ح .
أبو فارس عبد العزيز = عبد العزيز
الحفصي .
أبو الفتح الواسطي ٢٠٥ .
أبو فراس الحمداني ٥٩٨ .
أبو الفرج غريغوريوس الملطّي ٨٨ .
أبو قابوس ١٥١ ح .
أبو القاسم = محمد رسول الله .
أبو القاسم بن سراج = ابن سراج القرناطي .
أبو القاسم (الشيخ) ؟ ٥٨ .
- السجستاني ٥٥ ح ، ٤٢١ ح .
الحشني - مصعب ١٧٠ ، ٢٣٠ .
أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى
(؟) ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ وما
بعد ، ٢١٨ ، ٢٧٦ .
أبو الربيع المريني - سليمان بن عامر ٣٨٣ .
أبو زيان (؟) ٥٣٧ .
أبو زيان المريني - محمد (السعيد) بن عبد
العزيز ٥٥٥ م .
أبو زيان - محمد بن موسى (أبي حو الثاني)
٥٣٨ - ٥٣٩ .
أبو زيد اللجائي = اللجائي .
أبو زيد الموحدّي - محمد بن حفص ٢١٠ .
أبو سعيد الثغري - محمد بن يوسف ٩٧ ح .
أبو سعيد الزناتي = عثمان بن يغمراسن .
أبو سعيد المريني - عثمان بن أحمد ٦١٦ ح .
أبو سعيد المريني - عثمان بن يعقوب ٩١ ،
٣٨٣ ، ٤٠٧ - ٤٠٨ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ،
٤٤٥ ، ٤٤٩ .
ابن ضربة اللحياني - محمد بن زكريا ٣٧٧ م .
أبو طالب - عبد الهادي ٥١٦ .
أبو طالب المكّي ١٢٩ ح ، ٥٦٦ ح ، ٦٧٩ م .
أبو عامر = تاشفين بن علي .
أبو العباس المريني - أحمد بن ابراهيم ٥٠٥ .
أبو العباس العزفي - أحمد بن أبي طالب
(٣٥٨ - ٣٥٧) .
أبو العباس المرسّي - أحمد بن عمر ٢٠٥ م .
أبو العباس الملياني - أحمد بن علي (٣٧٤ -
٣٧٥) .
أبو العباس الوشرسي - أحمد بن يحيى
(٦٨٨ - ٦٩٥) ، ٧٠٥ .

أبو القاسم السبقى = الشريف الحسنى .

أبولونيوس ٨٨ .

أبو الليث السمرقندي ٤٧٠ ح .

أبو مدين ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٣٥٦ ، ٥٤٦ م ،

٦١٢ ، ٦٤٩ م .

أبو المطرف بن عميرة الخزومي - أحد

(٢١٧ - ٢٢٤) ، ٦ ، ١٠٠ - ١٠١ ،

٢٤٢ م ، ٣١٧ ، ٤١٣ .

أبو مقرة = ابن مفرع البطوي

أبو النجا الطنداعي - محمد ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،

٣٩٩ .

أبو نعيم = رضوان

أبو نعيم الاصفهاني ٥٣١ م .

أبو نواس ٣٧١ ، ٤٩٠ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ م .

أبو يزيد - محمد بن كيداد ٤٨ .

الأبي - محمد بن خليفة ٥٩ م .

الأبياري - ابراهيم ٢١٦ ، ٣١٦ م .

أثير الدين = أبو حيان الفرناطي

الأجهوري - أحد ٧٨ .

أحد = محمد رسول الله

أحد (اسم ١٥٤) ، ٢٦٣ ، ٣٤٩ ، ٣٩٥ ح .

أحد بن أبي بكر بن جعفر ١٨٣ .

أحد بن أحد بن محمد ٢٦٠ .

أحد بن أحد ... بن عيسى

البرنسي = زروق

أحد الحفصي ٧٣ ح .

أحد بن حنبل ٥٧ ، ٣٤٠ ح ، ٣٥٣ ، ٤٢٣ .

أحد بن زكريا المغربي ٥٩ .

أحد بن زين الدين ٣٣٤ .

أحد - شكري محمود ٣٧٤ .

أحد بن عيسى الفهاري ٣٥٤ .

أحد بن محمد السقطي = السقطي

أحد بن عبدالله الزواوي ٧٣ .

أحد اللياني - أبو العباس بن ابراهيم

(٢٢٧ - ٢٢٩) .

أحد الحفصي = المستنصر الحفصي .

أحد بن محمد الفاسي (?) ٧٣ - ٧٤ .

أحد بن المستنصر المريني = أبو العباس .

أحد بن مكّي - أبو العباس (صاحب قابس)

٣٥ .

أحد بن يحيى الحميري القرطبي ١٤٤ .

أحد بن موسى الزناقي (صاحب تلمسان)

٤٨٤ .

الأحر (جد بني الأحمر: بني نصر) ٧٠٢ م .

الأخطل ٥٩٨ ح .

الأخفش (الأصغر؟) - أبو الحسن ٤٠١ .

إدريس (الأول) بن عبدالله ٤٠٨ م .

إدريس كنع كرمي ٤٧ - ٤٨ .

إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري

القرطبي ١١٧ .

أذفش ٣٠٨ م .

أرسطو (أرسطوطاليس) ٢٩٢ ، ٢٩٦ م ،

٤٥٦ ح ، ٥٩١ ح .

الأزهري - خالد بن عبدالله ٢٦٧ م ، ٢٦٨ ،

٢٦٩ م ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

الأزهري - محمد بن أحد ٣٧١ .

الأزهري الرفاعي = الرفاعي الأزهري - أحد

الاستحي = محمد بن أحد .

اسحاق الثاني (ملك كاغو) ٥٠ م .

اسحاق الموصلي ١٨٥ م .

اسحاق بن راهويه ٤٢٣ م .

أسد بن الفرات ٦٩١ ح .

الأسد = تقي الدين الأسد

الاسكندر الأفروديسي ٤٥٦ م.

الاسكندر المقدوني ٢٨٨ ح.

أسكي الحاج محمد ١٣٣.

أسكيا الحاج محمد (الأول) التوردي

٧٠٨ - ٧٠٩.

أسكيا = اسحاق الثاني.

أسكيا اسحاق الأول ٤٩ م.

أسماء (اسم) ٥٨٣.

اسماعيل = ابن عبد المؤمن

اسماعيل بن عزوز ٣٣٤.

الأستر - صالح ٢١٦.

الاشترى - عبد الرحمن ٤٠٢.

الأشرف شعبان ناصر الدين ٥٢٠ ح، ٥٤٧.

الأشموني - علي بن محمد ٢٦٦ م، ٢٦٨.

٢٦٩ م، ٢٧٠، ٧٠٣.

الأشهب - أبو الحسن علي بن منصور ٦٢٦.

٦٣٤ (٢).

الأصيلي - عبدالله بن ابراهيم ٨١.

الأعشى ٤٣٢ ح.

الأعلم البطليوسي - ابراهيم بن قاسم

(١٥٢ - ١٥٤).

الأعلم الشنتمري - يوسف بن سليمان ١٥٢ ح.

الأفراغي - محمد ١٨٢.

أفضل المخلوقين = محمد رسول الله

أفلاطون ٨٤، ٢٩٦ ح، ٥٩١ ح.

الأقفسي = الصلاح الأقفسي

أقليدس ٨٨، ١٩٤ ح، ٣٨٨، ٣٨٩.

أقيت = عبد الله بن عمر

أقيت = محمود بن عمر

الاركون ٢١٦.

ألفونسو السادس ٩٥، ٦٥٥ م.

ألفونسو الحادي عشر ٢٧، ١٠٥، ١٠٦ ح،

٥٤٦.

أم العفاف = نزهة بنت سليمان اللخمي

أمحوج = محاج

أمرؤ القيس ٢٢١، ٢٢٢ ح، ٢٥٠.

٢٩٧ ح، ٣٠٩ وما بعد، ٤٤١ ح،

٥٣٦ م، ٥٦٠ م.

أمنار الصغير - أبو عبدالله ٦٥٧.

أمين الوحي = جبريل

الأمي الشريشي - علي بن ابراهيم ٥٥.

الانباي - محمد بن محمد ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٩٩.

أنس الأصبحي ٥٠٨ م.

أنسلمو تورميذا ٧٢ - ٧٣.

الأنصاري الحموي = شرف الدين

الأنصقي = العاقب

أنطونيا - ماشور ٥١٥.

الأنفاسي - يوسف بن عمر ٦١.

أنو شروان = كسرى أنو شروان

الأهدل - محمد بن أحمد بن عبد الباري

٣٩٩.

الأوزاعي - عبد الرحمن بن عمرو ٤٢٣،

٤٢٤ ح.

أوس بن حارثة = ابن سعدى

أومي = حومي

ايت = ايد

أيد أحمد التازخي - محمد بن أحمد (٢) ١٣٢.

ايسابل (ملكة قشتالة) ٢٧ م.

أيوب ١١١ ح.

حرف الباء:

بابا التبتكي - أحمد بن أحمد بن أقيت ٤٥ .
٨٥ .

الباجوري - ابراهيم ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٩٩ .

الباجي - أبو سعيد ٦٢٨ .

الباجي المسعودي - محمد ٣٩٧ .

الباجي (ثائر في اشيلية) ١٦٩ .

باراماندانا ٤١ م .

بارو - أبو بكر دأو ٤٩ .

باسه - رنيه ٧٩ .

بالشيا = غزالث بالشيا ٢١٦ .

الباهلي - أبو محمد ٤٨٠ .

بايزيد يلديرم ٥٨٨ م .

بتاني - زين العابدين محمد ٧٨ .

البجائي = محمد بن عمر الزواوي

البحثري ٩٤ م ، ٢٤٢ م ، ٤٩٠ .

بحرق ٢٦٧ م ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

البخاري ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٣ ،

٧٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ح ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،

٣٤٨ م ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ م ،

٤١٠ ح ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، ٥٤٧ ح ، ٦٦٨ ،

٦٩٦ ،

البخاري الديماطي - أحمد ٣٥٨ .

بدر الدين بن هود - الحسن بن علي (٣٣١ -

٣٣٣) .

بدري (اسم) ٦٩٥ ح .

البدري - محمد بن محمد (٤٦٠) .

بدوي - عبد الرحمن ٢٠ ، ٦٠٥ ح ،

٦٠٧ ح م ، ٦٠٩ .

بديع الزمان الهمذاني ١٠٥ ح ، ٢٤٢ م ،

٥٣٥ م .

البرادي الدماري - ابراهيم ٧١ م ، ٨١ م ،

٨٢ م .

بربروسا = خير الدين

البرذعي ٦٥ .

البرزالي الاشيلي - محمد ٥٧ ، ٤٨٤ ،

٤٨٥ م .

البرزلي (؟) ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩٠ م .

برشيه - ليون ٦٣٢ .

البرعي - عبد الرحيم ١١٣ .

البرغاهوي = يوسف دليلي

برقوق - الظاهر ٤٦ ، ١١٢ .

البرقي - يحيى ٢٢٧ ، ٢٨٣ .

بركات بن أحمد = التجار المروسي

بركات - محمد كامل ٢٦٥

بروفنسال (بروفنسال) - اتيان ليفي ٣٦١ ،

٤٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٥٥ ، ٦٥٢ ح .

بروكلمن ٦٧ - ٦٨ ، ٧٥ ح - ٧٦ ، ٢٦٤ ،

٣٥٤ ، ٤٢٦ ح ، ٤٤٩ ح ، ٦٠٥ ح .

برونو ٣٩٧ ، ٦٩٤ .

البتاني - ألفرد ٢١٦ .

البتاني - فؤاد أفرام ٥٢٧ ، ٦٠٧ .

بسيوني - محمود ١٧٨ .

بشار بن برد ٤٣٢ م .

بطرس (الرابع) القاسي ٥٨٧ .

بطليموس ٨٨ .

البطوي = ابن مفرع

البغدادى - عبد اللطيف ١٨٣ .

بكرون بن الأشقر الحضرمي ٤٣٧ .

البكري - حسن بن محمد ٢٥٥ .

بل - ألفرد ٢١٦ ، ٥٤٥ .

البلاذري ٣٧٢ ح .

تاسرت = محمد بن تيفاوت .
 تاشين بن علي - أبو عامر (؟)
 تالوكيت ٣١٦ .
 تامر - عارف ١٨٢ .
 التاودي = محمد بن سودة
 التجاني - ابراهيم بن محمد ٣٧٦ م .
 التجاني - أبو القاسم ٣٧٦ .
 التجاني (التجانية): زينب ٣٧٦ م .
 التجاني - عمر بن ابراهيم ٣٧٦ م .
 التجاني - محمد بن (أحمد) محمد (٣٧٦ -
 ٣٨١)، ٨٦ .
 التجاني - محمد بن أبي القاسم ٣٧٦ .
 التجاني - محمد بن علي ٣٧٦ .
 التجانية = التجاني (زينب) .
 التجيني البقي - أبو القاسم ٥٦ .
 الترجمان الميورقي = أنسلمو .
 التركي - عبد المجيد ٦١٤ .
 التركي التونسي - محمد ٦٢٠ .
 الترمذي ٥٥ ح، ٥٦، ٤٢١ ح .
 التسولي - ابن أبي يحيى ٦١ .
 التسولي - علي بن عبد السلام ٦٥ .
 التسولي الثبراي - عبد السلام ٦٣٢ م .
 ثوسر - جفري ٦١٠ ح .
 تقي الدين الأسد (ولد ابن مالك النحوي)
 ٢٦١ .
 التكروري = عبد العزيز
 التميمي (؟) ٤٣٢ م .
 التنسي - محمد ١٢٢ - ١٢٤، ٧٠٣ (؟) .
 التنسي - محمد بن عبد الجليل ٨٢ .
 التيوخى - محمد بن محمد ٣٧٠ .
 التوردي = أسكيا الحاج محمد
 تورميدا = أنسلمو

البلالي = مخلوف بن علي
 بلج بن بشر ١٦٥ ح، ٢٣٢ م .
 بلشن - عثمان ٧٠٦ .
 البلفيقي - ابراهيم بن محمد ٢١١، ٢١٦ .
 البلفيقي = ابن الحاج - أبو البركات .
 بلقيس ٣٠٦ م .
 البلنسي - أبو عبد الله ٦٢٦ .
 البلوى - خالد بن عيسى ٥٦٣، ٨١ م .
 البلوى - علي بن محمد ٢٤٠ .
 البناني - ابراهيم بن الحسن ٧٨، ٧٩ .
 بهاء الدين العاملي ٥٢١ .
 بوالي ٣٦٩ .
 بوتول - جوستون ٦٠٧ .
 البوصيرى ٥٨٠، ٦٢٤، ٦٩٨، ٧٠٠ .
 البوظفي - عبد الغفار ٦١٥ .
 بونار - رابح ٣٥٦ .
 البياسي - يوسف بن محمد ٨٠ .
 البياني - أبو عبد الله ٥٢٨، ٦٤١ (؟) .
 البيجي = الباجي
 البيدمورى ٦٨٣ .
 بيريس - هنري ٦١٤ م .
 بيشا ١٨٧ .
 البيطار - محمد بهجة ٥١٨ ح .
 البيلوني العمري - محمد فتح الله بن محمود
 ٥٢٧ .

حرفا التاء والتاء:

تاج الدين الكندي ١٨٣، ١٩٤ .
 التادلي - أحمد ٧٥ .
 التازخي - محمد بن أحمد ١٣٢ .
 التازي - ابراهيم (٦٤٩ - ٦٥٢)، ٧٦، ٨٠ .
 ٦٨٠ .

- تورنبرغ ٤٠٨، ٦٠٦ .
 التوزري - عثمان بن محمد ٦٣٢ .
 توفيق - محمد ٦٠٩ .
 تيزهاوزن ٦٠٦ .
 التيفاشي القفصي - أحمد بن يوسف (١٨٣ -
 ١٨٨)، ٩٠، ٣٧٠ .
 تيفاوت = محمد بن تيفاوت
 تيمور - أحمد ٣٧٤ .
 تيمورلنك ٥٨٨ م. ٦٠٩ .
 التينملي - قاسم بن علي ٥٨ .
 ثابت بن عمار ٣٥ م .
 الثعالي = ابن مخلوف .
 الثعالي - عبد الملك بن محمد ٣٧١ .
 ثعلب - أحمد بن يحيى ٣٣٦ م، ٤٧٠ ح،
 ٦٦٩ م (٩) .
 الثغري = محمد بن يوسف
 ثيودوسيوس ٨٨ .
- حرف الجيم:**
- الجاحظ ٣٧٠ .
 الجابري - محمد عابد ٦٠٩ .
 جاد المولى ٥٢٧ .
 الجادري (المجادي) ٥٤، ٩٠ م .
 جبريل ٢٠٠ م، ٢٥٨ ح، ٥١١ م، ٥٣٢ ح،
 ٥٣٣ م .
 الجبوري - عبد الله ٢٥١ .
 الجديل (حصان) ٦٠٣ م .
 الجر جاي - عبد الرحيم ٣٩٨ .
 الجر جاي - عبد المنعم ٢٦٨، ٢٦٩ .
 جريد ٢٢٢ ح، ٥٩٨ م .
 الجزائر = محمد الطيب
- الجزنائي - علي ٨١ .
 الجزنائي الكرياني - أحمد بن شبيب (٤٤٩ -
 ٤٥٢)، ١٦٠، ٩١ .
 الجزولي - عبد الله بن ياسين ٣٩ - ٤٠ .
 الجزولي - عبد الرحمن ٦١ .
 الجزولي - عيسى بن عبد العزيز ١٦٣، ٢٤٨ .
 ٢٤٩ م، ٢٥٠ م (٩)، ٣٤١ .
 الجزولي - محمد ٨٩ .
 الجزولي السملالي - محمد بن سليمان (٦٥٦ -
 ٦٦١)، ٧٦، ٦٩٢ - ٦٩٣ .
 جعفر أوغلو ٤٣٠ .
 جعفر - محمد ٦٠٧ .
 جعفر بن يحيى بن خالد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
 الجلاب = ابن الجلاب
 جلال الدين الرومي ٥١٨ ح .
 الجماعلي - عبد الغني بن عبد الواحد
 ٥٤٧ ح .
 جمال الدين - محسن ١١٠ ح م .
 جل (بالضم: في شعر) ٣٣٢ .
 جميل بن معمر ٥٧٣ م .
 الجناني (قي؟) - أبو موسى ٦٥ .
 جندح، جندحان = عمرو القيس
 الجنيد البغدادي ٢٠٤ .
 الجواري - عبد الستار ٢٥١ .
 الجواليقي = ابن الجواليقي
 جويتر (زفس) ٤٦٧ ح .
 جودت - محمد ٥٢٧ .
 جودر (المغربي) ٥٠٠ .
 الجوندي = سعد بن أحمد التجيبي
 الجوهري - اسماعيل بن حماد ١٥٣، ٢٥٦ .
 ٣٧١ .

الحريري - أبو محمد بن قاسم ١٥٥ .
حسان بن ثابت ٢٩٣ م ، ٤٣٣ م ، ٥٩٨ ح ،
٦٦٤ ح .

الحساني = الحاسني

حسن (اسم) ٣٤٨ ح .

الحسن بن أحمد الأنصاري ١٨٨ .

الحسن البصري ٤٢٣ م .

حسن - زكي محمد ٣١٦ .

الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٥ ح .

حسن = علي الفقيه

الحسن بن عمر = الفودودي

الحسن بن عمر المراكشي ٨٨ .

حسن = محمد عبد الغني

الحسن بن محمد = البكري

حسن - يوسف ١٨٧ .

الحسين (اسم) ٣٤٨ ح .

حسين = الخضر حنين

حسين - طه ٦٠٩ .

الحسين بن علي بن أبي طالب ١١٥ م ،

١٣٠ - ١٣١ (٤) ، ٢١١ .

الحصار = ابن الحصار

الحصري - ابراهيم بن علي ٣٧١ .

الحصري - خلدون ٦٠٨ ح

الحصري - باطع ٦٠٨ م .

الحضرمي - عبد المهيمن .

الحضرمي السبق - عمران ٥٥٧ .

الحضرمي = يعقوب .

الحطاب الصغير الرعيني - محمد ٧٠ - ٧١ .

حافظت حسين ٦٦٠ .

حفص بن غياث ٤٢٣ ح (راجع ابن غياث .

الشرشي) .

الجباب = ابن الجباب

الجبائي - علي بن محمد (٢٣٧ - ٢٣٩) .

الجيطاني - اسماعيل بن موسى ٧١ .

حرف الحاء :

حاتم (اسم)

الحاج - أحمد بن محمد ٣٩٨ .

حاجب بن زرارة ٢٢٥ م .

حاجيات - عبد الحميد ٥٣٧ ح .

حار = حارث (في شعر) ٤٥٠ م

حازم القرطاجني (٢٩١ - ٣١٢) ، ٦ ،

٣٧٦ ح ، ٣٨٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٥٦٠ ح ،

٥٨٠ م ، ٥٨٦ .

الحافظ الذهبي = الذهبي

الحافظ المزي = المزي

حافي رأسه - محمد بن عبد الله (٣٢٧ -

٣٢٩) .

الحاكم النسابوري - أبو عبد الله ٥٨ .

الحامدي - اسماعيل بن موسى ٣٩٨ .

حاب (اسم) ٣٤٨ ح :

حبيب ، حبيب بن أوس = أبو تمام .

الحبيب = محمد رسول الله ٥٦ م ، ٥٩٠ .

الحجاج بن يوسف ٤٢٩ م ، ٥٠١ .

حجر بن ذي رعين ٣٦١ .

الحجري - عبد الله بن محمد ...

حجّي - محمد ٦٩٥ م .

الحديثي - خديجة ٤٣٠ م .

حذام ٥٢٠ م .

الحراشي - أبو عبد الله ٢٨٤ .

الحريري - القاسم بن علي ٣٥٢ - ٣٥٣ ،

٣٧٠ ، ٤٩٦ ، ٥٣١ ح .

- حفصة الشاعرة ٣١٤ .
الحفصي - أبو بكر (صاحب قسنطينة) ٣٧٧ .
الحفصي - أبو زكريا يحيى = أبو حفص ٣٧٧ .
الحفصي - أبو يحيى أبو بكر (سلطان تونس) ٤٨٦ م .
الحفصي = أحمد الحفصي ٤٨٦ م .
الحفصي - عمر ٤٨٦ م .
الحفصي - محمد = المنتصر ٢٦٠ م .
الحكم الربضي بن هشام ١٨٤ م .
الحكيم - توفيق ٢٦٠ م .
الحكيم المغربي = ابن أبي الشكر ٤٧٥ م .
الحكيم = يحيى الرندي ٤٧٥ م .
الحلاج - عبده ٦٠٨ م .
حلولو - أحمد ٦٦٥ م .
حليمة السعدية ١٩٩ م .
الحمار (كناية عن خصم) = راجع أنسلمو ٧٢ م .
الحمزاوي = العدوي ٦٦٥ م .
حمو الشريف - محمد ٦٦٥ م .
حميد الأنصاري أحمد (١٨٨ - ١٨٩) م .
الحميري = ابن عبد المنعم ٦٥٢ م .
الحميري (آخر) ٦٥٢ م .
الحميري = ابن الصباغ ٦٩٦ م .
حوتللو = حوط الله ٦٩٦ م .
الحوضي = الساوي ٦٩٦ م .
حوط الله (حوظلوا) = ابن حوط الله ٦٩٦ م .
الحوفي - أحمد بن محمد ٦٤ م ، ٦٠٩ ، ٦٩٦ م .
الحوفي - علي بن ابراهيم ٦١ ، ٧٧ م .
حومي (أول ملوك كانم) ٤٦ م .
حومي = محمد بن عبد الجليل ٤٤٣ م .
خاتم الأنبياء = محمد رسول الله ٤٤٣ م .
خالد بن الخطاب (رأس أسرة ابن خلدون) ٤٤٣ م .
الخزاط - أحمد ٣٤٦ م .
الخزوي - محمد بن أحمد ٧٥ م .
الخزاز الشريشي - محمد بن محمد ٥٣ م .
الخزرجي - أحمد بن مسعود ٦٣٨ م .
الخزرجي - أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد ٥٤٨ ، ٦٦٩ م .
الخزرجي - عبد الله بن محمد بن أحمد ٥٧٦ - ٥٧٧ م .
الخزرجي - عبد الله بن محمد الأنصاري ٦٩٠ م .
الخزرجي - محمد بن عثمان ٤٧٨ م .
الخثني = أبو ذر ٦٠٨ م .
الخضر حنين - محمد ٦٠٨ م .
الخضري الديماطي - محمد ٢٦٩ م .
الخضري - محمد ناجي ٦٠٨ م .
الخطاب (?) ٣٩٩ م .
الخطاب الرعيني - محمد بن محمد ٣٩٧ م .
الخطيب = ابن الخطيب ٣٧٠ م .
الخطيب البغدادي ٣٧٠ م .
الخطيب - سعيد (جد لسان الدين) ٥٠٤ م .
الخطيب - محب الدين ٥١٦ م .
الخطيب المغربي - أبو النجم ٧٧ م .
خلدون = خالد بن الخطاب ٤٤٣ م .
الخلف = شهاب الدين ٤٤٣ م .
الخليل بن أحمد ٤٤٣ م .

الدرجيني - أحمد بن سعيد (٢٥٢)، ٧١ م،
٨١، ٨٢ م.

الدسوقي - محمد بن أحمد ٧٨.

الدمازي = البرادي

الدمايني - البهاء ٦٣٥.

الديماطي - شرف الدين ٤٠٢.

الديماطي = نور الدين

ده ساسي ٢٦٤.

ده فيرجيه - نويل ٦٠٦.

ده مونين ٦٩٤.

دوزي ٢١٦، ٤٠٦، ٥١٦.

دوغات ٥١٦.

دوغا بن حومي ٤٦.

دوغا بن محمد بن عبد الجليل ٤٦ م.

دي سنان ٦٠٦.

ديارا كتي ٤٧ م.

ديغيري ٥٢٧.

الديري (٩) ٧٩.

الدينوري - أبو حفص ٢٣٥.

الذهبي - الحافظ ٤٨٤، ٤٨٦ م.

ذو الرمة - غيلان ٢٢٩ م، ٥٩٨.

حرف الراء:

الرازي = فخر الدين الرازي

راشد بن الوليد الفاسي ٥٩.

الرافعي (٩) ٥٨.

رايت ٥١٦.

الرباب (اسم) ٣٣٥، ٥١٩ م، ٦٥٠ م.

الرباج = الدباج

الربيعي التونسي - محمد بن محمد ٦١.

الرجيم = الشيطان

خليل بن اسحاق (الجندي المالكي) ٦٦.

٦٧ م، ٦٨ م، ٦٩، ٧٠، ٧١ م، ٧٣ م.

١٣٣ م، ٦٣٨ م، ٦٦٣، ٦٦٦ - ٦٦٧،

٦٧٠، ٦٧٤، ٦٩٦، ٧٠٦.

خليل بن اسحاق (الشاعر) ٦٦٧ ح.

الختانجي = الخونجي

الختلاني الإلبيري - محمد بن علي ٥٢٨.

الخونجي - محمد بن نامارو (ناموار) ٦٥، ٦٦،

٤٧٣ م، ٦٣٧ م.

خير الأنام = محمد رسول الله ١١٤.

خير البرية = محمد رسول الله ٧٩.

خير الدين بربوسا ٣٠، ٣١ ح، ٣٤.

خير الوري = محمد رسول الله ٣٦٦ م، ٥٣١.

حرفا الدال والذال:

دارا (الأول والثالث) ٢٨٨ م.

الدارجيني = الدرجيني

الداعي - شرف الدين ٦٤٩.

داغر - يوسف أسعد ٢٠.

داريوس = دارا

الداني - أبو عمرو ٥٣، ٦٢٧، ٦٦٨ ح.

دأو = بارو

داوود (أخو أسكيا اسحاق) ٩٤ - ٩٥.

داوود الأنطاكي ٥٢١.

داوود بن علي الأصفهاني ٤٢٣ م.

الداية - محمد رضوان ٢٨٦ ح، ٢٨٧ ح،

٢٩٠ ح، ٤٤٩ ح، ٤٨٩ ح، ٤٩٥،

٥٦٥، ٦١٥ ح، ٦٢٠.

الدباج = ابن الدباج

الدباج - أبو الحسن بن طاهر (؟) ٣١٧.

دحلان - أحمد (بن) زيني ٢٦٧، ٣٩٨.

الرشيد = هرون
 الرشيد الموحد م ٢١٨، (؟)، ٢٣٧، ٢٩٢.
 الرشيد - أحمد بن يوسف ٧٩.
 رضوان (خازن الجنة) ٢٨٢.
 رضوان - أبو نعيم ٥٠٤ م.
 الرضي - الشريف الرضي.
 الرعيني = ابن السراج.
 الرعيني - أبو الحسن علي بن محمد ٣٤٦.
 الرعيني = أبو جعفر الفارابي.
 الرفاء الرسي - الحسن بن عبد الرحمن
 (١٣٨ - ١٣٩).
 الرفاعي الأزهرى - أحمد ٢٦٧، ٢٦٩.
 الرقيلي - يحيى بن ابراهيم ٧٣.
 الرندي = أبو البقاء الرندي
 الرندي - محمد سعيد ٥٣٠.
 الرندي = يحيى
 الرندي = يحيى بن أحمد النفزي
 روبين (النبي) ١١١ ح.
 رويو - لوثيانو ٦٠٧.
 الروح، روح القدس = جبريل
 روفع بن ثابت الأنصاري ٣٦٩ ح.
 الرجاني - أمين ٥٢٧.
 حرف الزاي:
 زاباور ٧١٠ ح.
 الزباء ٥٣٦ م.
 الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق ١٤٧ ح،
 ١٤٨ ح، ٢٤٨، ٢٤٩ م، ٢٧٦، ٣١٧،
 ٣٤١، ٥٥٥ م.
 الزركشي = اللؤلؤي
 الزركلي - خير الدين ١٧، ٥٤، ٦٧، ٨٥ ح،
 ٦٣٣.

١٩٦ ح، ٤٨٤ ح، ٦٢٦ ح، ٧٠٦ ح.
 زروق البرنسي - أحمد بن أحمد (٦٧٢ -
 ٦٧٩)، ٥٩، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٧٦ ح،
 ١٣٢، ٢٠٩ م، ٦٥٧.
 الزرويلي = ابن الصغير
 زرياب ١٨٥ م.
 الزعيم = أبو ثابت
 زفس = جويتر
 الزقاق التجيبي - علي بن القاسم ٧٠.
 الزقندري = الهرغي
 زكريا (اسم) ٥٨٣.
 زكريا اللحياني الحفصي - أبو يحيى ٣٧٧ -
 ٣٧٨.
 زمامة - عبد القادر ٥١٥.
 الزمخشري - محمود ٥٤، ١٩٥، ٢٦١، ٣٩٠.
 الزملي - محسن ٦٠٨.
 الزناتي الفقيه (المتوفى ٧٠٢ هـ) ٦٠.
 الزناتي - أبو عمران موسى ٣٨٨.
 زهير بن أبي سلمى ٢٥٠، ٢٩٦ ح.
 الزواوي = أبو عوانة
 الزواوي = أحمد بن عبد الله
 الزواوي - صالح بن محمد ٦٤٩ م.
 الزواوي - طاهر ٣٧٠ ح.
 الزواوي = عبد السلام بن علي
 الزواوي - محمد ٥٣٠.
 الزوزني ٢١٠ ح.
 زوس = جويتر
 زيان بن أبي حو ٣٥.
 زيان بن مردانيس ٢١٠.
 زيد (اسم) ٢٦٣ ح، ٣٤٥، ٦٣١ ح،
 ٦٣٣.

السطّي - أبو عبد الله ٥٤٠ .
سعاد (اسم) ٦٥٠ ، ٦٣٨ ، ٥٦ م .
سعد التجيبي = ابن ليون
سعد بن أحمد التجيبي الجوندي الجبائي
٤٥٧ م ح .

سعدون (اسم) ٥٨٦ .
سعدى (اسم) ٣٣٢ ، ٣٣٥ م .
السعدي - عبد الرحمن بن محمد ٢٥ ح .
سعيد (اسم) ٢٦٣ ح ، ٣٩٥ ح م .
سعيد بن حكم القرشي (٢٨٣ - ٢٧٧) .
سعيد الخطيب (جدّ لسان الدين) ٥٠٤ .
سعيد بن المسيّب ٤٢٣ - ٤٢٤ .
السفّاح - أبو العباس ٤٢٩ م .
سفيان الثوري ٤٢٣ م .
السقطي - أحمد بن محمد المالقي ٦٨ .
سقين = القصري الفاسي .
السكّاكي - يوسف ٢٥٠ ح م .
سكورا = سبكورا .
السكوفي - أبو بكر ١٩٠ .
السكوفي - أبو الحكم ١٨٩ ح .
السكوفي - أبو الحكم ١٨٩ ح .
السكوفي = أبو الخطاب .
السكوفي - أبو الفضل ١٨٩ ح .
السكوفي - علي بن إبراهيم ٣٩٩ ح .
السكوفي - محمد ١٨٩ ح .
السكوفي التونسي - محمد بن خليل ٧٢ .
سلمى (اسم) ٥٣٢ ، ٥٨٣ .
سلمى = محمد بن عبد الجليل .
السلولي - أبو القاسم ٥٤ ، ٥٩ .
سلم (اسم) ٣٩٥ ح .
سليان (?) ٢٨٩ م .

زيد بن ثابت ٦٦٣ - ٦٦٤ .
زيدبن = كوديرا
زين = محمد ٧٨ .
زينب (اسم) ٤٣٢ ، ٣٣٥ م ، ٥١٩ ، ٦٥٠ م ،
زيفي (بن) دحلان = دحلان .

حرف السين:

الساحلي = الطويجن
ساسان - ٢٨٨ م
ساسكي = محمد الحاج
الساعاقي - أحمد بن عبد الرحمن ٦٧٩ .
الساعاقي - حسن ٦٠٩ .
سالم = محمد بن عبد الجليل
سامي (اسم) ٦٩٥ ح .
سانفونيتي ٥٢٧ .
الساولي الحوضي الوالاتي (الآتي) - يحيى بن
مختار ٦٣٢ - ٦٣٣ .
السبي - أبو القاسم محمد بن أحمد ٥٠٤ .
السبي - أبو جعفر بن أبي القاسم ٦٤١ .
سبكورا ٤٢ .
السجاعي ٢٦٨ م ، ٢٦٩ .
سحبان وائل ٥٣٤ م .
سحنون ٦٣٠ م ، ٦٩١ ح ، ٧٠٦ ح .
السخاوي - أبو الحسن ٢٦٠ .
السخاوي - محمد بن عبد الرحمن ١١٢ ،
١١٣ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ .
السراج - يحيى ٥٦٦ . (?)
السراج = يحيى بن أحمد النفزي
السراج البلقيني - عمر ٦٣٤ م .
السرقتي - محمد بن محمد ٦٦١ ، ٦٦٥ .
سركيس - يوسف اليان ٨٣ ح ، ٢٦٤ .

حرف الشين:

الثابّ الطريف ١٥٨ ح.

الثاذلي = أبو الحسن الثاذلي

الثارقي، الثاري - أبو الحسن بن محمد

١٨٨ م، ٣٥٩.

الشاطبي = ابن خضر الشاطبي

الشاطبي - ابراهيم بن موسى ٦٢ - ٦٤،

٥٦٦، ٦٢٦.

الشاطبي - القاسم بن فيره ٢٦١ م، ٣٣٦ ح،

٣٩٣، ٦٢٧، ٦٣٦ م، ٦٦٨ ح م.

الشاطبي = محمد بن علي

الناضي ٤٣٣ م، ٤٢٧.

ناكر الأيادي (اسم مرتجل) ٤٦١ م.

ناخجة (الرابع) ملك قشتالة ٢٦ - ٢٧.

شانة - محمد كمال ٥١٦.

شوح - ابراهيم ٣٤٥.

شيب بن يزيد الشيباني ٦١٨ ح م.

شدّاد بن عاد ٢٨٨ م.

شدقم (اسم حصان) ٦٠٣ م.

شرف الدين الأنصاري الحموي ٣٣٤

الشرقاوي - عبد الله بن حجازي ٧٨.

الشرمباطي - محمد بن مسعود ٢٧٠.

الشرنوبي - عبد المجيد ٢٧.

الشريشي - الأمي

الشريشي - أبو عبد الله ٦٢١.

الشريشي = محمد بن أحمد

الشريف الحني - العباس ٧١٠ م.

الشريف الحني البقي - محمد بن أحمد

(٤٧٧ - ٤٨٠)، ٤١٣ وما بعد، ٥٧٠،

٥٦٦، ٦١١.

سليمان بن داوود بن يوسف ٣٢ ح.

سليمان - فوزي ٦٠٧.

السمباوي - محمد زين ٧٨.

السمرائي - محمد معصوم ٣٩٩.

السماني ٣٧٠.

السوأل ٢٥٥ م.

سن أياتا = صندياتا.

السندوي ٥٦٠ ح.

النوسي - محمد بن يوسف ٥٩، ٦٨، ٧٧،

٧٨ م، ٧٠٣.

السهروردي - عمر ٢٣٥.

السهيلي - عبد الرحمن ٥٩، ١٤٨ م.

السوداني - أحمد بن محمد ٣٩٩.

سومان غورو (هورو) ٤١ - ٤٢، ٤٧، ٤٨ م.

السوسي - محمد ٨٧ م.

السويسي - محمود ٣٩٣.

سيبويه ١٤٧، ١٦٣ م، ١٧٠، ٢٤٨، ٢٧٦،

٣١٧، ٣٨٨، ٤٠٠ م، ٤٠١ م، ٥٧٩.

سيد الأنام = محمد رسول الله ٥٨.

سيد الأهل - عبد العزيز ٤٢٦ ح.

سيد ربيعة ومضر = محمد رسول الله ٥٦.

سيد المرسلين = محمد رسول الله ٥٩.

السيد القمبياطور ٩٧.

سيد الكونين = محمد رسول الله ٥٣١ م.

سيف السولة ٣٢٢ ح، ٥٢٠ ح.

سيف بن ذي يزن ٤٣٣ ح (راجع: ابن ذي يزن).

السيوطي - عبد الرحمن ٦٠، ٦٩، ١٣٣،

١٥٣ ح، ٢٦٦، ٣٧٠، ٣٩٣ - ٣٩٤،

٧١٠، ٧٠٣.

السيوطي - عبد الرحيم ٣٩٨.

الشهاب بن رسلان ٦٨٥ .
 الشهاب محمود بن فهد ٥٢٠ م .
 شهاب الدين بن الخلوف - أحمد بن محمد
 (٦٨٥ - ٦٨٨) .
 الشوّاش الفهري - أبو عبد الله ٣٤١ .
 الشواوي السملالي - الحسن (الحسين) بن عليّ
 ٥٥ .
 شوقي (اسم) ٦٩٥ ح .
 شيخ الأرض - تيسير ٦٠٧ .
 الشيخ البرتغالي الوطاسي - محمد بن محمد
 ٦٨٩ ، ٦٩٨ م ، ٧٠٠ - ٧٠٣ .
 شيخ الغزاة ١٠١ .
 شيخو - الأب لويس ٣٧٢ ح .
 الشيрази (؟) ٦٤ ، ٧٢ .
 الشيزري = عبد الرحمن بن نصر .
 الشيطان ٢٠٧ م ، ٤٧٦ .
 حرفا الصاد والضاد :
 الصابوني - أبو الحسن ٢٨٤ - ٢٨٥ .
 صاحب الحمار = أبو زيد كيداد
 صالح (النبي) ٢٢٤ ح .
 صالح الرندي = أبو البقاء
 صالح - أبو محمد ٥٥٤ .
 صالح (قنب) ٤٣ م .
 صالح (أدخل الإسلام إلى ودّاي) ٥٠ - ٥١ .
 الصائغ النحوي - أبو الحسن ٤٠٩ .
 الصائغي - سالم بن سعيد ٧١ .
 الصبّاح - أحمد بن محمد ٦١٥ .
 الصبّاغ - محمد بن محمد ٧٩ .
 الصبّاغ الحميري - محمد ٢٠٩ .
 الصبّان - محمد عليّ ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .

الشريف التلمساني - عبد الله ٦٢٦ ، ٦٣٤ .
 الشريف الغرناطي = الشريف الحسي
 السقي
 الشريف - أبو الحسن ٦٧١ .
 الشريف الرضي ٥٩٨ .
 الشريف الصقلي التونسي - أحمد بن عبد
 السلام ٩٢ .
 الشريف محمد = حوّ
 الشثري - عليّ بن عبد الله (٢٤٦ - ٢٤٧) .
 ٧٦ ح ، ٤٥٨ .
 شعبان = الأشرف شعبان
 الشعراي - عبد الوهاب ٢٦٠ .
 الشقراطسي - عبد الله بن يحيى ٢٢٥ ،
 ٦٣٦ ح .
 الشقوري = محمد بن علي اللخمي
 شقيق (اسم) ٥٢٨ م .
 شكري محمود = أحمد
 شكير ٦٠٥ ح .
 الثلوييني ، الثلوييني = أبو علي
 الثلوييني الصغير - محمد بن عليّ ١٦١ ح -
 ١٦٢ ، ٢٦٠ .
 الثماخي - أحمد بن سعيد ٧١ .
 الثماخي - عامر ٧١ م ، ٨١ .
 الثماخي - سعيد (؟) بن عبد الواحد ٨٢ .
 الثمّني المصري - أبو العباس ٦٦٦ .
 شهورش ٧١٠ م .
 الشقيطي - عبد الله بن ابراهيم ٦٣٢ م .
 الشقيطي - عبد الودود بن عليّ ٢٦٧ -
 ٢٦٨ .
 الشقيطي - محمد الأمين ٢٦٥ م .

حرفا الطاء والظاء:

الطاقي = عبد الله بن هرون
الطاغية = ملك الإسبان (اطلب أسماء ملوكهم).
طالب - ميرزا أحمد ٢٧٠.
ظاهر الزواوي = الزواوي.
الطبّاع - عبد الله ٢١٧.
الطبري = نجم الدين
الطرطوشي - أبو بكر ٨٢، ٨٣، ٤٧٠ ح.
طرفة بن العبد ٢٥٠.
طلحة بن حزم الأندلسي - محمد (١٥٤) - (١٥٦).
الطنجالي - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٩٨.
طوقان - قدرى ٣٨٩.
الطويحين الساحلي - ابراهيم بن محمد (٤٣٠) - (٤٣٦)، ٤٢، ٤٩٧ م.
الطيب بن عبد المجيد الكراfi (؟) ٢٦٩.
الطيب = ابن الطيب
الطيب = محمد الطيب
الظاهر برقوق = برقوق
الظريف = محمد الظريف

حرف العين:

عائشة (اسم) ٥٨٦.
عائشة بنت أحمد المديوني ٦٤٠.
عائشة الباعونية ١١٣.
عائشة بنت الحيار المحتسب ٩٢.
عائشة بنت علي الصنهاجية ٥٧.
عائشة بنت عمران المنوفي ٧٥.
عائشة بنت محمد المغيلي ٥٠٢.

الصبان - محمد علي ٢٦٩ م، ٢٧٠.

صبح (جارية الجزائى) ٤٥٠.

الصدفي = أبو علي

الصدفي الشاطبي - أحمد بن محمد ٥٣٤.

الصدفي الطرابلسي - عبد المجيد ٣٥٤.

الصعيدى - عبد المتعال ٢٧٠.

الصغير (الأستاذ؟) ٧٠٣.

الصغير = ابن الصغير.

الصغير = ابن عمار.

الصفاقسي - ابراهيم بن محمد ٥٤.

الصفاقسي - محمد بن محمد ٥٤.

الصفدي - خليل بن أبيك ١٩٤ ح، ٣٢٨، ٣٣١.

الصفاوي - عبد الرحمن بن عبد المجيد

٣٢٨، ٢٨٤.

صفوة الخلق = محمد رسول الله ١٢١.

الصفبوري - عبد الرحيم ٢٦٦ (٦٦ م؟).

صفية (اسم) ٤٩٩ - ٥٠٠.

صلاح الدين الأيوبي ٨٣ ح م، ١١١ - ١١٢.

٤١٥ ح.

الصلاح الأقفسي ٥٨.

الصلاحى - محمد بن ابراهيم ٩٠.

صليبا - جيل ٦٠٧.

صندياتا ٤١ م، ٤٨ م.

صني علي ٤٩ م.

الصواي = ابن مسعود.

الصولي - أبو بكر بن يحيى ٤٧٠ ح.

صوماغورو = صوماغورو.

الضائمي = الضائمي.

ضيف - شوقي ١٨٥ ح، ٣١٦ م.

عاد (جدّ عربي) ٢٨٨ .
 العاقب بن عبد الله الأنصقي ١٣٢ ،
 ١٣٣ م .
 العاقب بن محمد بن عمر التنبكي ١٣٣ م
 (راجع نيل الإبتهاج ٢١٨ - ٢١٩) .
 عالم قصة = ابن عقية .
 العامرية = ليلي
 العاملي = بهاء الدين
 عبادة القزاز ١٤٥ .
 عبادة بن ماء السماء ٣٥٨ ح .
 العبّادي - أحمد مختار ٥١٦ ، ٥١٥ م .
 عبّاس - احسان ٨٣ ح ، ١٧٩ ح ، ١٨٢ ،
 ١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٥١٦ م ، ٥٤٨ ح ،
 ٥٥٠ ح .
 العبّاس بن مرداس ٤٩٨ ح .
 العباسة أخت الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
 عبد الله (اسم) ٣٤٩ ، ٣٤٥ م .
 عبد الله بن الحسن اللخمي ٦٢٤ .
 عبد الله بن الزبير ٤٢٩ ح .
 عبد الله بن سعيد الخطيب (والد لسان
 الدين) = ابن الخطيب
 عبد الله بن عبّاس ٥٩٤ م ، ٦٦٣ م .
 عبد الله بن عبد الله = أنسلمو
 عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول)
 ١٨٠ ح ٢ .
 عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ١٣٢ .
 عبد الله بن غانية ١٥٠ ، ١٥١ .
 عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب ٤٣٢ -
 ٤٨٣ .
 عبد الله بن المبارك ٤٣٣ م .
 عبد الله بن مسعود ٤٧٦ م .
 عبد الله بن هرون الطائي ٤٠١ .
 عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩ - ٤٠ .
 عبد الله بن يوسف الأندلسي - أبو محمد
 ٤٠١ - ٤٠٢ .
 عبد الباقي - محمد فولاد ٢٦٥ ، ٢٥٦ .
 عبد الحق الإشبيلي - أبو محمد ٦٠ .
 عبد الحق البطوي :
 عبد الحميد - محمد محي الدين ٢٦٦ ، ٢٧٠ ،
 ٥١٦ .
 عبد الرحمن (اسم) ٣٤٩ م .
 عبد الرحمن الأوسط ١٨٥ م .
 عبد الرحمن الداخل ٤٠٦ ح .
 عبد الرحمن (بن) أي حمّو موسى الثاني (؟)
 ٨٣ .
 عبد الرحمن بن الطفيل ٣٧٠ .
 عبد الرحمن بن نصر (الله) الثيزري النبراوي
 ٨٣ م .
 عبد الرحيم (اسم) ٣٤٩ م .
 عبد الرسول - محمد ٣٧٤ .
 عبد السّار - أحمد عطار (عبد القادر) (؟)
 ٥١٦ .
 عبد السلام بن علي الزواوي ٥٣ .
 عبد العزيز التكروري ١٣١ .
 عبد العزيز الحفصي = المتوكل .
 عبد العزيز بن عبد العزيز اللمطي ٧٣ ،
 ٦٨٠ .
 عبد العزيز بن علي = المستنصر المبرني
 عبد العزيز الملوذي (٣٢٩ - ٣٣١) .
 عبد القادر (اسم) ٥٨٦ .
 عبد القاهر بن محمد التونسي ٩٢ - ٩٣ .
 عبد القيام - محمد ٢٠٨ .

عاد (جدّ عربي) ٢٨٨ .
 العاقب بن عبد الله الأنصقي ١٣٢ ،
 ١٣٣ م .
 العاقب بن محمد بن عمر التنبكي ١٣٣ م
 (راجع نيل الإبتهاج ٢١٨ - ٢١٩) .
 عالم قصة = ابن عقية .
 العامرية = ليلي
 العاملي = بهاء الدين
 عبادة القزاز ١٤٥ .
 عبادة بن ماء السماء ٣٥٨ ح .
 العبّادي - أحمد مختار ٥١٦ ، ٥١٥ م .
 عبّاس - احسان ٨٣ ح ، ١٧٩ ح ، ١٨٢ ،
 ١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٥١٦ م ، ٥٤٨ ح ،
 ٥٥٠ ح .
 العبّاس بن مرداس ٤٩٨ ح .
 العباسة أخت الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
 عبد الله (اسم) ٣٤٩ ، ٣٤٥ م .
 عبد الله بن الحسن اللخمي ٦٢٤ .
 عبد الله بن الزبير ٤٢٩ ح .
 عبد الله بن سعيد الخطيب (والد لسان
 الدين) = ابن الخطيب
 عبد الله بن عبّاس ٥٩٤ م ، ٦٦٣ م .
 عبد الله بن عبد الله = أنسلمو
 عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول)
 ١٨٠ ح ٢ .
 عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ١٣٢ .
 عبد الله بن غانية ١٥٠ ، ١٥١ .
 عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب ٤٣٢ -
 ٤٨٣ .
 عبد الله بن المبارك ٤٣٣ م .
 عبد الله بن مسعود ٤٧٦ م .

- عبد القيوم - محمد
عبد الكريم الفرناطي (٦٧١-٦٧٣).
عبد المنعم الدمنهوري ٥٣٦.
عبد المنعم بن محمد الصّافي ٣٥٤.
عبد المنعم بن صالح التميمي ٣٢٨.
عبد الملك بن مروان ٤٢٩ ح، ٥٠١.
عبد المهيم الخصرمي (٤٤٥-٤٤٨)، ٥٧٠، ٥٤٠، ٣٦٥.
عبد المولى - محمود ٦٠٨.
عبد المؤمن بن علي ٣٧٦ م.
عبد النور العمري ٧٠.
عبد الواحد الحفصي ٣٠١، ٦٩ م.
عبد الواحد بن محمد المالقي ٥٣.
عبد الواحد الواكشي (١٦٤-١٦٧)، ٦٠.
عبد الواحد الهندي ٢٦٤.
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن
١٤٨ م، ١٤٩.
عبد الواد (= عبد الواحد) ٣٢ ح.
عبد الوهاب - حسن حسني ١٨٣ ح، ١٨٥،
٢٥٣ ح، ٣٧٩ ح، ٣٨١، ٥١٥.
٦١٢ ح.
عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي
٣٦٠-٣٦١.
المبدري = ابن الحاجّ الفاسي - محمد
المبدري (صاحب الرحلة) - محمد بن محمد
البلنسي (٤٠١-٤٠٤)، ٨٠، ٣٦٢.
المبدري - علي بن يوسف ٣٦٥.
المبدوسي - أبو عمران ٦٢.
المبدوسي - عبد العزيز ٦٣٩.
المبدوسي = ابن معط المبدوسي
عبد - اغناطيوس ٦٠٦ ح - ٦٠٧.
- عبدون - غنيم ٦٠٧.
عبيد الله (اسم) ٣٤٩.
عبيد الله بن أحمد الأزدي ٣٥٤.
عثمان بن أدريس (سلطان كانم) ٤٦.
عثمان بن سعيد = ورش
عثمان (أبو عمر) الحفصي ٦٨٥.
عثمان بن عفّان ٨١، ٤٠٥.
عثمان بن يغمراسن ٣٢، ٣٦٢.
العجيزي = يوسف دليلي.
عدنان (جدّ عرب الشمال) ٥١٩، ٥٦٢.
العدويّ - حسن ٢٠٩.
العدويّ = عبد الرحمن بن نصر
العدويّ = قطّة العدوي
العدويّ الحمزاوي ٦٦٠.
عدّي بن زيد ٥٣٦ م.
العراقي - عبد الرحيم بن الحسن ٦٣٦ م.
العربي - اسماعيل ٣١٦.
عروج ٣٠، ٣١ ح، ٣٤.
المروسي = التجار المروسي
عروة بن حزام ٣٣٠ م.
المريف - عبد الرحمن ٧٨.
المز بن عبد السلام ٣٣٤.
المزّ القدسي ٦٨٥.
المزّي - أبو طالب ٣٦٢.
المزّي - أبو القاسم ٤٢٧.
المزّي - أحمد بن محمد ٥٦.
المزّي السبي - محمد بن أحمد ٥٦، ١١٦.
عزّوز الحفصي = المتوكّل الحفصي
المشّاب القرطي - أحمد بن محمد ٥٤.
المشاي - عبد الله بن فاضل ٣٩٨.
المطّار - أبو اسحاق الصنهاجي ٣٨٨.

- المطار - عزّت ٢١٦ .
المطار - حسن بن محمد ٣٦٩ ، ٣٩٨ .
العقباني - ابراهيم بن قاسم ٦٨٨ .
العقباني - سعيد بن محمد ٦٤ - ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ م ، ٦٨٠ ، ٦٨٨ .
العقباني - محمد بن أحمد
العقباني - محمد بن العباس ٦٧ م .
العقبلي = محمد بن العربي .
علا كي = كنع - موسى
علام - مهدي ٢٩٨ ح .
علقة الفحل ٢٥٠ .
العلمي = يحيى بن عبد السلام
علوش (محقق «الجلل الموشة») ٥١٥ م .
عليّ (اسم) ٣٤٩ ح م .
عليّ بن أبي طالب ١١١ ح ، ١١٥ م ، ٤٧٦ م .
٦٦٣ - ٦٦٤ .
عليّ بن حاتم الدين الهندي ٣٧٦ .
عليّ دونما (ملك برنو) ٤٧ .
عليّ = صنيّ علي
عليّ بن عبد الله (محمد) الفاسي ٨٠ - ٨١ .
عليّ بن عثمان المريني = أبو الحسن - علي بن عثمان .
علي بن عمر الهواريّ ٧٤ - ٧٥ .
علي الفقيه حسن ٣٧٠ .
عليّ كولون ٤٨ .
عليّ بن محمد بن عليّ = ابن حفص اليحصي .
عليّ = محمد بن سالم
عليّ بن موسى = ابن سعيد العنسي
عليّ بن نافع = زرياب
عليش - محمد ٥٧٩ .
عماد الدين الأصفهاني ٣٤٢ م .
عمار - عليّ بن سالم ٢٠٩ .
عمار بن ياسر ١٤٠ م .
عمر (عمرو) بن ادريس بن ابراهيم ٤٦ .
عمر بن أبي ربيعة ٥٩٨ م .
عمر بن الخطاب ١٨٠ ح ، ٢٠٠ ح ، ٢٢٠ ح .
٣٠٠ م ، ٤٨٦ م ، ٦٦٣ ح - ٦٦٤ .
عمر بن رسلان (راجع السراج البلقيني)
عمر بن عبد الله السلمي ٢٣٠ .
عمر بن الفارض ٣٣٢ ، ٤٧٣ م ، ٤٩٠ ، ٥١٨ م .
٦٤٩ ، ٦٥٠ .
عمر بن محمد النفزاوي ٨٦ م .
عمر الهنتاتي - أبو حفص ٢٥٠ (راجع أبو حفص)
عمران بن حطّان ٥١٩ م .
العمراني = عبد الله
عمرو (اسم) ٦٣١ ح م ، ٦٣٣ .
عمرو = عمر بن ادريس
عمرو بن عدوى ٥٣٦ م
العمرطي - يحيى ٣٩٩ .
عنان بن جابر (١٥٧ - ١٥٩) ، ٢٥٣ - ٢٥٤ .
عنان - محمد عبد الله ١٦ ، ٢٨٦ ح ، ٥١٥ ، ٥٥٨ ح ، ٦٠٧ ، ٦١٩ .
عنرة ٢٥٠ ، ٥٢٠ ح .
العنجاطي - الخطيب (?) ٤٥٢ .
العنسي = ابن سعيد العنسي
العنسي البلنسي - محمد بن سعيد ٥٤ .
العنسي المراكشي - علي ٩١ .
العوامري - أحمد ٥٢٧ .
عيّاد - كامل ٦٠٧ .

الفجومي - أبو عمران موسى بن عيسى

٢٣٩ م

غلام أحمد ٦٦٠

غلام عبد الرحمن = قادر مرام

غليزر - سدي ٢٦٦

الفاري - أحمد بن الحسن ٨٠

الفاري - أحمد بن عيسى ٣٥٤

الفاري - البلنسي - أحمد بن محمد ٢٦٠

٣٥٤

الفاري المراكشي - محمد بن عبد الرحمن

٦٤

الفاز - أحمد بن محمد ٤٤٥ م

غوثالث = بالنشيا

غوغية ٢٦٥ م

غومذ = غارثيا

غيلان مية = ذو الرمة

حرف الفاء:

فارس بن الحسن = أبو عنان

الفاروق = عمر بن الخطاب

الفارسي - الحسن بن علي ٦٦٨

الفازاري - أبو زيد ١١٦

الفاسي - (الفارسي ؟) ٦٦٩ م

الفاسي - عبد الرحمن بن محمد ٢٠٩ ، ٦٦٠

الفاسي = علي بن عبد الله

الفاسي - محمد ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٦٥٢ ح

الفاسي = محمد بن أحمد

الفاسي = محمد بن حسن

الفاسي = يحيى بن أحمد النفري

فاطمة (اسم) ٥٨٦

عياد - محمد بن محمد ٢٠٩

عياض (القاضي) بن موسى ٤٠٩ (راجع

٤٤٥ ، ٤١٠ ، ٤٠٠)

عياض بن موسى بن عياض القاضي ٥٦

٦٢ ، ١١٤ م ، ٤٠٩ ح ، (راجع ٤٠٠

٤٤٥ ، ٤١٠)

عيسى ١٢٠ ح ، ٢٧٥ ح

المني ١٢٠ ح ، ٢٧٥ ح

المني - محمود بن أحمد ٢٦٦

عيوش (اسم) ٥٨٦

حرف الغين:

غابريلي ٧٨

غارثيا غومذ - أميليو ٣٢٦

غازي (اسم) ٦٩٥ ح

الغاضي - ابراهيم ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٤٧٨

الغاضي - ابراهيم ٥١٣

الغاضي - اليسع بن عيسى ٥١٣ ح

الغبريني - أحمد (٣٥٣ - ٣٥٦) ، ٦١٣

الغرابي - أبو زيد ٣٣٩

الغرافي - علي بن أحمد ٦١٣

الفرناطي = عبد الكريم

الفرناطي = محمد بن محمد

الفرور = أبليلس

غريب - جورج ٥٢٧

غريغوريوس = أبو الفرج

الغزالي - أبو حامد ١٢٩ ح ، ٢٠٦ ، ٢٧٦

٣٨٨ ، ٤٧٠ ، ٦١٠ ح ، ٦٦٨ م

الغزالي (؟) ٧٦

الغساني = عبد المنعم بن محمد

فاطمة (بنت رسول الله) ١١٥ م.
الفاكهاني - عمر بن علي ٥٤٧ ح.
الفتح بن خاقان الأندلسي ٤٧٠ ح.
الفجيحي = ابراهيم
الفخار = ميمون
فخر الدين القاضي (ذكره ابن بطوطة) ٥٣ م.
(٩)، ٥٢٧.

حرف القاف:

القادر بن ذي النون ٩٥.
القادر القاسي (٩) ٣٩٨.
قادر مرام = غلام عبد الرحمن ٦٦٠.
القادري - نوح بن علي ٢٠٩.
قارون ٢٨٨ م.
قاسم (ذكره الثلوبين) ١٦٣ م.
قاسم بن عيسى القيرواني ٦٥.
القاسمي - محمد جمال الدين ٥١٨ ح.
القاضي - محمد بن محمود ١٣٣.
القاضي المكناسي = البغري
القاضي - وداد ٨٣ ح، ٨٤ - ٨٥.
القالبي - أبو علي ١٧٠.
قاهر - محمد الشريف ٥١٥.
القاووقجي - محمد خليل ٢٠٩ م.
قايتباي ٦٦١ م.
القباب - أحمد بن قاسم ٦٢، ٦١١، ٦٩٢ م.
قباوي - فخر الدين ٢٤٩ ح، ٢٥١ م.
قحطان ٢٨٨.
قدار (من ثمود) ٢٢٤ ح.
قداره = كوديرا
قدامة بن جعفر ٥٣٤ م.
قدور (اسم) ٥٨٦.
قراستاس ٦١٠ ح.
القرباقي - علي بن موسى ٦٦٩ - ٦٧٠.
القربلياني - محمد بن علي ٩١ - ٩٢.
القرداحي - جبرائيل ٧٠٧ ح.
القرشي - أبو جعفر = ابن فركون.

فخر الدين الرازي ٤٧٣ ح، ٥٩٠ ح - ٥٩١.
فرج بن برقوق = الناصر فرج
فرديناند الثالث (ملك قشتالة) ٢٦ م، ٣٣٤.
فرديناند الخامس (ملك أرغون وقشتالة) ٢٧،
٧٠٢ ح.
الفرزدق ٢٢٢ ح م.
فرعون ٤٣٣.
فروخ - عمر ٦٠٩.
فروة بن مسيك ٣٤٥ ح.
الفزازي - إبراهيم (ثائر اندلسي) ٣٧٩ م.
الفتتالي = ابن شبيب
الفتتالي - محمد بن أحمد ٦١، ٦٩٠ م، ٦٩٤.
الفضيلي - محمد بن يحيى ٢٨٤ م.
فطوم (اسم) ٥٨٦.
فند زمان ٢٢١ م، ٢٢٢ ح.
الفودودي - الحسن بن عمر ٣٣.
فور - أدولف ٦١٤.
الفورتي - بشير ٥١٥.
فولك ٢٦٧.
فيتو - أنريكو ٢٦٥ م.
الفيروزابادي - مجد الدين ٢٣، ٦٣٤.
فيصل الأول (ملك العراق) ٦٠٨ ح.
فيرنيه ٣١٦.
فيشر ٣٩٧.

القيجاني (القيجاطي) - علي بن عمر
(٤١١ - ٤١٢)، ٥٢٨، ٥٥٥ م.

القيجاني - أبو عبد الله ٦٢٦.

قيس بن سعد ٥١١ م.

قيس بن سعد بن عبادة الصحابي ٥١١ م.

قيصر ٥٤٢، ٥٥٢.

حرف الكاف:

كاترمير ٦٠٦.

كارلتي ٣٩٨.

كاشف - سيّدة (؟) ٣١٦.

الكتاني - أبو بكر ٥٧.

الكثاني - محمد بن ابراهيم ٤٠٦، ٥١٥.

كع = ادريس كع

كع = موسى

كثير عزّة ٥٩٨.

الكذالي = يحيى بن ابراهيم

كراسكاس = قراسكاس

الكراني (؟) - الطيّب بن عبد الحميد

كرايل ٥١٦.

الكرودودي - محمد ٢٦٦.

(الكرسوطي) (الكرسوطي) الفاسي -

عبد الله ٥٧.

كرمي = ادريس كع

كرو - أبو القاسم محمد ٦٠٨.

الكراني = الجزنائي الكرياني.

الكسي - عبد الله بن محمد ٧١.

كسرى أنوشروان ٢٥٥ ح م، ٢٨٨ م،

٤٣٢ - ٤٣٣. راجع ٥٤٢ ح، ٥٥٢.

الكعك - عثمان ٣١٢.

كعب بن زهير ٥٦، ١١٢، ٥٨٠، ٥٩١ ح،

٦٣٨، ٦٩٨.

القرشي (؟) (صاحب كتاب الفرائض) ٤٨١.

القرشي - المهدي بن مصطفى ٢٧٠.

القرطي (ت ٥٩٠ هـ) ١٤٧ ح.

القرطي - أحمد بن عمر ٢٥٥.

القرطي - محمد بن أحمد (٢٥٥ - ٢٦٠)، ٦٠.

٥٢.

القرني - أبو حنين ١٨١.

القزويني - محمد بن عبد الرحمن ٦٧٨.

قس بن ساعدة ٥٣٤ - ٥٣٥.

قسطنطين الأول (ملك الروم) ٤٨٥ ح.

القسنطيني - أحمد ٦٨٣.

القسنطيني = يحيى بن عبد السلام

القشيري - أبو القاسم ٢٠٦.

القصار - أبو العباس ٦٣٢.

القصري - عبد الرحمن بن علي ١٣٢.

قطّة المدوي - محمد بن عبد الرحمن ٢٦٩.

قلاوون (الملك المنصور) ١٠١ م، ٣٧٠ ح.

القلاشاني - أحمد ٦٣٢ - ٦٣٣، ٦٦٥ م (؟).

القلاشاني - محمد بن عمر ٦٨٣ م.

القلاصادي - علي بن محمد (٦٦٥ - ٦٧٠)، ٦٠.

٦٦.

القلمي - عبد الله بن محمد

القلمي = محمد بن الحسن

القلقشندي ٦٥٢.

القلي ٦٩٦.

قمير - يوحنا ٦٠٩.

القمي = مؤيد الدين القمي

قنب صالح = صالح

القوري - ٦٧.

القوري - محمد بن محمد ١٣٣ (؟).

القوري (شيخ ابن غاز) ٦٩٥ (راجع).

٤٨٧ - ٤٨٩ . ٥٣٧ . ٥٤١ - ٥٤٣ .

٥٤٨ - ٥٥٠ . ٥٥٨ . ٥٥٩ . ٥٧٠ م .

٥٩١ م . ٦١٦ م . ٦٢٠ ح . ٦٢٤ -

٦٢٥ . ٦٤٢ . ٦٨٠ م . ٦٩٣ - ٦٩٤ .

الليلاني = أحد اللياني

اللمتوني = محمد بن تيفاوت

اللمتوني = يحيى بن عمر

اللمطي = عبد العزيز بن عيد العزيز

لوشيانو (لوثيانو) ٧٨ م .

اللوشي - محمد بن محمد ٥٦٧ .

اللؤلؤي الزركشي - محمد بن ابراهيم

(٦٨٢ - ٦٨٥) .

لويس التاسع ٣٠ م . ٣٤٠ . ٢٠٥ م . ٢٩٣ ح .

الليث بن سعد ٤٢٣ م .

ليني بروفنصال = لافي

ليلي (في شعر) ٢٨٥ م . ٣٣٢ . ٤٣٤ .

ليلي العامرية ٥٢٠ م .

الليمومي ٣٧٧ .

حرف الميم:

ماء السماء = ماوية

مارتل ٦٣٢ .

مارتل - الأسقف نقولا ٧٣ م .

المارتلي = أبو عمران

مارسيه ٣٦٩ .

ماسينيون - لويس ٤٤ .

ماصور - محمد ٦٨٥ .

ماكدونالد - دوفكان ٦٠٩ .

مالك (خازن النار) ٢٨٢ م . ٣٢٥ م .

٣٣٧ م .

مالك بن أنس ٦٠ . ٦٣ . ٦٧ . ٧٠ . ٢٠٦ .

كعب بن مامة ٥٤٨ م .

كعت - محمود بن التوكل كعت التبيكي

٢٥ ح . ٧٠ .

كلغرون ٢٦٧ م .

الكفراوي - حسن بن علي ٣٩٧ . ٣٩٨ .

الكلاعي - أحمد بن الحسن = ابن الرّيات

الكلاعي - (?) ٣٧٦ ح .

الكليم = موسى .

كليمنت السادس (بابا) ١٠٢ ح .

الكناني الوقشي - أحمد بن عبد الرحمن ٩٨ .

كتي = ديارا كتي

الكندي - تاج الدين

كنك موسى ٧٠٧ .

كنون - عبد الله ٥٣ . ٥٧ . ٦٨ . ٨٨ .

٤٠٨ . ٤٤٩ ح . ٥٨٦ م . ٦٢٣ .

كوديرا أي زبدین - فرنسيسكو ٢١٦ م .

كوكبوري = مظفر الدين

كولان ٤٠٦ م .

كولون = علي كولون

حرف اللام:

لافي بروفنصال ٦٥٦ .

لبيد بن ربيعة ٤١٨ ح .

اللجائي - أبو عبد الرحمن ٨٩ . ٦١١ .

للحياني ٣٠ .

للخمي = محمد بن علي

لسان الدين بن الخطيب - محمد بن عبد الله

(٥٠٣ - ٥١٧) ، ٦ ، ١٦ ، ٨١ ، ١٠٤ -

١٠٩ . ١١٩ ح . ١٢٤ - ١٢٧ . ١٤٥ .

٣٢٣ . ٤٣٩ - ٤٤٠ . ٤٤٩ ح . ٤٧٠ .

٤٧٩ - ٤٨٠ . ٤٨٢ - ٤٨٣ . ٤٨٤ ح .

- ٢٠٨ م، ٥٠٨ م، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩ م.
 ٦٣٠ م، ٦٣٦ م، ٦٦٤ م، ٦٩٠ م.
 ٦٩١ ح، ٦٩٣ ح.
 مالك بن المرحّل (٣٣٥ - ٣٣٩)، ٥٣.
 ١٢٢ م، ٣٢٤ - ٣٢٥.
 المأمون (العباسي؟) ٥٤٦ م.
 المأمون الموحدي ٣٥٦ م.
 الماوردي - أبو الحسن ٤٥٨، ٤٧٠ ح.
 ماوية (ماء السماء) ٥٠٨ م.
 المبرد ١٧٠.
 المتقي = علي بن حاتم الدين
 المتنبّي ١٩، ١٣٧ ح، ١٤٥، ٢٢١، ٢٢٢ ح،
 ٢٥٠، ٣٠٩ م، ٣٣٧ ح، ٤١٦،
 ٤٣٣ ح، ٤٧٦ ح، ٤٩٠، ٥١٩ ح،
 ٥٩١، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٩٢ ح، ٦٩٨.
 المتوكل الحفصي - أبو فارس عبد العزيز بن
 أحمد ٣٠ م، ٣٥، ٧٣ ح، ٨٦ ح، ٩٢،
 ٦٨٤ م.
 المتوكل الربيعي - أبو عنان فارس ٣٥،
 ١٠٨ ح،
 المتوكل الربيعي الزياتي ٦٨٩.
 المتوكل بن هود - محمد بن يوسف ٢٦ م،
 ١٤٠ ح، ١٤١ ح، ١٤٩، ١٤٩، ١٦٩،
 ١٧٤، ١٩٦، ٢٠٢، وما بعد، ٣٣١ م.
 المجاصي = ابن عبد الواحد
 مجنون ليلي ٣٣٠ م.
 محاج (اسم فرس) ٦٠٢.
 المحاسني - يوسف بن موسى ٣١٧.
- محداد - عبد القادر ٣١٦.
 محفوظ - محمد ٤٤٤.
 محفوظ الحق - محمد ٢٠٨.
 المحلي - جلال الدين ٦٦٦.
 محمد (اسم) ٣٤٩ م.
 محمد رسول الله * ٥٣، ٥٥ إلى ٦٩ م.
 ٧٣ ح، ٧٦ إلى ٨١، ١١٠ إلى ١٣٠.
 ٥٦ ح، ١٧٤ إلى ١٧٧، ١٨٢.
 ١٩١ ح، ١٩٥ إلى ٢٠١، ٢٢٥.
 ٢٣٠ م، ٢٣٢ م، ٢٣٧ - ٢٣٩.
 ٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩.
 ٢٦٢، ٢٧١ - ٢٧٢، ٢٧٥ ح،
 ٣٠٠ م، ٣٠٧ ح، ٣٠٩، ٣١٨ م.
 ٣٢٠ - ٣٢٣، ٣٠٩، ٣١٨ م، ٣٢٠ -
 ٣٢٣، ٣٣٦، ٣٣٩ - ٣٤٠، ٣٤٤ ح،
 ٣٤٨ ح، ٣٤٩ م، ٣٥٥، ٣٦٦ م،
 ٣٨٢، ٣٨٥، ٤١٠ ح، ٤١٧، ٤٢١ م،
 ٤٢٢ إلى ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٣ م، ٤٦٩،
 ٤٧٦ ح، ٤٧٧ ح، ٤٨٣، ٤٨٩ م،
 ٥٠١، ٥٠٨ ح، ٥١١ م، ٥١٩،
 ٥٢٩ م، ٥٣٢ إلى ٥٣٦، ٥٤١ ح،
 ٥٤٧ م، ٥٥٠ - ٥٥٣، ٥٥٦ - ٥٥٧،
 ٥٥٦ م، ٥٦٢ م، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٨٢ م،
 ٥٩١ ح، ٥٩٤ م، ٦٠٧، ٦١٢،
 ٦١٧ - ٦١٨، ٦٢٤ - ٦٢٥، ٦٢٧،
 ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٤٣ م، ٦٤٩، ٦٥١ م،
 ٦٥٧ إلى ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٧٧،
 ٦٨١ - ٦٨٢، ٦٩٦، ٧٠٨ م، ٧٠٩ م.

(*) الحمد رسول الله أسماء كثيرة منها: سيد العالمين - الشفيح - الماحي وغيرها، تجد الإشارة إليها كلها تحت «محمد رسول الله».

محمد بن علي بن موسى (أمير جزيرة ميورقة)
٢٢٣ - ٢٢٤ .

محمد بن علي بن هشام ٤٦ .

محمد بن محمد بن يحيى ٣٨٨ .

محمد بن عمر الزواوي النجار البجلي ٩١ .

محمد بن محمد بن عبد الله = ابن عبد الله

محمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري ٢١٠ .

محمد بن محمد الفرناطي ٦٧ م .

محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي
٦٧ .

محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ...

الصنهاجي ١٣٢ - ١٣٣ .

محمد الفضل الهادي = ابن عزوز

محمد بن موسى المزالي (٢٨٤ - ٢٨٥) .

محمد بن محمد بن يعقوب الكومي ٧٥ ، ٧٦ .

محمد المهدي الفاسي - أحمد بن علي ٦٦٠ ،
٦٦١ .

محمد الناصر الموحي = الناصر الموحي

محمد بن يحيى = ابن أبي بكر

محمد بن يحيى الحفصي = المستنصر الحفصي

محمد بن يحيى المريني ٥٥٢ م .

محمد بن يعقوب الموحي = الناصر الموحي

محمد بن يوسف = ابن نصر .

محمد (الخامس الغني الله) ابن الأحمر = محمد بن
يوسف بن إسماعيل

محمد بن يوسف التلمساني (٥٣٦ - ٥٣٩) .

راجع أبو سعيد .

محمد بن يوسف الهمداني ٣٥٤ .

محمد بن يوسف بن هود = ابن هود

محمود - عبد الحليم ٢٠٩ ، ٦٧٩ .

محمد بن أحمد الاستحي (١٤٤ - ١٤٨) .

محمد بن أحمد الشريشي ٦٢ .

محمد بن أحمد الفاسي - تقي الدين ٦٥ .

محمد البديري = البديري

محمد (راجع أيضاً «حو»)

محمد بن أبي القاسم الحميري = ابن الصباغ

محمد بن تيفات اللمتوني = (تاسرت) ٣٨ م .

محمد الحاج (ساسكي) ٦٩ .

محمد حسن (الهندي) ٢٦٥ .

محمد بن حسن الفاسي ٥٢ .

محمد بن الحسن القلمي (٢٧١ - ٢٧٣) .

محمد بن الحسن المالقي ٦١ - ٦٢ .

محمد بن حفص الموحي (والي بلنسة) ٢١٠ .

محمد بن خلدون (جد عبد الرحمن) = ابن
خلدون

محمد (الثالث) بن داوود ٥٠ .

محمد سالم علي ٢٧٠ .

محمد سعيد الصنهاجي ٧٤ .

محمد بن سعيد الغني ١٤٩ .

محمد الطيب الجزائري ٢٠٩ .

محمد الظريف التونسي (٥٦١ - ٥٦٣) .

محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي =
ابن عبد الجليل

محمد بن عبد الله المرسي (١٩٤ - ١٩٦) .
٥٢

محمد بن عبد الجليل = سلمى . سالم

محمد - عبد القيوم ٣٧٤ .

محمد العربي العقيلي (٦٩٨ - ٧٠٣) .

محمد بن علي الشاطبي المغربي ٨٢ .

محمد بن علي اللخمي الثقوري ٩١ .

محمود بن عمر أقيت التنبكتي (٧٠٥-
(٧١١).

محمود بن عمر بن محمد أقيت... الصنهاجي
١٣٢.

محمود بن فهد = الشهاب محمود

محمود كمت = محمود بن عمر أقيت

المختار (محمد رسول الله) ١٩٧ م.

مخلد بن كيداد = أبو يزيد

مخلص - عبد الله ٥٣٦.

مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ١٣٢.

المخيلي - يوسف ٣٧٠.

المدني - (?) ٦٣٢.

المدبوني - أحمد بن الحسن ٦٤٠ م.

المدبوني الحكيم - يوسف ٩٠.

المدبوني - عائشة بنت أحمد

المذحجي - أحمد بن علي ٥٠٩ (؟ ٤٠٥).

المراغي - أحمد مصطفى ٢٧٠.

المراكشي = عبد الواحد

المراكشي = ابن عبد الملك

المربلي = ابن أبي رجانة

مرتضى بن حاتم ٣٧٠.

المرتضى - محمد ١٢٧.

المرتضي الزيندي ٢٠٩ م.

مرحل (المرحل: والد مالك بن المرهل)

٣٢٥ م.

مرزوق بن عجيسة ٥٤٦.

مرسي - أحمد محمد ٢٥٩.

المرسي = محمد بن عبد الله

المريني = أبو الحسن. أبو سعيد

المريني - أبو يعقوب بن يحيى بن عبد الحق

٩٠ ح.

المزالي = محمد بن موسى

المزني - يوسف بن عبد الرحمن ٤٨٤.

٥٣١ م.

المستنصر - أبو العباس أحمد ٦٨٤.

المستنصر الحفصي (المستنصر) ٣٠ م. ٤٦.

١٧٢ - ١٧٣ . ١٩٥ . ٢١١ . ٢١٨ .

٢٢٧ . ٢٣٠ م. ٢٤٨ . ٢٤٩ . ٢٥٣ .

٢٨٣ م. ٢٩٣ - ٢٩٤ . ٢٩٩ وما بعد .

٣١٣ م.

المستنصر المريني - أبو فارس عبد العزيز

٥٥٥ م.

المستنصر (الثاني) المريني - أحمد بن إبراهيم

٥٥٥ . ٦١٦ ح.

المستنصر الموحدي - أبو يعقوب يوسف

١٤٨ م.

المسراقي = ابن غلاب

المسراقي - علي بن عبد الله ٣٩٩.

المسعودي = الباجي

المسعودي - علي بن الحسين ٥٢٧.

المسفر = ابن القطان

سلم ٥٥ ح. ٥٦ م. ٥٧ . ٥٨ م. ٥٩ م. ٧٧ .

١٩٥ . ٤١٠ ح. ٤٢١ م. ٥٤٧ ح.

المسيب بن حزن (أبو سعيد) ٤٢٤ ح م.

المسيح ٥٤٣ م.

المسيلي - أحمد بن علي ٥٤.

المسيلي - أبو علي ٣٥٦.

المشتري (زفس) ٤٦٧ ح.

المشذالي - أحمد بن عبد الحق ٤٩٨.

المشذالي - عمران بن يوسف

المشذالي - محمد بن محمد ٦٨.

المشيشي = القاوقجي

المصطفى (محمد رسول الله) ١١٥، ١٢٣، ١٢٧ إلى ١٣٠، ١٥٦، ٥٢٧، ٧١٠.

المصمودي - ابراهيم بن موسى ٦٣٤، ٦٣٧.

المصمودي - محمد بن أحمد ٩٢.

المطرزي ٢٤٩ ح.

المطرزي ٢٤٩ ح.

المطرزي = المكودي

المطري = الخزرجي

مطلوب - أحمد ٤٣٠.

المطاطي = ابراهيم بن يخلف

المظفر بن عبد الملك العامري ١٤٩ - ١٥٠.

مظفر الذين كوكبوري ١١٢.

معاوية ٣٦٩ ح، ٥٣٦ م.

المعتمد بن صامح ٦٧٠ ح.

المعتمد بن عباد ٥١١ - ٥١٢، ٦٥٥.

المعتمد (?) ٣٢٣ م.

معد ٥١٩ ح.

المعداني = ابن الرحال

المعري - أبو العلاء ١٩، ٢٠، ٢١٧، ٣٦٢، ٥٢٠، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٧٠ ح.

معن بن زائدة ٢٢٢ م.

المغراوي السجلماسي - أبو منصور ٧٠.

المغربي = أحمد بن زكريا

المغربي - عبد القادر ٦٠٧.

المغربي = محمد بن علي الشاطبي

المغيلي - الحسن (?) ٦٩٣.

المغيلي - زكريا بن موسى بن عيسى (?) ٦٨.

المغيلي = عائشة بنت محمد المغيلي

المغيلي - عبد الرحمن بن يحيى ٦٥.

المغيلي التلمساني - محمد بن عبد الكريم (?)

٥٥، ٦٩، ٨٥، ١٣٢، ١٣٣ م.

٧١٠ م.

المغيلي - موسى بن عيسى ٦١، ٦٧.

المقدسي - محمود ٧٧.

المقري (الجد) - محمد بن محمد (٤٧١) -

(٤٧٧)، ٤٥٨، ٦٣٧، ٦٩٠ م.

المقري - أحمد بن محمد (صاحب نفح الطيب)

١١٤، ١١٩، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧.

١٥٣ ح، ١٧٩ ح، ٣٨٢، ٣٩٤ م.

٤٧١ ح، ٤٨٤ - ٤٨٥، ٥٤٨ ح.

٥٥٠ م، ٦٣٥، ٦٣٧ ح.

المقريزي ٦٥٢.

مكرم بن محمد - أبو الفضل ٢٦٠.

المكناسي = ابن غاز ابن أحمد

المكودي - أبو عبد الرحمن (٥٧٩ - ٥٨٦).

٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٩٧، ٦٣٤.

مكي - محمود علي ٦٧٢.

الملاح - محمد بن عبد الواحد ٢٣٠.

الملاوي - يوسف بن يعقوب ٦١١.

الملزوزي - عبد العزيز بن محمد ٨٠.

الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون

١٠١ - ١٠٤.

الملك الصالح - نجم الدين أيوب ١٠١ ح.

المللكيشي - محمد بن عمر (٤١٩ - ٤٢٠).

الملوي - أحمد ٥٨٥.

الملياني = أبو العباس

الملياني - أبو علي أحمد ٣٧٤ - ٣٧٥.

منالوس ٨٨.

المنجور - أحمد ٦٩٥.

المنتشاقري - يوسف بن موسى ١١٩ - ١٢٢.

المنتصر الحفصي - أبو عبد الله محمد =
المنتصر الحفصي .
المتقي - محمد ١٢٧ .
المتوري - أبو عبد الله (؟) ٦٤١ .
المتوري - محمد بن عبد الملك ٥٨ .
منديل بن آجروم - محمد بن محمد الصنهاجي
٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٣٩٤ م .
المنذر الثالث (ملك الحيرة) ٥٠٨ ح .
منسا موسى ٤٢ - ٤٣ .
المنستيري - محمد بن عبد السلام ٦٠ .
المنصفي - يوسف ١٢٩ ح .
المنصور بن أبي عامر ١٥٠ ح .
المنصور الذهبي - أحمد بن محمد ٥٠ م .
المنصور المريني يعقوب بن عبد الحق ٦ ،
٣٢٩ م ، ٣٣٦ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ م ، ٥٥٤ .
المنصور الموحد - يعقوب بن يوسف ٨٧ ،
١٤٨ م ، ١٦٢ ، ١٦٥ - ١٦٦ .
المهدي بن تومرت ٢١٣ م .
المهدي (صاحب الزمان) ٦٠٧ م .
المهدي العباسي ٥٩٤ م .
المهدي الفاسي = محمد المهدي
المواق = ابن المواق .
موسى ١١١ ح ، ١٢٠ ح ، ١٨٤ ح ، ١٩٩ ح ،
٢٧٥ ح ، ٣١٩ ح ، ٣٢٠ وما بعد ،
٥٤٣ م .
موسى (في شعر) ١٧٤ .
موسى كتع ٤١ .
موسى بن عثمان = أبو حمو الأول
موسى بن عيسى = الففجومي ،
موسى = كك موسى
موسى (صاحب مالي) ٤٩ .

موسى بن أسكيا محمد الأول ٤٩ .
موسى بن محمد بن سعيد العنسي = ابن سعيد
العنسي
موسى = منسا موسى
موللر (محقق كتاب اللسان الدين بن الخطيب)
٥١٦ م .
موللر (آخر؟) ٢١٦ م .
مؤنس - حسين ٢١٦ ، ٢٧٧ .
مؤيد الدين القمسي - محمد بن محمد ١٦٥ .
ميارة - محمد بن أحمد ٦٥ ، ٦٣٢ .
ميراندا - أمروسي هوسي ٤٠٦ .
ميمون الفخار ٥٣ .
ميمون القلمي ٢٧١ .
ميمة (محبوبة غيلان) ٢٩٥ ح .
الميورقي = ابن غانية .

حرف النون:

النابغة الذبياني ١٥١ ح ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ح ،
٢٥٠ ، ٦٩٨ .
ناجي (اسم) ٦٩٥ ح .
ناجي - هلال ٥١٥ .
ناصر الدين = الأشرف شعبان
الناصر المريني - يوسف بن يعقوب ٣٢ م ،
٣٧٥ ، ٣٢٣ ، ٩٠ .
الناصر حسن بن قلاوون ٥١٨ م .
الناصر الموحد - ابن عبد المؤمن
الناصر فرج بن برقوق = فرج بن برقوق
نافع (المقري) ٥٣ م ، ٥٤ م ، ٥٥ م ، ١٤٧ ح ،
٤٢١ ، ٦٩٦ .
الباهي المالقي - أبو الحسن علي ١٤٠ ،
٥٥٥ م ، (م؟) .

- النبراي = عبد الله بن نصر (الله)
 النبهاني - اسماعيل بن يوسف ٦٦١ م.
 النبي = محمد رسول الله
 النجار - محمد ٦٨٠.
 النجار البجائي - محمد بن عمر الزواوي ٩١.
 النجار العروسي = بركات بن أحمد ٧٩.
 النجار - محمد زهري ٦٧٩.
 نجم الدين الطبري = الطبري
 النجيب بن الصقيل ٣٣٤.
 النخعي - ابراهيم بن زيد ٤٢٣ م.
 النذرومي التلمساني - محمد بن محمد ٥٧.
 النذرومي - يوسف بن علي ٧٥.
 نزهة بن سليمان اللخمي - أم العفاف ٢٣٠.
 النسائي ٥٥ ح، ٤٢١ ح،
 النشار - سامي ٢٤٧.
 نصار - حسين ٣١٦، ٣٧٤.
 نصر بن محمد النصري = أبو الجيوش
 نصيب بن رباح ١٤٢ ح.
 نصير الدين الطوسي ٨٨.
 النعمان بن المنذر ٤٣٢، ٥٠٨ م، ٦٠٣ ح،
 راجع ٥٣٦ ح.
 النفرى - محمد بن عبد الجبار ٢٠٦.
 النفرى = يحيى بن أحمد السراج
 القرشي (؟) = القرشي.
 تقروز ٤٤٠ م.
 النمروذ ٣٠٦ م.
 النميري - محمد بن عبد الله ٤٣٢ م.
 النور العقيلي (؟) ٦٣٥.
 النور النويري (؟) ٦٣٤.
 نور الدين الديماطي (؟) ٧٦.
 النويري - محمد بن عمر ٥٨، ٦٢، ٦٤ م.
- ٧٨، ٣٣٤، ٣٩٨، ٣٩٩.
 النويري - محمد بن محمد ٦٦٦، ٦٨٥.
 نوياً - بولس ٢٠٩، ٥٦٧.
 نويهض - عادل ٣٥٦، ٦١٣، ٦١٤.
 النيار = يوسف بن اسماعيل
 النيجي (شيخ ابن غاز) ٦٩٥.
 النيفر - محمد الشاذلي ٦١٤.
 حرف الهاء:
- الحادي - محمد ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٢٩.
 الهاشمي - محمد ١١٩.
 هدهاد بن شرحبيل ٣٠٦ م.
 هذيل (الأستاذ؟) ١٥٣ م.
 الهراس - عبد السلام ٢١٧.
 الهرغي الزقندري - أبو محمد ٦١١.
 هرقل ٢٧٢ م.
 هرمس (اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين)
 ٤٥٦ ح.
 هرمس المثلث بالحكمة ٤٥٦ م. ٤٦٧ ح م.
 هرون الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤.
 الهروي - أحمد بن محمد ١٤٠ م.
 الهزميري - أبو زيد عبد الرحمن ٦١٣.
 هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ١٥٠ ح.
 الهمداني الأندلسي = محمد بن يوسف
 الهنتاقي = أبو حفص يحيى
 الهندي = علي بن حسام الدين
 هوداس ٦٣٢.
 هورتن ٧٨.
 الهوريني - نصر ٢٦٩، ٦٠٦.
 هولكو ٣١٣ م.
 هوميروس ٣١ ح.

حرف الواو:

الواثق بن يحيى = أبو عصيدة

واجاج بن زلو اللمطي ٣٩ م.

الوادي أشي = ابن جابر

الوازعي - يحيى ٦٤٩.

الواسطي = أبو الفتح

وافي - علي عبد الواحد ٦٠٦، ٦٠٧.

٦٠٨ م.

الوالاقي = الساولي

الواشريسي - الحسن بن عطية ٦١٥.

الواشريسي = الونشريسي.

الوانفيلي - عبد الله ٦١١.

الوانوغي - أبو مهدي (?) ٦٨.

الوانوغي - محمد بن أحمد ٦٥.

الوانوغي - يوسف بن ابراهيم ٦٥.

الورجلاني الاباضي - يحيى بن أبي بكر ٨٢،

٢٥٢.

الوردي - علي حسن ٦٠٩.

ورش - عثمان بن سعيد ٥٣ م، ١٤٧ ح.

الوزاني - محمد المهدي ٢٧٠، راجع ٣٩٩

(ابن الوزاني).

الوزاني - المهدي بن محمد ٦٣٢.

الوغييسي - عبد الرحمن بن أحمد ٧٢،

٧٦ ح.

الوقشي = الكثاني الوقشي

الوليد = البحري

الونشريسي - أبو العباس أحمد بن يحيى ٦،

٦١، ٧٠.

حرف الياء:

اليازجي - ابراهيم ٢٦٥.

اليحصي = ابن حفص

اليحمدي - (?) ٦٩٣.

يحيى بن خلدون = ابن خلدون

يحيى بن ابراهيم الكدالي ٣٨ - ٣٩.

يحيى بن أحمد النفري السراج الرندي

الفاسي ٥٨.

يحيى الرندي الحكيم ٣٦٥.

يحيى بن عبد السلام العلمي القسنطيني ٦٨.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي (١٧١ - ١٧٤)

٢٩ - ٣٠، ٩٩ م، ١٥٧ م، ١٨٣،

١٩٢، ٢٠٥، ٢١٠ وما بعد ٢٢٠ وما

بعد، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٧٨ ح،

٢٩٢، ٣٠١ م، ٣٧٦ ح.

يحيى بن علي النفري (٣٤٠).

يحيى بن عمر اللمتوني ٤٠.

يحيى بن عمر = الهنتاقي - أبو حفص

يحيى بن غانية الميورقي = ابن غانية

اليع بن عيسى = الفاقي

يعقوب الحضرمي (المقرئ) - أبو محمد

٦٢٧ م.

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المربني

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن = المنصور

الموحدي.

اليقوي - ابراهيم ٦٧٩.

اليعمري = ابن فرجون (صاحب الدياج)

اليعمري = ابن سيد الناس - أبو بكر

يعوق (صنم) ١٢٠ م.

يفمراسن بن زيان ٨٢.

يفوث (صنم) ١٢٠ م.

اليفري = يحيى بن علي

اليفري - محمد بن عبد الله ٧٠، ٦٨٩.

يوسف الصديق ٧٢، ١٤٧ ح، ٦٦٣ .

يوسف بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن

يوسف الفهري ٤٠٦ ح .

يوسف بن يعقوب المريني = الناصر المريني

اليقوري الأندلسي - محمد بن ابراهيم ٥٦

يوسف بن اسماعيل (النيار) = ابن الأحمر -

يوسف بن اسماعيل بن فرج

يوسف بن أيوب بن يحيى ٨٤ ح .

يوسف بن تاشفين ٤٠ م، ٦٥٥ م .

يوسف دليلى البرغماوي بن محمد العجيزي

٦٩ - ٧٠ .